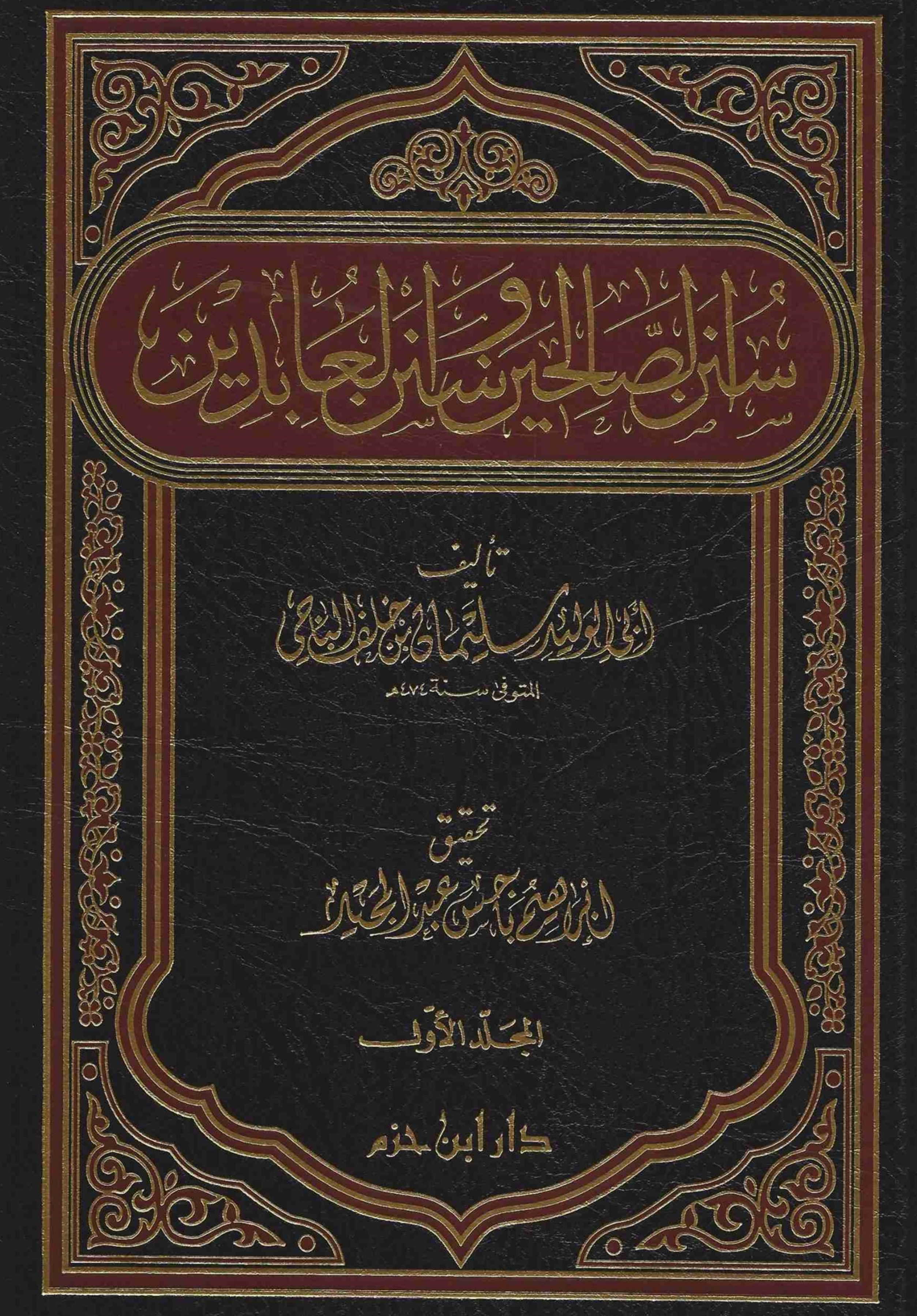

سنن الصالحين وسنن العابدين
تأليف
أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي
المتوفى سنة ٤٧٤هـ
تحقيق
إبراهيم باحس عبد المجيد
المجلد الأول
دار ابن حزم

سنن الصالحين وسنن العابدين

تأليف

أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي

المتوفى سنة ٤٧٤هـ

تحقيق

ابراهيم باجس عبد المجيد

المجلد الأول

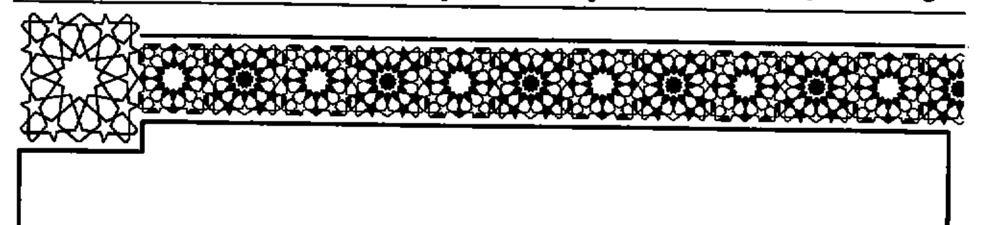
دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤



مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد قمت منذ سنوات بتحقيق وصية فقيه الأندلس أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي لولديه. وأثناء بحثي في المصادر والمراجع عن ترجمة مؤلف الوصية الإمام الباجي، وقفت على إشارة إلى أحد كتبه التي لم تطبع بعد، وما زالت حبيسة خزانة المخطوطات في مكتبة لايدن بهولندا.

قرأت ما ذكر في فهرس تلك المكتبة عن كتاب أبي الوليد الباجي، وما ذكر من مقدمة الكتاب نفسه، فاستهواني موضوعه، وتاقت نفسي لرؤيته والاطلاع عليه، خاصة أنه قريب الصلة بالوصية التي كتبها لولديه، والتي وفقني الله بمنِّه لتحقيقها.

وإن كانت تلك الوصية صغيرة في حجمها، إلا أنها احتوت من المواعظ والحكم الشيء الكثير. وقد كان كاتبها رحمه الله مخلصاً فيما كتب وأوصى به ولديه، حباً لهما وحرصاً عليهما، فهو يقول في مستهل وصيته: «واعلما أنْ لا أحد أنصحَ مني لكما، ولا أشفقَ مني عليكما، وأنه ليس في الأرض من تطيبُ نفسي أن يفضُلَ عليَّ غيركما، ولا أرفعُ حالاً في أمر الدين والدنيا سواكما».

ويأخذ الوالد الناصح المشفق في توجيه الوصايا لولديه فيما يهمهما في أمور آخرتهما ودنياهما، حاثّاً لهما على التمسك بأهداب الدين، والتشبث بفضائل الأخلاق وكريمها.

والمطالع لتلك الوصية، يجدها شاملة، شملت أمور العقيدة والعبادة والدعوة والعلاقات البشرية والآداب والأخلاق؛ فما تركت أمراً من أمور الدنيا والآخرة إلا وطرقته وبحثته.

والوالد الناصح الشفوق، يجعل همه الدائم والدائب تربية أبنائه على فضائل الأخلاق ومحاسنها، من خلال سلوكه هو نفسه، ومن خلال ما يحكي لهم من قصص السلف الصالح، وما كانوا عليه من كريم الأخلاق. وقد كان أبو الوليد الباجي رحمه الله من هذا النمط من العلماء؛ فقد قال في أول وصيته لولديه: «فإنْ أنسأَ اللهُ تعالى في الأجل، فسيكثُر النُّصحُ والتعليمُ والإرشاد والتفهيم».

ومما قرأت من مقدمة أبي الوليد الباجي لكتابه المحفوظ في خزانة مكتبة لايدن، خمَّنتُ أن في هذا الكتاب تفصيلاً لما أجمل في الوصية المختصرة، فعملت جاهداً على الحصول على مصورة منه، وقد تحقق ذلك على يدي أخي الفاضل الشيخ نظام يعقوبي من البحرين، إذ تفضل مأجوراً مشكوراً بتزويدي بمصورة من تلك المخطوطة القيمة، فله من الله خير الجزاء والثواب.

ولما قرأت مخطوطة الكتاب، وجدت أن الخُبْرَ قد صدَّقَ الخَبَرَ، بل وأربى عليه؛ فقد وفَّى رحمه الله بوعده لولديه، فكتب لهما هذا الكتاب، وهو كتاب شامل جامع في الأخلاق والمواعظ والآداب، أراد منه أن يكون مجموعة من الدروس العملية فيما يرمي إليه من تربيتهما وتأديبهما على فضائل الأخلاق والآداب، بعد أن فرغ من تعليمهما مختلف العلوم الشرعية، من خلال دروسه لهما أو من خلال كتبه التي ألفها.

ويقول رحمه الله في أول كتابه هذا موضحاً مقصده من تأليفه ومنهجه فيه: «يا بَنِيَّ، وفقكما الله، فإني لما رأيت الوعظ من أدوية القلوب وآداب النفوس، وتقدم من تواليفي في الفقه والحديث والأصول والجدل وغيْر ذلك مما يتصل به من أبواب العلم، ما وجب إن نظرتُما فيه أن تستعينا به على مرادي لكما، رأيت أن أجمع لكما كتاباً من هذا النوع، آمنه، بعون الله، من كثير مما يقع فيه من أَلَّفَ في هذا النوع من الانحرافِ عن مذاهب أهل العلم، والغُلُوِّ الخارج عن سبيل أهل الحق، يكون فيه تنبيهٌ على معانٍ لا تُوجد في كتب الفقهاء وتأديب بأخلاق من سلف من العلماء.

وقدَّمتُ في أوله أدعية استفتحتُها بأدعية القرآن، ثم وصلت بذلك فضائل تنشط عند الفترة، ومواعظ تُستجلب بها إلى القلوب الرقة، وتداوي بها من القسوة، وفصولاً يُنتهى بها إلى التحقيق والتحرير، ويُصرف بها عن القلق، وتمنع من التقصير.

وإن كان كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنْزيل من حكيم حميد أفضلَ ما أُنصت إليه، وأنفع ما وُعظ به، وحديث النبي ﷺ قد جمع من ذلك ما يستولي على النفوس حُسنه وصحته، ويجلو الظُّلَم بنوره وبهجته، إلا أنه إذا اقترن بهما من أقوال الصالحين وعمل المجتهدين ما يليق بهما، ويكون منبِّهاً على معانيهما، مفسِّراً لهما، كانت النفوس إليه أميلَ، والأفهام إليه أسرعَ».

فمن المقدمة القصيرة التي وضعها المؤلف رحمه الله لكتابه يتضح منهجه فيه:

١ ـ فأول ما شرطه على نفسه ألا يعلم ولديه إلا العلم الموثوق به، الخالي من ضعيف الأحاديث النبوية، أو غير المعقول أو المقبول من الآثار التي يرويها. وينبه على أنه تجنب الوقوع فيما وقع فيه غيره ممن ألف في هذا النوع من الكتب.

٢ ـ وهو كذلك لا يريد أن يشوب كتابه هذا شيءٌ من الغلو الخارج عن سبيل أهل الحق، والذي تطفح به كثير من كتب الزهد والرقائق، وحكايات الصالحين والعُبَّاد والزُّهَّاد.

٣ ـ ويجعل مصدره الأول في مادة كتابه القرآن الكريم، فهو يبدأ في أول الباب بإيراد آية أو آيات مما يوافق مادة الباب؛ فكتاب الله سبحانه كما يقول رحمه الله «أفضل ما أُنصت إليه، وأنفع ما وُعظ به».

٤ ـ ثم يأتي على بعض الأحاديث النبوية الشريفة، ويجعلها مصدراً أساساً يثري مادة كتابه. كيف لا «وحديث النبي ﷺ قد جمع من ذلك ما يستولي على النفوس حُسنه وصحته، ويجلو الظُّلَم بنوره وبهجته».

٥ ـ ويشعر رحمه الله أن آيات الكتاب الكريم، وأحاديث المصطفى ﷺ «إذا اقترن بهما من أقوال الصالحين وعمل المجتهدين ما يليق بهما، ويكون منبِّهاً على معانيهما، مفسِّراً لهما، كانت النفوس إليه أميلَ، والأفهام إليه أسرعَ»، فأتى بالكثير منها، ما بين حكمة، وقول مأثور، وحكاية ذات عبْرة، وأبيات من شعر فيه حكمة وعظة.

وقد التَزَم رحمه الله هذا النهج في كتابه كله على الأغلب، إلا في إيراده لبعض الأحاديث الضعيفة، وسأبين القول فيها ضمن ملحوظاتي على الكتاب، والتي أجملها فيما يأتي:

ملحوظات على الكتاب:

١ ـ أورد المصنف المئات من الأحاديث النبوية الشريفة، يغلب عليها الصحة، بل أكثر الصحيح منها ورد في صحيحي البخاري ومسلم، ولم يرو من الأحاديث الضعيفة إلا القليل، وهي: ٧١، ٧٢، ١٣٦، ١٤٩، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٧، ٢٤٩، ٢٧٥، ٣٤٨، ٨٧٢، ١١٥٥، ١٢٦٦، ١٣٧٢، ١٣٩٨، ١٨٨٨، ١٩٩٢، ٢٠٣٩، ٢٤٦٧، ٢٤٧٢، ٢٤٧٥،

٢٥٢٣، ٢٥٥٤، ٢٥٦٣، ٢٧٧٤، ٢٨٤٤، ٣٠٨٧، ٣٠٩١، ٣٤٥٢، ٣٥٥٣، ٣٦٦٠، ٣٦٩٩، ٣٧٣٢، ٣٧٨٧.

٢ ـ وغالب هذه الأحاديث الضعيفة لم يوردها المصنف رحمه الله على أنها من حديث النبي ﷺ بل ينسبها إلى الصحابي راوي الحديث على أنها من قوله؛ كما في ٣٤٨، و١٣٧٢. أو ينسبها أحياناً إلى «بعض الحكماء»؛ كما في النصوص ٢٠٣٩، ٢٤٦٧، ٢٤٧٢، ٢٤٧٥، ٢٥٢٣، ٢٧٧٤، ٣٠٧٨. أو يقول: قال بعض الصالحين؛ كما في ١١٩، ٣٤٥٢، أو «بعض العلماء»، كما في ٣٦٩٩ و٣٧٨٧. أو يورد الحديث بصيغة التمريض (رُوِيَ)، كما في ٢٨٤٤، أو يورده على أنه حديث مرسل، بينما هو روي مرفوعاً؛ كما في النص ٢٢٢٠.

٣ ـ إلا أن هناك أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ وهي صحيحة المتن، أوردها المصنف على أنها من أقوال بعض الحكماء؛ كما في ٢٢٥٤، ٣٠٧٨، ٣٢٧٤، ٣٣٤٥، ٣٣٨٠. أو بعض العلماء؛ كما في النص ٣٥٠٥.

٤ ـ أما الأحاديث الموضوعة، فلم أجد المصنف أورد إلا ثلاثةً منها، وهي: ١٠٤٥، و١١١١، و١١٥٥. وقد بينت الحكم فيها في مواضعها.

٥ ـ بعض الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ أوردها المصنف على أنها من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم؛ فيقول مثلاً: قال أبو هريرة، أو قال ابن عمر، أو روي عن أبي موسى، وغير ذلك، وعند البحث عن الأثر المروي نجد أنه حديث مرفوع. وتجد ذلك في الأرقام الآتية: ٨٠، ٨١، ١١٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٩٤، ٢٤٥، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٨، ٧٠٣، ١٢٠٥، ١٣٧٢، ١٣٧٦، ١٩٧٧، ٢٠٣٣، ٢٠٥٦، ٢٣٠٦، ٢٣٧٩، ٢٣٨٠، ٢٥٥٤، ٢٦٠٢، ٢٧٦٢، ٢٩٩٣، ٣٠٥٢، ٣٠٧١، ٣١٨٣، ٣٣٥٦، ٣٣٨٩، ٣٣٩٠، ٣٤٥٠، ٣٥٧١، ٣٧٤١، ٣٨٤١، ٣٨٨٠، ٣٨٨٦.

٦ - جل النصوص التي أوردها المؤلف رحمه الله لم يروها بالإسناد عن شيوخه إلا في القليل النادر، وذلك مثل النصين **٣٣٣٢** و**٣٦٨٤**، وشيخه فيهما أبو ذر عبد بن أحمد الهروي. والنصان **٢١٠٤**، و **٣٠٧٣** رواهما عن عبيد الله بن عثمان بن أحمد الصيرفي. والنص **٣٣٣٤** رواه عن أبي القاسم حبيش بن أحمد بن حبيش، و**٩٣٣** رواه عن أبي بكر بن الغراب، و**٢١٠٤** عن أبي القاسم الدمثائي.

٧ - والمصنف روى متون النصوص دون أسانيدها عند رواتها، وقد خالف ذلك في النص رقم **٢٣٤** حيث روى فيه حديثاً بإسناد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه.

٨ - لم يلتزم المصنف منهجاً واحداً في طول الأبواب أو قصرها، فبعضها استغرق صفحات عدة، اشتملت على نصوص كثيرة؛ كما في الأبواب **٧١** و**٨٦** و**١٤٥** و**٢٠٣**. والبعض الآخر جاء في أقل من نصف صفحة، وفي بضعة نصوص أو نص واحد فقط؛ كما في الأبواب **٧** و**١٦** و**٢٣** و**٢٩** و**٣٣** و**٣٧**.

٩ - كذلك لم يلتزم المصنف منهجاً واحداً بالنسبة لطول النصوص وقصرها؛ فبعضها يتكون من بضع كلمات جاءت في أقل من السطر الواحد، وبعضها استغرق عدة صفحات؛ كما في النصوص **٤١٤**، **٦٩٢**، **٣٣٢٣ - ٣٣٢٦**، **٣٣٣٤**، **٣٨٥٢**.

١٠ - حرص المؤلف رحمه الله على عدم تكرار النصوص التي يوردها، إلا في النادر، ولما يقتضيه الحال، كون النص الوارد يصلح للاستشهاد به في أكثر من موضوع أو باب، وأكثر ما تكرر ذلك في النصوص الشعرية. ويمكن حصر النصوص المكررة في الأرقام الآتية: **(١٦٠ - ٢١٢٩)**، **(٢٠١ - ١٨٤٠)**، **(٢٩٨ - ١٥٢٥)**، **(٤١٩ - ١٤٢٥)**، **(٤٤٢ - ٣٦١٣)**، **(٤٧٥ - ٥٦٩)**، **(٤٨٥ - ٧٤٣)**، **(٤٨٧ - ٥٣٠)**، **(٦٧٧**

ـ ٦٨٨)، (٧٧٢ ـ ٧٧٩)، (٩٣٤ ـ ١١٦٦)، (٩٨٣ ـ ٣٣٣٩)، (١٢٠٩ ـ ١٤٦٨)، (١٢٥١ ـ ١٦٢٣)، (١٢٨١ ـ ١٥٥٦)، (١٦٥٩ ـ ٣٤٨٢)، (١٧٦٤ ـ ٢٠١٣)، (١٨١٥ ـ ١٨١٩)، (١٨٣٩ ـ ٣٦٩٤)، (٢٠٨٢ ـ ٣٢٥٢)، (٢٠٩١ ـ ٣٢٦١)، (٢٠٩٢ ـ ٣٢٦٢)، (٢٠٩٥ ـ ٣٢٦٥)، (٢١١٦ ـ ٢٤٠٦)، (٢١٣٣ ـ ٢٢٥٠)، (٢١٩١ ـ ٣١٣٦)، (٢٢٧٤ ـ ٢٣٦٤)، (٢٢٨٧ ـ ٢٦٣٨)، (٢٢٨٦ ـ ٢٦٣٧)، (٢٥٦٢ ـ ٣٢٣٢)، (٢٦٧٦ ـ ٣٤٠٦)، (٢٧٢١ ـ ٢٦٤٣)، (٢٧٨٧ ـ ٣٥٧٣)، (٣٠٩١ ـ ٣٣٦٧)، (٣٣٩٣ ـ ٣٥٣٦)، (٣٤٤٦ ـ ٣٥٨٨)، (٣٤٩٩ ـ ٣٣٧٢)، (٣٥٧٨ ـ ٣٧٧١).

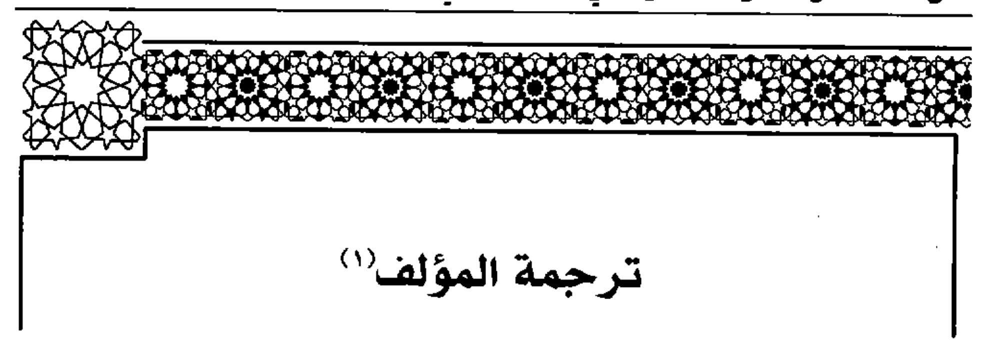
١١ ـ أورد المصنف رحمه الله أبياتاً من شعره في بعض الأبواب، شواهد على النصوص التي يوردها في الباب، فيقول أحياناً: ولي في هذا المعنى؛ كما في ٣٠٠، ٣٠٤، ٦٢٨، ١٩٥٧. أو يقول: ولي فيما يقرب من هذا المعنى: ٢١٨٨. أو يصرح باسمه، فيقول: قال القاضي أبو الوليد رحمه الله؛ ونجد ذلك في النص رقم ٣٦٥٥. أو يقول: ومما قلته في هذا الباب؛ كما في ٣٧١٨.

١٢ ـ كان أبو الوليد الباجي رحمه الله في جل كتابه يكتفي بإيراد النصوص على اختلاف أنواعها، سواءً أكانت آية كريمة أم حديثاً نبوياً أم قولاً مأثوراً أم أبياتاً من الشعر. إلا أنه أثرى هذه النصوص بتعليقات نفيسة، تدل على اطلاع واسع، وعلم غزير، وسعة أفق، ومرونة في فهم النصوص. ونجد أقواله النفيسة هذه تراوح بين توضيح معنى النص الذي أورده، أو رفع إشكال أو لبس عن آية أو حديث، أو تعليل السبب في مسألة أو حكاية، أو بيان رأيه في مسألة، أو ترجيح القول فيها. وكنت أرغب في حصر جميع أقواله التي أوردها؛ ليتبين للقارئ الكريم نفاسة هذه الأقوال، ولكنني خشيت الإطالة في هذه المقدمة، واكتفيت بالإحالة إلى الأرقام التي وردت فيها،

فيحسن الرجوع إليها، ففيها كبير فائدة إن شاء الله. وأرقام هذه النصوص هـي: ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٧، ٦٥١، ٦٥٤، ٦٥٧، ٨٠٥، ٨٢٣، ١٠٩٧ ـ ١١٠٤، ١٧١٣، ١٨٥٨، ١٨٧٩، ١٨٩٦، ١٩٢٤، ١٩٥٣، ١٩٥٥، ١٩٩٩، ٢٠٠٨، ٢٠٥١، ٢١١٥، ٢٣٧٥، ٢٣٧٨، ٢٣٨٣، ٢٣٩٢، ٢٤٠٠، ٢٦٣٩، ٢٦٤٢، ٢٦٤٧، ٢٧٧٥، ٢٨١٤، ٣٣٣٥، ٣٣٣٦، ٣٣٥٦، ٣٣٥٧.

هذه بعض الملحوظات التي أحببت الإشارة إليها في هذا الكتاب، وسيلحظ القارئ الكريم غير ما دونت عند تتبع النصوص التي أوردها المصنف رحمه الله.





ترجمة المؤلف[١]

اسمه ونسبه: هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي. وأصل أجداده من بطليوس، ثم انتقلوا إلى مدينة باجة بالأندلس.

مولده: ولد سنة ٤٠٣هـ، كما ذكرت المصادر التي ترجمت له، وكذا كتبت أمه تاريخ مولده بخطها، كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

أسرته: يحدثنا المؤلف، أو يحدث ولديه في وصيته لهما، عن أسرته، وأنها أسرة علم وصلاح، فيقول: «واعلما أننا أهل بيت لم يخْلُ بفضل الله ما انتهى إلينا منه من صلاح وتدين وعفاف وتصاون...»، ثم يذكر أباه وأعمامه وإخوانه، وأنهم مشهورون بالعبادة والصلاح والتدين والورع والعفاف.

ونجد في بعض المصادر نتفاً من الحديث عن أسرته:

فأبوه: كان من تجار القيروان، وكان ذا جاهٍ ومال، ولكنه، وكما قال

(١) للتوسع في ترجمته انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٨٠٢/٤ ـ ٨٠٨، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، القسم الثاني، المجلد الأول ص ٩٤ ـ ١٠٥، الديباج المذهب لابن فرحون ٣٧٧/١ ـ ٣٨٥، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٣٥/١٨، نفح الطيب للمقري ٦٧/٢ ـ ٨٥.

ابنه في وصيته لولديه: «كان مع جاهه وحاله واتساع دنياه منقبضاً عنها، متقللاً منها، ثم أقبل على العبادة والاعتكاف إلى أن توفي».

وقد أخذ العلم في بداية حياته عن فقيه بالأندلس، يقال له أبو بكر بن شماخ، وكان مُعجباً به، ويتمنى أن يرزق بولدٍ مثل شيخه، فأشار عليه ابن شماخ أن يسكن قرطبة ويلزم أبا بكر القُبري، ويتزوج ابنته عساه يُرزق منها ولداً مثل شيخه، وعمل بوصية شيخه، فكان له ما أراد.

أما أمه: فكانت فقهية قارئة.

جده لأمه: ولا غرابة أن تكون المرأة فقهية، وهي بنت فقيه عالم، وهو أبو بكر محمد بن موهب بن محمد القبري (ت سنة ٤٠٦هـ).

خاله: وهي أخت الفقيه المحدث الأديب الخطيب الشاعر أبي شاكر عبد الواحد بن محمد (٣٧٧ ـ ٤٥٦هـ)، قال عنه ابن بشكوال في «الصلة» ٢/٣٧٨: كان حسن الهيئة والخلق، حسن السمت والهدي، وكان أشبه الناس بالسلف الصالح.

أما إخوته: فيذكر عنهم أنه لم يكن منهم إلا مشهور بالحج والجهاد والصلاح والعفاف.

ويقول عنهم القاضي عياض في «ترتيب المدارك» ٤/٨٠٨: وكان له أخوة فضلاء.

ويذكرهم ابن عساكر في تاريخه، فيقول: إن أحدهم كان صاحب الصلاة بسرقسطة، وآخر كان من أدلِّ الناس ببلاد العدو في الغزو، حتى إنه كان يعرف الأرض بالليل بشمِّ التراب.

علمه: إذاً، فقد نشأ أبو الوليد في بيئة علمٍ وصلاحٍ، فأبوه عالم، وأمه فقيهة، وجده لأمه فقيه، وخاله فقيه ومحدث، وأخوته صالحون

مجاهدون، فلا غرابة أن يأخذ من علم هؤلاء جميعاً وصلاحهم، وأن يبرِّز في مختلف العلوم، حيث برع في علم الحديث وعلله ورجاله، والفقه وغوامضه وخلافه، وفي الكلام ومضايقه.

شيوخه: وقد أخذ هذا العلم عن أكابر شيوخ عصره في الأندلس وغيرها من البلاد التي رحل إليها، واستمرت رحلته فيها ثلاثة عشر عاماً، مثل الحجاز وبغداد والموصل ودمشق ومصر.

ومن مشايخه في هذه البلاد: يونس بن مغيث، ومكي بن أبي طالب، والحسن بن محمد بن جميع، والقاضيان أبو الطيب الطبري، وأبو جعفر السمناني، وأبو ذر الهروي، وعبيد الله بن أحمد الدمثائي الصيرفي، وأبو بكر بن الغراب، وأبو القاسم ابن حبيش. وقد روى عن بعضهم في كتابه هذا.

تلاميذه: كما أخذ العلم عنه الكثير من أعلام عصره من العلماء، منهم: ابنه أحمد، والخطيب البغدادي، وأبو بكر الطرطوشي، وأبو عمر بن عبد البر، وأبو علي الصدفي، وأبو عبد الله الحميدي، وأبو بكر الخطيب البغدادي.

قال المقري في نفح الطيب ٢/ ٧١: ومما يفتخر به، أي الباجي، أنه روى عنه حافظا المغرب والمشرق: أبو عمر بن عبد البر، والخطيب أبو بكر بن ثابت، وناهيك بهما، وهما أسن منه وأكبر.

مؤلفاته: ونلاحظ أن علم أبي الوليد الباجي لم يبق حبيس صدره، بل بثه في كتبه، فنجده ألف في مختلف العلوم والفنون، وبعض العلوم ألف فيها أكثر من كتاب.

فألف في العقيدة: التسديد إلى معرفة طريق التوحيد، وفي الفقه: المقتبس من علم مالك بن أنس، وفي أصوله: إحكام الفصول في أحكام

الأصول، وفي التفسير: كتاباً لم يتمه، وفي الحديث: المنتقى في شرح الموطأ، وفي رجاله: التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح، وفي الزهد: سنن الصالحين وسنن العابدين، وهو هذا الكتاب. وفي علم الكلام: السراج في الحجاج، وفي الفِرَق: فرق الفقهاء. وغيْرها من الكتب.

شعره: وفوق ذلك كله، كان أبو الوليد شاعراً مجيداً، له النظم الرائق في المديح والرقائق والوعظ. يقول الفتح بن خاقان في «قلائد العقيان» ص ٢١٦: وكان له نظم يوقفه على ذاته، ولا يصرفه في رفث القول وبذاذاته، فمن ذلك قوله في معنى الزهد:

إذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعة
فلِمْ لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاحٍ وطاعة

قلت: ومن جيد شعره في قيام الليل:

قد أفلح القانت في جنح الدجى يتلو الكتاب العربيَّ النَّيِّرا
فقائماً وراكعاً وساجداً مبتهلاً مستعبراً مستغفرا
له حنينٌ وشهيقٌ وبكا يبل من أدمعه تُربَ الثرى
إنَّا لسَفْرٌ نبتغي نيل المدى ففي السُّرى بُغيتنا لا في الكرى
من ينصب الليل ينل راحته عند الصباح يحمدُ القوم السُّرى

وله:

الحمد لله ذي الآلاء والنِّعمِ ومبدع السمع والأبصار والكلمِ
من يحمد الله يأتيه المزيدُ ومن يكفر فكم نعمٍ آلت إلى نقمِ

ومن شعره في رثاء ابنه محمد:

أمحمد إن كنتُ بعدك صابراً صبر السليم لما به لا يسلمُ

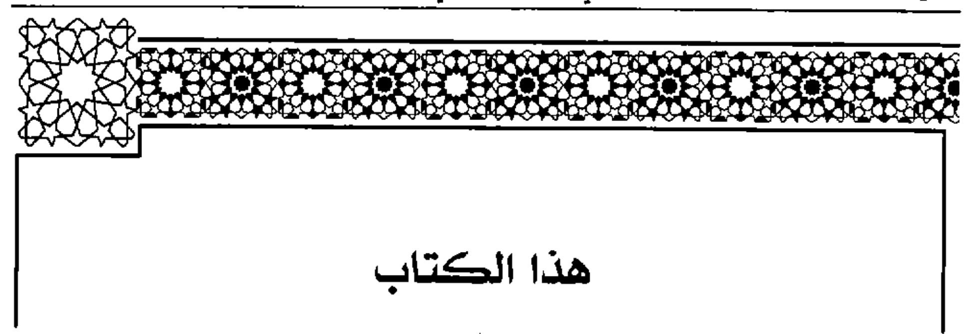
ورزئت قبلك بالنبي محمد ... ولرزؤه أدهى لدي وأعظمُ
فلقد علمت بأنني بك لاحق ... من بعد ظني أنني متقدمُ
لله ذكر لا يزال بخاطري ... متصرف في صبره متحكمُ
وبكل أرض لي من اجلك لوعة ... وبكل قبر وقفة وتلومُ
فإذا دعوت سواك حاد عن اسمه ... ودعاه باسمك مقول بك مغرمُ
حكم الردى ومناهج قد سنَّها ... لأُولي النهى والحزنُ قبلُ متممُ
فلئن جزعت فإن ربيَ عاذرٌ ... ولئن صبرت فإن ربي أكرمُ

وقد جمع ابنه أبو القاسم الباجي شعره في ديوان. وبعض أشعاره تجدها منثورة في كتابه هذا، وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق في المقدمة.

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعلم، توفي رحمه الله سنة أربع وسبعين وأربعمائة في المرية، وصلى عليه ابنه أبو القاسم.





هذا الكتاب

ألمحت في بداية مقدمتي هذه إلى اطلاعي على أولى فقرات هذا الكتاب أثناء تحقيقي لكتاب النصيحة الولدية للمؤلف نفسه، وخمنت أنه كتاب جليل القدر، فيه الكثير من الفوائد، فعملت جاهداً على الحصول على نسخة منه. وقد يسَّر الله بمنِّه وكرمه الحصول على نسخة منه محفوظة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ولكنها غير كاملة، ومع ذلك قمت بنسخها والعمل على تحقيقها.

وكان لا بد من السعي نحو الحصول على النسخة الكاملة، والمحفوظة في مكتبة لايدن بهولندا، وقد أعيتني الحيلة في ذلك، رغم المراسلات المتكررة مع تلك المكتبة من قبل مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ورغم أنه قد دفع لتلك المكتبة أجرة التصوير مقدماً، ولكن من دون جدوى.

ثم يسر لي المولى سبحانه الحصول على صورة لتلك النسخة، حيث تفضل بإهدائي إياها الأخ الفاضل الشيخ نظام يعقوبي من البحرين. ولن أستطيع شكره على ما صنع لي من معروف، وأكل جزاءه ومثوبته إلى الله عز وجل، ولا أملك إلا أن أقول له: جزاك الله خيراً، وجعل ما قدمت في صحيفتك يوم القيامة.

وصف النسخ:

تحصلت بفضل الله على النسختين المعروفتين من هذا الكتاب، وهما:

١ ـ النسخة الكاملة: المحفوظة في مكتبة لايدن بهولندا، تحت رقم **١٧٣٨**. وتتكون من جزأين، يقعان في **٣٩٧** ورقة، في كل منها **١٧** سطراً. كتبت بخط نسخي مجود يرجع إلى القرن السابع الهجري.

وقد أثرت العوامل الطبيعية والبشرية على هذه النسخة؛ فمن العوامل الطبيعية: الأرَضَة والبلل اللذان ذهبا ببعض الكلمات، فلم أتمكن من قراءتها. أما العوامل البشرية، فتتمثل في بعثرة أوراق المخطوطة، ثم جمعها على حالها وترقيمها وتجليدها دون مراعاة ترتيب الأوراق على ما كانت عليه في الأصل، وقد أدى ذلك إلى حدوث تقديم وتأخير في ترتيب الأوراق، مما أوجد صعوبة بالغة في إعادة النصوص والأوراق إلى ما كانت عليه. وقد وقع لي مثل هذا أيضاً أثناء تحقيقي لكتاب المنجم في المعجم للسيوطي.

وهذه النسخة، وإن كانت كاملة، إلا أنها تنقص صفحة العنوان من الجزء الأول منها، مع أنه ورد في أول الجزء الثاني (ورقة ٢١٨)، حيث جاء فيها: **الثاني من السَّنن بالسُّنن للإمام الغزالي** (!). وربما كانت الورقة الأولى من المخطوطة موجودة في أصل الكتاب ثم فقدت، أو أنها لم تصور ضمن ما صور، ويدل على ذلك ما جاء في فهرس مخطوطات المكتبة المحفوظة بها، وهي مكتبة لايدن بهولندا، حيث جاء فيه (٤/ ٦٤): الأول من السنن بالسنن للإمام الغزالي. ثم علَّق أحدهم قائلاً: أظن أن هذه النسبة للغزالي غير صحيحة.... ثم ظهر لي ولله الحمد أنه للشيخ العلامة أبي الوليد الباجي ﷺ.

كما تنقص الصفحة الأخيرة من هذه النسخة، وفيها فقط النص الأخير من الكتاب، إضافة إلى تاريخ النسخ واسم الناسخ.

وتمتاز هذه النسخة أيضاً بوجود قيد تملك وقراءة في أول الجزء الثاني نصه: ملك العبد الفقير إلى الله تعالى عثمان بن عبد الرحمن بن أبي طالب الجينيني (؟) غفر الله له ولجميع المسلمين، وصلى الله على محمد وآله. وطالعته على آخره.

٢ ـ النسخة الثانية: محفوظة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت رقم **١٧٨٤**، كتبت بخط نسخي مجود ومشكول، ميَّز الناسخ عناوين الأبواب بخط سميك. وتقع هذه النسخة في **١٩١** ورقة، في كل منها **٢١** سطراً، ومقاسها **٢٨ × ١٧,٣** سم، وتاريخ نسخها كما هو مدوَّن في آخرها: يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة، إلا أن ناسخها لم يدون اسمه.

وكتب على لوحة العنوان ما نصه: كتاب (الثاني) من سنن الصالحين وسنن العابدين في الزهد والمواعظ والآداب والأمثال والحكم، تأليف الشيخ الإمام العالم القاضي أبي الوليد الباجي ﷺ.

وقد جاء في آخرها ما نصه: تم المجلد (الثاني) من سنن العابدين وسنن الصالحين، وبكماله تم جميع الديوان، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وذلك في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة. غفر الله لكاتبه وقارئه والناظر فيه، وأثابنا وإياهم الجنة، ونفعنا وإياهم بما فيه، بمنِّه وكرمه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

إلا أن أحد المزورين الجهلة أفسد ما كان مدوناً في أصل المخطوطة، فكشط ما كتب على لوحة العنوان، وكتب بدلاً منه: كتاب (الكامل) من سنن الصالحين وسنن العابدين. وكذا فعل الأمر نفسه في آخر المخطوطة، فكتب: تم المجلد (الكامل)... وهذا التزوير واضح وبيِّن لمن له أدنى دراية بالمخطوطات.

ومما يزيد هذه النسخة جودة ونفاسة مجموعة قيود التملك والوقف المدونة في بدايتها ونهايتها، ومنها قيد وقف مؤرخ في سادس شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبعمائة.

ومما امتازت به هذه النسخة أيضاً وجود فهرس في أولها بما تحتويه من أبواب، ورقم الصفحة التي ورد فيها الباب المذكور. وهذا الفهرس دون في وقت متأخر عن تاريخ نسخ المخطوطة كما يتضح من نوع الخط الذي يختلف عن نمط خطوط القرن الثامن الهجري.

تبدأ هذه النسخة بباب القناعة، وهو الباب رقم ١٢٤، وأوله النص رقم ١٨٢٤، وتنتهي بنهاية الكتاب. وتمثل هذه النسخة أكثر من نصف الكتاب.

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

يمكننا الجزم بنسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي رحمه الله؛ إذ جلُّ من ترجم له، بل كلُّهم ذكر له هذا الكتاب ضمن مؤلفاته الكثيرة التي ألفها، رحمه الله، وإن اختلفت تسمياتهم له، كما سنبينه فيما بعد. وممن ذكر ذلك في ترجمة الباجي: القاضي عياض في ترتيب المدارك ٤/ ٨٠٦، والداودي في طبقات المفسرين ١/ ٢٠٤، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ١١/ ٢٥٠، وابن فرحون في الديباج المذهب ص١٢٣، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ٢/ ٦٤، وابن مخلوف في شجرة النور الزكية ص١٢١، والبغدادي في هدية العارفين ١/ ٣٩٧، وابن خير في فهرسته ص٢٥٦، والمقري في نفح الطيب ٢/ ٦٩، والذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ، وتاريخ الإسلام ص١١٧ من مجلد وفيات سنة ٤٧١ ـ ٤٨٠.

ولم يكتف العلماء بذكر الكتاب فقط، بل إن كثيراً منهم ممن أتى بعد

أبي الوليد الباجي قد نقل عن كتابه هذا واستفاد منه؛ ومنهم:

١ ـ السيوطي (ت ٩١١هـ) في الأشباه والنظائر النحوية ٧/١٦٦، ونقل عنه النص رقم ٥٠ من الباب الثاني، فقال: وقال أبو الوليد الباجي في كتاب السنن من تصنيفه، في باب أدعية من غير القرآن، فذكر منها: ما أحلمك عمَّن عصاك، وأقربك ممَّن دعاك، وأعطفك على من سألك، وذكر شعر المغيرة (النص رقم ١١٠):

سبحانك اللهمَّ ما أجلَّ عندي مثلك

٢ ـ وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى سنة ٨٧٥ هـ) في شرح الأربعين حديثاً في اصطناع المعروف للمنذري ص٤٠؛ قال: قال الباجي في سنن الصالحين: قال سهل بن عبد الله: أدنى الشكر أن لا تعصي الله تعالى بنعمه، وجوارحك كلها نِعَم من الله تعالى عليك، فلا تَعْصه لها.

وقال بعضهم: الشكر قيد النعمة، ومفتاح المزيد وثمن الجنة. انتهى. وهذان النصان وردا برقمي ١٥٢٣ و١٥٣٤ في الباب رقم ١٠٢.

٣ ـ ابن الأبار في التكملة ١/ ٦٩.

٤ ـ والرعيني في برنامجه ص ١٣٨.

٥ ـ وابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة ١/ ١١٠.

والكتب الثلاثة الأخيرة لم أطلع عليها، وذكَرَتْها الباتول بن علي في مقدمة تحقيقها لكتاب فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام لأبي الوليد الباجي ١/ ١٤٠.

ومما يؤكد نسبة هذا الكتاب إلى أبي الوليد الباجي: ما جاء في ثناياه من روايته عن شيوخه، وإن كانت قليلة، مثل أبي ذر الهروي، وعبيد الله الصيرفي، وأبي القاسم بن حبيش.

ومما يؤكد ذلك أيضاً أن أبا الوليد الباجي رحمه الله أنشد بعضاً من شعره في أبواب متفرقة، وذكرت أرقامها فيما سبق من هذه المقدمة. وقد ذكر هذه الأشعار أو بعضها من ترجم له؛ مثل المقري في نفح الطيب، والذهبي في سير أعلام النبلاء وغيرهما.

بل إن المصنف رحمه الله قد صرح باسمه أو كنيته في نصين من النصوص (٤٤٧، ٣٦٥٥)؛ حيث قال: قال القاضي أبو الوليد رحمه الله. . .

عنوان الكتاب: قلنا: إن جل من ترجم لأبي الوليد الباجي قد ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته الكثيرة. وذكرنا أيضاً في السطور السابقة من نقل عنه ممن أتى بعده من المؤلفين. ولكن، وعلى كثرة هؤلاء وهؤلاء، إلا أننا نجدهم قد اختلفوا اختلافاً بيِّناً في تحديد عنوان الكتاب، كما اختلفوا في تسمية عنوان وصيته لولديه، والتي قمت بتحقيقها، وأشرت في التحقيق إلى هذا الاختلاف في تحديد عنوانها. كما لم تتفق النسختان المعتمدتان في التحقيق على عنوان واحد للكتاب، فالأولى ذكر فيها بعنوان السُّنن بالسَّنن، والثانية ورد العنوان فيها: سُنن الصالحين وسَنن العابدين. وإن كان هذا الأخير قد ورد في بعض المصادر التي ترجمت لأبي الوليد الباجي، إلا أن العنوان الوارد في النسخة الأم لم أره في شيء من تلك المصادر.

وبالرجوع إلى مصادر ترجمة المؤلف، والكتب التي نقلت عن كتابه، هذا نجد أن العنوان قد ورد بالصيغ الآتية:

١ ـ **السنن**: في الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ٧/١٦٦، ونقل عنه.

٢ ـ **سنن الصالحين**: في شجرة النور الزكية ص ١٢١، ونفح الطيب ٢/٦٩، وهدية العارفين ١/٤٩٧، وأربعين حديثاً في اصطناع المعروف

للمنذري، شرح أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي.

٣ ـ **سنن العابدين والعائذين**: في ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/ ٨٠٧.

٤ ـ **السنن في الرقائق والزهد والوعظ**: في الديباج المذهب لابن فرحون ١/ ٣٨٥.

٥ ـ **سنن الصالحين وسنن العابدين وسبل المهتدين**: في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢/ ٦٤.

٦ ـ **سنن الصالحين وسنن العابدين**: في سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/ ٥٣٩، وفي تاريخ الإسلام له، وفيات سنة ٤٧١ ـ ٤٨٠، ص ١١٧.

٧ ـ **السنن في الرقائق والزهد**: في معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١/ ٢٤٩.

٨ ـ **سنن العابدين**: أيضاً في هدية العارفين ١/ ٣٩٧.

وكما نرى، فقد اختلف في عنوان الكتاب على أقوال كثيرة، بل إن بعض من ترجم للمؤلف ذكر الكتاب بأكثر من عنوان، كما هو الحال عند المقري في نفح الطيب، والبغدادي في هدية العارفين، والذهبي في كتبه، وغيرهم.

زيادة على الاختلاف في عنوان هذا الكتاب، فقد التبس الأمر على الكثيرين ممن درسوا أبا الوليد الباجي أو مصنفاته؛ حيث خلطوا بين كتابه هذا وكتاب آخر في موضوع مختلف، يشبهه إلى حد ما في عنوانه، وهو كتاب التبيين لسبيل المهتدين، أو التبيين لمسائل المهتدين، أو سبيل المهتدين، أو سبل المهتدين. وهذه الأربعة عنوان لكتاب آخر يختلف عما نحن بصدده.

وممن نقل عن هذا الكتاب: الإمام الشاطبي في الاعتصام ٥/ ٨٩، وسماه التبين لسنن المهتدين، وابن الصلاح في أدب المفتي والمستفتي ص١٤٥، وابن حمدان في صفة الفتوى ص ٤٠ ـ ٤١. وهذه النقول التي أوردها هؤلاء العلماء لا تتوافق مع الكتاب الذي بين أيدينا.

وقد ارتأيت إثبات العنوان بصيغة سُنن الصالحين وسَنن العابدين؛ وذلك لوروده على إحدى نسخ الكتاب، ولوروده أيضاً بهذه الصيغة في بعض المصادر؛ مثل سير أعلام النبلاء.

أما لفظ السنن ـ بالفتح والضم ـ فهو بمعنى واحد، وهو الطريق. قال في القاموس وشرحه: سنن الطريق مثلثة وبضمتين. وقال ابن منظور في لسان العرب: سَنن الطريق وسُننه وسِننه وسُنُنه: نهجه. ويقال: تنحَّ عن سَنن الطريق وسُنَنه وسِنَنه، ثلاث لغات.

عملي في الكتاب:

يقولون عن التحقيق: هو إخراج النص المحقق كما وضعه مؤلفه، أو أقرب ما يكون إلى ذلك. وقد بذلت جهدي ما استطعت في الوصول إلى هذه الغاية.

١ ـ ولَمَّا كان هذا الكتاب في مجمله نصوصاً منتقاة؛ إما من آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو بيت شعر، أو حكمة وقول مأثور، فقد جعلت همي الأكبر سلامة النص المنقول؛ فعملت على ضبط النصوص، وبينت معنى الغامض من مفرداتاها وكلماتها.

٢ ـ ثم عملت على عزو الآيات إلى السور التي وردت فيها، مع ذكر أرقام تلك الآيات. وجعلت هذا العزو عقب الآية مباشرة.

٣ ـ وأما الأحاديث النبوية، فقد خرجتها من مظانِّها من كتب الحديث؛ فما كان منها في الصحيحين (البخاري ومسلم) أو أحدهما، وهي

أكثر الأحاديث الواردة، فقد اكتفيت بالعزو إليهما، ففيهما غُنية عن العزو إلى غيرهما. وأما ما لم يرد فيهما من أحاديث، فقد عزوته إلى كتب الحديث المعتبرة، مع بيان الحكم فيه من حيث الصحة أو الضعف.

٤ ـ أما الآثار وأقوال الحكماء والصالحين وغيرهم، فلم أخرج منها إلا النَّزرَ اليسير، وكذا لم أبين الحكم في ثبوتها إلى قائلها من عدمه، وكثير منها لم ينسبه المؤلف إلى أحد، وأرى أن الأمر يسير في ذلك، فما يضر إن كانت تلك الحكمة ثابتة من قول فلان أم لا، وقد قرَّر العلماء أنه يؤخذ بالضعيف من أحاديث النبي ﷺ في فضائل الأعمال، فما بالك في أقوال من بعده ﷺ من الصلحاء والزهَّاد؟.

٥ ـ وكذا الأمر بالنسبة للأشعار، فما استقصيت في تخريجها إلا ما ندر.

٦ ـ علَّقت على بعض النصوص التي أوردها المصنف، سواء أكانت مما نقل أم من قوله.

٧ ـ ولَمَّا كانت وصية المؤلف لولديه ذات صلة بكتابه هذا، فقد رأيت من المناسب إلحاقها في نهاية الكتاب ليعم بها النفع، وتكثر الفائدة.

وبعد، فهذا كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، وهذا عملي وجهدي المتواضع فيه، أضعه بين يدي إخواني من المسلمين، سائلاً الله جلَّت قدرته وعظمته أن ينفعني به ومن قرأ فيه، وأن يأجرني على ما قدمت، وأن يجعل ذلك في صحيفتي يوم ألقاه.

وأحمد الله سبحانه أن وفقني لإتمام هذا الكتاب، الذي أرجو أن يكون مرضياً عنده سبحانه وعند عباده المؤمنين، فله سبحانه الحمد والمنَّة أولاً وآخراً، وله الشكر من قبل ومن بعد.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

والشكر موصول أيضاً لكل من أسدى إليَّ معروفاً في هذا الكتاب، فإنه «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»، وأخصُّ بالشكر والثناء أهل بيتي الذين اقتطعت من وقتهم الزمن الطويل، فكانوا يسارعون إلى مساعدتي في كل في كل ما أريد، وأخص منهم ابنتيَّ إسراء وأريج وأمهما أم مالك، فأسأل الله أن يثيبهم على ما قدموا وبذلوا، وأن ينفعهم بهذا الكتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين.

وكتب أبو مالك إبراهيم باجس عبد المجيد

قُبيل فجر الخامس عشر من شهر رمضان المعظم

من شهور سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة،

الموافق للعشرين من شهر تشرين الأول سنة اثنتين بعد الألفين للميلاد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين

الحمد لله الذي [illegible] أحق ما سأله خلق وأعز أهل طاعته لعباده

وأسعد ظهور بولا[illegible] وحبب إليهم الإيمان وكره إليهم الفسوق

والعصيان وأسكن قلوبهم من خشيته ما لهم به عن معصيته

وأثبت في نفوسهم من العلم بالدنيا وفتنتها ما صرف شهواتهم

عن زينتها وزهدهم فيها فغضوا أبصارهم عنها ونفضوا أيديهم

منها تعففا وما لم يعرفوها وتزودوا منها التقوى إلى دار البقاء

والمنقلب إلى دار النعيم والنصب إلى دار الراحة وأشهد

بالربوبية والوحدانية لله الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا أحد وأشهد لمحمد نبيه ورسوله وصفيه

أنه خاتم النبيين والمرسلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله

بإذنه وسراجا منيرا وأنه بلغ ما أرسل ونصح [illegible] أرسل إليه

وحذر من الدنيا وحض على التقلل من حظه منها والزهد

في وصف لها وبين وجه الصواب في التزود منها [illegible]

[illegible] التقوى سبيل النجاة من شبهها وحذر لهم

شهوات إليها وبلغ من زادك غاية [illegible]

[illegible] في سبلها فقال هل منهم [illegible]

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة لايدن



صورة صفحة العنوان من الجزء الثاني من مخطوطة لايدن

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين

باب في الفتن روى الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح وتظهر
الفتن ويكثر الهرج قيل يا رسول الله أيم هو قال القتل القتل وروى
عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليأتين على الناس
زمان خير مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من
الفتن وروى عن زينب بنت جحش استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم
محمرا وجهه يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم
يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد تسعين أو مائة قيل أنهلك وفينا الصالحون
قال نعم إذا كثر الخبث وروى أسامة بن زيد قال أشرف النبي صلى الله عليه
على أطم من آطام المدينة فقال هل ترون ما أرى قالوا لا قال فإني لأرى الفتن
تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر وروى عن أم سلمة استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة وهو يقول سبحان الله ماذا أنزل الله تعالى من الخزائن وماذا أنزل من الفتن
من يوقظ صواحب الحجر يريد أزواجه لكي يصلين رب كاسية في الدنيا عارية
في الآخرة وروى كرز بن علقمة الخزاعي أن رجلا قال يا رسول الله هل
للإسلام من منتهى قال نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا
أدخل عليهم الإسلام قال ثم مه قال ثم تقع الفتن كأنها الظلل قال الرجل

صورة الصفحة الأولى من الجزء الثاني من مخطوطة لايدن

فيها بكرة وعشيا قال على مقادير الليل والنهار وروي منصور عن
ابراهيم التيمي في قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال عرق يفيض
من اعراضهم كريح المسك وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي
الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين
على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباي الاء ربكما تكذبان فيهن
قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان كانهن
الياقوت والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان
فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان
فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي الاء ربكما تكذبان
قال ابن عباس في قوله مدهامتان قال خضراوتان بالري وقال سعيد بن
جبير في قوله عز وجل فيهما عينان نضاختان قال نضاختان بالوان
الفواكه وقال مجاهد ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه اعواما يرى
اقصاه كما يرى ادناه وان ارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي
وقال مسروق التسنيم عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفا ويمزج
لاصحاب اليمين وقول الله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهون قيل افتضاض العذارى وقيل ان الادميات في الجنة على سن
واحد وانما الحور فاصناف مصنفة صغار وكبار على ما اشتهت انفس
اهل الجنة وقيل في معنى قوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي تحي بعضهم بعضا

الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من مخطوطة لايدن



كتاب

تمَّ الكامل من سُنن الصالحين وسَنن العابدين

في الزهد والمواعظ والآداب

والأمثال والحكم

تأليف الشيخ الإمام العالم

القاضي أبي الوليد الباجي

رضي الله عنه

صورة صفحة العنوان من مخطوطة جامعة الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين

القناعة واليأس مما في أيدي الناس

روى عروة ابن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لأن يأخذ أحدكم أحبلاً فيأخذ حزمة من حطب
فيبيع فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطي
أو منع وروى هشام بن عروة عن أبيه قال قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه تعلمون أن الطمع فقر وأن اليأس غنى حاضر
ومن ييأس من شيء استغنى عنه وكان يقال خمسة أخلاق قبيح
في خمسة أصناف من الناس الحرص في القراء والفتوة في الشيوخ
وقلة الحياء في ذوي الأحساب والبخل في ذوي الأموال
والحدة في السلاطين ولعبد الله بن المبارك

حسبي بعلمي إن نفع ما الذل إلا في الطمع
من راقب الله رجع عن سوء ما كان صنع
ما طار شيء فارتفع إلا كما طار وقع

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما ينفي العلم من
صدور الرجال بعد أن تعلموه قال الطمع وقال
الأصمعي بينا أنا أمشي في خرب البصرة فإذا أنا ببهلول المجنون
وقد رثت حاله وكثر شعره وخلقت ثيابه فقلت له لو
دخلت البصرة على ما طار من خبرك وعلا من ذكرك لأخذ
الناس من شعرك وكسوا ظهرك فتبسم وقال اسمع يا أصمعي

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة جامعة الإمام

١٩٢

عرفنا، فيأتيهم الله عز وجل في الصورة التي يعرفون فيقول أنا
ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه الحديث. وروى ثابت
عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة إن لكم
عند الله موعدًا لم تروه فيقولون وما هو ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا
الجنة ويزحزحنا عن النار فيكشف الحجاب فينظرون إليه
جل ثناؤه فوالله ما أعطاهم شيئًا أحب إليهم منه ثم تلا هذه
الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال
عامر بن سعد الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى

تم المجلد الكامل من سنن الصالحين وسنن العابدين
وبكماله تم جميع الديوان والحمد لله رب العالمين
والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين
وذلك في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر
سنة أربع وعشرين وسبعمائة غفر الله لكاتبه وقاريه
والناظر فيه ولآبائنا وإيانا وإياهم للجنة ونفعنا وإياهم بما فيه
بمنه وكرمه وحسبنا الله ونعم الوكيل
وحسبنا ونعم الوكيل

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة جامعة الإمام



تأليف

أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي

المتوفى سنة ٤٧٤هـ

تحقيق

إبراهيم باجس عبد المجيد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وبِهِ أَسْتَعِينُ

الحمد لله الذي [يسَّر ما] خَلَق لما له خُلِق، وأعزَّ أهل طاعته لعبادته، وأسعدهم بولايته، وحبَّب إليهم الإيمان، وكرَّه إليهم الفسوق والعصيان، وأسكن قلوبهم من خشيته ما كفَّهم به عن معصيته، وأثبت في نفوسهم من العلم بالدنيا وفتنتِها ما صرف شهواتِهم عن زينتها وزهرتها، فغضُّوا أبصارَهم عنها، وقضبوا آمالهم منها، فعبروها ولم يعمُروها، وتزوَّدوا منها التقوى إلى دار البقاء، والشَّظَفَ إلى دار التنعُّم، والنصبَ إلى دار الراحة.

وأشهد بالرُّبوبية والوحدانية للَّهِ الواحدِ الصمدِ، الذي لم يلد ولم يُولَد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد لمحمدٍ نبيِّه ورسوله وصفوته؛ بأنه خاتم النبيين والمرسلين، بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنه بلغ ما أُرسل [به]، ونصح لمن أُرسلَ إليه، وحذَّر من الدنيا، وحضَّ على التقلُّل من حُطامها، والزهدِ فيها، والرفضِ لها. وبيَّن وجهَ الصواب في التزود منها، والاستعانة [عليها وأرشد، وبيَّن] لأهل التقوى سبيلَ النجاة من شُبَهِها، وحدَّ إليهم حدوداً ينتهون إليها، وبلَغَ من ذلك غايةً أعجز غيرَه نيلُها،[ورغَّبَ من] وُفِّقَ في سُبلها، فنال كل متَّبعٍ منهم غايةً يُسِّرَ لها، وأُعين عليها، وسَعِد بها، وهُدي إليها. فكان أصحابُه المرضيون، رضي الله عنهم أجمعين، أكثرَ

القرون اقتداءً به، واتِّباعاً له في زهده وسَمْته وهَدْيِه، وسيرته، واقتصادِه في المأكل والملبس والمسكن والمركب. وكلٌّ واحد منهم أخذ مِن ذلك بما رأى فيه المصلحةَ، ورجا فيه القُرْبةَ، وذلك بتوفيق الله وتسديدِه وعوْنِه وتأييدِه.

وبعدُ، يا بَنِيَّ، وفقكما اللّهُ، فإني لما رأيتُ الوعظ من أدويةِ القلوب، وآدابِ النفوس وتقدَّم من تواليفي في الحديث والفقه والأصول والجدل وغير ذلك، ممَّا يتَّصل به مِن أبواب العلم، ما رجوت، إن نظرتما فيه، أن تستعينا به على مُرادي لكما، رأيتُ أن أجمع لكما كتاباً من هذا النوع أسلِّمه، بعون الله، مِن كثيرِ مما يقع فيه مَن ألَّف في هذا الباب مِنَ الانحراف عن مذاهب أهل العلم، والغُلُوِّ الخارج عن سبيل أهل الحق، يكون فيه تنبيهٌ على معانٍ لا توجد في كتب الفقهاء، وتأديبٌ بأخلاق مَن سَلَف مِن العلماء.

وقدَّمتُ في أوَّله أدعيةً استفتحتُها بأدعيةِ القرآن، ثمَّ وصلتُ بذلك فضائلَ تنشِّطُ عند الفَتْرَةِ، ومواعظَ تُستجْلَبُ بها إلى القلوب الرِّقَّةُ، وتداوي بها من القسوة، وفصولاً يُنتَهى بها إلى التحقيق والتحرير، ويُصْرَفُ بها عن القلق، وتَمنع مِنَ التقصير. وإن كان كتابُ الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أفضلَ ما أُنصِتَ إليه، وأنفعَ ما وُعِظ به، وحديثُ النبي ﷺ قد جمع مِنْ ذلك ما يستولي على النُّفوس حُسْنُه وصحَّتُه، ويجلو الظُّلَمَ بنورِه وبهجتِه.

إلا أنه إذا اقترن بهما مِنْ أقوال الصالحينَ وعملِ المجتهدين ما يليق بهما، ويكون منبِّهاً على معانيهما، ومفسِّراً لهما، كانتِ النفوسُ إليه أميلَ، والأفهامُ إليه أسرعَ. واللّهُ عز وجهُه الموفقُ للصواب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

* * *

١ ـ أدعية القرآن

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

٢ ـ وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨].

٣ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

٤ ـ ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

٥ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٦ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨].

٧ ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

٨ ـ ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

٩ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

١٠ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

١١ - ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

١٢ - ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣].

١٣ - ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٤].

١٤ - ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

١٥ - ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

١٦ - ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

١٧ - ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧].

١٨ - ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

١٩ - ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

٢٠ - ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٥ ـ ١٥٦].

٢١ - ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٥ ـ ٨٦].

٢٢ - ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

٢٣ - ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠ ـ ٤١].

٢٤ ـ ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

٢٥ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

٢٦ ـ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

٢٧ ـ ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٦].

٢٨ ـ ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون: ٢٩].

٢٩ ـ ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون: ٩٤].

٣٠ ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨].

٣١ ـ ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥ ـ ٦٦].

٣٢ ـ ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

٣٣ ـ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾ [الشعراء: ٨٣ ـ ٨٦].

٣٤ ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

٣٥ ـ ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

٣٦ ـ ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

٣٧ ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

٣٨ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

٣٩ ـ ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

٤٠ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة: ٥].

٤١ ـ ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

٤٢ ـ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

❋ ❋ ❋

٢ ـ باب أدعية من غير القرآن منتخبة

٤٣ ـ اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

٤٤ ـ اللَّهُمَّ اجعلنا ممَّن صدَّقه بتوفيقك، واتَّبعه بإرشادك وتسديدِك، وأمِتْنا على مِلَّتِه بنعمتك، واحشُرنا في زُمرته برحمتك.

٤٥ ـ اللَّهُمَّ بنورِك اهتدينا، وبفضلِك استغنينا، وفي كَنَفِك أصبحنا وأمسينا. أنت الأولُ فلا شيءَ قبلَكَ، وأنت الآخِرُ فلا شيءَ بعدَكَ، نعوذُ بك من الفَشَل والكسل ومن عذاب القبر، ومن فتنة الغنى والفقر.

٤٦ ـ اللَّهُمَّ نَبِّهْنا بذكرك في أوقات الغَفْلة، واستعملنا بطاعتك في أيام المُهْلة، وانهَجْ لنا إلى رحمتك طريقاً سهلة.

٤٧ ـ اللَّهُمَّ اجعلنا ممَّن آمن بك فهديتَه، وتوكَّل عليك فكفَيْتَه، وسألك فأعطيتَه، وتضرَّع إليك فرحِمته.

٤٨ ـ اللَّهُمَّ إنَّا نسألك مُوجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، والغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والسلامةَ من كل إثم، والفوزَ بالجنة، والنجاةَ من النار.

٤٩ ـ اللَّهُمَّ يا عالم الخَفِيَّات، ويا باعثَ الأمواتِ، ويا سامعَ الأصواتِ، ويا مجيبَ الدعواتِ، ويا قاضيَ الحاجاتِ، ويا خالقَ الأرضِ والسماواتِ؛ أنت اللهُ الذي لا إله إلا أنتَ، الجوادُ الذي لا يَبخلُ، والحليمُ الذي لا يَعْجَلُ. لا رادَّ لأمرِك، ولا مُعَقِّبَ لحُكمِك، ربَّ كلِّ شيءٍ، وخالقَ كلِّ شيءٍ، ومالكَ كلِّ شيءٍ، ومُقَدِّرَ كلِّ شيءٍ؛ نسألُك أن ترزُقَني عِلماً نافعا، ورِزقاً واسعاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً صادقاً، وعملاً زاكياً، وإيماناً خالصاً، وأن تَهَبَ لي إنابَةَ المخلصين، وخشوعَ المُخبتين[1]، وأعمالَ الصَّالحين، ويقينَ الصَّادقين، وسعادةَ المتقين، ودرجاتِ الفائزين.

٥٠ ـ يا أفضلَ مَنْ قُصِدَ، وأكرمَ مَن سُئِل، وأحلَمَ مَن عُصِيَ، ما أحلمَكَ عمَّن عصاك، وأقربَك ممَّن دعاك، وأعطَفَكَ على مَن سألك. لك الخَلْقُ والأمرُ، إنْ أطعناك فبِفضلِك، وإنْ عصيناك فبعلمِك. لا مَهدِيَّ إلا مَن هديتَ، ولا ضالَّ إلا مَن أضْلَلْتَ، ولا غنيَّ إلا مَن أغنيتَ، ولا فقيرَ إلا مَن أفقَرْتَ، ولا معصُومَ إلا مَن عصمت، ولا مستورَ إلا مَن سَترت. نسألُك أن تَهَبَ لنا جزيلَ عطائِك، والسعادةَ بلقائك، والفوزَ بجوارِك، [..][2] الإفك، وأن تجعلَ لنا نوراً في حياتِنا، ونوراً في مماتِنا، ونوراً في قبورِنا، ونوراً في حشرِنا، ونوراً نتوسَّل به إليك، ونوراً نفوزُ به لديك؛ فإنَّنا ببابِك سائلون، ولنوالِك متَعَرِّضون، ولأفضالك راجون.

٥١ ـ اللَّهُمَّ اهدِنا إلى الحقِّ، واجعلنا مِن أهلِه، وانصرنا [به]، وأعْلِنا به، اللَّهُمَّ اجعل شُغلَ قلوبنا بذكرِ [عظَمَتِك]، وفراغَ أبدانِنا في شكرِ نعمتِك، وأَنْطِقْ ألسنَتَنا بوصفِ مِنَّتِك، وقِنَا نوائِبَ الزَّمان، وصَوْلَةَ السُّلطان،

(١) الإخبات: الخشوع والتواضع.
(٢) كلمة مطموسة في الأصل.

ووَسْواسَ الشَّيطان، واكْفِنا مُؤْنَةَ الاكتساب، وارْزُقنا بغيرِ حساب.

٥٢ - اللَّهُمَّ اختِمْ بالخيرِ آجالَنا، وحقِّقْ بالرَّجاء آمالَنا، وسهِّلْ في بُلوغ رضاك سبيلَنا، وحَسِّنْ في جميع الأحوال أعمالَنا.

٥٣ - اللَّهُمَّ اغفر لنا ولآبائنا، كما ربَّوْنا صغاراً، واغفرْ لهم ما ضيَّعوا مِن حقِّك، واغفرْ لنا ما ضيَّعنا مِن حقوقهم، واغفرْ لخاصَّتِنا وعامَّتِنا، وللمسلمينَ والمسلماتِ؛ فإنَّك جوادٌ بالخيرات.

٥٤ - يا مَن لا تراه العيون، ولا تُخالطه الظُّنون، ولا يَصفه الواصفون، ولا يُحيط بأمره المتفكِّرون، يا مُنقِذَ الغَرْقى، ويا مُنجِيَ الهَلكى، ويا شاهدَ كلِّ نجوى، ويا مُنتهى كلِّ شكوى، ويا حَسَنَ الإعطاءِ، ويا قديمَ الإحسانِ، ويا دائِم المعروف، ويا مَن لا غِنَى لشيءٍ عنه، ولا بُدَّ لكلِّ شيءٍ منه، ويا مَن رِزْقُ كلِّ حيٍّ عليه، ومصيرُ كلِّ شيءٍ إليه؛ إليك ارتفعتْ أيدي السَّائلين، وامتدَّتْ أعناقُ العابدين، وشَخَصَتْ أبصارُ المجتهدين، نسألك أن تجعلنا في كنفك، وجوارك وحرزك، وعياذك وسترك، وأمانك.

٥٥ - اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بك مِنْ جَهْدِ البلاء، ودَرَكِ[1] الشَّقاء، وشَماتة الأعداء.

٥٦ - اللَّهُمَّ اقسِمْ لنا مِنَ الدنيا ما تعصِمُنا به مِنْ فتنتها، وما تُغنينا به عن أهلها، واجعل في قلوبِنا من السُّلُوِّ[2] عنها، والمقتِ لها، والزُّهدِ فيها، والبَصَر بعيوبها، مِثلَ ما جعلتَ في قلوبِ مَنْ فارقها زهداً فيها، ورغبةً عنها، مِنْ أوليائِك المخلِصين المعصومين، يا أرحم الراحمين.

٥٧ - اللَّهُمَّ لا تَدَعْ لنا في مقامِنا هذا ذنباً إلا غفرتَه، ولا غمَّاً إلا فرَّجتَه، ولا كرباً إلا كشفته، ولا دَيْناً إلا قضيته، ولا عدوَّاً إلا كفيته، ولا عيباً إلا أصلحته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا غائباً إلا أديته، ولا خَلَّةً إلا

---

(١) الدرك: اللحاق. أي لحاق الشقاء.

(٢) السلو: النسيان والتلهي.

سدَدْتها، ولا حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة لنا فيها خير إلا قضيتها؛ فإنك تهدي السَّبيل، وتَجبُرُ الكسير، وتُغني الفقير.

٥٨ ـ اللَّهُمَّ إنَّ لنا إليك حاجةً، وبنا إليك فاقةً، فما كان منَّا مِنْ تقصيرٍ، فاجْبُره بسَعَة عفوِك، وتجاوزْ عنه بفضل رحمتِك، واقبلْ منَّا ما كان صالحاً، وأصلح منَّا ما كان فاسداً، فإنه لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لما منعتَ، ولا مُقدِّمَ لما أخَّرْتَ، ولا مُؤَخِّرَ لما قدَّمت، ولا مضِلَّ لمن هديتَ، ولا مُذلَّ لمن واليت، ولا ناصرَ لمن عاديتَ، ولا مَنجى ولا مَلجا منك إلا إليك. قولُك حقٌّ، ووعدُك صدقٌ، وحُكمُك عدلٌ، وقضاؤك فصلٌ، ذَلَّ كلُّ شيءٍ لعزَّتك، وتواضع كلُّ شيء لعَظَمَتِك. لا يحُولُ دُونَك شيءٌ، ولا يُعجِزُك شيءٌ. إليك نشكو قساوةَ قلوبِنا، وجُمودَ أعيُنِنا، وطولَ آمالِنا، واقترابَ آجالِنا، وكَثرةَ ذنوبِنا؛ فنِعْمَ المشْكُوُّ إليه أنت، فارحَمْ ضعفَنا، وأعْطِنا لمسكَنتِنا، ولا تحرِمْنا لقِلَّة شكرِنا، فما لنا إليك شافعٌ أرجى في أنفسِنا منك، فارحم تضرُّعَنا، واجعلْ خوفَنا كلَّه منك، ورجاءَنا كلَّه فيك، وتوكّلَنا كلَّه عليك. يا مَنْ عِلمُه بنا محيطٌ، وقضاؤه فينا سابقٌ، أعِذْنا مِن وجوب سَخَطِك، ونُزولِ نِقْمَتِك، وزوالِ نعمتِك؛ فإنَّه لا طاقةَ لنا بالجَهْد، ولا صبَر لنا على البلاء.

٥٩ ـ اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك النَّجاةَ يومَ الحسابِ، والمغفرةَ يومَ العقابِ، والرَّحمةَ يومَ العذابِ، والرِّضا يومَ الثَّوابِ، والنُّورَ يومَ الظُّلْمَةِ، والرِّيَّ يومَ العطش، والفرجَ يومَ الكَرْبِ، وقُرَّةَ عينٍ لا تنْفَدُ، ومرافقةَ النَّبيِّ محمدٍ ﷺ.

٦٠ ـ اللَّهُمَّ إنه لا بد لنا من لقائك، فاجعل عند ذلك عذرنا مقبولاً، وذنبنا مغفوراً، وعملنا موفوراً، وسعينا مشكوراً.

٦١ ـ اللَّهُمَّ أصبح ذُلِّي مستجيراً بعزَّتِك، وخوفي مستجيراً بأمنِك، وأصبح ظُلمي مستجيراً بعفوك، وجهلي مستجيراً بحلمك، وأصبح وجهيَ الفاني مستجيراً بوجهِك الدَّائمِ الباقي.

٦٢ - اللَّهُمَّ إنِّي أصبحتُ لا يمنعُني منك أحدٌ إنْ أردتَني، ولا يعطيني أحدٌ إنْ حرمتَني.

٦٣ - إلهي لا تحرِمْني لقلَّة شكري، ولا تخذُلني لقلَّةِ صبري. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]

٦٤ - اللَّهُمَّ اجعلِ الموتَ خيرَ غائبٍ ننتظرُه، والقبرَ خيرَ بيتٍ نعمُرُه، واجعلْ ما بعدَه خيراً لنا منه.

٦٥ - ربِّ اغفرْ لي ولوالديَّ، ولآبائي وإخواني، وأهلِ بيتي وذُريَّتي، وللمؤمنين والمؤمنات، الأحياءِ منهم والأمواتِ. اللَّهُمَّ من مات منهم، فاغفرْ له ذنبَه، ونَوِّرْ له قبرَه، وآنِسْ وَحْشَتَه، وآمِنْ رَوعتَه، وابْعثْه آمِناً مِنْ عقابِك، مُوقِناً بثوابِك، معَ الذين أنعمتَ عليهم مِنَ النَّبِيِّين والصِّدِّيقينَ والشهداءِ والصالحين. ومَنْ بقيَ منَّا، فاهْدِه فيمن هديتَه، وتولَّه فيمن تَولَّيتَه، وعافِه فيمن عافيتَه، ووَسِّعْ عليه فيما رزقتَه، وبارِكْ له فيما أعطيتَه، وحبِّبْ إليه طاعتَك، وارْزُقْه العَونَ على عبادتِك، والحفظَ بكِفايتِك، والعِزَّةَ بولايتِك.

٦٦ - اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك النُّصْرةَ والعِصْمَةَ، والرَّحمةَ والنِّعمةَ، ونعوذُ بك مِنَ الفتنةِ والمِحنَة.

٦٧ - اللَّهُمَّ أَلِّفْ بين قلوبِنا، وأَصْلِحْ ذاتَ بينِنا، واهْدِنا سُبُلَ السَّلامِ، ونجِّنا مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّور، وجنِّبْنا الفواحشَ ما ظهر منها وما بَطَنَ؛ في أسماعِنا وأبصارِنا وأزواجِنا، واجعَلْنا شاكرين لنِعَمِك، مُثْنِينَ بها عليك، قابلين لها، وأَتِمَّها علينا.

٦٨ - اللَّهُمَّ اجعلْنا هُداةً مُهتدين، واجعلنا أهلَ بيتٍ صالحين. فَقِّهْنا في الدِّين، واجعلنا أئِمَّةً للمتقين، يا ذا الفضل العظيم.

❋ ❋ ❋

٣ ـ باب أدعية منسوبة إلى الأنبياء صلوات الله عليهم وإلى الصالحين رضي الله عنهم

٦٩ ـ رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقول: **«اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من الكسَل والهرَم والمَغرَم والمأثم. اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك مِنْ عذاب النَّار، وفتنة النار، وفتنة القبر وعذاب القبر، وشرِّ فِتنةِ الغِنى، وشرِّ فتنة الفقر، ومِنْ شرِّ فتنة المسيح الدجال. اللَّهُمَّ اغسل خطايايَ بماءِ الثَّلج والبَرَدِ، ونَقِّ قلبي مِنَ الخطايا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنس، وباعِدْ بيني وبين خطايايَ كما باعدتَ بين المشرق والمغرب»**[١].

٧٠ ـ وروى أنس عن النبي ﷺ أنه كان يقول: **«اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَنِ، والعجز والكسَل، والبخل والجبن، وضِلَعِ الدَّيْنِ وغَلَبَةِ الرِّجال»**[٢].

٧١ ـ وروى مالكٌ في «موطئه»[٣] عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو ويقول: **«اللَّهُمَّ فَالِقَ الإصْبَاحِ، وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ، وَأَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَقُوَّتِي فِي سَبِيلِكَ»**.

٧٢ ـ مالك[٤]: عن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ كان يدعو، فيقول: **«اللَّهُمَّ يسِّرْني لفعل الخيرات، وتركِ المُنكرات، وحبِّ المساكين، وإذا أردتَ بقومٍ فتنةً فاقبِضْني إليك غيرَ مفتونٍ»**.

---

(١) البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) البخاري (٢٨٩٣)، ومسلم (٢٧٠٦)، وضِلَعُ الدين: ثقل الدين وشدته.

(٣) ٢١٢/١، وهو حديث مُعْضَلٌ. والحديث المعضل هو الذي سقط من إسناده ما بين راويه إلى رسول الله ﷺ أكثر من راوٍ.
قلت: ولهذا الحديث شواهد صحيحة بمعناه يتقوَّى بها.

(٤) الموطأ ٢١٨/١، وهو معضل كسابقه. وقد روي مرفوعاً من حديث معاذ، رواه أحمد ٢٤٣/٥، والترمذي (٣٣٢٥)، ومن حديث ابن عباس، رواه أحمد ٣٦٨/١، والترمذي (٣٢٣٣ و ٣٢٣٤)، وقال: حديث حسن غريب.

٧٣ - وروى عبدُ العزيز عن أنس، قال: كان أكثرُ دعاءِ النبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذاب النارِ**»[١].

٧٤ - وروى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به منِّي. اللَّهُمَّ اغفِرْ لي هَزْلي وجِدِّي، وخَطَايايَ وعمدي، وكلُّ ذلك عندي**»[٢].

٧٥ - وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ كان يتعوَّذُ مِنْ جَهْدِ البلاءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسوءِ القضاءِ، وشماتَةِ الأعداءِ[٣].

٧٦ - ورُوِيَ أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام كان يعلِّمُ أصحابه يقول: لو كان على أحدكم جبل ذهبٍ ديناً، ثم دعا بذلك قضاه الله عنه، اللَّهُمَّ فارج الهم، كاشف الغم، مجيبَ دعوة المضطرين، رحمانَ الدنيا والآخرة ورحيمُهما أنت، فارحمني رحمةً تغنيني بها عن رحمة من سواك.

٧٧ - ورُوِيَ أنَّ آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض، طاف بالبيت سبعاً، وصلى حذاء المقام ركعتين، ثم قال: اللَّهُمَّ إنك تعلم سري وعلانيتي، فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، وتعلم ما عندي فاغفر لي ذنوبي، أسألك إيماناً تباهي به قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتب لي، ورَضِّني بقضائك.

٧٧م - وكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللَّهُمَّ أعِنِّي على الدُّنيا بالقناعةِ، وعلى الدِّين بالطاعةِ.

٧٨ - وكان عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول: اللَّهُمَّ أغنِني بالافْتقارِ إليك، ولا تُفقِرني بالاستغناءِ عنك.

---

(١) البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠). وعبد العزيز: هو ابن صُهيب البُناني.
(٢) البخاري (٦٣٩٨، ٦٣٩٩)، ومسلم (٢٧١٩).
(٣) البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

٧٩ - ورُوِيَ أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يدعو، فيقول: اللَّهُمَّ إني لا أملك لنفسي ما أرجو، ولا أستطيع دفعَ ما أكره، فأصبحَ الخيرُ بيد غيري، وأصبحتُ مرتَهَناً بما كسَبَتْ يدي، فلا فقير أفقر مني، فلا تجعلْ مصيبتي في ديني، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ همِّي، ولا مُنتهى عِلمي، ولا تسلِّطْ عليَّ مَنْ لا يرحمُني.

٨٠ - ورُوِيَ عنِ ابن عمر أنه كان يدعو: **«اللَّهُمَّ اقسِمْ لي مِنْ خَشيتِك ما تحولُ به بيننا وبين معصيتِك، ومِنْ طاعتِك ما تُبلِّغُنا به جنتَك، ومِنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ به علينا مصائبَ الدنيا، ومَتِّعْنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقوَّتِنا ما أحييتَنا، واجْعله الوارثَ منَّا، واجعلْ ثأرَنا على مَنْ ظلَمَنا، وانصرنا على مَنْ عادانا، ولا تجعلْ مصيبتَنا في دينِنا، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مُنتهى علمِنا، ولا تُسَلِّطْ علينا مَنْ لا يرحمُنا»**[1].

٨١ - ورُوِيَ عن عمَّارٍ أنه دعا، فقال: **«اللَّهُمَّ بعِلْمكَ الغيبَ، وبقُدْرَتِك على الخَلقِ، أحْيِني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيراً لي. اللَّهُمَّ إني أسألُك كلمةَ الإخلاصِ في الغضب والرضا، والقصدَ في الفقرِ والغِنى، وخَشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادة، وأسألُك الرِّضا بالقَدَر، وأسألُك نعيماً لا ينفَدُ، وقُرَّةَ عينٍ لا تنقطع، ولَذَّةَ العيشِ بعد الموت، وشوقاً إلى لقائِك، ولذَّةَ النَّظر إلى وجهِك، وأعوذُ بك مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ومِنْ فتنةٍ مُضِلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ، وألبِسنا لباسَ التَّقوى، واجعَلْنا هُداةً مُهتدينَ، ولا تجعلْنا ضالينَ مُضلِّين»**[2].

---

(١) ليس هذا الدعاء من قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بل هو حديث مرفوع، رواه الترمذي (٣٤٩٧) وحسَّنه، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٣١، وصححه الحاكم ٥٢٨/١، ووافقه الذهبي.
قلت: وكثيراً ما يورد المصنف، رحمه الله، بعض الأحاديث النبوية الشريفة على أنها من أقوال رواتها، سواء أكانوا صحابة أم تابعين.

(٢) ليس هذا الدعاء أيضاً من قول عمار بن ياسر رضي الله عنه، بل هو حديث مرفوع، =

٨٢ ـ ورُوِيَ عن علي ﷺ أنه كان يقول: تمَّ نورُك فهديتَ فلك الحمد، وعَظُمَ حِلْمُك فعفوتَ فلك الحمد، وبسطتَ يدَك فأعطيتَ فلك الحمد. وجهُكَ أكرمُ الوجوه، وجاهُك خيرُ الجاهِ، وعَطِيَّتُك أفضلُ العَطِيَّة وأهنأُها. تُطاعُ ربَّنا فتَشْكرُ، وتُعْصَى ربَّنا فتغفِرُ. تُجيب المضطرَّ وتكشفُ البلوى، وتَشفي مِنَ السَّقَمِ، وتُنجي مِنَ الكَرْبِ، وتقبلُ التَّوبةَ، وتغفِرُ السَّيِّئة لمنْ شئتَ.

٨٣ ـ وكان مكحولٌ الدمشقيُّ يقول: يا مَنْ لا تخفَى عليه خافيةٌ، اغفرْ لي ما خَفِيَ على الناسِ من خطيئتي. إلهي، سترتَ عليَّ ذنوباً في الدنيا أنا إلى سَترِها يومَ القيامةِ أحوجُ. إلهي، لا تُظْهِر خطيئتي لأحدٍ مِنَ المخلوقين، ولا تفْضَحْني بها على رؤوس العالمين.

٨٤ ـ ورُوِيَ عن أمِّ معبدٍ أنها كانت تدعو، فتقول: اللَّهُمَّ طهِّر لساني مِنَ الكذب، وقلبي مِنَ النِّفاقِ، وعملي مِنَ الرِّياءِ، وبصري مِنَ الخيانةِ، فإنَّك تعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدورِ.

٨٥ ـ ومن دعاء الحَسن بن عليٍّ رضي الله عنهما: اللَّهُمَّ اقذِفْ في قلبي رجاءك، واقطعْ رجائي عمَّن سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرَك. اللَّهُمَّ ما ضعُفَتْ عنه قوَّتي، وقصَّرَ عنه أملي، ولم تنتَهِ إليه رغبتي، ولم تبلُغْه مسألتي، ولم يَجْرِ على لساني ممَّا أعطيتَ أحداً مِنَ الأولين والآخرين، فاخصُصْني به يا إله العالم.

٨٦ ـ وكان عليُّ بن الحُسين رضي الله عنهما يحمَدُ اللَّهَ تعالى، ويصلِّي على نبيه محمد ﷺ فيقول: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك سُلُوّاً عنِ الدنيا، وبُغضاً لها؛ فإنَّ خيرَها زهيدٌ، وشرَّها عتيدٌ، وجمْعَها ينفَدُ، وجديدَها

= رواه أحمد ٢٦٤/٤، والنسائي ٥٤/٣ ـ ٥٥، وصححه ابن حبان (١٩٧١)، والحاكم ٥٢٤/١، ووافقه الذهبي.

يخلَقُ، وصفوَها يرْنَقُ، وما فاتَ منها حسرةٌ، وما أُصيبَ منها فتنةٌ، إلاَّ مَنْ نالَتْه منك عِصمةٌ. ثم يقول: أسألُ اللهَ العصمةَ منها، وأنْ لا يجعلَنا ممَّن رضيَ بها، واطمأنَّ إليها؛ فإنَّ مَنِ اطمأنَّ إليها خانَتْه، ومَنْ أمِنَها فجعَتْه، ولم يتِمَّ له الذي كان فيه منها، ولم يظْعَنْ به عنها، ولم يكُنِ العمرُ له حياةً، ولا الموتُ له نجاةً، يحيى بعد الموت لشقْوَتِه، ثم يموت بالعذاب وشدَّته. فيا أكرمَ الأكرمين، أعوذ بك مِنْ منزِلتِه، ومِثْلِ مصيره، أو أن تؤاخذَني بذنبِه، فتهلكَني غيرَ ظالمٍ لي، ولا تجعلِ الشيطانَ قريني، فتسَوِّي بينه وبيني فتشمِّتَه بي. ثم يقول: اللَّهُمَّ إنَّ الأجلَ قد أظلَّ، وأنت لا تنسى ولا تُضِلُّ، فكم ذنبٍ لي كنت فيه مغروراً، وسَرَفٍ بعد سرفٍ سترتَ فيه العورةَ، وأقَلْتَ العَثْرَةَ، وأحسنتَ النَّظرة. فإنْ تغفِرْ لي فبرحمتِك، وإنْ تعذِّبني فبما قدَّمت يداي، وما أنتَ بظلاَّمٍ للعبيد.

٨٧ ـ ومن دعاء محمد بن علي بن الحُسين رضي الله عنهم: اللَّهُمَّ أعنِّي على الدنيا بالغِنى، وعلى الأخرى بالتُّقى.

٨٨ ـ ومن دعائه: اللَّهُمَّ ارزُقني خوفَ الوعيدِ، ورجاءَ الموعودِ، حتَّى لا أرجو إلا ما رجَّيتَ، ولا أخاف إلا ما خوَّفتَ.

٨٩ ـ قال الأصمعي: سمعت أعرابيةً تدعو وتقول: اللَّهُمَّ متِّعنا بخيارِنا، وأعِنَّا على شِرارِنا، واجعلِ المالَ [لحوائجنا].

٩٠ ـ وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يدعو ويقول: اللَّهُمَّ ارزُقني عملَ الخائفين، وخوفَ العاملين؛ حتى أتنعَّم بتركِ التَّنَعُّمِ، رجاءً لما وعدتَ، وخوفاً لما أوعَدْتَ.

٩١ ـ قال: وسمعت أعرابياً يطوف بالبيت، ويقول: إليك هربتُ بأقذارِ الذُّنوبِ، أحمِلُها على ظهري، علماً بأن لا منجى منك إلا إليك، يا مَنْ فَتَقَ العقول بحكمتِه، وأطلقَ الألسنةَ بذكرِه، وجعل ما امْتَنَّ به مِنْ ذلك على

خلقِه كُفْأً لتأديةِ حقِّه، لا تجعلِ للشيطانِ عليَّ سبيلاً، ولا للباطلِ إلى عملي دليلاً.

٩٢ ـ ومن دعاء عمر بن عبد العزيز ﷺ: اللَّهُمَّ إنَّك خلقتني ورزقتني، وأمرتني ونهيتني، وخوَّفتني مِنْ عذابِ ما نهيتني عنه، ورغَّبْتني في ثواب ما أمرتني به، وسلطت عليَّ عدواً أسكنتَه صدري، وأجريتَه مجرى دمي؛ إن هممتُ بفاحشةٍ شجَّعني، وإن هممتُ بصالحةٍ ثبَّطني، لا ينساني إن نسِيتُ، ولا يغفُلُ إنْ غَفَلْتُ، ينتصبُ لي عند الشَّهواتِ، ويتعرَّضُ لي عند الشُّبهات، إلاَّ تَصْرِفْ عنِّي كيدَه يستزِلَّني. اللَّهُمَّ اقهَرْ سلطانَه عليَّ بسلطانِك عليه، حتى تَشْغَلَه عنِّي، فأفوزَ معَ المعصومين، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

٩٣ ـ قال مالك: وكان عمر بن عبد العزيز يقول: اللَّهُمَّ رَضِّني بقضائِك، وأسْعِدْني بقدرتِك، حتى لا أُحبَّ تأخيرَ شيءٍ عجَّلتَه، ولا تعجيلَ شيءٍ أَخَّرْتَه.

٩٤ ـ دعاء لجعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: اللَّهُمَّ إنَّك بما أنتَ له أهلٌ مِنَ النِّعمةِ، أولى ممَّا أنا له أهلٌ مِنَ العقوبة. اللَّهُمَّ لا تهتِكْ سِتري، ولا تُبْدِ عورتي، وآمِنْ روعَتي، وأهلِكْ عدوِّي، واقْضِ دَيْني. اللَّهُمَّ حاجتي إليكَ؛ إنْ أعطيتَنِيها لم يضُرَّني ما منعتني، وإنْ حرمتَنِيها لم ينفَعْني ما أعطيتني: فكاكُ رقبتي مِنَ النَّار، ورضاك عنِّي.

٩٥ ـ وكان عطاءٌ السَّلِيمي يقول في دعائه: اللَّهُمَّ ارحم غربتي في الدنيا، ومصرعي عند الموت، ووَحشتي في قبري، ومُقامي بين يديك.

٩٦ ـ وخطب عبد الملك بن مروان ذاتَ يوم على المنبرِ خُطبةً بليغةً، ثمَّ قطعها وبكى بكاءً شديداً، ثم قال: يا ربِّ، إنَّ ذنوبي عظيمةٌ، وإنَّ قليلَ عفوِكَ أعظمُ منها. اللَّهُمَّ فامْحُ بقليلِ عفوِكَ عظيمَ ذنوبي. فبلغ ذلك الحسنَ،

فقال: لو كان كلامٌ يُكتبُ بالذَّهب، لكُتب هذا الكلامُ.

٩٧ ـ وقال عبد العزيز بن أبي رَوَّادٍ: كنتُ خلفَ المَقام جالساً نِصْفَ اللَّيلِ، فسمعتُ داعياً يدعو بأربعِ دَعَواتٍ، فأُعْجِبْتُ بهنَّ وحفظتُهنَّ، وإذا هو يقول: اللَّهُمَّ فَرِّغْني لما خلقتني له، ولا تَشْغَلني بما تكفَّلْت لي به، ولا تحرِمْني وأنا أسألُكَ، ولا تُعذِّبْني وأنا أستغفِرُكَ.

٩٨ ـ وقال الأصمعي: سمعتُ أعرابياً يدعو ويقول: إلهي ما توهَّمتُ سَعَةَ رحمتِك يومَ القيامة، إلا وكان سَعَةُ عفوِك تملأ مسامعي، بأن قد غفرت لك، فلا تخيِّبْ سَعَةَ أملي [...][1] حسن ظني.

٩٩ ـ وقال سفيان بن عُيينةَ: سمعتُ أعرابياً عَشِيَّةَ عرفةَ يدعو ويقول: اللَّهُمَّ لا تحرِمني خيرَ ما عندَك بِشَرِّ ما عندي، وإن لم تقبلْ نصَبِي ولا تعبي، فلا تحرِمني أجرَ المُصابِ على المصيبة.

١٠٠ ـ ودعا أعرابيٌّ، فقال: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن أفتقرَ في غِناكَ، أو أضِلَّ في هُداك، أو أذِلَّ في عِزِّك، أو أُضامَ في سلطانك أو أُضطَهَدَ، والأمن إليك.

١٠١ ـ وكان ابن السَّمَّاك يقول في دعائه: اللَّهُمَّ إنَّا نحبُّ طاعتَك وإنْ قصَّرْنا عنها، ونكره معصيتَك وإنْ ركِبناها. اللَّهُمَّ تفضَّلْ علينا بالجنة، وإن لم نكنْ مِنْ أهلِها، وخلِّصْنا مِنَ النار، وإن كنا قد استوجبناها.

١٠٢ ـ ودعا أعرابيٌّ، فقال: اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بك مِنْ نزول سخَطِك، وزوالِ نِعمتِك، وحلولِ نِقمتِك؛ فإنَّه لا طاقةَ لنا بالجَهد، ولا صبرَ لنا على البلاءِ. اللَّهُمَّ إنك عفوٌّ تحب العفو، ولولا أنَّ العفوَ أحبُّ الأشياءِ إليك ما ابتليتَ بالدنيا أحبَّ الخلقِ إليك.

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل، لم أتبينها.

١٠٣ ـ وكان سفيان يدعو، فيقول: اللَّهُمَّ وسِّعْ عليَّ في الدنيا، وزهِّدْني فيها، ولا تُقَتِّرْها عليَّ وترغِّبني فيها.

١٠٤ ـ ودعا أعرابيٌّ في الموسم، فقال: اللَّهُمَّ إنَّ لك عندي حقوقاً فتصدَّقْ بها عليَّ، وللناسِ تباعاتٍ فتحمَّلْها عنِّي، وقد أوجبتَ لكلِّ ضيفٍ قرىً وأنا ضيفُك، فاجعلْ قِرايَ الجنةَ.

١٠٥ ـ ودعا أعرابيٌّ بالموقف، فقال: اللَّهُمَّ إنِّي عليكَ قدِمْتُ وأنت أقدَمْتَني، وإليك جئتُ وأنت جئتَ بي، أطعتُك بأمرِك، فلكَ المِنَّةُ، وعصيتُك [بعلمك][١] فلك الحُجَّةُ، فبوجوبِ حُجَّتِك وانقطاعِ حُجَّتي إلاَّ ما قَلَبتني مغفوراً.

١٠٦ ـ ودعا أعرابيٌّ، فقال: اللَّهُمَّ إنْ كان رزقي نائياً فقَرِّبْه، أو قريباً فيَسِّرْهُ، أو مُيَسَّراً فعَجِّلْهُ، أو قليلاً فكَثِّرْهُ، أو كثيراً فثَمِّرْهُ.

١٠٧ ـ ولبعض الشعراء، ويقال: إنها لعبد العزيز بن الخطيب، وكان قد استعطَف مِنْ سجنه بأنواعٍ مِنْ وجوه الاستعطاف، فلمَّا طال به السجنُ ويئِس قال:

يا مَنْ يُنادَى بالضَّميرِ فيَسْمَعُ ... ويَرى فلا يَخفى عليه موضعُ
لا تُسْلِمَنِّي حيثُ أسلَمَني الورى ... فإليكَ بالشَّكوى يَفِرُّ المُوجَعُ
يا ربِّ إنَّك قلتَ ادْعُوني أُجِبْ ... فأجِبْ فإنِّي راغبٌ مُتَضَرِّعُ
يا ربِّ قدْ جَهِدَ البلاءُ وشَفَّني ... وتضايَقَتْ حالي وأنتَ المَفْزَعُ
يا ربِّ كيفَ تضيقُ عنِّي رحمةٌ ... هي مِنْ ذُنوبِ الخَلْقِ طُرّاً أوْسَعُ

١٠٨ ـ ولبعضهم:

أدعوكَ ربِّ لأمرٍ أنتَ تعلَمُه ... كفى بِعِلْمِكَ فيما فيه أبْتَهِلُ

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل، أظنها ما أثبت.

فارْحَمْ إنابَةَ عبدٍ ليسَ مَفْزَعُهُ إلاَّ إليكَ إذا ضاقت به الحِيَلُ
واصْرِفْ هوايَ عَنِ الدُّنيا ولَذَّتِها فإنَّني طالما قد غرَّني الأمَلُ

١٠٩ ـ ولمحمد بن حسَّان الباهليِّ:

أيَا مَنْ لا يَخيبُ لَديْهِ راجٍ ولمْ يُبْرِمْهُ إلحاحُ المُناجي
ويا ثِقَتي على سَرَفي وظُلْمي وإيثاري التَّمادي في اللَّجَاجِ
أقِلْني عَثْرَتي وتَلافَ أمْري وهَبْ لي منكَ عفواً واقْضِ حاجِ
فما لي غيرُ إقراري وعِلمي بِعَدْلِك حُجَّةٌ يومَ احْتِجاجي

١١٠ ـ ولآخر:

يا ربِّ إنِّي راغبٌ أدعو وأرجو نَفَلَكْ
أنتَ حيٌّ لم تَخِبْ دعوةُ راجٍ أمَّلَكْ
فأعْطِني مَرْسَغَةً[1] يا مَنَ تعالى فمَلَكْ
سُبحانَكَ اللَّهُمَّ ما أجلَّ عِندي مَثَلَكْ

❋ ❋ ❋

٤ ـ باب في أوقات يستحب فيها الدعاء

١١١ ـ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدُّنيا، حين يبقى الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيلِ، فيقولُ: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن يسألُني فأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يستغفِرُني فأَغفرَ له**»؟[2]

١١٢ ـ ورُوِيَ في قصة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال له بنوه: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ

(١) المرسغة: التوسعة؛ يقال: ارتسغ فلان على عياله: إذا وسَّع عليهم في النفقة.
(٢) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف:٩٧ ـ ٩٨] أنه إنَّما أخَّرَ الدُّعاءَ إلى السَّحَرِ ويومِ الجمعة[١].

١١٣ ـ فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيرُ يوم طَلَعَتْ عليه الشمسُ يومُ الجمعة. وفيه ساعةٌ لا يوافِقُها عبدٌ مسلمٌ يسألُ اللَّهَ شيئاً إلا أعطاهُ**».

قيل لعمر: فإن دعا منافقٌ فيها؟ قال: إنَّ المنافقَ لا يُوَفَّقُ لها[٢].

١١٤ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ: «**أفضلُ الدُّعاءِ دعاءُ يوم عَرَفَةَ**»[٣].

١١٥ ـ وقال سهل بن سعد السَّاعديُّ: «**ساعتان تُفْتَحُ فيهما أبوابُ السماءِ، وقَلَّ داعٍ تُرَدُّ عليه دعوتُه: حضرةُ النِّداءِ بالصَّلاةِ، وحضرةُ الصَّفِّ في سبيلِ اللَّهِ**»[٤].

❋ ❋ ❋

٥ ـ باب ما يُستحبُّ أن يكونَ عليه الدّاعي مِنَ الأحوال

١١٦ ـ للدَّاعي آدابٌ يجبُ على العبدِ أن يستعملَها في حال دعائه، فإنَّ ذلك أرجى للإجابة، وأنجحُ في الطَّلب:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤١٠.

(٢) رواه بهذا اللفظ تامّاً مالك في الموطأ ١/١٠٨ ـ ١١٠، وأبو داود (١٠٤٦)، والترمذي (٤٩١) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه ابن حبان (٢٧٧٢)، والحاكم في المستدرك ١/٢٧٨ ـ ٢٧٩، ووافقه الذهبي.
وروى الشطر الأول منه مسلم (٨٥٤)، والشطر الثاني رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، بلفظ: «**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً وهو قائم يصلي...**».

(٣) رواه مالك في الموطأ ١/٤٢٢ عن طلحة بن عُبيد الله بن كَرِيز مرسلاً. ووصله الترمذي (٣٥٨٥) بإسناد ضعيف من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وأورد شيخنا الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٠٣) طرقاً أخرى لهذا الحديث، ثم قال: وجملة القول أن هذا الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد، والله أعلم.

(٤) هو حديث مرفوع عن سهل بن سعد رضي الله عنه، رواه مالك ١/٧٠، وصححه ابن حبان (١٧٢٠).

* منها: تقديمُ التوبةِ مِنَ الذُّنوب، والاستغفارُ مما يَذكُرُ منها وما لا يَذكُرُ.

* ومنها: إخلاصُ العبدِ وإقبالُه على دعائِه؛ فإنَّ اللَّهَ لا يسمعُ مِنْ لاهٍ[1].

* ومنها: الإخلاصُ لله؛ فإنَّ الله تعالى لا يقبل مِنْ مُسَمِّعٍ.

* ومنها: أن يكونَ راغباً راهباً مُتذلِّلاً؛ لقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

* ولا يَقُلِ الدَّاعي في دعائه: اللَّهُمَّ ارحمني إنْ شِئْتَ، ليعزمِ المسألةَ؛ فإنَّه لا مُكْرِهَ له[2].

* ولا يَقْنَطْ من رحمة اللَّه، وإن تأخرتِ الإجابةُ.

١١٦ ـ فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُستجابُ لأحدِكم ما لم يَعْجَلْ، فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي**»[3].

* ولا يرفع صوته جداً:

١١٧ ـ لما رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**ارْبَعُوا على أنفُسِكم؛ فإنَّكم**

---

(١) روى الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم في المستدرك ٢٩٣/١ من حديث أبي هريرة مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة؛ واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ**». وقال الترمذي: هذا حديث غريب؛ أي ضعيف. ورواه أحمد في المسند ١٧٧/٢ من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف أيضاً. قلت: إلا أن معنى الحديث صحيح لا شكَّ في ذلك.

(٢) لقوله ﷺ: «**لا يقولنَّ أحدُكم: اللَّهُمَّ اغفر لي، اللَّهُمَّ ارحمني إن شئتَ، ليعزم المسألةَ؛ فإنه لا مكره له**». رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة.

لا تدعُون أَصَمَّ ولا غائباً، إنَّكم تدعُون سميعاً بصيراً»[١].

١١٨ ـ وقد وصف الله عز وجل نبيَّه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم: ٢ ـ ٣].

١١٩ ـ وقال سفيان بن عيينة: لا يمنعُ أحدَكم مِنَ الدُّعاءِ ما يعلمُ مِنْ نفسِه؛ فإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد أجابَ دعاءَ شرِّ الخلْقِ، وهو إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦﴾ [الحجر: ٣٦].

* ولا يسألُ غيرَه الدُّعاءَ ويتمادى هو على الإصرار:

١٢٠ ـ فقد قال رجل لعامرِ بنِ عبد قيسٍ: ادْعُ اللَّهَ لي، فقال: يا ابنَ أخي، سألتَ مَنْ قَدْ عَجزَ عن نفسِه، ولكنْ أطِعِ اللَّهَ يغفِرْ لك دونَ دعائي.

* * *

٦ ـ باب فضل الدعاء

١٢١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

١٢٢ ـ وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]

١٢٣ ـ وقال عز من قائل: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].

---

(١) البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري. ومعنى اربَعوا على أنفسكم: أي ارفُقوا بأنفسكم.

١٢٤ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

١٢٥ ـ وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣]

* وإلى الدعاء لجأ النَّبيُّون صلى الله عليهم وسلم والصالحون رضي الله عنهم.

١٢٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات: ٧٥ ـ ٧٦].

١٢٧ ـ وقال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦].

١٢٨ ـ وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

١٢٩ ـ وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

١٣٠ ـ مالك[١]: أنَّه سمع زيدَ بنَ أَسلمَ يقول: ما مِنْ داعٍ يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث: إمَّا أنْ يُستجابَ له، وإمَّا أن يُدَّخرَ له، وإمَّا أنْ يُكفَّرَ عنه.

١٣١ ـ وقال ابن عيينة: ما يكره العبدُ خيرٌ له مما يحبُّ؛ لأن ما يكره يُهيِّجُه للدعاء في ما يحب.

---

(١) موطأ مالك ٢١٧/١ موقوفاً على زيد بن أسلم. وقد صح ذلك مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري؛ رواه أحمد ١٨/٣، والبخاري في كتاب الأدب المفرد (٧١٠)، والبزار (٣١٤٤)، وصححه الحاكم ٤٩٣/١.

١٣٢ ـ وأنشدوا في الدعاء:

وإنّي لأدعو اللّهَ والأمرُ ضيِّقٌ ... عليَّ فما ينفكُّ أن يتفرَّجَا
ورُبَّ فتىً سُدَّتْ عليه وجوهُهُ ... أصابَ لها في دعوةِ اللَّهِ مخرَجَا

* * *

باب أدعية تستحب عند أوقات مخصوصة وأفعال مخصوصة

٧ ـ بابٌ منه عند الوضوء

١٣٣ ـ رُوِيَ أنَّه: من أسبغ وضوءه، «ثم قال: **أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، اللَّهُمَّ اجعلني مِنَ التَّوابين واجعلني مِنَ المتطهِّرينَ، فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**»[(١)].

* * *

٨ ـ باب من ذلك عند الأذان

١٣٤ ـ رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الدُّعاءُ بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ**». قالوا: يا رسول اللَّه، فماذا نقول؟ قال: «**قولوا: اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ العفوَ والعافيةَ في الدنيا والآخرة**»[(٢)].

---

(١) رواه بهذا اللفظ الترمذي (٥٥)، وهو في صحيح مسلم (٢٣٤) دون قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**».

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٤)، وقال: حديث حسن. ورواه دون زيادة: قالوا: يا رسول الله، فماذا نقول..: أبوداود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢)، وصححه ابن خزيمة (٤٢٥ ـ ٤٢٧)، وابن حبان (١٦٩٦).

١٣٥ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا أمَّ سَلَمَةَ، قولي عند أذانِ المغرب: اللَّهُمَّ عندَ إقبالِ ليلِكَ، وإدبارِ نهارِك وأصواتِ دعائِك، وحضورِ صَلواتِك، اغفِرْ لي**»[(١)].

١٣٦ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه كان يقول إذا سمع الأذان: «**اللَّهُمَّ ربَّ هذهِ الدَّعوة المستجابة، المستجاب لها دعوة الحق، وكلمة الإخلاص، أحيني عليها وتوفني عليها، واجعلني من صالحي أهلها عملاً**»[(٢)].

١٣٧ ـ ورُوِيَ عن سعد أنه قال: «**من قال إذا سمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّدٍ نبياً، غُفِرَ له ذنبُه**»[(٣)].

١٣٨ ـ ورُوِيَ عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النِّداء: اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القائمةِ، آتِ محمَّداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعَثْهُ مقاماً محموداً الذي وعدتَه، حلَّتْ له شفاعتي يومَ القيامة**»[(٤)].

١٣٩ ـ وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا سمع المؤذن يقول: أشهدُها عن كلِّ شاهد، وأتحمَّلُها عن كلِّ جاحدٍ.

* * *

(١) رواه أبو داود (٥٣٠)، والترمذي (٣٥٨٩)، وصححه الحاكم ٣١٤/١.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٧٣١/١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢١٣/١٠ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الحاكم. وذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ١٩١/١ و ٦١٨/٢ ـ ٦١٩، وقال في الموضعين: رواه الحاكم من رواية عُفير بن معدان وهو واهٍ. وقال: صحيح الإسناد!.

قلت: ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٤١١/١ من قول ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) مسلم (٣٨٦).

(٤) البخاري (٦١٤).

٩ ـ بابٌ منه عند الخروج من المنزل

١٤٠ ـ ورُوِيَ عن أنس بن مالك أنه قال: «**إذا خرج الرجل من بيته وقال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقال له: حسبك، هُدِيت ووُقِيت وكُفِيت**»[١].

١/١٤٠ ورُوِيَ عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من منزله قال: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك أن أزِلَّ، أو أضِلَّ، أو أظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أجهَلَ أو يُجْهَلَ عليّ»[٢]

١٤١ ـ ورُوِيَ عن مجاهد أنه قال: إذا خرج الرجلُ مِنْ منزِله، فقال: بسم اللَّه، قال المَلَكُ: هُدِيتَ. فإذا قال: توكَّلْتُ على اللَّهِ، قال المَلَكُ: كُفِيتَ. وإذا قال: لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللَّهِ، قال المَلَكُ: وُقِيتَ. فتفرَّقُ عنه الشياطينُ، فتقول: لا سبيلَ لكم؛ قد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ[٣].

❋ ❋ ❋

١٠ ـ بابٌ منه في أثناءِ الصَّلاة وفي آخرها

١٤٢ ـ رُوِيَ عن عبد اللَّه بن عمرو، عن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما، أنه قال للنبي ﷺ: علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي. قال: «**قل: اللَّهُمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنتَ، فاغفرْ لي مغفرةً مِنْ عندِكَ وارحمْني، إنَّك أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ**»[٤].

---

(١) حديث مرفوع رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦) وحسنه، وصححه ابن حبان (٨٢٢).

(٢) رواه أحمد ٣٠٦/٦، والترمذي (٣٤٢٧)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، والنسائي ٢٨٥/٨، وصححه الحاكم ٥١٩/١ ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف ٣٢/١١ من رواية مجاهد عن كعب الأحبار. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٦/٦ من رواية مجاهد عن ابن ضمرة عن كعب الأحبار.
وقد روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة، رواه ابن ماجه (٣٨٨٦)، وإسناده ضعيف.

(٤) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

١٤٣ ـ ورُوِيَ عنِ ابنِ مسعودٍ أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد قال: «**سجدَ لك سَوادي وخيالي، وآمَنَ بك فُؤادي، أبوءُ بنعمتِك عليَّ، هذه يدي بما جنيتُ على نفسي، وظلمتُ نفسي، فاغفرْ لي؛ فإنَّه لا يغفرُ الذَّنبَ العظيمَ إلا أنت**»[1].

١٤٤ ـ ورُوِيَ عن أبي أُمامَةَ أنه قال: ما دنوتُ مِنْ نبيِّكُم ﷺ في صلاةٍ مكتوبةٍ ولا تَطَوُّعٍ إلاَّ سمعتُه يدعو بهؤلاءِ الدَّعواتِ، لا يخْرِمُ عنهنَّ، ولا يزيدُ فيهنَّ: «**اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ذُنوبي وخطاياي كلَّها، اللَّهُمَّ أنْعِشْني واجْبُرْني، واهدِني لصالحِ الأعمالِ والأخلاقِ، فإنَّه لا يهدي لصالِحِها، ولا يصرفُ سيِّئَها إلا أنتَ**»[2].

١٤٥ ـ ورُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالب، ﷺ، أنه كان يقول حين يفتتح الصلاة: وجَّهتُ وجهيَ للذي فَطَرَ السَّماواتِ والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين. إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي للّهِ ربِّ العالمين، لا شريكَ له، وبذلك أُمِرْتُ وأنا أولُّ المسلمين. ثمَّ يقول: اللَّهُمَّ أنتَ الملِكُ، لا إله إلا أنت سبحانَك، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت. لبَّيك وسَعْدَيك، إنَّا بك وإليك، لا مَنْجى منك إلا إليك، أستغفرك ثمَّ أتوب إليك.

فإذا ركع كان كلامُه في ركوعه أن يقول: اللَّهُمَّ لك ركعتُ، وبك آمنت، ولك أسلمتُ، أنت ربي. خشعَ سمعي وبصري، ومخِّي وعظمي لله رب العالمين.

فإذا رفع مِنَ الركوع، قال: سمع اللَّهُ لمن حَمِدَه، ثم أتبعها: اللَّهُمَّ

---

(١) رواه البزار في مسنده (٢٠٣٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٨/٢: رواته ثقات. وصححه الحاكم في المستدرك ٧١٦/١.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٨١١)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٢/١٠، وقال: رجاله ثقات رجال الصحيح غير الزبير بن خريق، وهو ثقة.

ربَّنا لك الحمد مِلْءَ السماواتِ والأرضِ، ومِلْءَ ما شئت مِنْ شيءٍ بعدُ.

ثم إذا سجد قال في سجوده: اللَّهُمَّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، وأنت ربي. سجد وجهي للذي خلقَه وشقَّ سمعَه وبصرَه، تبارك اللَّهُ أحسنُ الخالقين.

ثم يقولُ عند انصرافِه مِنَ الصَّلاة: اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وأخَّرْتُ، وأسررتُ وأعلنتُ، أنت إلهي لا إله إلا أنت.

١٤٦ ـ وروى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن عائشة قالت: كنتُ نائمةً إلى جنبِ رسول الله ﷺ ففقدته مِنَ الليلِ، فلمستُه بيدي، فوضعتُ يدي على قدميه وهو ساجدٌ يقول: **«أعوذ برضاك مِنْ سَخَطِكَ، ومُعافاتِك مِنْ عقوبتِك، وبِكَ منك، لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسِك»**[1].

١٤٧ ـ وقال عبد اللَّه بن مسعود: إذا تشهد أحدكم فليقُلْ: اللَّهُمَّ إني أسألُك مِنَ الخيرِ كلِّه، ما علمتُ منه وما لم أعلمْ، وأعوذُ بك مِنَ الشَّرِّ كلِّه، ما علمتُ منه وما لم أعلمْ. اللَّهُمَّ إني أسألُك مِنْ خيرِ ما سألك منه عبادُك الصالحون. ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً، وقِنا عذابَ النار[2].

١٤٨ ـ ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ كان إذا قضى الصلاة قال: **«اللَّهُمَّ أنت السلام ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ»**[3].

---

(١) مسلم (٤٨٦). والرواية التي أوردها المؤلف هي في موطأ الإمام مالك ٢١٤/١، ورواها من طريقه الترمذي (٣٤٩٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٦٤/١، وعبد الرزاق في المصنف (٣٠٨٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٩٩٤٠، ٩٩٤١).

(٣) مسلم (٩٥٢).

١٤٩ ـ ورُوِيَ عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول إثرَ صلاةِ الفجرِ: «**اللَّهُمَّ إني أسألُك علماً نافعاً وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً**»(١).

١٥٠ ـ ورُوِيَ عن أبي الدرداء أنه قال: قلت: يا رسولَ اللَّه، ذهب أهلُ الدُّثورِ بالأجورِ؛ يصلُّون كما نصلِّي، ويجاهدون كما نجاهدُ، ولهم فُضولُ أموالٍ يتصدَّقون بها، ولا نجد ما نتصدَّقُ به. قال ﷺ: «**ألا أُخبرُكَ بشيءٍ إذا أنتَ فعلتَه أدركتَ مَنْ كان قبلَك، ولم يلحَقْكَ مَنْ كان بعدَك، إلا مَنْ قال مثلَ ما قلتَ؛ تُسَبِّحُ اللَّهَ في دُبرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وتحمَدُه ثلاثاً وثلاثين، وتُكَبِّرُه أربعاً وثلاثين تكبيرة**»(٢).

١٥١ ـ وكتب المغيرةُ بن شُعبةَ إلى معاويةَ بن أبي سفيان: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقول في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ إذا سلَّم: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِمَا أعطيتَ، ولا مُعْطِيَ لما منعتَ، ولا ينفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**»(٣).

١٥٢ ـ وروى حصينُ بن يزيدَ [التَّغلبيُّ](٤) أنَّ ابنَ مسعودٍ كان إذا فرَغَ مِنَ الصلاة قال: «**اللَّهُمَّ إني أسألُك مُوجِباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، وأسألُك الغنيمةَ مِنْ كلِّ برٍّ، والسلامةَ مِنْ كلِّ إثم، اللَّهُمَّ إني أسألُك الفوزَ بالجنَّة والجوازَ مِنَ النارِ، اللَّهُمَّ لا تدَعْ لي ذنباً إلا غفرتَه، ولا همَّاً إلا فرَّجتَه، ولا حاجةً إلا قضيتَها**»(٥).

---

(١) رواه أحمد ٢٩٤/٦و٣١٨و٣٢٢، وابن ماجه (٩٢٥). وإسناده ضعيف.

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٤٧ ـ ١٥١). ورواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣)، والجَدُّ: الحظُّ.

(٤) مطموس في الأصل، واستدرك من مصنف ابن أبي شيبة.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٦٩/١ و ٦٩/٦ من قول ابن مسعود. ورواه الحاكم في المستدرك ٧٠٦/١ عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

١٥٣ ـ وقال الصُّنابجيُّ: أوصاني معاذٌ أن لا أدعَ إثْرَ كلِّ صلاةٍ: **«اللَّهُمَّ أعِنِّي على ذِكرِكَ وشكرِكَ وحُسْنِ عبادتِك»**(١).

١٥٤ ـ وقال كعب الأحبار: إنَّا نجدُ في التوراة: أنَّ داود نبيَّ الله كان إذا انصرف من صلاته قال: **«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي ديني الذي جعلتَه لي عِصمةً، وأَصْلِحْ لي دنيايَ التي جعلتَ فيها معاشي، اللَّهُمَّ إني أعوذُ برضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وأعوذ بعفوِكَ مِنْ نِقْمَتِكَ، وأعوذ بك منك، اللَّهُمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعْطِيَ لما منعتَ ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجَدُّ»**(٢).

١٥٥ ـ ورُوِيَ عن بعضِ الصالحين أنَّه كان لا ينصرف مِنْ صلاةٍ مكتوبةٍ إلا قال: اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك مِنْ كلِّ عملٍ يخزيني، وأعوذُ بك مِنْ كلِّ صاحبٍ يُرديني، وأعوذُ بك مِنْ كلِّ أملٍ يُلهيني، وأعوذُ بك مِنْ فقرٍ يُنسيني، وأعوذُ بك مِنْ غِنىً يُطغيني.

* * *

١١ ـ بابٌ منه عند النوم

١٥٦ ـ رُوِيَ عن البراء بن عازب أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه، وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم قال: **«اللَّهُمَّ قِنِي عذابَك يومَ تبعثُ عبادَك»**(٣).

١٥٧ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: **«إذا أوى أحدُكم**

---

(١) رواه أحمد ٥/٢٤٤ ـ ٢٤٥، وأبو داود (١٥٢٢)، وصححه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠، ٢٠٢١)، والحاكم ١/٢٧٣ ووافقه الذهبي. وهذا الدعاء من وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، وأوصى به معاذٌ الصُّنابحيَّ، واسمه عبد الرحمن بن عُسَيْلَة.

(٢) رواه النسائي ٣/٧٣، وصححه ابن خزيمة (٧٤٥)، وابن حبان (٢٠٢٦).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٩٩)، وابن ماجه (٣٨٧٧)، وصححه ابن حبان (٥٥٢٢، ٥٥٢٣).

إلى فراشه، فلينفُضْ فِراشَه بداخِلَةِ إزارِه[1]؛ فإنه لا يدري ما خَلَفَهُ عليه، ثم يقولُ: باسمِكَ ربي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إنْ أمسكتَ نفسي فارحمها، وإنْ أرسلتَها فاحفَظْها بما تحفظُ به عبادَك الصَّالحينَ»[2].

١٥٨ ـ ورُوِيَ عن سعد بن عبيدة: حدَّثني البراءُ بنُ عازب، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «إذا أتيت مضجَعَكَ، فتوضَّأْ وَضوءك للصلاةِ، ثم اضطجِعْ على شِقِّكَ الأيمن، ثم قلْ: اللَّهُمَّ أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رهبةً ورغبةً إليك، لاملجأ ولا منجا منك إلا إليك. آمنتُ بكتابِك الذي أنزلتَ، ونبيِّك الذي أرسلت. فإنْ مِتَّ مِتَّ على الفطرة، واجعلْهُنَّ آخرَ ما تقول». فقلت: أستذكِرُهُنَّ: «ورسولك الذي أرسلت». قال: «لا، ونبيِّك الذي أرسلت»[3].

١٥٩ ـ ورُوِيَ أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول عند منامه: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن تدعُوَ عليَّ نفسٌ ظلمتُها، أو رَحِمٌ قطعتُها، وأسألُك غِنى النَّفسِ»[4].

١٦٠ ـ ورُوِيَ أنَّ فاطمةَ رضي الله عنها سألتِ النبيَّ ﷺ وعليٌّ رضي الله عنه خادَماً، فقال: «أفلا أدُلُّكما على ما هو خيرٌ لكما مِنَ الخادَم؟ إذا أخذتُما مَضجَعَكُما تقولان: ثلاثاً وثلاثين، وثلاثاً وثلاثين، وأربعاً وثلاثين، مِنْ تحميدٍ وتسبيحٍ وتكبير»[5].

١٦١ ـ ورُوِيَ عن عروة بن الزبير أنه قال: كانت عائشة زوج النبي ﷺ تقول إذا أرادتِ النومَ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك رؤيا صالحةً صادقةً غيرَ كاذبةٍ،

---

(١) داخلة الإزار: ما يلي الجسد منه.

(٢) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

(٣) البخاري (٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٨٤٩) بنحوه عن زيد بن ثابت موقوفاً. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٥/١٠، وقال: إسناده جيد.

(٥) البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧).

نافعةً غيرَ ضارَّةٍ. فكانت إذا قالت هذا، عرفوا أنها غيرُ متكلِّمَةٍ بشيءٍ حتى تصبحَ أو تستيقظَ مِنَ الليلِ[(١)].

١٦٢ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن عمر أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**اللَّهُمَّ أنت خلقت نفسي وأنت توفَّاها، لك مماتُها ومحياها، اللَّهُمَّ إنْ توفَّيتَها فاغفِرْ لها، وإنْ أحييتَها فاحفَظْها، اللَّهُمَّ إني أسألُك العافيةَ**»[(٢)].

١٦٣ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ أنه كان يأمن بكلمات من الفَزَعِ، وشكا إليه خالد بن الوليد بن المغيرة أنَّه يفزَعُ في منامِه، فقال: «**إذا أخذتَ مضجَعَكَ لنومك، فقل: باسم اللَّه، أعوذُ بكلماتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غضبِه وعذابِه ومِنْ شَرِّ عبادِه، ومِنْ هَمَزاتِ الشياطين وأنْ يحضُرون**». فكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرو مَنْ أدركَ مِنْ ولدِه علَّمه إياهُنَّ، وأمره أنْ يقولَهُنَّ إذا أراد أنْ ينامَ، ومَنْ لم يُدْرِكْ مِنْ ولدِه كتبَها فعلَّقها عليه[(٣)].

❋ ❋ ❋

١٢ ـ بابٌ منه عند الاستيقاظ من النوم

١٦٤ ـ ورُوِيَ عن رِبْعِيِّ بن حِراشٍ عن حذيفةَ، قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «**باسمك اللَّهُمَّ أموت وأحيا**»، وإذا استيقظ مِنْ منامه قال: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعد ما أماتَنا وإليه النُّشورُ**»[(٤)].

---

(١) انظر فتح الباري ٤٣٣/١٢، وفيض القدير ١٤٧/٥.
(٢) مسلم (٢٧١٢). وفي آخره: فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خيرٍ من عمرَ؛ من رسول الله ﷺ.
(٣) حديث حسن. رواه أحمد ١٨١/٢، وأبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٦٥)، وصححه الحاكم ٥٤٨/١.
(٤) البخاري (٦٣١٢، ٦٣٢٤).

١٦٥ ـ وروى عُبادةُ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ تَعارَّ مِنَ الليل، فقال: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، الحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، ثم قال: اللَّهُمَّ اغفرْ لي، أو دعا، استُجيبَ له، فإنْ توضَّأ قُبِلَتْ صلاتُه**»[1].

* * *

١٣ ـ بابٌ منه عند القيام من الليل للتهجد

١٦٦ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧].

١٦٧ ـ وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل: ١ ـ ٢].

١٦٨ ـ وروى مالك[2] عن أبي الزُّبير المكي، عن طاوس، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول: «**اللَّهُمَّ لك الحمدُ أنتَ نورُ السموات والأرض، ولك الحمدُ أنتَ قيَّام السموات والأرض، ولك الحمدُ أنتَ ربُّ السموات والأرض ومَنْ فيهنَّ، أنت الحقُّ، وقولُك الحقُّ، ووعدُك الصدق، ولقاؤك حقٌّ، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، والساعة حقٌّ. اللَّهُمَّ لك أسلمت وبك آمنتُ، وعليك توكَّلتُ، وإليك أنبت، وفيك خاصمتُ، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت**».

---

(١) البخاري (١١٥٤). وتعارَّ: إذا انتبه وله صوت.

(٢) في الموطأ ١/٢١٥ ـ ٢١٦، ورواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

١٦٩ ـ وكان سلمانُ الفارسيُّ إذا تعارَّ مِنَ اللَّيلِ يقول: سبحان ربِّ النَّبيين، وإلهِ المرسلين[١].

١٧٠ ـ وقال[٢]: إنه بلغه أنَّ أبا الدرداء كان يقوم مِنْ جوف الليل، فيقول: نامتِ العيونُ، وغارتِ النُّجومُ، وأنت حيٌّ قيُّومٌ.

❋ ❋ ❋

١٤ ـ بابٌ منه عند الصباح

١٧١ ـ رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه كان إذا أصبح يقول: «**أصبحت على فِطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبيِّنا محمد ﷺ ومِلَّةِ أبينا إبراهيمَ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين**»[٣].

١٧٢ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «**من قال حين يصبح: اللَّهُمَّ ما أصبح بي مِنْ نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك، فمنك وحدَك لا شريكَ لك، فلك الحمد ولك الشكر، إلا أدَّى شكرَ ذلك اليوم**»[٤].

١٧٣ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه كان يقول إذا أصبح: «**اللَّهُمَّ بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور**»[٥].

١٧٤ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «**من قال حين يصبح: اللَّهُمَّ إني أُشهِدُك، وأُشهدُ حَمَلَةَ عرشِك، وملائكتِك، وجميعِ خلقِك أنَّك أنت اللَّهُ الذي لا إله إلا أنتَ، وحدك لا شريك لك، وأنَّ محمداً عبدُك ورسولُك،**

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦/٣١، ٧/١٢٢.
(٢) يعني الإمام مالكاً. والأثر عنده في الموطأ ١/٢١٩.
(٣) حديث صحيح، رواه أحمد ٣/٤٠٦ عن عبدالرحمن بن أبزى ﷺ.
(٤) رواه أبو داود (٥٠٧٣) من حديث ابن عباس، وصححه ابن حبان (٨٦١).
(٥) رواه من حديث أبي هريرة: أحمد ٢/٣٥٤، وأبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨)، وصححه ابن حبان (٩٦٤، ٩٦٥).

غُفِرَ له ما أصاب مِن ذنبٍ. فإن هو قالها حين يُمسي غُفِرَ له ما أصاب. يعني تلك الليلة»[(١)].

١٧٥ ـ وقال سَمُرَةُ بن جُنْدُبٍ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من قال إذا أصبح وإذا أمسى: اللَّهُمَّ أنتَ خلقتني، وأنتَ هديتني، وأنتَ تطعمني وتسقيني وتميتني وتحييني لم يسألِ اللَّهَ شيئاً إلا أعطاه»**.

وقال سَمُرَةُ: فحدثت به عبد اللَّه بن سلام، فقال: هؤلاء كلمات أعطاهن الله موسى بن عمران كان يدعو بهن في كل يومٍ سبع مرات[(٢)].

١٧٦ ـ ورُوِيَ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لفاطمةَ: **«ما منعكِ أن تسمعي ما وصَّيتُك به؟ تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ: يا حيُّ يا قَيُّومُ برحمتِك أستغيثُ، أصلِحْ لي شأني كلَّه، ولا تَكِلْنِي إلى نفسي طَرْفَةَ عين»**[(٣)].

١٧٧ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن أبي أوفى أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: **«أصبحنا وأصبح الملكُ والكبرياءُ والعَظَمَةُ والخَلْقُ والأمر والليل والنهار، وما سَكَنَ فيهما لله وحدَه لا شريك له. اللَّهُمَّ اجعلْ أوَّلَ النهار صلاحاً، وأوسطَه فلاحاً، وآخرَه نجاحاً. أسألُك خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرةِ يا أرحمَ الراحمين»**[(٤)].

---

(١) حديثٌ حسن. رواه أبو داود (٥٠٦٩)، والترمذي (٣٥٠١) عن أنس بن مالك.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (١٠٢٨)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ٤٥٨/١، والهيثمي في مجمع الزوائد ١١٨/١٠.

(٣) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٥٧٠)، والحاكم في المستدرك ٧٣٠/١، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٤٥٧/١ وصححه.

(٤) حديث ضعيف. رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (١٠٨٥)، وعبد بن حميد في المسند (٥٣١)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٤/١٠ ـ ١١٥، وزاد نسبته إلى الطبراني، وقال: وفيه فائد أبو الورقاء وهو متروك.

١٧٨ - ورُوِيَ عن البراء أن رسول الله ﷺ كان يقول حين يصبح: «**اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ خيرَ هذا اليوم وخيرَ ما بعدَه، ونعوذ بك مِنْ شرِّ هذا اليومِ وشرِّ ما بعدَه**»[١].

١٧٩ - ورُوِيَ عن بعض العلماء أنه قال: من قال حين يصبح: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة، ومن قال: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً، رضي الله به عبداً[٢].

١٨٠ - وكان عبد اللَّه بن عمر إذا أصبح يقول: اللَّهُمَّ اجعلني من أعظم عبادك حظاً ونصيباً في هذا اليوم وفي ما بعده من كل خير تقسمه، ونورٍ تهدي به ورحمةٍ تنشرها، وخير تبسطه، وضُرٍّ تكشفه، وبلاءٍ ترفعه، وشرٍ تدفعه، وفتنةٍ تصرفها[٣].

* * *

١٥ - بابٌ منه عند دخول السوق

١٨١ - رُوِيَ عن بريدة، قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال: «**باسم اللَّه. اللَّهُمَّ إني أسألُك خيرَ هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن أُصيب فيها يميناً فاجرةً، أو صفقةً خاسرة**»[٤].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١٧٠)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/٢٧ - ٢٨، وقال: غريب. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١١٤ من رواية الطراني، وأشار إلى ضعفه.
قلت: له شاهد من حديث عبد الله بن مسعود، رواه مسلم (٢٧٢٣).

(٢) وقد روي الشطر الأول منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، رواه من حديث أبي ممطور سلام الحبشي أحمد ٥/٣٣٧، وأبو داود (٥٠٧٢)، وابن ماجه (٣٨٧٠).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٥/٣٢٤، ٦/٣٦

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ١/٧٢٣، وضعفه الذهبي. وكذا ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٧٧، و١٠/١٢٩ من رواية الطبراني.

١٨٢ ـ وروى سعيد الجُرَيْري عن أبي العلاء، قال: قرأت في كتاب، فإذا فيه: ما من عبدٍ مسلم يأتي سوقاً من الأسواق، فيذكر الله عز وجل فيها، إلا كتب الله تعالى من الحسنات عددَ أهل السوق، كلِّ فصيحٍ منهم وأعجم، يعني بالأعجم: الدواب. قال: وذكر ذلك لأبي نضرة، فقال: لئن قلتَ ذلك، لقد كان الرجل من المسلمين يأتي السوق ما له فيه حاجة إلا أن يذكر الله عز وجل في أقطارها حتى يرجعَ.

* * *

١٦ ـ بابٌ منه عند إضلال الشيء

١٨٣ ـ اللَّهُمَّ ربَّ الضَّالةِ، وهادي الضالةِ تهدي مِنَ الضالة، رُدَّ عليَّ ضالتي بقُدرتِك وسلطانِك، فإنها بيدك ومن عطائك وفضلك.

* * *

١٧ ـ بابٌ منه عند الجماع

١٨٤ ـ رُوِيَ عن ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ: «**لو أن أحدَهم إذا أراد أن يأتيَ أهلَه قال: بسم اللّه. اللّهُمَّ جنِّبنا الشيطانَ، وجنِّبِ الشيطانَ ما رزقتَنا؛ فإنَّه إنْ يُقَدَّر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضرَّه شيطانٌ أبداً**»[1].

* * *

١٨ ـ بابٌ منه عند الأكل والشرب

١٨٥ ـ رُوِيَ عن تميم بن سلمة، قال: حُدِّثْتُ أنَّ الرجل إذا سمَّى اللَّهَ عز وجل على طعامه، وحمِدَه في آخره، لم يُسألْ عن نعيم ذلك الطعام.

---

(١) البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤).

١٨٦ ـ ورُوِيَ أنَّ رسول الله ﷺ قال لعمر بن أبي سلمة: «**يا غلامُ، سمِّ اللَّهَ، وكل مما يليك**»[١].

١٨٧ ـ وروى أمية بن مخشي، وكان من أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً يأكل ولم يسمِّ، فلما كان في آخر لقمته، قال: بسم الله أولَه وآخرَه، قال رسول الله ﷺ: «**ما زال الشيطانُ يأكل معه، فلما سمَّى قاءَ الشيطانُ ما أكل**»[٢].

١٨٨ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أنه قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ قال: فانطلقنا معه، فلما طعِم وغسل يديه، قال: «**الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم، مَنَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وأسقانا، وكلَّ بلاءٍ حسنٍ أبلانا. الحمد لله غيرَ مُوَدَّعٍ ربي ولا مُكافأً ولا مكفورٍ ولا مُستغنىً عنه. الحمد لله الذي أطعمنا من الطعام، وسقانا من الشراب، وكسانا من العُري، وهدانا من الضلال، وبصَّرنا من العمى، وفضَّلنا على كثيرٍ من خلقه تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين**»[٣].

١٨٩ ـ ورُوِيَ عن هشام بن عروة، أن أباه كان لا يُؤتى بطعامٍ ولا شراب، حتى الدواء فيطعمه أو يشربه حتى يقول: الحمد لله الذي هدانا فأطعمنا، وسقانا وأنعم علينا ونعَّمنا، الله أكبر، اللَّهُمَّ ألفتنا نعمتك بكلِّ يسر، فأصبحنا وأمسينا منها بكلِّ خيرٍ، نسألك اللَّهُمَّ تمامَها وشكرَها، لا خيرَ إلا خيرُك، ولا إلهَ غيرُك، إلهَ الصالحين وربَّ العالمين، لا إله إلا أنت، ما شاء الله لا قوة إلا بالله. اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فيما رزقتنا وقنا عذابَ النار[٤].

١٩٠ ـ ورُوِيَ عن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا أفطر عند

---

(١) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).
(٢) حديث ضعيف، رواه أحمد ٣٣٦/٤، وأبو داود (٣٧٦٨)، والحاكم ١٠٨/٤ ـ ١٠٩.
(٣) حديث صحيح. رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٣٠١)، وصححه ابن حبان (٥٢١٩)، والحاكم ٥٤٦/١، ووافقه الذهبي.
(٤) رواه مالك في الموطأ ٩٣٤/٢.

أهل بيت، فأراد أن يقوم، قال لهم: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامَكمُ الأبرارُ، ونزلت عليكمُ السكينةُ**»[١].

* * *

١٩ ـ بابٌ منه عند رؤية الهلال

١٩١ ـ اللَّهُمَّ أهِلَّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والنِّعمة والإحسان، هادين مهديِّين، غيرَ ضالين ولا مُضِلِّين، ولا المغضوبِ عليهم ولا الضالين. يا هلالُ، ربي وربُّك اللَّه، اللَّهُمَّ هلال بركةٍ لا تمحوها الأيامُ، وطهارةٍ لا تدنسها الآثام، وهلال يسرٍ لا يمازجه عسر، وخيرٍ لا يشوبه شر، اللَّهُمَّ اجعلنا مِن أرضى من يطَّلع عليه، وأزكى من ينظر إليه، وأسعد من يعبدك فيه، ووفقنا فيه للتوبة، واعصمنا من الحوبة، وألبسنا ثوب العافية، وأوزعنا شكر النعمة.

١٩٢ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه كان إذا رأى الهلال قال: «**هلال خير ورشد، آمنت بالذي خلقك فعدلك، تبارك الله أحسن الخالقين**»[٢].

١٩٣ ـ وروى بشير مولى معاوية ﷺ[٣] أنه سمع جماعةً من الصحابة رضي الله عنهم، إذا رأوا الهلال يقولون: اللَّهُمَّ اجعل شهرنا الماضي خير شهر، وخيرَ عاقبةٍ، وأدخل علينا شهرنا هذا بالسلامة واليمن والإيمان، والعافية والرزق الحسن.

* * *

---

(١) رواه بهذا اللفظ أحمد ٣/١١٨ بسند منقطع. ورواه أحمد أيضاً بلفظ مقارب٣/١٣٨، وأبو داود (٣٨٥٤)، وإسناده صحيح.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣١١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٣٩، وقال: وفيه أحمد بن عيسى اللخمي ولم أعرفه.

قلت: وقد رويت أحاديث أُخرُ بمعناه في رؤية الهلال، يصح بها هذا الحديث إن شاء الله.

(٣) يفهم من كلام المؤلف رحمه الله أن معاوية المشار إليه هو ابن أبي سفيان أو غيره ممن اسمه معاوية من الصحابة رضوان الله عليهم، بينما المراد هو معاوية بن بكر، كما في ترجمة مولاه بشير راوي هذا الأثر.

٢٠ ـ بابٌ منه عند رؤية من فضلت عليه بعافية أو غيرها

١٩٤ ـ رُوِيَ عن عبد اللَّه بن عمر أنه قال: من قال إذا رأى رجلاً به بلاء: «**الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به وفضلني عليه وعلى كثيرٍ من خلقه تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاءُ كائناً ما كان**»[١].

١٩٥ ـ وكان محمد بن علي لا يُسمِعُ المبتلى الاستعاذةَ من البلاء[٢].

* * *

٢١ ـ باب منه عند ضيق المعيشة

١٩٦ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

١٩٧ ـ وروى ابن وهب عن الثوري أنه قال: الحسنة في الدنيا الرزق الطيب والعلم، وفي الآخرة الجنة.

١٩٨ ـ رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر هذا الدعاء يقول: «**اللَّهُمَّ اجعلْ أوسعَ رزقِك عليَّ عند كِبَرِ سِنِّي وانقطاعِ عمري**»[٣].

١٩٩ ـ ورُوِيَ عن بعض الصالحين أنه كان يدعو، فيقول: «**اللَّهُمَّ اكفني بالحلال عن الحرام، وأغنِني بفضلِك عمَّن سواك**»[٤].

---

(١) هو حديث مرفوع، رواه ابن ماجه (٣٨٩٢)، ورواه الترمذي (٣٤٣١) من حديث عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ٤/٢٧٣.

(٢) ذكره الترمذي بعد الحديث (٣٤٣١).

(٣) حديث حسن، رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٦١١)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٨٢. وكذا رواه الحاكم في المستدرك ١/٧٢٦، وقال: هذا حديث حسن الإسناد.

(٤) وروي ذلك مرفوعاً من حديث علي رضي الله عنه، رواه أحمد ١/١٥٣، والترمذي (٣٥٦٣) وحسَّنه، وصححه الحاكم ١/٥٨٣، ووافقه الذهبي.

٢٠٠ ـ وقال بعضهم: رأيت امرأةً بالبادية، جاء البَرَدُ، فذهب بزرعٍ لها، فجاء الناس يعزُّونها، فرفعت رأسها إلى السماء، وقالت: اللَّهُمَّ أنتَ المأمولُ الأحسن الخَلَف، وبيدك التَّعويضُ مما تلِف، فافعل ما أنت أهلُه. قال: فلم أبرح حتى مرَّ رجلٌ من أهل الغِنى، فحُدِّثَ بما كان، فوهب لها خمسمئة دينار.

٢٠١ ـ ولبعضهم[1]:

أيُّها السائلُ العبادَ ليُعْطَى إنَّ لله ما بأيدي العبادِ
فاسْألِ اللَّهَ ما طلبتَ إليهم وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ العَوَّادِ

* * *

٢٢ ـ بابٌ منه عند المرض

٢٠٢ ـ قال علي بن أبي طالب ﷺ في مرضه: اللَّهُمَّ إني أسألُك تعجيلَ عافيتِك، أو صبراً على بَلِيَّتِك، أو خروجاً إلى رحمتك[2].

٢٠٣ ـ ورُوِيَ أنَّ أبا نُخَيلةَ رجلاً من الأنصار من أصحاب النبي ﷺ، رُمِيَ بسهم، فقيل له: ادعُ اللَّهَ تعالى، فقال: اللَّهُمَّ أنقِصْ منَ الوجعِ ولا تُنقِص منَ الأجر[3].

* * *

(١) هو محمد بن إسماعيل السيد الحميري، حيث كرره المصنف برقم (١٨٤٠)، وصرح باسمه هناك.
(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٧٠)، ورواه مرفوعاً من حديث عائشة: الطبراني في المعجم الأوسط (٩٦٩)، وصححه ابن حبان (٩٢٢)، والحاكم ٧١٣/١.
(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني ٣٧٨/٢٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ٣٩٨/٩، والإصابة لابن حجر ١٩٣/٧.

٢٣ ـ بابٌ منه عند دخول الخلاء

٢٠٤ ـ قال أنس ﷺ كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الخُبُثِ والخبائثِ**»(١).

❋ ❋ ❋

٢٤ ـ بابٌ منه عند الحرب

٢٠٥ ـ قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠].

٢٠٦ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب: «**اللَّهُمَّ مُنزلَ الكتابِ، سريعَ الحسابِ، اهزمِ الأحزابَ، اهزمهُم وزلزلهُم**»(٢).

❋ ❋ ❋

٢٥ ـ بابٌ منه عند الخوف والدخول على السلاطين

٢٠٧ ـ قال عبدالله بن عبدالعزيز العمري الزاهد: قال لي موسى بن عيسى: ينتهي إلى أميرِ المؤمنين، يعني الرشيد، أنك تشتُمه وتدعو عليه، فبأيِّ ذلك استجزت ذلك، فقال: أمَّا شتمُه، فهو والله أكرمُ عليَّ من نفسي، وأما الدعاءُ عليه، فما قلت: اللَّهمَّ إنه أصبح عبئاً ثقيلاً على أكتافِنا لا تطيقه أبدانُنا، وقذىً في عيوننا لا تُطبقُ عليه جفونُنا، وشجىً في أفواهنا لا تُسيغه حلوقُنا، فاكفِنا مُؤنَته، وفرِّق بيننا وبينه، ولكني قلت: اللَّهمَّ إن كان يُسمَّى الرشيدَ ليرشدَ فأرشده، أو أتى غير ذلك، فراجع به. اللَّهمَّ إنَّ له في

---

(١) البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٢) البخاري (٧٤٨٩)، ومسلم (١٧٤٢).

الإسلام على كلِّ مسلم حقّاً، وله بنبيِّك قرابةً ورَحِماً، فقرِّبه من كلِّ خيرٍ، وباعِدْه من كلِّ شرٍّ، وأسعِدنا به، وأصلحه لنفسه. فقال: يغفرُ اللَّهُ لك يا أبا عبدالرحمن، كذا بلغنا[١].

٢٠٨ ـ ورُوِيَ أن أبا جعفر المنصور لمَّا حجَّ قال للربيع: عليَّ بجعفر بنِ محمد. قتلني اللَّهُ إنْ لم أقتلْه، فمَطَلَه به، ثم ألحَّ عليه فيه فحضر، فلما كشف السِّتْر بينه وبينه، ومَثُلَ بين يديه همس جعفرٌ همسةً، ثم تقرَّب وسلَّم، فقال: لا سلَّم الله عليك يا عدوَّ اللَّه! تعملُ عليَّ الغوائلَ في مُلكي؟ قتلني اللَّهُ إنْ لم أقتلك، فقال له جعفر: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُعطيَ فشكر، وإنَّ أيوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتُليَ فصبر، وإنَّ يوسف ظُلِمَ فغفرَ، وأنت على إرْثٍ منهم، وأحقُّ مَنْ تأسَّى بهم. فنكَّس أبو جعفر رأسَه مليّاً، ثمَّ رفع رأسه إليه، وقال: أبا عبد الله ادْنُ، فأنت القريبُ القرابة، وذو الرَّحِمِ الواشِجَةِ، السَّليمُ النَّاحيةِ، القليلُ الغائلةِ، ثمَّ صافحه بيمينه، وعانقه بيساره، وأجلسه معه في فراشه، وأقبل عليه بوجهه، يُسائله ويحادثه، ثم قال: عجِّلوا لأبي عبدِ الله كُسوتَه وجائزتَه.

قال الربيع: فلما خرج وخطرف السيرَ[٢]، أمسكتُ بثوبه، وقلت له: منذُ ثلاثٍ أدفع عنك وأُداري عليك، ورأيتُك إذ دخلتَ همستَ همسةً، ثم رأيتُ الأمرَ انجلى عنك، فأحِبُّ أن تعرفني بها، فقال: قلت: اللَّهمَّ احرُسني بعينِك التي لا تنام، واكنُفني برُكنك الذي لا يُرام، لا أهلَكُ وأنت رجائي، فكم مِنْ نعمةٍ أنعمتَ بها علي قلَّ عندها شكري فلمْ تحرِمني، وكم من بلِيَّةٍ ابتليتني بها قلَّ عندها صبري فلم تخذُلْني. اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من شرِّه، وأدرأُ بك في نحره.

٢٠٩ ـ وقال عبد اللَّه بن مسعود: إذا كان عليك إمامٌ تخاف ظُلمه

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٨٥-٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٧٦.

(٢) في الأصل: «الستر» بالتاء، وهو تحريف. وخطرف: أسرع.

وعترسته(١) فقل: اللَّهمَّ ربَّ السماواتِ السبعِ وربَّ العرشِ العظيمِ، كنْ لي جاراً من فلانٍ وأشياعِه، وأتباعِه مِنَ الجنِّ والإنس، أن يفْرُطَ عليَّ أحدٌ منهم أو أن يطغى. عزَّ جارُك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك.

٢١٠ - ورُوِيَ عن أبي موسى أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: **«اللَّهمَّ إنَّا نجعلُك في نحورهم، ونعوذ بك من شُرورهم»**(٢).

٢١١ - وأنشدوا:

إن العِداةَ سعَوْا بي يسفِكون دمي ... ويُقسِمون بأنِّي لستُ بالنَّاجي

فنَجِّني ربِّ مِنْ محذورِ كَيدِهم ... فأنت يا ربِّ مُنجي الخائفِ الرَّاجي

٢١٢ - وأراد جعفر بنُ محمدٍ الحجَّ، فمنعه المنصورُ، فقال: الحمد لله الكافي، سبحان الله الأحدِ، ليس من الله منجى، ما شاء اللَّهُ قضى، ليس وراءَ الله مُنتهى، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود: ٥٦]، اللَّهمَّ إنَّ هذا عبدٌ من عبيدك، خلقتَه كما خلقتَني، ليس له فضلٌ عليَّ إلا ما فضَّلتَه به، فارزُقني خيرَه، واكفِني شرَّه، واقدَحْ ليَ المحبةَ في قلبِه، واصرِف عنِّي أذاه، لا إله إلا أنت سبحانك اللَّهمَّ ربَّ العرش العظيم، وصلِّ الله على محمدٍ النبيِّ وآله. فأذن له المنصور.

٢١٣ - وروى إبراهيمُ بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ **«دعوةُ ذي النون دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانَك إنِّي كنت من الظالمين، لا يدعو بها رجلٌ مسلم في شيءٍ إلا استُجيبَ له»**(٣).

* * *

(١) العترسة: الأخذ بالشدة والعنف.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد ٤/ ٤١٤-٤١٥، وأبو داود (١٥٣٧)، وصححه ابن حبان (٤٧٦٦)، والحاكم ٢/ ١٤٢ ووافقه الذهبي.

(٣) حديث صحيح، رواه أحمد ١/ ١٧٠، والترمذي (٣٥٠٥)، وصححه الحاكم ١/ ٥٠٥ ووافقه الذهبي.

٢٦ ـ بابٌ منه عند الكرب

٢١٤ ـ قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

٢١٥ ـ وقال ابن عباس: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول: «**لا إله إلا اللَّهُ الحليمُ الكريمُ، لا إله إلا اللَّهُ ربُّ السماواتِ وربُّ العرشِ العظيمِ**»[1].

٢١٦ ـ ورُوِيَ عن موسى بن عقبة أنه قال: بلَغَنا عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**من قال: اللَّهمَّ إني عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أمَتِك، أتقلَّبُ في قبضتِك، ناصيتي في يدِك، عدلٌ فيَّ حُكمُك، ماضٍ فيَّ قضاؤُك. أسألُك اللَّهمَّ بكلِّ اسم هو لك؛ سمَّيتَ به نفسَك، أو ذكرتَه في كتابِك، أو علَّمتَه أحداً من خلقِك، أو استأثَرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك، أنْ تجعلَ القرآنَ ضياءَ صدري، وربيعَ قلبي، وجلاءَ حُزني، وذَهابَ همِّي. اللَّهمَّ إني أستودِعُك نفسي وديني وأمانتي وخواتيمَ عملي، وجميعَ ما أنعمتَ به عليَّ في الدنيا والآخرة؛ فإنها لا تضيعُ ودائِعُك، وإنَّه لنْ يُجيرني منَ اللَّهُ أحدٌ، ولنْ أجدَ مِنْ دونه ملتحداً**».

قال: فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدعو بهنَّ مهتَمٌّ إلاَّ فرَّجَ اللَّهُ همَّه، وأطالَ سروره**»[2].

٢١٧ ـ ورُوِيَ أن يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا، فقال: يا ذا المعروفِ الذي لا

---

(١) البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) وقد روي الحديث موصولاً. رواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ١/ ٣٩٢و٤٥٢، وصححه ابن حبان (٩٧٢)، والحاكم ١/ ٥٠٩.

ينقطعُ أبداً، ويا ذا النِّعَم التي لا تُحصَى عدداً، اجعلْ لي من أمري فرَجاً ومخرجاً. قال: فما طلَع الفجرُ حتى أُتيَ بقميصِ يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢١٨ ـ ورُوِيَ أن جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل على يوسفَ في السجن، فقال له: قل: اللَّهمَّ يا شاهدَ كلِّ غائبٍ، ويا قريباً غيرَ بعيد، ويا غالباً غيرَ مغلوبٍ، اجعلْ لي من أمري فرَجَاً ومخرجاً، وارزُقني من حيثُ لا أحتسبُ، واغفرْ لي ذنوبي، وثبِّتْ رجاءَك في قلبي، واقطَعْهُ من سِواكَ، حتى لا أرجو أحداً غيرَك.

٢١٩ ـ ولبعضهم:

إليك المُشتَكى لا شكَّ ربِّي ... وأنتَ لنائباتِ الدَّهر حسبي
تُروِّي غُلَّتي وتَرُمُّ حالي ... وتُؤمِنُ رَوْعَتي وتُزيلُ كَرْبي

* * *

٢٧ ـ بابٌ منه عند الاستسقاء

٢٢٠ ـ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

٢٢١ ـ قال سفيان الثوري: بلغني أنَّ بني إسرائيل قَحَطوا سبعَ سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل، وأكلوا الأطفالَ، وكانوا كذلك يخرُجون إلى الجبال ويتضرَّعون، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى أنبيائهم: قولوا لبني إسرائيل: لو مشيتم إليَّ بأقدامِكم حتى تحفَى ركبُكم، وتبلغَ أيديكم أعنانَ السماء، وتكِلَّ ألسنتُكم مِنَ الدعاء، فإنِّي لا أُجيبُ لكم داعياً، ولا أرحمُ منكم باكياً حتى ترُدُّوا المظالمَ إلى أهلها. ففعلوا، فمُطِروا من يومهم.

٢٢٢ ـ مالك: عن يحيى بن سعيد، عن عَمرِو بن شُعيب: أن

رسول الله ﷺ كان يقول إذا استسقى: «**اللَّهمَّ اسْقِ عبادَك وبهيمتك، وانشُرْ رحمتَك، وأحْيِ بلدَكَ الميتَ**»[(١)].

٢٢٣ ـ وقال أبو بكر الصديق ﷺ: خرج سليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يستسقي، فمرَّ بنملةٍ مستلقية على ظهرِها، رافعة قوائمَها إلى السَّماء، وهي تقول: اللَّهمَّ إنَّا خَلْقٌ من خلقِك، ولا غِنى بنا عن رزقك، فلا تُهلِكْنا بذنوب غيرِنا. فقال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ارجِعوا، فقد سُقيتُم بدعوةِ غيركم.

٢٢٤ ـ وقال عيسى الغسَّاني: أصاب الناسَ قحطٌ شديدٌ على عهدِ داودَ النبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فاختاروا ثلاثةً من علمائهم، فخرجوا يستسقون.

فقال أحدهم: اللَّهمَّ إنَّك أنزلت في توراتِك أن نعفوَا عمَّن ظلمنا؛ اللَّهمَّ إنَّا ظلمنا أنفسَنا، فاعف عنا.

وقال الثاني: اللَّهمَّ إنَّك أنزلت في توراتِك أن نُعتِقَ أرِقَّاءنا؛ اللَّهمَّ إنَّا أرِقَّاؤك، فأعتقنا.

وقال الثالث: اللَّهمَّ إنَّك أنزلت في توراتِك ألا نردَّ المساكينَ إذا وقفوا بأبوابِنا؛ اللَّهمَّ إنَّا نحن مساكينُك وقفنا ببابك، فلا تردنا.

٢٢٥ ـ ورُوِيَ عن أنس: جاء أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ وهو قاعدٌ في المسجد، فقال: يا رسول اللَّه، لقد أتينا وما لنا بعيرٌ يئِطُّ[(٢)]، ولا صبيٌّ يصطَبِحُ، وأنشد:

أتيناك والعذراءُ يدمي لَبانُها[(٣)] وقد شُغِلَتْ أمُّ الصبيِّ عنِ الطفلِ
وألقى بكفَّيهِ الكبيرُ استكانةً منَ الجوعِ ضعفاً ما يُمِرُّ وما يُحلي

---

(١) حديث حسن، وهو في موطأ مالك ١/ ١٩٠-١٩١، وهو مرسل من هذه الرواية. ووصله أبو داود (١١٧٦).

(٢) الأطيط: صوت البعير.

(٣) اللبان: الصدر، أو ما بين الثديين.

ولا شيءَ ممَّا يأكلُ الناسُ عندنَا سوى الحنظلِ العامِيِّ[١] والعِلْهِزِ الفَسْلِ[٢]
وليس لنا إلاَّ إليك فرارُنا فأينَ فِرارُ الناسِ إلاَّ إلى الرُّسْلِ

فقام رسول الله ﷺ يجرُّ رداءَه حتى صعِد المنبرَ، فحمِد اللَّهَ وأثنى عليه، ثم رفع يديه إلى السماء، فقال: **«اللَّهمَّ اسقنا غيثاً مغيثاً سريعاً مريعاً غدقاً طبقاً[٣] عاجلاً غيرَ رائثٍ، نافعاً غيرَ ضارٍّ، تملأ به الضَّرعَ، وتُنبتُ به الزرعَ، وتُحيي به الأرضَ بعد موتها، وكذلك تخرجون»**.

فواللّهِ ما ردَّ يديه إلى نحرِه حتى التفَّتِ السماءُ بأرواقها[٤]، وجاء أهل البِطانةِ يصيحون: الغرقَ يا رسولَ اللَّه! الغرقَ يا رسولَ اللَّه، فرفع يديه إلى السماء ثم قال: **«اللَّهمَّ حوالَينا ولا علينا»**، فانجاب السحابُ عن المدينة، حتى أحدق بها كالإكليل، فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجِذُه، ثم قال: **«للهِ درُّ أبي طالبٍ، لو كان حياً قُرَّتا عيناه، من ينشد قوله»**؟ فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: كأنك أردت:

وأبيضَ يُستَسقَى الغَمامُ بوجهِهِ ربيعُ اليتامَى عِصْمَةٌ للأراملِ
يلوذُ به الهُلاَّكُ مِنْ آلِ هاشم فهُم عندَه في نعمةٍ وفواضِلِ
كذبتُم وبيتِ الله نبزى محمَّداً ولمَّا نقاتِلْ دونَه ونُناضِلِ
ونُسْلِمُهُ حتَّى نُصَرَّعَ حولَه ونَذهَلُ عن أبناتِنا والحلائلِ

فقال النبي ﷺ: **«أجل»**، فقام أعرابي من كنانة، فقال:

دعا اللَّهَ خالقَهُ دعوةً إليه فأشخص فيها البصرْ
فلم يكُ إلاَّ كإلقاءِ الرِّدَا وأسرعَ حتىَّ رأينا الدُّرَرْ

---

(١) الحنظل العامي: الذي له عام.

(٢) العِلهز: نوع من النبات يشبه البردي. والفسل: الصغير.

(٣) غدقاً: كثيراً، وطبقاً: يطبق الأرض.

(٤) أرواقها: مطرها.

دفاقَ العَزالي جَمَ البَعاقِ أغاثَ به الله عُلَيَّا مضرْ[١]
وكان كما قاله عمه فهذا العيان لذاك الخبرْ
فمن يشكرِ اللَّهَ يلقى المزيدَ ومن يكفُرِ اللَّهَ يلقَ الغِيَرْ

فقال رسول الله ﷺ: «**إن يكُ شاعرٌ يُحسِنُ، فقد أحسنتَ**»[٢].

٢٢٦ ـ وروى أنسٌ أنَّ عمرَ بن الخطاب ﷺ كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ﷺ، فقال: اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيِّنا فسقيتنا، وإنَّا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسْقِنا، قال: فيُسْقَون[٣].

٢٢٧ ـ ويُروي أنَّ عمرَ بنَ الخطاب ﷺ استسقى يوماً بالعباس بنِ عبد المطلب، فلمَّا فرغَ من دعائه قال العباسُ: اللَّهمَّ إنَّه لم ينزِلْ بلاءٌ من السماءِ إلا بذنبٍ، ولم يُكشفْ إلاَّ بتوبةٍ. وقد توجَّه بيَ القومُ إليكَ، لمكاني من نبيِّك ﷺ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتَّوبة، وأنت الرَّاعي لا تُهملُ الضَّالَّةَ، ولا تدعُ الكسيرَ بدارِ مَضيعةٍ؛ فقد ضرع الصغيرُ، وفرِق الكبيرُ، وارتفعتِ الشَّكوى، وأنت تعلم السرَّ وأخفى. اللَّهمَّ أغثهم بغِياثِك قبل أن يقنَطوا فيهلَكوا، وإنَّه لا ييأسُ من روْحِك إلا القومُ الكافرون. قال: فما أتَمَّ كلامَه حتى أرختِ السماءُ مثلَ الجبالِ. وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

سألَ الخليفةُ إذْ تتابع جدبه فسُقِي الغُيومَ بغُرَّةِ العباسِ
عمُّ النبيِّ وصِنْوُ والدِه الذي ورِثَ النبيَّ بذاك دون الناسِ
أحيا المليكُ به البلادَ فأصبحت مُخْضَرَّةَ الأجنابِ بعد الياسِ

---

(١) العزالي: جمع عزلاء، وهي مصب الماء من الراوية ونحوها، أو هي الراوية. والبعاق من المطر: الذي يفاجئ بوابل، أو هو السيل الدفَّاع.

(٢) رواه إسماعيل التيمي في دلائل النبوة ص ١٨٤-١٨٥، وابن عبد البر في التمهيد ٢٢/٦٣-٦٥، وزاد نسبته الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري إلى البيهقي في دلائل النبوة، وقال: وإن كان فيه ضعف، لكنه يصلح للمتابعة.
قلت: وأصل الحديث في الصحيحين [البخاري (٩٣٢، ١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧)] من دون الشعر، وإن كان الشعر روي بعضه في الصحيح كما يأتي قريباً.

(٣) البخاري (١٠١٠).

٢٢٨ ـ وقال عبد الله بن عمر: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيشَ كلُّ مِيزابِ:

وأبيضَ يُستسقى الغَمامُ بوجهِهِ ثِمال اليتامى عِصمةٌ للأراملِ[(١)]

٢٢٩ ـ وروى الشَّعبي أنه قال: خرج عمرُ بن الخطاب يستسقي، فلم يزدْ على الاستغفار، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد طلبتُ الغيث بمجاديحِ السماءِ الذي يُستَنْزَلُ به المطرُ، ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١١] ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ﴾ [هود: ٥٢][(٢)].

٢٣٠ ـ وقال عطاء السَّلِيمي: مُنعنا الغيثَ، فخرجنا نستسقي، فإذا بسَعدونَ المجنون في المقابر، فنظر إلي، فقال: يا عطاءُ، أهذا يومُ النُّشورِ أم بُعثرَ مَنْ في القبورِ؟ فقلت: لا، ولكنَّا مُنِعنا الغيثَ، فخرجنا نستسقي، فقال: يا عطاءُ، بقلوبٍ خاويةٍ أم بقلوبٍ سماويةٍ؟ فقلت: بل بقلوبٍ سماويةٍ، فقال: هيهات يا عطاءُ، قل للمُبهرِجين[(٣)] لا تُبهرِجوا؛ فإن الناقدَ بصيرٌ، ثم رمقَ السماءَ بطرفِه، وقال: إلهي، لا تُهلكْ بلادَكَ بذنوب عبادِك، ولكن بالمكنون من آلائِك إلاَّ ما سقيتَنا ماءً غدقاً تُحيي به العبادَ، وتروي به البلادَ، يا من هو على كلِّ شيءٍ قدير.

قال عطاء: فما أتم كلامه حتى أرعدتِ السماءُ وأبرقت، وجاءت بمطرٍ كأفواه القِرَبِ، ثم ولَّى وهو يقول:

نِعْمَ الزَّاهدونَ والعابدونا إذْ لمولاهم أجاعوا البطونا
شغلتْهم عبادةُ اللّهِ حتَّى قيلَ في النَّاسِ إنَّ فيهم جنونا

---

(١) البخاري (١٠٠٩). والثِّمال: الملجأ.

(٢) سنن البيهقي ٣/ ٣٥١، ٣٥٢، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٣٢-٢٣٣. ومجاديح السماء: أنواؤها.

(٣) البهرجة: التزييف والتزوير.

٢٣١ ـ وقال عبد اللَّه بن المبارك: قدمت المدينةَ في عام شديدِ الجَدْبِ، فخرج الناسُ يستسقون، وخرجت معهم، إذ أقبلَ غلامٌ أسودُ، فجلس إلى جنبي، فسمعته يقول: إلهي، أَخْلَقَتِ الوجوهَ عندك كثرةُ الذنوب ومساوىءُ الأعمال، وقدِ احتبستَ عنَّا غيثَ السماء، لتؤدِّبَ عبادَك بذلك، فأسألُكَ يا حليماً ذا أناةٍ، يا مَنْ لا يعرف عبادُه منه إلا الجميلَ، أن تسقيهم.

٢٣٢ ـ ورُوِيَ أنَّ بعضَ الصالحين استسقى، فحمِدَ اللَّهَ، وأثنى عليه، ثم قال: اللَّهمَّ ضاقت جِيالُنا، واغبرَّتْ أرضونا، وماتت دوابُّنا. يا مُعطيَ الخيراتِ من أماكِنها، ومُجريَ البركاتِ على أهلها، ومُنزلَ الرَّحمةِ من معادِنِها، يا غياثَ المستغيثين، أنت المستغفَرُ الغفَّارُ، فنستغفركَ للنَّجاةِ من ذنوبنا، ونتوب إليك من جرائم خطايانا، فأرسلِ السماءَ علينا بدِيَم[1] مِدرارة من تحت عرشِك، تسكُبُ علينا غيثاً مُغيثاً مُمرعاً[2] عاماً مجلِّلاً، غدقاً مُخْصِبَ النباتِ، كثيرَ البركاتِ، قليلَ الآفاتِ، إنك عوَّادٌ بالخيرات. اللَّهمَّ إنك قلتَ في كتابك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] اللَّهمَّ فلا حياةَ لشيءٍ خُلِقَ من الماءِ إلا بالماءِ، اللَّهمَّ وقد قنَطَ الناسُ، وساء ظنُّهم، وتاهتِ البهائمُ في مراتعها، وعجَّتْ[3] عجيجَ الثَّكلى على ولدِها، وملَّتِ التَّردُّدَ والتحيُّرَ في مواطنها إذ حبستَ عنها مطر السماءِ، فرقَّ لذلك عظمُها، وذهب لحمُها، وذاب شحمُها، فارحمْ أنينَ الآنَّةِ، وحنينَ الحانَّةِ. اللَّهمَّ ارحم بهائمَنا القائمة، ونَعمَنا السَّائمة، ومن لا يحملُ رزقَها غيرُك. اللَّهمَّ وهذا الدعاءُ وعليك الإجابةُ، إنك لا تخلف الميعاد.

* * *

(١) الديم: جمع ديمة، وهي: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق.
(٢) ممرع: مخصب.
(٣) العج: رفع الصوت.

٢٨ ـ باب منه عند الاستخارة

٢٣٣ ـ قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

٢٣٤ ـ وروى محمد بن إسماعيل[١]: حدثنا مطرِّفُ بن عبد الله أبو مصعب، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي، عن محمد بن المنكدر، عن جابرٍ، قال: كان النبيُّ ﷺ يعلِّمُنا الاستخارةَ في الأمورِ كلِّها كالسورةِ من القرآن: **«إذا همَّ أحدُكم بالأمرِ، فليركَعْ ركعتينِ، ثم ليقُلْ: اللَّهمَّ إنِّي أستخيرُك بعلمِك، وأستقدرُك بقدرتِك، وأسألُك مِنْ فضلِك العظيم؛ فإنَّك تقدِرُ ولا أقدِرُ، وتعلمُ ولا أعلمُ، وأنت علاَّمُ الغيوب. اللَّهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري، أو قال: في عاجلِ أمري وآجلِه، فاقدُرْهُ لي. وإنْ كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري، أو قال: في عاجلِ أمري وآجلِه، فاصرفه عنِّي واصرفني عنه، واقْدُرْ ليَ الخيرَ حيثُ كان، ورَضِّني به، ويسمِّي حاجتَه»**.

٢٣٥ ـ ورُوِيَ عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سعادةِ ابنِ آدمَ استخارتُه اللَّهَ، ومن سعادتِه رضاه بما يقضي اللَّهُ، ومن شِقْوةِ ابنِ آدمَ سَخَطُه لما قضى اللَّهُ تعالى»**[٢].

* * *

٢٩ ـ بابٌ منه عند التَّزوُّج وسَتْرِ الأَمَةِ

٢٣٦ ـ روى مالكٌ[٣] أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا تزوَّج أحدُكم**

---

(١) هو البخاري، والحديث في صحيحه (٦٣٨٢).

(٢) رواه أحمد ١/١٦٨، وصححه الحاكم في المستدرك ١/٥١٨، ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر في فتح الباري.

(٣) في الموطأ ٢/٥٤٧ من حديث زيد بن أسلم مرسلاً. ورواه أبو داود (٢١٦٠) موصولاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وصححه الحاكم ٢/ ١٨٥ ووافقه الذهبي.

المرأَةَ، أو اشترى الخادِمَ، فليأخذْ بناصيتِها، وليَدْعُ بالبركة. وإذا اشترى البعيرَ، فليأخذْ بذِروةِ سنامِه، وليستعذْ بالله من الشيطان».

* * *

٣٠ ـ بابٌ منه عند السفر

٢٣٧ ـ رُوِيَ عن عبد اللَّه بن سَرْجَس أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً قال: **«اللَّهمَّ إني أعوذ بك من وَعثاءِ السفرِ، وكآبةِ المُنقَلَبِ، والحَورِ بعدَ الكَوْرِ، ودعوةِ المظلومِ، وسوءِ المنظرِ في النفسِ والأهلِ والمالِ»**[1].

٢٣٨ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال عند سفره: **«اللَّهمَّ أنت الصاحبُ في السفر، والخليفةُ في الأهل. اللَّهمَّ اصحبنا بنُصحٍ، واقلِبنا بذمَّةٍ، اللَّهمَّ زَوِّ لنا الأرضَ وسيرنا فيها، اللَّهمَّ إني أسألُك في سفرنا هذا البِرَّ والتقوى، وأن تستعملَنا فيما تحبُّ وترضى، اللَّهمَّ أعنَّا على سفرنا هذا، واطْوِ لنا بُعْدَه»**[2].

٢٣٩ ـ وقد نظمتُ بعضَ هذا المعنى:

إذا كنتَ ربي في طريقي صاحباً ... وتَخْلُفُني في الأهلِ ما دمتُ غائبا
فَسَهِّلْ سبيلي وازْوِ عنِّيَ شرَّها ... وشرَّ الذي ألقاهُ في الأهلِ آيبا

٢٤٠ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه كان إذا أراد سفراً توضأ، ثم صلى ركعتين، ويقول وهو في مجلسه مستقبل القبلة: **«الحمد لله الذي خلقَني ولم أكُ شيئاً، ربِّ أعنِّي على أهوال الدنيا، وبوائقِ الدهر، وكُرُباتِ الآخرةِ،**

---

(١) مسلم (١٣٤٣). وعثاء السفر: مشقته. والحور بعد الكور: النقصان بعد الزيادة.

(٢) حديث حسن. رواه أبو داود (٢٥٩٨)، والنسائي ٨/ ٢٧٤، والترمذي (٣٤٣٨)، وحسَّنه.

ومُصيباتِ الليالي والأيامِ، ربِّ في سفري فاحفظني، وفي أهلي فاخلُفني، وفيما رزقتني فبارِكْ لي، ولك يا ربِّ في نفسي فذَلِّلني، وفي أعينِ الناسِ فعَظِّمني، وعلى صالحِ الأخلاقِ فقَوِّني، وعن سيِّئها فجَنِّبني. إليك أشكو غُربتي، وقلَّةَ زادي، وبُعدَ سفري، وهواني على الناس، فلا تحرِمني يا ربَّ المستضعفين، إلى مَنْ تكِلُني؟ إلى عدوٍّ ملَّكْتَه أمري، أم إلى بعيدٍ يتجَهَّمُني، فإنْ لم تغضبْ عليَّ لم أُبالِ، أعوذُ بنورِ وجهِك الذي أشرقتْ له السماواتُ والأرضونَ، فكشفتَ الظُّلمةَ، وصلُحَ عليه أمرُ الأولين والآخرين، أنْ تثبِتَ عليَّ غضبَك، أو تُنْزِلَ عليَّ سَخَطَك، لك العُتبى حتى ترضى، وإذا رضِيتَ، ولك الحمدُ كما تشاءُ وفوقَ ما شئتَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم»[١].

* * *

٣١ ـ بابٌ منه عند الوداع

٢٤١ ـ رُوِيَ عن إسماعيل بن رافع، قال: كان رسول الله ﷺ إذا ودع رجلاً قال: **«زوَّدكَ اللَّهُ التقوى، وغفر ذنبك، ولقَّاكَ الخير حيثما توجَّهتَ»**[٢].

٢٤٢ ـ ورُوِيَ عن أبي غالب، قال: حججتُ أنا وقَزَعَة، فلما انصرفنا، صحِبنا ابنَ عمرَ إلى المدينة، فأقمنا بها أياماً، فلما خرجنا خرج معنا ابنُ عمرَ يشيِّعُنا، فقال: أمَا إنَّه ليس معي مالٌ أزودُكماه، ولكن أستودِعُ اللَّهَ

---

(١) لم أجده مرفوعاً. وروى بعضه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/٨٨ من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) إسماعيل بن رافع ضعيف الحديث، ثم هو لا يروي عن الصحابة. لكن الحديث ثبت مرفوعاً، رواه الترمذي (٣٤٤٤)، وحسَّنه، وصححه ابن خزيمة (٢٥٣٢)، والحاكم ١/١٠٧.

دينَكما وأمانَتَكما وخواتيمَ أعمالِكما، وأَقرأُ عليكما السلامَ ورحمة اللّه[١].

٢٤٣ ـ ودَّع رجلٌ قوماً، فقال: جعل اللّهُ التُّقَى زادَكم، وجمعَ على الهُدى أمرَكم، وجعل الجنةَ مأواكم.

٢٤٤ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ يريد سفراً، فقال: يا رسول اللّه، أوصني، فقال: **«أُوصيكَ بتقوى اللّه، واذكُرِ اللّهَ على كل شَرَفٍ»**. فلما ولَّى قال: **«زوى الله لك الأرضَ، وهوِّنَ عليك السفرَ»**[٢].

* * *

٣٢ ـ بابٌ منه عند ركوب الدابة أو السفينة

٢٤٥ ـ رُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنه أراد أن يركبَ، فلمَّا وضع رِجله في الرِّكاب، قال: بسم اللّه، فلمَّا استوى على السَّرج، قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[٣].

٢٤٦ ـ ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه قال: من ركب سفينة، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، والملكُ لله ربِّ العرشِ العظيم، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ

---

(١) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٥٢١) عن ابن عمر من قوله كما هنا. ورواه مرفوعاً أحمد ٢/٧، وأبوداود (٢٦٠٠)، والترمذي (٣٤٤٢)، وصححه ابن حبان (٢٦٩٣)، والحاكم (٢/٩٧).

(٢) رواه أحمد ٢/٣٢٥، والترمذي (٣٤٤٥)، وابن ماجه (٢٧٧١)، وصححه ابن حبان (٢٦٩٣)، والحاكم ٢/٩٨

(٣) رواه أحمد ١/٩٧، وأبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وصححه ابن حبان (٢٦٩٧، ٢٦٩٨)، والحاكم ٢/٩٩. والحديث في أصله مرفوع إلى النبي ﷺ.

سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧]، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤] اللَّهمَّ سلم؛ فإنَّه لا يصاب في سفره ذلك إن شاء اللَّه.

٢٤٧ ـ ورُوِيَ عن عثمان بن الأسود عن مجاهد، قال: إذا ركب الرجلُ الدابَّةَ، فلم يسمِّ ركب الشيطانُ خلفَه، ثم صكَّ قفاه، فإن كان يُحسن يتغنى قال: تعنَّه، وإن كان لا يُحسن أن يتغَنَّى قال: تمنَّه[1].

* * *

٣٣ ـ بابٌ منه إذا أشرف على المنزل

٢٤٨ ـ رُوِيَ عن عبد اللَّه بن عمرَ أنه قال: إذا خرجتم من بلادكم تريدون بلداً، فقولوا إذا أشرفتم على المدينة، أو القرية: اللَّهمَّ ربَّ السماواتِ السبعِ وما أظَلَّتْ، وربَ الأرَضينَ السبعِ وما أقلَّتْ، وربَّ الشياطين وما أضلَّتْ؛ أسألُك خيرَ هذا المنزلِ وخيرَ ما فيه، وأعوذُ بك من شرِّه وشرِّ ما فيه، اللَّهمَّ ارزُقنا جَنَاه، واصرِفْ عنَّا أذاه، وارزُقنا رِضاه، وحَبِّبنا إلى أهلِه، وحبِّبنا إلى عبادِك الصالحين، ولا حول ولا قوة إلا بالله[2].

* * *

٣٤ ـ بابٌ منه عند لبس الثياب

٢٤٩ ـ قال أبو أمامة: أُتِيَ عمرُ بن الخطاب ﷺ بقميصٍ له

---

(١) ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٥٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٥٢، وشعب الإيمان ٤/ ٢٧٩ عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٥١٦) من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر مرفوعاً. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤، وقال: إسناده حسن.

كرابيسُ[١]، فألقاه في عنقه، فما جاوز تراقِيَه حتى قال: الحمد لله الذي رزقني ما أُواري به عورتي، وأتجمَّل به في حياتي[٢].

٢٥٠ ـ وروى [أبو] العلاء بن عبد الله بن الشِّخِّير، قال: كان رسول الله ﷺ إذا لبس ثوباً قال: «**اللَّهمَّ أسألُك من خيرِه وخيرِ ما صُنِعَ له، وأعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنِع له**»[٣].

❋ ❋ ❋

٣٥ ـ بابٌ منه عند نزول المطر

٢٥١ ـ رُوِيَ عن عائشة ﵂ أنها قالت: كان النبيُّ ﷺ إذا رأى ناشئاً[٤] في السماء، من سحابٍ أو ريحٍ، استقبله من حيثُ كان، وإن كان في الصلاة تعوَّذَ بالله من شرِّه، فإذا أمطرت قال: «**اللَّهمَّ صَيِّباً نافعاً**»[٥].

٢٥٢ ـ ورُوِيَ عن ابن المسيب أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى السحاب قال: «**اللَّهمَّ صيب رحمة لا صيب عذاب**»[٦].

❋ ❋ ❋

(١) الكرابيس: جمع كرباس، وهو ثوب من القطن (القاموس المحيط).

(٢) حديث ضعيف. رواه مرفوعاً عن علي أحمد ١/٤٤، والترمذي (٣٥٦٠)، وابن ماجه (٣٥٥٧)، والحاكم ٤/١٩٣.

(٣) أبو العلاء بن الشخير، واسمه يزيد، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: كان مولده في خلافة عمر، فوهم من زعم أن له رؤية. قلت: فعلى هذا يكون حديثه مرسلاً. وقد رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٣١٠). لكن الحديث صح مرفوعاً من رواية أبي سعيد الخدري؛ رواه أحمد ٣/٣٠، ٥٠، وأبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وصححه ابن حبان (٥٤٢٠، ٥٤٢١)، والحاكم ٤/١٩٢.

(٤) الناشئ: السحاب المرتفع.

(٥) حديث صحيح، رواه بهذا اللفظ علي بن الجعد في مسنده (٢٢٨٣). ورواه أحمد ٦/١٩٠، وأبو داود (٥٠٩٩)، وابن ماجه (٣٨٨٩).

(٦) حديث مرسل، رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩١٦). وعنده «سيب» بدل «صيب».

٣٦ - بابٌ منه عند سماع الرعد

٢٥٣ - وروى مالك[1] عن عامر بن عبد اللّه بن الزبير أن أباه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خِيفته، ثم يقول: إن هذا وعيد لأهل الأرض شديد.

* * *

٣٧ - بابٌ منه عند سماع وفاة أحد

٢٥٤ - رُوِيَ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن للموت فزعاً، فإذا أتى أحدَكم وفاةُ أخيه، فليقل: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللَّهمَّ اكتُبه في المحسنين، واجعل كتابَه في عليِّين، واخلُف على عَقِبِه في الآخرين. اللَّهمَّ لا تحرِمنا أجرَه، ولا تفتِنَّا بعده»**[2].

* * *

٣٨ - بابٌ منه في الصلاة على الميت

٢٥٥ - رُوِيَ عن عبد اللّه بن مسعود أنه كان يقول: إنكم جئتم شُفعاءَ لأخيكم، فاجتهدوا في الدعاء. ثم يستقبلُ القبلةَ ثم يقول: اللَّهمَّ عبدُك وابنُ عبدِك، أنت خلقتَه، وأنت هديتَه للإسلام، وأنت قبضتَ رُوحَه، وأنت أعلمُ بسريرتِه وعلانيته؛ جئناك شُفعاءَ له، اللَّهمَّ إنَّا نستجيرُ بحبلِ جِوارِك له، فإنَّك ذو وفاءٍ وذمَّةٍ، أَعِذْهُ من فتنةِ القبر وعذاب جهنمَ، اللَّهمَّ إن كان محسناً فزِدْ في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته. اللَّهمَّ نوِّرْ له في قبرِه وألحِقْه

---

(١) في الموطأ ٢/ ٩٩٢.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٥٩ رقم (١٢٤٦٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٣٠٣. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٣٣١ من رواية الطبراني، وقال: وفيه قيس بن الربيع الأسدي، وفيه كلام.

بنبيِّه. قال: يقول هذا كلَّما كبَّر، وإذا كانت التكبيرةُ الآخرةُ قال مثل ذلك، ثم يقول: اللَّهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ وباركتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، اللَّهمَّ صلِّ على أسلافِنا وأفراطِنا، اللَّهمَّ اغفرْ للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، ثم ينصرف.

٢٥٦ ـ ورُوِيَ عن عوف بن مالك الأشجعي أنه قال: سمعت النبي ﷺ يصلي على ميتٍ، فسمعت من دعائه وهو يقول: **«اللَّهمَّ اغفرْ له وارحمه، وعافه واعفُ عنه، وأكرِمْ نُزُلَه، ووسِّعْ مدخلَه، واغسله بالماء والثلج والبَرَد، ونَقِّهِ من الخطايا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ، وابنِ له داراً خيراً من دارِه، وأهلاً خيراً من أهلِه، وزوجاً خيراً من زوجِه، وأدخله الجنةَ أو قال: أعِذْهُ من النار»**[1].

٢٥٧ ـ ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان إذا صلى على الميت يقول: اللَّهمَّ أصبح عبدُك هذا قد تخلَّى من الدنيا وتركها لأهلها، وافتقرَ إليك، واستغنيتَ عنه، إنْ كان يشهدُ أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدُك ورسولُك، فاغفر له، وتجاوز عنه[2].

٢٥٨ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان يقول في الصلاة على الجنازة: **«اللَّهمَّ اغفر لحيِّنا وميِّتنا، وذَكَرِنا وأنثانا، وصغيرِنا وكبيرِنا، وغائبِنا وشاهدِنا، اللَّهمَّ مَن أحيَيته منَّا فأحيِه على الإسلامِ، ومَن توفَّيتَه منَّا فتوَفَّه على الإيمانِ، اللَّهمَّ لا تحرِمْنا أجرَه ولا تفتِنَّا بعدَه»**[3].

* * *

(١) مسلم (٩٦٣)، وفيه: «وأبدله داراً....».

(٢) مصنف عبد الرزاق ٢/٤٨٧، ومصنف ابن أبي شيبة ٢/٤٨٨و٦/٩٨.

(٣) رواه أحمد ٢/٣٦٨، وأبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وصححه ابن حبان (٣٠٧٠)، والحاكم ١/٣٥٨، ووافقه الذهبي.

٣٩ ـ بابٌ منه عند وضعه في لحده

٢٥٩ ـ رُوِيَ عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وضعتم موتاكم في القبور فقولوا: باسم الله وعلى سنة رسول الله**»[١].

٢٦٠ ـ ورُوِيَ أن ابن مسعود قيل له: كان رسول الله ﷺ يقف على القبر إذا فرغ منه؟ قال: كان إذا فرغ منه وقف عليه، ثم قال: «**اللَّهمَّ نزل بك صاحبُنا، وخلَّف الدنيا وراءَ ظهرِه، ونِعْمَ المنزولُ به أنتَ، اللَّهمَّ ثبِّت عند المسألةِ نُطْقَهُ، ولا تبتلِيه في قبرِه ما لا طاقةَ له به، اللَّهمَّ نَوِّرْ له في قبرِه، وألحِقْه بنبيِّه ﷺ**»[٢].

٢٦١ ـ وكان أنس بن مالك إذا سُوِّيَ على الميت قبرُه، قام عليه، ثم قال: اللَّهمَّ عبدُك رُدَّ إليك، فارْأفْ به وارحمه. اللَّهمَّ جافِ الأرضَ عن جنبَيه، وافتحْ أبوابَ السَّماءِ لروحه وتلقَّه منك بقَبول حسنٍ. اللَّهمَّ إنْ كان محسناً فضاعِفْ له إحسانَه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه[٣].

٢٦٢ ـ وروى [عبد الرحمن بن] العلاء بن الَّلجلاج عن أبيه أنه قال لولده: إذا أنا مِتُّ، فأدخِلوني في اللحدِ، وقولوا: باسم الله وعلى ملة رسول اللَّه، وسُنُّوا عليَّ التراب سنًّا، واقرؤوا عند رأسي بفاتحةِ البقرة وخاتمتِها؛ فإني سمعت عبدَ اللَّه بن عمر يستحبُّ ذلك[٤].

* * *

(١) رواه أحمد ٢/٢٧، وأبو داود (٣٢١٣)، والترمذي (١٠٤٦)، وابن ماجه (١٥٥٠)، وصححه ابن حبان (٣١١٠)، والحاكم ١/٣٦٦، ووافقه الذهبي.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٣/٢٠.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٤/٥٦، ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال ٢٢/٥٣٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٤٤ وعزاه إلى الطبراني في المعجم الكبير، وفي آخره: «فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك». وما بين حاصرتين من مصادر التخريج. وقد كان في الأصل «ابن الحجاج»، وهو تحريف.

٤٠ ـ بابٌ في الاستغفار

٢٦٣ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [نوح: ١٠].

٢٦٤ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٢٦٥ ـ وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠].

٢٦٦ ـ وقال عز وجل: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٥٥﴾ [غافر: ٥٥].

٢٦٧ ـ وروى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١).

٢٦٨ ـ ورُوِيَ أن النبي ﷺ في غزوة الحديبية مشى في طريقٍ وعرٍ، ثم أفضى إلى سهلٍ، فقال: «**قولوا: نستغفرُ اللّهَ ونتوب إليه**»، ففعلوا. فقال: «**[إنها] لَلْحُطَّةُ التي عُرِضَتْ على بني إسرائيلَ فلم يقولوها**»(٢).

٢٦٩ ـ ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: عجبت ممن يهلك والنجاة معه، قالوا: وما هي؟ قال: الاستغفار.

٢٧٠ ـ ورُوِيَ عن عبد اللّه بن عباس أنه قال: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار(٣).

---

(١) البخاري (٦٣٠٧).

(٢) حديث مرسل، رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية، ومن طريقه الطبري في التاريخ ١١٧/٢، وابن هشام في السيرة ٢٧٧/٤.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٤١/٥. ورواه القضاعي في مسند الشهاب (٨٥٣) عن ابن عباس مرفوعاً، وفي إسناده أبو شيبة الخراساني، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٣٨١/٧، وقال: أتى بخبر منكر، وذكر هذا الحديث.

٢٧١ ـ وقال: ما أصرَّ من استغفر، وإنْ عادَ في اليوم سبعين مرة[١].

٢٧٢ ـ قال وهب بن مُنَبِّهٍ: لقيَ إبليسُ يحيى بنَ زكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فقال: أخبرني عن طبائعِ بني آدمَ عندَكم، فقال: صنفٌ منهم مثلُك معصومٌ لا نقدِر منه على شيءٍ، وصنف ثانٍ هم في أيدينا كالكُرَة بأيدي الصِّبيانِ قد كفَوْنا أنفسَهم، وصنفٌ ثالث هم أشدُّ الأصنافِ علينا، نُقبِلُ على أحدِهم حتى ندركَ منه حاجَتَنا، ثم يفزَعُ إلى الاستغفارِ، فيفسِدُ علينا عملَنا وما أدركناه منه، فلا نحن نيأسُ منه، ولا نحن ندركُ منه ما نريد.

٢٧٣ ـ ورُوِيَ أن أبا بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما مِنْ رجلٍ مؤمنٍ يُذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهرُ فيحسن الطهورَ، ثم يستغفرُ اللَّهَ، إلاَّ غفرَ اللَّهُ له**»، ثم قرأ الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[٢] [آل عمران: ١٣٥].

٢٧٤ ـ ورُوِيَ عن أبي برزة الأسلمي، قال: كان رسول الله ﷺ بأَخَرَة إذا طال المجلس قال: «**سبحانك اللَّهمَّ وبحمدِك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك**». قال بعضُنا: يا رسول اللَّه، إنَّ هذا القولَ ما كنا نسمعُه منك! قال: «**هذه كفَّارةُ ما يكون في المجلس**»[٣].

٢٧٥ ـ ورُوِيَ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**من أكثرَ الاستغفارَ، جعلَ اللَّهُ له مِنْ كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ويرزقه من حيثُ لا يحتسب**»[٤].

---

(١) ورواه من حديث أبي بكر الصديق مرفوعاً: أبو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٥٥٩)، وقال: غريب. وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/١١٢.

(٢) حديث حسن. رواه أحمد ١/٢و٩، وأبو داود (١٥٢١)، والترمذي (٤٠٦و٣٠٠٩)، وابن ماجه (١٣٩٥).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٥٩)، وصححه الحاكم ١/٥٧٣.

(٤) رواه أحمد ١/٢٤٨، وأبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، وصححه الحاكم ٤/٢٦٢ مع أن فيه راوياً مجهولاً!.

٢٧٦ ـ وروى أبو بردة عن أبي موسى الأشعري قال: خَسَفَتِ الشمسُ، فقامَ النبي ﷺ فزِعاً يخشى أن تكون الساعةُ، فأتى المسجدَ، فصلى بأطول قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ رأيتُه قطُّ يفعلُه، وقال: **«هذه الآياتُ التي يرسلُ اللَّهُ تعالى لا تكونُ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، ولكن يخوِّف اللَّهُ بها عبادَه، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكرِه ودعائه واستغفارِه»**[1].

٢٧٧ ـ وقال قتادة: القرآنُ يدلُّكم على دائكم ودوائكم؛ أمَّا داؤكم فالذنوبُ، وأما دواؤكم فالاستغفار.

٢٧٨ ـ وقالت عائشة: طوبى لمن وَجَدَ في صحيفته استغفاراً كثيراً.

٢٧٩ ـ وقال الفضيل: قولُ العبدِ: أستغفر اللَّه، تفسيره: أقِلْنِي.

٢٨٠ ـ وقال بعض الحكماء: العبد بين نعمةٍ وذنبٍ، لا يُصلحُه إلا الحمدُ والاستغفار.

٢٨١ ـ وقال الفضيل: استغفارٌ بلا إقلاعٍ توبةُ الكذابين.

٢٨٢ ـ وقالت رابعةُ العدويةُ: استغفارُنا يحتاج إلى استغفارٍ كثيرٍ.

٢٨٣ ـ وقال بعض الحكماء: من قدَّم الاستغفارَ على الندمِ كان مستهزئاً وهو لا يعلم.

٢٨٤ ـ وقال أعرابي وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ: اللَّهمَّ إنَّ استغفاري مع إصراري لَلُؤمٌ، وإنَّ تركي استغفارِكَ مع علمي بسَعَةِ عفوِك لعجزٌ. فكم تتحبَّبُ إليَّ بالنِّعَمِ مع غناك عنِّي، وأتبغَّضُ إليك بالمعاصي مع فقري إليك؟! يا من إذا وعد وفى، وإذا توعَّد عفا، أدخِلْ عظيمَ جُرمي في عظيمِ عفوِك، يا أرحمَ الراحمين.

* * *

---

(١) البخاري (١٠٥٩)، ومسلم (٩١٢).

٤١ ـ بابٌ منه

٢٨٥ ـ روى شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «**سيدُ الاستغفارِ أن تقولَ: اللَّهمَّ أنتَ [ربي لا إلهَ إلا أنتَ]، خلقتَني وأنا عبدُك، وعلى عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أبوءُ لك بنعمتِك عندي، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، وأعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ. من قالها من النهارِ مُوقناً بها فماتَ من يومِهِ قبلَ أن يُمسِيَ فهو من أهل الجنةِ، ومن قالها منَ الليلِ مُوقناً بها فمات قبلَ أن يصبحَ، فهو من أهل الجنة**»[(١)].

٢٨٦ ـ وكان عامر بن عبد الله يغدو، فيقعدُ على قارعةِ الطريقِ الأعظم والناسُ متصرِّفون في حوائِجهم، فإذا رآهم ذاهبين يميناً وشمالاً، قال: يا ربِّ، غدا الغادون في حوائجهم، وغدوتُ إليكَ أسألُك المغفرةَ.

٢٨٧ ـ ولبعضهم:

إنْ تَعْفُ عن عبدِكَ المُسيءِ ففي ... فضلِكَ مأوىً للفضلِ والمِنَنِ
أتيتُ ما أستحقُّ من خطأٍ ... فجُدْ بما تستَحِقُّ مِنْ حَسَنِ

٢٨٨ ـ ورُوِيَ أن أعرابياً شكا إلى علي بن أبي طالب ﷺ شِدَّةَ لِحَقْته وضِيقَةَ حاله، وكثرةَ عياله، فقال له: عليك بالاستغفار؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢]. فعاد إليه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إني استغفرتُ كثيراً ولم أرَ فرجاً، فقال: لعلك لا تُحْسِنُ تستغفر، قال: علِّمني يا أمير المؤمنين، قال: أخلِصْ نيَّتَك وأطِعْ ربَّك، وقل: اللَّهمَّ إني أستغفرُك من كلِّ ذنبٍ قوي بدني بعافيتك، أو نالته قُدرتي بفضلِ نعمتِك، أو انبسطت إليه يدي بسائغ رزقِك، واتَّكَلْتُ فيه عند خوفي منه على أناتِك، ووثِقْتُ فيه بحلمِك ورحمتك. اللَّهمَّ إني

(١) البخاري (٦٣٠٦)، وما بين حاصرتين منه.

أستغفرك من كلِّ ذنبٍ خُنتُ فيه أمانتي، وآثرتُ فيه شهوتي، واجترأتُ فيه على مولايَ، فلم يؤاخذْني على فعلتي. يا صاحبي عند شدَّتي، ويا مُؤنسي في وحدتي، يا حافظي في غربتي، يا وليِّي في نعمتي، يا كاشفَ كُربتي، يا سامعَ دعوتي، يا راحمَ عَبرتي، يا مُقِيلَ عثرتي، يا فارجَ الهمِّ، يا كاشِفَ الغَمِّ، يا مُنزلَ القَطْرِ، يا مُجيبَ دعوةَ المضطرينَ، يا رحمنَ الدنيا والآخرة ورحيمَهُما، صلِّ على خِيرَتِك من خلقِك، محمدٍ النبيِّ وآله الطيبين، وفَرِّجْ عني ما ضاق به صدري، وقلَّتْ به حيلتي، وضعُفَتْ عنه قوتي.

٢٨٩ ـ ولأبي العتاهيه:

أستغفرُ اللَّهَ من جُرْمي ومِنْ حَنَقِي ... إنـي وإن كـنـتُ مـسـتـوراً لـخـطَّـاءُ
لـم تَبْكِ نفسَكَ أيَّامَ الحياةِ كما ... تخشى وأنتَ على الأمواتِ بَكَّاءُ

٢٩٠ ـ قال الأعمش: إنَّ الشيطان لا يزالُ بالإنسانِ حتى يُذنبَ، ثم لا يزالُ به الاستغفارُ حتى يُغْفَرَ له ذلك الذنبُ، وكلُّ ذنب إليه، فيقولُ الشيطانُ: ودِدْتُ أني لم أفعل.

* * *

٤٢ ـ بابُ التحميد

٢٩١ ـ قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل: ٥٩].

٢٩٢ ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام:١]

٢٩٣ ـ وروى مالك[1] عن نعيم بن عبد الله المُجْمِرِ، عن علي بن

---

(١) في الموطأ ١/٢١١-٢١٢، ومن طريقه رواه البخاري (٧٩٩).

يحيى الزُّرَقِيِّ، عن أبيه، عن رِفاعَةَ بنِ رافعٍ الزُّرَقِيِّ أنه قال: كنا نصلي وراء رسول الله ﷺ قال: فلما رفع رسولُ الله ﷺ رأسه من الركوع، فقال: «**سمِعَ اللَّهُ لمن حمدَه**»، قال رجل وراءه: ربَّنا ولك الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ المتكلمُ آنفاً**»؟ قال رجل: أنا يا رسولَ اللَّه، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيتُ بِضعةً وثلاثينَ ملَكاً يَبْتَدِرونها أيُهُم يكتُبها أولاً**».

٢٩٤ - ورُوِيَ عن عمرَ بن عبد العزيز أنه كان يقول: الحمد لله الذي مَنْ نطق سمع نُطقَه، ومن صمت علِم ما في نفسِه، ومن عاش فعليه رزقُه، ومن مات فإليه مصيرُه. أنا الفقيرُ الذي أغنيتَ، والجائعُ الذي أشبعتَ، والعاري الذي كسوتَ، والراجِلُ الذي حملتَ، والخائفُ الذي أمَّنْتَ. الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ خلقتَني كيف شئتَ، فارحمني كيفَ شئتَ، ووفِّقْني لطاعتِك حتى تكونَ ثقتي كلُّها بك، وخوفي كلُّه منك، وسرعتي كلُّها إليك. اللَّهمَّ حبِّب إليَّ الخيرَ لحبِّي له يومَ أرى ثوابَه، وبَغِّضْ إليَّ الشرَّ لبُغضي له يومَ أرى عقابَه؛ فإنَّ القومَ الذين رحِمتَهم كانت رحمتُك لهم قبلَ طاعتِهم لك، وقد قلتَ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فلْتَسَعني رحمتُك يا أرحمَ الرحمين.

٢٩٥ - وروى مالك بن أنس(١) عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي طلحةَ، عن أنس بن مالك قال: سمعت عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه سلَّم على رجلٍ، فردَّ عليه السلام، فقال عمر للرجل: كيف أنت؟ قال الرجل: أحمَدُ اللَّهَ إليك. قال عمر: هذه أردتُ منك.

٢٩٦ - وقال سعيد بن جبير: أولُ ما يُدعى إلى الجنةِ الذين يحمَدون اللَّهَ عز وجل على كلِّ حالٍ، أو قال: في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ.

---

(١) في الموطأ ٥٢٨.

٢٩٧ ـ وقال مالك بن أنس: كنت عند جعفر بن محمد، فدخل سفيانُ الثوريُّ، فقال له: حدثني حديثاً ينفعُني الله به، فقال: إذا أنعمَ اللَّهُ عليك بنعمةٍ، فأكثِرْ من حمدِ اللَّهَ، وإذا استبطَأتَ الرزقَ، فأكثِرْ منَ الاستغفارِ، وإذا نزل بك أمرٌ عظيمٌ عليك، فأكثِرْ من قول: لا حولَ ولا قوة إلا بالله. فقال سفيان الثوري: ثلاثٌ وأيُّ ثلاثٍ! فقال جعفر: عَقَلَهُنَّ وربِّ الكعبةِ.

٢٩٨ ـ ولمحمود بن حسن الوراق:

إذا كان شكري نعمةَ اللَّهِ نعمةً ... عليَّ له في مِثْلِها يجِبُ الشُّكرُ
فكيف بلوغُ الشكرِ إلاَّ بفضلِه ... وإنْ طالتِ الأيامُ واتَّصلَ العمرُ
إذا مسَّ بالسَّرَّاءِ عَمَّ سرورُها ... وإن مسَّ بالضَّرَّاءِ أعقبَها الأجْرُ
وما منهُما إلاَّ له فيه نِعمةٌ ... تضيقُ بها الأوهامُ والبَرُّ والبحرُ[1]

٢٩٩ ـ ولأبي العتاهية:

أحمدُ اللَّهَ وهو ألهمني الحمدُ ... على الحمدِ والمزيدُ لديهِ
كم زمانٍ بكيتُ منه فلمَّا ... صرتُ في غيرِه بكيتُ عليهِ

٣٠٠ ـ ولي في هذا المعنى:

الحمدُ للهِ ذي الآلاءِ والنِّعَمِ ... ومُبْدِعِ السَّمْعِ والأبصارِ والحِكَمِ
مَنْ يحمَدِ اللَّهَ يأتيه المزيدُ ومَنْ ... يَكْفُرْ فكمْ نِعَمٍ زالت إلى نِقَمِ
ومَنْ يدَعْ حمْدَهُ طوعاً فألسِنَةُ النُّ ... عْمَى عليه تُواليه على الرَّغَمِ

٣٠١ ـ ولمحمد بن حازم:

اللَّهَ أحمدُ شاكراً ... فبلاؤه حسنٌ جميلُ

(١) بهجة المجالس ١/٣١٧.

أصبحتُ مسروراً معافىً بين أنْعُمِهِ أجولُ
خِلْواً مِنَ الأحزانِ خَفَّ الظَّهْرُ يُقْنِعُنِي القَليلُ
حُرّاً فلا مَنٌّ لمخلوقٍ عليَّ ولا سبيلُ

٣٠٢ ـ ولبعض المتأخرين: حمد الله أفضل ما ابتُدِئَ به القولُ وتُمِّمَ، وافتُتِحَ به الخطابُ وخُتِمَ.

٣٠٣ ـ وأنشدوا[1]:

إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذن اللَّهِ رَيْثي وعَجَلْ
أحْمَدُ اللَّهَ فلا نِدَّ لهُ بيَدَيْهِ الخيرُ ما شاءَ فَعَلْ
مَنْ هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهتدى ناعِمَ البالِ ومَنْ شاءَ أضَلْ

٣٠٤ ـ ولي في هذا المعنى أيضاً:

الحمد لله حمدَ معترفٍ بأنَّ نُعماهُ ليس نحصيها
وأنَّ ما بالعبادِ مِنْ نِعَمٍ فإنَّ مولى الأنامِ مُوليها
وأنَّ شكري لبعضِ أنْعُمِهِ مِنْ خيرِ ما نِعمةٍ يُواليها

* * *

٤٣ ـ بابٌ في التسبيح

٣٠٥ ـ رُوِيَ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائةَ مرةٍ حُطَّتْ خطاياهُ وإنْ كانت مِثلَ زَبَدِ البحرِ»**[2].

٣٠٦ ـ وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **«كلمتانِ خفيفتانِ على**

---

(١) هو لبيد بن ربيعة، والأبيات في ديوانه ص ١٣٩.
(٢) البخاري (٦٤٠٥)، مسلم (٢٦٩١).

اللسانِ، ثقيلتانِ في الميزان، حبيبتانِ إلى الرحمنِ: سبحان اللَّهِ العظيمِ، سبحان اللَّهِ وبحمده»[١].

٣٠٧ - ورُوِيَ عن ربيعةَ بن كعبٍ الأسلميِّ، قال: أتيتُ أبِيتُ عندَ حُجَرِ النبي ﷺ فكنتُ أسمعُه إذا قام من الليل يقول: «**سبحانَ الله ربِّ العالمين**» الهَوِيَّ من الليلِ، ثم يقول: «**سبحان الله وبحمدِه**» الهَوِيَّ[٢].

٣٠٨ - وروى مالك[٣] عن أبي عُبيدٍ مولى سليمانَ بن عبد الملك، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة أنه قال: مَنْ سبَّح دُبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وكبَّر ثلاثاً ثلاثين، وحمِدَ اللَّهَ ثلاثاً وثلاثين، وختَمَ المائةَ بلا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرَتْ ذنوبُه ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحر.

٣٠٩ - ورُوِيَ عن ابن عباس أن النبي ﷺ مرَّ بجُوَيْرِيَّةَ بنتِ الحارث وهي في مُصَلَّاها تسبحُ وتذكرُ اللَّهَ، ثم إنه مرَّ بها بعد ما ارتفعَ النهارُ، فقال: «**يا جُوَيْرِيَّةَ، ما زلتِ في مكانك**»؟ قالت: ما زلتُ في مكاني منذ تعلَّمُ، قال: «**لقد تكلمتُ بأربعِ كلماتٍ أعذتهنَّ ثلاثَ مراتٍ، هي أفضلُ ممَّا قلتِ: سبحانَ الله عدد خلقه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلماته، والحمد لله كذلك**»[٤].

---

(١) البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد ٤/٥٧، والترمذي (٣٤١٦)، وابن ماجه (٣٨٧٩)، وصححه ابن حبان (٢٥٩٤و٢٥٩٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح. والهويُّ: الزمن الطويل.

(٣) في الموطأ ١/٢١٠، وهو موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن عبد البر في كتاب التمهيد ٢٤/١٦٠: هكذا هذا الحديث موقوف في الموطأ على أبي هريرة، ومثله لا يدرك بالرأي، وهو مرفوع صحيح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة من حديث أبي هريرة، ومن حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن حديث كعب بن عجرة وغيرهم بمعانٍ متقاربة. قلت: رواه مرفوعاً مسلم (٥٩٧).

(٤) مسلم (٢٧٢٦).

٣١٠ - وروى مالك[(١)] عن عُمارةَ بن صيَّادٍ، عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في الباقيات الصالحات: إنها قول العبد: الله أكبر وسبحان الله ولله الحمد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣١١ - ولمحمد بن حازم:

سبحان من سترَ القبيحَ ... ولم يزلْ برَّاً بعبدِهْ
لا تعجَبَنَّ لأحمقٍ ... نالَ الغِنَى مِنْ غيرِ كَدِّهْ
ولعاقِلٍ لم يستتبَّ ... فكلُّهم يسعى بجَدِّهْ[(٢)]

٣١٢ - ولصرمة بن أنس[(٣)]:

سبِّحوا اللَّهَ شَرْقَ كلِّ صباحٍ ... طَلَعَتْ شمسُه وكلِّ هلالِ
عالماً بالسِّرِّ والبيانِ لدينا ... ليس ما قال ربُّنا بضلالِ

٣١٣ - وأنشدوا:

سبحان مَنْ لا يخيبُ من قَصَدَهْ ... مَنْ قَصَدَ اللَّهَ صادقاً وجَدَهْ
قد شَمِلَ الخلْقَ فضلُ نِعمتِه ... كلٌّ إلى فضلِه يمدُّ يَدَهْ

٣١٤ - ولزيد بن عمرو أو لورقةَ بن نوفل:

سبحان ذي العرشِ سبحاناً يدومُ له ... ربُّ البريَّةِ فَرْدٌ واحدٌ صَمَدُ
سبحانَه ثم سبحاناً يعودُ له ... وقبلَنا سبَّحَ الجُودِيُّ والجَمَدُ

٣١٥ - ولأبي نواس:

سبحانَ مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ ... مِنْ ضعيفٍ مهينِ

(١) في الموطأ ١/ ٢١٠.
(٢) الأبيات في بهجة المجالس لابن عبد البر ١/ ١٨٨.
(٣) ويقال أيضاً: «ابن أبي أنس»، وسيرد بالاسمين في هذا الكتاب. وانظر: الإصابة لابن حجر ٣/ ٢٤١-٢٤٢.

فصاغَهُ في قرارٍ إلى قرارٍ مكينِ
يجولُ شيئاً فشيئاً في الحُجْبِ دون العُيونِ
حتى بدت حركاتٌ مخلوقَةٌ مِنْ سكونِ

* * *

٤٤ ـ باب في التهليل

٣١٦ ـ روى مالك في موطَّئه[١] عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ مائةَ مرةٍ، كانت له عِدْلَ عشرِ رقابٍ، وكُتِبَتْ له مائةُ حسنةٍ، ومُحِيَتْ عنه مائةُ سيئةٍ، وكانت له حِرزاً من الشيطانِ حتى يُمْسِيَ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ ممَّا جاءَ به إلاَّ أحدٌ عملَ أكثرَ من ذلك**».

٣١٧ ـ ورُوِيَ أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى طلحةَ حزيناً، فقال له: ما لك؟ قال: كلمةٌ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا يقولها أحدٌ عندَ موتِه إلا أشرقَ لها لونُه، ونفسَ عنه كَرْبَه، ورأى ما يسُرُّه**». قلت: فما منعني أن أسألَه عنها إلا القدرةُ عليها. قال عمر بن الخطاب: أنا أعلمُها. قال: وما هي؟ قال: تعلمُ كلمةً أفضل من كلمةٍ أرادَ عليها عمَّه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فقال طلحة: هيَ هيَ[٢]!.

٣١٨ ـ وروى مالكٌ عن طلحة بن عبيد اللَّه بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضلُ الدُّعاءِ دعاءُ يوم عرفةَ، وأفضلُ ما قلت أنا والنبيونَ قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»[٣].

---

(١) ١/ ٢٠٩. ومن طريق مالك رواه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد ١/ ١٦١، وابن ماجه (٣٧٦٩)، وصححه ابن حبان (٢٠٥)، والحاكم ١/ ٣٥٠-٣٥١، ووافقه الذهبي.

(٣) تقدم برقم ١١٤.

٣١٩ - وروى عُتبانُ بن مالك، قال: غدا عليَّ رسولُ الله ﷺ، فقال: «**لن يُوافي عبدٌ يومَ القيامة يقول: لا إله إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، إلاَّ حرَّم اللَّهُ تعالى عليه النارَ**»(١).

٣٢٠ - وروت يُسَيْرةُ، قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «**عليكُنَّ بالتسبيح والتهليلِ والتَّقديسِ، واعقِدْنَ بالأناملِ؛ فإنهنَّ مسؤولاتٌ مستنطَقاتٌ، ولا تغفَلْنَ فتَنْسَيْنَ الرحمةَ**»(٢).

٣٢١ - ويروى عن أنس قال: سمع رسول الله ﷺ في مسيرٍ له رجلاً يقول: الله أكبر، الله أكبر، قال: «**على الفطرة**»، قال: أشهد أن لا إله إلا اللَّهُ، قال: «**خرج من النار**»(٣).

٣٢٢ - ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال: إنَّ الله عز وجل قسَمَ بينكم أخلاقَكم كما قسَمَ بينكم أرزاقَكم، وإنَّ اللَّهَ يعطي المالَ مَنْ يحبُّ ومن لا يحبُّ، ولا يعطي الإيمانَ إلا من يحبُّ، فإذا أحبَّ اللَّهُ عبداً أعطاه الإيمانَ. فمن بخِلَ بالمالِ أن ينفقَه، وهابَ العدوَّ أنْ يجاهِدَه، فليُكْثِرْ من قولِ: لا إله إلا اللَّهُ، وسبحانَ اللَّهِ والحمد لله والله أكبر(٤).

٣٢٣ - قال عطاء بن أبي رباح: سألت ابنَ عباس عن قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، فقال: غافر الذنب لمن قال: لا إله إلا اللَّه، شديد العقاب لمن لم يقل: لا إله إلا اللَّه.

* * *

(١) البخاري (٦٤٢٣)، ومسلم (٣٣).
(٢) رواه أحمد ٦/ ٣٧١، وأبو داود (١٥٠١)، والترمذي (٣٥٨٣)، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٤٧، وصححه ابن حبان (٨٤٢).
(٣) مسلم (٣٨٢).
(٤) الأثر ضعيف الإسناد. رواه أحمد ١/ ٣٨٧، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٥). قال ابن عبد البر في التمهيد: هذا حديث حسن الألفاظ ضعيف الإسناد.

٤٥ ـ بابٌ في ذكر الله تعالى

٣٢٤ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

٣٢٥ ـ وقال عز وجل: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٣٢٦ ـ ورُوِيَ عن أبي موسى، قال: قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الذي يذكرُ اللَّهَ والذي لا يذكره مَثَلُ الحيِّ والميت»(١).

٣٢٧ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ للهِ ملائكةً يطوفون في الطُّرقِ يلتمسون أهلَ الذِّكرِ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادَوْا: هلمُّوا إلى حاجتكم. قال: فيحُفُّونهَم بأجنحتِهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألُهم ربُّهم، وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبِّحونَك، ويكبِّرونك، ويَحمَدونك، ويُمَجِّدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ [قال: يقولون: لا والله ما رأوْكَ. قال: فيقول: كيف لو رأوْني]؟ قال: يقولون: لو رأوْك كانوا لك أشدَّ عبادةً، وأشدَّ تمجيداً، وأكثرَ لك تسبيحاً. قال: فيقول: فما يسألوني؟ قال: يقول: يسألونك الجنةَ، قال: يقول: وهل رأوْها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوْها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً، وأعظمَ فيها رغبةً، قال: فمِمَّ يتعوَّذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوْها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوْها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ مخافةً. قال: فيقول: فأُشهِدُكم أني قد غفرتُ لهم. قال: يقول ملَكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنما جاء لحاجةٍ. قال: هُمُ الجلساءُ لا يشقى جليسهم»(٢).

---

(١) البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

(٢) البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

٣٢٨ - وروى أنس: «**لأن أجلس مع قوم يذكرون الله من غدوةٍ إلى طلوع الشمس أحب إليَّ مما طَلَعَتْ عليه الشمسُ**»[١].

٣٢٩ - وكان أنس إذا حدَّث هذا الحديثَ قال للرقاشي: والله ما هو بالذي تصنعُ أنت وأصحابُك، لكنهم قومٌ يتحلَّقون الحِلَقَ، ويتعلَّمون القرآنَ والفقه[٢].

٣٣٠ - وروى أبو هريرة: «**من اضطجعَ مضطجعاً لم يذكرِ اللَّهَ تعالى فيه، كان عليه تِرةً يومَ القيامةِ، ومن قام مقاماً لم يذكرِ اللَّهَ تعالى فيه كان عليه تِرةً يوم القيامة**»[٣].

٣٣١ - وقال أبو هريرة: «**ما اجتمع قومٌ فتفرَّقوا عن غيرِ ذكر اللَّه، إلا كأنما تفرَّقوا عن جِيفةِ حمارٍ، وكان ذلك المجلسُ حسرةً عليهم يوم القيامة**»[٤].

٣٣٢ - وروى مالكُ بن يَخامِر عن معاذِ بن جبلٍ أنه قال: «**إن خيرَ الأعمالِ وأقربَها إلى الله تعالى أن تموتَ ولسانُك رَطْبٌ من ذكرِ الله تعالى**»[٥].

٣٣٣ - ورُوِيَ عن أبي هريرة وأبي سعيد: «**ما جلس قومٌ يذكرون الله تعالى إلا حفَّتهُمُ الملائكةُ، وتنزَّلت عليهمُ السَّكينةُ، وتغشَّتهم الرحمةُ، وذكرهمُ اللَّهُ فيمن عندَه**»[٦].

---

(١) رواه بهذا اللفظ أبو يعلى (٤١٢٥)، وفي إسناده يزيد الرقاشي، وهو ضعيف. ورواه بلفظ مقارب أبو داود (٣٦٦٧)، وإسناده حسن.

(٢) مسند أبي يعلى (٤٠٨٨).

(٣) رواه أحمد ٢/ ٤٣٢، وأبو داود (٤٨٥٦و٥٠٥٩)، والترمذي (٣٣٨٠)، وصححه ابن حبان (٨٥٣)، والحاكم ١/ ٥١٤ ووافقه الذهبي.
التِّرَة: الحسرة والندامة.

(٤) رواه أحمد ٢/ ٣٨٩، وأبو داود (٤٨٥٥)، وصححه الحاكم ١/ ٤٩١-٤٩٢.

(٥) هو حديث مرفوع. رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢)، وصححه ابن حبان (٨١٨).

(٦) مسلم (٢٧٠٠).

٣٣٤ ـ وروى الحسن عن أنس: أن رسول الله ﷺ كان يخطُب يومَ الجمعةِ، ويُسند ظهرَه إلى خشبةٍ، فلما كثُر الناسُ، قال: «**ابنوا لي منبراً**». فبنَوْا له مِنبراً، فتحوَّل من الخشبةِ إلى المِنبرِ، فحنَّت، والله، الخشبةُ حنينَ الوالِهَة. قال: فقال أنس ابن مالك: وأنا واللهِ في المسجدِ أسمعُ ذلك، فواللهِ ما زالت تحِنُّ حتى نزلَ رسولُ الله ﷺ من المنبر، فمشى إليها فاحتضنها، فسكنتْ.

فبكى الحسن، وقال: يا معشرَ المسلمينَ، الخشبُ حنَّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، وإلى الذِّكرِ، أفليس الرجالُ الذين يرجون لقاءَه أحق بذلك[1]؟!

٣٣٥ ـ ويُروى أنَّ فيما أُوحِيَ إلى داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا داودُ، حبِّبْني إلى خلْقي، فقال: يا ربِّ، كيف أُحَبِّبُكَ إلى خلقك؟ فقال: تذكُرني لهم، فإنهم لا يذكرون مني إلا خيراً.

٣٣٦ ـ مالك[2]، عن زياد بن أبي زياد أنه قال: قال أبو الدرداء: «**ألا أخبرُكم بخيرِ أعمالِكم لكم، وأرفعِها في درجاتِكم، وأزكاها عند مليكِكم، وخيرٍ لكم من إعطاءِ الذهبِ والورِقِ، وخيرٍ لكم من أن تلقوْا عدوَّكم غداً فتضرِبوا أعناقَهم، ويضربوا أعناقَكم**»؟ قالوا: بلى. قال: «**ذكر الله**».

٣٣٧ ـ مالك[3] عن زياد بن أبي زياد قال: قال أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى.

---

(١) رواه أحمد ٣/٢٢٦، وصححه ابن خزيمة (١٧٧٦)، وابن حبان (٧٦٠٥).

(٢) في الموطأ ١/٢١١ موقوفاً على أبي الدرداء. ورواه مرفوعاً أحمد ٥/١٩٥، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وصححه الحاكم ١/٤٩٦.

(٣) الموطأ ١/٢١١. ورواه أيضاً الترمذي (٣٣٧٧)، وهو منقطع؛ لأن زياد بن أبي زياد لم يسمع من معاذ بن جبل.

٣٣٨ - وروى أبو هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرَني، فإن ذكرَني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ، ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرَّبَ إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبتُ منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة**»[١].

٣٣٩ - وقال ثابت البناني: إني لأعلمُ حين يذكرُني ربي، فارتاعوا وقالوا: أتعلمُ ذلك؟! قال: نعم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: إذا ذكرتُه ذكرني.

٣٤٠ - وقال أبو هريرة: إنَّ أهلَ السماء ليتراءَوْن بيوتَ أهلِ الأرض ما كان يُذْكَرُ فيها اسمُ الله كما تراءَوْنَ النُّجومَ في السماء بقدر ما يَذكُرُ الرجل، وكذلك ترونَه[٢].

٣٤١ - وقال عطاء: إن الصاعقةَ لا تصيب ذاكرَ الله تعالى.

٣٤٢ - وقال معاذ بن جبل: ليس يتحسَّر أهلُ الجنةِ على شيءٍ أكثرَ إلا على ساعةٍ مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها.

٣٤٣ - وروى منصور عن مالك بن الحويرث، قال: يقول الله تعالى: «**إذا شغلَ عبدي ثناؤه عليَّ عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**».

٣٤٤ - وقال الحسن: الذكرُ ذكران: ذكرٌ بينَك وبين نفسِك، ما أحسَنَه وأعظمَ أجرَه، وذكرُ اللَّهِ عند ما حرَّم أفضلُ.

٣٤٥ - وقال الفضيل: بلغَنا أن اللَّهَ عزَّ وجلَّ قال: ابنَ آدمَ، اذكُرْني بعدَ الصبح ساعةً، وبعدَ العصر ساعةً، أكْفِك ما بينهما.

٣٤٦ - وقال بعض العلماء: إن الله عزَّ وجلَّ يقول: أيّما عبدٍ اطَّلعت

---

(١) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) الزهد لابن المبارك (٩٦٣)، وفيه رِشدين بن سعد، وهو ضعيف.

علىٰ قلبه، فرأيتُ الغالبَ عليه التَّمسُّكَ بذكري، تولَّيتُ سياستَه، وكنتُ جليسَه ومُحادِثَه وأنيسَه.

٣٤٧ ـ وروى عونُ بن عبد الله عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال: إنَّ الجبلَ ليقولُ للجبلِ: يا فلانُ، هل مرَّ بك اليومَ ذاكرٌ للّهِ تعالى؟ فإن قال: نعم، سُرَّ به. ثم قرأ عبد الله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩١]. قال: أتُراها تسمع الزُّورَ ولا تسمعُ الخيرَ؟[١].

٣٤٨ ـ وروى جعفر بن زيد عن أنس بن مالك أنه قال: «**ما من صباحٍ ولا رواحٍ إلا ينادي بِقاعُ الأرض بعضُها بعضاً: أي جارةُ، هل مرَّ بكِ اليومَ عبدٌ يصلِّي أو يذكرُ اللَّه؟ فمِنْ قائلةٍ: لا، ومِنْ قائلةٍ: نعم. فإذا قالت: نعم، رأت لها بذلك فضلاً**»[٢].

٣٤٩ ـ وقال عون بن عبد اللَّه: نِعْمَ المجلسُ مجلسٌ تُذكَرُ فيه الحكمةُ وتُنشرُ فيه الرحمةُ.

٣٥٠ ـ وقال سفيان بن عيينة: إذا اجتمع قومٌ يذكرون الله عزَّ وجلَّ، اعتزل الشيطانُ والدنيا، فيقول الشيطان للدنيا: ألا تَرَيْ ما يصنعون؟ فتقول الدنيا: دعهُم، فلو قد تفرَّقوا لأخذتُ بأعناقِهم.

٣٥١ ـ ويُروى أن رجلاً قال للحسن: أشكو إليك قساوةَ قلبي. قال: أَذْنِه من مجالسِ الذِّكرِ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/١١٠، والطبراني في المعجم الكبير ٩/١٠٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٧٩: رجاله رجال الصحيح.

(٢) حديث ضعيف، رواه مرفوعاً: ابن المبارك في الزهد (٣٣٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥٦٢)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/١٧٤-١٧٥، وقال: غريب.

٣٥٢ ـ وسُئِل رجاءٌ عن قسوة القلب؟ فقال: أَدِمِ الذِّكرَ.

٣٥٣ ـ وسئل غيره، فقال: القلوبُ تصدأ كما يصدأ الحديدُ، فيكون جلاؤها الذكر وتلاوة القرآن.

٣٥٤ ـ وقال كعب الأحبار: حُصون المؤمنِ من الشيطانِ ثلاثةٌ: ذِكرُ الله تعالى، وقراءةُ القرآنِ، والمسجدُ.

٣٥٥ ـ ويروى عن الضَّحَّاكِ بنِ قيسٍ أنه قال: طلبتُ العبادةَ في كلِّ شيءٍ، فلم أجدْها في شيءٍ أفضلَ منها في مُجالسةِ أهلِ الذكرِ.

٣٥٦ ـ ورُوِيَ أنَّ لقمانَ قال لابنه: يا بُنيَّ، لا تتعلمِ العلمَ لتباهي به العلماءَ، وتُماري به السُّفهاء، وتُرائي به في المجالسِ، ولا تترُكِ العلمَ زُهداً فيه ورَغْبَةً في الجَهالةِ، فإذا رأيتَ قوماً يذكرون اللَّهَ عزَّ وجلَّ فاجلس معهم، إنْ تَكُ عالماً ينفعْك علمُك، وإنْ تكُ جاهلاً يزِدْكَ علماً. ولعلَّ اللَّهَ يطَّلِع إليهم بالرَّحمة فيصيبك بها معهم. وإذا رأيتَ قوماً لا يذكرون اللَّهَ عزَّ وجلَّ، فلا تجلسْ معهم؛ فإنك إن تَكُ عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكُ جاهلاً يزدك جهلاً، ولعلَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يطَّلعُ إليهم بسَخَطِهِ، فيصيبك بها معهم.

٣٥٧ ـ وروى الحسن بن نبهان عن أبي مسلم الخَوْلانيِّ: أنه دخل المسجدَ، فنظر إلى نفرٍ اجتمعوا حِلَقاً، فرجا أن يكونوا على خيرٍ وعلى ذِكْرٍ، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدِمَ غلامٌ لي فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: أنا جهَّزتُ غلامي. فنظر إليهم، فقال: سبحان اللَّهِ! هل تدرون ما مَثَلي ومَثَلُكُم؟ كمَثَلِ رجلٍ أصابه مطرٌ غزيرٌ وابلٌ، فالتفت فإذا هو بمِصراعَينِ عظيمين، فقال: لو دخلتُ هذا البيتَ حتى يذهبَ عني هذا المطرُ، فدخل فوجد بيتاً لا سقفَ له. جلستُ إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خيرٍ وذكرٍ، فإذا أنتم أصحابُ دنيا. فقام عنهم.

٣٥٨ ـ ورُوِيَ أن أبا العتاهية جلس في دكانِ ورَّاقٍ، فأخذ كتاباً، فكتب على ظهره:

فيا عجباً كيف يُعْصَى الإلـ ـهُ أو كيفَ يجحدُه جاحِدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحِدُ

فاجتاز أبو نُواس بالموضع، فرأى الأبيات، فقال: لمن هذه؟ لوَدِدْتُ أنَّها لي بجميعِ شعري.

* * *

٤٦ ـ بابٌ في فضل القرآن

٣٥٩ ـ وروى أبو عبد الرحمن السُّلَمي عن عثمان أن النبي ﷺ قال: «**خيرُكم مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه**»[١].

٣٦٠ ـ وروى أبو سعيد المَقْبُريُّ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنَ الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعطِيَ ما مثلُه آمَنَ عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[٢].

٣٦١ ـ وروى عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد اللَّه، قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُدٍ في ثوبٍ واحد، ثم يقول: «**أيُّهم أكثرُ أخذاً للقرآن**»؟ فإذا أُشيرَ إليه قدمه في اللحد. وقال: «**أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة**»، وأمر بدفنهم في دمائهم لم يُغَسَّلوا ولم يُصلِّ عليهم[٣].

٣٦٢ ـ وروى إبراهيم عن أُسَيْدِ بن حُضير، قال: بينما هو يقرأ بالليل سورة الكهف، وفرَسُه مربوطةٌ عنده، إذ جالتِ الفرسُ فسكتَ، فسكنتِ

(١) البخاري (٥٠٢٧).

(٢) البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

(٣) البخاري (١٣٤٣).

الفرسُ، فقرأ فجالتِ الفرسُ، فسكتَ وسكنتْ، ثم قرأ فجالتِ الفرسُ فانصرفَ. وكان [ابنه] يحيى قريباً منها، فأشفق أن تُصيبَه. [ولمَّا اجترَّه رفع رأسه إلى السماءِ حتى ما يراها] فلمَّا أصبح أخبر بذلك النبيَّ ﷺ فقال له: «**اقرأ يا ابنَ حُضَيرٍ، اقرأ يا ابن حُضَيرٍ**». قال: فأشفقتُ يا رسولَ اللَّهِ أن تَطَأ يحيى؛ كان قريباً منها، فانصرفتُ إليه، فرفعتُ رأسي إلى السماءِ، فإذا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أمثالُ المصابيحِ، فخرجتُ حتى لأراها. قال: «**وتدري ما ذاك**»؟ قال: لا. قال: «**تلك الملائكةُ دَنَتْ لصوتِك، ولو قرأتَ لأصبحتْ ينظرُ الناسُ إليها لا تتوارى منهم**»[١].

٣٦٣ ـ وروى عبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود، قال: قال النبي ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[٢].

٣٦٤ ـ وروى عُبيد بن حُنَين مولى آل زيد بن الخطاب، قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، فقال رسول اللَّه: «**وجبت**». فقال له: ماذا يا رسول اللَّه؟ فقال: «**الجنةُ**»، فقال أبو هريرة: فأردتُ أن أذهب إليه فأبشِّرَه، ثم فرِقْتُ أن يفوتَني الغداءُ معَ رسولِ اللَّه ﷺ فآثرتُ الغداءَ! ثم ذهبتُ إلى الرجلِ فوجدته قد ذهب[٣].

---

(١) مسلم (٧٩٦)، ورواه البخاري (٥٠١٨) تعليقاً، وما بين حاصرتين منه.

(٢) البخاري (٥٠٠٨ و ٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨).

قال ابن حجر في فتح الباري: قوله: «كفتاه»، أي: أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن، وقيل: أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقاً، سواء كان داخل الصلاة أم خارجها، وقيل: كفتاه شر الشيطان، وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن، وقيل: معناه: كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمَّنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهالهم ورجوعهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم.

(٣) حديث صحيح، رواه مالك في الموطأ ٢٠٨/١، ومن طريقه أحمد ٥٣٥/٢، والترمذي (٢٨٩٧)، والنسائي ١٧١/٢، والحاكم ٥٦٦/١، وصححه ووافقه الذهبي.

٣٦٥ ـ وروى أبو سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾. فلما أصبح جاء إلى رسولِ الله ﷺ فذكر ذلك له، وكأنَّ الرجلَ يتقالُّها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيدِه، إنها لتعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ**»(١).

٣٦٦ ـ وروى الضَّحَّاكُ المشرِقِيُّ عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبيُّ ﷺ لأصحابه: «**أيعجِزُ أحدُكم أن يقرأَ بثلُثِ القرآنِ في ليلةٍ**» ؟ فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أيُّنا يطيقُ ذلك يا رسولَ اللّه؟ فقال: «**اللهُ الواحدُ الصَّمدُ ثُلُثُ القرآنِ**»(٢).

٣٦٧ ـ وقالت عائشة رضي الله عنها: إن النبي ﷺ بعث رجلاً على سَرِيَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابِهِ في صلاتِهم، فيختِمُ بقل هو الله أحدٌ. فلمَّا رجعوا ذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال: «**سَلُوه: لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلك**». فسألوه، فقال: لأنها صفةُ الرحمنِ، وأنا أحبُّ أن أقرأَ بها. فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن اللَّهَ يحبُّه**»(٣).

٣٦٨ ـ وروى ابن شهاب عن حُمَيْدِ بنِ عبد الرحمن بن عوف أنه أخبره أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلث القرآن، وأن ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] تُجادِلُ عن صاحبِها(٤).

٣٦٩ ـ وروى أبو موسى أن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآنَ كالأُترُجَّة؛ طعمُها طيِّبٌ وريحها طيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأ القرآنَ كالتمرةِ؛ طعمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لها، ومَثَلُ الفاجِرِ الذي يقرأ القرآنَ كمَثَلِ الرَّيحانَةِ؛ ريحها طَيِّبٌ وطعمُها خبيثٌ، ومَثَلُ الفاجِرِ الذي لا يقرأ**

---

(١) البخاري (٥٠١٣).

(٢) البخاري (٥٠١٥).

(٣) البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

(٤) موطأ مالك ١/٢٠٩.

القرآنَ كمَثَلِ الحَنْظَلَةِ؛ طعمُها مُرٌّ ولا ريحَ لها»[1].

٣٧٠ - وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة، قال: وكَّلني رسولُ الله ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضانَ، فأتاني آتٍ، فجعلَ يحثُو من الطعامِ، فأخذتُه، وقلت: لأرفَعَنَّك إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: إني محتاجٌ وعليَّ عيالٌ، وبي حاجةٌ شديدةٌ، فقال: فخلَّيتُ عنه، فأصبحت، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرُك البارحةَ**» ؟ قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ، شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحِمْتُه، فخلَّيتُ سبيلَه. فقال: «**أما إنه قد كذَبَكَ، وسيعود**». فعرفت أنه سيعودُ لقولِ رسولِ الله ﷺ أنه سيعودُ، فرصدتُه فجعلَ يحثو من الطعامِ، فأخذته فقلتُ: لأرفَعَنَّكَ إلى رسولِ الله ﷺ. قال: دعني، فإني محتاجٌ وعليَّ عيالٌ، لا أعودُ، فرحمتُه فخلَّيتُ سبيلَه، فأصبحت. فقال لي رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرُك**» ؟ قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، شكا إليَّ حاجةً شديدةً وعيالاً، فخلَّيتُ سبيلَه. فقال: «**أمَا إنه قد كذَبَكَ وسيعود**». فرصدتُه الثالثةَ، فجعل يحثو من الطعامِ، فأخذته فقلتُ: لأرفَعَنَّكَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهذا آخرُ ثلاثِ مراتٍ، إنك تزعُم أنك لا تعودُ ثم تعودُ. قال: دعني أُعلِّمُك كلماتٍ ينفعُك اللَّهُ بها. قلت: ما هو؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشِك، فاقرأْ آيةَ الكرسيِّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختِمَ الآيةَ؛ فإنك لن يزالُ عليك من اللَّهِ حافظٌ، ولا يقربُك شيطانٌ حتى تُصبِحَ. فخلَّيتُ سبيلَه. فأصبحتُ فقال لي رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**ما فعل أسيرُك البارحةَ**» ؟ فقلت: يا رسولَ اللَّهِ، زعم أنه يعلِّمُني كلماتٍ ينفعُني اللَّهُ بها، فخلَّيتُ سبيلَه. قال: «**ما هي**» ؟ قال: قال: إذا أويتَ إلى فراشِك، فاقرأْ آيةَ الكرسيِّ من أولها حتى تختِمَ الآيةَ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: لن يزالَ عليك من الله حافظٌ، ولا يقربك الشيطانُ حتى تصبحَ. وكانوا أحرصَ شيءٍ على الخيرِ، فقال النبي ﷺ: «**أمَا**

---

(١) البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

إنه قد صدَقَكَ، وهو كَذوبٌ. تعلَمُ من يخاطبك منذ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هريرة»؟ قال: لا. قال: «**ذلك شيطان**»(١).

٣٧١ ـ وروى طلحةُ بن مُصَرِّف(٢): سألت عبدَ اللَّه بن أبي أوفى: أوصى النبي ﷺ؟ فقال: لا. فقلت: كيف؟ كتب على الناس الوصية ولم يوصِ. قال: أوصى بكتاب الله تعالى(٣).

٣٧٢ ـ وروى أبو سلمة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لنبيٍّ يتغنى بالقرآن**»(٤).

قال سفيان: يستغني به. وقال غيره: يجهر به(٥).

٣٧٣ ـ ورُوِيَ عن ابن مسعود أنه قال: «اقرؤوا القرآن؛ فإنكم تُؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات؛ أما إني لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن: ألف حرف، واللام حرف، والميم حرف»(٦).

٣٧٤ ـ ويُروى عن عبد الله بن عمرو أنه قال: من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه(٧).

---

(١) البخاري (٢٣١١) تعليقاً. ورواه موصولاً النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥٩).

(٢) في الأصل: وروى مطرف، وهو تحريف. والتصويب من البخاري ومسلم.

(٣) البخاري (٢٧٤٠)، ومسلم (١٦٣٤).

(٤) البخاري (٥٠٢٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٥) ونقل ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن ابن الجوزي، قال: اختلفوا في معنى قوله: «يتغنَّى» على أربعة أقوال: أحدها: تحسين الصوت، والثاني: الاستغناء، والثالث: التحزُّن ـ قاله الشافعي، والرابع: التشاغل به. ثم أورد ابن حجر أقوالاً أخرى غير ما ذكر عن ابن الجوزي.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١١٨/٦، والطبراني في المعجم الكبير ١٣٠/٩ عن عبد الله بن مسعود موقوفاً. ورواه مرفوعاً الترمذي (٢٩١٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧) رواه ابن أبي شيبة ١٢٠/٦ عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، وفيه إسماعيل بن رافع، وهو ضعيف، ثم إن في السند راوياً مجهولاً. ورواه مرفوعاً الطبراني كما في مجمع الزوائد ١٥٩/٧، وقال الهيثمي: فيه إسماعيل بن رافع، وهو متروك.
وصححه الحاكم في المستدرك ٧٣٨/١ من طريق أخرى.

٣٧٥ ـ ويُروى عن أبي هريرة أنه قال: البيتُ الذي يُتلى فيه كتابُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ اتَّسَعَ بأهلِه، وكثُر خيرُه، وحضرته الملائكةُ، وخرجت منه الشياطين، وإن البيتَ الذي لا يُتلى فيه كتابُ الله عزَّ وجلَّ، ضاقَ بأهلِه، وقلَّ خيرُه، وخرجت منه الملائكةُ، وحضرته الشياطين(١).

٣٧٦ ـ ويُروى عن أحمدَ بن حنبل أنه قال: رأيتُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ في النوم، فقلت: يا ربِّ، ما أفضلُ ما تقرَّبَ به المتَّقون إليك؟ قال: بكلامي يا أحمدُ، قال: قلت: بفهْمٍ أو بغيرِ فهمٍ؟ قال: بفهمٍ وبغير فهمٍ(٢).

٣٧٧ ـ ويُروى عن محمد بن كعب القُرَظِيِّ أنه قال في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩] قال: من بَلَغَهُ القرآنُ، فكأنما كلَّمه اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

٣٧٨ ـ وقال وُهَيْبُ بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديثِ والمواعظِ، فلم نجدْ شيئاً أردَّ للقلوب، ولا أشدَّ استجلاباً لها للحزن من قراءةِ القرآن، وتفَهُّمِه وتدبُّرِه.

٣٧٩ ـ وقال بعض العلماء: إن هذه القلوبَ تصدأُ كما يصدأُ الحديدُ. قيل: فما جلاؤها؟ قال: تلاوةُ كتابِ اللَّهِ تعالى، وكثرةُ ذكرِه(٣).

٣٨٠ ـ ورُوِيَ عن الحسن أنه قال: إن هذا القرآنَ قد قرأه عبيدٌ وصِبيان لا عِلْمَ لهم بتأويلِه ولم يأتوا الأمرَ من قِبَل أولِه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩] وما تدبُّرُ آياتِه إلا اتِّباعُه بعلمِه. أمَا واللهِ ما هو بحفظِ حروفِه وإضاعةِ حُدودِه، حتى إن أحدَهم ليقولُ: واللهِ لقد قرأتُ القرآنَ كلَّه فما سقطتُ منه حرفاً. وقد والله أسقطَهُ

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٧٩٠).

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/٣٤٧.

(٣) وقد ورد ذلك مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر، رواه القضاعي في مسند الشهاب (١١٧٨ و ١١٧٩)، وإسناده ضعيف جداً.

كلِّه؛ ما رُؤِيَ القرآنُ له في خُلُقٍ ولا عملٍ. إن أحدَهم ليقولُ: واللهِ إني لأقرأُ السورةَ في نَفَسٍ. ما هؤلاء بالقَرَأَةِ ولا العلماءِ ولا الحُكماءِ، ولا الوَرَعَةِ، متى كان القُرَّاءُ يقولون مثل هذا؟ لا أكثرَ اللَّهُ في الناسِ مثلَ هذا!.

٣٨١ ـ وقال الفضيل بن عياض: لا ينبغي لحاملِ القرآن أن يكون له حاجةٌ إلى أحدٍ، ولا إلى الخلفاءِ فمَنْ دونَهم، وينبغي أن تكونَ حوائجُ الخَلْقِ إليه. وحاملُ القرآن حاملُ رايةِ الإسلامِ، لا ينبغي له أن يلهُوَ مع من يلهو، ولا يسهُوَ مع من يسهو، ولا يلغُوَ مع من يلغو، ولا يجهلَ مع من يجهلُ، وأن يعفُوَ ويصفحَ.

٣٨٢ ـ وكان مالكُ بن دينار يقول: يا أهلَ القرآنِ، ماذا زرع القرآنُ في قلوبِكم، إن القرآنَ ربيعُ المؤمنِ، كما أنَّ الغيثَ ربيعُ الأرضِ.

٣٨٣ ـ وقال القاسمُ بن عبد الرحمن: قلت لبعض النُّسَّاكِ: ههنا أحدٌ يُؤْنَسُ به؟ فمدَّ يدَه إلى المصحف، فوضعه في حِجره، وقال: هذا.

٣٨٤ ـ وقال قتادةُ: لم يجالِسْ أحدٌ هذا القرآنَ إلاَّ قامَ بزيادةٍ أو نُقصانٍ؛ قال اللَّهُ تعالى: ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

٣٨٥ ـ وكان عِكرمةُ بنُ أبي جهل إذا نشرَ المصحفَ يُغشى عليه، فيقول: هو كلامُ ربي، هو كلامُ ربي.

٣٨٦ ـ وقال ابن مسعود: ينبغي لحاملِ القرآنِ أنْ يُعرَفَ بليلِه إذا الناسُ نائمون، وبنهارِه إذا الناسُ مُفطرونَ، وبحُزنِه إذا الناس يفرحون، وببُكائه إذا الناسُ يضحكون، وبصمتِه إذا الناسُ يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون[1].

(١) حلية الأولياء ١/١٣٠.

٣٨٧ ـ وقال عمرو بنُ مُرَّةَ: سمعتُ مجاهداً يقول: القرآنُ يشفعُ لصاحبِه يومَ القيامةِ؛ يقول: يا ربِّ، جعلتَني في جوفِه، فأسهرتُ ليلَه ومنعتُ جسدَه من شهوتِه، ولكلِّ عاملٍ مِنْ عملِه عَمالَةٌ. فيقول له: ابْسُطْ يدَك، فتُمْلأُ من رضوانِ اللَّه، فلا يسخَطُ عليه بعدَها، ويقال: اقرأْ وارْقَ، فيُرفَعُ بكلِّ آيةٍ درجة، ويُزادُ بكلِّ آيةٍ حسنة.

٣٨٨ ـ وقال ابن وهب: سمعت مالكاً يقول: إنِ استطعتَ أن تجعلَ القرآنَ إماماً فافعلْ، وهو الإمامُ الذي يهدي إلى الجنةِ.

٣٨٩ ـ وقال الشَّعبيُّ: إذا قرأتَ القرآنَ، فاقرأْهُ قراءةً تُسْمِعُ أُذنيك ويفقهُ قلبُك؛ فإن الأذنَ عدلٌ بين اللسانِ والقلبِ[١].

٣٩٠ ـ وقال أحمد بن أبي الحَواري: سمعتُ أبا سليمانَ الدَّارانيَّ يقول: ربما أقمتُ في الآيةِ الواحدةِ خمسَ ليالٍ، ولولا أنِّي أدعُ التَّفكُّرَ فيها ما جُزْتُها أبداً[٢].

٣٩١ ـ وقال: إنَّما يُؤتى أحدُكم مِنْ آيةٍ إذا ابتدأ السورةَ أراد آخرها.

٣٩٢ ـ ورُوِيَ عن الضَّحَّاكِ بن مُزاحِم أنه قال: ما مِنْ أحدٍ تعلَّم القرآنَ ثمَّ نسِيَهُ إلا بذنبٍ يُحدِثُه؛ وذلك بأنَّ اللَّهَ تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]. ونسيانُ القرآنِ من أعظمِ المصائبِ.

٣٩٣ ـ وقال الزهري: بلغَنا أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ مِن أحسنِ النَّاسِ صوتاً بالقرآنِ الذي إذا سمِعتَه يقرأ أُريتَ أنه يخشى اللَّهَ**»[٣].

---

(١) الزهد لابن المبارك (١١٩٨).
(٢) حلية الأولياء ٢٦٢/٩.
(٣) ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٩/٤ عن ابن عباس مرفوعاً، وقال عنه: غريب.

٣٩٤ ـ ورُوِيَ عن أمِّ سلمةَ أنها نعتَتْ قراءَةَ رسولِ الله ﷺ، فإذا هي تنعت قراءةً مُفَسَّرةً حرفاً حرفاً[١].

٣٩٥ ـ وروى ابنُ لُبابَةَ عنِ العُتبي، عنِ سَحنون أنه رأى عبدَ اللَّهِ بنَ القاسم في النوم، فقال: ما فُعِل بك؟ قال: وجدتُ عندَه ما أحببتُ. قال له: فأيُّ الأعمالِ وجدتَ أفضلَ؟ قال: تلاوةُ القرآنِ. قال: فقلتُ له: فالمسائلُ؟ فكان يشيرُ بأصبعهِ كأنَّه يلشِّيها[٢]. قلت: أسألُه عن ابنِ وهبٍ، فيقول لي: هو في عِلِّيِّينَ.

٣٩٦ ـ ولعبد اللَّه بن المعتز: وفضلُ القرآنِ على سائرِ الكلامِ معروفٌ غيرُ مجهولٍ، وظاهرٌ غيرُ خَفِيٍّ؛ يشهدُ بذلك عجزُ المتعاطين له، ووهَقُ[٣] المتكلِّفين، وتحيُّرُ الكذَّابين. وهو المَتاعُ الذي لا يُمَلُّ، والجديدُ الذي لا يَخْلَق، والحقُّ الصادقُ، والنورُ السَّاطعُ، الماحي الظُّلَمِ، ولسانُ الصِّدقِ، المبير[٤] للكذب، ونذيرٌ قدَّمته الرحمةُ قبل الهلاكِ، وناعي الدنيا المنقولةِ، ومبشِّرٌ بالآخرةِ المخَلَّدةِ، ودليلٌ إلى الجنة. إنْ أوجزَ كان كافياً، وإنْ أكثرَ كان مُذكِّراً، وإن أومأَ كان مُقنِعاً، وإن أطالَ كان مُفَهِّماً، وإن أمرَ فناصحاً، وإن حكمَ فعادلاً، وإنْ أخبَرَ فصادقاً، وإن بيَّن فشافياً. سِراجٌ تستضيءُ به القلوبُ، حلوٌ إذا تذوَّقَتْه العقولُ، بحرُ العلومِ، وديوانُ الحِكَمِ، وجوهَرُ الكَلِمِ، ونُزهَةُ المتوَسِّمين، نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ على محمدٍ خاتَمِ النبيين، فخَصَمَ الباطلَ وصدَعَ بالحقِّ، وتألَّف مِنَ النّفرةِ، وانتاشَ[٥] من الهلَكَةِ.

---

(١) رواه أحمد ٢٩٤/٦، وأبو داود (١٤٦٦)، والترمذي (٢٩٢٣)، والنسائي ١٨١/٢، وصححه ابن خزيمة (١١٥٨)، والحاكم ٣١٠/١، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) أي أنها لا شيء.
(٣) قال في القاموس: توهَّق فلاناً في الكلام: اضطره إلى ما يتحير فيه.
(٤) المبير: المهلك.
(٥) أي استخرج.

٣٩٧ ـ وقال بعضهم: القرآنُ حبلُ اللَّهِ الممدودُ، وعهدُه المعهودُ، وظِلُّه العميمُ، وصِراطُه المستقيمُ، الواضحُ سبيلُه، المرشدُ دليلُه. مَنِ استضاءَ بمصابيحِه أبصرَ ونجا، ومَنْ أعرضَ عنه ذلَّ وهوى. ما أهونَ الدنيا على مَنْ جعلَ القرآنَ إمامَه والموتَ أمامَه.

٣٩٨ ـ ولبعضهم:

اقرأْ مِنَ الوحيِ ما استطعتَ ولو في كلِّ يومٍ وليلةٍ وَرَقَهْ
فما تداوى العليلُ أكرمَهُ اللَّهُ بمثلِ القُرآنِ والصَّدَقَهْ

* * *

٤٧ ـ باب فضائل النبي ﷺ وسيرته وهديه

٣٩٩ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٤٠٠ ـ وقال الله عز وجل: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ١ ـ ٤].

٤٠١ ـ وقال تبارك اسمه وتعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ١ ـ ٤].

٤٠٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦].

٤٠٣ ـ وروى عطاء بن يسار: لقيتُ عبدَ اللَّه بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفةِ رسولِ الله ﷺ، قال: أجل واللهِ، إنه لموصوفٌ في التوراةِ ببعض صِفتِه في القرآن: يا أيها النبيُّ إنا أرسلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً

ونذيراً وحِرْزاً للأمِّيِّين، أنت عبدي ورسولي، سمَّيْتُك المتوكِّلَ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صَخَّابٍ في الأسواقِ، ولا يدفعُ بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو أو يغفرُ، ولن يقبِضَهُ اللَّهُ حتى يقيمَ به المِلَّةَ العوجاءَ بأن يقولوا: لا إله إلا اللَّه، ويفتحُ به أعيناً عُمْياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً[١].

٤٠٤ ـ وروى ربيعةُ، قال: سمعت أنساً يصفُ النبيَّ ﷺ، قال: كان رَبْعَةً من القومِ: ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ، أزهرَ اللونِ أَمْهَقَ ليس بأبيضَ، ولا آدم، ليس بجَعْدٍ قَطَطٍ ولا سَبْطٍ رَجِلٍ، أُنزِلَ عليه وهو ابنُ أربعينَ، فلبثَ بمكةَ عشرَ سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشرَ سنين، وتوفي وليس في رأسِه ولحيتِه عشرون شعرة بيضاءَ[٢].

٤٠٥ ـ وروى أبو إسحاقَ عن البراءِ، قال: سُئِلَ: أكانَ وجهُ النبيِّ ﷺ مثلَ السيفِ؟ قال: لا، بل مثل القمر[٣].

٤٠٦ ـ وروى ثابت عن أنس، قال: ما مَسِسْتُ حريراً ولا دِيباجاً أَليَنَ من كفِّ النبيِّ ﷺ[٤].

٤٠٧ ـ وروى عبد اللَّه بن أبي عُتبةَ عن أبي سعيد الخدري، قال: كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً مِنَ العذراءِ في خِدْرِها[٥].

٤٠٨ ـ وروى أبو إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب، قال: كان

---

(١) البخاري (٢١٢٥).

(٢) البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).
أزهر اللون: أبيض مشرب بحمرة. والأمهق: الأبيض الكريه البياض، والآدَم: الشديد السُّمرة. والقطط: الشعر شديد الجعودة. والسبط: الشعر المسترسل الذي ليس فيه شيءٌ من الجعودة. والشعر الرَّجِل: إذا لم يكن شديد الجعودة، ولا شديد السبوطة، بل بينهما. (انظر جامع الأصول ١١/٢٢٦، ٢٢٩).

(٣) البخاري (٣٥٥٢).

(٤) البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٥) البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

النبي ﷺ مربوعاً. لقد رأيته في حُلة حمراء، ما رأيت شيئاً أحسن منه[(١)].

٤٠٩ ـ وروى الأسود بن قيس: سمعت جندباً يقول: اشتكى النبيُّ ﷺ فلم يقُمْ ليلةً أو ليلتين، فأتته امرأةٌ، فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانَك إلا قد تركك، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾[(٢)] [الضحى: ١ ـ ٥].

٤١٠ ـ ورُوِيَ عن جابر بن عبد الله أنَّ امرأةً من الأنصارِ قالت لرسول الله ﷺ: يا رسولَ اللَّه، ألا أجعلُ لك شيئاً تقعُدُ عليه؛ فإنَّ لي غلاماً نجّاراً. قال: «**إن شئت**». قال: فعمِلت له المنبرَ. فلما كان يومُ الجمعةِ قعد النبيُّ ﷺ على المنبرِ الذي صُنِعَ له، فصاحتِ النخلةُ التي كان يخطُبُ عندَها حتى كادت أن تنشقَّ، فنزل النبيُّ ﷺ حتى أخذها فضمَّها إليه، فجعلت تئِنُّ أنينَ الصبيِّ الذي يُسَكَّتُ حتى استقرت. قال: بكتْ على ما كانت تسمعُ من الذِّكرِ[(٣)].

٤١١ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «**أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ منَ الأنبياء قبلي: نُصِرْتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ، وجُعِلَتْ ليَ الأرضُ مسجداً وطهوراً، وأيُّما رجلٍ من أمَّتي أدركتْهُ الصلاةُ فليُصَلِّ، وأُحِلَّت ليَ الغنائمُ، وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومِه خاصَّةً، وبُعثتُ إلى الناسِ كافَّةً، وأُعطيتُ الشفاعة**»[(٤)].

---

(١) البخاري (٣٥٥١)

(٢) البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٣) البخاري (٢٠٩٥).

(٤) رواه البخاري (٣٣٥ و ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

٤١٢ ـ وقال عبد اللَّه بن مسعود: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الجمعةِ شقتين، فقال النبيُّ ﷺ: «اشهدُوا»[(١)].

٤١٣ ـ وروى أنس بن مالك أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب بالمدينة، فقال: قحط المطر، فاستسقِ ربَّك. فنظرَ إلى السماءِ وما نرى من سحابٍ، فاستسقى، فنشأ السحابُ بعضُه إلى بعضٍ، ثمَّ مُطِرُوا حتى سالتْ مثاعِبُ المدينةِ، فما زالت إلى الجمعةِ المقبلةِ، ما تُقْلِعُ، ثم قام ذلك الرجلُ أو غيرُه والنبيُّ ﷺ يخطُبُ، فقال: غرِقنا، فادعُ لنا اللَّهَ يحبِسها عنا. فضحكَ، ثم قال: «**اللهم حوالَينا ولا علينا**» مرَّتين أو ثلاثةً، فجعل السَّحابُ يتصدَّعُ عن المدينةِ يميناً وشمالاً، يُمطِرُ ما حوالينا ولا يمطر منها شيء؛ يريهمُ اللَّهُ كرامةَ نبيِّه وإجابةَ دعوتِه[(٢)].

٤١٤ ـ وروى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة، قال النبي ﷺ: «**بينا أنا عندَ البيتِ بين النائم واليقظانِ، فأُتيتُ بطَسْتٍ من ذهب، مُلِئَ حكمةً وإيماناً، فشقَّ من النَّحرِ إلى مراقِّ البطنِ، ثم غُسلَ البطنُ بماءِ زمزمَ، ثم مُلئَ حكمة وإيماناً، وأُتيتُ بدابَّةٍ أبيضَ دونَ البغل وفوقَ الحمارِ: البراق، فانطلقتُ مع جبريل حتى أتينا السماءَ الدُّنيا، فقال: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيلَ: من معَك؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد أُرسلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ولنِعْمَ المجيءُ جاء. فأتيتُ على آدمَ فسلمتُ عليه، فقال: مرحباً بك من ابن ونبيٍّ، فأتينا السماءَ الثانيةَ. قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ولنعمَ المجيءُ جاء، فأتيت على عيسى ويحيى، فقالا: مرحباً بك من أخٍ ونبيٍّ. فأتينا السماءَ الثالثةَ. قيل: من هذا؟ قيل: جبريلُ. قيل: من معك؟ قيل: محمد. قيل: وقد أُرسلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ولنعمَ المجيءُ**

---

(١) البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) البخاري (٦٠٩٣)، ومسلم (٨٩٧).

جاءَ، فأتيتُ على يوسفَ، فسلمتُ عليه، فقال: مرحباً بك من أخٍ ونبيٍّ. فأتينا السماءَ الرابعةَ، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. فأتيت على إدريسَ، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخٍ ونبيٍّ. فأتينا السماءَ الخامسةَ. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به، ولنعمَ المجيءُ جاء. فأتينا على هارونَ فسلمت، فقال: مرحباً بك من أخٍ ونبيٍّ. فأتينا على السماءِ السادسةِ، قيل: من هذا. قيل: جبريلُ. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرسل؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ولنعم المجيء جاء. فأتيتُ على موسى فسلمتُ عليه. قال: مرحباً بك من أخٍ ونبيٍّ، فلمَّا جاوزتُ بكى، فقيل: ما أبكاكَ؟ قال: يا ربِّ، هذا الغلامُ الذي بُعِثَ بعدي، يدخل الجنةَ من أمَّتِه أفضلُ ممَّا يدخلُ من أمَّتي. فأتينا على السماءِ السابعةِ. قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرسل إليه؟ مرحباً به ولنعمَ المجيءُ جاء. فأتيت على إبراهيمَ، فسلمتُ عليه، فقال: مرحباً بك من ابنٍ ونبيٍّ، فرُفِعَ إليَّ البيتُ المعمورُ، فسألتُ جبريلَ، فقال: هذا البيتُ المعمورُ، يصلي فيه كلَّ يوم سبعون ألفَ مَلَكٍ إذا أُخرِجوا لم يعودوا آخرَ ما عليهم. ورفِعَتْ لي سِدرةُ المنتهى، فإذا نَبْقُها كأنه قِلالُ هَجَرَ، وورقُها كأنه آذانُ الفُيول، في أصلِها أربعةُ أنهار؛ نهران باطنان ونهران ظاهران. فسألتُ جبريلَ، فقال: أما الباطنان ففي الجنةِ، وأما الظاهران الفراتُ والنيلُ. ثم فُرِضَتْ عليَّ خمسون صلاةً، فأقبلتُ حتى جئتُ موسى، فقال: ما صنعتَ؟ قلت: فُرِضَتْ عليَّ الخمسون. قال: أنا أعلمُ بالناسِ منك؛ عالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجةِ، فإنَّ أمتَك لا تطيقُ، فارجِعْ إلى ربِّك فاسأله، فرجعت فسألته، فجعلها أربعينَ، ثم مثلَه، ثم ثلاثين، ثم مثلَه، فجعل عشرين، ثم مثلَه، فجعل عشراً، فأتيتُ موسى، فقال مثلَه، فجعلها خمساً، فأتيتُ موسى، فقال: ما صنعتَ؟ قلت: جعلها خمساً. فقال مثلَه. قلت:

سلَمتُ، فنُودِيَ: إنّي قد أمضيتُ فريضتي، وخفّفتُ عن عبادي، وأجزي الحسنةَ عشراً»[١].

٤١٥ - وروى عروة عن عائشة، قالت: قلت للنبيِّ ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومِ أُحدٍ؟ قال: «**لقد لقيتُ من قومِك، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ؛ إذ عرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ ياليل بنِ عبدِ كُلالٍ، فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفِقْ إلا وأنا بقرنِ الثَّعالبِ، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرت، فإذا فيها جبريلُ، فناداني، فقال: إن اللَّهَ قد سمع قولَ قومِك لك وما ردُّوا عليك، وقد بَعثَ إليك مَلَكَ الجبال لتأمُرَه بما شئتَ فيهم، فناداني مَلَكُ الجبالِ، فسلَّمَ عليَّ، ثم قال: يا محمد، فما شئتَ، إن شئتَ أن أُطبقَ عليهمُ الأخشبين**». قال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يُخرِجَ اللَّهُ من أصلابِهم من يعبدُ اللَّهَ وحده، لا يشرك به شيئاً**»[٢].

٤١٦ - وروى أبو صالح عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ مَثَلي ومَثَلَ الأنبياءِ من قبلي كمَثَلِ رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمَلَه إلاَّ موضعَ لَبِنَةٍ من زاويةٍ، فجعل الناسُ يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاَّ وُضِعتْ هذه اللبنةُ؟ فأنا اللبنةُ وأنا خاتَمُ النبيين**»[٣].

٤١٧ - وروى أبو رجاءٍ عن عمرانَ بنِ حُصين: أنهم كانوا معَ النبيِّ ﷺ في مسيرٍ، فأدلجوا ليلَتهم، حتى إذا كانوا في وجه الصُّبحِ، عرَّسوا فغلبتهم أعينُهم حتى ارتفعتِ الشمسُ، فكان أولَ من استيقظَ من منامه أبو بكر، وكان لا يوقظُ النبيَّ ﷺ من منامِهِ حتى يستيقظَ، [فاستيقظ عمرُ] فقعد أبو بكرٍ عند رأسه [فجعل] يكبِّرُ ويرفع صوته حتى استيقظَ النبيُّ ﷺ وصلى

---

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).
(٢) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).
(٣) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

بنا الغداةَ، فاعتزل رجلٌ من القوم لم يصلِّ معنا، فلما انصرف قال: «**يا فلان، ما منعك أن تصليَ معنا**»؟ قال: أصابتني جنابةٌ، فأمره أن يتيمَّمَ بالصَّعيد. ثم صلى. وجعلني رسولُ الله ﷺ في ركبٍ بين يديه وقد عطِشْنا عطشاً شديداً، فبينما نحن نسير، إذا نحن بامرأةٍ سادِلةٍ رجليها بين مزادتين[١]، فقلنا لها: أين الماءُ؟ فقالت: إنه لا ماءَ. قلنا: كم بين أهلِك والماءِ؟ قالت: يومٌ وليلةٌ. فقلنا: انطلقي إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ. قالت: وما رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فلم نملكها من أمرها حتى استقبلْنا بها النبيَّ ﷺ فحدثَتْه بمثلِ الذي حدَّثَتنا، غير أنها حدَّثَتْهُ أنها مُؤْتِمَةٌ[٢]، فأمر بمزادَتَيْها، فمسح في العزلاوين[٣]، فشرِبنا عِطاشاً أربعين رجلاً حتى رَوِينا، فملأْنا كلَّ قِربةٍ معنا وإداوةٍ، غير أنه لم نسقِ بعيراً وهي تكادُ تنضَرُّ من المَلْءِ. ثم قال: «**هاتوا ما عندَكم**»، فجمع لها من الكِسَر والتمرِ حتى أتت أهلها. قالت: لقيتُ أسحرَ الناسِ، أو هو نبيٌّ كما زعموا! فهدى اللَّهُ ذلك الصِّرْم بتِيكَ المرأةِ، فأسلمت وأسلموا[٤].

٤١٨ ـ وروى حُميدٌ عن أنس، قال: حضرتِ الصلاةُ، فقام من كان قريبَ الدَّارِ من المسجدِ يتوضأُ، وبقيَ قومٌ، فأُتِيَ النبيُّ ﷺ بمِخْضَبٍ من حجارةٍ فيه ماءٌ، فوضعَ يدَه، فصَغُرَ المِخْضَبُ أن يبسُطَ فيه كفَّه، فضمَّ أصابعَه ووضعها في المِخْضَبِ، فتوضأَ القومُ كلُّهم جميعاً. قلت: كم كانوا؟ قال: ثمانون رجلاً[٥].

٤١٩ ـ وروى إسحاقُ بنُ عبد اللَّه بن أبي طلحةَ عن أنس بن مالكٍ، قال: قال أبو طلحةَ لأمِّ سُلَيْمٍ: لقد سمعتُ صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفاً فيه

(١) المزادة: القربة.
(٢) أي ذات أيتام.
(٣) مثنى عزلاء، وهي مصب الماء من الراوية ونحوها.
(٤) البخاري (٣٥٧١)، ومسلم (٦٨٢).
(٥) البخاري (٣٥٧٥)، ومسلم (٢٢٧٩).

الجوع، فهل عندك من شيءٍ؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعيرٍ، ثم أخرجت خِماراً لها، فلفَّتِ الخبزَ ببعضه، ثم دسَّته تحت يدي، ولاثتني[1] ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبتُ به، فوجدتُ رسول الله ﷺ في المسجد معه الناسُ، فسلمتُ عليهم. فقال لي رسول الله ﷺ: «**أرسلك أبو طلحةَ**» ؟ فقلت: نعم. قال: «**بطعام**» ؟ قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معَه: «**قوموا**». فانطلقَ فانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ، فأخبرتُه، فقال: أبو طلحةَ: يا أمَّ سُليم، قد جاء رسولُ الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نُطعمُهم. فقالت: اللَّهُ ورسولُه أعلم. فانطلق أبو طلحةَ حتى لقيَ رسولَ الله ﷺ فأقبل رسولُ الله ﷺ وأبو طلحةَ معه، فقال رسول الله ﷺ: «**هَلُمِّي يا أمَّ سُليم ما عندَكِ**»، فأتتْ بذلك الخبزِ، فأمر به رسولُ الله ﷺ ففُتَّ وعصرتْ أمُّ سليم عُكَّةً[2] لها فأدَمَتْه، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء اللَّهُ أن يقولَ، ثم قال: «**ائذَنْ لعشرةٍ**»، فأذِنَ لهم، فأكلوا حتى شبعوا. ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذَنْ لعشرةٍ**»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا. ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا. ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأكل القومُ كلُّهم وشبعوا، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلا[3].

٤٢٠ - وروى إبراهيمُ النَّخَعيُّ عن علقمةَ، عن عبد اللَّه [بن مسعود][4]، قال: كنا نعُدُّ الآياتِ بركةً، وأنتم تعدُّونها تخويفاً. كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فقلَّ الماءُ، فقال: «**اطلبوا فضلةً من ماءٍ**»، فجاؤوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليل، فأدخل يدَه في الإناءِ، ثم قال: «**حيَّ على الطَّهورِ**

---

(١) أي لفتني.

(٢) العُكَّة: الوعاء الذي يكون فيه السمن.

(٣) البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠)، وسيكرره المصنف برقم (١٤٢٥).

(٤) في الأصل «عبد الله بن عباس»، وهو خطأ؛ فراوي الحديث هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح البخاري (٣٥٧٩)

المباركِ والبركةُ من الله». فلقد رأيتُ الماءَ ينبُع من بين أصابعِ رسول الله ﷺ. ولقد كنا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يأكلُ.

٤٢١ ـ وروى أبو معمر عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: «**اشهدوا**». وذهبت فرقة نحو الجبل[١].

٤٢٢ ـ وروى قتادةُ عن أنسٍ أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلةٍ مظلمةٍ، ومعهما مثلُ المصباحين يُضيئان بين أيديهما فلما افترقا، صار معَ كلِّ واحد منهما واحداً حتى أتى أهله[٢].

٤٢٣ ـ وروى الشعبي عن جابر أن أباه استُشهد يومَ أُحُدٍ وترك عليه ديناً، وترك ستَّ بناتٍ، فلما حضرَ جُذاذُ النخل، أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقلت: قد علمتَ أن والدي استشهدَ يومَ أُحدٍ، وترك دَيْناً كثيراً، وإني أحبُّ أن يراكَ الغُرماءَ، فقال: «**اذهب، فبَيْدِرْ**[٣] **كلَّ تمرٍ على ناحيةٍ**». ففعلتُ ثم دعوتُه، فلما نظروا إليه، كأنما أُغْرُوا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون، أطافَ حول أعظمِها بيدراً ثلاثَ مراتٍ، ثم جلس عليه، ثم قال: «**ادعُ لك أصحابك**». فما زال يكيلُ لهم حتى أدَّى اللَّهُ عن والدي أمانتَه، وأنا أرضى أن يؤديَ اللَّهُ أمانةَ والدي ولا أرجِعُ إلى أخواتي بتمرةٍ، فسلَّم اللَّهُ البيادرَ كلَّها، وحتى كأني أنظر إلى البيدرِ الذي كان عليه رسول الله ﷺ كأنها لم ينقُص منها تمرةٌ واحدةٌ[٤].

٤٢٤ ـ وروى سعدُ بنُ أبي وقاصٍ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يوم أحدٍ ومعه رجلان يقاتلان عنه ـ وعليهما ثيابٌ بِيضٌ ـ كأشدِّ القتالِ، ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ[٥].

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٤١٢).
(٢) البخاري (٤٦٥و٣٦٣٩و٣٨٠٥)، وسيكرره المصنف برقم (٥٧٨).
(٣) أي اجعل كلَّ صنف في بيدر.
(٤) البخاري (٢٧٨١).
(٥) البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦).

٤٢٥ ـ وروى أيمنُ وسعيدُ بن ميناء عن جابر. يدخل بعضُهم في حديثِ بعضٍ. قال: كنا يومَ الخندقِ نحفِر، فعرضت كُدْيَةٌ[١] شديدةٌ، فجاؤوا النبيَّ ﷺ فقالوا: هذه كديةٌ عَرَضَتْ في الخندق، فقال: «**أنا نازلٌ**»، فقام وبطنُه معصوبٌ بحجر، ولبِثنا ثلاثةَ أيام لا نذوقُ ذواقاً. فأخذ النبيُّ ﷺ المِعْوَلَ فضرب، فعادت كَثِيباً أهْيَلَ أو أهيمَ[٢]، فقلت: يا رسولَ اللَّهِ، ائذن لي إلى البيتِ، فقلتُ لامرأتي: رأيتُ بالنبي ﷺ خَمْصاً[٣] شديداً، ما في ذلك صبرٌ. فهل عندكِ شيءٌ؟ فأخرجت إليَّ جِراباً فيه صاعٌ من شعير، ولنا بهيمةٌ داجِنٌ، فذبَحْتُها وطَحَنَتْ، ففرغَت إلى فراغي، وقطعتها في بُرمتِها، ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضَحْني برسول الله ومن معَه. فجئتُ، فقلت: طُعَيِّمٌ، فتعال يا رسولَ الله ورجلٌ أو رجلان. قال: «**كم هو**»؟ فذكرت له. قال: «**كثيرٌ طيِّبٌ**». قال: «**قل لها لا تنزِعِ البُرْمَةَ ولا الخبزَ من التَّنُّور حتى آتيَ**». ثم قال: «**يا أهلَ الخندق، إن جابراً قد صنع سُؤْراً**[٤]**، فحيَّ هلاً بكم**». فجئتُ وجاء رسولُ الله ﷺ يقدُمُ الناسَ حتى جئت امرأتي، فقلت: قد جاء رسول الله ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومَنْ معَهم. قالت: هل سألَك؟ قلتُ: نعم. فأخرجتْ له عجيناً، فبصَقَ فيها وبارك، ثم قال: «**ادعُ خابزةً فلتَخبِزْ معي، واقدَحي من بُرْمَتكم**». وقال: «**ادخُلوا ولا تضاغطوا**»، فجعل يكسِرُ الخبز ويجعلُ عليه اللحمَ، ويُقَرِّبُ إلى أصحابِه. فلم يزلْ يفعل ذلك حتى شبعوا وهم ألفٌ. قال جابر: فأُقسمُ باللهِ لأَكَلُوا حتى تركوه، وانحرفوا وإنَّ بُرْمَتَنا لتَغُطُّ كما هي، وإن عجينَنا ليُخْبَزُ

(١) القطعة الصلبة من الأرض.
(٢) انهال الرمل: إذا سال وجرى. والأهيم من الرمل: الذي يكون تراباً دقاقاً يابساً. انظر جامع الأصول ١١/٣٥٥.
(٣) أي أن بطنه ضامر من الجوع.
(٤) السُّؤر: لفظة فارسية معناها الوليمة والطعام الذي يدعى إليه. (جامع الأصول ١١/٣٥٥).

كما هو. فقال: «**كلي هذا وأهدي، فإنَّ الناسَ أصابتهُم مجاعةٌ**»[١].

٤٢٦ ـ وروى سالم بن أبي الجعد عن جابر، قال: عطشَ الناسُ يومَ الحُديبيةِ ورسولُ الله ﷺ بين يديه ركوةٌ، فتوضَّأ منها ثمَّ أقبلَ الناسُ نحوَه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما لكم**»؟ قالوا: يا رسول اللَّه، ليس عندَنا ما نتوضَّأُ به ولا نشربُ إلا ما في رَكْوَتِك. قال: فوضع النبيُّ ﷺ يدَه في الركوةِ، فجعل الماءُ يفورُ من بين أصابِعه كأمثالِ العيون، فشربنا وتوضأنا. فقلتُ لجابرٍ: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا؛ كنا خمسَ عشرةَ مئةٍ[٢].

٤٢٧ ـ وروى عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه: كنا مع رسول الله ﷺ في غَزاةٍ، فأصاب الناسَ مخمَصَةٌ، فاستأذن الناسُ رسولَ الله ﷺ في نحر بعض ظُهُرهم، وقالوا: يُبَلِّغُنا اللَّهُ عزَّ وجلَّ. فلما رأى عمرُ بن الخطاب أن رسولَ الله ﷺ قد أذِن لهم في بعض إبلِهم، قال: يا رسول اللَّه، كيف بنا إذا نحن لقِينا العدوَّ غداً رجالاً جياعاً؟ ولكن إن رأيتَ يا رسول الله أن تدعُوَ الناسَ ببقايا أزوادِهم فتجمعها، ثم تدعو الله عز وجل بالبركةِ؛ فإن الله عز وجل سينفعُنا بدعوتِك. فدعا رسولُ الله ﷺ الناسَ ببقايا أزوادِهم، فجعل الناسُ يجيؤون بالحَثْيَةِ من الطعامِ وفوقَ ذلك، فكان أعلاهُم من جاءَ بصاعٍ من تمرٍ، فجمعها رسولُ الله ﷺ، ثم قام، فدعا بما شاءَ أن يدعُوَ، ثم دعا الجيشَ بأوعيتِهم، وأمرهم أن يجيؤوا، فما بقيَ في الجيش وِعاءٌ إلا ملأهَ، وبقيَ مثله، فضحكَ رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجِذُه، فقال: «**أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله، لا يلقى اللَّهَ عزَّ وجلَّ عبدٌ مؤمنٌ بهما إلا حُجِبَتْ عنه النارُ يومَ القيامةِ**»[٣].

---

(١) البخاري (٤١٠١ و ٤١٠٢)، ومسلم (٣٠٧٠)، وقد دمج المؤلف رحمه الله حديثي البخاري بعضهما مع بعض كما أشار إلى ذلك.

(٢) البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).

(٣) حديث صحيح. رواه أحمد ٣/٤١٧ ـ ٤١٨، وصححه ابن حبان (٢٢١)، والحاكم ٢/٦١٨ ـ ٦١٩، ووافقه الذهبي.

٤٢٨ ـ وروى يزيدُ بن أبي عُبيد، قال: رأيتُ ضربةً في ساقِ سَلَمَةَ بن الأكوعِ، فقلت له: يا أبا مُسلم، ما هذه الضربةُ؟ قال: هذه ضربةٌ أصابتها يومَ خيبرَ، فقال الناسُ: أُصيبَ سَلَمَةُ، فأتيتُ إلى النبيِّ ﷺ فنَفَثَ فيها ثلاثَ نَفَثَاتٍ، فما اشتكيتُها حتى الساعةَ[1].

٤٢٩ ـ قال الأصمعيُّ: أمدحُ (ما) قالته العربُ وأصدقُه قولُ كعبِ بن زهير يمدحُ النبيَّ ﷺ:

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الأَدْماءُ[2] مُعْتَجِراً[3] ... بالبُرْدِ كالبدرِ جلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
وفي عِطافَيْهِ أو أَثْناءِ بُرْدَتِه ... ما يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ ومِنْ كَرَمِ

٤٣٠ ـ وذكر أعرابيٌّ رسولَ الله ﷺ، فقال: بأبي وأمي رسولُ ربِّ العالمين وسيدُ المرسلين، خُتِمَتْ به الدنيا، وفُتِحَتْ به الآخرةُ ﷺ فيه يُبدَأُ الذكرُ الجميلُ ويُخْتَمُ.

٤٣١ ـ ولكعب بن زهير فيه ﷺ:

نُبِّئْتُ أنَّ رسول الله أوعدني ... والعفوُ عند رسول الله مأمولُ
مهلاً هداكَ الذي أعطاك نافلة الـ ... قرآن فيه مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذَنِّي بأقوال الوُشاةِ ولم ... أُذنِبْ ولو كثُرَت فيَّ الأقاويلُ
يسعى الوُشاةُ بجنبيها وقيلُهمُ ... إنك يا ابن أبي سلمى لمقتولُ
وقال كلُّ خليلٍ كنت آمُلُه ... لا أُلهِيَنَّكَ إني عنك مشغولُ
فقلت خلُّوا سبيلي لا أبا لكمُ ... فكلُّ ما قدَّر الرحمنُ مفعولُ
كلُّ ابنِ أنثى وإن طالتْ سلامتُه ... يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ

---

(١) البخاري (٤٢٠٦).

(٢) قال في القاموس المحيط (أدم): الأُدمة في الإبل: لون مُشرب سواداً أو بياضاً، أو هو البياض الواضح.

(٣) الاعتجار: لبس العمامة دون التلحّي. القاموس المحيط (عجر).

إنـي أقـومُ مَـقـامـاً لـو يـقـومُ بـه ... أرى وأسمعُ ما لا يسمعُ الفيلُ
لـكـان يُـرعِـدُ إلا أن يـكـونَ لـه ... من الرسولِ بإذنِ اللَّهِ تنزيلُ
حتى وضعتُ يميني لا أُنازِعُه ... في كفِّ ذي نَقَماتٍ قِيلُه القِيلُ
لَذاك أهْيَبُ عندي إذ أكلِّمُه ... وقيل إنك منسوبٌ ومسؤولُ
مِنْ ضَيْغمٍ من ضواري الأُسْد مَخْدَرُهُ ... ببطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونه غِيلُ[١]
إن الرسول لنورٌ يُستضاءُ به ... وصارمٌ من سيوف الله مسلولُ
وجامعٌ شملَ دينِ الله مفترقاً ... وواصلٌ حبلَ دينِ الله موصولُ
وناقلُ الناسِ من غَيٍّ إلى رَشَدٍ ... وليس للغَيِّ عند ذي الغَي تحويلُ

٤٣٢ ـ وقال حسان بن ثابت يمدحه ﷺ:

عَدِمنا خيلَنا إن لم تَرَوْها ... تُثيرُ النَّقعَ موعدها كَداءُ
ينازِعْنَ الأعِنَّةَ مُغْضَباتٍ ... على أكنافنا الأسل الظماءُ
تظل جيادُنا متمطِّراتٍ[٢] ... يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النساءُ
فإمَّا تُعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتحُ وانكشف الغِطاءُ
وإلا فاصبروا لجِلاد يوم ... يُعزُّ الله فيه من يشاءُ
وجبريلٌ أمين الله فينا ... وروح القُدْس ليس له كِفاءُ
وقال الله قد أرسلت عبداً ... يقول الحقَّ إن نفَع البلاءُ
شهدتُ به فقوموا صدقوه ... فقلتم لا نقومُ ولا نشاءُ
ألا أبلِغْ أبا سفيان عني ... مُغلغَلةً فقد برِح الخفاءُ
هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاءُ
نبيَّاً يسبق النبلاءَ فضلاً ... ويغرَقُ في الثناء له الثناءُ
أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ ... فشرُّكما لخيرِكما الفداءُ

(١) الضيغم: الأسد. ومخدر الأسد: غابته. وعثَّر: اسم موضع تكثر فيه الأسود، والغيل: الشجر الكثيف الملتف..

(٢) متمطرات: مصونات.

هـجـوت مـبـاركـاً بـرّاً حـنـيـفـاً ... أمـيـنَ الله شـيـمـتُـه الـوفـاءُ
فـمـن يـهـجـو رسـولَ الله مـنـكـم ... ويـمـدحُـه ويـنـصُـره سـواءُ
فـإنَّ أبـي ووالـدَه وعِـرضـي ... لـعـرضِ مـحـمـدٍ مـنـكـم وِقـاءُ
لـسـانـي صـارمٌ لا عـيـبَ فـيـه ... وبـحـري لا تـكـدِّرُه الـدِّلاءُ

٤٣٣ ـ ولأعشى بكر ميمون بن قيس يمدحه ﷺ:

ألا أيُّهذا السائلي أين يمَّمَتْ[(١)] ... فإنَّ لها في آلِ يثربَ موعدا
أجَدَّتْ برجليها نَجاءً وراجعتْ ... يداها خِنافاً ليناً غيرَ أحرَدا[(٢)]
فإمَّا إذا ما أدلجتْ فترى لها ... رقيبينِ لحماً لا يغيبُ وفرقدَا
وفيها إذا ما هَجَّرت عَجْرَفِيَّةٌ ... إذا خِلْتَ حِرباءَ الوَديقَةِ أصيَدَا[(٣)]
متى ما تُناخي عند بابِ ابنِ هاشمٍ ... تُراحي وتَلْقَى من فواضِلِه ندى[(٤)]
فآليتُ لا أرثي لها من كَلالَةٍ ... ولا من وَحَىً حتى تُلاقي محمدا[(٥)]
نبيٌّ يرى ما لا ترَوْن وذكرُه ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا[(٦)]
به أنقذَ اللَّهُ الأنامَ من العَمَى ... وما كان فيهم من يريغ[(٧)] إلى هدى
له صدقات ما تُغِبُّ[(٨)] ونائلٌ ... وليس عطاءُ اليومِ مانِعَه غدا
أَجِدَّكَ لم تسمعْ وَصاةَ محمدٍ ... نبيِّ الإلهِ حين أوصى وأشهدَا

---

(١) يممت: قصدت وتوجهت.
(٢) أجدت: أسرعت. النجاء: السرعة في السير. الخناف: ميل الدابة بيديها في أحد شقيها من النشاط. أحردا: من الحرد، وهو داء يصيب قوائم الإبل.
(٣) هجرت: سارت في الهاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر. العجرفية في الناقة: قلة مبالاة لسرعتها. الوديقة: شدة الحر. أصيد: مائل العنق.
(٤) تراحي: من الراحة. والندى بمعنى الجود والسخاء.
(٥) آليت: حلفت. كلالة: تعب. الوحى: السرعة.
(٦) أغار وأنجد: أي وصل المكان المنخفض وهو الغور، والمرتفع وهو النجد. ويعني أن ذكر رسول الله ﷺ بلغ كل مكان.
(٧) يريغ: أي يريد الهدى ويطلبه.
(٨) تغب: تبطئ.

إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى ... ولاقيتَ بعد اليومِ من قد تزوَّدا
ندِمْتَ على أن لا تكونَ كمثلِه ... فتُرْصِدَ للأمرِ الذي كان أَرصدا
فسبِّحْ على حينِ العشِيَّاتِ والضُّحى ... ولا تَحْمَدِ الشيطانَ واللهَ فاحْمَدَا
ولا تَسْخَرَنْ من بائسٍ ذي ضَرارةٍ[1] ... ولا تحسبنَّ المالَ للمرءِ مُخْلِدا

٤٣٤ ـ وقال النابغةُ الجعديُّ، وهو قيس بن عبد اللَّه بن عمرو:

أتينا رسولَ اللَّهِ إذ جاء بالهُدى ... ويتلو كتاباً كالمجَرَّةِ نَيِّرَا
أُقيمُ على التَّقوى وأرضى بفعلِه ... وكنتُ من النار المَخُوفَةِ أزْجَرا

٤٣٥ ـ وروى عُبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود عن عبد اللَّه بن عباس، قال: كان النبي ﷺ أجودَ الناسِ بالخيرِ، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأنَّ جبريلَ كان يلقاه كلَّ ليلةٍ من شهر رمضانَ حتى ينسلخَ، فيعرِضُ عليه رسولُ الله ﷺ القرآنَ، فإذا لقيَه جبريلُ كان أجودَ بالخيرِ من الريحِ المرسلةِ[2].

٤٣٦ ـ وروى جامعُ بن شدَّادٍ، قال: كان رجلٌ منَّا يُقال له طارقٌ، قال: رأيت النبيَّ ﷺ مرتين؛ رأيتُه بسوق ذي المجاز وقد دَمِيَتْ عُرقوباه وهو يقو: «**يا أيها الناسُ، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»، ورجلٌ من خلفِه يرميه ويقول: هذا الكذابُ لا تسمعوا منه. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا محمدٌ، وهذا أبو لهبٍ عمُّه. قال: ثم قدمنا المدينةَ بعد ذلك، فخرج إلينا النبيُّ ﷺ فقال: «**مَنِ القومُ**» ؟ فقلنا: محارب. فقال: «**من أين أنتم**»؟ قلنا: منَ الرَّبَذَةِ ومن حولِها، قال: «**معكم شيءٌ تبيعونه**» ؟ قلنا: نعم؛ هذا البعير، قال: «**بكم**» ؟ قلنا: بكذا وكذا وسَقَاً من تمرٍ. فأخذ خِطامَه وانطلق إلى المدينةِ، فقلنا: ما صنعنا؟ بعنا البعيرَ من رجلٍ لا ندري من هو، ومعَنا

(١) الضرارة: من الضرر، ويكون في نقص المال والولد، وهو العمى أيضاً.
(٢) البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

ظعينةٌ في جانب الخِباءِ، فقالت: أنا ضامنةٌ لثمنِ البعيرِ، رأيتُ وجهَ رجلٍ مثلَ القمر ليلةَ البدرِ لا يَخيسُ بكم. قال: فأصبحنا، فجاء رجل معه تمرٌ، فقال: أنا رسولُ رسولِ الله إليكم، يأمرُكم أن تأكلوا من هذا التمر، وأن تكتالوا حتى تستوفوا، قال: ففعلْنا، فدخلنا المدينةَ، فرأيت النبيَّ ﷺ وهو يقول: «**يا أيها الناسُ، اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى، وابدأ بمن تعول: أمَّكَ وأباك، وأختَك وأخاك، أدناك أدناك**»[(١)].

٤٣٧ ـ قال مالك: إنَّ رجلين كانا جالسين يتحدثان وكعبُ الأحبار قريبٌ منهما، فقال أحدهما لصاحبه: إني رأيت في المنام كأنَّ الناسَ جُمِعوا ليوم القيامة، فرأيتُ النبيين لهم نوران نوران ولأتباعهم نورٌ نور. قال: ورأيتُ النبيَّ ﷺ ما من شعرةٍ في جسدِه ولا رأسِهِ إلا وفيها نورٌ، ورأيتُ أتباعَه لهم نوران نوران. فقال له كعب: اتَّقِّ اللَّهَ وانظر ماذا تحدث به! فقال: إنما هي رؤيا أُرِيتُها. فقال كعب: والذي نفسي بيده، إنه في كتاب الله المنزَلِ لكَما ذكرتَ.

٤٣٨ ـ وروى أبو إسحاق السَّبيعي عن صِلَةَ بنِ زُفَرَ، عن حذيفة بن اليمان، قال: يجمعُ الله عز وجل الخلقَ والخلائقَ في صعيدٍ واحدٍ، حتى يُسْمِعَهُمُ الدَّاعي، ويُنْفِذَهُمُ البصرُ، حُفاةً عُراةً كما خُلِقوا، فلا تَكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذنه. فيُقال: أين محمد؟ فيقول: «**لبيك وسعديك والخيرُ في يديك، والشرُّ ليس إليك، أو قال: ليس لديك، والمهديُّ من هديتَ، بك وإليك، لا ملجأَ منك ولا منجى إلاَّ إليك، تباركت ربَّ البيت**». وهو المقام المحمود الذي قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾[(٢)] [الإسراء: ٧٩].

---

(١) حديث صحيح. رواه النسائي ٨/٥٥، وصححه ابن حبان (٦٥٦٢)، والحاكم ٢/٦١١ ـ ٦١٢، ووافقه الذهبي، وطارق راوي الحديث: هو ابن عبدالله المحاربي ﷺ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/١٣٩، والطبري في التفسير ١٥/١٤٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٧٧، وقال: رواه البزار موقوفاً، ورجاله رجال الصحيح.

٤٣٩ - وعن أنس بن مالك: لما كان اليومُ الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينةَ، أضاءَ منها كلُّ شيءٍ، فلمَّا كان اليومُ الذي مات فيه، أظلم منها كلُّ شيءٍ، وما نفَضْنا عن رسولِ الله ﷺ الأيديَ حتى أنكَرْنا قلوبَنا(١).

٤٤٠ - ويُروى أن عمرَ ﷺ سُمِعَ بعد وفاةِ النبي ﷺ يقول وهو يبكي: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، لقد كان لك جِذْعٌ تخطُب الناس عليه، فلمَّا كثُرَ الناسُ، اتَّخذتَ مِنبراً تُسمعُهم، فحنَّ الجِذع لفِراقك، حتى جعلتَ يدك عليه فسكن، فأمَّتُكَ أولى بالحنين عليك، حين فارقتَهم.

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لقد بلغ من فضيلتك عند ربِّك أن جعل طاعتَك طاعتَه، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لقد بلغ من فضيلتك عنده أنْ أخبرك بالعفوِ عنك قبل أن يخبِرَك بذنبك، فقال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

بأبي وأمي يا رسول اللَّه، لقد بلغ من فضيلتك عنده أنْ بعثَك آخِرَ الأنبياءِ وذكرك في أوَّلِهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، من فضيلتِك عنده أنَّ أهلَ النار يَوَدُّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يُعذَّبون يقولون: ﴿يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦].

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لئِنْ كان موسى بن عمران أعطاهُ اللَّهُ حجراً تتفجَّر منه الأنهار، فما ذاك بأعجبَ من أصابعك حين نبعَ منها الماءُ، صلى الله عليك.

---

(١) حديث صحيح. رواه أحمد ٢٢١/٣، والترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، وصححه ابن حبان (٦٦٣٤).

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهرٌ، فما ذاك بأعجبَ من البُراق حين سِرْتَ عليه إلى السماء السابعة، ثم صليتَ الصبحَ من ليلتك بالأَبْطَحِ، صلى الله عليك.

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لئن كان عيسى بنُ مريم أعطاه الله تعالى إحياءَ الموتى، فما ذلك بأعجبَ من الشاة المسمومة حين كلَّمتك وهي مشوِيَّةٌ، فقالت: لا تأكلني فإني مسمومةٌ.

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لقد دعا نوحٌ على قومه، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦] ولو دعوتَ علينا مثلَها لهلكنا من عندِ آخرِنا، فلقد وُطِئَ ظهرُك، وأُدْمِيَ وجهُك، وكُسِرَتْ رُباعيَّتُك، فأبيتَ أن تقولَ إلا خيراً، فقلت: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لقد اتَّبعك في قلَّة سِنِيِّكَ وقِصَرِ عُمرك ما لم يتَّبعْ نوحاً في كثرةِ سِنِيِّه وطولِ عمره، فلقد آمن بك الكثيرُ وما آمنَ معه إلا قليل.

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، لو لم تُجالسْ إلا كفُؤاً لك ما جالستَنا، ولو لم تنكِح إلا كفُؤاً ما نكحتَ إلينا، ولو لم تواكِل إلا كفُؤاً ما واكَلْتَنا، ولبستَ الصوفَ، وركبت الحمار، ووضعت طعامك بالأرض.

٤٤١ ـ وذكر العُتبيُّ، قال: كنت عند حُجَرِ النبي ﷺ، فجاء أعرابيٌّ، فقال: السلام عليك يا نبيَّ الله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]. وقد جئتُك مستغفراً من ذنبي، ومستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ الأعرابي يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أَعْظُمُهُ ... فطابَ من طِيبِهِنَّ القاعُ والأكَمُ
نفسي الفِداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ ... فيه العَفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف. قال العُتبيُّ: فغلبتْني عيناي، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقال لي: يا عُتبيُّ، الحقِ الأعرابيَّ، فبشِّره أن الله قد غفر له[1].

٤٤٢ ـ ولصفية بنت عبد المطلب ترثيه:

إنَّ يوماً أتى عليك ليومٌ ... كُوِّرَتْ شمسُه وكان مَضِيَّا
جَلَّ يومٌ أصبحتَ فيه ثقيلاً ... لا تردُّ الجوابَ منك إليَّا
خُلُقاً عالياً وديناً كريماً ... وصراطاً تهدي إليه سويَّا
وسراجاً يجلي الظلام منيراً ... ونبياً مُسَوَّداً عربيَّا
حازماً عازماً كريماً حليماً ... عائداً بالنوال برّاً تقيَّا
فعليك السلام منا ومن ربـ ... ـك بالروح بُكرةً وعشيَّا

٤٤٣ ـ ولأبي سفيان بن الحارث:

أرِقْتُ فبات ليلي لا يزولُ ... وليلُ أخي المصيبة فيه طولُ
وأسعدني[2] البكاءُ وذاك فيما ... أُصيبَ المسلمون به قليلُ
وقد عظُمَتْ مصيبتُنا وجلَّتْ ... عَشِيَّةَ قيلَ قد قُبضَ الرسولُ
وأصبح أرضُنا ممَّا عراها ... تكادُ بنا جوانبُها تميلُ
فقدنا الوحيَ والتنْزيل فيها ... يروح به ويغدو جِبْرَئيلُ
وذاك أحقُّ ما سالتْ عليه ... نفوسُ الناسِ أو كَرَبَتْ تسيلُ
نبيٌّ كان يجلو الشكَّ عنَّا ... بما يوحَى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا يخشى ضلالاً ... علينا والرسولُ لنا دليلُ
يخَبِّرنا بظهرِ الغيب عمَّا ... يكون فلا يحورُ ولا يحولُ
فلم نرَ مثلَه في الناس حياً ... وليس له من الموتى عديلُ

---

(١) واضح ما في هذه القصة من توسل، بل استغاثة، برسول الله ﷺ. ومعلوم أن الاستغاثة بالأموات من أكبر الكبائر التي تؤدي بصاحبها إلى الشرك بالله. فكن أخي المسلم على حذر من هذا المزلق الخطير.

(٢) أسعد: أعان.

أفـاطـمُ إن جَـزِعْـتِ فـذاك عـذرٌ وإن لـم تُـجَـزعـي فـهُـو الـسـبـيـلُ
فـعـودي بـالـعـزاءِ فـإنَّ فـيـه ثـواب الله والـفـضـلُ الـجـزيـلُ
وقـولـي فـي أبـيـك ولا تَـمَـلّي وهـل يـجـزي بـفـضـلِ أبـيـك قـيـلُ
فـقـبـرُ أبـيـك سـيـدُ كـلِّ قـبـرٍ وفـيـه سـيـدُ الـنـاسِ الـرسـولُ

٤٤٤ ـ ولكعب بن مالك يرثيه ﷺ:

ونـائـحـةٍ حـرَّى تَـحَـرَّقُ بـالـبـكـا وتـلـطِـمُ مـنـهـا خـدَّهـا والـمُـقَـلَّـدا
عـلـى هـالـكٍ بـعـد الـنـبـي ومـوتِـه ولـو عـقَـلَـت لـم تـبـكِ إلا مـحـمـدا
فُـجِـعـنـا بـخـيـرِ الـنـاس حـيـاً ومـيِّـتـاً وأدناه من اهـل الـسـمـاوات مـقـعـدا
وأعـظِـمِـهـم حـقَّـاً عـلـى كـلِّ مـسـلـم وأعـظِـمِـهـم فـي الـنـاس كـلِّـهـمُ يـدا
إذا كـان مـنـه الـقـولُ كـان مُـوفَّـقـاً وإن كـان وحـيـاً كـان نـوراً مُـجَـدَّدا
لقد أورثَـتْ أخلاقُه المجدَ والتُّقى فـلـم تـلـقَـه إلا رشـيـداً ومُـرشِـدا

٤٤٥ ـ ولأبي عمرو حفص بن سالم الخزاعي، يرثيه ﷺ:

لعمري لئِنْ جادت له العينُ بالبكا لـمـحـفـوفَـةٌ أن تـسـتَـهِـلَّ وتَـذْمَـعـا
فيا حفصُ إنَّ الأمرَ جلَّ عن البكا غداة نعى الناعي النبي فأسمعا
فـلـم أر يـومـاً كـان أعـظـم حـادثـاً ولـم أر يـومـاً كـان أكـثـر مـوجـعـا
إذا ذكـرت نـفـسـي فـراق مـحـمـد تـهـيـج حـزنـي عـنـد ذلـك أجـمـعـا
فـوالله مـا أنـسـاك مـا دمـت ذاكـراً لـمـشـي ومـا قـلـبـت كـفـاً وأصـبـعـا

٤٤٦ ـ وللزِبْرقان بن بدر يرثيه ﷺ:

آلـيـتُ لا آسـى عـلـى هـالـكٍ بـعـد نـبـيِّ الله خـيـر الأنـام
بـعـد الـذي كـان لـنـا هـاديـاً مـن خـيـرِه كـانـت وبـدرِ الـظـلام
يـا مـبـلـغَ الأخـبـارِ عـن ربِّـه فـيـنـا ويـا مـحـيـي لـيـلِ الـتـمـام
فـاسـتـأثـر الـلَّـهُ بـه إذ وفـت أيـامـه عـنـد حـضـور الـحـمـام
وأيُّ قـومٍ أدركـوا غِـبـطـةً دامـت لـهـم مـن آل سـامٍ وحـام

٤٤٧ ـ قال القاضي أبو الوليد رحمه الله: وممَّا وجدتُه من المراثي مما هو ﷺ أحقُّ به:

أمَّا القبورُ فلا تزالُ أنيسةً ... بمكانِ قبرِك والدِّيارُ قبورُ
جلَّتْ مصيبتُه فعمَّ مُصابُه ... فالناسُ كلُّهُمُ به مأجورُ
والناسُ مأتمُهم عليه واحدٌ ... في كلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزفيرُ

٤٤٨ ـ وقال أبو العباس محمد بن يزيد: قسَّم كسرى أيامه، فقال: يصلحُ يومُ الريح للنوم، ويوم الغيمِ للصيد، ويومُ المطر للشُّرب واللهو، ويوم الشمس لقضاءِ الحوائج.

٤٤٩ ـ قال الحسين بن خالويه: ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم، ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧]، لكن نبينا ﷺ قد جزَّأ نهارَه ثلاثةَ أجزاء: جزءٌ لله عز وجل، وجزءٌ لأهله، وجزءٌ لنفسه، ثم جزَّأ جزأه بينه وبين الناسِ، فكان يستعين بالخاصَّة على العامة، ويقول: «**أبلغوني حاجةَ من لا يستطيعُ إبلاغي، فإنَّه من أبلغَ حاجةَ من لا يستطيعُ، أمَّنه الله يوم الفزع الأكبر**»[١].

٤٥٠ ـ وكان في أسرى بدر أبو عزةَ عمرو بن عبد الله الجمحي، وكان فقيراً، فقال للنبي ﷺ: قد علمت ما ليَ من مال، فامنُن علي، فمنَّ عليه، وأخذ عليه ألا يظاهر عليه، فقال:

من مبلغ عني الرسول محمداً ... بأنك حقٌّ والمليك شهيدُ
وأنت امرؤٌ تهدي إلى الحق والهدى ... عليك من الله العظيم شهودُ

(١) رواه بنحوه من حديث أبي الدرداء، البزار في مسنده كما في مجمع الزوائد ٥/٢١٠. قال الهيثمي: فيه سعيد البراد، وبقية رجاله ثقات. ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/٤٢٣، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/١٥٥ ـ ١٥٧ من حديث أبي هالة، وفي إسناده راو لم يُسمَّ.

وأنت امرؤٌ بُوِّئتَ فينا مباءةً لها درجات سهلةٌ وصعودُ
وإنك مَن حاربته لمحارَبٌ وإنك مَن سالمته لسعيدُ

٤٥١ ـ ولما أعملت قريش على خزاعة نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ فخرج عمرو بن سالم الخزاعي إلى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال:

لاهُمَّ إني ناشدٌ محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدَا
فوالداً كنا وكنتَ ولدا ثُمَّتَ أسلمنا ولم ننْزع يدَا
فانصر رسولَ الله نصراً أعتدا[1] وادْعُ عبادَ الله يأتوا مددَا
فيهم رسول الله قد تجرَّدا أبيضُ مثلُ البدر ينمي صعدَا
إنْ سِيمَ خسفاً وجهُه تربَّدَا في فيلقٍ كالبحر يجري مزبِدَا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدَا
وجعلوا لي في كَداءٍ رصدا وزعموا أنْ لستُ أدعو أحدَا
وهم أذلُّ وأقلُّ عددا هم بيتونا بالوتير[2] هجدَا
فقتلونا ركعاً وسجدَا

فقال النبي ﷺ: «**نصرت يا عمرو**»[3].

٤٥٢ ـ ولحسان بن ثابت:

إن الذَّوائب من فِهرٍ وإخوتهم قد بينوا سنةً للناس تُتَّبعُ
يرضى بها كلُّ من كانت سريرتُه تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجيةٌ تلك منهم غير محدثةٍ إن الخلائق، فاعلم، شرها البدع

---

(١) أعتداً: حاضراً

(٢) الوتير: ماء لقبيلة خزاعة قريب من مكة.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٣٨٩/٢، وتاريخ الطبري ٢٥٤/٢، وتاريخ ابن كثير ٥٠٩/٦.

لا يرفع الناس ما أوهت أكفُّهم عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
أكرِمْ بقومِ رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشِّيَعُ

٤٥٣ ـ ولحُميد بن ثور الهلالي حين أسلم يمدح النبي ﷺ:

حتى أرانا ربُّنا محمدًا يتلو من الله كتاباً مرشدًا
فلم نُكذِّب وخررنا سُجَّدًا نعطي الزكاة ونقيم المسجدًا

وقد ذكره أحمد بن زهير فيمن روى عن النبي ﷺ وذكر الزبير بن بكار أنه قدِم على النبي ﷺ مسلماً.

٤٥٤ ـ وهاجر خُريم بن أوس الطائي، فلما قدم على النبي ﷺ سمع العباس بن عبد المطلب قال: يا رسول اللّه، إني أريد أن أمدحَك، فقال له النبي ﷺ: **«قل لا يَفضُض الله فاك»**، فأنشأ يقول:

من قبلِها طِبتَ في الظلال وفي مستودعٍ حيث يُخصفُ الورقُ
ثم هبطتَ البلاد لا بشرٌ أنت ولا مضغةٌ ولا علقُ
بل نطفةٌ تركبُ السفين وقد ألجم نَسراً وأهله الغرقُ
تنقل من صالبٍ[1] إلى رحمٍ إذا مضى عالمٌ بدا طبقُ
حتى احتوى بيتُك المهيمنُ من خندقٍ علياء تحتها النُّطقُ
وأنت لما ولدتَ أشرقتِ الـ أرض وضاءت بنورك الأفقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسُبْلِ الرشاد تخترقُ[2]

٤٥٥ ـ وقدم زهير بن صرد الجُشَمي على رسول الله ﷺ بالجِعْرانة

(١) صالب: صُلب.
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢١٣/٤، والحاكم في المستدرك ٣٢٧/٣ ـ ٣٢٨، وقال: هذا حديث تفرد به رواته الأعراب عن آبائهم وأمثالهم من الرواة لا يضعفون. فتعقبه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠٢/٢ بقوله: لكنهم لا يعرفون. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٧/٨ من رواية الطبراني، وقال: وفيه من لم أعرفهم

يسألُه في سبي هوازِن، فقال: يا رسول، إنما سبيت عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كفلنَك، ولو أنا نكحنا للحارث بن أبي شِمرٍ أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا أحدهما بمثل ما نزلتَ به رجونا عطفَه وعائدتَه، وأنت خير المكفولين، ثم قال:

امنُنْ علينا رسولَ الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظرُ
امنُنْ على بَيضةٍ قد عافَها قدرٌ ... ممزَّقٌ شملُها في دهرها غِيَرُ
يا خيرَ طفلٍ ومولودٍ ومُنتجَبٍ ... في العالمين إذا ما حصَّل البشرُ
لا تجعلَّنا كمَنْ شالتْ نعامتُه ... واستَبْقِ منا فإنَّا معشرٌ زُهُرُ
إنا لنشكر آلاءَ وإنْ كُفِرتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ

فقال رسول الله ﷺ: **«أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»**، وقال المهاجرون: كذلك، وقالت الأنصار كذلك[1].

٤٥٦ ـ ويروى أن مازناً الخطامي العُماني قال: قلت: يا رسول اللَّه، إني امرؤٌ من خطامة طيِّئٍ، وإني مُولَع بالطرب وشرب الخمر والنساء، فيذهبُ مالي ولا أحمَد حالي، فادع اللَّهَ لي يذهب ذلك عني، وليس لي ولد فادع الله أن يهب لي ولداً. قال: فدعا لي، فأذهب الله عني ما كنت أجد، وتزوجت أربعَ حرائر، فرُزقت الولدَ، وحفظتُ شطر القرآن، وحججت حِجَجاً، وأنشد:

إليك رسول الله خَبَّتْ[2] مطيَّتي ... تجوب الفيافي من عُمانَ إلى العرج
لتشفعَ لي يا خيرَ من وطِئ الحصى ... فيغفر لي ربي فأرجع بالفَلْجِ[3]
إلى معشرٍ جانبتُ في الله دينَهم ... فلا دينُهم ديني ولا سرجُهم سرجي

(١) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٨٧/٤. وإسناده حسن.
(٢) خبت: من الخَبَب، وهو نوع من السير.
(٣) الفلج: الظفر.

وكنت امرَءاً باللهو والخمر مغرَماً شبابيَ حتى آذَنَ الجسم بالنهجِ
فبدَّلني بالخمر خوفاً وخشيةً وبالعُهر إحصاناً فحصَّنَ لي فرجي
فأصبحتُ همي في الجهاد ونيَّتي فللَّهِ ما صومي ولله ما حَجي[١]

٤٥٧ ـ ولصرمة بن أبي أنس، واسمه قيس بن صرمة، من بني النجار:

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرة حِجةً يذكِّر لو يلقى صديقاً مواتيَا
ويَعرِض في أهل المواسم نفسَه فلم يرَ من يُؤوي ولم يرَ داعيَا
فلما أتانا واستقرَّت به النوى وأصبح مسروراً بطيبةَ راضيَا
بذلنا له الأموالَ من حِلِّ مالِنا وأنفسَنا عند الوغى والتآسيَا
نُعادي الذي عادى من الناسِ كلِّهم جميعاً وإن كان الحبيبَ المواليَا
ونعلم أن الله لا شيءَ غيرُه وأن كتابَ الله أصبح هاديَا

٤٥٨ ـ ولعباس بن مرداس:

نبايعُ بين الأخشبينِ[٢] وإنما يدُ الله بين الأخشبين تبايعُ
عشيةَ ضحاكُ بن سفيانَ قائمٌ بسيفِ رسول الله والموتُ واقعُ

٤٥٩ ـ ولعبد اللَّه بن الزِّبَعْرَى بن قيس السهمي، أسلم يوم الفتح وحسُن إسلامه، فقبل عذره، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد، وله بعد الإسلام:

يا رسولَ المليكِ إنَّ لساني راتِقٌ ما فتقت إذْ أنا بُورُ
شهِدَ السمعُ والفؤادُ بما قلت وربي الشهيدُ وهو الخبيرُ

---

(١) انظر: الإصابة ٦/١٥ ـ ١٦، ومجمع الزوائد ٦/٢٤٧ ـ ٢٤٨.
(٢) الأخشبان: جبلا مكة؛ أبو قُبيس والأحمر.

٤٦٠ ـ وله أيضاً:

يا خيرَ من حملتْ على أوصالها عَيْرانةٌ سُرُحُ اليدين غشومُ[(١)]
إني لَمعتذرٌ إليك من الذي أسديتُ إذْ أنا في الضلال أهيمُ
أيامَ تدعوني لأسوأ خُطَّةٍ سهمٌ وتأمرني بها مخزومُ
وأمدُّ أسبابَ الردى ويقودُني أمرُ الغُواةِ وأمرُهم مشؤومُ
فاليومَ آمَن بالنبي محمد قلبي ومُخطِئُ مثلِها محرومُ
فاغفرْ فدىً لك والديَّ كلاهما وارحمْ فإنك راحمٌ مرحومُ
وعليك من سِمَةِ المليكِ علامةٌ نورٌ أغرُّ وخاتَمٌ مختومُ
أعطاك بعد محبةٍ بُرهانَه شرفاً وبرهانُ الإلهِ عظيمُ

٤٦١ ـ ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجراً وأبو بكر، مرَّا على خيمتي أمِّ مَعبدٍ الخُزاعية، وكانت امرأةً برْزَةً[(٢)] جلدةً، تحتبي بفناءِ القُبة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القومُ مُسْنتين[(٣)]، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى شاةٍ في كسر الخيمة، فقال: **«ما هذه الشاةُ يا أمَّ معبدٍ»**؟ قالت: شاةٌ خلَّفها الجهد عن الغنم. قال: **«هل بها من لبنٍ»**؟ قالت: هي أجهدُ من ذلك. قال: **«هل تأذنين أن أحلُبَها»** ؟ قالت: نعم، بأبي أنت وأمي، إنْ رأيتَ بها حليباً فاحلُبها. فدعا رسول الله ﷺ ومسح بيده ضَرعَها، وسمى الله ودعا لها في شاتها بالبركة، فتفاجَّتْ[(٤)] عليه ودرَّت واجترَّت، ودعا بإناء يربض الرهط[(٥)]،

---

(١) عيرانة: ناقة تشبه العَيْر في شدته، والعير هو الحمار الوحشي. سرح اليدين: خفيفة اليدين. غشوم: ظلوم، أو هي التي لا تُرَدُّ على وجهها.
(٢) برزة: من البروز. أي أنها كانت تبرز للرجال ولا تحتجب منهم، مع العفاف والتصون.
(٣) أي نفد زادهم.
(٤) أي بالغت في التفريج ما بين رجليها.
(٥) أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا على الأرض، من ربض في المكان: إذا أقام به.

فحلب فيه ثَجّاً[١] حتى علا البهاء[٢] ثم سقاها حتى روِيت، ثم سقى أصحابَه حتى رووا وشرب آخرهم، ثم حلب فيه ثانياً حتى ملأ الإناءَ، ثم غادره عندها وبايعَها وارتحلوا عنها.

وجاء زوجُها أبو معبدٍ يسوق أعنُزاً له عِجافاً، فلما رأى اللبنَ عجب، وقال: من أين لك هذا يا أم معبد والشاة عازبٌ حيال، ولا حَلوبَ في البيت؟! قالت: لا والله، إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك، من حاله كذا، ولقد هممتُ بأن أصحبه، ولأفعلنَّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً.

وأصبح صوتٌ بمكةَ عالياً يسمعونه يقول:

جزى اللَّهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائه ... رفيقين حلاَّ خيمَتَيْ أم معبدِ
هما نزلا بالبَرِّ وارتحلا به ... فقد فاز من أمسى رفيقَ محمدِ
ليَهْنِ بني كعبٍ مقامَ فتاتِهم ... ومقعدَها للمؤمنين بمرصدِ
فيالَ قُصَيٍّ ما زوى[٣] الله عنكم ... به من فِعالٍ لا تُجارى وسُؤْدُدِ
سلوا أختَكم عن شاتِها وإنائِها ... فإنكم إن تسألوا الشاةَ تشهدِ

فلما سمع حسان ذلك قال:

لقد خابَ قومٌ غاب عنهم نبيُّهم ... وقُدِّسَ من يسري إليه ويغتدي
ترحَّل عن قومٍ فضَلَّت عقولُهم ... وحلَّ على قوم بنور مجدَّدِ
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم ... وأرشدهم من يتبَعِ الحقَّ يرشُدِ
نبيٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حولَه ... ويتلو كتابَ الله في كلِّ مسجدِ
لِيَهْنِ أبا بكرٍ سعادةَ جدِّه ... بصُحبتِه، من يُسْعِدِ اللَّهُ يَسْعَدِ[٤]

---

(١) أي لبناً سائلاً كثيراً.
(٢) بهاء اللبن: وبيص رغوته.
(٣) زوى: صرف.
(٤) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٦/٥٥ ـ ٥٨، وقال الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم. ورواه الحاكم في المستدرك ٣/١٠ ـ ١١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

٤٨ ـ باب فضائل أصحابه رضي الله عنهم

٤٦٢ ـ قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٤٦٣ ـ وقال عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

٤٦٤ ـ قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان، فيغزو فِئامٌ[(١)] من الناس، فيقولون: فيكم مَنْ صاحَبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيُفتح عليهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فِئامٌ من الناس، فيقولون: فيكم من صحِبَ أصحابَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيُفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فِئامٌ من الناس، فيقولون: فيكم من صاحَبَ من صاحَبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتحُ لهم**»[(٢)].

٤٦٥ ـ وقال عمران بن حصين: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ أمتي قرني ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونهم**»، قال عمران: فلا أدري أذَكَرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، «**ثم إنَّ بعدَكم قوماً يَشهدون ولا يُستشهدون، ويَخونون ولا يُؤتمنون، ويَنذرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِّمَن**»[(٣)].

٤٦٦ ـ وروى عكرمة عن ابن عباس، قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء[(٤)]، حتى جلس على

---

(١) فِئام: جماعة.

(٢) البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (٢٥٣٢).

(٣) البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٤) دسماء: لونها كلون الدسم، وهو الدهن.

المنبر فحمد اللَّه، وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد أيها الناس، فإن الناس يكثرون وتَقِلُّ الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام**»[(١)].

زاد عن [غير][(٢)] ابن عباس: «**وإنهم كَرِشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**».

٤٦٧ ـ وقال مالك: بلغني أن راهباً بالشام لما رأى أصحاب النبي ﷺ قال: ما بلغ أصحاب ابن مريم الذين نشروا بالمناشير، وحملوا على الجذوع، ما بلغ أصحاب محمد[(٣)].

٤٦٨ ـ قال: وكان عيسى بن مريم يقول: سيأتي قومٌ حكماء علماء كأنهم من الفقه أنبياء، قال مالك: فإن كان قاله فأراهم صدر هذه الأمة[(٤)].

٤٦٩ ـ ورُوِيَ أن أبا بكر الصديق ﷺ قدِمَ عليه مالٌ من البحرين، فساوى فيه بين الناس فغضب الأنصار، وقالوا: لنا فضلُنا، فقال أبو بكر: صدقتم. إن أردتم أن أفضِّلَكم صار ما عملتموه للدنيا، وإن كففتم كان ذلك لله تعالى، فقالوا: واللّه ما عملنا إلا لله تعالى، ثم انصرفوا. فرقِيَ أبو بكر المنبَرَ، فحمِدَ اللّهَ وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الأنصار، لو شئتم أن تقولوا: إنا آويناكم في ظلالنا، وشاطرنكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم. وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه عددٌ وإن طال به أمدٌ، نحن وأنتم كما قال طفيلٌ الغَنَوِيُّ:

جزى اللّهُ عنا جعفراً حين أزْلَقَتْ ... بنا نعلُها في الواطئين وزلَّتِ
أبَوَا أن يَمَلُّونا ولو أن أمَّنا ... تلاقي الذي لاقوه منا لملَّتِ

---

(١) البخاري (٩٢٧ و ٢٨٠٠).
(٢) زيادة يقتضيها السياق. فهذه الرواية عن أنس لا عن ابن عباس. وقد رواها البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (٢٥١٠).
(٣) حلية الأولياء ٦/٣٢٧.
(٤) حلية الأولياء ٦/٣٢٠.

هـمُ أسكـنـونـا فـي ظـلالِ بـيـوتِـهـم ظـلالِ بـيـوت أدفـأَتْ وأظَـلَّـتِ

٤٧٠ ـ وقال كعب بن زهير:

إن الـرسـولَ لـنـورٌ يُـسـتـضـاءُ بـه وصارمٌ مـن سـيـوفِ الـلَّـهِ مـسـلـولُ
في عُصْبَةٍ من قريشٍ قال قائِلُهم لأهـلِ مـكـةَ لـمـا أسـلـمـوا زولـوا
زالـوا فـمـا زال أنـكـاسٌ ولا كُـشُـفٌ عـنـد الـلـقـاء ولا مِـيـلٌ مـعـازيـلُ[(١)]
شُـمُّ الـعـرانـيـن أبـطـالٌ لـبـوسـهـم من نسجِ داود في الهيجا سرابيلُ[(٢)]
بيضٌ سوابِغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ كـأنـهـا حَـلَـقُ الـقَـفْـعـاءِ مـجـدولُ[(٣)]
يمشون مشيَ الجمال البُزْلِ يَعصِمُهم ضـربٌ إذا عَـرَّدَ الـسُّـودُ الـتـنـابـيـلُ[(٤)]
لا يـفـرحـون إذا نـالـت رمـاحُـهُـمُ قـومـاً ولـيـسـوا مـجـازيـعـاً إذا نِـيـلـوا
لا وقـعَ لـلـطـعـنِ إلا فـي نُـحـورِهـم وما لهم عن حِياضِ الموتِ تهليلُ[(٥)]

٤٧١ ـ وروى محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«لو أن الأنصار سلكوا وادياً وشِعْباً، لسلكتُ واديَ الأنصارِ، ولولا الهجرةُ لكنت امرءً من الأنصار»**. فقال أبو هريرة: ما ظلم بأبي وأمي آوَوْهُ ونصروه[(٦)].

٤٧٢ ـ وروى عدي بن ثابت عن البراء بن عازب: سمعت النبي ﷺ

---

(١) أنكاس: جمع نِكس، وهو الضعيف. والكشُف: الذين ينهزمون في الحرب ولا يثبتون، أو هم جمع أكشف، وهو الذي لا ترس معه. والميل: جمع أميَل، وهو الذي لا يثبت على سرج الفرس. والمعازيل: الذين لا سلاح معهم.

(٢) شُمّ: جمع أشم، من الشَّمَم، وهو ارتفاع قصبة الأنف. العرانين: الأنوف. لبوسهم: دروعهم. سرابيلهم: جمع سربال، وهو الملبوس من أي شيء، والمقصود به هنا الدروع.

(٣) سوابغ: جمع سابغة، أي كاملة. شُكَّت: أدخل بعض حلقها في بعض. القفعاء: نوع من الحَسَكِ، وهو نبات له شوك.

(٤) البُزْل: جمع بازل، والبازل من الإبل: الذي يَبزُل نابُه، أي يُشَقُّ في السنة التاسعة. عرَّد: هرب عن قِرنه. التنابيل: جمع تِنبال، وهو القصير.

(٥) تهليل: فرار ومهرب.

(٦) البخاري (٣٧٧٩).

يقول: «**الأنصارُ لا يحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضُهم إلا منافقٌ، فمن أحبَّهم أحبَّه اللَّهُ، ومن أبغضهم أبغضه الله**»[1].

٤٧٣ ـ وروى عبد اللَّه بن جَبر عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»[2].

٤٧٤ ـ وروى يحيى بن سعيد أنه سمع أنس بن مالك قال: دعا النبيُّ ﷺ الأنصارَ إلى أن يُقْطِعَ لهمُ البحرينَ، فقالوا: لا إلا أن تُقْطِعَ لإخواننا من المهاجرين. قال: «**إمَّا لا، فاصبروا حتى تلقوني**»[3].

وزاد هشام[4]: «**وموعدكم الحوض**».

٤٧٥ ـ وقال ابن مسعود: لقد شهدتُ من المقدادِ مشهداً، لأَن أكونَ صاحبَه أحبُّ إليَّ مما طلَعت عليه الشمسُ؛ وذلك أنه أتى النبيَّ ﷺ وهو يذكر المشركين، فقال: يا رسول، إنا والله لا نقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن نُقاتل من بين يديك ومن خلفِك، وعن يمينِك وعن شمالِك، قال: رأيت النبيَّ ﷺ يُشرقُ وجهُه لذلك وسره وأعجبه[5].

٤٧٦ ـ ورُوِيَ أن مُحَيِّصَةَ بن مسعود قتلَ رجلاً من اليهود بأمرِ النبي ﷺ وكان أخوه حُوَيِّصَةُ أسنَّ منه، ولم يكن أسلم بعدُ، فجعل يضرب مُحَيِّصَةَ، ويقول: أيْ عدوَّ الله، قتلتَه!؟ أما والله لرُبَّ شحمٍ في بطنك من ماله. فقال له مُحَيِّصَةَ: أما والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلِك لضربتُ عُنُقَك، قال: آلله لو أمرك بقتلي لقتلتَني؟ قال: نعم، والله لو أمرني بقتلك

---

(١) البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).
(٢) البخاري (١٧ و ٣٧٨٤)، ومسلم (٧٤).
(٣) البخاري (٣٧٩٤).
(٤) هو ابن زيد، وروايته عند البخاري (٣٧٩٣).
(٥) البخاري (٣٩٥٢) وسيكرره المصنف برقم (٥٦٩).

لضربتُ عنقك. قال حُوَيِّصَةُ: ولله إنَّ ديناً بلغ بك هذا لعَجَبٌ، فأسلم حُوَيِّصَةُ، وكان ذلك أولَ إسلامه، فقال مُحَيِّصَةَ:

يلومُ ابنُ أمي لو أُمِرْتُ بقتلِه ... لطَبَّقتُ ذِفراه بأبيضَ قاضبِ[1]
حسامٍ كلون الملح أُخلِصَ صقلُه ... متى ما أُصَوِّبْهُ فليس بكاذبِ
وما سرَّني أني قتلتُك طائعاً ... وإنَّ لنا ما بين بُصرى ومأربِ

٤٧٧ ـ وللنُّعمان بن العجلان الزُّرقي الأنصاري:

نصرنا وآوينا النبيَّ ولم نخفْ ... صروفَ الليالي والعظيمَ من الأمرِ
وقلنا لقومٍ هاجروا مرحباً بكم ... وأهلاً وسهلاً قد أمِنْتُم من الفقرِ
نُقاسمُكُمْ أموالَنا وديارَنا ... كقسمةِ أيسارِ الجَزورِ على الشَّطرِ
ونكفيكُم الأمر الذي تكرهونه ... وكنَّا أُناساً نُذهبُ العُسرَ باليُسرِ

* * *

٤٩ ـ باب في فضيلة أبي بكر الصديق وسيرته رضي الله عنه وأرضاه

٤٧٨ ـ قال الله عز وجل: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

٤٧٩ ـ وروى أنس عن أبي بكر الصديق ﷺ: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[2]؟.

٤٨٠ ـ وقال أبو سعيد الخدري: خطب رسول الله ﷺ وقال: «**إن الله تبارك وتعالى خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما**

(١) الذِّفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.
(٢) البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

عند الله». قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخْبَرَ رسولُ الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسولُ الله ﷺ هو المخيَّرَ، وكان أبو بكر أعلمَنا، فقال رسول الله ﷺ: **«إن من أمَنِّ الناسِ عليَّ في صُحبتِه ومالِه أبا بكر، ولو كنتُ متخذاً خليلاً غيرَ ربي، لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أُخوةُ الإسلام ومودتُه. لا يَبقينَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»**[1].

٤٨١ ـ وقال عبد اللَّه بن عمر: كنا نخيِّرُ بين الناس في زمان رسول الله ﷺ فنخيِّر أبا بكر، ثم عمرَ، ثم عثمانَ[2].

٤٨٢ ـ وقال عمرو بن العاص: إن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: **«عائشة»**. فقلت: من الرجال؟ قال: **«أبوها»**. قلت: ثم من؟ قال: **«ثم عمر بن الخطاب»**، فعدَّ رجالاً[3].

٤٨٣ ـ وقال أبو الدرداء: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر الصديق آخذاً بطرفِ ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: **«[أما صاحبُكم] فقد غامر»**. فسلَّم، وقال: إني كان بيني وبين عمرَ بن الخطاب شيءٌ، فأسرعت إليه ثم ندمتُ، فسألته أن يغفرَ لي، فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: **«يغفرُ اللَّهُ لك يا أبا بكر»** ثلاثاً. ثم إنَّ عمرَ ندم، فأتى منزلَ أبي بكر، فسأل: أثَمَّ أبو بكر؟ قالوا: لا. فأتى النبيَّ ﷺ فجعل وجهُ النبي ﷺ يتمعَّرُ حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسولَ اللَّه، والله أنا كنتُ أظلمَ مرتين، فقال النبي ﷺ: **«إن اللَّهَ بعثني إليكم، فقلتم: كذب، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسِه ومالِه، فهل أنتم تاركون لي صاحبي»** ؟ مرتين. فما أُوذي بعد هذا[4].

---

(١) البخاري (٤٦٦ و ٣٦٥٤).

(٢) البخاري (٣٦٥٥).

(٣) البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٤) البخاري (٣٦٦١).

٤٨٤ ـ وقال عبد اللَّه بن المبارك: إنَّما سُمِّيَ أبو بكر صِدِّيقاً؛ لأنه لم يكذب قطُّ.

٤٨٥ ـ وقال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنفق زوجين في سبيل اللَّه، دُعِيَ من أبواب الجنة: يا عبد اللَّه، هذا خير؛ فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من بابِ الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الرَّيَّان**». فقال أبو بكر: ما على الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضَرورة! فهل يُدعى منها كلِّها أحدٌ يا رسول اللَّه؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر**»(١).

٤٨٦ ـ وقال محمد ابن الحنفِيَّة: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان. قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين(٢).

٤٨٧ ـ وحدَّث أنسٌ أن النبي ﷺ صعِدَ أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرَجَفَ بهم، فقال: «**اثبُتْ أُحدُ، فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان**»(٣).

٤٨٨ ـ وقال عروة بن الزبير: سألت عبدَ اللَّه بن عمر عن أشدِّ ما صنع المشركون برسول الله ﷺ. قال: رأيتُ عُقبةَ بنَ أبي مُعَيطٍ جاء النبيَّ ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾(٤) [غافر: ٢٨].

---

(١) البخاري (١٨٩٧ و ٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧) وسيكرره المصنف برقم ٧٤٣.
(٢) البخاري (٣٦٧١).
(٣) البخاري (٣٦٧٥).
(٤) البخاري (٣٦٧٨).

٤٨٩ ـ وقال الحسنُ البصري: لـمَّا حضرتْ أبا بكر الوفاةُ، قال: انظروا كم أنفقتُ من مالِ الله عز وجل، فوجدوه قد أنفق في سنتين ونصف ثمانمائةَ ألفِ درهمٍ. قال: اقضوها عنِّي، فقضَوها عنه. ثم قال: يا معشرَ المسلمين، إنه قد حضر من قضاءِ الله عز وجل ما ترَوْن، ولا بدَّ لكم من رجلٍ يلي أمرَكم، ويصلِّي بكم، ويقاتلُ عدوَّكم. فإن شئتُم اجتمعتم وائتمرتم، وإن شئتم اجتهدتُ لكم رأيي. فوالله الذي لا إله إلا هو، لا آلوكُم ونفسي خيراً، فبكَوْا وقالوا: أنت خيرُنا وأعلمُنا، فاخترْ لنا. فقال: إني قد اخترتُ لكم عمرَ.

قال: فلما توفي أبو بكر استرجع علي بن أبي طالب، وجاء مسرعاً باكياً، وقال: رحمك الله أبا بكر؛ كنتَ والله أولَ القومِ إسلاماً، وأكملَهم إيماناً، وأشدَّهم يقيناً، وأخوفَهم للّه، وأحوطَهم على رسول الله ﷺ، وأشبهَهم به هدياً وخلُقاً وسَمْتاً وفضلاً، وأكرمَهم عليه، وأوثقَهم عنده. فجزاك اللّهُ عن الإسلام خيراً؛ صدَّقت رسولَ الله حين كذَّبه الناسُ، فسمَّاك الله في كتابه صِدِّيقاً، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾ [الزمر: ٣٣]. وآسيتَه حين تخلَّفوا، وقمتَ معه حين قعدوا، وصَحِبْتَه في الشِّدَّة، حين تفرقوا، أكرمَ الصُّحبة. ثانيَ اثنين وصاحبُه في الغار، ورفيقُه في الهجرة، والمنزل عليه السكينة، وخلَفته في أمَّتِه بأحسن الخلافة، فقَوِيتَ حين ضعُفَ أصحابُك، وبرزتَ حين استكانوا، وقمتَ بالأمن حين فشِلوا[1]، ومضيتَ بقوة إذ وقفوا. كنتَ أطولَهم صمتاً، وأبلَغَهم قولاً، وأشجعَهم قلباً، وأشدَّهم يقيناً، وأحسنَهم عملاً. كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدنِك قوياً في أمرِ ربِّك، متواضعاً في نفسِك، عظيماً عند اللّه، محبوباً إلى أهل السماواتِ والأرض. فجزاك الله عنا وعن الإسلام خيراً.

---

(١) فشل: ضعف وجبن.

٤٩٠ ـ وقال حسان بن ثابت يرثيه:

إذا تذكرتُ شجواً من أخي ثقةٍ ... فاذكُرْ أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خيرِ البريَّةِ أنقاها وأعدلَها ... بعد النبيِّ وأوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهدُه ... وأول الناس طراً صدَّق الرسلا
وكان حِبَّ رسول الله قد علموا ... من البريَّة لم يَعْدِلْ به رجلا

٤٩١ ـ وقال أبو محجن الثقفي:

وسُمِّيتَ صِدِّيقاً وكلُّ مهاجر ... سواك يُسَمَّى باسمِه غير منكرِ
سبقتَ إلى الإسلامِ واللهُ شاهدٌ ... وكنتَ جليساً بالعريشِ المُشَهَّرِ
وبالغارِ إذ سُمِّيتَ بالغارِ ثانياً ... وكنتَ رفيقاً للنبِّي المطهَّرِ

٤٩٢ ـ روى هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر أسلم وله أربعون ألفاً أنفقها على رسول الله ﷺ في سبيل الله تعالى.

٤٩٣ ـ وقال رسول الله ﷺ: **«ما نفعني مالٌ ما نفعني مال أبي بكر»**[1].

٤٩٤ ـ ورثاه خَفافُ بن نَدْبَةَ، فقال:

إنَّ أبا بكر هو الغيثُ إذا لم ... يشملِ الأرضَ سحابٌ بماء
تاللهِ لا يدركُ أيامَه ذو طرةٍ ... حافٍ ولا ذو حذاء
مَنْ يسعَ كي يُدركَ أيامَه ... يجتهدِ الشدَّ بأرضٍ فضاء
أبلجُ ذو عُرفٍ وذو منكرٍ ... مُقَسِّمُ المعروف رحبُ الفناء

* * *

(١) رواه من حديث أبي هريرة أحمد ٢/٢٥٣، والترمذي (٣٦٦١)، وصححه ابن حبان (٣٦٥٨).

٥٠ ـ باب فضائل عمر الفاروق وسيرته ﷺ

٤٩٥ ـ قال أبو هريرة: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «**بينا أنا نائم رأيتُني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصرٍ فقلت: لمن هذا القصر؟ قالو: لعمر، فأردت أن أدخلَه فأنظر إليه، فذكرتُ غَيْرَته فولَّيتُ مدبراً**». فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول اللَّه؟[1].

٤٩٦ ـ وقال عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ أُتيتُ بقدحِ لبن، فشربت حتى إني لأرَى الرِّيَّ يجري في أَظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمرَ بنَ الخطاب**». قالوا: فما أوَّلتَه يا رسول اللَّه؟ قال: «**العلم**»[2].

٤٩٧ ـ وقال عبد اللَّه بن مسعود: ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر ﷺ[3].

٤٩٨ ـ وروى عبد اللَّه بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**رأيت في المنام أنزِع بدلو بكرةٍ على قَلِيبٍ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، فالله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غَرْبَاً، فلم أر عبقرياً يفري فَرْيَه، حتى روي الناس وضربوا بعَطَنَ**»[4].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٢ و ٣٦٨٠)، ومسلم (٢٣٩٥).

(٢) البخاري (٨٢ و ٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩١).

(٣) البخاري (٣٦٨٤).

(٤) رواه البخاري (٣٦٣٣ و ٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣).

الذنوب: الدلو الكبيرة إذا كان فيها ماء. والغرْب: الدلو العظيمة المتخذة من جلود البقر. والعطن: مبارك الإبل.

قال ابن الأثير في جامع الأصول ٨/٦١٦ ـ ٦١٧: هذا الحديث أريه رسول الله ﷺ مثلاً لأيام خلافتهما، وأن أبا بكر رضي الله عنه قصُرت مدة خلافته، ولم يفرغ من قتال أهل الردة، لافتتاح الأمصار، وأن عمر رضي الله عنه طالت مدته حتى تيسرت له الفتوح، وأفاء الله عليه الغنائم وكنوز الأكاسرة.

٤٩٩ ـ وقال سعد بن أبي وقاص: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نِسوةٌ من قريش يكلِّمنه ويستكثِرْنَه، عاليةً أصواتُهن على صوته، فلما استأذن عمر قمنَ فبادرنَ الحِجابَ، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمرُ ورسولُ الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنَّك يا رسول اللَّه. فقال رسول الله ﷺ: **«عجبت من هؤلاء اللائي كنَّ عندي، فلمَّا سمعنَ صوتَك ابتدرنَ الحجاب»**، فقال عمر: فأنتَ كنتَ أحقَّ أن يهَبْنَ يا رسول اللَّه. ثم قال عمر: يا عدُوَّاتِ أنفسِهن، أتهَبْنَني ولا تهبنَ رسولَ الله ﷺ؟ فقلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **«إيهٍ يا ابنَ الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيكَ الشيطانُ سالكاً فجّاً إلا سلكَ فجّاً غير فجِّك»**[(١)].

٥٠٠ ـ وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: **«لقد كان فيما قبلَكم من الأمم ناس محَدَّثون من غير أن يكونوا أنبياءَ، فإن يكنْ في أمتي أحدٌ، فإنه عمر»**[(٢)].

٥٠١ ـ وقال أبو سعيد الخدري: سمعت رسول اللَّهﷺ يقول: **«بينا أنا نائم رأيتُ الناسَ عُرِضوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ، فمنها ما يبلغ الثُّديَ، ومنها ما يبلغُ دونَ ذلك. وعُرِضَ عليَّ عمرُ بنُ الخطاب وعليه قميصٌ اجترَّه»**. قالوا: فما أوَّلتَه يا رسول اللَّه؟ قال: **«الدين»**[(٣)].

٥٠٢ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: أن عمر بن الخطاب لمَّا خرج إلى الشام لقيه راهبٌ، فجعل يتعجب منه ويقول: ما رأيتُ في رهبانيته قبل اليوم.

---

(١) البخاري (٣٢٩٤ و ٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦).
(٢) البخاري (٣٤٦٩ و ٣٦٨٩).
(٣) البخاري (٢٣ و ٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٩٠).

٥٠٣ ـ وقال ابن القاسم: بلغني أن عمر بن الخطاب أُتي بخَبيصٍ، فأدخله في فيه، ثم طرحه، فقال: ما تبقى حسناتُ امرئٍ دخل هذا جوفَه.

٥٠٤ ـ وروى أشهبُ عن سعيد بن عبد اللَّه: أن عمر بن الخطاب أُتِيَ بمِسكٍ، فجعل يقسِمُه ويجعلُ يدَه على أنفه. فقيل له: يا أميرَ المؤمنين، وما عليك من ذلك؟ فقال: وهل يُنتَفع من المسك إلا برائحته؟.

٥٠٥ ـ وروى أصبغُ عن أشهب أنَّ عمرَ بنَ عبد العزيز كان لا يبلُغه شيءٌ عن عمرَ بن الخطاب إلا أحبَّ أن يعملَ به، حتى بلغه أن عمر بن الخطاب دعا على نفسِه بالموت، فما أتت عليه الجمعةُ حتى مات.

٥٠٦ ـ قال مالك: إني لأقول: إن عمرَ بن الخطاب كان يحبُّ ما يحبُّ الناسَ من البقاء في الدنيا من المال والنساء، لكن خاف الفتن، فلذلك دعا اللَّهَ عز وجل، فقال: اللَّهُمَّ اقبضني إليك غيرَ مفرِّطٍ ولا مفتونٍ ولا عاجزٍ.

٥٠٧ ـ وروى أصبغ عن أشهب، عن مالك: أن عمر بن الخطاب ﵁ مرَّ بطريق مكةَ، فأبصر راعياً يرعى بمكانٍ جدْبٍ، فناداه وقال: قد رأيتُ مكاناً هو أخصبُ من مكانك، فالحَقْ به. ثم قال على إثر ذلك: كلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيَّته.

٥٠٨ ـ وقال ابن القاسم عن مالك: دعا عمرُ بن الخطاب رجلاً يستعمله، فجاء ابنٌ لعمرَ صبيٌّ، فأخذه عمر يقبله، فقال له الرجل: يا أميرَ المؤمنين، أتقبلُه؟ فقال: نعم، فقال: إنَّ لي أولاداً ما قبلتُ منهم أحداً قطُّ. فقال له عمر: أنت لا ترحمُ ولدَك، فأنت للناس أقلُّ رحمةً، فتركه وأبى أن يستعملَه.

٥٠٩ ـ وروى ابن القاسم عن مالك، قال: مرَّ عمرُ بن الخطاب على منزلٍ طويلِ البناء، فلمَّا رآه طويلَ البناءِ، جلس في ظلِّه حتى جاء صاحبُه،

فقال له: ما حملك على أنْ أطَلْتَ هذا البُنيانَ؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما أطلتُه أشَرَاً ولا رياءً، غير أني كنتُ ببلد يطيلون البنيان، فاتَّخذتُ مثلَه. فقال: أظنُّ الأمرَ على ما قلت، ولكن أقصِره حتى تردَّه مثلَ بُنيان الناسِ، لا يتأسَّى بك أحد.

٥١٠ ـ ورُوِيَ عنه أنه احتبسَ عن الناس يومَ الجمعة، فخرج يعتذرُ إليهم، ويقول: إنَّما احتبستُ لأني غسلتُ ثوبي، يعني قميصَه.

٥١١ ـ وقال أنس: رأيتُ عمر بن الخطاب ﷺ وقد رقع بين كتِفَيه بثلاثِ رقاعٍ قد لبَّد بعضَها فوقَ بعض[1].

٥١٢ ـ ويروى عنه ﷺ أنه كان يقول: لا تنخُلوا الدقيقَ؛ فإنه طعامٌ كلُّه.

٥١٣ ـ وقال طاووس: أجدب الناس على عهد عمر ﷺ، فما أكلَ سمناً ولا سميناً حتى أكل الناس.

٥١٤ ـ وكان عمر يُدني يدَه من النار ويقول: يا ابنَ الخطاب، ألكَ صبرٌ على هذا؟.

٥١٥ ـ ويُروى عنه أنَّه لما قدِم الشامَ لقيه الجنودُ وعليه إزارٌ وعِمامة وخُفَّانِ، وهو آخِذٌ برأس راحلتِه، يخوض الماءَ وقد خلع خُفَّيه، وجعلهما تحتَ إبطه، فقالوا له: يا أميرَ المؤمنين، الآن يلقاك الجنودُ وبطارقةُ الشام وأنت على هذه الحال، فقال: إنَّا قومٌ قد أعزَّنا اللَّهُ بالإسلام، فلن نلتمسَ العزَّ بغيره.

٥١٦ ـ وقال علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: رأيت عمر بن الخطاب يعدو على قتَبٍ، فقلت: يا أمير المؤمنين، إلى أين؟ فقال: بعير ندَّ

---

(١) رواه مالك في الموطأ ٩١٨/٢.

منَ الصدقة أطلبُه. فقال: لقد ذلَّلْتَ الخلفاءَ بعدك يا أمير المؤمنين. فقال: لا تلُمْني يا أبا الحسن؛ فوالذي بعث محمداً بالنُّبوَّة، لو أن سخلةً ذهبت بشاطئ الفرات، لأُخِذ بها عمرُ يومَ القيامة، ألا إنه لا حُرمةَ لوالٍ ضيَّع المسلمين.

٥١٧ ـ قال عمر بن الخطاب لمعاوية بن خديج: إن نمتُ بالنهار لأضيعنَّ الرعيةَ، وإن نمتُ بالليل لأضيعنَّ نفسي. فكيف بالنوم مع هذين يا معاويةُ؟

٥١٨ ـ ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه أتاه ابنٌ له قد تخرَّق إزارُه، فقال: اقطعه وانكسْه، وإياك أن تكونَ من الذين يجعلون ما رزقهم اللَّهُ في بطونهم وعلى ظهورهم.

٥١٩ ـ ورُوِيَ عن عمر ﷺ أنه طاف ليلة، فإذا هو بامرأة في جوفِ دارِها حولَها صِبيةٌ يبكون، وهي تُوقِدُ تحت قدرٍ لها، فأتى من الباب، وقال: يا أمةَ اللَّه، ما بكاءُ هؤلاء الصبيةِ؟ فقالت: من الجوع. فقال: ما في هذه القدرِ؟ فقالت: جعلتُ فيها ماءً أوهمُهُم أنَّ فيها شيئاً، وأُعلِّلُهم حتى يناموا. فجلس عمر ﷺ وبكى، ثم جاء إلى دارِ الصَّدقةِ، فأخذ غِرارةً[١] وجعل فيها شيئاً من دقيقٍ وسمنٍ وشحمٍ وتمرٍ وثيابٍ ودراهمَ، حتى ملأ الغِرارةَ، ثم قال: يا أسلمُ، احملْ عليَّ. قال أسلم: فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أنا أحملُه عنك. فقال لي: لا أمَّ لك يا أسلمُ، أنا أحمله؛ لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة. قال: فحملَه على صُلْبِه حتى أتى منزلَ المرأةِ، فأخذ القِدرَ، فجعل فيها دقيقاً وشيئاً من شحمٍ وتمرٍ، وجعل يحرِّكُه وينفخُ تحتَ القدرِ. قال أسلم: وكانت لحيتُه عظيمةً، فلقد رأيتُ الدُّخانَ يخرُج من خَلَلِ لحيتِه حتى طبخَ لهم، ثم جعل يغرِف بيده ويطعمهم حتى

(١) أي: كيساً.

شبعوا، ثم خرج وربَضَ بحذائِهم كأنه سبُعٌ، وخِفتُ منه أن أكلِّمَه، فلم يزلْ كذلك حتى لعبَ الصبيان وضحكوا. ثم قال: يا أسلمُ، هل تدري لم ربضتُ بحذائِهم؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: كنت قد رأيتُهم يبكون، فكرهتُ أن أذهبَ وأدعَهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي.

٥٢٠ ـ ويروى أن الحُطَيئة هجا الزِّبْرِقانَ بنَ بدرٍ، فشكاه إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فسجنه وكتب إليه:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ[١] زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيتَ كاسِبَهم في قعرِ مُظْلمةٍ فاغفِرْ هداك مليكُ الناسِ يا عمرُ
أنت الإمامُ الذي مِنْ بعدِ صاحبِه ألقتْ إليك مقاليدُ النُّهَى البَشَرُ
لم يُؤْثِروك بها إذْ قدَّموك لها لكنْ لأنفُسِهم كانت بها الإثَرُ

فأخذ عليه، وأخرجه من السجن.

٥٢١ ـ وقال ابن القاسم: سمعت مالكاً يقول: إن رجلاً على عهد أبي بكر رأى فيما يرى النائمُ أن الناسَ قد حُشِروا، وأنه رأى عمرَ بن الخطاب قد فرع الناسَ بثلاثة أذرُع أو ثلاثةِ بسطاتٍ، فقلت: بما فضَّلهم عمرُ؟ فقيل لي: بالشهادة والخلافة، وبأنه لا يخاف في الله لومةَ لائم. فأتى الرجلُ إلى عمر وهو قاعدٌ مع أبي بكر رضي الله عنهما، فقصَّ عليه الرؤيا، فقال له: أحلامُ نائم. فلما وَلِيَ عمرُ أرسل إليه، فقال: أخبرني بالرؤيا، فقال: ما كنتُ أخبرتُك فرددتَها عليَّ؟ فقال: سبحان اللّه! أوَلا تستحي أن تقصَّها وأبو بكر حيٌّ؟ فقصَّها الرجل عليه، فقال له: بالخلافة هذه أولهُنَّ. ثم قال: وبالشهادة. فقال عمر: وأنَّى لي بالشهادة والعربُ حولي؟ ثم قال: واللهِ إنَّ الله تعالى لقادر على ذلك. ثم قال: وإنه لا يخافُ في الله لومةَ لائم.

(١) ذو مرخ: وادٍ بالحجاز.

فقال عمر: والله لا أُبالي إذا قعدَ الخصمانِ بين يديَّ على منْ كان الحقُّ فأديرُه.

٥٢٢ - ويروى أنه لما حضرت عمرَ الوفاةُ قال لابنه عبد الله ورأسُه في حجره: ضع خدي بالأرض. فقال: يا أبتاه، إن خدَّك من الأرضِ لقَريبٌ. قال: ضع خدي بالأرض لا أمَّ لك. فوضع خدَّه بالأرض، ثم قال: ويلٌ لعمرَ، ويلٌ لعمرَ إنْ لم يغفرِ اللَّهُ له، ثلاثَ مراتٍ. فقام رجل من القوم، فقال: تقدَم والله يا أمير المؤمنين على ما يسرُّك وتقَرُّ به عينُك. فقال: وما يدريك ويحَك؟ فقام ابن عباس، فقال: وما لك لا تدري، وقد عشتَ حميداً، وذهبتَ فقيداً، وعملتَ بالحقِّ؟ فقال عمر للقوم: أتعرفون ما قال ابنُ عباس؟ قالوا: نعم. قال: لو احتجتُ إلى شهادتِكم عندَ ربي، أكنتُم تشهدونَ لي بما قال؟ قالوا: نعم. فرفع يديه، ثم قال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. ثم قال: يا عبدَ اللَّه، ائتِ عائشةَ، وقل لها: إن عمر يقرئكِ السلامَ، ويقول لك: إنا قد نُهينا أن ندخُلَ بيوتَكُنَّ إلا بإذنٍ، أفتأذني لي أن أُدفنَ في بيتك؟ قال عبد اللَّه: فأتيتُها فقلت لها ذلك. فبكت حتى علا بكاؤها، ثم قالت: نعم، والله ما كنتُ أعددتُه إلا لي، ولأُوثِرَنَّه به على نفسي. قال: فأتيته وأخبرته. فقال: يا بنيَّ، إني أرى المرأةَ أذنت لنا وهي ترى أنِّي أبقى، فإذا أنا متُّ، فاغسلني وكفِّني، فإذا حملتني، فتقدَّم السريرَ، ثم قل لها: هذا عمرُ يستأذنُ على الباب، فإن أذِنَتْ لي، فادفِنِّي مع صاحبيَّ، وإن أبتْ فأخرجني إلى البقيعِ.

٥٢٣ - وقال حسان بن ثابت في النبيِّ ﷺ وفي أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما:

ثلاثةٌ برزوا بسبْقِهِمُ ... نَضَّرَهُم ربُّهُم إذا نُشِروا

عاشوا بِلا فُرْقَةٍ حياتَهُمُ ... واجتمعوا في المماتِ إذ قُبِروا

فليسَ مِنْ مسلمٍ له بَصَرٌ ... يُنْكِرُ مِنْ فضلِهِم إذا ذُكِروا

٥٢٤ ـ قال عبد اللّه بن مسعود: كان إسلامُ عمرَ فتحاً، وكانت هجرتُه نصراً، وكانت خلافتُه رحمةً.

٥٢٥ ـ ويروى أن رجلاً قال لعمر: جزاك الله عن الإسلام خيراً. قال: بل جزى اللّهُ عنيَ الإسلامَ خيراً.

٥٢٦ ـ وقال بعضهم: قلت لابن عباس: صف لي عمرَ بنَ الخطاب، فقال: كان عمرُ كالطيرِ الحَذِرِ، قد علمَ أنه قد نُصِبَ له في كلِّ وجهٍ حُبالةٌ، وكان يعمل لكلِّ يومٍ بما فيه، كأنه في حَلَبَةِ السِّباقِ.

قلت: فأخبرني عن عثمانَ. قال: كان واللّهِ صوَّاماً قوَّاماً، لم يخدعْه نومُه عن يَقَظَتِه.

قلت: فأخبرني عن صاحِبِكم. قال: كان والله مملوءاً عِلماً وحِلماً.

٥٢٧ ـ وروى الصقر بن عبد الله عن عروةَ بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ناحتِ الجنُّ على عمرَ بنِ الخطاب قبل أن يُقتل بثلاث، فقالت:

أَبَعْدَ قتيلٍ بالمدينةِ أظلمتْ ... له الأرضُ تهتزُّ العِضاهُ بأَسْؤُقِ[1]
جزى الله خيراً مِنْ إمامٍ وباركتْ ... يدُ اللّهِ في ذاك الأديمِ المُمَزَّقِ
فمن يسْعَ أو يركبْ جناحيْ نعامةٍ ... ليُدْرِكَ ما قدَّمْتَ بالأمسِ يُسْبَقِ
قضيتَ أموراً ثم غادرْتَ بعدَما ... بوائِقُ[2] في أكمامها لم تُفَتَّقِ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ وفاتُه ... بكفِّ سَبَنْتَى[3] أخضرِ العينِ أزرقِ

قالت: فلما مات، نَحَلَ الناسُ هذا الشعرَ لشَماخِ بنِ ضرار أو لأخيه جَزْء بن ضرار.

---

(١) العضاه: الشجر العظيم إذا كان له شوك، واحدها عِضاهة. وأسؤق: جمع ساق.
(٢) بوائق: جمع بائقة، وهي الداهية.
(٣) السبنتى: الجريء. القاموس المحيط (سبت).

٥٢٨ ـ ولما مات عمر رضي الله عنه، رثته زوجتُه عاتكةُ بنتُ زيدِ بن عمرو بن نُفيل، فقالت:

وفجّعني فيروزُ لا دَرَّ درُّه ... بأبيضَ تالٍ للكتابِ منيبِ
رؤوفٌ على الأدنى غليظٌ على العِدا ... أخي ثِقَةٍ في النائبات نَجيبِ
متى ما يقُلْ لا يَكْذِبُ القولُ فعلَه ... سريعٌ إلى الخيراتِ غيرُ قَطُوبِ

* * *

٥١ ـ باب فضل عثمان ذي النورين وسيرته رضي الله عنه

٥٢٩ ـ قال أبو موسى الأشعري: إن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن، فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**. فإذا أبو بكر. ثم جاء آخر يستأذن، فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**، فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هُنَيْهَةً، ثم قال: **«ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه»**، فإذا عثمانُ بن عفان، رضي الله عنهم[١].

٥٣٠ ـ وروى قتادة أن أنساً حدثهم، قال: صعد النبيُّ ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: **«اسكن أُحدُ»**، أظنُّه ضربه برجله، **«فليس عليك إلا نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان»**[٢].

٥٣١ ـ وروى نافع عن عبد اللَّه بن عمر، قال: كنَّا في زمن النبيِّ ﷺ لا نعدِل بأبي بكر أحداً، ثم عمرَ ثم عثمانَ، ثم نتركُ أصحابَ النبي ﷺ لا نُفاضلُ بينهم[٣].

---

(١) البخاري (٣٦٩٥)، ومسلم (٢٤٠٣).
(٢) تقدم برقم (٤٨٧).
(٣) البخاري (٣٦٩٧).

٥٣٢ ـ وروى عثمان بن موهب، قال: جاء رجلٌ من أهل مصرَ وحجَّ البيتَ، فرأى قوماً جلوساً، فقال: منِ القومُ؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمنِ الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبدُ اللَّه بن عمر. قال: يا ابنَ عمر، إني سائلك عن شيءٍ فتحدثني. هل تعلمُ أنَّ عثمانَ فرَّ يومَ أُحدٍ؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيَّبَ عن بدرٍ ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيَّب عن بيعة الرِّضوان، فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابنُ عمر: تعالَ أبين لك: أمَّا فِرارُه يومَ أُحد، فأشهدُ أن اللَّهَ عفا عنه وغفر له. وأما تغيُّبُه عن بدرٍ، فإنه كانت تحتَه بنتُ رسولِ الله ﷺ وكانت مريضةً، فقال له رسول الله ﷺ: «**إن لك أجرَ رجلٍ ممَّنْ شهد بدراً وسهمَه**». وأما تغيُّبُه عن بيعةِ الرِّضوان، فلو كان أحدٌ ببطنِ مكة أعزَّ من عثمانَ، لبعثَه مكانَه، فبعث رسولُ الله ﷺ عثمانَ وكانت بيعةُ الرِّضوانِ بعدما ذهب عثمانُ إلى مكةَ. فقال رسولُ الله ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يدُ عثمانَ**»، فضربَ بها على يدِه، فقال: «**هذه لعثمان**». فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[١].

٥٣٣ ـ وقال بعض العلماء: يقال: إنه لم يتزوج أحدٌ قطُّ بنتيْ نبيٍّ غيرُ عثمانَ ابن عفان؛ فإن النبيَّ ﷺ زوَّجه ابنتيْه رُقيةَ وأمَّ كلثوم؛ وبذلك سُمِّيَ ذا النورين.

* * *

٥٢ ـ فضائل علي بن أبي طالب وسيرته رضي الله عنه

٥٣٤ ـ قال سهل بن سعد: إن رسول الله ﷺ قال: «**لأُعطِيَنَّ الرايةَ غداً رجلاً يُحبُّ اللَّهَ ورسولَه، أو يحبُّه اللَّهُ ورسولُه، يفتحُ اللَّهُ على يديه**». فبات الناسُ يذكرون ليلَتَهم أيُّهم يُعطاها. فلمَّا أصبحَ الناسُ، غدَوْا على

---

(١) البخاري (٣٦٩٨).

رسولِ الله ﷺ، كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين عليُّ بن أبي طالب**»؟ فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول اللّه. قال: «**فأرسِلوا إليه**»، فأُتِيَ به، فلما جاء بصق في عينيه، فدعا له فبرَأَ، حتى كأنْ لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الرايةَ، فقال عليٌّ: يا رسول اللّه، أُقاتلُهم حتى يكونوا مثلَنا؟ قال: «**انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتِهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يجبُ عليهم من حقِّ الله تعالى فيه. فواللّهِ لأنْ يهديَ اللّهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم**»[١].

٥٣٥ - قال سعد بن أبي وقاص: قال النبي ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»[٢].

٥٣٦ - وقال رجلٌ لسهل بن سعد: هذا فلانٌ، لأميرِ المدينةِ، يذكرُ علياً عند المنبر. قال: فيقول: ماذا قال؟ يقول: أبو ترابٍ. فضحك سهل، وقال: والله ما سماه إلا النبيُّ ﷺ، وما كان له اسمٌ أحبَّ إليه منه؛ دخل عليٌّ على فاطمةَ رضي الله عنهما، ثم خرج فاضطجعَ في المسجد، فقال النبي: ﷺ «**أين ابنُ عمِّك**» ؟ قالت: في المسجد. فخرج إليه، فوجد رِداءَه قد سقط عن ظهرِه، وخلصَ التُّرابُ إلى ظهره، فجعل يمسح الترابَ عن ظهره، ويقول: «**اجلس أبا تراب**» مرتين[٣].

٥٣٧ - وروى ابن سيرينَ عن عَبيدة السلماني، عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: اقضُوا كما كنتم تقضون؛ فإني أكره الاختلافَ، حتى يكونَ للناس جماعةٌ، وأموت كما مات أصحابي. فكان ابن سيرين يرى أن عامَّة ما يُروى عن علي الكذب[٤].

---

(١) البخاري (٢٩٤٣ و ٣٠٠٩ و ٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).
(٢) البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤).
(٣) البخاري (٤٤١ و ٣٧٠٣)، ومسلم (٢٤٠٩).
(٤) البخاري (٣٧٠٧).

٥٣٨ ـ ويروى أنه دخل ضرار بن ضَمرة، وكان صاحبَ لواءِ عليٍّ بن أبي طالب، على معاوية بن أبي سفيان، فقال: يا ضرارُ، صفْ لي علي بن أبي طالب، فقال ضرارُ: تُعفيني يا أمير المؤمنين. فقال: لا بدَّ من وصفه. فقال: إنْ كان لا بدَّ، فقد كان ﷺ بعيدَ المدى، شديدَ القُوى، يقول فصلاً، ويحكُم عدلاً، يتفجَّرُ العلم من جوانبه، وتنطِقُ الحكمةُ من لسانه، يستوحِش من الدنيا وزهرتِها، ويستأنِسُ بالليل ووحشتِه. كان والله غزيرَ العَبرةِ، طويلَ الفكرةِ، يُقَلِّبُ كفَّيه ويُخاطبُ نفسَه، يُعجبُه من اللباسِ ما قصُرَ، ومن الطعام ما خشنَ. كان فينا كأحدِنا؛ يُجيبنا إذا دعوناه، ويُعطينا إذا سألناه، يأتينا إذا أتيناه. ونحن والله مع تقريبه إيانا وقُربِه منَّا لا نكادُ نكلِّمُه لهيبتِه، ولا نبتدئه لعظمته. يُعَظِّم أهلَ الدين، ويحبُّ المساكينَ. لا يطيع القويَّ في باطلِه، ولا ييأسُ الضعيفُ من عدلِه. وبالله أشهدُ لقد رأيتُه في بعض مواقفِه وقد أرخى عليه الليلُ سُدُولَه، وغارت نجومُه، وقد مَثُلَ في محرابِه قابضاً على لحيته، يتململُ تململَ السَّليم[١]، ويبكي بكاءَ الحزينِ، يقول: يا دنيا إليكِ عنِّي، غُرِّي غيري، لا حاجةَ لي بك، أإلَيَّ تعرَّضتِ، أم إليَّ تشوَّفْتِ؟ هيهات هيهات! قد بَتَتُّكِ ثلاثاً لا رجعةَ لي فيك؛ فعُمُرُكِ قصيِّر، وخطَرُكِ حقيرٌ، وزادُك يسيرٌ. آهٍ من قلَّةِ الزَّادِ وبُعدِ السفر ووَحشَةِ الطريق!

فهمَلَتْ عينا معاويةَ بالدُّموع، وقال: رحمَ الله أبا الحسن، فلقد كان كذلك. فكيف حزنُك عليه يا ضرارُ؟ قال: حزنُ من ذُبِح واحدُها في حَجرها، فهي لا ترقأ لها عَبْرةٌ، ولا تنقضي لها حسرة[٢].

٥٣٩ ـ ولأم العريان ترثيه:

وكـنـا قـبـلَ مَـهْـلِـكِـه زمـانـاً	نـرى نـجـوى رسـولِ الـلَّـهِ فـيـنـا
فـكـنـتـم خـيـرَ مَـنْ ركِـبَ الـمطـايـا	وأكـرَمَـهُـم ومَـنْ ركِـبَ الـسَّـفـيـنـا

---

(١) السليم: اللديغ.

(٢) حلية الأولياء ١/٨٤ ـ ٨٥.

٥٤٠ ـ ولدِعْبِلٍ في أهل البيت:

مـدارسُ آيـاتٍ عَـفَـتْ مِـنْ تـلاوةٍ ومَـنْـزِلُ وحـي مُـقْـفِـرُ الـعَـرَصَـاتِ
لآلِ رسـولِ الله بـالـخَـيْـفِ مِـنْ مِـنَـى وبـالـبـيـتِ والـتَّـعـريـفِ والـجَـمَـرَاتِ
دِيـارُ عـلـيٍّ والـحـسـيـنِ وجـعـفـرٍ وحـمـزةَ والـسَّـجَّـادِ ذي الـثَّـفِـنـاتِ[١]
قِـفَـا نـسـأل الـدارَ الـتـي خَـفَّ أهـلُـهـا مـتـى عـهـدُهـا بـالـصَّـوم والـصَّـلَـواتِ
وأيـنَ الأُلى شـطَّـتْ بـهـم غُـرْبَـةُ الـنَّـوى أفـانـيـنُ فـي الآفـاقِ مـفـتـرقـاتِ
أُحـبُّ قَـصِـيَّ الـدَّارِ مِـنْ أجـلِ حُـبِّـهِـمْ وأهْـجُـرُ فـيـهـمْ أُسْـرَتـي وثِـقـاتـي

❋ ❋ ❋

٥٣ ـ فضائل جماعة من الصحابة وما روي من هديهم وسيرتهم رضي الله عنهم

٥٤١ ـ رُوِيَ عن عبد اللَّه بن عمر، عن أبي بكر الصديق ﷺ، أنه قال: ارقُبُوا محمداً في أهلِ بيتِه[٢].

٥٤٢ ـ وكان ابن عمر إذا سلَّم على ابن جعفر، قال: السلام عليك يا ابنَ ذي الجناحين[٣].

٥٤٣ ـ وقال أبو هريرة: كان خيرَ الناسِ للمساكين جعفرُ بن أبي طالب؛ كان ينقلِبُ فيطعِمُنا ما كان في بيته، حتى إنْ كان لَيُخرِج إلينا العُكَّةَ[٤] ليس فيها شيءٌ، فنشتَقُّها فنلعَقُ ما فيها[٥].

---

(١) الثفنات: جمع ثفنة، وهي ركبة البعير. شبه ركبته بركبة البعير لتأثير السجود فيها. والسجَّاد: هو علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، توفي سنة ١١٨.
(٢) البخاري (٣٧١٣).
(٣) البخاري (٣٧٠٩).
(٤) العكة: ظرف السمن.
(٥) البخاري (٣٧٠٨ و ٥٤٣٢).

٥٤٤ ـ وقال مروان: كنت عند عثمان إذْ أتاه رجلٌ من قريش سنة الرُّعاف، فقال: استخلفْ. قال عثمانُ: وقالوا؟ فقال: نعم. قال: ومن هو؟ قال: فسكت. قال: فلعلَّهم قالوا: الزبير؟ قال: نعم. قال: أمَا والذي نفسي بيده، إنه لخيرُهم ما علمتُ، ولقد كان أحبَّهم إلى رسول الله ﷺ[١].

٥٤٥ ـ وروى جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لكلِّ نبيٍّ حوارِيًّا، وإنَّ حوارِيَّ الزبيرُ**»[٢].

٥٤٦ ـ وقال عبد اللَّه بن الزبير: كنتُ يومَ الأحزاب، جُعلتُ أنا وعمرُ بن أبي سَلَمَةَ في النساء، فنظرتُ فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلِف إلى بني قريظةَ مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت، قلت: يا أبَهْ، رأيتُك تختلف. قال: أوَهل رأيتني يا بني؟ قال: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ قال: «**منْ يأتِ بني قريظة فيأتيني بخبرهم**». فانطلقت، فلما رجعت، جمع إليَّ أبويه، فقال: «**فداك أبي وأمي**»[٣].

٥٤٧ ـ وقال عروة بن الزبير: إن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشدَّ معك؟ قال: إني أخافُ إنْ شددتُ كذبتم. قالوا: لا نفعل. فحمل عليهم حتى شقَّ صفوفَهم، فجاوزهم وما معه أحدٌ، ثم رجع مُقبلاً، فأخذوا لِجامَه، فضربوه ضربتين على عاتِقِه، بينهما ضربةٌ ضُرِبَها يومَ بدر. قال عروة: فكنت أُدخل أصابعي في تلك الضربات ألعبُ وأنا صغير[٤].

٥٤٨ ـ وروى هشام بن عروة عن أبيه، قال: قال لي عبد الملك بن مروان حين قُتل عبد الله بن الزبير: يا عروةُ، هل تعرف سيف الزبير؟

---

(١) البخاري (٣٧١٧).
(٢) البخاري (٢٨٤٦ و ٣٧١٩)، ومسلم (٢٤١٥).
(٣) البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦).
(٤) البخاري (٣٧٢١).

قلت: نعم. قال: فما فيه؟ قلت: فيه فلَّةٌ فلَّها يوم بدر. قال: صدقت.

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم ... بهنَّ فُلولٌ من قِراع الكتائبِ

ثم ردَّه على عروة. قال هشامٌ: فأقمناه بيننا بثلاثة آلاف، فأخذه بعضنا، ولوَدِدت أني كنت أخذته[١].

٥٤٩ ـ ولحسان بن ثابت يمدح الزبير:

أقامَ على عهدِ النبيِّ وهديِه ... حواريُّه والقولُ بالفعلِ يُعدَلُ

أقامَ على مِنهاجِه وطريقِه ... يُوالي وليَّ الحقِّ والحقُّ أعدلُ

هو الفارسُ المشهورُ والبَطَلُ الذي ... يَصُولُ إذا كان يومٌ مُحَجَّلُ

وإنَّ امرءاً كانتْ صفيَّةُ أمَّه ... ومِنْ أسَدٍ في بيتِها لمُرَفَّلُ

له مِنْ رسولِ الله قُرْبى قريبةٌ ... ومِنْ نُصْرَةِ الإسلام مجدٌ مُؤَثَّلُ

فكم كُرْبةٍ خلَّى الزُّبيرُ بسيفِه ... عنِ المصطفى واللهُ يُعطي ويُجْزِلُ

٥٥٠ ـ وقال قيسُ بن أبي حازم: رأيتُ يدَ طلحةَ التي وَقَى بها النبيَّ ﷺ قد شَلَّت[٢].

٥٥١ ـ وقال سعد بن أبي وقاص: ما أسلَمَ أحدٌ إلا في اليومِ الذي أسلمتُ فيه. ولقد مكثتُ سبعةَ أيامٍ وإنِّي لَثُلُثُ الإسلامِ. وإنِّي لأوَّلُ العربِ رمى بسهمٍ في سبيلِ اللَّه[٣].

٥٥٢ ـ وروى صِلَة عن حذيفة، قال: جاء السَّيِّدُ والعاقِبُ صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل؛ فوالله لئن كان نبياً فلاعنَّاه لا نفلح نحن ولا عقِبُنا من بعدنا. قال:

---

(١) البخاري (٣٩٧٣).

(٢) البخاري (٣٧٢٤).

(٣) البخاري (٣٧٢٧).

نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: «**لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حق أمين**». فاستشرفَ لها أصحابُ رسول الله ﷺ، فقال: «**قم يا أبا عبيدةَ بن الجراح**». فلما قام، قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمينُ هذه الأمة**»[١].

٥٥٣ ـ وروى أبو سلمةَ بنُ عبد الرحمن أن عائشةَ زوجَ النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائِشُ، هذا جبريلُ يقرأُ عليك السلام**». قالت: وعليه السلام ورحمة اللّه، ترى ما لا أرى. تريد رسول الله ﷺ[٢].

٥٥٤ ـ وللرَّبابِ أمِّ سُكينة ترثي الحُسينَ بنَ عليٍّ رضي الله عنهما:

إن الذي كان نوراً يُستضاءُ به ... بكَرْبُلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفونِ
سِبطُ النبيِّ هداك اللّهُ صالحةً ... عنَّا وجُنِّبْتَ خُسرانَ الموازينِ
قد كنتُ لي جبلاً صعباً ألوذُ به ... وكنتَ تَصْحَبُنا بالرَّحْبِ والِّلينِ
مَنْ لليتامى ومَنْ للسَّائلين ومَنْ ... يُغْني ويَأوي إليه كلُّ مِسكينِ
واللهِ لا أبتغي صِهْراً بصِهْرِكُمُ ... حتى أُغَيَّبَ بينَ الرَّمل والطِّينِ

٥٥٥ ـ وقال حسان بن ثابت في عائشة رضي الله عنها:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافلِ[٣]
عقيلةُ أصلٍ مِنْ لُؤيٍّ بنِ غالبٍ ... كِرام المَساعي مَجْدُهُم غيرُ زائلِ
مهذَّبةٌ قدْ طيَّبَ اللّهُ خيمَها ... وطهَّرَها منْ كلِّ لَغْوٍ وباطِلِ
فإنْ كنتُ قدْ قلتُ الذي قد زعمتُمُ ... فلا رفعتْ صوبي إليَّ أناملي
وكيف ووُدِّي ما حَيِيتُ ونُصْرتي ... لآلِ رسولِ اللّهِ وَسْطَ المحافِلِ
فإنَّ الذي قدْ قيلَ ليسَ بلائطٍ ... ولكنه قولُ امرئٍ بيَ ماحِلِ

---

(١) البخاري (٤٣٨٠)، ومسلم (٢٤٢٠).

(٢) البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٧).

(٣) حصان: امرأة محصنة عفيفة، ورزان: ذات ثبات ووقار. غرثى: جائعة.

٥٥٦ - وروى ابنُ وهبٍ عن مالكٍ، عن يحيى بن سعيد، أنه سمع عبدَ اللَّه بن عامر بن ربيعة يقول: قام عامرُ بنُ ربيعةَ يصلِّي من الليل حين نشِب الناسُ في الطَّعن على عثمانَ، قال: فصلى من الليل ثم نام، فأُتيَ في المنام، فقيل: قم فاسألِ اللَّهَ أن يُعيذَك من الفتنةِ التي أعاذ منها صالحَ عبادِه. فقام فصلى ودعا، ثم اشتكى، فما خرج بعدُ إلا بجنازته[1].

٥٥٧ - وذكر الزبير أن عكرمة بن أبي جهل لما أسلم قال: يا رسول اللَّه، علِّمني خيرَ شيءٍ تعلمُه حتى أقولَه. فقال له النبي ﷺ: «**شهادةُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله**». فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا، وأُشهِدُ بذلك مَنْ حضرني، وأسألُك يا رسولَ الله أن تستغفرَ لي. فاستغفرَ له رسولُ الله ﷺ. فقال عكرمة: والله لا أدعُ نفقةً كنتُ أنفقتُها في الصدِّ عن سبيلِ الله عز وجل إلا أنفقتُ ضِعفَها في سبيل اللَّه، ولا قتالاً قاتلتُه إلا قاتلتُ ضِعفَه. ثم اجتهد في العبادةِ حتى قُتل زمنَ عمرَ بن الخطاب بالشام[2].

٥٥٨ - وقال أبو بَكْرَةَ: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسنُ إلى جنبِه ينظر إلى الناسِ مرةً وإليه مرةً، ويقول: «**إن ابني هذا سيدٌ، ولعلَّ اللَّهَ يُصْلِحُ به بين فئتينِ منَ المسلمين**»[3].

٥٥٩ - ولبعضهم يرثي الحُسين بن علي، رضي الله عنهما:

امْرُرْ على جَدَثِ الحسين فقـ ... ـل لأعْظُمِهِ الزَّكِيَّهْ
يا أعْظُماً لا زِلْتِ مِنْ ... وطفاءَ[4] ساكبَةٍ رويَّهْ

---

(١) رواه الطبراني وعنه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٧٨/١. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠١/٩، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٢٧/٤، والحاكم في المستدرك ٢٧٠/٣، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٢١٧٢/٤. ورواه الترمذي (٢٧٣٥) مختصراً.

(٣) البخاري (٢٧٠٤).

(٤) الوطفاء: السحابة المسترخية لكثرة مائها.

وإذا مَـــــرَرْتَ بـــــقـــــبـــــرِه فـــأطِـــلْ بـــه وَقْـــفَ الـــمَـــطِـــيَّـــهْ
وابْـنِـكِ الـمـطـهَّـرَ لـلـمُـطَـهَّـرِ والـــمُـــطَـــهَّـــرةِ الـــتَّـــقِـــيَّـــهْ
كـــبُـــكـــاءِ مُـــعْـــوِلـــةٍ أتَـــتْ يـــومـــاً لـــواحِـــدِهـــا مَـــنِـــيَّـــهْ

٥٦٠ ـ وقال أسامة بن زيد، عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن، فيقول: «**اللَّهُمَّ إني أحبُهما فأحبَّهما**». أو كما قال[1].

٥٦١ ـ وقال البراء بن عازب: رأيتُ النبيَّ ﷺ والحسنُ بن عليٍّ على عاتقه يقول: «**إني أحبُّه فأحبَّه**»[2].

٥٦٢ ـ وقال عقبةُ بنُ الحارث: رأيت أبا بكر، وحمل الحسين، وهو يقول: بأبي شبيهٌ بالنَّبي، ليس شبيهاً بعَلي. وعليٌّ يضحك[3].

٥٦٣ ـ وقال أنس: لم يكن أحدٌ أشبهَ بالنبي ﷺ من الحسن بن عليٍّ[4].

٥٦٤ ـ وقال ابن أبي نُعْم: سمعتُ عبدَ اللَّه بن عمر، وسأله رجلٌ من أهلِ العراقِ عنِ الْمُحرِمِ يقتُلُ الذبابَ، فقال: أهلُ العراقِ يسألون عن دمِ الذُّبابِ وقد قتلوا ابنَ ابنةِ رسولِ الله ﷺ! وقد قال النبي ﷺ: «**هما رَيْحاني مِنَ الدنيا**»[5].

٥٦٥ ـ وقال عمر رضي الله عنه: كان أبو بكرٍ سيِّدَنا وأعتقَ سيِّدَنا؛ يعني بلالاً[6].

---

(١) البخاري (٣٧٣٥).
(٢) البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٢٤٢٢).
(٣) البخاري (٣٥٤٢ و ٣٧٥٠).
(٤) البخاري (٣٧٥٢).
(٥) البخاري (٣٧٥٣)، وجاء في الأصل: «من الجنة» بدل «من الدنيا».
(٦) البخاري (٣٧٥٤).

٥٦٦ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال: إنَّ أملكَ شبابِ قريشٍ لنفسه عن الدنيا عبد اللَّه بن عمر[١].

٥٦٧ ـ [وقال جابر]: وما من أحدٍ أدركَ الدنيا إلا مالتْ به ومالَ بها إلا عبدَ الله ابنَ عمر[٢].

٥٦٨ ـ وقال عبد اللَّه بن عمر: كان الرجلُ في حياةِ رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على النبيِّ ﷺ، فتمنيتُ أن أرى رؤيا أقصُّها على النبيِّ ﷺ. وكنت غلاماً شاباً عَزَباً، وكنتُ أنامُ في المسجدِ على عهد النبي ﷺ، فرأيتُ في المنام كأنَّ ملَكَين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطويَّةٌ كطيِّ البئر، فإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناسٌ قد عرفتُهم. فجعلت أقولُ: أعوذ باللَّهِ من النارِ، أعوذ باللَّهِ من النارِ. فلقِيَهُما ملَكٌ آخر، فقال لي: لن تُرَع. فقصَصْتُها على حفصةَ، فقصَّتها حفصةُ على النبيِّ ﷺ، فقال: «**نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله لو كان يصلي من الليل**». قال سالم: وكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً[٣].

٥٦٩ ـ وروى طارق بن شهاب عن ابن مسعود، قال: شهدتُ معَ المقدادِ بنِ الأسودِ مشهداً لأنْ أكونَ صاحبَه أحبُّ إليه ممَّا عُدِلَ به؛ أتى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين يومَ بدرٍ، فقال: لا نقولُ كما قال قومُ موسى لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكنا نقاتلُ عن يمينِك وعن شِمالِك وبينَ يديْكَ وخلفَك. فرأيتُ النبي ﷺ أشرقَ وجهُه وسرَّهُ[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ١٤٤/٤، وحلية الأولياء ٢٩٤/١.

(٢) أورد المصنف هذا الخبر على أنه من قول عبد الله بن مسعود ﷺ، وهو من قول جابر بن عبد الله رضي الله عنه، كما في تهذيب الكمال ٣٣٩/١٥، والإصابة ١٠٧/٤، والمستدرك للحاكم ٦٤٥/٣، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) البخاري (٣٧٣٨و٣٧٣٩)، ومسلم (٢٧٤٨).

(٤) البخاري (٣٩٥٢) وتقدم برقم (٤٧٥).

٥٧٠ ـ ورُوِيَ عن ابن عباس، قال: ضمَّني النبيُّ ﷺ وقال: «**اللَّهُمَّ علمه الكتاب**»[١].

٥٧١ ـ ومدحه حسان بن ثابت، فقال:

إذا قالَ لم يترُك مقالاً لقائلٍ   بمُلْتَقَطاتٍ لا نَرى بينَها فضلا
شفَى وكفَى ما في النُّفوس ولم يَدَعْ   لذي بَشَرٍ في القول جِدّاً ولا هزلا
سَمَوْتَ إلى العَلْيَا بغيرِ مَشَقَّةٍ   فَبِلْتَ ذُراها لا دَنِيّاً ولا وَغْلا[٢]

٥٧٢ ـ ولمعاوية فيه:

إذا قالَ لم يترُك مقالاً ولم يَقِفْ   لعَيٍّ ولم يَثْنِ اللِّسانَ على هُجْرِ
يُصَرِّفُ بالقولِ اللسانَ إذا انتَحَى   وينظُرُ في أعطافِه نَظَرَ الصَّقرِ

٥٧٣ ـ وروى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه: بينَا أنا واقفٌ في الصَّفِّ يومَ بدرٍ، نظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصارِ، حديثةٍ أسنانُهما، تمنَّيت أن أكون بين أضْلُعٍ منهما، فغمزني أحدُهما، فقال: يا عمُّ، هل تعرفُ أبا جهلٍ؟ قلت: نعم، ما حاجتُك إليه يا ابنَ أخي؟ قال: أُخبِرْتُ أنه يسبُّ رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئِنْ رأيتُه لا يُفارِقُ سَوادي سَوادَه حتى يموتَ الأعجلُ منَّا. فتعجبتُ لذلك. فغمزني الآخرُ، فقال ليَ مثلَها. فلم أنْشَبْ أن نظرتُ إلى أبي جهل يجولُ في الناسِ. فقلت: ألا إنَّ هذا صاحبُكما الذي سألتُماني، فابتدَراه بسيفَيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسولِ الله ﷺ فأخبراه، فقال: «**أيُّكما قتَلَهُ**»؟ فقال كلُّ واحدٍ منهُما: أنا قتلتُه. فقال: «**هل مسَحتُما سيفَيكما**»؟ قالا: لا، فنظر في السَّيفينِ، فقال: «**كِلاكُما قتَلَه. سَلَبُه لمعاذ بن عمرو بن الجموح**». وكانا مُعاذَ ابنَ عفراءَ، ومعاذَ بنَ عمرو بن الجموح[٣].

---

(١) البخاري (١٧٥)، ومسلم (٢٤٧٧).
(٢) الوَغْل: الضعيف النذل الساقط المقصر في الأشياء.
(٣) البخاري (٣١٤١ و ٣٩٨٨)، ومسلم (١٧٥٢).

٥٧٤ ـ وروى شقيق بن سلمة: خطبَنَا عبد اللَّه بن مسعود، فقال: واللهِ، لقد أخذتُ مِنْ في رسولِ الله ﷺ بِضعاً وسبعين سورةً. واللهِ لقد عَلِمَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ أنِّي مِنْ أعلمِهم بكتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وما أنا بخيرِهم. قال شقيقٌ: فجلستُ في الحِلَقِ أسمعُ ما يقولون، فما سمعت رادّاً يقول غيرَ ذلك[١].

٥٧٥ ـ قال مسروق: وقال عبد اللَّه: والذي لا إلهَ غيرُه، ما أُنزِلتْ سورةٌ من كتابِ الله تعالى إلا أنا أعلمُ أين أُنزلتْ، ولا أُنزلت آيةٌ من كتابِ اللَّهِ إلا أنا أعلمُ فيما أُنزلت، ولو أعلمُ أحداً أعلمَ منِّي بكتابِ الله تبلُغه الإبلُ لركبتُ إليه[٢].

٥٧٦ ـ وروى عُبيدُ اللَّهِ بنُ أبي رافعٍ عن عليٍّ ﷺ، قال: بعثني رسولُ الله ﷺ أنا والزُّبيرُ بن العوام والمقدادُ، وقال: «**انطَلِقُوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ؛ فإنَّ بها ظَعينةً ومعها كتابٌ، فخذوه منها**». فانطلقنا تَعادَى بنا خيلُنا حتى انتهينا إلى روضةِ خاخٍ، فإذا نحن بالظَّعينةِ. فقلنا: أخرِجي الكتابَ، فقالتْ: ما معي من كتابٍ، فقلنا: لتُخْرِجِنَّ الكتابَ أو لنُلقينَّ الثيابَ، فأخرجته من عُقاصِها. فأتينا به رسولَ الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ إلى أُناسٍ من المشركينَ من أهلِ مكةَ، يُخبرُهُم ببعضِ أمرِ رسولِ الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطبُ، ما هذا**»؟ قال: يا رسولَ اللَّه، لا تعجَل عليَّ؛ إني كنتُ امرءاً مُلْصَقاً في قريشٍ، لم أكُنْ من أنْفُسِها، وكان من معَك من المهاجرين لهم قرابات بمكةَ يحمون بها أهليهم وأموالَهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسبِ فيهم أن أتَّخذَ عندَهم يداً يحمُون بها قرابتي، وما فعلتُ كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**قد صَدَقَكُم**». فقال عمر: يا رسول اللَّه،

(١) البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢).
(٢) البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣).

دعني أضربْ عُنُقَ هذا المنافق. قال: «**إنه قد شهدَ بدراً. وما يُدريكَ لعلَّ اللَّهَ قد اطَّلَعَ على أهلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شِئتم، فقد غفرتُ لكم**»[١].

٥٧٧ ـ وروى أبو حازم عن أبي هريرة أنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلنَ: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: «**من يضمُّ أو يُضِيفُ هذا**»؟ فقال رجلٌ من الأنصارِ: أنا. فانطلق به إلى امرأتِه، فقالَ: أكرِمي ضيفَ رسولِ الله ﷺ، فقالت: ما عندَنا إلا قوتُ صبيانٍ، فقال: هيِّئي طعامَك، وأطْفِئي سِراجَكِ، ونَوِّمي صِبيانَك إذا أرادوا عَشاءً. فهيَّأت طعامَها، ونوَّمَتْ صِبيانَها، ثم قامت كأنَّها تُصلحُ سِراجَها، فأطفَأتْه، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاوِيَيْن. فلما أصبحَ غدا إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: «**ضحكَ اللَّهُ الليلةَ، أو عَجِبَ، مِنْ فِعالِكما**». فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢] [الحشر: ٩].

٥٧٨ ـ وروى أنس أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، ومعهما مثل المصباحين يُضيئان بين أيديهما، فلما افترقا، صار مع كل واحد منهما واحدٌ حتى أتى أهله. ويروى أن أحدهما عبَّاد بن بشر والثاني أُسيد بن حُضير[٣].

٥٧٩ ـ ولكعب بن زهير يمدح الأنصار:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ ... في مَقْنَبٍ[٤] مِنْ صالحِ الأنصارِ
الباذِلينَ نُفُوسَهُمْ لنَبِيِّهِمْ ... عندَ الهِياجِ وسَطْوَةِ الجَبَّارِ
والنَّاظِرينَ بأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كالجَمْرِ غيرِ كَليلَةِ الأبْصارِ
والضَّارِبينَ الناسِ عنْ أديانِهِمْ ... بالمَشْرَفيِّ وبالقَنا الخطَّارِ

---

(١) البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٣) تقدم هذا الخبر برقم (٤٢٢).

(٤) المقنب: الجماعة.

٥٨٠ - وروى أبو إسحاق عن البراء: أُهْدِيتْ للنبيِّ ﷺ حُلَّةُ حريرٍ، فجعل أصحابُه يَمَسُّونها ويَعجَبون من لِينها، فقال: «**أتعجبون من هذه؟ لمناديلُ سعدِ بنِ مُعاذٍ في الجنةِ خيرٌ منها أو ألين**»(١).

٥٨١ - وروى أبو سفيان عن جابر: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**اهتزَّ العرشُ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ**»(٢).

٥٨٢ - وروى ابنُ شهابٍ عن حُميد بن عبد الرحمن، عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ: أنَّه وَفَدَ على معاويةَ. قال: فلمَّا أُدْخِلتُ عليه وسلَّمتُ، قال: ما فَعَلَ طَعنُك على الأئمَّةِ يا مِسْورُ؟ قلت: دعنا من هذا وأحسِن فيما قدِمْنا له. قال: لَتُكَلِّمَنِّي بذاتِ نفسِك. قال: فلم أَدَعْ شيئاً أَعِيبُه عليه إلا أخبرتُه به. فقال لي: أمَا لك ذنوبٌ تخافُ أن تهلك إن لم يغفرْها اللَّهُ لك؟ قال: قلت: نعم. قال: فما جعلَك أحقَّ أن ترجو المغفرةَ مني، وإني على دينٍ يتقَبَّلُ اللَّهُ فيه الحسناتِ، ويغفرُ فيه السيئاتِ. وواللهِ لعلى ذلك ما كنت لأُخَيَّرَ بين اللَّهِ وغيره إلا اخترتُ اللَّهَ تعالى على ما سواه. قال: ففكرتُ فيما قال، فعرفتُ أنه خَصَمَني. قال: فكان بعد ذلك إذا ذكر معاويةَ دعا له بخير(٣).

* * *

٥٤ ـ فضائل جماعة من التابعين وما روي من فضلهم وزهدهم

٥٨٣ - وروى ابنُ القاسم عن مالك قال: كان عمرُ بن حسين من أهل الفضل والعلم، وكان عابداً، ولقد أخبرني رجلٌ أنه كان يسمعُه يبتدئ القرآنَ

---

(١) البخاري (٣٢٤٩ و ٣٨٠٢)، ومسلم (٢٤٦٨).
(٢) البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦).
(٣) مصنف عبد الرزاق ١١/٣٤٤ ـ ٣٤٥، وإسناده صحيح.

في رمضانَ، في كلِّ يومٍ إذا راحَ، فقيل له: كان يختم؟ قال: نعم في يومه وليلته، وكان في رمضانَ إذا صلى العشاء الآخرة ينصرف، فإذا كانتْ ليلةُ ثلاث وعشرين قامها مع الناس، لم يكن يقومُ معهم غيرها. فقيل لمالك: الرجل المخصي يختم القرآن في كلِّ ليلةٍ؟ فقال: ما أجودَ ذلك! إن القرآنَ إمامٌ لكلِّ خيرٍ.

٥٨٤ ـ وروى ابن القاسم عن مالك قال: كان عبد الوهاب بن بُخْتٍ له فضلٌ وصلاحٌ وكان إذا مر بمالٍ يُغبَط لغيره يرفع يديه، ويقول: الحمد لله الذي لم يجعلْك لي، ولم يكن هو أحقَّ بشيءٍ من مالِه في السفرِ من رُفقائه.

٥٨٥ ـ قال مالك: وبلغني أنه حين خرج إلى الغزو، فانبعثت به راحلته، قال: عسى ربي أن يهديني سواء السبيل، فاستشهد.

٥٨٦ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: كان سليمانُ بنُ يَسارٍ أفقهَ رجلٍ كان ببلدنا بعد ابنِ المُسَيِّبِ، ولَكثيرٌ ما كانا يتَّفقان في القول، وكان إذا ارتفع الصوتُ في مجلسِه، أو كان مِراءٌ أخذ نعلَه وقام.

٥٨٧ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: بلغني أنَّ سعيدَ بن المسيب دخل عليه رجلٌ، فسأله عن حديثٍ، وكان مضطجعاً، فجلس وحدَّثهم به، فقال له الرجل: وددْتُ أنَّك لم تَتَعَنَّ، فقال سعيدٌ: إني أكرمتُ حديثَ النبيِّ ﷺ عن أن أحدثَك به وأنا مضطجعٌ.

٥٨٨ ـ ذُكِرَ للحسن البصري قولُ عامرِ بن عبد قيسٍ: لأَنْ تختلفَ فيَّ الأسِنَّةُ، أحبُّ إليَّ من أن أجدَ ما يذكرون في الصلاةِ. فقال الحسن: ما اصطنعَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ذلك عندنا.

٥٨٩ ـ ورُوِيَ عن قتادة، قال: أُنبِئتُ أنَّ عامرَ بن عبد قيسٍ سأل ربَّه أن ينْزِعَ شهوةَ النساءِ من قلبِه، فكان لا يبالي ذكراً لقيَ أم أنثى. وسأل ربَّه

أن يُهَوِّنَ عليه الطَّهورَ في الشتاء، فكان يُؤْتَى بالماء وله بُخارٌ. وسأل ربَّه أن يمنعَ قلبه الشيطانَ وهو في الصلاة، فلم يقدِرْ عليه.

٥٩٠ ـ وروى بلالُ بن سعدٍ أن عامراً كان إذا فَصَلَ غازياً توسَّم الرِّفاقَ، فإذا رأى رفقةً تُوافقه قال: يا هؤلاء، إني أريدُ أن أصحبَكم على أن تُعطوني من أنفسِكم ثلاثَ خلالٍ، فيقولون: ما هي؟ قال: أكون لكم خادماً لا يُنازعُني أحدٌ منكمُ الخدمةَ، وأكون مؤذناً لا ينازعني أحدٌ منكم الأذانَ، وأُنفقُ عليكم بقدرِ طاقتي، فإن قالوا: نعم انضمَّ إليهم، وإن نازعَه أحدٌ منهم شيئاً من ذلك ارتحلَ منهم إلى غيرهم.

٥٩١ ـ ورُوِيَ أن محمدَ بن كعبٍ القرظي: صار إليه مالٌ جسيمٌ، أُراهُ بميراثٍ، فتصدَّقَ بجميعه، فقيل له: لو ادَّخرْتَه لبَنيكَ، فقال: بل والله أُقَدِّمهُ لنفسي عند ربي، وأدَّخِرُ ربي لبَنِيَّ.

* * *

٥٥ ـ فضيلة عمر بن عبد العزيز وسيرته رضي الله عنه

٥٩٢ ـ روى ابن القاسم عن مالك: أنَّ عمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه صلَّى بالناس المكتوبة، فقرأ لهم: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل: ١] فلما بلغ ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤﴾ [الليل: ١٤] خنقتْه العَبْرةُ، فلم يستطعْ أن يجاوزَ ذلك، ثم عاودها فلمَّا بلغ ذلك الموضعَ أيضاً خنقتْه العبرةُ، ثم أعادها فلما بلغ ذلك الموضع، خنقتهُ العبرةُ فتركها، ثم قرأ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ [الطارق: ١].

٥٩٣ ـ وقال ابن القاسم: عن مالك: إن عمرَ بنَ عبد العزيز كان ترك أن يُخدَمَ، فكان يدخل بعد المغرب، فيجد الخُوانَ موضوعاً عليه منديلٌ، فيتناوله فيقرِّبُه إليه، فيكشفُ المنديلَ، فيأكلُ ويدعو عليه مَنْ كان معه.

٥٩٤ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل: ادْعُ ليَ بالموتِ، فقال له الرجل: وأنت فادْعُ ليَ بالموت، فقال له عمر: لِمَ تدعو بالموتِ وأنتَ مُخَلَّيَ؟ فكان يقول: إن عمرَ كان صادقاً بذلك، ولم أكن صادقاً.

٥٩٥ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: أن عمرَ بن عبد العزيز أمرَ رجلاً في إمارته قبل أن يَلِيَ الخلافةَ أن يشتريَ له حُلَّةً، فاشترى له ثوباً بستمائة درهمٍ فتَسَخَّطَه عمرُ، فلمَّا وَلِيَ أمَرَ ذلكَ الرجلَ أن يشتريَ له كساءً بسبعةِ دراهمَ، فلمَّا جاءه به أخذه فلبِسه، ثم تعجَّبَ من حُسنِه، فضحك الرجلُ، فقال له عمرُ: إني لأظنُّك أحمقَ! تضحكُ من غيرِ عَجَبٍ، قال: إنما ضحكتُ لمكانِ الثوبِ الذي أمرتَني أن أشترِيَه بستمائة درهمٍ فاستخشنتَه، وأنت الآن تستحسنُ هذا الكساءَ بسبعةِ دراهم، فصمتَ عمر ساعةً، ثم قال: أخشى أن لا يشتريَ أحدٌ ثوباً بستمائة درهم وهو يخافُ اللَّهَ تعالى.

٥٩٦ ـ ورُوِيَ عنه أنه قال: كانت نفسي توَّاقةً: تاقتْ إلى الخلافةِ، فلمَّا نالتْها تاقتْ إلى الجنة.

٥٩٧ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: أن عمرَ بن عبد العزيز كتب إلى أبيه عبدِالعزيز، وبلغَه عنه سَرَفٌ في الكِسوةِ، وهو بالمدينة: أنَّه لا دِينَ لمن لا مُرُوءَةَ له، ولا جديدَ لمَنْ لا خَلَقَ له، ولا مالَ لمن لا رِفْقَ له. فلقد رُئِيَ بعدَ كتابِ ابنِه وإنَّ ثوبَه لمَرقوعٌ.

٥٩٨ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: أن مَسْلَمَةَ بنَ عبد الملك استأذنَ عليه وهو مريضٌ، فلم يُؤْذَنْ له، فألقى بنفسِه إلى الأرضِ، وقال: لا أبرحُ حتى يُؤْذَنَ، فلما أُدخلَ عليه، قال: رحمةُ الله عليك، فلقد ليَّنتَ منَّا قلوباً قاسيةً، ورفعتَ لنا في الصالحين ذِكراً.

٥٩٩ ـ قال مالك: وبلغني أنَّ هشامَ بنَ عبد الملك قال له: إنَّا لا

نعيبُ آباءَنا ولا نُضَيِّعُ شرفَنا في قومِنا. فقال له عمر: ومَنْ أعيبُ ممَّن عابه القرآنُ؟.

٦٠٠ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: بلغني أنَّ عمرَ بن عبد العزيز خرج مع سُليمانَ بنِ عبد الملك في الحجِّ في حرٍّ شديدٍ، ثم خرج معه إلى الطائفِ، فأصابهما في الطريق مطرٌ ورعدٌ وصواعقُ، قال: فشدَّ سُليمانُ على وسطِ رحْلِه أو القُربوسِ وتَطَأْطَأَ بصدرِه، فلمَّا تجلَّى ذلك، قال لعمر بن عبد العزيز: هذا المُلكُ لا ما نحن فيه، فقال له عمر بنُ عبد العزيز: هذا في رحمتِه، فكيف بغضبه؟.

٦٠١ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: بلغني أن عمرَ بنَ عبد العزيز كان يكتُبُ في أمور الناس بالشمع، فإذا كتب لنفسه دعا بمصباحه.

٦٠٢ ـ وروى ابن القاسم عن مالك: بلغني أنَّ عمرَ بن عبد العزيز في مرضِه الذي تُوفيَ فيه حبا حتَّى توضَّأ، ثم أتى مسجدَه فصلَّى، ثم ذكر موتَ سهلٍ أخيه، وموتَ عبدِ الملك ابنِه، وموت مُزاحِم مولاه، فقال: ما ازددتُ لك إلا حبًّا، وما ازددتُ فيك إلا رغبةً، فاقْبِضْني إليك.

٦٠٣ ـ وروى المغيرة عن مالك: أن عمر بن عبد العزيز قال: من كان له شغل غير هذا الشأن فإنه شغلني الذي كنت ألزم فعامل منه ما عملت، ومقصر فيه عما قصرت، فما كان من خير أتيته، فبعون الله وذلالته، وإليه أرغب في بركته، وما كان سوى ذلك فإني أستغفر الله العظيم لذنبي.

٦٠٤ ـ وروى عيسى عن ابن القاسم أن عمر بن عبد العزيز: كان يؤتى به إلى عبد اللَّه بن عمر وهو صغيرٌ بعدُ ما عَقَلَ، فيدعو له ويمسح بيده على رأسه، قال: فيرجع إلى أمه فيقول: يا أمه أنا أحب أن أشبه خالي، فتقول له: يا بُني أنَّى لك بشبه عبد اللَّه بن عمر.

٦٠٥ ـ قال: فكان لعمر غلامٌ وبرذون يحتطب عليه ويستقي عليه

الماء، ويركبه عمر في حاجته إن نابته، فدخل الغلام يوماً على عمر فقال: كيف أصبحتَ، فقال: أصبح الناس كلهم بخيرٍ إلا أنا وأنت وهذا البرذون. قال: فقال له عمر: اذهب فأنت حر، فأعتقه.

٦٠٦ - وروى سهل بن صدقة مولى عمر بن عبد العزيز: حدثني بعض خاصتي عمر بن عبد العزيز أنه حين أفضت إليه الخلافةُ، سمعوا في منزله بكاءً عالياً، فسئل عن البكاء؟ فقال: إن عمرَ خيَّر نساءه، فقال: قد نزل بي أمر شغلني عنكن، فمن أحبَّ أن أُعتقها أعتقتها، ومن أحب أن أمسك لم يكن لها نصيب، فبكين يأساً منه.

٦٠٧ - قال مالك: دخل عمر بن عبد العزيز على فاطمةَ امرأتِه في كنيسة بالشام، فطرح عليها خَلَقَ ساجٍ[1]، ثم ضرب على فخذِها، فقال لها: يا فاطمُ، لنحن وليالي دابِق أنعمُ منا اليوم، فذكَّرها ما قد نسيت من عيشها، فضربت يده ضربةً فيها عنف، فنحَّتها عنها، فقالت: لعمري لأنتَ اليومَ أقدرُ منك يومئذٍ. فاستكفَّه ذلك، فقام يريد آخر الكنيسة وهو يقول بصوتٍ حزين: يا فاطم، إني أخاف النار. يا فاطِمُ، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأنعام:١٥]، فبكت فاطمة وقالت: اللَّهُمَّ أعِذه من النار.

٦٠٨ - ورُوِيَ أن مسلمة قال لعمر بن عبد العزيز وهو مريض: ما صنع أحدٌ صنيعَك! تركت بنيكَ لا شيءَ لهم، فأمر عمرُ أن يُجْلَسَ، فلما جلس قال كالمغضَب: إنَّ بنيَّ إنِ اتقوا الله لن يضيعَهم وهو يتولى الصالحين، وإن لم يتقوا اللَّه، فوالله ما أبالي ما صنع الله بهم.

٦٠٩ - ودخل الأحوص على عمر بن عبد العزيز فقال:

خليلي أبا حفصٍ فهل أنت مخبري ... أفي الحقِّ أن أُقصى ويُدنى ابنُ أسلما

فقال عمر بن عبد العزيز: ذلك الحق.

(١) الساج: الطيلسان الأخضر أو الأسود.

٦١٠ ـ ولما استُخلفَ عمرُ بن عبد العزيز، وفَد عليه الشعراء كما كانت تفِد إلى الخلفاء قبلَه، فأقاموا ببابه أياماً لا يؤْذَن لهم بالدخول حتى قدم عديٌّ بن أرطاة على عمر بن عبد العزيز، وكانت له منه مكانةٌ، فتعرض له جرير، فقال:

يا أيها الراكبُ المزجي مطيَّتَه ... هذا زمانُك إنِّي قد خلا زمني
أبلغْ خليفتَنا إن كنت لاقيه ... أني لدى الباب كالمصفود في قَرَنِ
وَحْشُ المكانةِ من أهلي ومن ولدي ... نائي المَحَلَّةِ مِن داري ومن وطني

فقال: نَعم أبا حرزه، ونُعْمَ عينٍ، فلما دخل على عمر، قال له: إن الشعراء ببابك وأقوالُهم باقيةٌ، وسِهامُهم مسنونة، فقال عمر: يا عديُّ، ما لي وللشعراء، فقال عدي: يا أميرَ المؤمنين، إن النبي ﷺ قد مُدحَ وأعطى، وفيه أسوةٌ لكل مسلم، قال: ومن مدحه؟ قال: عباس بن مرداس، فكساه حُلَّةً، قطع بها لسانه، قال: وتروي قوله؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، وأنشده:

رأيتُك يا خيرَ البَرِيَّةِ كلِّها ... نشرتَ كتاباً جاءَ بالحقِّ مُعْلِمَا
سَنَنْتَ لنا فيه الهُدى بعد جَوْرِنا ... عنِ الحقِّ لمَّا أصبح الحقُّ مظلمَا
فمن مُبْلِغٌ عني النبيَّ محمداً ... وكل امرئٍ يجري بما قد تكلَّما

قال صدقت، فمن بالباب منهم، قال: ابنُ عمك عمرُ بن أبي ربيعة القرشي. فقال: لا قرب الله قُربتَه، ولا حيَّا وجهَه، أليس القائلُ:

ألا ليتَ أني يوم تدنو منِيَّتي ... شممْتُ الذي ما بين عينيكِ والفمِ

واللهِ لا دخلَ عليَّ، ثم ذكر له جميلاً، ثم كُثَيِّرَ عَزَّةَ، ثم الأحوصَ، ثم الفرزدقَ، ثم الأخطلَ، فكلٌّ ذكر فيه مثل هذا ومنعه الدخولَ عليه، فذكر له جريراً، فقال: إن كان لا بد فهذا، فأذن له. قال عدي: فخرجت إليه فقلت: ادخل يا أبا حرزة، فدخل وهو يقول:

إنَّ الذي بعثَ النبيَّ محمداً ... جعلَ الخلافةَ للإمامِ العادلِ
وسِعَ الخلائِقَ عدلُه ووفاؤه ... حتى ارعوى وأقامَ ميلَ المائلِ
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً ... والنفسُ مولَعةٌ بحبِّ العاجلِ
والله أنزلَ في القُرآن فريضةً ... لابنِ السبيلِ وللفقيرِ العائلِ

فلما مثَل بين يديه قال له: اتَّقِ اللَّهَ يا جريرُ، ولا تقلْ إلا حقاً، فأنشأ يقول:

كم باليمامةِ منْ شعثاءَ أرملةٍ ... ومِن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والنظرِ
ممن يعُدُّكَ تكفي فَقْدَ والدِه ... كالفرخِ في العُشِّ لم يدْرُجْ ولم يَطِرِ
يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به ... خبْلاً منَ الجنِّ أو مسَّاً من البشرِ
خليفةَ اللَّهِ من ذا تأمُرُنَّ بنا ... لسنا إليكم ولا في دار منتظرِ
ما زلتُ بعدَك في همٍّ يؤرِّقُني ... قد طالَ في الحيِّ إصعادي ومُنحدَري
لا ينفعُ الحاضرُ المحمودُ بادينَا ... ولا يعود لنا بادٍ على حضرِ
إنَّا لنرجو إذا ما الغيثُ أخلفَنا ... مِنَ الخليفةِ ما نرجو من المطرِ
نال الخلافةَ أو كانت على قَدَرٍ ... كما أتى ربَّه موسى على قدرِ
هذي الأرامل قد قَضَّيتَ حاجتَها ... فمَنْ لحاجةِ هذا الأرملِ الذَّكَرِ

فقال: يا جرير، والله لقد وَلِيتُ هذا الأمرَ ولا أملك إلا ثلاثمائة دينارٍ، فمائة أخذها عبد اللَّه، ومائة أخذتها أمُّ عبد اللَّه. يا غلامُ، أعطِه المائةَ الباقيةَ، فقال: والله يا أمير المؤمنين إنه لأحبُّ مالٍ اكتسبتُه، ثم خرج. فقال له الشعراء: ما وراءك؟ فقال: ما يسوؤكم! خرجت من عند أميرٍ يعطي الفقراء، ويمنع الشُّعراء، وإني عنه لراضٍ، ثم أنشأ يقول:

رأيت رُقَى الشيطانِ لا تَستَفِزُّه ... وقد كان شيطاني مِنَ الجِّن راقِيَا

٦١١ ـ ودخل سابقٌ البربريُّ على عمرَ بن عبد العزيز، فقال له: أنشدني يا سابقُ شيئاً من شعرك تُذكِّرني به، فقال: أو خيرٌ من شعري قال: هات، قال: قال أعشى باهلة:

وبينما المرءُ أمسى ناعِمَاً جَذِلاً في أهلِه مُعْجَباً بالعيشِ ذا أَنَقِ
غِرَّاً أُتيحَ له مِنْ حينه عرَضٌ فلم يلَبَّثْ إلى أن مال كالصَّعِقِ
ثُمَّتَ أضحى ضحىً من غِبِّ ثالثةٍ مُقَنَّعَاً غيرَ ذي روحٍ ولا رَمَقِ
يُبْكَى عليه وأَدْنَوْه لمُظْلِمَةٍ يُعْلَى جوانِبُها بالتُّرْبِ والفِلَقِ
فما تزوَّدَ ممَّا كان يجمعُه إلا حَنُوطاً وما واراهُ مِنْ خِرَقِ
وغيرَ نَفْحَةِ أعوادٍ تُشَبُّ له وقَلَّ ذلك مِنْ زادٍ لمُنْطَلِقِ

قال: فبكى عمر رحمه الله حتى أخضَل لحيتَه.

* * *

٥٦ ـ في التهجد وقيام الليل

٦١٢ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

٦١٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

٦١٤ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤﴾ [الفرقان: ٦٤].

٦١٥ ـ وقال عز وجل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

٦١٦ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من امرئٍ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نومٌ إلا كتبَ الله أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة»**[١].

(١) حديث حسن. رواه من حديث عائشة رضي الله عنها مالك ١١٧/١، ومن طريقه أحمد ١٨٠/٦، وأبو داود (١٣١٤)، والنسائي ٢٥٧/٣.
ورواه من حديث أبي الدرداء ابن خزيمة (١١٧٣)، وابن حبان (٢٥٨٨).

٦١٧ ـ ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمةَ بنتَ النبي ﷺ ليلاً فقال: «**ألا تصليان**» ؟ فقلت: أنفُسُنا بيد الله تعالى، فإذا شاء أن يبعثَنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجِعْ إليَّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخِذَه وهو يقول: «**وكان الإنسان أكثر شيئاً جدلا**»[1].

٦١٨ ـ وقال الحسن: إن الرجل ليذنب الذنبَ فيُحرَمُ به من قيام الليل.

٦١٩ ـ وقال الفضيل: إذا لم تقدِرْ على صيام النهار وقيام الليل، فاعلم أنك محروم، قد كثُرت خطيئتُك.

٦٢٠ ـ وقال سفيان الثوري: عليك بقلَّة الطعام، تملِك سهرَ الليل.

٦٢١ ـ وقال أبو ذر: ثلاثةٌ يضحكُ الله عز وجل إليهم ويستبشر لهم:

رجل قام من الليل وترك فراشه ودِفْأه، ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فيقول لملائكته: ما حمل عبدي على ما صنع؟ فيقولون: أنت أعلم به، فيقول: أنا أعلم به، ولكن أخبروني، فيقولون: يا ربَّنا خوَّفته شيئاً فخافه، ورجَّيته شيئاً فرجاه، فيقول: إني أُشهدُكم أني قد أمَّنتُه ما خاف، ووفَّيت له بما رجا.

قال: ورجل كان في سريَّةٍ، فلقيَ العدوَّ، فانهزم أصحابُه وثبت حتى قُتِل أو فَتح عليه اللَّهُ عز وجل، فيقول الله عز وجل لملائكته مثل ذلك.

ورجلٌ سرى ليلَهُ حتى إذا كان آخر الليل نزل هو وأصحابه، نام أصحابه وقام هو يصلي. فيقول الله عز وجل لملائكته مثل ذلك[2].

٦٢٢ ـ وروى أبو وائل عن عبد اللَّه، قال: ذُكِرَ عند النبي ﷺ رجل، فقيل:

---

(١) البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥).

(٢) الزهد لابن المبارك (١٢١٢).

ما زال نائماً حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: «**بال الشيطان في أذنه**»[١].

٦٢٣ - ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد اللَّه، لا تكن مثلَ فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل**»[٢].

٦٢٤ - وروى مالك[٣] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقِد الشيطان على قافية رأسِ أحدِكم، إذا هو نام، ثلاثَ عُقَدٍ، يضرب مكانَ كلِّ عقدةٍ: عليك ليلٌ طويلٌ فارقُدْ، فإنِ استيقظ فذكر اللَّهَ انحلتْ عقدةٌ، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلَّى انحلت عقدةٌ، فأصبح نشيطاً طيِّبَ النفسِ، وإلا أصبح خبيثَ النفسِ كسلانَ**».

٦٢٥ - وروى أبو صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حسدَ إلا في اثنتين: رجل علَّمه اللَّهُ القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهار، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أُوتِيتُ مثلَ ما أُوتِيَ فلانٌ، فعملتُ مثلَ ما يعمل. ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو يهلِكُه في الحقِّ، فقال رجل: ليتني أُوتيتُ مثلَ ما أُوتِيَ فلانٌ فعملت مثل ما يعمل**»[٤].

٦٢٦ - وقالت بنتُ الربيع بن خُثَيْمٍ لأبيها: ما لي أرى الناس ينامون ولا تنام، قال: إن أباك يخاف البيات.

٦٢٧ - ولعبد اللَّه بن رواحة:

وفينا رسولُ الله يتلو كتابَه ... إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقناتٌ أن ما قال واقعُ
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجعُ

(١) البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤).
(٢) البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).
(٣) في الموطأ ١/١٧٦، ومن طريقه رواه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).
(٤) البخاري (٥٠٢٦).

٦٢٨ - ولي في هذا المعنى:

قد أفلحَ القانتُ في جنح الدجى ... يتلو الكتاب العربي النَّيِّرا
فقائماً وراكعاً وساجداً ... مبتهلاً مستعبراً مستغفرا
له خنينٌ وشهيقٌ وبُكا ... يبل من أدمعه تُرْبَ الثَّرى
إنا لسَفْرٌ نبتغي نيلَ المدى ... ففي السُّرى بُغْيَتُنا لا في الكرى
من ينصَبِ الليلَ يَنَلْ راحتَه ... عند الصباح يحمَدُ القومُ السُّرى

* * *

٥٧ - في مقدار صلاة الليل والوقت المختار منه

٦٢٩ - روى عمرو بن أوس، أن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص أخبره، أن رسول الله ﷺ قال له: **«أحبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داودَ، وأحبُّ الصيامِ إلى الله صيامُ داودَ، وكان ينام نصفَ الليلِ ويقوم ثُلثَه، وينام سُدُسَه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً»**[(١)].

٦٣٠ - قال مسروق: سألت عائشةَ رضي الله عنها عن النبي ﷺ أيُّ العمل أحبُّ إلى النبيِّ ﷺ؟ قالت: الدائم، قلت: متى كان يقوم؟ قالت: يقوم إذا سمع الصارخ[(٢)].

٦٣١ - وقال الأسود بن يزيد: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها: كيف كانت صلاةُ النبيِّ ﷺ بالليل؟ قالت: كان ينام أوَّلَه، ويقوم آخرَه، فيصلي ثم يرجِع إلى فراشه، فإذا أذَّن المؤذن وثب، فإن كانت به حاجةٌ اغتسل، وإلا توضأ وخرج[(٣)].

---

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).
(٢) البخاري (١١٣٢)، ومسلم (٧٤١).
(٣) البخاري (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩).

٦٣٢ ـ وروى حميد عن أنس، قال: كان النبي ﷺ يفطر من الشهر حتى نقول: أن لا يصومَ منه، ويصوم حتى نظنَّ أن لا يفطرَ منه، وكان لا تشاءُ أن تراه من الليلِ إلا مصلِّياً إلا رأيتَه، ولا نائماً إلا رأيتَه[١].

* وهذا الذي رُوي هو المختارُ لمن قدَر عليه، ومن عجَز عن ذلك فبحَسَبِ قدرته، فليس كلُّ الناس في القدرة على ذلك سواء، ولا يجب أن يتكلَّف الإنسان من ذلك ما لا طاقةَ له به.

٦٣٣ ـ وقد روى مالك[٢] عن هشام بن عروةَ عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت عندي امرأةٌ من بني أسد، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ قال: «من هذه»؟ قلت: فلانة لا تنام الليل، تذكر من صلاتها، قال: «مه، **عليكم بما تطيقون من الأعمال؛ فإن الله عز وجل لا يملُّ حتى تمَلُّوا**».

* فلعلَّه أن يكون ﷺ قد علم من حالها أنها لا تطيقُ أن تدوم على ذلك، أو لعلَّه قد عاب ذلك على من استحسنه من فعلِها، فخاف أن يدعوَه ذلك إلى الاقتداء بها، وهو ممَّن لا يطيق مثل ذلك.

٦٣٤ ـ وقد روى أبو جحيفة قال: آخى النبيُّ ﷺ بين سلمانَ وأبي الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء مُتَبَذِّلَةً، فقال: ما شأنُك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء، ليس له حاجةٌ في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، وصنع له طعاماً، فقال: كلْ فإني صائم، فقال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكلَ، فأكل، فلما كان من الليل، ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصلَّيا، فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقاً، ولنفسِك عليك حقاً،

---

(١) البخاري (١١٤١)، ومسلم (١١٥٨).

(٢) في الموطأ ١/١١٨. ورواه عنه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٥).

ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له فقال: «**صدق سلمان**»(١).

٦٣٥ - قال ابن القاسم: سمعت سُليمان بن القاسم وغيرَه ممن أثق به يقول: بلغني أن الرجلَ يريد أن يبلُغَ وجهاً من العبادة يمنعُه اللَّهُ إياها نظراً له، ولو بلغها كان فيها هلاكُه.

٦٣٦ - قال ابن القاسم: بلغني أن عمرو بن العاص خطب الناسَ على المنبر بمصر، فقال: أيها الناسُ، إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، خافوا للهَ خوفَ من يظنُّ أنه يموت غداً، واعملوا عملَ من لا يظنُّ أنه يموت إلا هرماً، فإن المنبَتَّ لا أبقى ظهراً ولا قطع بُعداً.

٦٣٧ - ورُوِيَ أن يعقوب عليه السلام لما سأله ولدُه أن يستغفر لهم، قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٩٨]، أخَّر ذلك إلى السَّحَر، لأنه أرجى الأوقات للإجابة، قيل: إلى يوم الجمعة.

* وإنما يجب أن يعوِّدَ الإنسانُ نفسَه من ذلك ما يعلم أنه يستطيعُ المداومةَ عليه دون مشقَّةٍ ولا مضرَّة، فربما ألزَمَ نفسَه فوقَ ما يطيق، فسئم وترَك.

٦٣٨ - وقد روى عبد العزيز بن صهيب، عن أنس قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبلٌ ممدود بين الساريتين، فقال: «**ما هذا الحبل**»؟ قالوا: هذا حبلٌ لزينبَ، فإذا فَتَرَتْ تعلَّقت به، قال النبي ﷺ: «**حُلُّوه، لِيُصَلِّ أحدُكم نشاطَه، فإذا فَتَرَ فليقْعُدْ**»(٢).

٦٣٩ - وروى أبو العباس الشاعر عن عبد اللَّه بن عمرو، قال لي النبي ﷺ: «**ألم أُخبَر أنك تقومُ الليلَ، وتصومُ النهارَ**»؟ قلت: إني أفعل

---

(١) البخاري (١٩٦٨).

(٢) البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤).

ذلك، قال: «**فإنك إذا فعلت ذلك هَجَمَتْ عينُك، ونَفِهَتْ**[١] **نفسُك، وإن لنفسِك عليك حقاً، ولأهلِك حقاً، فصُمْ وأفطِر، وقُمْ ونم**»[٢].

٦٤٠ ـ وقد رُوِيَ عن بعض الصالحين صلاةُ جميعِ الليل، وقليلٌ ما هم.

٦٤١ ـ رُوِيَ عن الفُضيل بن عياض: إنِّي لأستقبلُ الليلَ فيهُولُني، فينقضي وما قضيت نُهمتي.

٦٤٢ ـ ورُوِيَ عن يزيد الرقاشي أنه قال: إذا نمتُ ثم استيقظتُ ثم نمتُ، فلا نامت عيني.

٦٤٣ ـ وقال عَبدَةُ بن هلال الثقفيُّ: لا يشهدُ عليَّ ليلٌ بنومٍ، ولا نهارٌ بفِطرٍ، فبلغ ذلك عمرَ، فأقسم عليه ليفطرَنَّ العيدين.

٦٤٤ ـ ورُوِيَ عن عمر بن حبيب أنه كان يقول لأهله: يا أهلاه، الدُّلجة الدُّلجة، إنه من يُسْبَقْ إلى الماء يظمأ، يا أهلاه، الدُّلجة الدُّلجة، إنه من يُسْبَقْ إلى الظِّلِّ يضح.

٦٤٥ ـ وقال أبو سُليمان الداراني: أهلُ الليلِ في ليلِهم ألذُّ من أهلِ اللَّهو في لهوِهم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاءَ.

٦٤٦ ـ ورُوِيَ عن بعض الحكماء أنه قال: من كثُرتْ صلاتُه بالليل حسُن وجهُه بالنهار.

٦٤٧ ـ وقيل للحسن: ما بالُ المتهجِّدين مِنْ أحسنِ الناسِ وجوهاً؟ قال: إنهم خَلَوْا بربِّهم، فألبسهم نوراً من نوره.

---

(١) نفهت: بالنون ثم تاء مكسورة: أي كلَّت.

(٢) البخاري (١١٥٣)، ومسلم (١١٥٩).

٦٤٨ ـ وقال عبد اللَّه بن داود: كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً، طوى فراشَه.

٦٤٩ ـ وكان بعضُهم يحيي الليلَ كلَّه، فإذا نظر إلى الفجر، قال: عند الصباحِ يحمَدُ القومُ السُّرَى.

* * *

٥٨ ـ في قدر صلاة الليل

٦٥٠ ـ روى أبو جمرة عن ابن عباس: كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة، يعني بالليل[١].

٦٥١ ـ وروى مسروق: سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل، فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة، سوى ركعتي الفجر[٢].

* ومن غلبه نومٌ عن إتمام ما قد رتَّبه من حزبه، فليرقُدْ حتى يخِفَّ نومُه وتُمكِنه صلاتُه.

٦٥٢ ـ وقد روى مالك في «موطئه»[٣] عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نَعَسَ أحدُكم في صلاته، فليرقدْ حتى يذهبَ عنه النوم، فإن أحدَكم إذا صلى وهو ناعِسٌ لا يدري لعله يذهب يستغفرُ فيسُبُّ نفسَه**».

* فإن تمادى به مانعٌ من نومٍ مع إشفاقه من ذلك وحرصه على الإتيان بحزبه، فقد رُوِيَ أن له أجرَه، فإن أمكنَه أن يأتيَ به ما بينَه وبين صلاة الظهر من الغد فهو حسن.

---

(١) البخاري (١١٣٨)، ومسلم (٧٦٤).

(٢) البخاري (١١٣٩).

(٣) ١/١١٨. ورواه من طريق مالك البخاري (٢١٢)، ومسلم (٧٨٦).

٦٥٣ - روى حُميدُ بن عبد الرحمن بن عوف أن عمر قال: من فاته وِرْدُهُ من الليل، فليصلِّ به في صلاةٍ قبلَ الظهر، فإنها تعدِل صلاةَ الليل[١].

* * *

٥٩ - مقدار ما يقرأ فيه القرآن

٦٥٤ - روى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«اقرأ القرآنَ في شهر»**، قلت: إني أجدُ قوةً، قال: **«اقرأه في سبعٍ ولا تزِدْ على ذلك»**[٢].

* ويحتمل أن يكون ﷺ قال ذلك لأنه هو الأفضلُ في الجملة، ويحتمل أن يكون قال ذلك لمَّا كان الأفضل في حق عبد اللَّه بن عمرو لما علِم النبي ﷺ من ترسُّلِه في قراءته، وعلِم من ضعفِه عند استدامتِه أكثر مما حدَّه له، ومن استطاع أكثرَ من ذلك، فإنه لا يُمْنَعُ من الزيادةِ عليه.

٦٥٥ - وقد سئل مالك: عن الرجل المخصي يختمُ القرآنَ كلَّ ليلةٍ؟ فقال: ما أحسنَ ذلك؛ إنَّ القرآنَ إمامٌ لكلِّ خيرٍ.

٦٥٦ - وكان بِشر بن السَّرِيِّ يقول: إنَّما الأمةُ بمنزِلةِ التَّمرةِ كلَّما مضغتَها استخرجتَ حلاوتَها. فحدَّثتُ به أبا سليمان، فقال: صدق، وإنما يُؤتَى أحدُهم من أنه إذا ابتدأ السورةَ أرادَ آخرَها.

٦٥٧ - وقال أبو سُليمان الدَّاراني: من قام إلى الصلاة، فاستفتح القراءة فوجد لها لذة، فلا يركع، ولا يسجُد، وإذا وجد للركوع لَذَّةً، فلا يقرأ ولا يسجد، وإذا وجد للسجود لَذَّةً فلا يقرأ ولا يركع. الوجهُ الذي

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى عن عمر رضي الله عنه موقوفاً. ورواه مسلم (٧٤٧) مرفوعاً.

(٢) البخاري (٥٠٥٤)، ومسلم (١١٥٩).

يُفْتَحُ له فيه يلزمُه. قيل له: الحزبُ الذي جعله على نفسه من الركوع متى يصليه؟ قال: بالنهار، ثم قال: كيف له بأنْ يُفتح له في مثل ما كان فيه؟ هل رأيت أحداً يطلُبُ شيئاً، فإذا وجده تركه ثم يعودُ بعد ذلك يطلُبه؟.

* * *

٦٠ - في النوافل المستحبة في غير الليل

٦٥٨ - رُويَ عن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن عوف: أن عبدَ الرحمن بن عوفٍ كان يصلِّي قبلَ صلاة الظهر صلاةً طويلةً، فإذا سمع الأذانَ شدَّ عليه ثيابَه ويخرج.

٦٥٩ - وروى حُمَيدٌ عن أنس بن مالك أنه كان قال: كان يعني أحبَّ الصلاة إلى أصحابنا بالهاجرة.

٦٦٠ - وروى منصورٌ عن إبراهيم أنه قال: كان إذا فاتَتهمُ الأربعُ ركَعاتٍ قبلَ الظهرِ صَلَّوْها بعد الركعتين اللتين بعدَ الظهر.

٦٦١ - وروى زُهرةُ بن مَعبَدٍ عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي أنه قال: إذا صليتَ المغرب، فقم فصلِّ صلاة رجلٍ لا يريدُ أن يصليَ تلك الليلة، فإن رُزِقتَ قياماً من الليل كان خيراً، وإن لم تُرزقْ قياماً من الليل كنتَ قد قمتَ أولَ الليل.

٦٦٢ - ورُويَ عن محمد بن المنكدر أنه قال: من صلَّى من المغربِ إلى العشاء، فإنها من صلاة الأوابين.

٦٦٣ - ورُويَ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أنه قال: صلاةُ الأوَّابينَ الخَلوةُ بين المغرب والعشاء حتى يَثُوبَ الناسُ إلى الصلاةِ.

٦٦٤ - ورُويَ عن إبراهيم النخعي في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣]: سمعنا أنه ما بين المغرب والعشاء.

٦٦٥ - ورُويَ عن ثابت البُناني أن رجلاً تزوَّج امرأةَ عبدِ اللَّه بن رواحةَ، فقال لها: أتدرين لِمَ تزوجتُكِ؟ لتُخبريني عن صنيعِ ابنِ رواحةَ في بيتِه، فقالت: كان إذا أراد أن يخرجَ صلى ركعتين، وإذا دخل بيتَه صلى ركعتين، لا يدعُ ذلك أبداً.

وكان ثابتٌ لا يدعُ ذلك فيما ذكره بعضُ أهله.

* * *

٦١ - في صفة القراءة

٦٦٦ - قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

٦٦٧ - وروى قتادة: سُئل أنسُ بن مالك: كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمدُّ بسم اللَّه، ويمدُّ بالرحمن، ويمد بالرحيم[١].

٦٦٨ - وقال محمد بن كعب القرظي: لأَنْ أقرأ في ليلتي حتى أصبحَ بإذا زلزلت، وبالقارعة، لا أزيد عليهما، وأترَدَّدُ فيهما وأتفكَّر، أحبُّ إليَّ من أن أَهُذَّ القرآنَ ليليَ هذّاً، أو قال: أنثُره نثراً.

٦٦٩ - وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ركعتان مقتصدتان في تفكُّر، خيرٌ من قيام ليلةٍ والقلبُ ساهٍ.

٦٧٠ - وروى مالك[٢] عن يحيى بن سعيد، قال: كنت أنا ومحمد بن يحيى بن حَبَّان جالسين، فدعا رجلاً، فقال: أخبرني بالذي سمعتَ من أبيك، فقال الرجل: أخبرني أبي أنه أتى زيدَ بن ثابت، فقال له: كيف ترى

---

(١) البخاري (٥٠٤٦).

(٢) في الموطأ ١/٢٠٠.

في قراءة القرآن في سبع؟ قال زيدٌ: حَسَنٌ، ولأن أقرأَه في نصفِ شهر أو عشرينَ أحبُّ إليَّ، وسَلْني لِمَ ذلك؟ قال: فإني أسألُك. قال زيد: لكي أتدبَّرَه وأقفَ عليه.

٦٧١ ـ وروى ابن المبارك[١] عن سفيان بن عيينة عن مجاهد، قال: قلت: رجل قرأ البقرة وآل عمران في ركعة، وآخر قرأ البقرة وحدها في ركعة فكان قيامهما، وركوعهما، وسجودهما، وقعودهما سواء، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

* * *

٦٢ ـ صفة الصلاة في الليل

٦٧٢ ـ قال زياد: سمعت المغيرةَ يقول: إنْ كان رسولُ الله ﷺ ليقومُ أو يصلي حتى تَرِمَ قدماه أو ساقاه، حتى تفطَّرَتْ قدماه، فيقال له، فيقول: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[٢].

٦٧٣ ـ وروى عبد الله بن بريدة أن عمران بن حصين قال: سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل وهو قاعد، فقال: «**من صلى قائماً فهو أفضل، ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائماً فله نصف أجر القاعد**»[٣].

٦٧٤ ـ وقال العلماء في ذلك: إن الفضل لمن استطاع في أن يصليَ قائماً، فإن صلى قاعداً أجزأه في النافلة، وقد ترك الأفضل، ومن لم يستطع

---

(١) في كتاب الزهد (١٢٨٥).
(٢) البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).
(٣) البخاري (١١١٦).

أن يصليَ قاعداً فليصلِّ مضطجعاً، ومن استطاع الجلوسَ، لم يجُزْ أن يصليَ مضطجعاً، لأن الاضطجاعَ ليس من هيأة الصلاة، والجلوسُ من هيأة الصلاة، ومن شقَّ عليه القيامُ مع التمكُّن منه، فليقرأ ما أراد جالساً، فإذا قرُبَ من إكمال قراءة الركعة قام فأتمَّ القراءة قائماً، ثم يركع، يفعل هذا في كل ركعة.

٦٧٥ - وروى أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي جالساً، فيقرأ وهو جالس، فإذا بقيَ من قراءته نحوٌ من ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأها وهو قائم، ثم ركع ثم سجد، يفعل في الركعة الثانية مثلَ ذلك، فإذا قضى صلاتَه نظر، فإن كنتُ يقظانةً، تحدث معي، وإن كنت نائمةً اضطجع[1].

٦٧٦ - ورُوِيَ عن ابن عمر أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، كيف الصلاة من الليل؟ قال: «**مثنى مثنى، فإذا خفتَ الصبحَ فأوتِرْ بواحدة**»[2].

❋ ❋ ❋

٦٣ - في فضل الطهارة والمداومة عليها

٦٧٧ - قال حُمرانُ: أتيتُ عثمانَ بن عفان ﷺ بطَهورٍ وهو جالسٌ على المقاعد، فتوضأ وأحسن الوُضوءَ، ثم قال: رأيت النبيَّ ﷺ يتوضأ وهو جالسٌ في هذا المجلس، فأحسن الوُضوءَ، ثم قال: «**منْ توضَّأ مثلَ هذا الوضوءِ، ثم أتى المسجدَ، فركع ركعتين، ثم جلس، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه**»[3].

(١) البخاري (١١١٩)، ومسلم (٧٣١).
(٢) البخاري (٤٧٢، ١١٣٧)، ومسلم (٧٤٩).
(٣) البخاري (١٥٩، ٦٤٣٣)، ومسلم (٢٢٩).

٦٧٨ ـ ورُويَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «استقيموا ولن تُحصوا، وخيرُ أعمالكمُ الصلاةُ، ولا يحافظُ على الوُضوءِ إلا مؤمنٌ»[١].

٦٧٩ ـ ورُويَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا توضَّأ العبدُ المؤمنُ فمضمَضَ، خرجت الخطايا مِن فيه، فإذا استنثَرَ خرجتِ الخطايا مِنْ أنفه، فإذا غسل وجهَه خرجتِ الخطايا مِنْ وجهِه، حتى تخرجَ مِنْ تحت أشفار عينيه، وإذا غسل يديه خرجتِ الخطايا من يديه، حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه، حتى تخرجَ مِنْ أُذنيه، فإذا غسل رجليه، خرجتِ الخطايا من رجليه، حتى تخرجَ مِنْ تحتِ أظفارِ رجليه، ثم كان مشيُه إلى المسجد وصلاتُه نافلةً له»[٢].

٦٨٠ ـ ورُويَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ توضَّأ فأحسن وُضوءَه، ثمَّ رفع طرْفه إلى السماء، فقال: أشهدُ أن لا إله إلا اللَّهَ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه، فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ [الثمانيةُ]، يدخلُ من أيِّها شاء»[٣].

٦٨١ ـ وقد استحب بعض العلماء أن يقول بإثر الوضوء: «اللَّهُمَّ

(١) حديث صحيح. رواه بهذا اللفظ مالك في الموطأ ٣٤/١ (٦٦). ورواه مرفوعاً أحمد ٢٧٦/٥ ـ ٢٧٧، وابن ماجه (٢٧٧)، وصححه الحاكم في المستدرك ١٣٠/١، ووافقه الذهبي، مع أن في سنده انقطاعاً.
لكن صح الحديث متصلاً بلفظ: «سددوا وقاربوا...» بدل «استقيموا...» في رواية أحمد ٢٨٠/٥، ٢٨٢، والدارمي ١٦٨/١، وابن حبان (١٠٣٧).

(٢) حديث صحيح، رواه مالك في الموطأ ٣١/١ (٦٠)، ومن طريقه أحمد ٣٤٩/٤، والحاكم في المستدرك ١٢٩/١ ـ ١٣٠ عن أبي عبد الله الصنابحي، وهو مختلف في صحبته، فحديثه مرسل قوي.
وقد رواه مسلم برقم (٢٤٤) من حديث أبي هريرة بلفظ مقارب برقم.

(٣) رواه من حديث عمر بن الخطاب ؓ أحمد ١٩/١ ـ ٢٠. ورواه مسلم (٢٣٤) دون قوله: «ثم رفع طرفه إلى السماء».

اجعلْني منَ التَّوابين، واجعلني مِنَ المتَطَهِّرين»[١].

٦٨٢ - وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أُخبركم بما يمحو اللّهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجاتِ؟ إسباغُ الوُضوءِ عندَ المكارِهِ، وكَثْرةُ الخُطا إلى المساجدِ، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ. فذلكمُ الرِّباطُ، فذلكمُ الرِّباطُ، فذلكمُ الرِّباطُ»[٢].

* * *

٦٤ - ما جاء في السواك

٦٨٣ - روى أبو وائلٍ عن حُذيفةَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا قام إلى التَّهَجُّدِ من الليلِ يَشُوصُ فاهُ بالسِّواكِ[٣].

* * *

٦٥ - ما جاء في الصلاة

٦٨٤ - قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

٦٨٥ - وروى مالك[٤] عن زيدِ بنِ أسلَمَ، عن أبيه: أنَّ عمرَ بنَ

---

(١) وقد ورد ذلك في حديث عمر ﷺ السابق عند الترمذي (٥٥)، وفي إسناده ضعف. وروي أيضاً من حديث ثوبان ﷺ عند الطبراني في المعجم الأوسط (٤٨٩٥)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦٩/٩، والقزويني في التدوين في تاريخ قزوين ٣٤٢/٢ - ٣٤٣ و ١٧٤/٣. وروي موقوفاً عن غير واحد من الصحابة؛ منهم: علي بن أبي طالب ﷺ رواه عبد الرزاق في المصنف ١٨٦/١، وابن أبي شيبة في المصنف ١٣/١ و ١١٣/٦. ورواه ابن أبي شيبة أيضاً ١١٤/٦ عن حذيفة بن اليمان ﷺ.

(٢) مسلم (٢٥١).

(٣) البخاري (٢٤٥)، ومسلم (٢٥٥). ومعنى يشوص أسنانه بالسواك: أي يدلك أسنانه وينقيها. وأصل الشوص: الغسل.

(٤) الموطأ ١١٩/١ (٢٥٩).

الخطابِ ﷺ كان يصلي مِنَ الليلِ ما شاء اللَّهُ، حتى إذا كان مِنْ آخرِ الليلِ، أيقظَ أهلَه للصلاةِ، يقول لهم: الصلاةَ الصلاةَ، ثم يتلو هذه الآيةَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

٦٨٦ ـ وروى مالك[1] عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ [عن أبيه] أنه قال: كان رجلانِ أخَوانِ، فهَلَكَ أحدُهما قبلَ صاحبِه بأربعينَ ليلةٍ، فذكرتُ فضيلةَ الأولِّ منهما عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: **«ألمْ يكُنِ الآخرُ مسلماً»** ؟ قالوا: بلى، وكان لا بأس به، فقال رسول الله ﷺ: **«وما يُدريكم ما بلَغَتْ به صلاتُه؟ إنَّما مَثَلُ الصلاةِ مثل نَهرٍ غَمْرٍ عَذْبٍ عند بابِ أحدِكُم، يَقْتحمُ فيه كلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ، فما تَرَوْنَ ذلك مُبقياً من دَرَنِه؟ فإنكم لا تدرون ما بلغت به صلاته»**.

٦٨٧ ـ وروى أبو هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال لبلالٍ: **«يا بلالُ، حدِّثْني بأرجَى عملٍ عمِلْتَه في الإسلام؛ فإنِّي سمعتُ دَفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة»**. قال: ما عملتُ عملاً أرجَى عندي أنِّي لم أتطَهَّرْ طُهُوراً في ساعة [من] ليلٍ أو نهارٍ إلا صلَّيتُ بذلك الطَّهورِ ما كُتِبَ ليَ أنْ أُصلي[2].

٦٨٨ ـ وروى حُمرانُ بنُ أبانَ: أتيتُ عثمانَ بطَهورٍ وهو جالسٌ على المقاعدِ، فتوضَّأ وأحسن الوُضوء، ثم قال: مَنْ توضأ مثلَ هذا الوُضوءَ، ثم أتى المسجدَ، فركع ركعتين، ثمَّ جلسَ، غُفِرَ له ما تقدمَ مِنْ ذنبِه[3].

٦٨٩ ـ وروى أبو هريرة: الصلواتُ كفَّاراتٌ للخطايا، واقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ الْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

---

(١) الموطأ ١/١٧٤ (٤٢٠) بلاغاً. ووصله الطبراني في المعجم الأوسط (٦٤٧٦).

(٢) البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

(٣) تقدم برقم (٦٧٧).

٦٩٠ - وروى عقبة بن مسلم: ما مِنْ ساعةٍ العبدُ فيها أقربُ إلى اللّهِ تعالى مِنْ حين يَخِرُّ ساجداً.

٦٩١ - وروى أبو صالحٍ عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدةَ فسجدَ، اعتزل الشيطانُ يبكي، وقال: يا ويلَهُ؛ أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ فسجدَ، فله الجنةُ، وأُمِرْتُ بالسجودِ فعصَيْتُ فليَ النارُ»[1].

٦٩٢ - وروى سَمُرَةُ بنُ جُنْدُبٍ، قال: كان رسولُ الله ﷺ ممَّا يُكثِرُ أن يقولَ لأصحابِه: «هل رأى أحدٌ منكم مِنْ رُؤيا» ؟ قال: فيقُصُّ عليه ما شاء الله أن يقُصَّ، وإنه قال لنا ذاتَ غداةٍ: «أتاني الليلةَ آتيانِ فابتعثاني، قالا لي: انطلق، وإني انطلقتُ معَهما، وإنَّا أتينا على رجلٍ مضطجعٍ، فإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرةٍ، فإذا هو يهوي بالصخرةِ لرأسِه، فيَثْلَغُ رأسَه، فَيَتَدَهْدَهُ[2] الحجرُ ههنا، فيتبَعُ الحجرَ، فيأخذُه فلا يرجعُ إليه حتى يصِحَّ رأسُه كما كان، ثمَّ يعودُ عليه، فيفعلُ به مثلَ ما فعلَ به المرةَ الأولى. [قال: قلتُ: سبحان اللّه! ما هذان؟ قال: قالا لي: انطَلِقْ انطلِقْ].

فانطلقنا، فأتينا على رجلٍ مستلقٍ لقفاه، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكَلُّوبٍ من حديدٍ، وإذا هو يأتي أحدَ شِقَّيْ وجهِه، فيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ[3] إلى قفاهُ، ومِنْخَرَهُ إلى قفاهُ، وعينَه إلى قفاه. قال: ثمَّ يتحوَّلُ إلى الجانبِ الآخرَ، فيفعلُ به مثلَ ما فعل بالجانبِ الأولِ، فما يفرُغُ مِنْ ذلك الجانبِ حتى يَصِحَّ ذلك الجانبُ كما كان، ثم يعودُ عليه، فيفعلُ مِثْلَ ما فعلَ في المرّةِ الأولى. قال: قلتُ: سبحان اللّه! ما لهذا؟ قال: قالا لي: انطَلِقْ انطلِقْ.

فانطلقنا، فأتينا على مِثْلِ التَّنُّورِ، قال: فأحسَبُ أنه كان يقول: فإذا فيه

---

(١) مسلم (٨١).

(٢) دهدهه: دفعه من علو إلى أسفل. والتدهده: إذا انحط.

(٣) أي يقطعه ويشققه. والشدق: جانب الفم.

لَغَطٌ وأصواتٌ. قال: فاطَّلعنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ مِنْ أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللَّهبُ ضَوْضَوا[1]. قلت: ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ.

قال: فانطلقنا، فأتينا على نَهَرٍ، حسبنا أنه كان يقول: أحمرُ مِثْلُ الدمِ، وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يسبحُ، وإذا على شطِّ النهرِ رجلٌ قد جمعَ عندَه حجارةً كثيرةً، وإذا ذلك الرجلُ السابحُ يسبحُ [ما يسبحُ]، ثم يأتي ذلك الذي عنده تلك الحجارةُ، فيَفْغَرُ له فاهُ، فيُلْقِمُهُ حجراً، فينطلقُ فيسبحُ، ثم يرجِع إليه، كلَّما رجع إليه فَغَرَ له فاه وألقمَهُ حجراً. قال: قلت لهما: ما هذا؟ قال: قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ.

فانطلقنا، فأتينا على رجلٍ كَريهِ المَرْآةِ[2] كأكرَهِ ما أنتَ راءٍ رجلاً وامرأةً، وإذا عنده نارٌ له يحُشُّها[3] ويسعى حولَها. قال: قلتُ لهما: ما هذا؟ قال: قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ.

فانطلقنا، فأتينا على روضةٍ مُعْتِمَةٍ فيها مِنْ كلِّ ألوانِ الرَّبيعِ، وإذا بين ظهرَيِ الروضةِ رجلٌ طويلٌ، لا أكادُ أرى رأسَه طولاً في السماءِ، وإذا حولَ الرجلِ مِنْ أكثرِ وِلْدانٍ رأيتُهم قطُّ. قلت لهما: ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ.

فانطلقنا، فانتهينا إلى روضةٍ عظيمةٍ لم أرَ روضةً قطُّ أعظمَ منها ولا أحسنَ. قال: قالا لي: ارْقَ فيها، قال: فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينةٍ مبنِيَّةٍ بلَبِنِ ذهبٍ ولَبِنِ فضةٍ، فأتينا بابَ المدينةِ فاستَفْتَحْنا، ففُتِحَ لنا فدخلنا، فتلقَّانا فيها رجال شطرٌ مِنْ خَلْقِهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطرٌ كأقبح ما أنت راءٍ.

---

(١) أي ضجوا وصاحوا.

(٢) المرآة: المنظر.

(٣) يحشها: أي يحركها لتتقد.

قال: قالا لهم: اذهبوا فقَعُوا في ذلك النهرِ، [وإذا نهر معتَرِضٌ] وإذا هو يجري كأنَّ ماءَهُ المَحْضُ[١] في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه فرجعوا إلينا، قد ذهبَ ذلك السوءُ عنهم، فصاروا في أحسنِ صورةٍ، قال: قالا لي: هذه جنةُ عَدْنٍ، وهذاك منزلُك. قال: فسَمَا بصري صُعُدَاً[٢] فإذا قصرٌ مثلُ الرَّبابَةِ[٣] البيضاءِ، قال: قالا لي: هذا منزلك، قال: قلتُ لهما: باركَ اللَّهُ فيكما، ذراني فأدخُلَه، قالا: أمَّا الآن فلا، وأنتَ داخِلُهُ.

قال: قلت لهما: فإنِّي قد رأيتُ منذُ الليلةِ عَجَباً، فما هذا الذي رأيت؟ قال: قالا لي: أمَا إنَّا سنخبرك:

أمَّا الرجلُ الأولُ الذي أتيتَ عليه يُثْلَغُ رأسَهُ بالحجرِ، فإنَّه الرجل يأخذُ القرآنَ فيرفُضُهُ، وينامُ عنِ الصلاةِ المكتوبةِ.

وأمَّا الرجلُ الذي أتيتَ عليه يُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إلى قفاهُ، ومِنْخَرَهُ إلى قفاهُ، وعينَه إلى قفاهُ، فإنه الرجلُ يغدو مِنْ بيتِهِ، فيكذِبُ الكَذْبَةَ تبلُغُ الآفاقَ.

وأمَّا الرِّجالُ والنساءُ العُراةُ الذين في التَّنُّورِ، فإنهمُ الزُّناةُ والزَّواني.

وأمَّا الرجلُ الذي أتيتَ عليه يسبحُ في النهر، ويُلْقَمُ الحجارةَ، فإنَّه آكلُ الرِّبا.

وأمَّا الرجلُ الكريهُ المَرْآةِ الذي عند النارِ يَحُشُّها ويسعى حولَها، فإنَّه مالكٌ خازنُ جهنَّمَ.

وأمَّا الرجلُ الطويلُ الذي في الروضةِ، فإنَّه إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛

وأمَّا الوِلْدانُ الذين حولَه، فكلُّ مولودٍ ماتَ على الفِطْرَةِ.

---

(١) المحض: اللبن المحض: الخالص من الماء، حلواً كان أو حامضاً.

(٢) سما: نظر إلى فوق، صعداً: ارتفع كثيراً.

(٣) هي السحابة البيضاء.

قال: فقال بعضُ المسلمين: يا رسول اللَّه، وأولادُ المشركين؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: وأولادُ المشركين.

وأمَّا القومُ الذين كان شطرٌ منهم حسنٌ وشطرٌ منهم قبيحٌ، فإنهم قومٌ خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، تجاوزَ اللَّهُ عنهم»[1].

٦٩٣ ـ وروى عُبادةُ بن الصَّامتِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «خمسُ صلواتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ على العبادِ، فمَنْ جاءَ بِهِنَّ لم يُضَيِّعْ منهنَّ شيئاً اسْتِخْفافاً بحَقِّهِنَّ، كان له عندَ اللَّهِ عهدٌ أنْ يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، ومَنْ لمْ يَأْتِ بهنَّ، فليس له عندَ اللَّهِ عهدٌ، إنْ شاءَ عذَّبَه، وإنْ شاءَ أدخَلَهُ الجنَّةَ»[2].

٦٩٤ ـ ورُويَ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقَبُونَ فيكم ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنَّهارِ، ويجتَمِعُونَ في صلاةِ العصرِ وصلاةِ الفجرِ، ثمَّ يَعْرُجُ الذين باتوا فيكم، فيسألُهُم وهو أعلمُ بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون، وأتيانُهم وهم يصلُّون»[3].

٦٩٥ ـ وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما كانتِ الصلاةُ تَحْبِسُهُ، لا يمنَعُهُ أن ينقَلِبَ إلى أهله إلا الصلاةُ، والملائكةُ تُصَلِّي على أحدِكم ما دامَ في مُصَلاَّهُ الذي صلَّى فيه ما لم يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغفِرْ له، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»[4].

٦٩٦ ـ سُئِلَ أبو سُليمانَ الدَّارانِيُّ عن ما رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاةِ»[5]، فقال: كان إذا قام إليها رأى فيها ما تَقَرُّ به عينُه.

---

(١) البخاري (٧٠٤٧).

(٢) حديث صحيح، رواه مالك ١٢٣/١، وأحمد ٣١٥/٥ ـ ٣١٦، وأبو داود (١٤٢٠)، والنسائي ٢٣٠/١، وصححه ابن حبان (١٧٣١و١٧٣٢و٢٤١٧).

(٣) البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٤) البخاري (٤٧٧و٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).

(٥) حديث صحيح، رواه من حديث أنس بن مالك (:أحمد ١٢٨/٣، والنسائي ٦١/٧و٦٢، وصححه الحاكم ١٦٠/٢، و ابن حجر في فتح الباري.

٦٩٧ - ورُويَ عن معاذ بن جبل أنه كان قاعداً عند النبي ﷺ فأتاه رجل، فقال: يا نبيَّ اللَّهِ، ما تقولُ في رجلٍ أصابَ مِن امرأةٍ لا تَحِلُّ له، ولم يدَعْ شيئاً يصيبُه الرجلُ من امرأتِه إلا قد أصابه منها، غيرَ أنه لم يجامِعْها؟ قال: «يتوضَّأ وضوءاً حسناً ويصلي». فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]. فقال معاذ بن جبل: يا رسول اللَّهِ، هي لهذا خاصةً أو للمسلمين عامةً؟ قال: «بل للمسلمين عامة»[1].

٦٩٨ - ورُويَ عن كعبِ الأحبارِ: أنَّ يحيى بنَ زكريا قال لبني إسرائيل: آمُرُكم بالصلاة، وإذا قام أحدُكم في صلاتِه فلا يلتفِتْ، فإنَّ اللَّهَ تعالى لا يزالُ مُقبلاً على عبده بوجهِه ما لم يلتفِتْ، فإنَّما ذلكَ مثلُ رجلٍ دخل على سلطانٍ، فأخلى له نفسَه، وقال له: حاجتك، وجعل الرجلُ يلتفتُ يميناً وشمالاً، فقال له: حاجتك، أقبِلْ عليَّ بوجهِك، وجعل يلتفتُ يميناً وشمالاً، فيقول له في آخِرِ ذلك، فمرَّ فيخرجُ بغيرِ حاجةٍ.

٦٩٩ - وقال عثمان بن عفان ﷺ: من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة، ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلةً[2].

٧٠٠ - وقد رُويَ عن النبي ﷺ نحوه[3].

٧٠١ - ورُويَ عن يحيى بن سعيد أنه قال: بلغني أن أول ما ينظر فيه

---

(١) رواه الترمذي (٣١١٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٣٦/١٢، والدارقطني في السنن ١٣٤/١. وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بمتصل. عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ.
قلت: لكن صح الحديث من غير هذا الطريق؛ فقد رواه عن عبد الله بن مسعود ﷺ البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣).

(٢) الموطأ ١٣٢/١ برقم (٢٩٥).

(٣) رواه مرفوعاً من حديث عثمان ﷺ مسلم (٦٥٦).

من عمل العبد الصلاة، فإن قبلت منه نظر فيما بقي من عمله، فإن لم يتقبل منه لم ينظر في شيء من عمله(١).

٧٠٢ ـ وقال بكر بن عبد اللّه: مَنْ مِثْلُك يا ابنَ آدمَ؟ إذا شئتَ أن تدخلَ على مولاكَ بغيرِ إذنٍ دخلت. قيل: وكيف ذلك؟ قال: تُسبِغُ الوُضوء، وتدخُل مِحرابَك، فإذا أنت قد دخلتَ على مولاك، كَلِّمْهُ بغيرِ تُرْجُمانٍ.

٧٠٣ ـ وقال ابنُ عباسٍ: مَنْ سمعَ المنادي ثمَّ لم يُجِبْ مِنْ غيرِ عُذْرٍ فلا صلاةَ له(٢).

٧٠٤ ـ وقال حاتمٌ الأَصَمُّ: فاتَتْني الجماعةُ، فعَزَّاني أبو إسحاقَ البخاريُّ وحدَه، ولو مات لي ولدٌ لعزَّاني أكثرُ مِنْ عشرةِ ألفٍ؛ لأنَّ مصيبةَ الدِّينِ أهونُ على الناسِ مِنْ مُصيبةِ الدُّنيا.

٧٠٥ ـ وقال أبو هريرة: لأَنْ تُمْلأَ أذنُ ابنِ آدمَ رصاصاً مُذاباً خيرٌ له مِنْ أنْ يسمعَ النِّداءَ فلا يجيبُه.

٧٠٦ ـ ورُوِيَ أنَّ مَيمونَ بنَ مِهرانَ أتى يوماً إلى المسجدِ وقد انصرفَ الناسُ، فقيلَ له: يا أبا أيوبَ، قد صلَّى الناسُ، فقال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، لَفَضْلُ هذه الصلاةِ أحبُّ إليَّ مِنْ وِلايةِ العراقِ.

٧٠٧ ـ وكان بالرَّبيعِ بنِ خُثَيْم فالِجٌ، وكان يُهادَى بين اثنينِ، فقيل له: يا أبا يزيدَ، لو جلستَ؛ فإنَّكَ في رُخصةٍ، فقال: إني أسمعُ حيَّ على الصلاةِ حيَّ على الفلاحِ، فإذا سمعَ أحدُكم فلْيُجِبْ ولو حَبْواً.

---

(١) وروي ذلك مرفوعاً من حديث النبي ﷺ رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن عبدالله بن قرط ﷺ، كما في الترغيب والترهيب للمنذري ٢٤٥/١ ـ ٢٤٦، وقال، أي المنذري: ولا بأس بإسناده إن شاء الله.

(٢) وهو من حديث النبي ﷺ رواه أبو داود (٥٥١)، وابن ماجه (٧٩٣)، وصححه ابن حبان (٢٠٦٤)، والحاكم ٢٤٥/١.

٧٠٨ ـ وروى أبو هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«أتَرَوْنَ قِبْلَتي هٰهُنا؟ فَوَاللهِ ما يَخفَى عليَّ خُشوعُكم، ولا رُكوعُكم؛ إنِّي لأَراكُم مِنْ وراءِ ظهري»**[١].

٧٠٩ ـ وكان سعيدٌ التَّنوخيُّ إذا صلَّى لم تنقطِعِ الدُّموعُ مِنْ خَدَّيْهِ على لِحيتِه.

٧١٠ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ[٢] وقد أبصرَ رجلاً يعبَثُ بالحَصْباءِ في الصلاةِ، فقال: لَوْ خَشَعَ قلبُ هذا، خَشَعَتْ جوارِحُهُ.

٧١١ ـ ونظر الحسنُ إلى رجلٍ يَعْبَثُ بالحَصْباءِ في الصلاةِ، ويقولُ: اللَّهُمَّ زوِّجْني مِنَ الحُورِ العينِ، فقال له: بِئْسَ الخاطبُ أنتَ! تخْطِبُ الحُورَ العينَ وأنت تعبَثُ؟.

٧١٢ ـ وقال ابنُ إدريسَ: كان ابنُ أبي مالكٍ بالكوفة، وكان معتوهاً ذاهِلاً، لا يعرِفُ ما الناسُ فيه، فإذا تكلَّم تكلَّمَ بالصَّوابِ. فبينا أنا يوماً في مسجدِ الكوفةِ أتَنَفَّلُ، إذْ مرَّ بي، فسَبَّحْتُ به لِيَعْطِفَ إلَيَّ، فالتفتَ إليَّ، فقال: أقْبِلْ على مَنْ أنتَ بينَ يديهِ؛ فإنَّه مُقبِلٌ عليك، فلا تُقْبِلْ على غيرِه فتُخْطِئَ حظَّكَ منه. قال ابنُ إدريس: فأفزَعَني واللهِ، فأقبلتُ على القِبلةِ بعد هذه الكلمةِ سنةً، فلم ألتفِتْ يميناً ولا شِمالاً.

٧١٣ ـ قال بعضُ المقرَّبين[٣]: دخلَ عليَّ لِصٌّ، فلم يَجِدْ ما يأخذُه، فذهب ليخرُجَ، فتعلَّقْتُ بثوبه، فقلتُ: إلى أين؟ قال: ما لَكَ! أخذتُ منك شيئاً؟ قلت: لا، فتخرُجُ فارغاً؟ قال: فأيشٍ أعملُ؟ قلت: تلك المِطْهَرَةُ،

---

(١) رواه مالك في الموطأ ١٦٧/١ برقم (٣٩٩). ومن طريقه البخاري (٤١٨)، ومسلم (٤٢٤).

(٢) وهو سعيد بن المسيب كما في مصنف عبد الرزاق ٢٦٦/٢، والزهد لابن المبارك ص٤١٩، وسنن البيهقي ٢٨٥/٢.

(٣) هو مالك بن دينار رحمه الله. انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٣/٥.

توضَّأْ للصلاةِ، وتصلي ركعتين تخرج بشيءٍ. قال: فتوضَّأ وصلى ركعتينِ، وأحدثَ للهِ توبةً، فلَزِمَني وقرأ عليَّ القرآنَ.

* * *

٦٦ ـ ما جاء في الصدقة

٧١٤ ـ قال أبو هريرة: ضرب رسولُ الله ﷺ **«مَثَلَ البخيل والمُصَّدِّقِ كمَثَلِ رجلين عليهما جُبَّتانِ من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثُدَيِّهما وتراقِيهما، فجعل المُصَّدِّقُ كلما تصدَّق بصدقةٍ انبسطتْ عليه، حتى تغشى أنامِلَه، وتعفُوَ أثرَه، وجعل البخيلُ كلَّما همَّ بصدقةٍ قَلَصَتْ وأخذت كلُّ حلقةٍ بمكانِها»**. قال أبو هريرة: فإنِّي رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول بأصبعه هكذا في جيبِه، فلو رأيتَه يُوَسِّعُها ولا تُوسع[١].

٧١٥ ـ ورُويَ عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال: قال النبي ﷺ: **«أيُّكم مالُ وارِثِه أحبُّ إليه من ماله»** ؟ قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، ما منا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه. قال: **«فإنَّ مالَه ما قدَّمَ ومالَ وارثِه ما أخَّرَ»**[٢].

٧١٦ ـ وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ تصدَّقَ بِعِدْلِ تمرةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يصعدُ إلى اللَّهِ تعالى إلا الطَّيِّبُ، فإنَّ اللَّهَ عز وجل يتقبَّلُها بيمينه، ثم يُرَبِّيها لصاحبه كما يُرَبِّي أحدُكم فُلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثْلَ الجبلِ»**[٣].

٧١٧ ـ قال مالك: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لنسائه: **«أوَّلُكُنَّ لُحوقاً بي أطوَلُكُنَّ يداً»**. قال: فكُنَّ يتطاولْن ينظُرنَ أيُّهُنَّ أطولُ يداً، حتى هلكتْ

---

(١) البخاري (١٤٤٣و٥٧٩٧)، ومسلم (١٠٢١).

(٢) البخاري (٦٤٤٢).

(٣) البخاري (١٤١٠و٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

زينبُ، وكانتِ امرأةً صَناعَاً عظيمةَ الصَّدقةِ، فلمَّا ماتت، عرَفْنَ إنَّما أرادَ النبيُّ ﷺ بذلك الصدقةَ[١].

٧١٨ - وإنها قالت: أرى عُمرَ سيبعثُ إليَّ كفَنَاً، وكانت قد أعدَّتْ لها كفناً، فإنْ بعثَ بشيءٍ فتصدَّقُوا به، وكان عمرُ أولَّ مَنْ جعل عليها هذا النَّعْشَ، الذي يُجْعَلُ على النساءِ لِيَسْتُرَهَا به.

٧١٩ - وروى أبو زُرْعَةَ عن أبي هريرةَ، قال جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجراً؟ قال: «**أنْ تَصَدَّقَ وأنتَ صحيحٌ شحيحٌ تَخشى الفقرَ وتأمَلُ الغِنَى، ولا تُمْهِلْ حتَّى إذا بلَغَتِ الحُلْقومَ قلت: لِفُلانٍ كذا، ولِفُلانٍ كذا، وقد كان لِفُلانٍ**»[٢].

٧٢٠ - وروى أبو موسى الأشعري قال: قال النبي ﷺ: «**على كلِّ مسلمٍ صدقةٌ**». قالوا: فإنْ لمْ يجِدْ؟ قال: «**فيعمَلُ بيديهِ وينفَعُ نفسَه ويتصدَّقُ**». قالوا: فإنْ لم يستطِعْ أو لم يفعَلْ؟ قال: «**يأمرُ بالخيرِ أو قال بالمعروفِ**». قال: فإنْ لم يفعل؟ قال: «**فيُمْسِكُ عنِ الشَّرِّ، فإنَّه له صدقةٌ**»[٣].

٧٢١ - وروى عديُّ بنُ حاتمٍ، قال: ذكرَ النبيُّ ﷺ النارَ، فتعوَّذَ منها، وأشاحَ بوجهِهِ، ثمَّ ذكرَ النارَ، فتعوَّذَ منها وأشاحَ بوجهِهِ، ثم قال: «**اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فإنْ لمْ يجِدْ فبكلمةٍ طيِّبَةٍ**»[٤].

٧٢٢ - وقال عمَّارُ بن ياسرٍ: ثلاثٌ مَنْ جمعهُنَّ جمعَ خِصالَ الإيمانِ: الإنفاقُ منَ الإقْتارِ، والإنصافُ من نفسِكَ، وبذلُ السَّلامِ للعالِمِ[٥].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٥٢).
(٢) البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢).
(٣) البخاري (١٤٤٥)، ومسلم (١٠٠٨).
(٤) البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦).
(٥) أورده البخاري تعليقاً في كتاب الإيمان، باب السلام من الإسلام. ورواه من قول=

٧٢٣ ـ وروى معبَدُ بنُ خالدٍ عن حارثةَ بنِ وهبٍ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**تصدَّقوا؛ فإنَّه يأتي عليكم زمانٌ يمشي الرجلُ بصدقتِه، فلا يجدُ مَنْ يقبلُها، يقول الرجلُ: لو جئتَ بها بالأمس لقَبِلتُها، فأما اليومَ فلا حاجةَ لي بها**»(١).

٧٢٤ ـ وروى أبو وائل عن أبي مسعودٍ، قال: لما أُنزِلتْ آيةُ الصدقةِ، كنَّا نُحامِلُ(٢)، فجاء رجلٌ، فتصدَّق بشيءٍ كثيرٍ، فقالوا: مُراءٍ، وجاء رجلٌ، فتصدَّق بنصفِ صاعٍ، فقالوا: إنَّ اللَّهَ لغَنِيٌّ عن صاعِ هذا. فنزلتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾(٣) الآية [التوبة: ٧٩].

٧٢٥ ـ وروى الأعرجُ عن أبي هريرةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**قال رجلٌ: لأتصدَّقَنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقتِه فوضَعَها في يدِ سارق، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّقَ على سارقٍ. فقال: اللَّهُمَّ لك الحمد، لأتَصَدَّقَنَّ بصدقةٍ، فوضعها بيد زانيةٍ، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّقَ الليلةَ على زانيةٍ. فقال: اللَّهُمَّ لك الحمدُ، لأتصدَّقَنَّ بصدقةٍ، فوضعها في يدِ غنيٍّ، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّقَ على غنيٍّ. فقال: اللَّهُمَّ لك الحمدُ، على سارقٍ، وعلى زانيةٍ، وعلى غنيٍّ، فأُتِيَ فقيلَ له: أمَّا صدقتُك على سارقٍ، فلعلَّهُ أنْ يَسْتَعِفَّ عن سرِقَتِه، وأمَّا الزانيةُ، فلعلَّها أنْ تستَعِفَّ عن زِناها، وأمَّا الغنيُّ، فلعلَّه يعتَبِرُ، فينفقُ مِمَّا آتاهُ الله تعالى**»(٤).

= عمار رضي الله عنه ابن أبي شيبة في المصنف ١٧٢/٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٧٥/١، و٣٤٦/٦، و٥٣٢/٧. ورواه مرفوعاً الطبراني في المعجم الكبير، وعنه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٤١/١. وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٧/١.

(١) البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٠١١).

(٢) أي نحمل على ظهورنا بالأجرة.

(٣) البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).

(٤) البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢).

٧٢٦ - ورُويَ عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: قال لي النبي ﷺ: **«لا تُوكي[1] فيُوكَى عليك، ولا تُحصِي فيحصى عليك، ارْضَخِي[2] ما استطعتِ»**[3].

٧٢٧ - وروى مسروقٌ عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا تصدَّقَتِ المرأةُ مِنْ طعامِ زوجِها غيرَ مُفسِدَةٍ، كان لها أجرُها، ولزوجِها ما كَسَبَ، وللخازِنِ مِثْلُ ذلك»**[4].

٧٢٨ - ورُويَ عن أنس بن مالك أنه قال: كان أبو طلحةَ أكثرَ أنصاريٍّ بالمدينةِ مالاً من نخلٍ، وكان أحبَّ مالِه إليه بَيْرَحَاء، وكانتْ مُسْتَقْبِلَةَ المسجدِ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يدخُلُها، ويشربُ مِنْ ماءٍ فيها طيِّبٍ. قال أنس: فلمَّا نزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. قام أبو طلحةَ، فقال: يا رسول اللَّه، إنَّ اللَّهَ عز وجل يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرَحَاءَ، وإنها صدقةٌ للهِ تعالى أرجو بِرَّها وذُخْرَها، فاجْعَلْها يا رسولَ اللَّهِ حيثُ أراكَ اللَّهُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«بَخٍ، ذلك مالٌ رابِحٌ، وقد سمعتُ ما قلتَ، وأرى أن تجعَلَها في الأقربين»**، فقال أبو طلحة: أفعلُ يا رسولَ اللَّه، فقَسَمَها أبو طلحةَ بين أقاربِه وبني عمِّه[5].

٧٢٩ - وروى أبو الحُبابِ سعيدُ بنُ يَسارٍ عن أبي هريرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«ما مِنْ يوم يُصبِحُ العبادُ فيه إلا مَلَكانِ ينزلان، فيقولُ أحدُهما: اللَّهُمَّ أعطِ مُنفِقاً خَلَفَاً، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفَاً»**[6].

---

(١) توكي: من الإيكاء، وهو الربط؛ أي لا تربطي أوعيتك من الإنفاق في سبيل الخير.
(٢) ارضخي: من الرضخ، وهو العطاء القليل.
(٣) البخاري (١٤٣٣)، ومسلم (١٠٢٩).
(٤) البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٠٢٤).
(٥) البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).
(٦) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

٧٣٠ ـ وقال جعفر بنُ محمد الصادقُ: إنِّي لأُملِقُ أحياناً فأُتاجِرُ اللَّهَ تبارك وتعالى بالصَّدَقَةِ.

٧٣١ ـ ومرَّ أبو حازمٍ بجماعةٍ اجتمعوا على بيعِ جاريةٍ عُرِضَتْ للبيعِ، عليها مِنَ الحُلِيِّ والثِّيابِ يُسامُ بها مِئِينَ مِنَ الدَّنانيرِ، فقال رجلٌ: يا أبا حازمٍ، تشتري. قال: ليس تبيعوني، قال صاحبُ الجاريةِ: بل نبيعُك، قال: فأنا أعلمُ أنكم لا تبيعونني. قال: فاشترِ، فنحن نبيعُك، فأخرج مِنْ كُمِّهِ رغيفاً مِنَ الخبزِ، فقال لصاحبِ الجاريةِ: تبيعُني إيَّاها بهذا الرَّغيفِ، فافتَرَّ ضاحِكاً متعَجِّباً. قال: مِنْ أيِّ شيءٍ تضحكون وتعجبون؟ أمَا والله إنِّي لأرجو أنْ أبتاعَ به خيراً، فمرَّ مِسكينٌ، فقال: هاكَ، فأعطاه المسكينَ.

٧٣٢ ـ وروى ابنُ عُيَيْنَةَ عن بعضِ العُلماء أنه قال: إنَّ الله أعطاكُمُ الدُّنيا قَرْضاً وسألَكُموها قَرضاً. فإنْ أعطَيتُموها طيِّبةً أنفُسُكم ضاعفَ لكم ما بينَ الحسنةِ إلى العشْرِ إلى سبعِ مائةٍ إلى أكثرَ مِنْ ذلك، وإنْ أخذها منكم وأنتم كارهونَ، فصبرتم وأحسنتم، كان لكمُ الصلاةُ والرحمةُ، وأوجبَ لكمُ الهدى[1].

٧٣٣ ـ وروى أبو الخيرِ عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ، قال: **«كلُّ امرئٍ في ظِلِّ صدقتِه حتَّى يُفصَلَ بين الناسِ»**.

وكان أبو الخيرِ لا يُخْطِئه يومٌ لا يتصدَّقُ فيه بشيءٍ، ولو بكعكةٍ أو بصلةٍ[2].

٧٣٤ ـ وروى عُقَيْلٌ عن ابنِ شهابٍ: ما أحسنَ عبدٌ الصَّدقَةَ، إلا أحسنَ اللَّهُ الخِلافَةَ على تركَتِهِ.

---

(١) الزهد لابن المبارك ص ٢٢٦، ومن طريقه رواه الطبري في التفسير ٥٩٣/٢.

(٢) حديث صحيح. رواه أحمد ١٧٤/٤ ـ ١٧٥، وصححه ابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن حبان (٣٣١٠)، والحاكم ٤١٦/١، ووافقه الذهبي.

٧٣٥ ـ ورُويَ عن عبدِ اللَّه بن مسعود أنه قال: أيُّكمُ استطاعَ أن يجعلَ كَنْزَه في السماءِ حيث لا يأكلُه السُّوس، ولا ينالُه السَّرَقُ فليفْعَلْ، فإنَّ قلبَ كلِّ امرئٍ عندَ كَنْزِهِ.

٧٣٦ ـ وليس معنى هذا أنْ ينُفِقَ كلَّ مالِه، حتَّى يحتاجَ إلى الناسِ. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

٧٣٧ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

٧٣٨ ـ وقال كعب بن مالك: قلت: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ مِنْ توبتي أنْ أنْخَلِعَ مِنْ مالي صَدَقَةً إلى اللَّهِ ورسولِهِ، فقال: «**أمسِك عليكَ بعضَ مالِكَ، فهو خيرٌ لك**». فقلت: إنِّي أُمْسِكُ سهمي الذي بخيبرَ[1].

❋ ❋ ❋

٦٧ ـ ما جاء في الصيام

٧٣٩ ـ روى مالكُ بنُ أبي عامرٍ عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخلَ رمضانُ، فُتِحَتْ أبوابُ الجنةِ، وغُلِّقَتْ أبوابُ جهنَّمَ، وسُلْسِلَتِ الشياطينُ**»[2].

٧٤٠ ـ وروى أبو سلمةَ عن أبي هريرةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِه**»[3].

---

(١) البخاري (٢٧٥٧)، وهو قطعة من حديث كعب بن مالك الطويل، وهو في البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٥٧).

(٢) البخاري (١٨٩٨، ١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩).

(٣) البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

٧٤١ ـ وروى الأعرجُ عن أبي هريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**قال اللَّهُ عز وجلَّ: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له، إلا الصيامَ فإنَّه لي، وأنا أجزي به. الصَّومُ جُنَّةٌ، فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ. فإنِ امرؤٌ قاتلَه أو شاتَمه، فليقُلْ: إني صائمٌ، إني صائمٌ مرتين. والذي نفسي بيدِه لَخَلوفُ فمِ الصائمِ أطيَبُ عندَ اللَّهِ مِنْ ريحِ المسكِ؛ يترُكُ طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجلي. الصيامُ لي وأنا أجزي به، والحسنةُ بعشرةِ أمثالها**»[(١)].

٧٤٢ ـ وروى أبو حازمٍ عن سهلِ بنِ سعدٍ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ في الجنةِ باباً يُقال له الرَّيَّانُ، يدخُلُ منه الصائمونَ يومَ القيامةِ، لا يدخلُ منه أحدٌ غيرُهم، يُقالُ: أين الصائمونَ؟ فيقومون لا يدخُلُ منه أحدٌ غيرُهم، فإذا دخلوا أُغلِقَ فلمْ يدخُلْ منه أحدٌ**»[(٢)].

٧٤٣ ـ وروى حُمَيْدُ بنُ عبد الرحمن عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ أنفقَ زوجين في سبيلِ اللَّهِ نُودِيَ من أبوابِ الجنةِ: يا عبدَ اللَّهِ، هذا خيرٌ، فمَنْ كان مِنْ أهلِ الصيامِ دُعِيَ مِنْ بابِ الرَّيَّانِ، ومَنْ كان من أهلِ الصدقةِ، دُعِيَ من باب الصدقةِ**». فقال أبو بكر: بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ اللَّه! ما على مَنْ دُعِيَ مِنْ تلك الأبوابِ كلِّها؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»[(٣)].

٧٤٤ ـ ورُوِيَ عن سُليمانَ بنِ موسى، قال: قال جابرُ بنُ عبد اللَّه: إذا صُمت فليصُمْ سمعُك وبصرُك ولسانُك عنِ الكذبِ والمحارِمِ، ودَعْ أذى الخادمِ، وليكُنْ عليك وَقارٌ وسكينةٌ يومَ صومِكَ، ولا تجعلْ يومَ صومِك ويومَ فِطْرِك سواءً[(٤)].

---

(١) البخاري (١٨٩٤ و١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).
(٢) البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).
(٣) تقدم هذا الحديث في فضائل أبي بكر الصديق برقم (٤٨٥).
(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٦٠) من قول سليمان بن موسى.

٧٤٥ ـ ورُوِيَ عن الحارثِ بن عبيدةَ أنه قال: لكلِّ صائمٍ دعوةٌ، فإذا أراد أن يُفطرَ فليقُلْ عند أولِ لقمة: يا واسعَ المغفرةِ اغفرْ لي.

٧٤٦ ـ ورُوِيَ عن معاذِ بن جبلٍ: مَنْ أراد أن يُفطر قال: اللَّهُمَّ لك صمتُ وعلى رزقِك أفطرتُ، فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ.

٧٤٧ ـ وكان الربيعُ بن خُثَيْمٍ يقول: الحمد لله الذي أعانني فصُمْتُ، ورزقني فأفطرتُ.

* * *

٦٨ ـ ما جاء في الحج والعمرة

٧٤٨ ـ قال الله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

٧٤٩ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧].

٧٥٠ ـ وروى أبو حازم الأشجعيُّ عن أبي هريرةَ: أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**مَنْ حجَّ البيتَ ولم يَرْفُثْ ولم يفسُقْ، رجع كيومَ ولدته أمُّه**»[1].

٧٥١ ـ ورُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أنه سمع عمرَ يقول: سمعت رسولَ الله ﷺ بوادي العقيقِ يقول: «**أتاني الليلةَ آتٍ مِنْ ربي، فقال: صلِّ في هذا الوادي المباركِ، وقل: عمرةٌ في حَجَّةٍ**»[2].

٧٥٢ ـ وروى أبو صالحٍ السَّمَّان عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) البخاري (١٥٣٤).

قال: «**العمرةُ إلى العمرةِ كفَّارةٌ لما بينَهما، والحجُّ المبرورُ ليس له عندَ اللّهِ جزاءٌ إلا الجنة**»[١].

٧٥٣ ـ وروى عطاءٌ عن ابن عباسٍ، قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ لامرأةٍ مِنَ الأنصارِ: «**ما منعَكِ أن تحُجّي معنا**»؟ فقالت: كان لنا ناضِحٌ فركِبَه أبو فلان وابنه، لزوجها وابنها، وتركا لنا ناضحاً ننضَحُ عليه. قال: «**فإذا كان رمضانُ، فاعتمري فيه عمرةً؛ فإنَّ عمرةً في رمضانَ حَجَّةٌ، أو حَجَّةٌ معي**»[٢].

٧٥٤ ـ وروى عِكرمةُ عنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ اللّهَ حرمَ مكةَ، فلم تحِلَّ لأحدٍ قبلي، ولا تحِلّ لأحدٍ بعدي، وإنها أُحِلَّتْ ليَ ساعةً من نهارٍ، وقد عادت حُرمتُها، لا يُختَلى خلاها**[٣]**، ولا يُعْضَدُ**[٤] **شجرُها، ولا يُنَفَّرُ صيدُها، ولا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُها، إلا لِمُعرِّفٍ**». وقال العباسُ: إلا الإذخِرَ[٥]؛ فإنه لصاغتِنا وقبورِنا، فقال: «**إلا الإذخر**»[٦].

٧٥٥ ـ وقال يحيى بن سعيد: بلغني أنَّ عمرَ بن عبد العزيز خطب الناس بعرفةَ، فقال: يا أيُّها الناسُ، إنكم جئتم مِنَ القريبِ والبعيدِ، فأنْضَيْتُمُ المَطِيَّ[٧]، وأخْلَقْتُمُ الثيابَ، وليس السعيدُ مَنْ سبقتْ دابَّتُه أو راحلتُه، ولكنَّ السعيدَ مَنْ تُقُبِّلَ منه.

٧٥٦ ـ وقال ابنُ جُرَيْجٍ: ما ظننتُ أنَّ اللّهَ تبارك وتعالى ينفعُ بشعرِ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ، حتى سمعتُ وأنا باليمنِ مُنشداً يُنشد قولَه:

---

(١) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٢) البخاري (١٧٨٢، ١٨٦٣)، ومسلم (١٢٥٦).
(٣) الخلى: الرطب من النبات، واختلاؤه: قطعه واحتشاشه.
(٤) يعضد: يقطع.
(٥) الإذخر: نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح.
(٦) البخاري (١٨٣٣)، ومسلم (١٣٥٣).
(٧) المطي: الإبل أو الخيل التي تركب. وأنضى فلان بعيره: أي هزله.

بـاللـهِ قـولـي لـه فـي غـيـرِ مَـعْـتَـبَـةٍ ماذا أردْتِ بطولِ المُكْثِ في اليمنِ
إنْ كنتِ حاولتِ دُنيا أو رَضِيتِ بها فـمـا أخـذْتِ بـتـركِ الـحـجِّ مِـنْ ثـمـنِ

فحرَّكني ذلك للرجوعِ إلى مكةَ، فخرجت معَ الحُجَّاجِ فحَجَجْتُ.

٧٥٧ ـ وحجَّ بعضُ الشُّعراءِ(١)، فلَبَّى:

إلـــهَـــنَـــا مـــا أعـــدَلَـــكْ مَـلِـيـكَ كُـلِّ مَـنْ مَـلَـكْ
لَـبَّـيْـكَ قـدْ لَـبَّـيْـتُ لَـكْ لَـبَّـيْـكَ إنَّ الـحـمـدَ لَـكْ
والـمُـلْـكَ لا شـريـكَ لَـكْ مـا خـابَ عـبـدٌ أمَّـلَـكْ
أنـتَ لـه حـيـثُ سَـلَـكْ لـولاكَ يـا ربِّ هَـلَـكْ
يـا مُـخْـطِـئـاً مـا أغْـفَـلَـكْ عَـجِّـلْ وبـادِرْ أَجَـلَـكْ
واخـتـم بـخـيـرٍ عَـمَـلَـكْ لَـبَّـيْـكَ إنَّ الـمُـلْـكَ لَـكْ
والـحـمـدُ والـنِّـعْـمَـةَ لَـكْ والـعِـزُّ لا شـريـكَ لَـكْ

* * *

٦٩ ـ ما جاء في الجهاد والرباط

٧٥٨ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١].

٧٥٩ ـ وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١١﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) هو أبو نواس الحسن بن هانئ، والأبيات في ديوانه من قصيدة قالها لما حجَّ.

٧٦٠ ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٧٦١ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَثَلُ المجاهدِ في سبيلِ اللَّهِ كمَثَلِ الصائمِ القائمِ الدائمِ، الذي لا يفتُرُ من صلاةٍ ولا صيامٍ حتى يرجِعَ»[1].

٧٦٢ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «تكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جاهدَ في سبيله، لا يُخرجُه مِنْ بيتِه إلا الجهادُ في سبيلِه وتصديق كلماتِه، أنْ يُدخلَه الجنةَ، أو يردَّه إلى مسكنِه الذي خرج منه مع ما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ»[2].

٧٦٣ ـ وقال ﷺ: «لولا أنْ أَشُقَّ على أمَّتي لأحببتُ أن لا أتخَلَّفَ عن سَرِيَّةٍ تخرُج في سبيل اللَّه، ولكني لا أجِدُ ما أحملهم عليه، ويَشُقُّ عليهم أن يتخلَّفوا بعدي. والذي نفسي بيده، لوَدِدْتُ أني أُقاتِل في سبيل الله فأُقتَلُ، ثم أحيا فأُقتلُ، ثم أحيا فأُقتلُ»[3].

٧٦٤ ـ [وقال ﷺ]: «والذي نفسي بيده، لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيل اللَّه، واللهُ أعلمُ بمن يُكْلَمُ في سبيله، إلا جاء يومَ القيامةِ، وجُرحُهُ يَثْعُبُ دماً؛ اللونُ لونُ الدمِ، والريحُ ريحُ المسكِ»[4].

٧٦٥ ـ ولبعض الشعراء[5]:

فيا ربِّ لا تَجْعَلْ وفاتي إذا أتَتْ ... على شَرْجَعٍ[6] يُغْلَى بِخُضْرِ المَطارِفِ

---

(١) البخاري (٢٧٨٧)، ومسلم (١٨٧٦)، وهذه رواية الإمام مالك في الموطأ ٤٤٣/٢ (٩٦٥).

(٢) البخاري (٣١٢٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٣) البخاري (٢٧٩٧)، ومسلم (١٨٧٦).

(٤) البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦). وقد دمج المصنف هذا الحديث مع الحديث الذي قبله، وهما منفصلان عند البخاري.

(٥) هو الطِّرِمَّاح بن حكيم الطائي، المتوفى سنة ١٢٥ هـ.

(٦) الشرجع: النعش.

ولكنْ أَحِنْ يَوماً شهيداً وعُصْبَةً يُصابونَ في فجٍّ مِنَ الأرضِ خائِفِ
عَصائِبُ مِنْ شَتَّى يُؤَلِّفُ بينهم هُدى اللَّهِ نَزَّالونَ عندَ المواقِفِ
إذا فارقوا دنياهُمُ فارقوا الأذى وصاروا إلى موعودِ ما في المصاحِفِ
فأُقْتَلُ قَعْصاً ثم يُرْمَى بأَعْظُمي كَضَغْثِ الخَلا بينَ الرِّياحِ العَواصِفِ[(١)]
ويُصْبِحُ لحمي بَطْنَ طيرٍ مَقِيلُهُ دُوَيْنَ السَّماءِ في نُسُورٍ عَوائِفِ

٧٦٦ ـ وروى أبو صالح عن أبي هريرةَ، قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: دُلَّني على عملٍ يعدِلُ الجهادَ؟ قال: **«لا أجده»**. قال: **«هل تستطيعُ إذا خرجَ المجاهدُ أن تدخُلَ المسجدَ فتقومُ لا تَفْتُرُ، وتصومُ ولا تُفطِرُ»** ؟ قال: ومن يستطيعُ ذلك؟ قال أبو هريرة: إنَّ فرس المجاهد ليَسْتَنُّ في طِوَلِهِ فتُكْتَبُ له حسنات[(٢)].

٧٦٧ ـ وروى عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **«مَنْ آمنَ بالله ورسوله، وأقام الصلاةَ، وصام رمضانَ كان حقًّاً على الله أن يُدخِلَه الجنةَ، جاهدَ في سبيل الله أو جلس في أرضِه التي وُلِدَ فيها»**. قالوا: يا رسول اللَّه، أفلا نُبَشِّرُ الناسَ؟ قال: **«إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ، أعدَّها الله للمجاهدينَ في سبيلِ اللَّه، ما بين الدرجتين كما بين السماءِ والأرضِ، إذا سألتمُ اللَّهَ تعالى، فسلوه الفردوسَ؛ فإنه أوسطُ الجنةِ وأعلى الجنةِ ـ أرى وفوقَه عرشُ الرحمن ـ ومنه تُفَجَّرُ أنهارُ الجنةِ»**[(٣)].

٧٦٨ ـ وروى حُميدٌ عن أنسِ بن مالكٍ، عن النبي ﷺ قال: **«لَغَدْوَةٌ في سبيلِ اللَّهِ أو روحة، خيرٌ مِنَ الدنيا وما فيها. وما مِنْ عبدٍ يموتُ له**

---

(١) القعص: يقال: مات فلان قعصاً: إذا اصابته ضربة أو رمية فمات مكانه. والإقعاص: أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه. والضغث: القبضة من الحشيش مختلطة الرطب باليابس.

(٢) البخاري (٢٧٨٥). وقوله: ليستن: أي يمرح بنشاط. والطِّوَل: الحبل الذي تشد به الدابة ويمسك طرفه ويرسل في المرعى.

(٣) البخاري (٢٧٩٠).

عندَ الله خيرٌ يَسُرُّهُ أن يرجِعَ إلى الدنيا، وإنَّ له الدنيا وما فيها، إلا الشهيدُ؛ لما يرى مِنْ فضلِ الشهادة، فإنَّه يسرُّه أن يرجِعَ إلى الدنيا فيُقْتَلُ مرَّةً أخرى»(١).

٧٦٩ ـ وروى حُميدٌ عن أنسٍ قال: غاب عمِّي أنسُ بنُ النَّضرِ عن قتال بدرٍ، فقال: يا رسول اللَّه، غِبْتُ عن أولِ قتالٍ قاتلتَ المشركين، لئِنِ اللَّهُ أشهدني قتالَ المشركين لَيَرَيَنَّ ما أصنعُ، فلما كان يومُ أحدٍ، وانكشف المسلمون، قال: اللَّهُمَّ إنِّي أعتذرُ إليك ممَّا صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأُ إليك ممَّا صنعَ هؤلاء يعني المشركينَ، ثم تقدَّم فاستقبله سعدُ بن معاذ، فقال: يا سعدَ بنَ معاذٍ، الجنَّةَ وربِّ النَّضر، إنِّي أجدُ ريحَها مِنْ دونِ أُحد، قال سعدٌ: فما استطعت يا رسولَ اللَّهِ ما صنعَ، قال أنس: فوجدنا به بضعةً وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنةً بالرُّمح، أو رميةً بسهمٍ، ووجدناه قد مَثَّلَ به المشركون فما عرفه أحدٌ إلا أختُه ببَنانِه، وقال: ترى هذه الآية نزلت فيه وما أشبهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾(٢) [الأحزاب: ٢٣].

٧٧٠ ـ وروى محمد بن المُنْكَدِرِ عن جابر قال: جيء بأبي إلى النبيِّ ﷺ قد مُثِّلَ به ووُضِعَ بين يديه، فذهبت أكشِفُ عن وجهه، فنهاني قومي، فسَمِعَ صوتَ صائحةٍ، فقيل: بنتُ عمرو أو أختُ عمرو، فقال: **«لِمَ تبكي، أو لا تبكي، ما زالتِ الملائكةُ تُظِلُّه بأجنحتِها حتى رُفِعَ»**(٣).

٧٧١ ـ وروى عبد اللَّه بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال: **«واعلموا أنَّ الجنةَ تحتَ ظلالِ السيوف»**(٤).

---

(١) هذان حديثان دمجهما المؤلف في حديث واحد. الأول أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٢)، والثاني أخرجه البخاري أيضاً برقم (٢٧٩٥)، ومسلم (١٨٧٧).
(٢) البخاري (٢٨٠٥).
(٣) البخاري (٢٨١٦)، ومسلم (٢٤٧١).
(٤) البخاري (٢٨١٨)، ومسلم (١٧٤٢).

٧٧٢ - وروى قيسُ بن أبي حازم: سمعتُ خالد بن الوليد يقول: لقد انقطعتْ في يدي يوم مُؤتةَ تسعةُ أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحةٌ يمانيَّةٌ[(١)].

٧٧٣ - وذكر بعض أهل الأخبار أن عَمرو بن العاص كتب إلى عُمرَ يستمدُّه بثلاثةِ آلاف فارس، فأمدَّه بالزُّبير بنِ العوام، والمقداد بنِ الأسود، وخارجةَ بنِ حُذافة القرشيِّ العدويِّ.

٧٧٤ - وروى أبو وائل عن أبي موسى، قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: الرجلُ يقاتلُ للمغْنَمِ، والرجلُ يقاتل للذِّكر، والرجلُ يقاتلِ ليُرى مكانهُ، فمَنْ في سبيلِ الله تعالى؟ قال: **«مَنْ قاتل لتكونَ كلمةُ اللّهِ هي العليا فهو في سبيلِ الله عز وجل»**[(٢)].

٧٧٥ - وروى مالكٌ[(٣)]، قال: لمَّا كان يومُ أحدٍ قال رسول الله ﷺ: **«من يأتيني بخبرِ سعدِ بن الربيع الأنصاري»**؟ فقال رجلٌ: أنا يا رسولَ اللّه، فذهب الرجل يطوف بين القتلى، فقال له سعد بن الربيع: ما شأنُك؟ فقال الرجل: بعثني رسول الله ﷺ لآتيه بخبرِك، فقال: اذهب فأقْرِئه مني السلامَ، وأخبره أنِّي قد طُعِنْتُ اثنتي عشرةَ طعنةً، وأنها قد أُنفِذَتْ مقاتلي، وأخبِرْ قومكَ أنَّهم لا عُذْرَ لهم عندَ الله إن قُتِلَ رسولُ الله ﷺ وواحدٌ منهم حيٌّ.

٧٧٦ - ورُوِيَ أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج يومَ بدرٍ على الناس يُحَرِّضُهم، فقال: **«والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يقاتِلُهُمُ اليومَ رجلٌ صابراً مُحتسباً، مقبلاً غيرَ مدبرٍ، إلا أدخله الله الجنة»**. فقال عُميرُ بن الحِمام أخو بني سَلِمة،

---

(١) البخاري (٢٤٦٥) وسيكرره المصنف برقم (٨٠٠).
(٢) البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).
(٣) في الموطأ ٤٦٥/٢ برقم (٩٩٦) عن يحيى بن سعيد، ومن طريقه رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٥٢٣/٣.

وفي يده تمراتٌ يأكلُها: بَخٍ بَخٍ! فما بيني وبين أن أدخُلَ الجنةَ إلا أن يقتُلَني هؤلاء؟ قال: فقذفَ التمرَ من يده، وأخذ سيفَه، فقاتل القومَ حتى قُتِلَ، وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زادِ إلا التُّقَى وعملُ المَعادِ
والصبرُ في اللَّهِ على الجهادِ وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النَّفادِ
غيرَ التُّقى والبِرِّ والرَّشادِ[1]

٧٧٧ ـ وروى مالك عن أنس أنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أمِّ حرامٍ بنتِ مِلْحان، وكانت تحتَ عُبادةَ بنِ الصَّامت، فدخل عليها يوماً فأطعمته، وجعلت تَفْلِي رأسَه، فنام رسولُ الله ﷺ ثم استيقظَ وهو يضحك. قالت: فقلتُ: ما يضحِكُك يا رسول اللَّه؟ قال: «**ناسٌ من أمَّتي عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ اللَّه، يركبون ثَبَجَ هذا البحر، مُلوكاً على الأسِرَّة، أو مثلُ الملوك على الأسِرَّة**» قالت: فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، ادعُ اللَّهَ أن يجعلَني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك. فقلت: ما يُضحِكُك يا رسولَ اللَّه. قال: «**ناسٌ من أُمتي عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيل الله**» كما قال في الأولى. قالت: فقلت: يا رسول اللَّه، ادعُ الله أن يجعلَني منهم. قال: «**أنتِ مِنَ الأوَّلين**». فركبتِ البحرَ في زمن معاويةَ ابن أبي سفيان، وصُرِعَتْ عن دابَّتها حين خرجت مِنَ البحر، فهلَكت[2].

٧٧٨ ـ ورُوِيَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامة**»[3].

---

(١) الحديث رواه مسلم (١٩٠١) من غير الشعر. والشعر رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية، ومن طريقه الطبري في تاريخه ٣٣/٢، وابن عبد البر في التمهيد ٩٩/٢٤.

(٢) الموطأ ٤٦٤/٢ ـ ٤٦٥. وأخرجه من طريق مالك البخاري (٢٧٨٨)، ومسلم (١٩١٢).

(٣) روي عن عدد من الصحابة؛ منهم ابن عمر: رواه البخاري (٢٨٤٩)، ومسلم (١٨٧١). ومنهم: جرير البجلي: رواه عنه مسلم (١٨٧٢). ومنهم: عروة البارقي: رواه البخاري (٢٨٥٠)، ومسلم (١٨٧٣).

٧٧٩ - ورُويَ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الخيلُ لرجلٍ أجرٌ، ولرجلٍ سِترٌ، وعلى رجلٍ وِزرٌ؛ فأما الذي هي له أجرٌ، فرجلٌ ربطها في سبيل الله تعالى، فأطالَ لها في مَرْجٍ أو روضةٍ، فما أصابت في طِيَلِها ذلك مِنَ المرج أو الروضة، كان لها حسناتٍ. ولو أنها قطعتْ طِيَلَها ذلك، فاستنَّتْ شرفاً أو شرفين، كانت آثارُها وأرواثُها حسناتٍ [له، ولو أنها مرَّت بنهر فشربت منه ولم يُرد أن يسقيَها كان ذلك حسنات له]، فهي له أجر. ورجلٌ ربطها تغنِّياً وتعفُّفاً، ولم ينسَ حقَّ الله في رِقابها ولا ظهورها، فهي لذلك سِترٌ. ورجلٌ ربطها فخراً ورياءً ونِواءً لأهلِ الإسلام، فهي على ذلك وزر». وسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر، فقال: «لم ينزل عليَّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذَّة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾»[1] [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

٧٨٠ - وروى أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدرهم وعبدُ الخَمِيصَةِ؛ إنْ أُعطِيَ رَضِيَ، وإنْ لم يُعطَ سَخِطَ. تعسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَش. طوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنانِ فرسِه في سبيل اللَّه، ورُبَّ أشعَثَ رأسُه مغبَرَّةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقةِ كان في الساقة، إن استأذن لم يُؤذَنْ له، وإن شُفِّعَ لم يُشَفَّع»[2].

٧٨١ - وروى مالك[3] عن عطاء بن يسار، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبِرُكم بخيرِ الناس؟ رجل آخِذٌ بعِنان فرسِه يُجاهد في سبيل اللَّه. ألا أخبركم بخيرِ الناس منزِلَةً؟ رجلٌ معتزلٌ في غُنيمةٍ يُقيم الصلاةَ، ويُؤتي الزكاة، ويعبُدُ الله ولا يُشرِكُ به شيئاً».

---

(١) البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧). وما بين حاصرتين منهما.

(٢) البخاري (٢٨٨٦).

(٣) في الموطأ ٢/٤٤٥، وهو مرسل. ورواه موصولاً من حديث عطاء عن ابن عباس أحمد ١/٢٣٧، والترمذي (١٦٥٢)، والنسائي ٥/٨٣. وصححه ابن حبان (٦٠٤و٦٠٥).

٧٨٢ ـ ورُوِيَ عن أبي عبس[١] أن رسول الله ﷺ قال: «**ما اغبَرَّتْ قدما عبدٍ في سبيل اللَّه، فتَمَسَّهُ النارُ**».

٧٨٣ ـ وروى النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صام يوماً في سبيل اللَّه، بعَّدَ اللَّهُ وجهَه عن النارِ سبعين خريفاً**»[٢].

٧٨٤ ـ وروى بُسْرُ بن سعيد عن زيد بن خالد أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ جهَّزَ غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَفَ غازياً في سبيل الله بخيرٍ فقد غزا**»[٣].

٧٨٥ ـ وروى مالك عن عبد اللَّه بن أبي قتادة عن أبيه أنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، إن قُتِلْتُ في سبيل الله صابراً مُحتسباً، مُقبلاً غيرَ مدبرٍ، أيُكَفِّرُ اللَّهُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**». فلما أدبر الرجل ناداه رسول الله ﷺ أو أمر به، فنُودي له، فقال رسول الله ﷺ: «**كيفَ قلتَ**»؟ فأعاد عليه قولَه. فقال له النبي ﷺ: «**نعم، إلا الدَّينَ، كذلك قال لي جبريل**»[٤].

٧٨٦ ـ مالك: عن معاذ بن جبل أنه قال: الغزوُ غزوان: غزوٌ تُنفَقُ فيه الكريمةُ، ويُياسَرُ فيه الشريكُ، ويُطاعُ فيه ذو الأمر، ويُجتنَبُ فيه الفسادُ، فذلك الغزو، وخيرٌ كلُّه. وغزوٌ لا تُنفَقُ فيه الكريمةُ، ولا يُياسرُ فيه الشريكُ، ولا يُطاعُ فيه ذو الأمرِ، ولا يُجتنبُ فيه الفسادُ، فذلك الغزوُ لا يرجِعُ صاحبه كفافاً[٥].

---

(١) في الأصل: «عن ابن عباس»، وهو تحريف. والتصويب من البخاري (٢٨١٠).
(٢) البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).
(٣) البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥).
(٤) الموطأ ٢/٤٦١، ومسلم (١٨٨٥).
(٥) الموطأ ٢/٤٦٦. وهو منقطع. ورُوِيَ مرفوعاً من حديث معاذ؛ رواه أحمد ٥/٢٣٤، وأبو داود (٢٥١٥)، والنسائي ٦/٤٩ و٧/١٥٥.

٧٨٧ - وروى مالك عن أبي هريرة أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عامَ خيبر، فلم نغنم ذهباً ولا وَرِقاً إلا الأموالَ: الثيابَ والمتاعَ، فأهدى رفاعةُ بنُ زيدٍ لرسول الله ﷺ غلاماً أسودَ يقال له: مِدْعَمٌ، فوجَّه رسولُ الله ﷺ إلى وادي القُرى، حتى إذا كنا بوادي القرى، بينما مِدْعَمٌ يحطُّ رَحْلَ رسول الله ﷺ إذ جاءه سهمٌ عائرٌ، فأصابه فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنةَ، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده، إن الشملةَ التي أخذ يومَ خيبرَ مِنَ الغنائمِ لم يُصِبْهَا المقاسمُ لتشتعل عليه ناراً»**. فلمَّا سمعَ ذلك الناس، جاء رجلٌ بشِراك أو شراكين إلى رسولِ الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«شراكٌ أو شراكان مِنْ نارٍ»**[1].

٧٨٨ - وروى مالك أن زيد بن خالد الجُهني قال: تُوفِّيَ رجلٌ يومَ خيبرَ، وأنهم ذكروه لرسولِ الله ﷺ فزعم زيدٌ أنه قال: **«صلُّوا على صاحبِكم»**. فتغيَّرتْ وجوهُ الناس، فزعم زيدٌ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ صاحبَكم قد غلَّ في سبيلِ الله»**. ففتحنا متَاعَه، فوجدنا خرزاتٍ مِنْ خرزِ يهود ما يُساوين درهمين[2].

٧٨٩ - وروى مالك[3] أن عبد الله بن عباس قال: ما ظهر الغُلولُ في قومٍ قطُّ إلا أُلقِيَ في قلوبهمُ الرعبُ، ولا فشا الزِّنى في قوم قطُّ إلا كَثُرَ فيهم الموتُ، ولا نقصَ قومٌ المكيالَ والميزانَ إلا قُطعَ عنهمُ الرِّزقُ، ولا حكمَ قومٌ بغيرِ الحقِّ إلا فشا فيهم الدَّمُ، ولا خَتَرَ[4] قومٌ العهدَ إلا سُلِّطَ عليهمُ العدوُّ.

---

(١) الموطأ ٢/٤٥٩. ومن طريقه أخرجه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥).

(٢) الموطأ ٢/٤٥٨. ورواه أيضاً أبو داود (٢٧١٠)، وصححه ابن حبان (٤٨٥٣)، والحاكم ٢/١٢٧.

(٣) في الموطأ ٢/٤٦٠ عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن ابن عباس رضي الله عنه قال... وقال ابن عبد البر في التمهيد ٢٣/٤٣٠: وقد رويناه متصلاً عن ابن عباس. ومثله والله أعلم لا يكون رأياً أبداً.

(٤) ختر: غدر

٧٩٠ - وروى مالك أن عمرَ بن عبد العزيز كتب إلى عاملٍ مِنْ عمَّاله أنَّه بلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية، يقول: «**اغزُوا باسم الله في سبيل اللَّه، تُقاتلون مَنْ كفرَ بالله، لا تَغُلُّوا، ولا تغدِرُوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتُلوا وليداً**». وقل ذلك لجيوشك وسراياك إن شاء الله تعالى، والسلام عليك[1].

٧٩١ - وروى مالك عن زيد بن أسلم، قال: كتب أبو عبيدةَ بنُ الجراح إلى عمرَ بن الخطاب يذكر له جموعاً مِنَ الروم ويتخوَّفُ منهم، فكتب إليه عمرُ: أما بعد، فإنَّه مهما ينزِلُ بعبدٍ مؤمن مِنْ منزل شدَّةٍ يجعل اللَّهُ بعدَه فرجاً، وإنه لن يغلِبَ عسرٌ يُسرين، وإن الله جل ثناؤه يقول في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾[2] [آل عمران: ٢٠٠].

٧٩٢ - ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ قال: كَرَمُ المؤمن تقواه، ودينُه حَسَبُه، ومروءتُه خُلُقُه، والجرأة والجبنُ غرائزُ يضعُهما الله حيث شاء، فالجبان يفرُّ عن أبيه وأمِّه، والجريءُ يقاتل عمَّن لا يؤوبُ إلى رَحْلِه، والقتلُ حَتْفٌ مِنَ الحُتوف، والشهيدُ مَنِ احتسبَ نفسَه عند الله عز وجل[3].

٧٩٣ - ورُوِيَ عن مجاهد أنه قال: كان يزيدُ بن شجرةَ مِمَّا يذكِّرنا فيبكي، وكان يسبقُ بكاؤُه فعله، وكان يقول: يا أيها الناس، اذكروا نعمةَ الله عليكم؛ إنَّ الصلاةَ إذا أقيمت فُتِحَتْ أبوابُ السَّماء وأبواب الجنة، وأبواب النار. وإذا التقى الصَّفَّان، فُتحت أبوابُ السماء، وأبوابُ الجنةِ، وأبوابُ النارِ، وزُيِّنَ الحورُ العينُ، فاطَّلعن، فإذا أقبل الرجلُ بوجهِ، قلنَ: اللَّهُمَّ

(١) الموطأ ٤٤٨/٢. ووصية رسول الله ﷺ التي أشار إليها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، رواها مسلم (١٧٣١) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) الموطأ ٤٤٦/٢ وإسناده منقطع.

(٣) الموطأ ٤٦٣/٢، وإسناده منقطع.

ثبِّتْه، اللَّهُمَّ أعِنْه. وإذا أدبر، احتجَبْنَ عنه، وقلنَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ له. فأنهِكُوا وجوهَ القومِ فِدىً لكم أبي وأمي، لا تُخزُوا الحُورَ العينَ، فإذا قُتِلَ كان أوَّلَ نفحةٍ مِنْ دمه تَحُطُّ عنه خطاياه كما تُحطُّ الورقُ عن غصن الشجر[١].

٧٩٤ ـ وقال مالك: رأى يعقوبُ بنُ عبد الله بنِ الأشجِّ في المنام وهو في البحر غازٍ أنه أُدخل الجنةَ، فشرب فيها لبناً، فلما استيقظ أخبر أصحابه، ثم تقيَّأ فقاء لبناً، فلما نزلوا الساحلَ لقوا العدوَّ فاستشهد.

٧٩٥ ـ ومما يجب أن يُنشد في الجهاد شعرُ لقيط الإيادي[٢]:

يا أيُّها الراكبُ المُزجي مطيَّتَه ... إلى الجزيرةِ مُرتاداً ومُنتجِعَا
أبلِغ إياداً وخَلِّلْ في سَراتِهِمُ ... أنِّي أرى الرَّأيَ إنْ لم أُعْصَ قد نَصَعَا[٣]
يا لَهْفَ نفسيَ إنْ كانت أمورُكُمُ ... شتى وأُجْمِعَ أمرُ الناسِ فاجتمَعَا
إنِّي أراكم وأرضاً تُعجَبونَ بها ... مثلَ السَّفينةِ تَغْشى الوَعْثَ والطَّبَعَا[٤]
ألا تخافُونَ قوماً لا أبا لَكُمُ ... أمْسَوْا إليكمْ كأمثالِ الدَّبَا[٥] سُرُعَا

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١٣٣)، وهناد بن السري في الزهد (١٦٢).

(٢) هو لقيط بن يعمر الإيادي. من فحول الشعراء في الجاهلية، وكان كاتباً لكسرى ومترجماً له. وقصيدته هذه التي أورد المصنف أبياتاً منها، أرسلها إلى قومه بني إياد، يحذرهم كسرى لما أراد أن يفتك بهم، فوقعت القصيدة في يد كسرى، فقطع لسان لقيط ثم قتله. وهي من غُرر الشعر العربي، ومطلعها:

يا دارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحتَلِّها الجَرَعَا ... هاجَتْ لِيَ الهَمَّ والأحزانَ والوَجَعَا

والقصيدة في ستين بيتاً. انظر تفصيلاً عن الشاعر وقصيدته في «ديوانه»، والأغاني لأبي الفرج ٢٣/٢٠، ومختارات ابن الشجري، والأعلام للزركلي ٢٤٤/٥. وقد أحسن المصنف رحمه الله صنعاً بإيرادها هنا في باب الجهاد والحث عليه، فليت قومي يعون ما فيها وينتبهون من غفلتهم وانشغالهم في لذاتهم ودنياهم، وقد أحاط بهم الأكاسرة والقياصرة من كل جانب.

(٣) خلل في سراتهم: أي خصَّ بإبلاغك ساداتهم، ونصعا: أي أصبح واضحاً.

(٤) الوعث: الأرض الرطبة المسترخية. والطبع: الصدأ والدنس، فكأنكم تبحرون في سفينة.

(٥) الدبا: جمع دباة، وهو الجراد الصغير.

لـو أنَّ جَـمْـعـهـمُ رامـوا بِـهَـدَّتِـه شُمَّ[١] الشماريخ من ثَهْلانَ لانْصَدَعَا[٢]

في كل يوم يسنُّون الحرابَ لكم لا يهجَعون إذا ما غافلٌ هَجَعَا

خُزْرٌ عُيونُهمُ كأنَّ لحظَهُمُ حَرِيقُ نارٍ ترى منهُ السَّنَا قِطَعَا[٣]

لا الحَرْثُ يَشْغَلُهم بل لا يرَوْنَ لهم مِنْ دونِ بَيْضَتِكُم رِيَّاً ولا شِبَعَا[٤]

وأنتم تحرُثونَ الأرضَ عن سَفَهٍ في كلِّ مُعْتَمَلٍ تَبْغُون مُزْدَرَعَا

وتَلْبَسُونَ ثيابَ الأمنِ ضاحِيَةً لا تفزعُونَ وهذا الليثُ قد جَمَعَا[٥]

ما لي أراكُمْ نِياماً في بُلَهْنِيَةٍ[٦] وقد تَرَوْنَ شِهابَ الحربِ قد لَمَعَا

وقدْ أَظَلَّكُمُ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمُ هَمٌّ له ظُلَمٌ تَغْشاكُمُ قِطَعَا[٧]

صُونُوا جِيادَكُمُ واجْلُوا سُيوفَكُمُ وجَدِّدُوا للسُّيوفِ النَّبْلَ والشِّرَعَا[٨]

واشْرُوا تِلادَكُمُ في حِرْزِ أَنْفُسِكُمْ وحِرْزِ نِسْوَتِكُمْ لا تَهْلَكُوا هَلَعَا[٩]

هَيهاتَ لا مالَ مِنْ زَرْعٍ ولا إِبِلٍ يُرجى لغابِرِكُمْ إنْ أَنْفُكُم جُدِعَا[١٠]

لا تُثْمِرُوا المالَ للأعداءِ إنَّهُمُ إنْ يَظْهَرُوا يَحْتَووكُمْ والتِّلادَ مَعَا[١١]

يا قومِ إنَّ لكمْ مِنْ إرْثِ أوَّلِكُمْ عِزّاً قَدَ اشْفَقْتُ أنْ يُودِي ويَنْقَطِعَا[١٢]

---

(١) في الأصل: صم، والمثبت من ديوان لقيط.

(٢) هدته: دفعته وصكته. وشم الشماريخ: رؤوس الجبال وأعاليها. وثهلان: اسم جبل في الجزيرة العربية.

(٣) خُزر: جمع أخزر، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه. والسنا: الضوء.

(٤) الحرث: الزراعة، وبيضتكم: أصلكم. أي ليس لهم همة إلا أن يستأصلوكم فلا يبقوا منكم أحداً. فهم لا تشغلهم زراعة الأرض وحرثها كما هو حال قبيلته إياد، التي عابها الشاعر لذلك كما في البيت الآتي.

(٥) ضاحية: ظاهرة. والليث: يعني به كسرى.

(٦) بُلهنية: رخاء ورفاهية وغفلة في العيش.

(٧) شطر ثغركم: نحو جانبكم المخوف.

(٨) الشِّرَع: الأوتار الدقاق، جمع شِرْعة.

(٩) اشروا: بمعنى بيعوا. والتلاد: المال القديم الموروث.

(١٠) غابركم: باقيكم، ومن يبقون منكم بعد الحرب. وجدع الأنف: كناية عن الذل والخضوع.

(١١) لا تثمروا: لا تكثروا.

(١٢) يودي: يهلك.

وما يُرَدُّ عليكمْ عِزُّ أوَّلِكُمْ إنْ ضاعَ آخِرُه[١] أو ذلَّ واتَّضَعا[٢]
يا قومِ بَيْضَتَكُمْ لا تُفْجَعُنَّ بها إنِّي أخافُ عليها الأزْلَمَ الجَذَعَا[٣]
يا قومِ لا تَأْمَنُوا إن كُنْتُمُ غُيُراً على نسائِكُمُ كِسرى وما جَمَعَا
هو الفَناءُ الذي يجْتَثُّ أصلَكُمُ فمَنْ رأى مِثْلَ ذا رَأْياً ومَنْ سَمِعَا
فقَلِّدُوا أمرَكُمْ للّهِ دَرُّكُمُ رَحْبَ الذِّراعِ بِأمْرِ الحربِ مُضْطَلِعَا[٤]
لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا[٥]
مُسَهَّدَ النَّوْمِ تَعْنيهِ ثُغُورُكُم يَرُومُ منها إلى الأعداءِ مُطَّلَعَا[٦]
ما زال يَحْلُبُ هذا الدَّهرَ أشْطُرَهُ يكونُ متَّبِعاً يوماً ومتَّبَعَا[٧]
حتَّى استمرَّتْ على شَزْرٍ مَريرَتُهُ مِنَ العَزيمَةِ لا رَثّاً ولا ضَرَعَا[٨]

٧٩٦ - وللنابغةِ الجعديِّ:

أتينا رسولَ اللَّهِ إذ جاء بالهُدى ويتلو كتاباً كالمجَرَّة نَيِّرا
وجاهدتُ حتَّى لا أُحِسُّ ومَنْ مَعي سُهَيْلاً إذا ما لاح ثَمَّتَ غَوَّرَا

---

(١) في الأصل: آخركم، والمثبت من ديوان لقيط.
(٢) اتَّضع: ذلّ.
(٣) بيضتكم: أصلكم. الأزلم الجذع: الدهر، فهو لا يهرم أبداً.
(٤) رحب الذراع: واسع الذراع. ومضطلع: أي خبير بأمور الحرب.
(٥) عضَّ به مكروه: نزل به مكروه. خشع: أي خضع.
(٦) مسهَّد: لا يأتيه النوم. مطَّلعاً: مكان يرقب منه العدو.
(٧) حلب فلان الدهر أشطره: مرت عليه ضروب من خير الدهر وشره، أي أتى عليه كل حال من رخاء وشدة.
(٨) الشزر: الذي لا يُفتَل على وجهه، أي فُتِل مقلوباً. مريرته: أي فُتِل فتلاً شديداً. الرثُّ: البالي. والضَّرَع: الصغير السن والضعيف.
قلت: وقد ختم الشاعر قصيدته أو إنذاره لقومه ببيتين يحسُن بنا إيرادهما هنا؛ لعلَّهما، مع غيرهما من أبيات هذه القصيدة، تلامس أذناً سامعة، أو قلباً واعياً، أو عقلاً راشداً، فتثير الغيرة والحمية في النفوس:
هذا كتابي إليكم والنذيرُ لكم لمن رأى رأيَه منكم ومن سَمِعَا
لقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخَلٍ فاستيقظوا إنَّ خيرَ العلمِ ما نفَعَا

وإنَّا لَقَوْمٌ ما نُعَوِّدُ خيلَنا إذا ما لَقِينَا أنْ تَحِيدَ وتَنْفِرَا
ونُنْكِرُ يومَ الرَّوْعِ ألوانَ خَيْلِنَا مِنَ الطَّعْنِ حتَّى نَحْسِبُ الجُونَ أشْقَرَا
وليس بمعروفٍ لنا أنْ نَرُدَّها صِحَاحاً ولا مَسْتَنْكَرٍ أن تُعَقَّرا
ولا شرَّ في حِلْمٍ إذا لم تَكُنْ له بوادِرُ تَحمي صَفْوَه أن يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكُن له حليمٌ إذا أوردَ القولَ أصدرا

٧٩٧ ـ ولكعبِ بن مالك في يوم أحد:

فَجِئْنا إلى موجٍ مِنَ البَحْرِ وسطُه أحابيشُ منهم حاسِرٌ ومُقَنَّعُ
ثلاثةُ آلافٍ ونحن نَصِيَّةٌ[1] ثلاثُ مِئِينٍ إن كَثُرْنَا أو اربَعُ
فراحوا سِرَاعاً مُوجِفين كأنَّهم جَهَامٌ هَراقَتْ ماءَه الرِّيحُ مُقْلِعُ
ورُحنا وأُخرانا بِطاءٌ كأنَّنا أُسودٌ على لحمٍ ببيشَةَ ظُلَّعُ[2]

٧٩٨ ـ وقدم على النبيِّ ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة رهْطٌ من عَضَل والقارَةِ، فقالوا: فينا إسلامٌ، فابعثْ معنا من يُفقِّهُنا، فبعث معهم مرثَدَ بنَ أبي مرثدٍ، وخالدَ بن البُكير، وعاصمَ بنَ ثابتٍ أبو سُليمان، وخُبَيْبَ بنَ عدي، وزيد بن الدَّثِنة البياضي، وعبداللّه بن طارق. وأمَّرَ عليهم مرثداً. فلما كانوا بالرجيع ـ ماءٍ لهُذيلٍ ـ غدروا بهم، واستصرخوا هُذيلاً، فأتوهم وقالوا: لا نريد قتلَكم، وإنما نريد أن نصيبَ بكم شيئاً من أهل مكة. فأما مرثدٌ وخالدٌ وعاصمٌ، فقالوا: واللہ لا نقبل من مشرك عهداً أبداً. وقال عاصم:

ما عِلَّتي وأنا جَلْدٌ باسلُ والقوس فيها وتَرٌ عنابلُ[3]
وكلُّ ما حَمَّ الإلهُ نازِلُ بالمرءِ والمرءُ إليه آيِلُ
إنْ لمْ أُقَاتِلْكُم فأمِّي هابِلُ[4]

---

(١) النصية: الخيار من القوم.
(٢) بيشة: اسم موضع تنسب إليه الأسود. وظُلَّع: جمع ظالع، وهو شبه الأعرج.
(٣) العنابل: الغليظ الشديد.
(٤) هابل: فاقد وثاكل.

فقُتِلَ عاصمٌ وصاحباه، وأسَروا زيداً وخُبيباً وعبدَاللَّه، ثم ندِمَ عبداللَّه، فأبى عليهم فقتلوه، وحُمِلَ خُبيبٌ إلى مكةَ، فاشتراه أبو سَرْوَعةَ عُقبة بن الحارث ليقتُلَه بأبيه، فصلبه بالتَّنعيم. وقال خُبيبٌ حين صُلِب: اللَّهُمَّ أحْصِهِمْ عدداً، واقتلْهم بدداً، ولا تُبْقِ منهم أحداً، ثم قال:

لقد جَمَّعَ الأحزابُ حولي وألَّبُوا ... قبائِلَهم واستَجْمَعوا كلَّ مَجْمَعِ
وقد قرَّبوا أبناءَهم ونِساءَهم ... وقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طويلٍ مُمَنَّعِ
فذا العرشِ صَبِّرْني على ما أصابني ... فقد بَضَّعُوا لحمي وقد ضَلَّ مَطْمَعي
وقد عرَّضُوا بالكفرِ والموتُ دُونَه ... وقد ذَرَفَتْ عيناايَ مِنْ غيرِ مَدْمَعِ
فلستُ بِمُبْدٍ للعدُوِّ تخَشُّعاً ... ولا جَزَعاً إنِّي إلى الله مرجِعي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ
ولستُ أبالي حين أُقتَلُ مسلماً ... على أيِّ شِقٍّ كان في اللَّهِ مصرَعي

ويقال: إنه لم يُؤسر بعدَهم أحدٌ مِنْ أصحابِ النَّبي ﷺ[(١)].

٧٩٩ ـ وأخذ الرايةَ جعفرٌ يومَ مؤتةَ لمَّا قُتِلَ زيدُ بن حارثة، فنَزل عَنِ الشَّقراء وعقرها. ويقال: إنه أولُ من فعل ذلك، فقاتل فقُطِعَتْ يمينُه، فأخذ اللواءَ بشمالِه، فقُطعت، فاحتضنها بعَضُدَيه حتى قُتِلَ. فأثابه الله جناحين في الجنة يطير بهما.

٨٠٠ ـ وقال خالد: اندقَّتْ بيدي يومَ مؤتةَ تسعةُ أسيافٍ، وبضعةَ عشرَ رمحاً، وبقيتْ في يميني صفيحةٌ يمانِّيةٌ[(٢)].

٨٠١ ـ ولما أخذ الرايةَ عبدُالله بنُ رواحة تردَّدَ بعض التردُّدِ، ثم قال:

أقسمتُ يا نفسُ لتَنزِلِنَّهْ ... طائِعَةً أو لَتُكْرَهِنَّهْ
هل أنتِ إلا نُطْفَةٌ في شَنَّهْ ... ما لي أراكِ تكرهينَ الجنَّهْ

---

(١) انظر صحيح البخاري (٣٩٨٩و٤٠٨٦)، وتاريخ الطبري ٧٧/٢، وسيرة ابن هشام ١٠٠/٣ ـ ١٠٦.

(٢) تقدم برقم (٧٧٢).

٨٠٢ - وقال أيضاً:

يا نفسُ إنْ لم تُقتَلي تموتي ... هذا حِمَامُ الموتِ قد صَلِيتِ
وما تمنَّيتِ فقدْ أُعطيتِ ... إن تفعلي فِعْلَهُما هُدِيتِ

يعني صاحبيه زيداً وجعفراً. ثم قاتل حيناً، ثم نزل فأتاه ابنُ عمٍّ له بعَرَق مِنْ لحم، فقال: تشدُّ بهذا ظهَرك، فإنك قد لقيتَ في أيامك هذه ما لقيتَ، فأخذه فنَهَسَ منه نهسةً، ثم سمع الحُطَمَةَ في الناس، فقال: وأنتَ في الدنيا؟ فألقاه من يده، وأخذ سيفَه فتقدَّم ثم قاتل حتى قُتل.

٨٠٣ - ولعبدالله بن رواحة حين خروجه إلى مؤته، وقال له المشيِّعُون: ردَّك الله سالماً، فقال:

لَكنَّني أسألُ الرَّحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذاتَ فَرْعٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا[1]
وطعنةً بِيَدَي حَرَّانَ مُجهِزَةً ... بحَرْبَةٍ تَنفِذُ الأحشاءَ والكَبِدَا[2]
حتى يقولوا وقد مرُّوا على جَدَثِي ... أرشدَكَ اللهُ مِنْ غازٍ وقد رَشَدَا

٨٠٤ - وقال ابنُ عمر: أتيت يوم اليمامةِ على عبدالله بن مخرمةَ العامريَّ القرشيَّ صريعاً، فوقفت عليه، فقال: يا عبد اللَّه بن عمر، هل أفطر الصائمُ؟ قلت: نعم، قال: فاجعلْ لي في هذا المِجَنِّ ماءً لعلِّي أُفطرُ عليه، قال: فأتيتُ الحوضَ وهو مملوءٌ دماً، فضربته بجحفةٍ[3] معي، ثم اغترفتُ فيه، فأتيتُه به فوجدته قد قضى[4].

٨٠٥ - ورُوِيَ أنَّ أبا مِحْجَنٍ الثَّقفيَّ كان يُكْثِرُ الشُّرْبَ، ولا يردَعُه عنه

---

(١) ذات فرع: أي واسعة. والزبد: رغوة الدم.
(٢) الحران: الملتهب الجوف.
(٣) الجحفة: ترس من الجلود.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٤/٢١٤ و٦/٥٤٦.

جَلْدٌ، فنفاه عمرُ إلى جزيرةٍ في البحر، ولحق بسعدِ بن أبي وقاص في القادسية وهو محارِبٌ للفُرْس، فكتب عمر إلى سعدٍ أن يحبسَ أبا محجنٍ، فحبسه وأوثقه في الحديد، فلما كان ذاتَ يومٍ رأى المشركين قد أصابوا مِنَ المسلمين، فقال:

كفى حزناً أن تَرَدَّى الخيلُ بالقنا وأُتْرَكُ مَشْدُوداً عَلَيَّ وثاقيا
حُبِسْتُ عنِ الحربِ العَوانِ وقد بَدَتْ وأعمالُ غيري يومَ ذاكَ العواليا

فأرسل إلى أمِّ ولدِ سعدٍ يقول لها: إنَّ أبا محجن يقول: إن خَلَّيْتِ سبيلَه وحمَلْتِه على هذا الفرس، ودفعتِ إليه سلاحاً لَيكونَنَّ أولَ من يرجِع إليك، إلا أن يُقتَلَ، فأمرتْ به فحُلَّ عنه قيودُه، وحُمِلَ على فرس كان في الدار، وأُعطيَ سلاحاً، ثم خرج يركضُ حتى لحِقَ بالقوم، فجعل لا يزال يحمِلُ على رجلٍ فيقتلُه ويدقُّ صُلْبَه، فنظر إليه سعدٌ، فجعل يعجَبُ منه ويقول: مَنْ ذلك الفارسُ؟ ولم يلبثوا إلا يسيراً حتى هزمهم اللَّه، فرجعَ ووضع السلاحَ وجعل رجليه في القيد كما كان، فجاء سعدٌ، فقالت له أم ولده: كيف كان قتالُكم؟ فجعل يخبرها، ويقول: لقِينا ولقِينا حتى بعثَ الله رجلاً على فرسٍ أبلقَ، لولا أنِّي تركت أبا محجنٍ في القيودِ، لظننتُ أنها بعضُ شمائله، فقالت: والله إنه لأبو محجن، كانَ مِنْ أمرِه كذا وكذا، فقصَّت عليه قصَّتَه، فدعاه وحلَّ قُيوده، وقال: لا نجلِدُك على الخمر أبداً، قال أبو محجن: وأنا والله لا أشربُها أبداً، فلم يشرَبْها بعد ذلك.

* ويحتمل أن يكونَ هذا القولُ مِنْ سعدٍ رحمه الله على الدُّعاء له، والله أعلم.

٨٠٦ ـ وحضرتِ الخنساءُ تماضُر بنتُ عمرو بنِ الشَّريد السُّلَمِيَّة حربَ القادسيةِ ومعها بنوها، أربعةُ رجالٍ وقالت لهم من أول الليلِ: يا

بَنِيَّ، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين. واللهِ الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجلٍ واحدٍ، كما أنكم بنو امرأةٍ واحدةٍ، ما خُنتُ أباكم، ولا فضحتُ خالَكم، ولا هَجَّنْتُ حَسَبَكُم، ولا غيَّرتُ نسبَكم. قد تعلمون ما أعدَّ الله للمسلمين مِنَ الثواب الجزيل في حرب الكافرين. واعلموا أنَّ الدارَ الباقيةَ خيرٌ مِنَ الدَّارِ الفانيةِ؛ يقول الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وإذا رأيتمُ الحربَ قد شمَّرت عن ساقِها، واضطرمت لظىً على سِياقها، وجلَّلت ناراً على أرواقِها، فتيمَّموا وَطِيسَها، وجالِدوا رئيسها عند احتدامِ خميسِها، تظفَروا بالغُنْمِ والكرامةِ في دارِ الخُلد والمُقامة.

فخرج بنوها قابلين لنُصحها، عازمين على قولها.

فلما كان الصبحُ، باكروا مراكزهم، وقال أولهم:

يا إخوتي إنَّ العجوزَ النَّاصِحَهْ ... قد نَصَحَتْنَا إذ دَعَتْنَا البَارِحَهْ
مقالةَ ذاتِ بيانٍ واضِحَهْ ... فباكِرُوا الحربَ الضَّرُوسَ الكالِحَهْ
فأنتمُ بينَ حياةٍ صالحهْ ... أو مِيتَةٍ تُورِثُ غُنْمَاً رابحهْ

وتقدَّم، فقاتل حتى قتل.

ثم حَمل الثاني وهو يقول:

إنَّ العجوزَ ذاتَ حَزْمٍ وجَلَدْ ... والنَّظَرِ الأَوْفَقِ والرَّأي السَّدَدْ
قد أمَرتْنَا بالسَّدادِ والرَّشَدْ ... نصيحةً مِنها وبِرَّاً بالوَلَدْ
فباكِرُوا الحربَ حُمَاةً في العَدَدْ ... إمَّا لفوزٍ باردٍ على الكَبِدْ
أو مِيتَةٍ تُورِثُكُمْ غُنْمَ الأبدْ ... في جنةِ الفردوسِ والعَيْشِ الرَّغَدْ

فتقدم، فقاتل حتى استشهد.

ثم حمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصي العجوزَ حرفا قد أمرتنا حَدَبَاً وعَطْفا
نُصْحاً وبِرّاً صادِقَاً ولُطفا فبادِرُوا الحربَ الضَّرُوسَ زحفا
حتى تَلُفُّوا آلَ كسرى لَفَّا أو تَكْشِفُوهم عَنْ حِماكُم كشْفَا
إنَّا نرى التَّقصيرَ عنهمْ ضعفَا والقتل فيكم نجدةً وعُرْفا

وقاتل حتى استشهد.

ثم حمل الرابع وهو يقول:

لستُ لخنساءِ ولا للأكرمِ ولا لعمروِ ذي النَّساء الأقدمِ
إن لم أَرِدْ في الحربِ جيشَ الأعجمِ إمَّا لفوزِ عاجلٍ أو مَغْنَمِ
أو لوفاةٍ في السَّبيلِ الأكرَمِ

فقاتل حتى قُتل. رحمهم الله أجمعين.

فبلغ خنساءَ الخبرُ، فقالت: الحمد لله الذي شرَّفني بقتلِهم، وأرجو مِنْ ربي أن يجمعَني بهم في مُستقرِّ رحمته. فكان عمرُ بنُ الخطابِ يُعطي الخنساءَ أرزاقَ أولادِها الأربعة، لكلِّ واحدٍ مائتيْ درهمٍ حتى قُبِضَ، رحمه الله.

٨٠٧ - وحدَّث مالكٌ عن الفُضَيل بنِ أبي عبد اللَّه، عن عبدِ اللَّه بن دينار، عن عُروة بنِ الزُّبير، عن عائشةَ زوج النبي ﷺ أنها قالت: خرج النبيُّ ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ، فلما كان بحَرَّة الوَبرةِ، أدركه رجلٌ قد كان يُذكَرُ منه جُراةٌ ونجدةٌ، ففرِحَ أصحابُ رسول الله ﷺ حين رأوْه، فلما أدركه قال: يا رسولَ اللَّه، جئتُك لأنفعَكَ وأُصيبُ معك. فقال النبي ﷺ: **«أتؤمن بالله ورسوله»**؟ فقال: لا، فقال له النبي ﷺ: **«ارجِعْ، فلن أستعينَ بمشركٍ»**. فقالت عائشة: ثم مضى، حتى إذا كان بالشجرةِ، أدركه الرجلُ، فقال له

كما قال أولَ مرة، فقال: «**ارجِع فلن أستعينَ بمشركٍ**». فرجع ثم أدركه بالبيداءِ، فقال له كما قال أولَ مرةٍ، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة: «**أتؤمن بالله ورسوله**»؟ قال: نعم. قال: «**فانطَلِقْ**»[١].

٨٠٨ - والتقى المسلمون وعليهم سلمانُ بنُ ربيعةَ مع جيشٍ من أهل الردة، عليهم الحُطَم شُريح بنُ عمرو، فبعث المشركون رسولاً إلى المسلمين، فذكر مُسيلمةَ، وقال: ما صاحبكُم بخيرٍ منه، فضربه سلمانُ بنُ ربيعة فقتله. فقالوا: أقتلتَ مَنْ أمَّنَّا؟ فقال: ما لأحدٍ أمانٌ على شتمِ رسول الله ﷺ ثم بيَّتهم المسلمونَ، فقتلوا الحُطَمَ ومن مَعَهُ. فقال في ذلك سلمانُ بن ربيعة:

قسمنا على الأعداءِ ليلاً أُمورَنا	فلم نرَ إلا غارةَ الليلِ مغنَما
ولم نرَ إلا أنْ تبيتَ سيوفُنا	مُزايلةٌ أغمادَها تقطُرُ الدَّما
فلمَّا عزمنا أنزلَ اللُه بالّتي	عزمنا عليها الصبَر فينا فأنعَما
فما شعروا حتَّى رَأَوْنَا كتيبةً	تُرَوِّعُ أيْقاظاً وتُوقِظُ نُوَّما
فما ثارَ منهم للِّقاءِ بسيفِه	إلينا امرؤٌ إلا تركناه مُلحما

٨٠٩ - وقال أبو بكر الصديق ﷺ لهاشمِ بن عُتبة بنِ أبي وقَّاص: كنا ننتفع مِنَ الشَّيخ برأيه، ومِنَ الشَّابِّ بنجدته. وقد جمعهما الله لك، فاصبِرْ وصابِرْ.

٨١٠ - ولما احتُضِرَ خالدُ بن الوليد بحمصَ، قال: شهدت زُهاءَ مائةِ زحفٍ، وما في جسدي موضِعُ شبرٍ إلا وفيه ضربةٌ، أو طعنةٌ، أو رميةٌ، ثم أنا ذا أموتُ كما يموتُ العَيْرُ، فلا نامت أعينُ الجبناءِ.

٨١١ - ولبعضهم:

نفسي الفِدَا لمَعاشِرٍ نالوا الغِنَى	بقَوَابِضٍ مشحوذَةٍ ورماحِ
ما للرِّجالِ وللنَّعيمِ وإنَّما	خُلِقُوا ليومِ كريهةٍ وكِفَاحِ

(١) مسلم (١٨١٧).

٨١٢ ـ ولآخر:

يـا رُبَّ ظِـلِّ عُـقـابٍ قـد وَقِـيـتُ بـه مُهري مِنَ الشَّمس والأبطالُ تَجتلدُ
ورُبَّ يـومِ حِـمَـىً أرعـيـتُ عِـقـوَتَـه خيلي اقتِساراً وأطرافَ القنا قصدوا
ويـومِ لـهـوٍ لأهـلِ الـخـفـضِ ظلَّ به لـهوي اصطلاء الوغى أو نارُه تَقِدُ
مـشـهـراً مـوقـفـي والـحـربُ كـاشـفـةٌ عـنـهـا الـقـنـاعَ وبـحـرُ الـمـوتِ يَطَّرِدُ

٨١٣ ـ قال بعضُ الحكماء: عِلْمُ الملوكِ النَّسبُ والخبرُ، وجُمَلٌ مِنَ الفقهِ، وعلمُ التُّجار الحسابُ والكتاب، وعلمُ أهلِ الحرب درس كتبِ المغازي.

* * *

٧٠ ـ ما جاء في الأيام والليالي التي يُستحبُّ فيها العملُ

٨١٤ ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١ ـ ٢].

٨١٥ ـ رُوِيَ أنها عشرُ ذي الحجة(١).

٨١٦ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ(٢).

٨١٧ ـ وقال ابنُ عباسٍ في قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]: إنها أيام العشر.

٨١٨ ـ وروى سعيدُ بن جُبير عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**ما العملُ في أيامٍ أفضلُ منها في هذه**». قالوا: ولا الجهادُ؟ قال: «**ولا الجهاد،**

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٨/٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٢) روى الإمام أحمد في المسند ٣/٣٢٧ من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: «**إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر**». وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٨/٣٩١ عن إسناد الحديث: هذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم.

إلا رجلٌ خرج يُخاطِرُ بنفسِه ومالِه، فلم يرجِعْ بشيءٍ»[١].

٨١٩ ـ وروى طارقُ بنُ شهابٍ عن عمرَ بن الخطاب ﷺ: أن رجلاً من اليهود قال له: يا أميرَ المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشرَ اليهود نزلتْ، لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣]. فقال عمر: قد عرفنا ذلك اليومَ والمكانَ الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائمٌ بعرفةَ يومَ الجمعةِ[٢].

٨٢٠ ـ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَقُمْ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه**»[٣].

٨٢١ ـ وروى مالكٌ عن سعيدِ بن المسيبِ أنه قال: مَنْ شهدَ العشاءَ ليلةَ القدرِ، فقد أخذ بحظِّهِ منها[٤].

٨٢٢ ـ ومعنى ذلك، والله أعلم، ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ شهدَ العِشاءَ، فكأنَّما قام نصفَ ليلةٍ**»[٥]. فيكون مَنْ شهدَ العِشاءَ هنا كأنَّه قام نصفَها عند سعيدِ بنِ المسيب، والله أعلم.

٨٢٣ ـ وروى عُبادةُ بنُ الصامت أن رسول الله ﷺ خرج يُخْبِرُ بليلةِ القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «**إني خرجتُ لأخبرَكم بليلةِ القدرِ، وإنه تلاحى فلانٌ وفلانٌ فرُفِعَتْ، وعسى أن يكونَ خيراً لكم، فالتمِسُوها في السَّبعِ والتِّسعِ والخمسِ**»[٦].

---

(١) البخاري (٩٦٩).
(٢) البخاري (٣٠٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).
(٣) البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠).
(٤) الموطأ ١/٣٢١.
(٥) تقدم برقم (٧٠٠).
(٦) البخاري (٤٩).

* ومعنى ذلك، والله أعلم، أنَّ رفعَها هو أنْ رُفِعَ علمُها وتعيُّنُها، وبقيتْ بركتها. وكذلك أمر رسول الله ﷺ بالتماسها، ولو رُفِعَتْ بركتُها، لما التُمِسَتْ في السَّبعِ والتِّسعِ والخمسِ كما لا تُلتَمَسُ في غيره مِنَ الشُّهور.

* ومعنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**وعسى أن يكون خيراً لكم**»، والله أعلم، أنه لو تعيَّنت لتركَ أكثرُ الناسِ قيامَ غيرِها من الليالي اتِّكالاً عليها، وفي التماسها قيامُ غيرِها مِنَ الليالي معها.

* * *

٧١ ـ ما جاء في فضل العلم والعلماء

٨٢٤ ـ قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

٨٢٥ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ [فاطر: ٢٨].

٨٢٦ ـ وقال عز وجل: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

٨٢٧ ـ وروى معاوية بن أبي سفيان: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**من يُرِدِ اللَّهُ به خيراً يفقِّهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ ويعطي اللَّه، ولن يزالَ أمرُ هذه الأمة مستقيماً حتى تقومَ الساعةُ، أو حتى يأتيَ أمرُ الله عز وجل**»[1].

٨٢٨ ـ وقال رسول الله ﷺ: «**لأنْ يَهدِيَ اللُّه بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مِنْ حُمُرِ النَّعَم**»[2].

٨٢٩ ـ ورُوِيَ عن أبي صالح، عن أبي هريرة: «**مَنْ سلك طريقاً يلتمسُ به علماً، سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهمُ السكينةُ،**

(١) البخاري (٧١و٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧).
(٢) رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

وحفَّتْهمُ الملائكةُ، وغشيتهمُ الرحمةُ، وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

٨٣٠ ـ ورُوِيَ عن عيسى على نبينا وعليه السلام أنه قال: من عَلِمَ وعمِلَ وعلَّم، فذلك يُدعى في ملكوت السماواتِ عظيماً.

٨٣١ ـ ويروى عن ابن عباس أنه قال: خُيِّر سليمانُ بنُ داود نبيُّ الله عليه السلام بين العلمِ والمُلْك، فاختار العلمَ، فأُعطِيَ المُلْكَ والمالَ معه.

٨٣٢ ـ وقال عمرُ بن عبد العزيز: من عمل بغير علمٍ كان ما يهدِمَ أكثرَ ممَّا يبني، ومن لم يعُدَّ كلامَه من عملِه كثُرت خطاياه، والصَّبرُ مِنَ اليقين.

٨٣٣ ـ ورُوِيَ عن أبي بكر بن عبد الرحمن أنه كان يقول: من غدا أو راح إلى المسجد لا يريدُ غيرَه ليتعلَّم خيراً أو يعلِّمَه، ثم رجع إلى بيته، كان كالمجاهدِ في سبيل الله عز وجل، يرجِع غانماً.

٨٣٤ ـ ورُوِيَ عن عمر ﷺ أنه قال: إنَّ الرجلَ ليخرُجُ مِنْ بيته وعليه مِنَ الذُّنوب مثلُ جبلِ تهامَةَ، فإذا سمع العلم خاف واسترجع على ذنوبه، فانصرف إلى منْزله وليس عليه ذنبٌ، فلا تُفارقوا مجالس العلماء.

٧٣٥ ـ وقال علقمةُ بنُ قيس: لأَنْ أغدُوَ على قومٍ أسألُهم عنِ اللَّهِ ويسألوني عنِ الله تعالى، أحبُّ إليَّ مِنْ أن أحمِلَ على فرسٍ في سبيل الله عز وجل.

٨٣٦ ـ وقال المبرد: قال الخليلُ بن أحمد: ما سمعتُ شيئاً إلا كتبتُه، ولا كتبتُه إلا حفظتُه، ولا حفظتُه إلا ينفعُني به اللَّهُ.

٨٣٧ ـ وقال سعيد بن جبير: كنت أكونُ معَ ابنِ عباس، فأسمعُ منه الحديث، فأكتبُه في واسطةِ الرَّحْل، فإذا نزلتُ نسختُه.

---

(١) مسلم (٢٦٩٩).

٨٣٨ ـ ورُوِيَ عن يزيدَ الرَّقاشيِّ: قال لقمان لابنه: يا بنيَّ، جالسِ العلماءَ وزاحمْهم برُكبتَيْك، فإنَّ الله يُحيي القلوبَ الميتةَ بنورِ الحكمة، كما يُحيي الأرضَ الميتةَ بوابلِ السماء.

٨٣٩ ـ وقال بعض الحكماء: لا أرحمُ أحداً أكثرَ مِنْ رحمتي لرجلين: رجلٍ يطلبُ العلمَ ولا يفهم، ورجلٍ يفهمُ ولا يطلُبُ العلم. وإنِّي لأعجبُ ممَّن في وُسعه أن يطلبَ العلمَ ولا يتعلمُ.

٨٤٠ ـ ورُوِيَ أن لقمان قال لابنه: يا بنيَّ، اغْدُ عالماً أو متعلِّماً، أو مستمعاً أو محبّاً، ولا تكنِ الخامسَ فتهلكَ.

٨٤١ ـ ورُوِيَ عن إسماعيل بن أبي أُويس: سُئِلَ مالكٌ، فقيل له: يا أبا عبدالله، أيُّ شيءٍ أفضلُ ما يصنعه العبدُ؟ قال: طلبُ العلم والفقه. أما سمعت قوله عز وجل: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

٨٤٢ ـ وقال رجلٌ لأبي هريرة: أريدُ أن أتعلَّم العلمَ، وأخاف أن أضيِّعَه. فقال: كفى بتركِك له تضييعاً.

٨٤٣ ـ ورُوِيَ عن سفيانَ بنِ عيينةَ: طلبنا العلم لغيرِ اللَّه، فأبى إلا أن يكونَ لله.

٨٤٤ ـ ورُوِيَ عن عطاء، قال: قال موسى: يا ربِّ، أيُّ عبادِك أخشى لك؟ قال: أعلمُهم.

٨٤٥ ـ ورُوِيَ عن أبي مسلم، قال: قيل للقمان: أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: مؤمنٌ غنيٌّ. قيل له: غنيٌّ مِنَ المال؟ قال: لا، ولكن غنيٌّ مِنَ العلمِ، إنِ احتيجَ إليه وُجِدَ عنده علمٌ، وإن استُغني عنه كفَّ نفسه.

٨٤٦ ـ ورُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالبٍ ﷺ أنه قال: أولى الناس بالأنبياءِ أعلمُهم بما جاؤوا به وأعملُهم، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ

﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٨].

٨٤٧ ـ قال بعض الحكماء: ليت شعري أيُّ شيءٍ أدرَكَ مَنْ فاتَه العلمُ؟ وأيُّ شيءٍ فاته من أدرك العلم؟.

٨٤٨ ـ وقال الحسن: مِدادُ العلماءِ يُوزَنُ يومَ القيامةِ بدمِ الشُّهداءِ.

٨٤٩ ـ وكان يقال: العلماءُ سُرُجُ الأزمنةِ؛ كلُّ عالمٍ مصباحُ زمانه يستضيءُ به أهلُ عصرِه.

٨٥٠ ـ وقال بعضُ الحكماء: العالم سفيرٌ بيَن اللَّهِ وخلقهِ، فلينظُرْ كيفَ يكون.

٨٥١ ـ وقال الحسن: لولا العلماءُ لكان الناسُ كالبهائمِ.

٨٥٢ ـ وقال سالم بن أبي الجعد: اشتراني مولايَ بثلاثمائة درهم فأعتقني. فقلت: بأي حرفةٍ أحترفُ؟ فاخترتُ العلمَ، فما تَمَّت لي سنةٌ حتى أتاني أميرُ المؤمنين زائراً، فلم آذنْ له.

٨٥٣ ـ وقال لقمان لابنه: يا بنيَّ، إن الحكمةَ أجلستِ المساكينَ مجلِسَ الملوكِ.

٨٥٤ ـ ولبعض البصريين:

العلمُ آنَسُ صاحبٍ ... أخلو به في وَحدَتي
فإذا اهتَمَمْتُ فسَلْوَتي ... وإذا خلوتُ فلَذَّتي

٨٥٥ ـ وقال الزبيرُ: كتب إليَّ أبي مِنَ العراق: يا بنيَّ، عليك بالعلم؛ فإنك إنِ افتقرتَ إليه كان مالاً، وإن استغنيتَ عنه كان جمالاً.

٨٥٦ ـ وروى ابنُ المبارك عن سفيانَ الثوريِّ، قال: ما يرادُ الله بشيءٍ أفضلُ مِنْ طلبِ العلمِ، وما طلبُ العلم في زمانٍ أفضلُ منه اليومَ.

٨٥٧ ـ ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: ليس شيءٌ مثلَ

العلمِ، العلمُ خيرٌ مِنَ المالِ، العلمُ يحرُسُك وأنت تحرسُ المالَ، والعلمُ حاكِمٌ، والمالُ محكومٌ عليه، والمال تُنْقِصُه النفقةُ، والعلمُ يزكو على الإنفاق.

٨٥٨ ـ وقيل لبُزُرْجِمِهْر: أيما أفضلُ: الأغنياءُ أو العلماءُ؟ فقال: العلماء. فقيل له: فما بالُ العلماء يأتون الأغنياءَ؟ قال: لمعرفة العلماءِ بفضلِ ما عندَ الأغنياء، وجهل الأغنياءِ بفضلِ ما عندَ العلماءِ.

٨٥٩ ـ وقال أبو الأسود: ليس شيءٌ أعزَّ مِنَ العلمِ، الملوكُ حكّام على الناسِ، والعلماءُ حكّامٌ على الملوكِ.

٨٦٠ ـ ولعلي بن عبد العزيز قاضي الرَّيِّ:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنَّما رأَوْا رجلاً عَنْ موقِفِ الذُّلِّ أحجَما
ولم أبْتَذِلْ في خِدمَةِ العلمِ مُهْجَتي لأَخْدُمَ مَنْ لاقيتُ إلا لأُخدَما
ولو أنَّ أهلَ العلم صانوه صانَهم ولو عظَّموه في النُّفُوسِ لعُظِّما
ولكنْ أهانوه فهانَ ودنَّسوا مُحيَّاهُ بالأطماعِ حتَّى تجهَّمَا

٨٦١ ـ وسُئِلَ ابنُ المبارك: من الناسُ؟ قال: العلماءُ. قيل له: فمنِ الملوكُ؟ قال: الزُّهَّاد. قيل له: فمَنِ السِّفْلَةُ؟ قال: من يأكلُ بدينه.

٨٦٢ ـ وقال ابن المبارك: عجبتُ لمن لم يطلُب العلمَ كيف تدعوه نفسُه إلى مَكرُمةٍ.

٨٦٣ ـ وقيل لعبد اللّه بن المبارك: إلى متى تطلبُ العلم؟ قال: حتى أموتَ إن شاء الله تعالى، لعلَّ الكلمةَ التي تنفَعُني لم أكتُبْها بعدُ.

٨٦٤ ـ وقال سفيان بن عيينة: أحوجُ الناسِ إلى طلبِ العلم أعلمُهم؛ لأنَّ الخطأ منهم أقبحُ.

٨٦٥ ـ وقال قتادةُ: لو كان أحدٌ يكتفي مِنَ العلم بشيءٍ، لاكتفى

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بما عنده، ولكنه طلب الزيادة، فقال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

٨٦٦ ـ وقال بعض الحكماء: ما أهدى امرُؤٌ إلى أخيه هديةً أفضلَ مِنْ كلمةِ حكمةٍ، يزيده اللَّهُ بها هدى، أو يردُّه بها عَنْ ردى.

٨٦٧ ـ وقال سفيان الثوري لرجل مِنَ العرب: اطلبوا العلم؛ فإنِّي أخافُ أن يخرُجَ العلمُ مِنْ عندكم فتذِلُّوا. اطلبوا العلمَ؛ فإنه شرفٌ في الدنيا وشرفٌ في الآخرة.

٨٦٨ ـ وقال ابنُ أبي مليكة: ما رأيتُ مثلَ ابن عباسٍ؛ إذا رأيتَه رأيتَ أحسنَ الناسِ وجهاً، فإذا تكلَّم فأعربُ الناسِ لساناً، وإذا أفتى فأكثرُ الناس علماً.

٨٦٩ ـ وقال عبد اللَّه بن مسعود: إنك في زمانٍ كثيرٌ فقهاؤُه، قليلٌ قرَّاؤُه، تُحفَظ فيه حدودُ القرآن، وتضيَّعُ حروفُه، قليلٌ مَن يَسأل، كثيرٌ مَن يُعطي، يُطيلون الصلاةَ ويُقصِّرون الخطبة، يبدؤون أعمالَهم قبلَ أهوائهم. وسيأتي زمانٌ قليلٌ فقهاؤُه، كثيرٌ قرَّاؤُه، تُحفَظ فيه حروفُ القرآن، وتُضَيَّع حدودُه، كثيرٌ مَنْ يَسألُ، قليلٌ مَنْ يُعطي، يقصِّرون الصلاةَ، ويُطيلون الخطبةَ، يبدؤون أهواءهم قبلَ أعمالهم.

٨٧٠ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أنه دخل السوق، فقال: أراكم ههنا وميراثُ محمدٍ يُقسَمُ في المسجدِ، فذهب الناسُ إلى المسجد وتركوا السوقَ، فلم يرَوْا شيئاً، فقالوا: يا أبا هريرة، ما رأينا ميراثاً يُقسَمُ، قال: فما رأيتم؟ قالوا: رأينا قوماً يذكرون اللَّهَ عز وجل، ويقرؤون القرآن، قال: فذلك ميراثُ محمدٍ ﷺ.

٨٧١ ـ ورُوِيَ عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

قال: مِنْ حقِّ العالِم إذا أتيتَه أن تسلِّمَ عليه خاصةً، وعلى القومِ عامةً، وأن لا تُكثِرَ عليه بالسؤالِ، ولا تُعَنِّته في الجواب، ولا تُلِحَّ عليه إذا كسِلَ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تُفشِيَنَّ له سراً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا تطلُبنَّ عثرتَه، وإن زلَّ قبِلتَ معذِرتَه، وعليك أن توقِّرَه وتعظِّمَه لله ما دام يحفظُ أمرَ اللَّه، ولا تجلسْ إلا أمامَه، ولا تُشِرْ بيدك، ولا تغمِز بعينك، ولا تقلْ: قال فلان بخلاف قولِه، وإن كانت له حاجةٌ سَبَقْتَ القومَ إلى خدمتِه. ومن فضل العالم أن يقول في ما لا يعلم: لا أعلم.

٨٧٢ ـ وقال ابنُ قتيبة[1]: في الحديث: «**ليس المَلَقُ مِنْ أخلاقِ المؤمنِ إلا في طلبِ العلمِ**».

٨٧٣ ـ ولبعض الشعراء:

إنَّ المعلِّمَ والطبيبَ كلاهما لا يَنصحانِ إذا هما لم يُكْرَما
فاصبِرْ لدائكِ إن جفوتَ طبيبَه واصبِرْ لجهلِك إن جَفَوْتَ مُعلِّما

٨٧٤ ـ ورُوِيَ عن مالك أنه قال: إذا أخطأ العالم «لا أعلم» أُصِيبَتْ مقاتِلُه.

٨٧٥ ـ وقال الشَّعبي: ما رأيتُ مثلي، ما أشاءُ أن أرى أعلمَ مني إلا وجدتُه.

٨٧٦ ـ وقال غيرُه: علِمْنا أشياء وجهِلْنا أشياءَ، فلا نُبْطِلُ عِلمَنا بما جَهِلنا.

٨٧٧ ـ ورُوِيَ أن عمرَ بن الخطاب قال: لا تزيدوا في مُهور النساء

---

(١) في عيون الأخبار ١٢٢/٢. والحديث الذي ذكر ضعيف، بل حكم عليه ابن الجوزي بالوضع. وقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢٢٤/٤، والقضاعي في مسند الشهاب ٢٠٣/٢ (١١٨٨) من حديث معاذ بن جبل ﷺ. وأخرجه البيهقي ٢٢٤/٤ ـ ٢٢٥ من حديث أبي هريرة ﷺ. وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٢٢٦/٢.

على أربعينَ أوقيةً، فمن زاد ألقيتُ زيادتَه في بيت المال، فقالت امرأة في صفِّ النساء: ما ذلك لك. قال: ولم؟ قالت: لأن الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠]. فقال عمر: امرأةٌ أصابت، وأميرٌ أخطأ[1].

٨٧٨ ـ وروى محمد بن كعب القرظي: أن رجلاً سأل عليَّ بن أبي طالب ﷺ عن مسألةٍ، فقال فيها. فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي بن أبي طالب ﷺ: أصبتَ وأخطأتُ، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٌ.

٨٧٩ ـ وقال عبد الرحمن بن القاسم لمالك بن أنس: ما أعلمُ أحداً أعلمَ بالبيوع مِنْ أهل مصرَ، فقال مالك: وبمَ ذلك؟ قال: بك. قال مالك: فأنا لا أعلمُ البيوعَ، فكيف يعلمونها بي؟.

٨٨٠ ـ وقال يزيدُ بنُ الوليد بن عبد الملك:

إذا ما تحدَّثْتُ في مجلسي ... تناهى حديثي إلى ما علِمْتُ
ولم أعْدُ علمي إلى غيرِه ... وكان إذا ما تناهى سَكَتُّ

٨٨١ ـ وقال غيرُه:

إذا ما انتهى علمي تناهيتُ عندَه ... أطالَ فأملي أو تناهى فَأُقْصِرُ
ويخبِّرُني عن غائبِ المرْءِ فعلُهُ ... كذا المرءُ عمَّا غيّبَ المرءُ يخبرُ

٨٨٢ ـ وقال ابن عباس: وجدت عامَّةَ علمِ رسولِ الله ﷺ عند هذا

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠٤٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣٣/٧، وقال: هذا منقطع. وقد بين شيخنا الألباني رحمه الله في إرواء الغليل ٣٤٨/٦ ضعف إسناد هذا الأثر من وجهين: انقطاع إسناده، وضعف أحد رواته. وقال: ثم هو منكر المتن؛ فإن الآية لا تنافي توجيه عمر إلى ترك المغالاة في مهور النساء.

الحيِّ مِنَ الأنصار، إنْ كنتُ لأقيلُ ببابِ أحدِهم، ولو شِئتُ أُذِنَ لي، ولكن أبتغي بذلك طِيبَ نفسِه.

٨٨٣ ـ وقال ابنُ عيينة: ينبغي للعالم إذا عَلّمَ ألاّ يُعَنِّفَ، وإذا عُلِّمَ ألاّ يأنَفَ.

٨٨٤ ـ وقال لقمان: إن العالِم الحليمَ يدعو الناس إلى علمه بالصَّمت والوَقار، وإن العالِم الأخرقَ يطرُدُ الناسَ عن علمه بالهَذَرِ والإكثارِ.

٨٨٥ ـ وكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان مِنْ حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنِّي خفتُ دُروسَ العلمِ وذَهاب العُلماءِ، ولا يقبل إلا حديثَ النبيِّ ﷺ، ولْتُفْشُوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلمَ مَنْ لا يعلمُ، فإنَّ العلم لا يهلك حتَّى يكونَ سراً(١).

٨٨٦ ـ ويُروى عن سفيانَ الثوريِّ أنه قدم عسقلانَ، فمكث ثلاثةَ أيام لا يسألهُ إنسانٌ عَنْ شيءٍ، فقال: اكْتَرِ لي أخرجْ عَنْ هذه البلدةِ، هذا بلدٌ يموتُ فيه العلمُ.

٨٨٧ ـ وقال عطاء: دخلتُ على سعيد بن المسيب وهو يبكي، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: ليس أحدٌ يسألُني عن شيء.

٨٨٨ ـ وكان يقال: عَلِّمْ عِلْمَك مَنْ يجهلُ، وتعلَّم ممَّن يعلَمُ؛ فإنَّك إذا فعلتَ ذلك عَلِمتَ ما جهِلْتَ، وحفِظت ما عَلِمْتَ.

٨٨٩ ـ وقال بعضُهم: إخفاءُ العلم هَلَكَةٌ، وإخفاء العمل نجاةٌ.

٨٩٠ ـ وقال علي بن أبي طالب: لا خيرَ في الصمتِ على العلمِ، كما لا خيَر في الكلام على الجهلِ.

---

(١) ذكره البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلماء. ورواه موصولاً ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/٣٨٧، والدارمي ١/١٣٧.

٨٩١ ـ وقال عيسى عليه السلام: لا تمنعوا الحكمةَ أهلَها فتظلِمُوهم، ولا تُوقِّروها غيرَ أهلها فتظلِموها.

٨٩٢ ـ ولعبد القدوس:

وإنَّ عَنَاءً أنْ تُعَلِّمَ جاهلاً فيحسَبُ، جهلاً، أنَّه منكَ أعْلَمُ
متى يبلُغُ البُنيانُ يوماً تمامَهُ إذا كنتَ تَبنيه وآخرُ يَهْدِمُ
متى ينتهي عَنْ سيِّئٍ مَنْ أتى به إذا لم يكنْ منه عليه تنَدُّمُ

٨٩٣ ـ ولسابقٍ البربريِّ:

وإذا حملتَ إلى سفيهٍ حِكمةً فلقد حملتَ بضاعةً لا تَنْفُقُ

٨٩٤ ـ وسأل رجل من أهل الكوفة أبا حازم عن شيءٍ، فنظر إليه، ثم قال له: الذي يضع العلم عند غير أهله كالذي يتغَنَّى عند رأس الميت.

٨٩٥ ـ ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب أنه قال: حدِّثُوا الناس بما يعرفون؛ أتُحِبُّون أن يكذَّبَ اللَّهُ ورسولُه[1]؟

٨٩٦ ـ وروى أصبغُ عن ابنِ القاسمِ: كان محمدُ بنُ إبراهيمَ بن دينارٍ يختلف إلى ابنِ هُرْمُزٍ، وكان غلاماً، فكان مالكٌ وعبد العزيزُ بن أبي سلمةَ يسألانه فيجيبُهما. وربما سأله ابنُ دينارٍ فلا يجيبُه، فوجد في نفسه لذلك، فتصدَّى له يوماً في طريقه إلى المسجد، فلمَّا مرَّ به أخذ بلجام حمارِه، فقال: يا أبا بكر، تُجَوِّزُ لنفسك أن تُجيبَ مالكاً وابنَ أبي سلمة فيما يسألانك، فإذا سألتك لم تجبْني؟ فقال له: يا ابن أخي، أوَقد كان ذلك؟ فقال له: نعم، فقال ابنُ هُرْمُزٍ: إني رجلٌ كبيرٌ، وإنِّي أخافُ أن يكون نَقَصَ من عقلي مثلُ الذي نَقَصَ مِنْ بدني، وهما عالمان، فيعرفان ما يحملان، فإن يكن حسناً ذكراه.

---

(١) البخاري (١٢٧).

٨٩٧ ـ وقال أبو هريرة: لولا آيةٌ في كتابِ اللَّهِ عز وجل، ما جلستُ للناسِ؛ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة:١٥٩].

٨٩٨ ـ قال إبراهيمُ بنُ المنذرِ الحِزامي: ما رأيتُ شاباً قطُّ لا يطلبُ العلمَ، ولا سيَّما إذا كانت له حدَّةٌ، إلا رحمتُه.

٨٩٩ ـ وقال ابنُ عباسٍ: ذَلَلْتُ طالباً، فعَزَزْتُ مطلوباً.

٩٠٠ ـ وقال بعضهم: من لم يحمِلْ ذُلَّ العلمِ ساعةً، بقي في ذُلِّ الجهلِ أبداً.

٩٠١ ـ وقال بعضُ الحُكماء: يجبُ على العالمِ ألاَّ يناظِرَ جاهلاً؛ فإنَّه يجعل المناظرةَ سبباً إلى التعلُّم منه بغيرِ شكرٍ.

٩٠٢ ـ وقال سُحنون: لا يصلُح العلمُ لمن يأكل حتَّى يشبعَ، ولا لمن يهتَمُّ بغسلِ ثوبٍ.

٩٠٣ ـ وقال يونس: قال لي ابنُ شهاب: يا يونسُ، لا تُكابِرْ هذا العلمَ، فإنما هو أوديةٌ، فأيُّها أخذتَ فيه قبلَ أن تبْلُغَه قَطَعَ بك، ولكن خُذه مع الأيام والليالي.

٩٠٤ ـ وقال مالكٌ: ليس العلمُ عن كَثْرَةِ الرِّواية، ولكنه نورٌ يضعه اللَّهُ في القلبِ.

٩٠٥ ـ وقال الخليل بن أحمد: اجعَلْ ما في كُتبك بيتَ مالٍ، وما في بيتك للنَّفقة.

٩٠٦ ـ وقال الشَّعبي: العلمُ كلُّه شريفٌ، وأشرفُه علمُ الكتابِ والسنةِ والحلالِ والحرامِ، ثم الآدابُ والعربيةُ رأسُ كل صناعةٍ.

٩٠٧ ـ وقال بعض الحكماء: العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان.

٩٠٨ ـ وقيل: مَنْ كَثَّرَ مِنَ النَّحو حمَّقه، ومن كثَّر من الحساب زنْدَقَه.

٩٠٩ ـ وقيل لسعيدِ بن المسيبِ: هنا نُسَّاكٌ يَعيبون إنشادَ الشعر، فقال: نسكوا نُسُكاً أعجمياً.

٩١٠ ـ وقيل: أربعٌ لا تستغني عن أربعٍ: عينٌ عَنْ نظرٍ، وأذن عن خبرٍ، وأرضٌ عن مطرٍ، وعالمٌ عن أثرٍ.

٩١١ ـ وقال ابنُ شهاب: العلم ذَكَرٌ لا يحبُّه إلا ذكورُ الرجالِ.

٩١٢ ـ وقال مالك: لولا النسيانُ لكان أكثرُ الناسِ علماءَ.

٩١٣ ـ وقال بعضُ الحكماء: لا تطلُبِ العلمَ رياءً، ولا تتركْه حياءً.

٩١٤ ـ وقال أبو الزِّناد: كنَّا نكتبُ الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كلَّ ما يسمعُ، فلمَّا احتيج إليه، قيل: إنه أعلمُ الناسِ.

٩١٥ ـ وقال هشام بن عُروةَ: قال لي أبي: يا بني، كتبتَ؟ قلتُ: نعم. قال: عارضتَ؟ قلتُ: لا. قال: لم تكتُبْ.

٩١٦ ـ وكان القاسمُ إذا أكثروا عليه مِنَ المسائل، قال: إنَّ لحديثِ العربِ ولحديث الناسِ نصيباً مِنَ الحديث، فلا تُكثروا علينا.

٩١٧ ـ وقال علي ﷺ: أجِمُّوا هذا القلوبَ، واتَّبعوا لها طرائفَ الحكمة؛ فإنها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ.

٩١٨ ـ وروى يونس عن الزهري أنه كان يقول: هاتوا مِنْ أحاديثِكم، هاتوا من أشعارِكم؛ فإنَّ للأذن مجاجة، والنفس حمضة.

٩١٩ ـ وقال أبو العتاهية:

لا يُصلِحُ النفسَ إذ كانت مصرَّفةً ... إلاَّ التنقُّلُ من حالٍ إلى حالِ

٩٢٠ ـ وقال أبو عمرو بن العلاء: العلمُ نُتَفٌ.

٩٢١ ـ وقال وهبُ بن مُنَبِّهٍ: العلمُ أكثرُ مِنْ أن يحاطَ به، فخذوا مِنْ كلِّ شيءٍ أحسنَه.

٩٢٢ ـ وقال بعضهم:

مـا أكـثـرَ الـعـلـمَ ومـا أوسـعَـهْ ... مَـنْ ذا الـذي يـقـدِرُ أن يـجـمـعَـهْ
إن كـنـتَ لا بـدَّ لـه طـالـبـاً ... مـحـاولاً فـالـتـمِـسْ أنـفَـعَـهْ

٩٢٣ ـ ولمنصور:

في العين فضلٌ ولكن ناظر العينِ ... قالوا خذِ العينَ مِنْ كلٍّ فقلتُ لهم
وربما لم يجدْ في الألف حرفينِ ... حرفان من ألفِ طُومارٍ مُسَوَّدَةٍ

٩٢٤ ـ وأنشد بعضُهم في العلم:

تلوم عليَّ أنْ رحتُ للعلم طالباً ... أُجَمِّعُ مِنْ عند الرُّواةِ فُنونَهُ
فيا لائمي دعْني أُغالي بقيمتي ... فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يُحسنونهُ

٩٢٥ ـ وأنشد ابنُ قُتيبة[1]:

يُعَدُّ رفيعُ القومِ مَنْ كان عالماً ... وإنْ لم يكُنْ في قومِه بحسيبِ
وإن حلَّ أرضاً عاشَ فيها بعلمِه ... وما عالمٌ في بلدةٍ بغريبِ

٩٢٦ ـ وكان يُقال: العلمُ أشرفُ الأحسابِ، والمودَّةُ أشرفُ الأنسابِ.

٩٢٧ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: العلمُ جمالٌ لا يَخفى، ونسبٌ لا يُجفى.

٩٢٨ ـ وقال الأحنفُ: كاد العلماءُ أن يكونوا أرباباً. وكلُّ عِزٍّ لم يُؤَكَّدْ بعلمٍ فإلى ذُلٍّ ما يصيرُ.

---

(١) في عيون الأخبار ٢/١٢٠.

٩٢٩ ـ ولمحمد بن يسير:

أمَا لَوْ أَعِي كلَّ ما أسمعُ ... وأحفظُ مِنْ ذاك ما أجمعُ
ولم أستفِدْ غيرَ ما قد جمعتُ ... لقيل لي هو العالم المُقْنِعُ
ولكنَّ نفسي إلى كلِّ شيءٍ ... مِنْ العلمِ تسمَعُهُ تَنْزِعُ
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ ... ولا أنا من جمعه أشبَعُ
فمَنْ يكُ في علمِه هكذا ... يكنْ دهرَهُ القَهْقَرَى يرجِعُ
إذا لم تكنْ حافظاً واعياً ... فجمعُك للكتْبِ لا ينفعُ
أأحضُرُ بالجهلِ في مجلسٍ ... وعلمِيَ في الكُتْبِ مستَودَعُ

٩٣٠ ـ قال ابن قتيبة: رأى رجلٌ رجلاً يكتب عنه بعضاً ويدَعُ بعضاً، فقال له: يا ابنَ أخي، اكتب كلَّ ما تسمع، فإنَّ أخسَّه خيرٌ مِنْ مكانٍ أبيضَ.

٩٣١ ـ وقال يحيى بنُ خالد: الناسُ يكتبون أحسنَ ما يسمعون، ويحفظون أحسنَ ما يكتبون، ويحدِّثون بأحسن ما يحفظون.

٩٣٢ ـ ووصف رجلٌ رجلاً، فقال: يغلَطُ في عِلْمِه في وجوه أربعة: يسمعُ غيرَ ما يقال، ويحفظُ غيرَ ما يسمَعُ، ويكتب غيرَ ما يحفظ، ويحدِّثُ بغير ما يكتبُ.

٩٣٣ ـ وأخبرني أبو بكر بن الغرَّاب عن ابن الحبَّاب: أنَّه قصد إلى أبي عليٍّ البغدادي في يومِ مطرٍ إلى موضعٍ يبعُدُ عن منْزِله، فوصل إليه ونالَه الطِّينُ، ولم يصِلْ إلى أبي علي مِنْ الطَّلبةِ في ذلك اليوم غيرهُ لشدَّةِ المطر، وكثرَةِ الطين، وبُعْدِ موضِعه، فلما رآه أبو علي عَجِبَ منه وغبَطَه بحرصِه، وقال له اكتب:

دنيتَ للمجدِ والسَّاعُونَ قد بلَغُوا ... جُهْدَ النُّفوسِ وألْقَوْا دُونَه الأُزُرَا
وكابَدوا المجدَ حَتَّى ملَّ أكثرهم ... وعانَقَ المجدَ مَنْ أوفى ومَنْ صَبَرا
لا تحْسَبِ المَجْدَ تمراً أنتَ آكِلَهُ ... لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

٩٣٤ - ولبعضهم:

تعلَّمْ فليس المرءُ يُولَدُ عالماً ... وليس أخو عِلْم كَمَنْ هو جاهَلُ
وإنَّ كبيرَ القَوْمِ لا عِلْمَ عندَه ... صغيرٌ إذا التَفَّتْ عليه المَحَافِلُ

٩٣٥ - ورُوِيَ أن لعلي كرم الله وجهه في تفضيل العلم:

الناسُ مِنْ جِهَةِ التَّمثيلِ أَكْفَاءُ ... أبوهُمُ آدَمُ والأمُّ حَوَّاءُ
نفسٌ كَنَفْسٍ وأرواحٌ مُشاكِلَةٌ ... وأعظُمٌ خُلِقَتْ فيهم وأعضَاءُ
فإنْ يَكُنْ لهم مِنْ أصلِهِمْ حَسَبٌ ... يُفاخِرُون به فالطِّينُ والماءُ
ما الفَخْرُ إلا لأهلِ العِلْم إنَّهُمُ ... على الهُدى لِمَنِ اسْتَهْدَى أدِلاءُ
وقَدْرُ كلِّ امرئٍ ما كانَ يُحْسِنُه ... وللرِّجالِ على الأفعالِ أسماءُ
وضِدُّ كلِّ امرئٍ ما كان يَجْهَلُه ... والجاهلون لأهلِ العلمِ أعداءُ

٩٣٦ - وقال عبدالملك بن الماجشونَ: أتيتُ الحراميَّ وأنا حديثُ السِّنِّ، فلمَّا رأى فيَّ بعضَ الفصاحةِ، قال لي: مَنْ أنت؟ قلت: عبد الملك بن عبدُ العزيز بنِ الماجشون، فقال لي: اطلُبِ العلم، فإنَّ معك حِذاءَك وسِقَاءَك.

٩٣٧ - وقال بعضهم:

قَدْ ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مَهَلٍ ... وليس يَنْفَعُ عندَ الكَبْرَةِ الأدبُ
إنَّ الغُصونَ إذا قوَّمتَها اعتدلَتْ ... ولنْ تلينَ إذا قَوَّمْتَها الخُشُبُ

٩٣٨ - وقال الحسن: طلبُ العلم في الصِّغَرِ كالنَّقش في الحجرِ، وطلبُ العلمِ في الكِبَرِ كالرَّقْمِ على الماء.

٩٣٩ - وقال بُزُرْجِمْهِرَ: من صَلَحَ له العمر صَلَحَ له التعلُّمُ.

٩٤٠ - وقيل لبعض الحكماء: أيحسُنُ بالشَّيخ أن يتعلَّمَ؟ فقال: إن كانتِ الجَهالَةُ تقبُحُ به؛ فإنَّ التعلُّمَ يحسُن به.

٩٤١ ـ ولنفطويه:

أرانيَ أنسى ما تعلَّمْتُ في الكِبَر ولستُ بناسٍ ما تعلَّمْتُ في الصِّغَرْ
وما العِلْمُ إلا بالتَّعلُّم في الصِّبى وما الحِلْمُ إلا بالتَّحَلُّم في الكِبَرْ
ولو فُلِقَ القلبُ المعَلَّمُ في الصِّبى لألفيَ فيه العلمُ كالنَّقشِ في الحجرْ
وما العلمُ بعدَ الشَّيبُ إلا تَعَسُّفٌ إذا كلَّ قَلْبُ المرءِ والسَّمعُ والبصرْ

٩٤٢ ـ وقال الزُّهريُّ: إنَّ للعلمِ غوائلَ؛ فمِنْ غوائلِه أن يتركَ العالم الحديثَ حتَّى يذهبَ، ومِنْ غوائلِه النسيانُ، ومِنْ غوائلِه الكذبُ فيه، وهو شرُّ غوائلِه.

٩٤٣ ـ وقال الحسن: غائِلَةُ العلمِ النسيانُ، وتركُ المذاكرة.

٩٤٤ ـ وقال عبد اللَّه بن المختار: نكَدُ الحديث الكذِبُ فيه، وآفتُه النسيانُ، وإضاعتُه أن تحدِّثُ مَنْ ليس مِنْ أهله.

٩٤٥ ـ وقال ابن المبارك: أولُ العلم النِّيةُ، ثم الاستماع، ثم الفَهْمُ، ثم الحفظُ، ثم العملُ، ثم النَّشْرُ.

٩٤٦ ـ وقال أبو حنيفة: الحكاياتُ عنِ العلماءِ ومجالستُهم أحبُّ إليَّ مِنْ كثيرٍ مِنَ الفقه؛ لأنها آدابُ القومِ وأخلاقُهم.

٩٤٧ ـ وقال الشافعيُّ: مَنْ حفظَ القرآنَ عَظُمَتْ حُرمتُه، ومَنْ طلب الفقه نَبُلَ قدرُه، ومَنْ عرفَ الحديثَ قَوِيَتْ حُجَّتُه، ومَنْ نظر في النحو رقَّ طبعُه، ومَنْ لم يصُنْ نفسَه لم يصُنْه العلمُ.

٩٤٨ ـ وقيل للإسكندرِ: ما بالُ تعظيمِك لمؤدِّبك أكثرُ مِنْ تعظيمك لأبيك؟ قال: لأن أبي سببُ حياتي الفانية، ومعلمي سببُ حياتي الباقية.

٩٤٩ ـ ودخل محمد بن زياد مؤدِّبُ الواثقِ على الواثق، فأظهر إعظامَه وأكثرَ إكرامَه، فقيل: مَنْ هذا يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: هذا أولُ مَنْ فتق لساني بذكرِ اللَّه، وأدناني مِنْ رحمة الله.

٩٥٠ - ويقال: أربعٌ لا ينبغي لأحدٍ أن يأنف منهن وإن كان شريفاً، أو أميراً: قيامُه مِنْ مجلِسه لأبيه، وخدمتُه لضيفِه، وقيامُه على فرسه، وخدمةُ العالم.

* * *

٧٢ - باب الرحلة في طلب العلم

٩٥١ - قال سعيدُ بن جُبيرٍ: قلت لابن عباس: إن نوفاً البَكاليَّ يزعُم أنَّ موسى الخِضر ليس بموسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخرُ، فقال: كذَبَ، حدَّثني أُبيُّ بنُ كعبٍ عن النبيِّ ﷺ قام موسى النبيُّ ﷺ خطيباً في بني إسرائيل، فسُئِلَ: أيُّ الناس أعلمُ؟ قال: أنا أعلمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عليه؛ إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، فأوحى الله إليه أنَّ عبداً مِنْ عبادي بمجَمعِ البحرين هو أعلمَ منك، قال: يا ربِّ وكيف لي به؟ فقيل له: احمِلْ حوتاً في مِكْتَلٍ، فإذا فقدته فهو ثَمَّ. فانطلقَ وانطلقَ معه فتاه يوشَعُ بنُ نون، وحملا حوتاً في مِكْتَل، حتى إذا كانا عند الصخرة وضعا رؤوسَهما فناما، فانسلَّ الحوتُ من المِكْتَل، ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]، وكان لموسى وفتاه عجباً، فانطلقا بقيَّةَ ليلتِهما ويومِهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٢]، ولم يجد موسى مسَّاً مِنَ النَّصَبِ، حتى جاوزَ المكان الذي أُمر به، فقال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف:٦٣]، قال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف:٦٤]، فلما انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجًّى بثوبِه، أو قال: تسجَّى بثوبه، فسلَّم موسى، فقال الخضر: وأنَّى بأرضِك السَّلامُ، فقال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الكهف: ٦٦ - ٦٧]، يا موسى إنِّي على علمٍ مِنْ علم الله علَّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علمٍ علَّمَكه الله لا أعلمه أنا،

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩﴾ [الكهف: ٦٩]، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ليس لهما سفينةٌ، فمرَّت بهما سفينةٌ فكلَّموهم أن يحملوهما، فعُرِفَ الخضرُ فحملوهما بغير نَوْلٍ، فجاء عصفورٌ فوقع على حرفِ السَّفينة فنقر نقرةً أو نقرتين في البحرِ، فقال الخضر لموسى: ما نقص علمي وعلمُك مِنْ علم الله إلا كنقرةِ هذا العصفور في البحر، فعمَدَ الخضرُ إلى لوحٍ مِنْ ألواح السفينةِ فنزعه، فقال موسى: قومٌ حملونا بغير نَوْلٍ عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لِتُغْرِقَ أهلها، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝٧٣﴾ [الكهف: ٧٢ ـ ٧٣]، فكانتِ الأولى من موسى نِسياناً، فانطلقا فإذا غلامٌ يلعب مَعَ الغِلمان، فأخذ الخضر رأسَه من أعلاه فاقتلع رأسَه بيده، فقال موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً[1] بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٥﴾ [الكهف: ٧٥]، ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧]، قال الخضر: بيده هكذا فأقامه، فقال موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٧ ـ ٧٨]. قال النبي ﷺ: «**لوَدِدْتُ لو صبر حتى يَقُصَّ علينا مِنْ أمرهما**»[2].

٩٥٢ ـ ورُوِيَ عن جابر بن عبد الله أنه قال: بلغني حديثٌ عَنْ رجلٍ مِنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ فابْتَعتُ بعيراً فشددت عليه رحلي، ثم سِرْتُ إليه شهراً، حتى قدِمْتُ الشامَ، فإذا عبدَ الله بنُ أُنَيْسٍ الأنصاريُّ، فأتيتُ منْزلَه وأرسلتُ إليه أنَّ جابراً على البابِ، فرجع الرسولُ، فقال: جابر بن عبد اللَّه؟ فقلت: نعم، فخرج إليَّ فاعتنقتهُ واعتنقني، قال: قلت: حديثٌ

---

(١) في الأصل «زاكية»، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء. انظر حجة القراءات ص ٢٤.

(٢) البخاري (١٢٠)، ومسلم (٢٣٨٠).

بلغني عنك أنك سمعتَه مِنْ رسولِ الله ﷺ في المظالمِ، لم أسمَعْهُ أنا منه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يَحْشُرُ الله تبارك وتعالى العبادَ، أو قال: الناس، وأومأ بيده الشامَ، عراةً غُرْلاً بُهْمَا**» قيل له: ما بُهمٌ؟ قال: «**ليس معهم شيءٌ، فيناديهم بصوتٍ يسمَعُه مَنْ بَعُدَ، ويسمعه مَنْ قَرُبَ: أنا الملك، أنا الدَّيَّانُ، لا ينبغي لأحدٍ مِنْ أهلِ الجَنَّةِ أن يَدْخُلَ الجنةَ، وأحدٌ مِنْ أهلِ النارِ يطلُبه بمظلمةٍ حتَّى اللَّطْمَة**» قلت له: فكيف وإنما نأتي اللَّهَ عُراةً حفاةً غرلاً؟ قال: «**في الحسناتِ والسيئاتِ**»[1].

٩٥٣ ـ ورُوِيَ عن مالك عن سعيد بن المسيب: إنْ كنتُ لأسيرُ الأيامَ والليالِيَ في طلب الحديث الواحد.

٩٥٤ ـ وقال الشَّعبيُّ: لو أنَّ رجلاً سافر مِنْ أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليستمعَ كلمةَ حِكمةٍ، ما رأيتُ أنَّ سفرَه ضاع.

٩٥٥ ـ وقال مالك بن دينار: أوحى الله إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنِ اتَّخِذْ نعلين مِنْ حديد، وعصاً مِنْ حديد، ثم اطلبِ العلمَ والعِبَرَ حتى تخرَّقَ نعلاك، أو تخلَقَ نعلاك، وتنكسر عصاك.

٩٥٦ ـ وقال ابن المبارك: يا أهلَ الحديث إلى كُتبكم.

٩٥٧ ـ وسُئِلَ مالكٌ، فقيل له: يا أبا عبد اللَّه، أترجو لمن خرج يطلبُ هذا الفقهَ والعلم في ذلك خيراً؟ فقال: نعم، لمن حَسُنَتْ نيتُه، وهُدي لخيرٍ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ منه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢] ولكن الناس قد خلطوا.

❋ ❋ ❋

(١) رواه أحمد ٣/٤٩٥، وصححه الحاكم في المستدرك ٢/٤٣٧، ووافقه الذهبي.

٧٣ ـ ما جاء في العمل بالعلم

٩٥٨ ـ قال معاذ بن جبل: تعلَّمُوا ما شئتم أن تعلَّمُوا، فلن يأجُرَكمُ الله تعالى بعلمٍ حتى تعملوا.

٩٥٩ ـ وقال أبو ذر لرجلٍ يسأله: انظر ما سألتني، فإنَّك لا تسألني عن شيءٍ إلا زادك الله بلاءً.

٩٦٠ ـ وسأل رجلٌ الحسنَ عن مسألةٍ، فأجاب، فقال الرجل: يا أبا سعيد، سألتُ رجلاً من الفقهاء، فقال كذا، قال الحسن: مَنِ الفقهاء؟ والله ما رأيتَ بعينك فقيهاً قطُّ، هل تدري من الفقيهُ؟ الفقيهُ: العالمُ الراغبُ فيما عند اللَّه، الزاهدُ في الدنيا، فهل رأيتَ هذا؟ فسكت الرجل.

٩٦١ ـ وقال الحسن: قرأ القرآن ثلاثةُ نفرٍ، فرجلٌ قرأ القرآنَ فأعدَّه بضاعةً، يطلب به ما عند الناس مِنْ مِصرٍ إلى مِصرٍ، وقومٌ قرؤوا القرآن فثقَّفُوه كما تُثقَّفُ القِدَحُ، فأقاموا حروفَه، وأضاعوا حدودَه، واستدرُّوا به ما عندَ الوُلاةِ، واستطالوا به على أهل بلادهم، وما أكثر هذا الصنف مِنْ حَمَلَةِ القرآن، لا كثَّرهم اللَّهُ عز وجل، ورجلٌ قرأ القرآن فبدأ بدواء ما تعلَّم مِنَ القرآنِ فجعله على داءِ قلبه، فهمَلَتْ عيناه، وسهِرَ ليلهَ، وتسربَلَ الحزنَ، وارتدى الخشوعَ، فبِهِمْ يَسقي اللَّهُ الغيثَ، ويُتَّقى العدوُّ، ويُدفَعُ البلاءِ، فوالله لَهذا الضَّرْبُ مِنْ حَمَلَةِ القرآنِ أقلُّ في الناس مِنَ الكبريتِ الأحمرِ.

٩٦٢ ـ وقال ابن وهب: سألت مالكاً عن الرَّاسخين في العلم؟ فقال: هم العاملون المتَّبعون له.

٩٦٣ ـ وقال الحسنُ: لا تكن ممَّن يجمعُ علمَ العلماءِ وطرائِفَ الحكماء، ويجري مجرى السُّفهاء.

٩٦٤ ـ وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما أكثرَ الشجر وليس كلُّها مثمراً، وما أكثرَ التَّمر وليس كلُّه بطيِّبٍ، وما أكثرَ العلم وليس كله بنافعٍ.

٩٦٥ ـ وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إن أخوفَ ما أخاف على هذه الأمة منافقٌ عليمٌ. قالوا: وكيف يكون منافقٌ عليماً؟ قال: عليمُ اللسان، جاهلُ القلبِ والعملِ.

٩٦٦ ـ وقال عيسى عليه السلام: إلى متى تُوضِّحون الطريق للمدلجين، وأنتم مُقيمون مع المتحيرين؟

٩٦٧ ـ وقال بعضُ الحكماء: من لم يتعاهدْ علمَه في الخلاء فضحه في الملأ.

٩٦٨ ـ وقال الفُضيل بن عِياض: لو أنَّ للعلماء صبراً ما تمندَل هؤلاء بهم.

٩٦٩ ـ وقيل ليحيى بن معاذ: ما يُذهِبُ بَهَاءَ العلمِ والحكمةِ؟ فقال: إذا طُلِبَتِ الدنيا بهما.

٩٧٠ ـ وقال الحسن: عقوبةُ العلماء موتُ القلب، وموتُ القلب طلبُ الدنيا بعمل الآخرة.

٩٧١ ـ وأنشدوا:

عجبتُ لمُبتَاعِ الضلالةِ بالهدى ... ومَنْ يشتري دنياه بالدِّين أعجبُ
وأعجبُ مِنْ هذين مَنْ باع دينَه ... بدنيا سواه فهو مِنْ ذَيْنِ أعجبُ

٩٧٢ ـ وقال مالكُ بن دينار: قرأتُ في بعض الكتب: يقول الله عز وجل: إن أهونَ ما أنا صانعٌ بالعالم إذا أحبَّ الدنيا أن أُخرِجَ حلاوةَ الإيمانِ من قلبِه.

٩٧٣ ـ وقال عمرُ بن الخطاب: إذا رأيتم العالم محبّاً للدنيا فاتَّهموه على دينكم، فإنَّ كلَّ محبٍّ يخوض فيما أحبَّ.

٩٧٤ ـ وكتب رجل إلى أخٍ له: يا أخي، إنك قد أُوتِيتَ علماً، فلا

تُطفِئنَّ نورَ علمك بظُلمة الذنوب، فتبقى في الظُّلمة يوم يسعى أهلُ العلم بنور علمهم.

٩٧٥ ـ وقال ابن وهب: قال لي مالك وذكر قول يحيى وقول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] وقول عيسى: ﴿جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [الزخرف: ٦٣]، فقال: الحكمةُ طاعةُ اللَّه، والاتِّباعُ لها، والفقه في دين الله تعالى والعمل به.

٩٧٦ ـ وكان يُقالُ: العلماءُ إذا علِموا عمِلوا، فإذا عملوا شُغِلوا، فإذا شُغِلُوا فقدوا، فإذا فُقِدوا طُلبوا، فإذا طُلِبوا هَربوا.

٩٧٧ ـ وقال سفيانُ الثوريُّ: يهتفُ العلمُ بالعمل، فإن أجابهَ وإلا ارتحل.

٩٧٨ ـ وقال الفُضيلُ: إني لأرحمُ ثلاثةً: عزيزَ قومٍ ذلَّ، وغنياً افتقرَ، وعالماً تلعبُ به الدنيا.

٩٧٩ ـ وقال بعضُهم: عِلمٌ بلا عمل كشجرٍ بلا ثمرٍ.

٩٨٠ ـ وقيل: مَنْ ترفَّع بعلمه وضعه الله بعملِه.

٩٨١ ـ وقال بعضُ النُّسَّاك: أسكتتني كلمةُ ابنِ مسعودٍ عشرين سنة: مَنْ كان كلامُه لا يوافقُ فعلَه كأنَّما يوبِّخُ نفسَه.

٩٨٢ ـ وقال حبيبُ بنُ حُجْر: كان يُقال: ما أحسنَ الإيمانَ يُزِّينه العلمُ، وما أحسنَ العلم يزيِّنُه العملُ، وما أحسنَ العملَ يزيِّنُه الرِّفقُ. وما أُضِيفُ شيءٌ إلى شيءٍ أزينُ مِنْ حِلمٍ إلى علمٍ.

٩٨٣ ـ وأنشدوا:

إنَّا لنَفْرَحُ بالأيامِ ندفَعُها ... وكلُّ يومٍ مضى يُدني مِنَ الأجلِ
فاعْمَلْ لنفسِك قبلَ الموْتِ مُجتهداً ... فإنَّما الرِّبحُ والخُسرانُ في العملِ

٩٨٤ ـ ورُوِيَ عن يونس بن عُبيد: قال: استأذن سعدُ بن معاذٍ

رسولَ الله ﷺ في زيارة أخوالٍ له بالبادية، فلما رجع جعل يقول بيده هكذا. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأى سعدٌ عجباً**». فقال: يا رسول اللّه، جئتُك مِنْ قوم همُّهم همُّ أنعامهم: البطن والفرج. فقال رسول الله ﷺ: «**أفلا أخبرك بأعجبَ ممَّا رأيتَ؟ مَنْ عرفَ ما جَهِلُوا، ثمَّ فعل كفعلِهم**»[(١)].

٩٨٥ - قال أبو كبشةَ السَّلولي: سمعتُ أبا الدرداء يقول: مِنْ شرِّ الناسِ منْزلةً يومَ القيامةِ عالِمٌ لا يَنتفِعُ بعلمه.

٩٨٦ - وقال أبو الدرداء: إنَّ أخوفَ ما أخافُ إذا وقفتُ على الحساب أن يُقالَ لي: قد علمتَ، فماذا عمِلْتَ؟.

٩٨٧ - ورُوِيَ عن عيسى ابن مريم أنه قال يوماً مِنَ الأيام: ويلَكم عُلماءَ السُّوء! أمَّا مَثَلُكم كمَثَلِ الدِّفلى؛ تُعجِبُ رؤيتُها مَنْ نظر إليها، ويقتُلُ شجرُها مَنْ أكلها. قولُكم شِفاءٌ يُبرئُ الدَّاءَ، وأعمالُكم داءٌ لا يقبل الدواءَ. أعمالُكم تَبكي منكم، وأنتم لا تبكون شَفَقاً مِنْ أعمالكم. جعلتُم الدنيا فوق رؤوسِكم، والعلمَ تحتَ أقدامِكم، فبدأتم بالهدِيَّةِ قبلَ قضاء الدين. فكيف أرجو أن ينفعَكم قولي والحكمةُ تخرج مِنْ أفواهكم، ليس بينها وبين آذانكم إلا أربعُ أصابع، ثم لا تدخُل فيها. بحقٍّ أقولُ لكم: لا تريدون الدنيا ولا الآخرةَ؛ لو كنتم تريدون الآخرةَ، لأكرمتمُ العلمَ الذي لا تُدْرَكُ الآخرةُ إلا به، ولو كنتم تريدون الدنيا، لأكرمتمُ العلم الذي به تُدرَكُ الدنيا. فلا عبيدٌ أتقياء، ولا أحرارٌ كرام.

٩٨٨ - ويُروى عن علي رضي الله عنه، قال: قطع ظهري رجلان: جاهلٌ ناسكٌ، وعالمٌ فاسقٌ؛ فهذا يدعو الناسَ إلى جهلِه بنُسكِه، وهذا يُنَفِّرُ الناسَ عَنْ علمِه بفِسقِه.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١٤٤)، وهناد في الزهد ٤٠٦/٢ (٧٨٦)، وإسنادهما، كما إسناد المصنف، منقطع.

٩٨٩ ـ وروى سعيد بنُ مُرجانةَ، قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**أيّما رجلٍ أعتقَ امرأً مسلماً، أعتق الله بكل عُضوٍ منه عُضواً مِنَ النار**».

قال سعيد بنُ مرجانة: فانطلقتُ به إلى عليِّ بن الحسين، فعَمدَ إلى عبدٍ له قد أُعطِيَ به عشرةَ ألف درهم أو ألف دينار، فأعتقه[1].

٩٩٠ ـ ولمحمد بن كُناسة:

يا مَنْ روى عِلْماً ولم يَعْمَلْ به ... ويَضِلُّ عِنْ سُبْلِ الهُدى بأديبِ
حتَّى يكونَ بما تعلَّمَ عاملاً ... مِنْ صالحٍ فيكون غيرَ مَعِيبِ
ولقَلَّما تُغني إصابةُ قائلٍ ... أفعالُه أفعالُ غيرِ مُصيبِ

٩٩١ ـ قال مالك: إنما الناسُ في العلم أربعة:

رجلٌ عَلِمَ علماً، فعمل به وعلَّمه، فمَثَلُه في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

ورجلٌ عَلِمَ علماً، فعمل به ولم يُعلِّمْه، فمَثَلُه في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

ورجلٌ عَلِمَ علماً، فعلَّمه وأمرَ به، ولم يعمَلْ به، فمَثَلُه في كتاب الله عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

ورجلٌ لم يعلَمْ علماً، ولم يعمل به، فمَثَلُه في كتاب الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

* * *

(١) البخاري (٢٥١٧)، ومسلم (١٥٠٩).

٧٤ ـ ما جاء في القول والعمل

٩٩٢ ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٣].

٩٩٣ ـ وقال عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة: ٤٤].

٩٩٤ ـ وقال تبارك اسمُه في قصة شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ﴾ [هود: ٨٨].

٩٩٥ ـ قال ابنُ مسعودٍ: إن الناس قد أحسنوا القولَ كلَّهم، فمَنْ وافق قولُه فعلَه، فذلك الذي أصاب حظَّه، ومَنْ خالف قولُه فعلَه فإنَّما يوبِّخُ نفسَه.

٩٩٦ ـ وقال منصورُ بن مُزاحمٍ في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر: ١٠]. قال: العملُ الصالحُ يرفَعُ الكَلِمَ الطيِّبَ إلى الله عز وجل، فإذا كان كلامٌ طيب وعمل سُوءٍ رُدَّ القولُ إلى العملِ، وكان عملُه أحقَّ به مِنْ قولِه.

٩٩٧ ـ وقال الحسن: عجباً لقلوبٍ تعرفُ، ولألسُنٍ تَصِفُ، وأعمالٍ تُخالفُ.

٩٩٨ ـ ورُوِيَ عن الشَّعبي قال: يطلُع قومٌ مِنْ أهل الجنة إلى قوم مِنْ أهل النارِ، فيقولون لهم: ما أدخلَكُمُ النارَ، وإنما أدخلنا الله عز وجل الجنة بفضلِ تأديبكم وتعليمكم؟! فيقولون: إنا كنا نأمرُ بالخيرِ ولا نفعلُه.

٩٩٩ ـ وقال حاتمٌ الأصمُّ: ليس في القيامة أشدُّ حسرةً مِنْ رجلٍ علَّمَ الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به، ففازوا بسببه وهلَكَ هو.

١٠٠٠ ـ وقيل: مَثَلُ الذي يُعَلِّمُ الناسَ ولا يعمل، كمثل المصباحِ يحرقُ نفسَه ويُضيءُ لغيرِه.

١٠٠١ ـ وأنشدوا في ذلك:

صِـرْتُ كـأنِّـي ذُبَـالـةٌ نُـصِـبَـتْ تُـضِـيءُ لـلـنَّـاسِ وهـي تـحـتـرقُ

١٠٠٢ ـ وقال ابن السَّمَّاكِ: كم مُذَكِّرٍ بالله ناسٍ لله، وكم مُخَوِّفٍ بالله جريءٌ على الله، وكم مُقَرِّبٍ إلى الله بعيدٌ مِنَ الله، وكم مِنْ داعٍ إلى الله فارٌّ مِنَ الله، وكم مِنْ تالٍ لكتاب اللَّه، مُنسلخ مِنْ آيات الله.

١٠٠٣ ـ وقال إبراهيمُ بنُ أدهَم: لقد أعرَبْنا في كلامنا فما نَلْحَنُ، ولحَنَّا في عملنا فلا نُعْرِبُ.

١٠٠٤ ـ وقال الأوزاعيُّ: إذا جاء الإعرابُ ذهب الخشوع.

١٠٠٥ ـ وقال الحسن: لا يزالُ العبد بخيرٍ ما علم الأمرَ الذي يُفسدُ عليه عملَه.

١٠٠٦ ـ وقال قيسُ بنُ رافعٍ: اجتمع ناسٌ مِنْ أصحابِ النبي ﷺ عند ابن عباس، فتذاكروا الجنةَ فرَقُّوا، وواقدُ بنُ الحارثِ ساكتٌ، فقالوا: يا أبا الحارث ألا تتكلَّمُ؟ فقال: قد تكلمتم وكفيتم، فقالوا: تكلَّمْ، فوالله ما أنت بأصغرِنا سناً، فقال: أسمعُ القولَ قولَ الخائفين، وأنظرُ إلى الفعل فعل الآمنين.

١٠٠٧ ـ ولأبي العتاهية:

أيا مَنْ يُداوي النـاسَ وهـو سَقيـمُ تَـدُلُّ عـلـى التَّـقـوى وأنـتَ مُـقَـصِّـرٌ

وإنَّ امـرَءاً لـم يَـجْـعَـلِ الـبِـرَّ كَـنْـزَهُ ولـو كـانـتِ الـدُّنـيـا لـه لَـعَـدِيـمُ

١٠٠٨ ـ وقال أبو همَّام السَّلوليُّ:

إذا نَصَبُوا للقَوْلِ قالوا فأحْسَنُوا ولكنَّ حُسْنَ القَوْلِ خالَفَهُ الفِعْلُ

وذَمُّوا لنا الدُّنيا وهُمْ يَرْضَعُونها أفاويقَ[1] حتَّى ما يُدِرُّ لها فعلُ

(١) أفاويق: جمع فواق، وهو ما بين الحلبتين من الوقت، أو ما بين فتح اليد وقبضها على الضرع عند الحلب. أي إنه يرضع الدنيا مرات متتابعة.

١٠٠٩ ـ وقال الفُضيلُ: المؤمنُ قليلُ الكلام كثيرُ العملِ، والمنافقُ كثيرُ الكلامِ قليلُ العملِ.

١٠١٠ ـ وقال بعضُ الحكماء: المؤمنُ هِمَّتُه في الصلاة والصيام والعبادة، والمنافقُ هِمَّتُه في الطَّعَامِ والشرابِ كالبهيمةِ.

١٠١١ ـ وقال عمرُ بنُ عبد العزيز: قوةُ المؤمن في قلبِه، وقوةُ المنافق في بدنِه.

١٠١٢ ـ وكان زيادُ بنُ العلاء يقول: ليُنْزِلَنَّ أحدُكم نفسَه أنَّه قد حضره الموتُ، فاستقالَ ربَّه نفسَه فأقاله، فليعمَلْ بطاعةِ الله تعالى.

١٠١٣ ـ وقال سعيدُ بن المسيب: ما مِنْ ليلةٍ تأتي على الناس إلا نادت: إنِّي ليلةٌ جديدةٌ، لم آتِ عليكم قطُّ، ولم أمُرَّ عليكم بعد، فاعملوا فيَّ خيراً؛ فإنكم مسؤولون عما عملتم فيَّ. فإذا جاءَ النهارُ نادى مثلَ ذلك، لم تزلِ الدُّنيا على ذلك.

١٠١٤ ـ وأنشدوا:

اعمَل لنفسِك قبلَ الموتِ في مَهَلٍ ... واعلَمْ بأنَّك بعدَ الموتِ مبعوثُ
واعلَمْ بأنَّك ما قدَّمْتَ مِنْ عملٍ ... يُحصَى عليك وما خَلَّفْتَ مورُوثُ

١٠١٥ ـ وقال أبو حازم: انظرْ إلى الذي تحبُّ أن يكونَ معك في الآخرة، فقدِّمه اليومَ، وما تكره أن يكون معَك في الآخرة، فاترُكه الأبدَ.

١٠١٦ ـ وقال أيضاً: كلُّ عملٍ تكره الموتَ مِنْ أجلِه فاتركه، ولا يضرُّك متى مِتَّ.

١٠١٧ ـ وقال أبو الدرداء: ما مَرَّ يومٌ على رجلٍ مسلم إلا اجتمع هواه وعملُه، فإن كان هواه تابعاً لعمله، فيومه يومٌ صالح، وإن كان عمله تابعاً لهواه فيومُه يومُ سوءٍ.

١٠١٨ ـ وقال الحسن: لقد وقَذَتْني[(١)] كلمةٌ سمعتُها مِنَ الحَجَّاج بن يوسف؛ سمعتُه يقول على هذه الأعواد: إنَّ امرءاً ذهبت ساعةٌ مِنْ عمرِه لغيرِ ما خُلِقَ له لجديرٌ أن تطولَ عليها حسرتُه يومَ القيامةِ.

١٠١٩ ـ ورُوِيَ أن شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يا بني إسرائيل، اسمعوا قولي؛ فإنَّ قائلَ الحكمةِ وسامعَها شريكان، وأَوْلاهما بها مَنْ حقَّقها بعمله.

١٠٢٠ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أنه قال: طوبى لمن طال عُمُره وحَسُنَ عملُه[(٢)].

١٠٢١ ـ ولعبد الله بنِ معاويةَ:

ألا تَـزَعِ الـقـلـبَ عَـنْ جـهـلِـه ... وعَـنْ مـا يُـؤنِّـبُ مِـنْ أجـلِـهِ
فـأُبْـدِلَ بَـعْـدَ الـصِّـبـا حـلـمَـه ... وأقْـصَـرَ ذُو الـعَـذْلِ عَـنْ عـذلِـهِ
فـلا تـركـبـنَّ الـصَّـنـيـعَ الـذي ... تـلـومُ أخـاكَ عـلـى فـعـلِـهِ
ولا يُـعْـجِـبَـنَّـكَ قـولُ امـرِئٍ ... يُـخـالِـفُ مـا قـالَ فـي قـولِـهِ
ولا تُـتْـبِـعِ الـطَّـرفَ مـا لا تـنـالُ ... ولـكـنْ سَـلِ الـلَّـهَ مِـنْ فـضـلِـهِ
فـكـم مِـنْ مُـقِـلٍّ يـنـالُ الـغِـنـى ... ويُـحْـمَـدُ فـي رزقِـه كـلِّـهِ

* * *

٧٥ ـ ما جاء في الطاعة والمعصية

١٠٢٢ ـ قال سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]: اذكروني بالطاعةِ، أذكركم بمغفرتي.

---

(١) الوقذ: شدة الضرب.

(٢) رواه بهذا اللفظ مرفوعاً ابن المبارك في الزهد ص ٤٧٢ (١٣٤٠). وروي مرفوعاً بلفظ «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً». رواه أحمد ٢/٢٣٥، وصححه ابن حبان (٤٨٤). ورواه من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث: الترمذي (٢٣٣٠)، وقال: حسن صحيح.

١٠٢٣ - ورُوِيَ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يُنجيَ أحداً منكم عملُه**». قالوا: ولا أنت يا رسول اللّه؟ قال: «**ولا أنا إلاّ أن يتغَمَّدَني اللّهُ بِرحمتِه. سدِّدوا وقاربوا واغدُوا وروحوا، وشيءٌ من الدُّلجة، والقصدَ القصدَ تبلُغُوا**»[1].

١٠٢٤ - ورُوِيَ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يقولُ الله عز وجل: إذا أراد عبدي أن يعملَ سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملَها، فإن عملها فاكتبوها بمثلِها، وإن هو تركها مِنْ أجلي فاكتبوها له حسنةً، وإن أراد أن يعملَ حسنةً فلم يعملْها، فاكتُبوها له حسنةً، فإن عملها فاكتُبوها له بعشرِ أمثالها إلى سبعمائةِ ضعفٍ**»[2].

١٠٢٥ - وقال عبد اللّه بن مسعود: ما يضرُّ عبداً يصبح على الإسلام ويُمسي عليه ما أصابتِ الدنيا.

١٠٢٦ - وكان يقال: إنما لك مِنْ عُمُرِك ما أطعت اللّهَ فيه، وأمّا ما عصيتَ اللّهَ فيه فلا تعُدَّه عمراً.

١٠٢٧ - وأنشدوا:

أطِعِ اللّهَ بجَهْدِكْ دائباً أو دُونَ جَهْدِكْ
أعطِ مولاكَ كما تَطْلُبُ مِنْ طاعَةِ عبدِكْ

١٠٢٨ - ولما التقى سفيانُ الثوري وجعفرُ بن محمدٍ: قال له: إن اللّهَ أخفى ثلاثاً في ثلاثٍ: أخفى محبَّته في خلقِه، فلا تحقِرَنَّ مِنْ خلقِه أحداً، ولا تأمَنْ أن يكونَ له وليّاً. وأخفى رضاه في طاعته، فلا تحقِرَنَّ مِنْ طاعته شيئاً، لعلَّ رضاه يكون فيه. وأخفى سَخَطَه في معصيته، فلا تحقِرَنَّ من معصيتِه شيئاً، لعلَّ سخطَه يكون فيه.

---

(١) البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٢) البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨).

١٠٢٩ ـ وأنشدوا:

قـارضِ الـرَّبَ الـكـريـمـا تَـرْبَـحِ الـرِّبْـحَ الـعـظـيـمـا
ارحَـمِ الـبـائـسَ وارْأَفْ تـجِـدِ الـرَّبَّ رَحـيـمـا

١٠٣٠ ـ ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: مَنْ أرادَ الغِنى بغيرِ مالٍ والعزَّ بغيرِ عشيرةٍ، فليتحوَّلْ مِنْ ذُلِّ المعصية إلى عزِّ الطاعةِ.

١٠٣١ ـ وروى سالم بن عبد الله عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«كلُّ امرئٍ معافى إلا المجاهرون، وإنَّ مِنَ المجاهرةِ أن يعملَ الرجلُ بالليلِ عملاً، ثمَّ يُصبحُ وقد ستره اللّه، فيقول: يا فلانُ، عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد باتَ يستُرُه ربُّه، ويصبح يكشف سِتْرَ الله عنه»**[1].

١٠٣٢ ـ وقال أبو ذر: يكفي مِنَ الدُّعاءِ مَعَ الطاعةِ ما يكفي الطعامَ مِنَ الملحِ.

١٠٣٣ ـ وقال إبليسُ لعنه اللّه: العجبُ لبني آدم؛ يحبُّون اللّهَ ويعصونَه، ويُبغضوني ويُطيعوني.

١٠٣٤ ـ وكان عقبةُ بن مُسلم يقول: إذا كان العبدُ على معصيةِ الله فأعطاه الله ما يحب على ذلك، فليعلَمْ أنه في استدراجٍ منه.

١٠٣٥ ـ وقال أبو حازم: ما الدنيا وما إبليس؟ أمَّا الدنيا فما مضى فحلُمٌ، وما بقيَ فآمالٌ، وأما إبليسُ فوالله لقد أُطيعَ فيها فما نفع، ولقد عُصِيَ فما ضرَّ.

١٠٣٦ ـ وقال عبدُ الله بنُ أبي نوحٍ: يا عجباً لمن يعصي المحسنَ بعد معرفتِه بإحسانه، ويطيعُ اللعينَ بعد معرفته بطغيانه.

---

(١) البخاري (٦٠٩٦)، ومسلم (٢٩٩٠).

١٠٣٧ - وروى عبد العزيز بن أبي رجاء عن مالكٍ أنه قال: ابنَ آدم، أطِعْ ربَّك تُسَمَّ عاقلاً، ولا تعصِه فتُسمَّى جاهلاً.

١٠٣٨ - ولمحمود الوراق:

تعصي الإله وأنتَ تُظْهِرُ حبَّه ... هذا محالٌ في القياسِ بديعُ
لو كنتَ صادقَ حُبِّهِ لأطَعْتَه ... إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ
في كلِّ يومٍ يَبْتَليكَ بنعمةٍ ... منه وأنتَ لشكرِ ذاكَ مُضِيعُ

١٠٣٩ - وقال رجلٌ لبعض الحكماء: إني أضعُفُ عَنْ قيام الليل، فقال له: يا ابنَ أخي، لا تَعْصِ اللّهَ بالنهارِ ولا تَقُمْ بالليلِ، وإنَّ الرجلَ ليعصي المعصيةَ، فيعُاقَبُ عليها بالعجزِ عن الطاعةِ.

١٠٤٠ - وقال مُطَرِّفُ بن عبد اللَّه: إن الحسنةَ أثقلُ ما تكون ما كنتَ تعملُها، فإذا أقلعتَ عنها لم تذكُرْها أبداً، ولو ذكرتَها لسرَّتك، وايْمُ الله لأسَرُّ ما تكون بها يومَ تراها عندَ الله تعالى في حسناتِك، وإنَّ السيئةَ أخفُّ ما تكونُ عليك ما كنت تعملُها، فإذا أقلعتَ عنها لم تذكُرْها أبداً، ولو ذكرتَها لساءتك، وايمُ الله لأسوأُ ما تكون يومَ تراها عند الله في سيئاتك.

١٠٤١ - ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال: إني لأحسِبُ الرجلَ ينسى العلم بالخطيئةِ يعملُها.

١٠٤٢ - وأنشدوا:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي ... فأومى لي إلى تركِ المعاصي
وذاك بأنَّ فَضْلَ الحفظِ فضلٌ ... وفَضْلُ اللَّهِ لا يؤُتيه عاصي

١٠٤٣ - ولبعضهم:

كلُّ يومٍ يمرُّ يأخُذُ بعضي ... يأخذُ الأطْيَبَيْنِ مِنِّي ويَمضي
قد تمتَّعتُ بالمعاصي قديماً ... نفسُ كُفِّي ليسَ المعاصي بفرضِ

١٠٤٤ ـ ورُوِيَ عن علي ﷺ أن النبي ﷺ بعث جيشاً وأمَّر عليهم رجلاً، فأمَرهم أن يُوقدوا ناراً، فقال: ادخُلوها، فأرادوا أن يدخُلوها، وقال بعضهم: إنَّما فررنا منها، فذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: **«لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يومِ القيامةِ، لا طاعةَ في معصيةٍ، إنَّما الطاعةُ في المعروف»**[1].

❋ ❋ ❋

٧٦ ـ ما جاء في العقل

١٠٤٥ ـ يُروى أن الله عز وجل لما خلقَ العقلَ، قال له: أقْبِلْ فأقبلَ، ثم قال له: أدبِر فأدبَر، ثم قال: اسكُنْ فسكن، فقال: وعِزَّتي وجلالي لا ركَّبتُكَ إلا في أحبِّ الخلق إليَّ. ولما خَلَقَ الحُمْقَ، قال له: أقبِل فأدبر، ثم قال: أدبِر فأقبل، ثم قال اللَّه: اسكُنْ، فاضطربَ. فقال: وعزَّتي وجلالي، لا ركَّبتُك إلا في أبعض الخلقِ إليَّ[2].

١٠٤٦ ـ وقال علي بن أبي طالب ﷺ: قطيعةُ العاقلِ تعدِلُ صلةَ الجاهلِ.

١٠٤٧ ـ وقال الحسن بن علي: أبغضُ الناسِ إلى الله العيِيُّ؛ لأنه منعه أحبَّ الأشياءِ إليه. وربما قال: لأنه منعه ما يعرِفُه به.

١٠٤٨ ـ وقال الحسن: هُجران الأحمقِ قُرْبَةٌ إلى الله تعالى، ومواصلةُ

---

(١) البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) روي ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وهو حديث موضوع، كما ذكر ذلك كثير من العلماء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٢٤٤/١: حديث باطل عن النبي ﷺ، وقال أيضاً ٣٣٦/١٨ ـ ٣٣٧: وهو عند أهل العلم بالحديث كذب على النبي ﷺ كما ذكر ذلك أبو حاتم الرازي، وأبو الفرج ابن الجوزي وغيرهما من المصنفين في علم الحديث.

العاقلِ إقامةُ دينِ الله عز وجل، وإكرامُ المؤمنِ خدمةُ الله تعالى.

١٠٤٩ ـ وقال ابن المعتز: بأيدي العقول تُمْسَكُ أَعِنَّةُ النفوسِ عنِ الهوى.

١٠٥٠ ـ وقال بعض الحكماء: العاقلُ مِنْ نفسه في تعبٍ، والناس معه في راحة، والأحمقُ من نفسه في راحة، والناسُ منه في تعبٍ.

١٠٥١ ـ وسُئِلَ بعض الحكماء عن العقل، فقال: الإصابةُ بالظَّنِّ، ومعرفةُ ما لم يكُنْ بما قد كان.

١٠٥٢ ـ وقال بِشرُ بن يحيى: عدوٌّ عاقل خيرٌ من صديقٍ أحمقَ.

١٠٥٣ ـ وقيل لابن المبارك: مَنِ العاقلُ؟ قال: الذي لا يُبطِلُ حقاً، ولا يُحِقُّ باطلاً.

١٠٥٤ ـ وقال وهب بن منبه: لكل شيءٍ آلةٌ، وآلةُ المؤمن العقلُ، ولكل شيءٍ مَطِيَّةٌ، ومطيةُ المرءِ العقلُ، ولكل شيءٍ غايةٌ، وغاية العبادةِ العقلُ، ولكل قومٍ راعٍ، وراعي العابدين العقل.

١٠٥٥ ـ وروى سليمان بن عيسى عن مالك: استرشِدوا العقلَ ترشدوا، ولا تعصُوه فتندموا.

١٠٥٦ ـ وروى عبد العزيز بن أبي حازم عن مالك: لكل شيءٍ دِعامَةٌ، ودِعامَةُ المؤمنِ عقلُه، فبقدر ما يعقِلُ يعبدُ ربَّه.

١٠٥٧ ـ وقال علي بن أبي طالب ﷺ: العقلُ في القلبِ، والرحمةُ في الكبدِ، والنفسُ في الرِّئة.

١٠٥٨ ـ وكتب عبد اللّه بن عبد العزيز العمري الزاهدُ إلى مالكٍ وابنِ أبي ذئبٍ وغيرِهم مِنْ علماءِ المدينة بكتبٍ أغلظ لهم فيها، وقال: أنتم علماءُ تَميلون إلى الدنيا، وتلبَسون اللين، وتدَّعون التَّقَشُّفَ، فيراكمُ الناسُ

فيفعلون ذلك. فأمَّا ابنُ أبي ذئب وغيره، فكتبوا إليه كتباً مغلظة: إنك انتقلت عن دار الهجرة، وصرت إلى الأعرابية. وأما مالك، فكتب إليه: فهمت خطابك، ووجدت أبواب الخير عطايا من الله تعالى قسَمها بين عباده، فيقسم للرجل حظاً من الصيام والصلاة، ولا يقسم له حظاً من العلم. ولعمري لو اجتهد في طلب العلم مع اجتهاده في الصيام والصلاة، لكان أفضل. ويقسم للرجل في الجهاد ولا يقسم له اجتهاداً في الصوم والصلاة، ولو جمع الاجتهاد في الصوم والصلاة لكان أفضلَ. فرأيت الأمورُ عطايا من الله جلَّ اسمه؛ يقسم للرجل في الباب من الخير ما لا يقسم له في غيره من أبواب البر. فقرأ كتبهم، فلما دخل عليه الناس قرأها عليهم، ثم قال: ما قدَّم مالكاً إلا عقلُه وفضلُه، ولا جرم لا ذكرتُ مالكاً بسوء أبداً، وأنشد:

يُعدُّ رفيعَ القوم من كان عالماً ... وإنْ لم يكن في قومه بحسيبِ
وإن حلَّ أرضاً عاش فيها بعقله ... وما عاقلٌ في بلدةٍ بغريبِ

١٠٥٩ ـ وأنشدوا:

وأفضلُ قَسْمِ الله للمرءِ عقلُه ... وليس من الأشياء شيءٌ يقاربُهْ
إذا أكملَ الرحمنُ للمرءِ عقلَه ... فقد كمُلت أخلاقُه ومآربُهْ

١٠٦٠ ـ ولبعضهم:

تأمَّلْ بعينيك هذا الأنام ... تكن بعضَ مَنْ صانه عقلُهُ
فحِلْيَةُ كلِّ فتى فضلُهُ ... وقيمةُ كلِّ امرئٍ نُبْلُهُ
فلا تتَّكلْ في طِلابِ العُلا ... على نسَبٍ ثابتٍ أصلُهُ
فهلْ مِنْ فتى زانه قولُهُ ... بشيءٍ يخالفُه فعلُه

١٠٦١ ـ وكان يقال: فقهُ الحسنِ، وورعُ ابنِ سيرين، وعقلُ مطرِّفٍ، وحفظُ قتادةَ.

١٠٦٢ ـ وقال الشاعر:

إذا ما كنتَ متَّخذاً خليلاً ... فلا تثقِنْ بكلِّ أخي إخاءِ
فإنْ خُيِّرْتَ بينهمُ فألصِقْ ... بأهلِ العقلِ منهم والحياءِ
فإنَّ العقلَ ليس له إذا ما ... تفاضلتِ الفضائلُ مِنْ كِفاءِ

* * *

٧٧ ـ ما جاء في السر والعلانية

١٠٦٣ ـ قال كعب: قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا بني إسرائيل، تلبَسون ثيابَ الرُّهبانِ، وقلوبُكم قلوبُ الخنازيرِ والذئاب والضَّواري، فإن أحببتم أن تبلُغوا ملكوتَ السماواتِ، فأنيبوا قلوبَكم لله تعالى.

١٠٦٤ ـ وكان الحسنُ إذا دخل عليه أصحابه يقول: مرحباً بكم وأهلاً، حيَّاكمُ اللَّهُ بالسلام، وأحلَّنا وإياكم دارَ السلامِ، هذه علانيةٌ حسنةٌ إنْ صدقتُم وصبرتم واتَّقيتم، فلا يكونَنَّ حظُّكم مِنْ هذا الخيرِ، رحمكم الله، أن تسمعوا بأُذنٍ ويخرج مِنْ أذنٍ.

١٠٦٥ ـ وأنشدوا:

وإذا أظهرت شيئاً حَسَناً ... فليكُنْ أحسنَ منه ما يُسَرْ
فمُسِرُّ الخيرِ موسُومٌ به ... ومُسِرُّ الشرِ موسوم بشَرْ

١٠٦٦ ـ وقال بعض الحكماء: مَنْ عمل لآخرته كفاه الله أمرَ دنياه، ومَنْ أصلحَ ما بينه وبين اللَّه، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومَنْ أصلح سريرتَه أصلح الله علانيتَه.

١٠٦٧ ـ وقيل ليحيى بن معاذ: ما بالُ المسلم أنْ يطَّلِعَ الله على ذنبه أحبُّ إليه مَنْ أن يطَّلِعَ عليه الخلقُ؟ قال: لمعرفته بكرمِ الله عزَّ وجل وجودِه وسَتْرِه.

١٠٦٨ ـ وقال مُطَرِّفُ بنُ عبد اللَّه: ما رفع الله مالكاً إلا بسريرةٍ كانت بينه وبين اللَّه؛ فإني سمعتُه يوماً وهو يقول: كان يقال: يُستَحَبُّ للرجل أن يكون له خبيئةٌ مِنْ عمله فيما بينه وبين الله تعالى، ينوِّرُ الله بتلك الخبيئةِ قلبَه.

١٠٦٩ ـ وقال محمد بن عمرانَ التَّيمي قاضي المدينة: المروءة أثقلُ الأشياءِ، وهي أن لا تعملَ شيئاً في السرِّ تستحيي منه في العلانية.

* * *

٧٨ ـ ما جاء في الرياء والشمعة

١٠٧٠ ـ قال الله تعالى: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

١٠٧١ ـ وقال تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

١٠٧٢ ـ وروى أبو سلمةَ بنُ عبد الرحمن أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، ما أفطرتُ منذُ أربعِ سنين، فقال النبي ﷺ: **«ما صمتَ ولا أفطرتَ»**؛ لأنه حدَّث به[1].

١٠٧٣ ـ وبلغني عن محمد بن واسع أن لقمانَ قال لابنه: اتَّقِ اللَّهَ ولا تُرِ الناسَ أنك تخشى اللَّهَ ليُكرموكُ وقلبُك فاجرٌ.

١٠٧٤ ـ ورُوِيَ عن الحسن أنه قال: إن كان الرجلُ ليجمَعُ القرآن وما يشعُر به جارُه، وإن كان الرجل ليتفقَّهُ الفقهَ الكثيرَ وما يشعرُ به جارُه. ولقد أدركنا أقواماً ما على الأرض مِنْ عملٍ يقدرون أن يعملوه في السِّرِّ، فيكون

(١) حديث مرسل، رواه ابن المبارك في الزهد ص ٤٩ ـ ٥٠ برقم (١٥٣).

علانيةً أبداً، ولقد كان المسلمون يجهَدُون في الدعاء وما يُسمَع لهم صوتٌ، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربِّهم، وذلك أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:٥٥]. وذكر الله عز وجل عبداً صالحاً ورضي قوله، فقال جل ثناؤه: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم:٣].

١٠٧٥ ـ ورُوِيَ عن عمرو بن مُرَّةَ: أن رجلاً سمع عبد اللَّه بن عمرو يحدثُ ابنَ عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سمَّع الناسَ بعمله، سمَّع الله به سامعَ خلقِه، وحقَّره وصغَّره**». فذرفَت عينا ابنِ عمرَ[١].

١٠٧٦ ـ ورُوِيَ عن أبي الدرداء وأبي هريرة أنهما قالا: نعوذُ بالله مِنْ خشوع النِّفاق، قيل: وما هو؟ قال: أن يُرى الجسدُ خاشعاً، والقلبُ ليس بخاشع.

١٠٧٧ ـ وروى محمد بن زياد عن أبي أُمامةَ، أنه مرَّ برجلٍ في المسجد وهو ساجدٌ يبكي في سجوده، ويدعو ربَّه، فقال أبو أمامة: أنتَ أنتَ لو كان هذا في بيتك!.

١٠٧٨ ـ ورُوِيَ عن أبي العلاء أنه قال: ذُكِرَ لي أنه ليس عبدٌ يصلي بأرضٍ فَيْءٍ، فيُحسِنُ الصلاةَ إلا قال الله عز وجل: «هذه الصلاة لي، هذا يصلي ولا يراه أحدٌ ولا يراني أحد».

١٠٧٩ ـ وروى شُفَيُّ بنُ ماتِعٍ عن أبي هريرةَ، قال: إذا كان يومُ القيامة ينزلُ الله تبارك وتعالى إلى العباد ليقضِيَ بينهم، فكلُّ أُمَّةٍ جاثيةٌ، فأولُ مَنْ يُدعى رجلٌ جمع القرآن، فيقول الله عز وجلَّ له: ألم أُعلِّمكَ ما أنزلتُ على رسولي؟ فيقول: بلى يا ربِّ؛ كنتُ أقومُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهار، فيقول الله تعالى له: كذبتَ، بل أردتَ أن يُقال: فلان قارئٌ، فقد قيل ذلك. اذهب فليس لك اليومَ عندنا شيءٌ.

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد ١٦٢/٢و١٩٥.

ثم يُدعى بصاحبِ المال، فيقول الله عز وجلَّ: عبدي، ألم أُنعِمْ عليك؟ ألم أُوَسِّعْ عليك؟ ألم أُفْضِلْ عليك، أو نحوَه؟ فيقول: بلى يا رب. فيقول: فما عملتَ فيما آتيتُك؟ فيقول: يا ربِّ، كنتُ أصِلُ الرَّحِمَ وأتصدَّق وأفعل وأفعل، فيقول الله عز وجل له: كذبتَ، وتقول له الملائكة: كذبتَ، بل أردتَ أن يُقال لك: فلانٌ جوادٌ، فقد قيل ذلك. اذهب فليس لك عندنا شيءٌ.

ويُدعى المقتولُ: فيقول الله عز وجل له: عبدي، فيمَ قُتِلْتَ؟ فيقول: يا ربِّ، فيك وفي سبيلك. فيقول الله عز وجل: كذبتَ، وتقول له الملائكةُ: كذبتَ، بل أردتَ أن يقال: فلان جريءٌ، فقد قيل ذلك، اذهب فليس لك اليوم عندنا شيءٌ.

ثم قال: أولئك الثلاثةُ أوَّلُ خلقِ الله تُسَعَّرُ بهمُ النارُ يومَ القيامة.

فدخل شُفَيُّ بنُ ماتعٍ، فأخبر معاويةَ هذا الحديثَ، فبكى معاويةُ بكاءً شديداً، ثم قال: صدق؛ قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1] الآية [هود: ١٥ ـ ١٦].

١٠٨٠ ـ وقال وهب بن مُنَبِّهٍ: قال الله تبارك اسمه فيما يَعيبُ به أحبارَ بني إسرائيل: يتفقَّهون لغيرِ اللَّه، ويتعلَّمون لغيرِ العملِ، ويبتاعونَ الدنيا بعملِ الآخرة، يلبَسون جُلودَ الضَّأن، ويُخفون أنفُسَ الذئاب، يُطوِّلون الصلاةَ، ويُبَيِّضون الثياب، يقتنصون بذلك مالَ اليتيمِ والأرملةِ، فبِعزَّتي حلفتُ، لأضرِبَنَّكم بفتنةٍ، يضِلُّ فيها رأي ذي الرأي، وحكمة الحكيم[2].

---

(١) حديث صحيح، رواه بهذا اللفظ ابن المبارك في الزهد برقم (٤٦٩)، ومن طريقه الترمذي (٢٣٨٢)، وابن حبان (٤٠٨). وأصله في صحيح مسلم (١٩٠٥) بنحوه.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٤٧٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٩/٤.

١٠٨١ - وروى حبيب بن عُبيدٍ، قال: تعلَّموا العلمَ وانتفعوا به، ولا تَعَلَّموه لتجَمَّلوا به؛ فإنه يُوشِكُ أن يأتِيَ قومٌ يتجمَّلون بالعلم كما يتجمَّلُ الرجلُ بثوبه.

١٠٨٢ - وقال ابنُ أنعُمٍ: كان يُقال: لكلِّ شيءٍ آفةٌ مفسدةٌ، وآفةُ العبادةِ الرياءُ.

١٠٨٣ - ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال: الوليمةُ أولَّ يومٍ حقٌّ، والثاني معروفٌ، والثالث سُمعةٌ، ومن سمَّعَ، سمَّعَ الله به[1].

١٠٨٤ - وكان سعيدُ بن المسيب إذا دُعِيَ إلى العرس أجاب، وإذا دعي إلى الخِتان انتهرَ الذي دعاه أو رماه بالحصى، وقال: لا نُجيبُكم، أهلَ رياءٍ وسُمعةٍ!.

١٠٨٥ - وقال أزهرُ بن عبد اللَّه: من صنع طعاماً لرياءٍ وسُمعةٍ، لم يستَجِبِ اللَّهُ لمن دعا له، ولم يُخلِفِ اللَّهُ له نفقةَ ما أنفق.

١٠٨٦ - وقال علي بن أبي طالب ﷺ: للمرائي ثلاثُ علامات: يكسَلُ إذا كان وحدَه، وينشَطُ إذا كان في الناس، ويزيدُ في العمل إذا أُثنِيَ عليه.

١٠٨٧ - وأنشدوا:

ثوبُ الرِّياءِ يَشِفُّ عمَّا تحتَه فإذا التَحَفْتَ به فإنَّك عارِ

١٠٨٨ - ولمحمودٍ الوراق:

تصنَّعَ كي يقالَ له أمينٌ وما يُغني التَّصَنُّعُ للأمانَهْ
ولم يُرِدِ الإلهَ به ولكن أراد به الطَّريقَ إلى الخِيانَهْ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٩٦٧) من قول عبد الله بن مسعود ﷺ. ورواه أحمد ٢٨/٥، وأبو داود (٣٧٤٥) من حديث زهير بن عثمان مرفوعاً. وإسناده ضعيف.

١٠٨٩ ـ قال مالك: بلغني أن سعدَ بن أبي وقاص رأى رجلاً بين عينيه سجدةٌ، فقال: مِنْ كم أسلمتَ؟ فذكر الرجلَ أمراً كأنه يقرِّبُه، فقال سعدٌ: أسلمتُ من كذا وكذا وما بين عينيَّ شيءٌ.

* * *

٧٩ ـ ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١٠٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

١٠٩١ ـ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

١٠٩٢ ـ وروى عطاءُ بن يسارٍ [عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه] أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والجلوسَ على الطُّرقات**». قالوا: ما لنا بدٌّ، إنما هي مجالسُنا نتحدث فيها. قال: «**فإذا أبيتم إلا المجالسَ، فأعطوا الطريقَ حقَّها**». قالوا: وما حقُّ الطريقِ؟ قال: «**غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، وأمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر**»(١).

١٠٩٣ ـ وروى عامرٌ الشَّعبي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينةٍ، فأصاب بعضُهم أعلاها، وبعضُهم أسفَلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقَوْا مِنَ الماء مرُّوا على مَنْ فوقَهم، فقالوا: لو أنا خرقنا ولم نؤذِ مِنْ فوقَنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعاً**»(٢).

---

(١) البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١). وما بين حاصرتين منهما.

(٢) البخاري (٢٤٩٣).

١٠٩٤ ـ وقال أبو الدرداء: لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عَنِ المنكر، أو ليُسَلِّطَن اللَّهُ عليكم سلطاناً ظالماً لا يُجِلُّ كبيرَكم، ولا يرحَمُ صغيرَكم، ويدعو عليه خيارُكم فلا يُستجابُ لهم[1].

١٠٩٥ ـ وقال بلالُ بن سعدٍ: إن المعصيةَ إذا أُخفِيَتْ لم تضرَّ إلا صاحبَها، وإذا أُعلِنَتْ فلم تُغَيَّرْ أضرَّت بالعامَّةِ.

١٠٩٦ ـ وقال كعبُ الأحبار لأبي مسلم الخَوْلاني: كيف منْزلتُك مِنْ قومك؟ قال: حسنةٌ. قال كعبٌ: إن التوراةَ لتقولُ غيَر ذلك. قال: وما تقولُ؟ قال: تقول: إن الرجلَ إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منْزِلتُه عند قومه. فقال: صدَقَتِ التوراةُ، وكذب أبو مسلم.

١٠٩٧ ـ وأنشد ابنُ الأعرابي:

ذهبَ الرجالُ المقتَدى بفعالِهِمْ والمنكِرون لكلِّ أمرٍ منكَرِ
وبقيتُ في خَلَفٍ يُزَيِّنُ بعضُهم بعضاً ليستُرَ مُعْوِرٌ عن مُعْوِرِ

* والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر يجوز بشرطين:

أحدُهما: أن يكون ممَّن يعرِفُ المعروفَ مِنَ المنكرِ.

والشرط الثاني: أن يأمَنَ أن لا يحدُثَ عَنْ أمره بالمعروف ما هو مثلُ المنكرِ الذي يُنْكِرُه أو أشدُّ منه، وذلك أن ينهى شاربَ الخمرِ عن شربها، فيؤدي ذلك إلى قتلِه، أو قتلِ غيره، أو هَتْكِ سَتْرِه، أو استباحةِ بشرتِه.

فإنْ عَرِيَ مِنْ أحدِ هذين الشرطين، لم يَجُزْ له أن يأمرَ بالمعروف ولا ينهى عن المنكر بلسانه، فليُنكِرْ بقلبه. وإذا أمِنَ فليُخبر بإنكاره كيلا يُعْتَقَدَ فيه الرضا به.

---

(١) ورواه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرفوعاً أحمد ٢٨٨/٥و٢٩١، والترمذي (٢١٦٩)، وقال: حديث حسن.

١٠٩٨ ـ وقد رُوِيَ أن عبدَ اللّه بن عمر ﷺ كان يأتي العمالَ ثم قعدَ عنهم، فقيل له: لو أتيتهم فلعلَّهم يجدون في أنفسهم. فقال: أرهبُ إن كلمتُ أن يروْا أن الذي بي غير الذي بي، وإن سكتُّ أرهبُ أنْ آثمَ[١].

١٠٩٩ ـ وروى الحسن، قال: ذكروا عندَ معاوية شيئاً، فتكلَّموا والأحنفُ ساكتٌ، فقال معاوية: يا أبا بحرٍ، ما لك لا تتكلمُ؟ قال: أخشى اللَّهَ عز وجل إن كذبتُ، وأخشاكم إن صدقتُ.

* فمن لم يقدِرْ على إنكارِ المنكر، فعليه أن يتوارى عنه، ويجتنِبَ موضِعَه على ما فعلَه عبد اللّه بن عمر.

١١٠٠ ـ وقد قيل للفُضيل بنِ عياض: ألا تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فقال: إنَّ قوماً أمروا ونهوا فكفروا، وذلك أنهم لم يصبِروا على ما أصابهم.

* ويقترن بهذين الشرطين شرط ثالث، إذا وُجِدا ووُجِدَ، وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو أن يعلم، أو يغلِبَ على ظنه، أنه يُمْتَثَلُ أمرُه ونهيُه.

١١٠١ ـ وقد رُوِيَ عن ابن مسعود أنه قال: جاهدوا المنافقينَ بأيديكم، فإنْ لم تستطيعوا إلا أن تكفَهِرُّوا في وجوههم فافعلوا.

* ومعنى ذلك أنَّ مَنْ رأى منكراً ظاهراً، لزمَه أن يمنع منه، فإن لم يكن له به قوةٌ فيعلم بوجوبِ إنكارِه، فإن لم يأمن ذلك أضمره في نفسه، وذلك أضعفُ الإيمان، فإن لم يغلب على ظنِّه القَبُولُ منه، فلا يجب عليه ذلك بحقِّ الأمر، وإنما يجبُ عليه أن يخبِرَ الناس بأنه منكرٌ لئلا يعتقدوا جوازَه.

---

(١) الزهد لابن المبارك ص ٤٧٧ رقم (١٣٥٥).

١١٠٢ ـ وسُئِلَ مالكٌ عن الرجلِ يأمر الرجلَ بالمعروف وهو يعلم أنه لا يطيعُه، وهو ممن لا يُخاف كالجار والأخ؟ فقال: لا بأس بذلك.

١١٠٣ ـ وقيل للثوريِّ: ألا تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ؟ فقال: إذا انبثق المفجَّرُ فمن يقدر أن يُسكِّنَه.

١١٠٤ ـ وقال بعض الحكماء: مُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، وإعجابَ كل رأيٍ برأيه، فعليك بخاصَّةِ نفسك.

* وليس مِنْ شرطِ الآمرِ بالمعروف أن يكون مجتنباً للمناكر؛ لأنه لو لم ينكرِ المعاصي إلا من لا يعصي لقلَّ المنكِرُ، بل لعلَّه أن يُعْدَمَ، لكن الأفضل أن يكون مِنْ أهل الدينِ، واجتناب المعاصي؛ لأن ذلك أدعى إلى القَبولِ منه، وقد قال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود:٨٨].

* ومن صفة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: الرفقُ فيه لمن لم يتيقَّن معاندته.

١١٠٥ ـ رُوِيَ أن المأمونَ أغلظ له بعضُ من أمر بمعروف أو نهى عن منكر، فقال له المأمون: يا هذا، إن الله أمرَ مَنْ هو خيرٌ منك أن يُلينَ القولَ لمن هو شرٌ مني؛ فقال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه:٤٤].

١١٠٦ ـ قال مالك: بلغني أن قوماً أخذوا شاةً فذبحوها، فنهاهم عن أخذها رجلٌ، فأبَوْا إلا أن يفعلوا، فلما ذبحوها كسَلُوا عن إصلاحها فتركوها، فقال لهم: قد نهيتُكم عن ذبحها فأبيتم ثم تركتموها تفسُدُ باطلاً، ثم قام هو فأصلحها وعمِلَها لهم حتَّى فرغ منها، ثم قال لهم: هاكم كلوا، وأبى أن يأكُلَ معهم منها شيئاً، فقالوا له: تعالَ كل معنا، فأبى أن يفعلَ،

فنام تحتَ شجرةٍ فاستنبه وعنده رُطَبٌ بأرضِ الرُّوم وليس فيها رُطَب.

١١٠٧ ـ وقيل للفُضيل بن عياض: إنَّ سفيان الثوري قَبِلَ جوائزَ السُّلطان. قال الفضيل: ما أخذ منهم إلا دون حقِّه، ثم أتى إليه، فلما خلا به عذله ووبَّخه، وقال له: فعلتَ وفعلتَ، فقال سفيان: يا أبا علي، إن لم نكن مِنَ الصالحين، فإنَّا نحبُّ الصالحين.

١١٠٨ ـ وقال يحيى بنُ معاذ، وقد قرأ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤]: هذا رفقك بمن يقول: إنَّه إلهٌ، فكيف بمن يقول: أنت الإله؟.

١١٠٩ ـ وقال حمادُ بن سلمة: إنَّ صِلَةَ بنَ أُشَيْم مرَّ عليه رجلٌ أسبلَ إزارَه، فهمَّ أصحابُه أن يأخذوه أخذاً شديداً، فقال: دعوه، أنا أكفيكم، فقال: يا ابنَ أخي، إنَّ لي إليك حاجةً. قال: وما حاجتُك يا عمّ؟ قال: أحبُّ أن ترفعَ مِنْ إزارك. فقال: نعم ونُعْمَةُ عينٍ، ورفع إزارَه. ثم قال لأصحابه: لو أخذتُموه بالشدة، لقال: لا ولا كرامةَ وشتمكم.

* * *

٨٠ ـ ما جاء في الوصايا

١١١٠ ـ قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٢ ـ ١٣٣].

١١١١ ـ وروى خالد بنُ أبي كريمةَ عن عبد اللَّه بن مسور[١]، قال: أتى رجلٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: إن اللَّهَ بارك لجميع المسلمين فيك، قال:

---

(١) في الأصل عبد الله بن مسعود، والتصويب من مصادر التخريج.

«الحمد لله». قال: تخُصُّني منك بخاصَّة خير. قال: **«فهل أنت مستوصٍ بما أوصيك»** ؟ قال: ما شاء اللَّه. قال: فرددها ثلاث مراتٍ، فقال: **«إذا أردت الأمر فتدبَّر عاقبتَه، فإن كان رَشَداً فأَمْضِه، وإن كان غيرَ ذلك فانْتَهِ عنه»**[١].

١١١٢ ـ وروى حُميد بنُ عبد الرحمن أن رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، عَلِّمْني كلماتٍ أعيشُ بهن، ولا تُكثِرْ عليّ فأنسى، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تغضب»**[٢].

١١١٣ ـ ورُوِيَ عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فقال له معاذٌ: أوصِني يا رسول اللَّه، قال رسول الله ﷺ: **«عليك بتقوى الله تعالى ما استطعتَ، واذكر اللَّهَ عند كل حجرٍ وشجر، وإذا عملت سوءاً، فأحدِث له توبةً: السِّرُّ بالسِّرِّ، والعلانيةُ بالعلانيةِ»**[٣].

١١١٤ ـ ورُوِيَ أن معاويةَ كتب إلى عائشة: أنِ اكتُبي إليَّ بكتابٍ تُوصيني فيه ولا تُكثري، فكتبت عائشةُ إلى معاوية رضي الله عنهما: سلامٌ عليك، أما بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنِ التمسَ رضا الناس بسخطِ الله وَكَلَه الله إلى الناس»**. والسلام[٤].

١١١٥ ـ وقال أبو بكر الصديق لعمرَ الفاروقِ رضي الله عنهما عند موته: إني مُستخلفُك مِنْ بعدي، ومُوصيك بتقوى الله تعالى. إنَّ للّهِ عملاً

---

(١) حديث موضوع. رواه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد (٤١)، وهناد بن السري في كتاب الزهد (٥٣١). وفيه عبد الله بن مسور هو ابن عون بن جعفر بن أبي طالب. متهم بوضع الحديث.

(٢) حديث مرسل، رواه مالك في الموطأ ٩٠٥/٢. وصح مرفوعاً من حديث أبي هريرة ﷺ رواه البخاري (٦١١٦).

(٣) رواه أحمد في الزهد ص ٢٦، وهو مرسل. ورواه مرفوعاً من حديث عطاء عن معاذ: الطبراني في المعجم الكبير ١٥٩/٢٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٤/١٠: إسناده حسن.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد ص ٦٦ برقم (١٩٩)، ومن طريقه الترمذي (٢٤١٤)، وفيه رجل مجهول. إلا أن القسم المرفوع منه ثابت؛ رواه ابن حبان (٢٧٦و٢٧٧).

بالليل لا يقبلُه بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبلُه بالليل، ولا يقبلُ نافلةً حتى تُؤدَّى فريضةٌ، فإنما ثقُلَتْ موازينُ مَنْ ثقُلَتْ موازينُه يومَ القيامةِ باتِّباعِهِمُ الحقَّ وثِقَلِه عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يُوضَعُ فيه غيرُ الحقِّ أن يكونَ ثقيلاً، وإنَّما خفَّتْ موازينُ مَنْ خفَّت موازينُه يومَ القيامة باتباعهمُ الباطلَ في الدنيا وخِفَّتِه عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يُوضعُ فيه إلا الباطلُ أن يكون خفيفاً. وإنَّ الله ذكر أهلَ الجنة، فذكرهم بأحسنِ أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا سمعتَ بهم قلت: أخافُ ألا أكونَ مِنْ هؤلاء، وذكرَ أهلَ النارِ بأقبحِ أعمالهم، وأمسك عن حسناتهم، حتى لم يقبلْها منهم، فإذا سمعتَ بهم قلت: أنا خيرٌ مِنْ هؤلاء. وذكرَ آية الرحمة مع آيةِ العذاب، ليكون العبدُ راغباً راهباً. ولا تتمنَّ على اللَّهِ غيرَ الحقِّ. فإنْ حفظتَ وصيَّتي فلا يكونَنَّ غائبٌ أحبَّ إليك مِنَ الموت، وإن ضيَّعتها فلا يكونَنَّ غائبٌ أبغضَ إليك مِنَ الموت ولن تعجزَه(١).

١١١٦ ـ وقالوا لجندُبٍ يوماً: أوصِنا، فقال: إنَّ أولَ ما ينتُنُ مِن الإنسان بطنُه، فإنِ استطاعَ ألا يأكُلَ إلا طيباً فليفعل، ومَنِ استطاع أن لا يحُولَ بينه وبين الجنة مِلْءُ كفٍّ مِنْ دمٍ أهراقَه فليفعل.

١١١٧ ـ ورُوِيَ أن سلمانَ قال لأبي بكر: أوصِني، فقال: اتَّقِ الله، واعلم أنَّه سيكونُ فتوحٌ وإمارات، فلا يكونَنَّ حظُّك منها ما جعلتَ في بطنِك وحملتَ على ظهرِك.

١١١٨ ـ ولما ضَرَبَ ابنُ مُلجِم علياً ﷺ، أُدخل منْزِلَه، ثم أفاق، فدعا الحسنَ والحسينَ، فقال: أُوصيكما بتقوى اللَّه، والرغبةِ في الآخرة، والزهدِ في الدنيا، ولا تأسفا على شيءٍ فاتكما منها. اعملا الخيرَ، وكونا للظالمِ خصماً، وللمظلومِ عوناً.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٣٤/٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٦/١ ـ ٣٧.

ثم دعا محمداً[1]، فقال: أما سمعت ما أوصيتُ به أخويك؟ قال: بلا. قال: فإني أوصيك به، وعليك ببرِّ أخويك وتوقيرِهما، ومعرفةِ فضلِهما. ولا تقطعْ أمراً دونَهما.

ثم أقبلَ عليهما، فقال: أوصيكما به خيراً؛ فإنه سيفُكما وابنُ أبيكما، وأنتم تعلمان أن أباه كان يحبُّه فأحِبَّاه.

١١١٩ ـ وقال الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ: أوصى عليٌّ ﷺ ابنَه الحسنَ، فقال: يا بنيَّ، أُوصيك بتقوى الله تعالى في الغيب والشهادة، وكلمةِ الحقِّ في الرضا والغضب، والقصدِ في الغنى والفقرِ، والعدلِ على الصديقِ والعدوِّ، والعملِ في النَّشاط والكسلِ، والرضا عَنِ الله في الشدةِ والرخاءِ.

يا بنيَّ، ما شرٌّ بعده الجنةُ بشرٍّ، ولا خيرٌ بعدَه النارُ بخيرٍ، وكلُّ نعيمٍ دونَ الجنةِ حقيرٌ، وكلُّ بلاءٍ دونَ النارِ عافيةٌ.

اعلم يا بنيَّ أنه منْ أبصرَ عيبَ نفسه شُغِل عن عيب غيرِه، ومن رضيَ بقَسْمِ الله لم يحزَن على ما فاته، ومن سلَّ سيفَ بغيٍ قُتل فيه، ومن حفَر لأخيه بئراً وقع فيها، ومَنْ هتك حجابَ أخيه انكشفت عوراتُ بنيه، ومن نسيَ خطيئتَه استعظم خطيئةَ غيرِه، ومَنْ أُعجِب برأيه ضلَّ، ومنِ استغنى بعقله زلَّ، ومنْ تكبَّر على الناس ذلَّ، ومن خالط الأنذال احتُقِر، ومن دخل مداخلَ السوء اتُّهِمَ، ومن جالس العلماءَ وُقِّرَ، ومن مزح استُخِفَّ به، ومَنْ أكثر مِنْ شيءٍ عُرِف به، ومَنْ كثُر كلامُه كثر خطؤه، ومَنْ كثُر خطؤه قلَّ حياؤه، ومَنْ قلَّ حياؤه قلَّ ورعُه، ومن قلَّ ورعُه مات قلبُه، ومن مات قلبُه دخل النارَ.

يا بنيَّ، الأدبُ خيرُ ميراثٍ، وحُسْنُ الخلقِ خيرُ قرينٍ.

---

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بمحمد ابن الحنفية.

يا بنيَّ، العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت إلا عن ذكر اللَّه، وواحدٌ في ترك مجالسةِ الناس.

يا بني، زينةُ الفقرِ الصبرُ، وزينةُ الغنى الشكرُ.

يا بني، لا شَرَفَ أعلى مِنَ الإسلام، ولا كرمَ أعز مِنَ التقوى، ولا معقِل أحرزُ مِنَ الورع، ولا شفيعَ أنجح مِنَ التوبة، ولا لباس أجمل مِنَ العافية. الحرصُ مفتاح المقتِ ومطيَّةُ النَّصَب. التدبُّرُ قبل العمل يُؤمنك الندمَ. بئسَ الزاد إلى المعادِ العدوانُ على العباد. طوبى لمن أخلص لله عِلمَه وعَملَه، وحبَّه وبُغضَه، وأخذَه وتركَه، وكلامَه وصمتَه، وقولَه وفعلَه.

١١٢٠ ـ ولما حضرت كثيرَ بنَ زيادٍ الوفاةُ، اجتمع إليه الناسُ، فقال رجل في البيت: يا أبا سهلٍ، أوصِنا. قال: لا تبيعوا دنياكم بآخرتِكم، تربحوهما جميعاً، ولا تبيعوا آخرتكم بدنياكم فتخسروهما جميعاً.

١١٢١ ـ وقال بعض أهل داودَ الطائي: قلت له يوماً: إنك قد عرفت، فأوصني. قال: فدمعتْ عيناه، ثم قال: يا أخي، إنما الليلُ والنهارُ مراحلُ يرحلُها الناسُ مرحلةً مرحلةً حتى ينتهيَ بهم إلى آخر سفرِهم. فإنِ استطعتَ أن تقدِّمَ من أول مرحلةٍ زاداً لما بين يديك فافعل؛ فإنَّ انقطاعَ السفرِ قريبٌ، والأمرُ أعجلُ مِنْ ذلك، فتزوَّدْ لسفرِك، واقضِ بما أنت قاضٍ مِنْ أمرِك، فكأنْ بالأمرِ قد بَغَتَكَ. وإني لأقول لك هذا وما أعلمُ أحداً أشدَّ تضييعاً له مني. ثم قام وتركني.

١١٢٢ ـ وأوصى رجلٌ مِنَ الأنصارِ ابنَه، فقال: يا بنيَّ، أوصيك بوصية، فاحفظها عني، فإنك إن لم تحفظْها عني خليقٌ ألا تحفظَها عن غيري: اتَّقِ اللَّهَ، وإنِ استطعتَ أن تكونَ اليومَ خيراً منك أمسِ، وغداً خيراً منك اليوم فافعلْ. وإياك والطمعَ، فإنه عدوٌّ حاضر، وعليك باليأس؛ فإنك لن تيأسَ من شيءٍ إلا استغنيتَ عنه. وإذا عثَر عاثر فاحمَدِ اللَّهَ ألا تكونَه،

وإياك وكلَّ شيءٍ يُعتذَرُ منه؛ فإنك لا تعتذر من حَسَنٍ. وصلِّ صلاةَ مودِّعٍ، وأنك لا ترى أنك تصليَ بعدها أبداً.

١١٢٣ ـ وأوصى الأشعثُ بن قيسٍ بنيه، فقال: يا بَنِيَّ، لِتَخِفَّ بطونُكم مِنْ أموال الناس، وظهورُكم من دمائهم؛ فإنَّ لكلِّ امرئٍ تَبِعَةً. وإياكم وما يُعتَذَرُ منه ويُستحيى، فإنما يُعتذَرُ مِنْ ذنب، ويُستحيى مِنْ قبيحٍ. وأَجملوا في الطَّلب حتى يوافقَ الرزقُ قدراً.

١١٢٤ ـ وروى ابن وهب، قال رجل لمالك: أوصِني. قال: أوصيك أن تعملَ صالحاً وتأكلَ طيباً.

١١٢٥ ـ وأراد رجلٌ الحجَّ، فأتاه شُعبةُ بنُ الحجُاج يودِّعه، فقال له: إنْ لم ترَ الحِلمَ ذلاً والسَّفَهَ أنَفاً، تمَّ حجُّك.

١١٢٦ ـ ولقي حكيمٌ حكيماً، فقال: كيف ترى الدهرَ؟

قال: يُخلِقُ الأبدانَ ويجدِّدُ الآمالَ، ويقرِّبُ المنية، ويُبعِدُ الأمنِيَّة.

قال: فما حالُ أهلِه؟

قال: مَنْ ظفِرَ منهم به تعِبَ، ومَنْ فاته نصَبَ.

قال: فما الغِنى عنه؟ قال: قَطْعُ الرجاءِ منه.

قال: فأيُّ الأصحابِ أوفى؟ قال: العملُ الصالح والتقوى.

قال: فأيهم أضرُّ وأردى؟ قال: النفسُ والهوى.

قال: فما المَخرَج؟

قال: في سلوك المنهج.

قال: وما هو؟

قال: بذلُ المجهود، وتركُ الراحة، ومداومة الفكرة.

قال: قد فعلت.

١١٢٧ ـ وقال عليٌّ ﷺ: أُوصيكم بجُمَلٍ، لو ضربتم إليها آباطَ الإبلِ كُنَّ لها أهلاً: لا يرجُوَنَّ أحدٌ منكم إلا ربَّه، ولا يخافنَّ إلا ذنبَه، ولا يستحِيَنَّ أحدٌ منكم إذا سُئِلَ عما لا يعلمُ أن يقولَ: لا أعلمُ، ولا يستحيِ أحدٌ إذا لم يعلمِ الشيءَ أن يتعلَّمه.

١١٢٨ ـ وقال عمرو بن عُتبة: لما بلغتُ خمس عشرة سنة، قال لي أبي: يا بُنيَّ، قد انقطعتْ عنك شرائع الصِّبا، فاختلطِ الخيرَ تكنْ من أهله، ولا تُزايِلْه فتَبِينَ منه، ولا يغرَّنَّك مَنِ اغترَّ بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافَه من نفسك، فإنه من قال فيك من الخير إذا رضي ما لا يعلم، قال فيك من الشرِّ إذا سخِط ما لا يعلم. فاسْتأْنسْ بالوحدة من جُلساء السوء تسلم من غِبِّ عواقبِهم.

١١٢٩ ـ وقال خالد بن خِداشٍ: ودعتُ مالك بن أنس، فقلت له: يا أبا عبدالله، أوصني. فقال: عليك بتقوى الله في السرِّ والعلانية، والنصحِ لكل مسلم، وكتابةِ العلم مِنْ عندِ أهله.

١١٣٠ ـ وودعَ رجلٌ حكيماً، فقال: كان آخرَ ما أوصاني به أن قال: استكثِرْ دعاءَ الخير لك من الناس؛ فإن العبدَ لا يدري على لسان مَنْ يُستجابُ له أو يُرحمُ؛ ولذلك جعل اللَّهُ المسلمين شُفعاءَ بعضهم لبعض.

١١٣١ ـ وقال عُلَيْم بن عمران قاضي إفريقية: سمعتُ أسد بن الفُرات يقول: لزمتُ أنا وصاحبٌ لي مالكَ بن أنس، فلما أردنا الخروج، أتيناه مودِّعين له، فقلنا له: أوصنا، فالتفتَ إلى صاحبي، فقال: أوصيك بالقرآن خيراً، والتفتَ إليَّ، فقال لي: أُوصيك بهذه الأمة خيراً. قال أسد: فما مات صاحبي حتى أقبل على العبادة والقرآن، وولي أسدٌ القضاء.

١١٣٢ ـ ولأبي [قيس] صِرْمَةَ بنِ أبي أنس، من بني النَّجَّارِ، وكان قد

ترهّبَ في الجاهلية ولبس المُسُوحَ، ثم أسلم وحسُن إسلامُه:

يقولُ أبو قيسٍ وأصبحَ ناصحاً ... ألا ما استطعتُمْ مِنْ وَصاتِيَ فافعلوا
أُوصيكُمْ باللهِ والبِرِّ والتُّقى ... وأعراضِكم والبِرِّ باللهِ أوَّلُ
وإنْ قومُكُمْ سادوا فلا تحسُدونَهم ... وإن كنتمُ أهلَ الرِّياسةِ فاعدِلوا
وإنْ نزلتْ إحدى الدَّواهي بقومِكم ... فأنفُسَكُمْ دون العشيرةِ فابْذُلوا
وإن نابَ غرمٌ فادِحٌ فارفُقوهمُ ... وما حمَّلوكم في المُلِمَّاتِ فاحمِلوا
وإنْ أنتمُ أملَقْتُمُ فتعفَّفوا ... وإنْ كان فضلُ الخيرِ فيكمْ فأَفْضِلوا(١)

* * *

٨١ ـ ما جاء في المكاتبات

١١٣٣ ـ وروى ابنُ المبارك عن مالك بن أنس أن وهبَ بن كيْسَان قال: كتب رجل إلى عبد الله بنِ الزُّبير بموعظة: أما بعد، فإنَّ لأهل اليقينِ علاماتٍ يُعرفون بها من أنفسهم، من صبرٍ على البلاء، ورضىً بالقضاء، وشكرٍ للنعمة، وذُلٍّ لحكم القرآن. وإنما الإمامُ كالسُّوق؛ ما نفق فيها حُمِلَ إليها إن نَفَقَ عنده الحقُّ حملوا إليه الحقَّ، وجاءه أهلُ الحقِّ، وإن نفق الباطلُ عنده، حملوا إليه الباطل وجاءه أهل الباطل.

١١٣٤ ـ وكتب رجل إلى أخٍ له: يا أخي، إنك قد أُوتِيتَ علماً، فلا تُطفِئَنَّ نورَ علمك بظُلمةِ الذنوب، فتبقى في الظُّلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم.

١١٣٥ ـ وكتب سالمُ بن عبد الله إلى عمرَ بن عبد العزيز: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإن الدارَ دارُ ظَعْنٍ، وليست بدار إقامة، وإنما أُنزِل إليها آدمُ عقوبةً، فيحسَب مَنْ لا يدري ما ثوابُ الله أنَّه ثوابٌ، ويحسَبُ من لا يدري

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/١٢٠، والإصابة لابن حجر ٣/٢٤٢.

عقابَ الله أنه عقابٌ. فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزادَ منها تركُها، والغنى فيها فقرُها، وإن أهلَ الفضائلِ كان لباسُهم فيها بالاقتصاد، ومسكنُهم بالتواضعِ، ومطعمُهم بالصواب.

مغمضٌ أبصارُهم عن المحارم، لولا الآجالُ التي كتبت عليهم ما تقارَّتْ أرواحُهم في أجسادهم خوفاً من العقاب، وشوقاً إلى الثواب، والسلام.

١١٣٦ ـ ورُوِيَ أنَّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيدَ بنِ عبد الملك: إياك أن تدركَ الصَّرَعةَ عند الغِرَّة، فلا تُقالُ العثرةُ، ولا تمكنُ الرجعةُ، ولا يحمَدُك من خلَّفت بما تركت، ولا يَعذُرُك من تَقْدَمُ عليه بما اشتغلت به، والسلام.

١١٣٧ ـ وكتب بعض العمال إلى رعيته: لا تستشعروا الحقدَ فيغلب عليكم العدوُّ، ولا تحبُّوا الاحتكار فيشملُكم القحط، وكونوا للغرباء مؤوين، لتُؤْوَوْا غداً في الميعاد، وتزوجوا في القرابةِ، فإنه أمسُّ للرَّحِم، وأثبتُ للنَّسب، ولا تعُدُّوا هذه الدنيا شيئاً؛ فإنها لا تبقى لأحدٍ، ولا ترفُضوها مع ذلك، فإن الآخرةَ لا تُنالُ إلا بها.

١١٣٨ ـ وكتب حكيمٌ إلى حكيم: أما بعد، فقد أصبحتُ وعندي مِنْ نِعَمِ الله ما لا أحصيه مع كثرة ما أَعْصيه. فلا أدري أيَّ النعمتين أشكرُ: أَجَميلَ ما نَشَرَ، أم قبيحَ ما سَتَرَ.

فكتب إليه صاحبُه: أما بعد، فحقيقٌ على من عرف النِّعمةَ أن يصرفَها فيما يُرضي واهبَها، فإنه عز وجل وعد الشاكرين المزيدَ مِنْ كرمِه وإحسانِه، وستَرَ على المقصِّرين، واستنقذ المسيئين، فاسألْه يا أخي أن يمُنَّ عليك بالتسديد، فإنه قريبٌ مجيب. والسلام.

١١٣٩ ـ وكتب علي بن أبي طالب ﷺ إلى سلمانَ: إنما مَثَلُ الحياةِ

الدنيا مَثَلُ الحية، لَيِّنٌ مسُّها، ويقتلُ سمُّها، فأعرِضْ عنها وعن ما يعجبُك منها، لقلَّة ما يصحَبُك منها، ودعْ عنك همومَها لما تيقَّنتَ مِنْ فراقِها، وكن أسرَّ ما كنتَ فيها أحذرَ ما تكون لها، فإن صاحبَها كلَّما اطمأنَّ منها إلى سرور، أُشخِصَ منها إلى مكروهٍ. والسلام.

١١٤٠ - وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى عُتْبة بن غزوانَ واليه بالبصرة: أما بعد، فقد أصبحت أميراً تقول فيُسْمَعُ قولُك، وتأمرُ فينَفَّذُ أمرُك. فيا لها نعمة أن ترفعَك فوقَ قدرِك، وتُطغيَك على مَنْ هو دونك، فاحترِسْ مِنَ النعمة أشدَّ من احتراسك من المصيبة، وإياك أن تسقط سقطةً لا سوى لها وتعثر عثرةً لا لَعَا[1] بعدها. والسلام.

١١٤١ - وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعدُ، فإنَّ مَنْ حاسب نفسَه ربح، ومَنْ غفَل عنها خسر، ومَنْ نظر في العواقب نجا، ومَنْ أطاع هواه ضلَّ، ومَنْ حلُمَ غنِم، ومَنِ اعتبرَ أبصر، ومَنْ أبصر فهِم، ومَنْ فهِم علِم، فإذا زللت فارجِع، وإذا ندمت فأقْلِع، وإذا جهلت فاسألْ، وإذا غضبت فأمْسِك. واعلم أنَّ أفضلَ الأعمال ما أُكرِهَتِ النفوسُ عليه.

١١٤٢ - وكتب علي بن أبي طالب ﷺ إلى ولده الحسن: أما بعد يا بني، فإني ما تفكَّرتُ فيه من إدبار الدنيا عني وإقبال الآخرة إليّ، وحنُوِّ الدهر علي ما يزعني عن ذكر من سِواي، والاهتمام بمن ورائي. غيرَ أنِّي حيثُ تفرَّدَ بي همُّ نفسي، دون همِّ الناس، وصدقني هواي، وصرَّح لي عن رأي، وأفضى إلى جدٍّ لا يُزري به لعب، وصدقٍ لا يشوبُه كذبٌ، وجدتُك يا بنيَّ مِنْ بعضي، بل وجدتك مِنْ كلِّي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وحتى كأن الموتَ لو أتاك أتاني، عناني مِنْ أمرك ما يعنيني مِنْ أمر نفسي. كتبت إليك يا بنيَّ إن بقيت أو فنيت؛ فإني أوصيك بتقوى اللَّه،

---

(١) لا لعاً: لا انتعاش؛ يقال للعاثر: لعاً لك، وهو دعاء له بأن ينتعش ويرتفع.

وعَمارةِ قلبِك بذكره، والاعتصام بحبلِه، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وأيُّ سببٍ أوثقُ مِن سببٍ بينك وبين اللَّه. أحْيِ قلبَك بالموعظة، ونوِّرْه بالحكمة، وقوِّهِ بالزهد، وذلِّله بالموت وقرِّره بالفناء، وحذِّره صولةَ الدهر، وتقلُّبَ الأيام والليالي، واعرِضْ عليه أخبارَ الماضين، وسِرْ في ديارهم وآثارهم، فانظر ما فعلوا، وأين رحلوا؛ فإنك تجدهم قد انتقلوا مِنْ دار الغرور إلى دار الغربة، وكأنك عن قليل يا بنيَّ قد صرتَ كأحدِهم، فبعْ دنياك بآخرتك، ولا تَبع آخرتَك بدنياك، ودَعِ القولَ فيما لا تعرف، والأمر فيما لم تُكَلَّفُ، ومُرْ بالمعروف بلسانك ويدك، وكنْ مِنْ أهله، وأنكرِ المنكرَ بلسانك ويدك، وبائن مَنْ فَعَلَه، وخُضِ الغَمَراتِ إلى الحقِّ، ولا تأخُذْك في الله لومةُ لائم. واحفظ وصيتي ولا تذهب عنك صفحاً، فلا خيرَ في علمٍ لا ينفع. واعلم أنه لا غنى بك عن حُسنِ الاتِّآد مع بلاغِك مِنَ الزاد، فإنْ أصبت مِنْ أهل الفاقة مَنْ يتحمَّلُ عنك زادَك فيوافيك به في ميعادك فاغتنمه؛ فإنَّ أمامَك عَقَبةً كؤوداً لا يجاوزها إلا أخفُّ الناس حِمْلاً، وأجْمِلْ في الطَّلب، وأحسِنِ المكتَسَبَ، فرُبَّ طلبٍ قد جَرَّ إلى حرْبٍ، وإنما المحروب مَنْ حُرِبَ دينه، والمسلوب من سُلِبَ يقينُه، واعلم أنه لا غنى يعدِلُ الجنةَ، ولا فقرَ يعدِلُ النارَ.

١١٤٣ ـ وكتب علي بن أبي طالب إلى محمد بن الحنفية رضي الله عنهما: أنْ تفقَّهْ في الدين، وعوِّد نفسك الصبرَ على المكروه، وكِلْ نفسَك في أمورك كلِّها إلى اللَّهِ عز وجل، فإنك تكِلُها إلى كافٍ حريز وصانعٍ عزيزٍ، وأخلص المسألةَ لربِّك، فإن في يده الغِنى والحرمان، وأكثرِ الاستخارةَ له والاستجارة به، واعلم أنَّ مَنْ كانت مطيَّتَهُ الليل والنهار يُسارُ به وإن كان لا يسير. وإنَّ الله تبارك اسمه قد أبى إلا خرابَ الدنيا وعَمارةَ الآخرة، فإن تزهَدْ فيها زهدَك كلَّه فافعل ذلك تُقىً، وإن كنت غيرَ قابلٍ

نصيحتي إياك، فاعلم علماً يقيناً أنك لن تبلُغَ أملَك، ولن تعدُوَ أجلَك، وأنك في ميدانِ مَنْ كان قبلَك، فأكرِمْ نفسك عن كلِّ دنيَّة، وإن ساقتْكَ إلى رَغَبٍ؛ فإنك لن تعتاضَ بما ابتذلت مِنْ نفسك. وإيَّاك أن تُوجِفَ بك مطايا الطَّمعِ، وتقول: متى أُخِّرْتُ نَزَعْتُ؛ فإنَّه هكذا أهلَكَ مَنْ كان قبلك. وأمسِك عليك لسانك، فإنَّ تلافيكَ ما فَرَطَ مِنْ صمتِك أيسرُ عليك مِنْ إدراك ما فات مِنْ منطقِك. واحفظ ما في الوعاء، وشُدَّ الوِكاءَ، فحُسْنُ التدبيرِ مع الاقتصاد أبقى لك مِنَ الكثير مع الفساد، والعفَّةُ مع الحرفة خيرٌ مِنَ السُّرور مع الفجور، والمرءُ أحفظُ لسرِّه، وربما سعى إلى ما يضرُّه. وإياك والاتِّكالَ على الأمانيِّ، فإنها بضائع النَّوْكَى[1]، وتُثَبِّط عن الآخرة والدنيا. ومِنْ خيرِ حَظٍّ قرينٌ صالحٌ، فقارِنْ أهلَ الخير تكُنْ منهم، وبايِنْ أهلَ الشرِّ تَبِنْ منهم، ولا يغلِبَنَّ عليك سوءُ الظَّنِّ؛ فإنه لن يدع بينك وبين خليل صُلحاً. أَذْكِ قلبَك بالأدب كما يُذكى النارُ بالحطبِ، واعلم أنَ كُفرانَ النِّعمةِ لؤمٌ، وصُحبةَ الأحمق شؤمٌ، ومِنَ الكرم منعُ الحُرَمِ، ومَنْ حَلُمَ سادَ، ومَنْ تفهَّم ازداد. امحَضْ أخاك النصيحةَ حسنةً كانت أو قبيحة. لا تصرِمْ أخاك عَنِ ارتيابٍ، ولا تقطعْه دون استعتابٍ. ولا جزاءَ من سرَّك أن تسوءَه. الرزقُ رزقان: رزق يطلبك ورزق تطلبه؛ فإنْ لم تأتِه أتاك.

واعلم يا بنيَّ أن مالَك مِنْ دنياك ما أصلحتَ به مثواك، فأنفق من جَزْلٍ، ولا تكن خياراً لغيرك. وإن جزِعْتَ على ما تَلِفَ مِنْ يديك، فاجزعْ على ما لم يصِلْ إليك. وربما أخطأ البصيرُ قصدَه، وأبصر الأعمى رُشدَه. لم يهلِكِ امرؤٌ اقتصد، ولم يفتقِرْ مَنْ زَهَدَ. مَنِ ائتَمَنَ الزمانَ خانه، ومَنْ تعاظم عليه أهانَه، ورأسُ الدين اليقينُ، وتمامُ الإخلاصِ اجتنابُ المعاصي، وأحسنُ المقال ما صدَّقه الفِعالُ. سل عَنِ الرَّفيق قبلَ الطريقِ، وعنِ الجارِ قبلِ الدار، واحملْ للصَّديقِ دالَّته عليك، واقبلْ عُذرَ مَنِ اعتذرَ إليك، وأَخِّر

---

(١) النوكى: الحمقى

الشرَّ ما استطعت، فإنك إذا شئتَ تعجَّلته. لا يكن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، ولا على الإساءةِ أقوى منك على الإحسان. لا تُمَلِّكَنَّ المرأةَ مِنْ أمرها ما تجاوزُ به نفسَها؛ فإنَّ المرأة ريحانة، وليست بقَهْرَمَانة، فإنَّ ذلك أدومُ لحالها وأرجى لبالها. واغضُضْ بصرها يستُرك، واكفتها بحجابك. وأكرَمُ الناسِ الذين بهم تصول، وإذا تطاولتَ فبهم تطول.

أسأل اللَّهَ أن يُلهِمَك الرشدَ، ويقوِّيَك على العمل لكلِّ جميلٍ، ويصرِفَ عنك المحذور. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

١١٤٤ ـ وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تَزُلْ.

قال سليمان بن أرقم: فقدِمْتُ عليه بالكتاب، فإني لعنده أتوقَّعُ الجوابَ، إذ خرج يوماً غيرَ يوم جمعةٍ حتى صَعِدَ المنبرَ، وجمع الناس، فلما كثُروا، قام فحمِد اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم في أسلاب الماضين، وسَيَرِثكُمُ الباقون، حتى يصيرَ إلى خيرِ الوارثين. كل يوم تُجَهِّزون غادياً إلى الله ورائحاً، قد حضر أجلُه وطوى عملَه، ثم تَدَعونَه غيرَ موسَّدٍ ولا مُمَهَّد. ثم وضع يديه على وجهه فبكى ملياً فرفعهما.

قال: ثم نزل، فأرسل إليَّ، فدخلت إليه، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فكأنك بأوَّلِ مَنْ كُتِبَ عليه الموت قد مات، والسلام.

* * *

٨٢ ـ فصول من خطب

١١٤٥ ـ ورُوِيَ عن الشَّعبي أن معاذاً لما قَدِمَ اليمنَ خطبهم، فقال: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم لتعبُدوا اللَّهَ ولا تُشركوا به شيئاً، وتُقيموا الصلاةَ وتُؤتوا الزكاةَ، وأن تطيعوني أهدِكُم سبيلَ الرشادِ، وإنَّما هو اللَّهُ وحدَه والجنةُ والنارُ دارُ إقامةٍ، بلا ظَعَنٍ، وخُلودٌ بلا موتٍ.

١١٤٦ ـ ورُوِيَ أنَّ علي بن أبي طالب ﷺ خطب الناسَ، فحمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على النبيِّ محمدٍ ﷺ ثم قال: أما بعدُ، فإني أحذِّرُكمُ الدنيا؛ فإنها خَضِرَةٌ حلوةٌ، حُفَّتْ بالشهوات، وحسُنت بالعاجلةِ، وعُمِّرَتْ بالآمال، وتزيَّنت بالغُرور، لا يدومُ خيرُها، ولا تُؤمَنُ فجائِعُها، لا تعدو ـ إذا تناهت ـ أمنيةَ أهلِ الرَّغبة فيها، والرِّضا بها أن تكونَ كما قال اللَّهُ عز وجـل: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥] مع أن امرَءاً لم يكن منها في خِيرةٍ إلا أعقبته بعدها عَبرَةً، ولم يلْقَ مِنْ سرَّائها بطناً، إلا منحته مِنْ ضرَّائِها ظهراً، ولم تُظِلَّه منها دِيمةُ رجاءٍ، إلا هتفت عليه مُزْنَةُ بلاءٍ، حريٌّ إذا هي أصبحت لك منتظرةً أن تُمسي لك مُتنَكِّرةً، مع أنَّ وراءَ ذلك سكرات الموت وزفراته وهوْل المطلعِ والوقوف بين يدي المالك العدل، فيجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

١١٤٧ ـ ورُوِيَ أنَّ عمر بن عبد العزيز جمع الناس فخطبهم، فحمِدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال: يا أيها الناسُ، إنِّي لم أجمعْكُم لحدَثٍ أحدِثُه فيكم، ولكني نظرتُ في مَعَادِكم وإلى ما تنتهون إليه مِنْ أمرِكم، فوجدتُ المصدِّقَ به أحمقَ، ووجدتُ المكذِّبَ به هالكاً، والسلام.

١١٤٨ ـ ورُوِيَ أنَّه كان في خُطبةِ أبي بكر الصديق ﷺ: أنِ انظُروا في طُرُقِ مَنْ تمشُون، ومساكنِ مَنْ تسكُنون، أينَ الملوكُ الذين ساروا بالزُّخرفِ إلى الزُّخرفِ، وأُعطَوُا الغَلَبَةَ في مواطنِ الحُروب. أين الملوكُ الذين اتَّخذُوا المدائن وحصَّنوها بالحوائِطِ، واتخذوا فيها العجائب؟ أين الشبابُ الناعمون أصبحوا في بطن الأرض؟ ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾ [مريم: ٩٨].

١١٤٩ ـ وخطب عليٌّ ﷺ، فقال: يا أيها الناسُ، اتقوا الله الذي إن

قلتم سمعَ، وإن أضمرتم علِمَ، وبادِروا الموتَ الذي إن هربتُم أدرككُم، وإن أقمتُم أخذكم.

١١٥٠ ـ وخطب عُتبةُ بن غزوان، فحمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أما بعدُ أيها الناس، إن الدنيا آذَنَتْ بصُرْمٍ[١]، وولّت حَذَّاءَ[٢]، فلم تَبقَ منها إلا صُبابَةٌ[٣] كصُبابَةِ الإناءِ اصطَبَّها صاحبُها وأنتم منتقلون منها إلى دارٍ لا زوالَ لها، فانتقلوا بخيرِ ما بحضرتِكم[٤].

١١٥١ ـ وخطب علي بن أبي طالب ﷺ، فقال: ألا إنَّ الدنيا قد أدبرت وآذَنَتْ بوداعٍ، والآخرةَ قد أقبلت وآذنت باطِّلاع. ألا وإنَّ المِضمارَ اليومَ والسباقَ غداً، ألا وأن الشُّقَّةَ[٥] الجنةُ، والغايةَ النارُ. ألا وإنَّكم في مَهَلٍ مِنْ ورائِه أجلٌ يحثُّه عَجَلٌ، فمن عمل في أيام مَهَلِهِ قبل حَضور أجلِه نفعَه عملُه، ولم يضرَّه أملُه، ومَنْ لم يعمل في أيامِ مَهَلِه قبل حُضور أجله ضرَّه أملُه، وساءَه عملُه.

١١٥٢ ـ وخطب شدَّادُ بنُ أوسٍ أهلَ بيت المقدس، فحمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ، فإنَّ الدنيا عَرَضٌ حاضرٌ يأكل منه البَرُّ والفاجرُ، وإنَّ الآخرة أجلٌ صادق، ويقضي فيه مَلِكٌ قادر. ألا وإنَّ الخيرَ كلَّه بحذافيرِه في الجنةِ، وإنَّ الشرَّ كلَّه بحذافيرِه في النار، أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ الله لي ولكم.

١١٥٣ ـ وخطب عليٌّ ﷺ، فقال: ارتحلتِ الدُّنيا مدبِرَةً، وارتحلتِ الآخرةُ مقبلةً، ولكلٍّ واحدةٍ منها بَنُونَ، فكونُوا مِنْ أبناءِ الآخرةِ، ولا تكونوا

---

(١) أعلمت بانقطاع وانقضاء.

(٢) أي مسرعة الانقطاع.

(٣) الصُّبابة: البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء.

(٤) رواه مسلم (٢٩٦٧).

(٥) الشقة: البعد، والناحية يقصدها المسافر.

مِنْ أبناءِ الدنيا، فإنَّ اليومَ عملٌ ولا حسابَ، وغداً حسابٌ ولا عملَ.

١١٥٤ ـ وقال محمدُ بنُ حربِ الهلاليُّ: كنتُ على شُرَطةِ جعفرِ بن سُليمانَ بالمدينةِ، فلمَّا عُزِلَ انحدرنا إلى البصرةِ، فصرنا إلى صِرْمَةٍ يومَ جمعةٍ، فاستأذنته في الذَّهاب إلى المسجدِ، فأذن لي، فأتيتُه فإذا منبرُ طينٍ على ثلاثِ عَتَباتٍ، فإذا أعرابيٌّ قد جاءَ، عليه بُرْدَةٌ بيده عصا، حتَّى قعد على المنبرِ، فقال: الحمد لله ذي الكِبرياء، وصلَّى اللَّهُ على جميع الأنبياء، وخصَّ نبيه محمداً بأكثرِه. أما بعد، فإنَّ الدنيا دارُ بلاءٍ، ثمَّ دارُ فناءٍ، وإنَّ الآخرةَ دارُ بقاءٍ، ثمَّ دارُ جزاءٍ، وإنَّما تُجْزَوْنَ بأعمالِكم، فخُذوا مِنْ ممرِّكم لمقرِّكم، ولا تهتِكُوا أستارَكم عندَ مَنْ لا تخفى عليه أسرارُكم، ففي الدنيا حَيِيتُم، ولغيرِها خُلِقْتُم. أقولُ هذا، والمدعوُّ له الخليفةُ هارونُ، والأميرُ جعفرٌ، والمستغْفَرُ اللّهُ، قوموا إلى صلاتِكم رحمكم اللّهُ.

١١٥٥ ـ ورُوِيَ عن ابن عباس ﷺ أنه قال: لمَّا وَفَدَ وفْدُ عبدِ القيسِ على رسول الله ﷺ قال: «**أيُّكم يعرِفُ قُسَّ بن ساعِدَةَ**»؟ قالوا: كلُّنا يعرفُه يا رسولَ الله. قال: «**لستُ أنساه بعُكاظٍ على جملٍ أحمرَ، وهو يخطُبُ الناسَ. ويقول: أيها الناسُ اجتمعوا، فإذا اجتمعتم فاسمعوا، فإذا سمعتُم فعُوا، فإذا وعيتم فقولُوا، فإذا قلتُم فاصدقُوا. مَنْ عاشَ ماتَ، ومَنْ مات فات، وكلُّ مَنْ هو آتٍ آت، إنَّ في السَّماء لخَبَراً، وإنَّ في الأرضِ لعِبَراً، مِهادٌ موضوعٌ، وسَقْفٌ مرفوعٌ، ونجومٌ تمورُ، وبحرٌ لا يغور، أقسمَ قُسٌّ بالله قَسَمَ حقٍّ لا كذِبَ فيه ولا إثمَ، لئِنْ كان في الأرضِ رضىً ليكونَنَّ سخطٌ، إن لله ديناً هو أحبُّ إليه مِنْ دينكم هذا الذي أنتم عليه، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجِعُون، أَرَضُوا بالمقام فأقاموا؟ أم تُرِكُوا فناموا؟ أيُّكم يروي شعرَه**»؟ فأنشدوا:

في الذَّاهبينَ الأوَّليـ ... نَ مِنَ القُرونِ لنا بَصَائرْ
لمَّا رأيتُ مَوارِداً ... للموتِ ليس لها مَصَادِرْ
ورأيتُ قومي نحوَها ... يَمضِي الأصاغِرُ والأكابِرْ

لا يــرجِــعُ الــمــاضــي ولا يَـبْـقَـى مِـنَ الـبـاقـيـن غـابِـرْ
سـكـنُـوا الـبُـيـوتَ فـوُطِّـنُـوا إنَّ الـبُـيـوتَ هـي الـمـقـابـرْ
أيـقـنـتُ أنِّـي لا مَـحَـا لَـةَ حـيـثُ صـارَ الـقـومُ صـائـرْ

ثم قال رجل: لقد رأيتُ منه عجباً، اقتحمتُ وادياً، فإذا أنا بعينٍ خرَّارةٍ، وروضةٍ مُدْهامَّةٍ[١]، وشجرةٍ عادِيَّةٍ. وإذا أنا بِقُسِّ بنِ ساعدةَ قاعدٍ في أصلِ الشجرة، وبيده قضيبٌ وقد ورد على العين سِباعٌ كثيرةٌ، فكلَّما ورد سبُعٌ على صاحبه ضربه بالعصا، وقال تَنَحَّ حتى يشرب الذي وردَ قبلَك. فلمَّا رأيتُ ذلك ذُعِرْتُ ذُعراً شديداً، فالتفتَ إليَّ، وقال: لا تخفْ، فالتفتُّ فإذا أنا بقبْرَين بينهما مسجدٌ، فقلت: ما هذان القبران؟ فقال: هما قبرا أخويَّ كانا يعبدان اللَّهَ الموضعَ، وأنا أعبدُ الله بينهما حتى ألحقَ بهما. فقلت له: أفلا تلحَقْ بقومِك فتكونَ في حيِّزِهم؟ فقال لي: ثكِلتك أمُّك! أوَمَا علِمْتَ أنَّ ولد إسماعيلَ تركت دينَ أبيها واتَّبعت الأضدادَ، وعَظَّمتِ الأندادَ. ثم تركني وأقبلَ على القبرين، وقال:

خـلـيـلَـيَّ هُـبَّـا طـالـمـا قـد رَقَـدْتُـمـا أجِـدُّكـمـا مـا تـقـضـيـان كَـرَاكُـمـا[٢]
أرى النومَ بينَ الجلدِ والعظم منكما كـأنَّ الـذي يَسقي العَقَارَ سقاكُما
ألَـمْ تـعـلَـمـا أنِّـي بـسـمـعـانَ مُـفْـرَدٌ وما ليَ فيها مِنْ حبيبٍ سِواكُمَا
مقيمٌ على قَبْرَيْكُما لستُ بارِحَاً طُوالَ اللَّيالي أو يُجيبُ صَدَاكُما
فـلـو جُـعِـلَـتْ نـفـسٌ لـنـفـسٍ وِقـايَـةً لجُدْتُ بنفسي أنْ تكونَ فِدَاكُما[٣]

---

(١) مدهامة: خضراء تضرب إلى السواد.
(٢) الجد: ضد الهزل، والكرى: النعاس.
(٣) أخرج الشطر الأول منه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/٨٨ رقم (١٢٥٦١)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢/٢٨٠ ـ ٢٨١، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/١٠٤، والزهد الكبير ٢/٢٦٥. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٤١٩ من رواية الطبراني، وقال: فيه محمد بن الحجاج اللخمي، وهو كذاب. وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٩٩ ـ ٣١٠ (طبعة دار هجر)، فقد أورد طرقاً أخرى للحديث.

١١٥٦ ـ وخطب عمرُ بن عبد العزيز بخُناصِرَةَ[1] خطبةً لم يخطُب بعدَها، حمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناسُ، إن الله لم يخلقكم عبثاً، ولن تُتْرَكُوا سدى، وإن لكم مَعاداً يتولى اللَّهُ فيه الحكمَ فيكم، والفصلَ بينكم، فخابَ وخسِرَ مَنْ زُحْزِحَ مِنْ رحمةِ الله التي وسعت كلَّ شيءٍ، وحُرِمَ الجنةَ التي عرضُها السماواتُ والأرض، واعلموا أنَّ الأمانَ غداً لمن حَذِرَ اللَّهَ وخافَه اليومَ، وباعَ قليلاً بكثيرٍ، وفانياً بباقٍ، وخوفاً بأمانٍ. ألا تَرَوْنَ أنَّكم في أسبابِ الهالكين، وسيخلُفُها مِنْ بعدكمُ الباقون، كذلك حتى تُرَدَّ إلى خيرِ الوارثين، ثمَّ إنكم في كلِّ يومٍ وليلةٍ تُشيِّعون غادياً إلى الله ورائحاً، قضى نحبَه وانقضى أجلُه، ثم تضعونه في صدعٍ مِنَ الأرض، في بطن لحدٍ، ثم تدَعونه غيرَ موسَّدٍ ولا ممَهَّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، ووُجِّه إلى الحساب، غنياً عمَّا ترك، فقيراً إلى ما قدَّم.

١١٥٧ ـ ومِنْ خطبةٍ له ﷺ: أيها الناسُ، إنما الدنيا أملٌ مختَرم، وأجلٌ منقضٍ، وبلاغٌ إلى دارٍ غيرِها، وسيرٌ إلى الموت ليس فيه تعريجٌ، فرحم الله مَنْ فكَّر في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربَّه، واستقال ذنبَه.

أيها الناسُ: قد علمتم أن أباكم أُخرِجَ من الجنة بذنبٍ واحد، وأن ربَّكم وعد على التوبة خيراً، فليكنْ أحدُكم مِنْ ذنبِه على وجلٍ. وايمُ اللَّه، إني لأقول لكم هذا وما أعلم عند أحدٍ منكم أكثرَ مما عندي، وأستغفر الله لي ولكم.

١١٥٨ ـ ومِنْ خطبة له ﷺ: لكلِّ سفرٍ زادٌ لا محالةَ، فتزودوا مِنَ الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاينَ ما أعدَّ الله تعالى من ثوابه وعقابه، فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا، ولا يَطُلْ عليكمُ الأمدُ فتقسُوَ قلوبُكم، وتنقادوا لعدوكم. واعلموا أنه إنما يطمئن إلى الدنيا مَنْ وثِق بالنجاة

---

(١) خناصرة: بليدة من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٢/٣٩٠.

مِنْ عذاب الله في الآخرة، فأما مَنْ لا يداوي جرحاً إلا أصابه جرحٌ من ناحية أخرى، فكيف يطمئنُّ إلى الدنيا. أعوذ بالله أن آمُرَكم بما أنهى نفسي عنه، فتخسرَ صفقتي، وتبدُوَ عَيلتي، وتظهر مسكنتي يوم لا ينفع إلا الحقُّ والصدقُ. فارتجَّ المسجد بالبكاء، وبكى عمر حتى بلَّ ثوبه، وحتى ظننَّا أنه قاضٍ نحبَه.

* * *

٨٣ ـ مقامات النُّسّاكِ وأهلِ الحقِّ عند الأمراءِ

١١٥٩ ـ دخل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاويةَ بن أبي سفيان ﷺ وعليه مِدْرَعَةُ صوفٍ وشَملةٌ، فلما مَثُلَ بين يديه اقتحمته عينُه، فأقبل عليه، وقال: مَهْ، فقال الأحنف: يا أميرَ المؤمنين، أهلُ البصرةِ عددٌ يسير، وعَظْمٌ كسيرٌ، مع تتابُعٍ من المُحُولِ واتِّصال مِنَ الدُّخول، والمكثِرُ منها قد أطرق، والمقِلُّ قد أملق، وبلغ منه المختَنق. وإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يُنعِشَ الفقيَر، ويَجْبُرَ الكسيرَ، ويُسَهِّل العسيرَ، ويصفح عَنِ الدُّخول[1]، ويداوي المحول، ويأمرَ بالعطاءِ ليكشفَ البلاء، ويزيلَ اللأْوَاء. ألا وإنَّ السيدَ مَنْ يَعُمُّ ولا يَخُصُّ، ويدعو الجَفَلى، ولا يدعو النَّقَرى[2]، إنْ أُحسِنَ إليه شَكر، وإن أُسِيءَ إليه غَفَر، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عِماداً يدفع عنهمُ الملماتِ، ويكشِفُ عنهمُ المعضلات. فقال له معاوية: ههنا يا أبا بحرٍ، ثم تلا: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

١١٦٠ ـ وقال سليمانُ بن عبد الملك لأبي حازم: عظني وأوجز. قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، نزِّهْ ربَّك وعظِّمه أن يراك حيثُ نهاكَ، أو يفقدَك مِنْ حيثُ أمرك. فبكى سليمانُ بكاءً شديداً. فقال رجلٌ مِنْ جُلسائه: أسأتَ إلى

---

(١) الدخول: جمع الدَخَل، وهو الغدر والمكر والخديعة.

(٢) الجفلى: دعوة الناس عامةً إلى الطعام، والنقرى: الدعوة الخاصة.

أميرِ المؤمنين، فقال أبو حازم: اسكُت؛ فإنَّ اللَّهَ عز وجل أخذ ميثاقَ العلماء ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ثم خرج مِنْ عندِه، فلما وصل إلى منْزله بعث إليه بمالٍ، فردّه. وقال للرسول: قل له: والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك، فكيف أرضاه لنفسي؟.

١١٦١ - ولما حجَّ سليمان بن عبد الملك وقدِمَ المدينةَ، بعث إلى أبي حازمٍ، فلمَّا دخل عليه قال: يا أبا حازمٍ، تكلم، قال: بمَ أتكلَّمُ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: في الخروج مِنْ هذا الأمر. قال: يسيرٌ إن أنتَ فعلته. قال: وما ذاك؟ قال: لا تأخذِ الأشياءَ إلا بحِلِّها، ولا تضعْها إلا في أهلها. قال: ومَنْ يقوى على ذلك؟ قال: مَنْ قلَّده اللَّهُ مِنَ الأمر ما قلَّدك. قال: عِظني يا أبا حازم. قال: يا أميَر المؤمنين، إنَّ هذا الأمرَ لم يصلْ إليك إلا بموتِ مَنْ كانَ قبلَك، وهو خارجٌ عنك بمثل ما صارَ إليك. قال: يا أبا حازم، أشِرْ عليَّ، قال: إنما أنتَ سوقٌ فما نَفَقَ عندَك حُمِلَ إليك مِنْ خيرٍ أو شرٍّ، فاخترْ لنفسِك أيَّهما شئتَ، قال: فما بالُك لا تأتينا؟ قال: وما أصنعُ بإتيانِك؟ إنْ أدنَيْتَني فتنْتَني، وإن أقصيْتَني أحزَنْتني، وليس عندي مالٌ أخافُك عليه، ولا عندَك ما أرجوك له، قال: فارفَعْ إليَّ حوائجَك، قال: قد رفعتُها إلى مَنْ هو أقدرُ منك عليها، فما أعطاني منها قبِلْتُ، وما منعني منها رضِيتُ، يقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] فمن ذا الذي يستطيعُ أن يَنْقُصَ مِنْ كثيرِ ما قُسِمَ له، أو يزيد في قليلِ ما قُسِمَ له؟.

١١٦٢ - ورُوِيَ أنَّ رَوْحَ بنَ زِنباعٍ كان في بعضِ طريقِ مكةَ في يوم شديدِ الحرِّ مع أصحابه، فنَزلوا وضُرِبَتْ لهمُ الخيامُ والظِّلال، وقُدِّمَ إليهمُ الطعامُ والشرابُ المبرَّدُ، فبينما هم كذلك فإذا هم براعٍ، فأُمِر به رَوْحٌ ودُعِيَ إلى طعامه وشرابه، فأبى وقال: إني صائمٌ، فقال له: في مثلِ هذا الحرِّ؟ فقال: أفأَدَعُ أيامي تمضي باطلاً، فقال روحٌ: لقد ضننْتَ بأيامِك يا راعِ إذْ جاد بها روحُ بن زِنباعٍ.

١١٦٣ ـ وقام أعرابيٌّ إلى سليمانَ بنِ عبد الملك، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنِّي مكلمُك بكلام، فاحتمِلْه إن كرهتَه، فإنَّ وراءَه ما تحبُّ إن قبلتَه. قال: هاتِ يا أعرابيُّ، قال: فإنِّي سأطلق لساني بما خرِسَتْ به الألسنُ، بحقِّ الله وبحقِّ إمامتك. إنَّك قد اكتنَفَكَ رجالٌ أساؤوا الاختيارَ لأنفسهم، فابتاعوا دنياك بدينهم، ورِضاك بسخطِ ربِّهم، خافوك في الله ولم يخافوا اللَّهَ فيك، فلا تُصلِحْ دُنياهم بفسادِ آخرتِك، فأعظَمُ الناسِ عتباً يومَ القيامةِ مَنْ باع آخرتَه بدنيا غيره. فقال له سليمان: أمَّا أنتَ فقد نصحت، وأرجو أنَّ الله يُعينُ على ما قلَّدَنا، وقد جرَّدت لسانَك وهو سيفُك، فقال: أجل يا أمير المؤمنين، وهو لك لا عليك[1].

١١٦٤ ـ قال ابنُ أبي عروبةَ: حجَّ الحجاجُ، فنَزل بعضَ المياهِ بين مكةَ والمدينةِ، ودعا بالغَداءِ، فقال لحاجِبِه: انظرْ مَنْ يتغدَّى معي، واسألْه عَنْ بعضِ الأمر، فنظر نحوَ الجبلِ، فإذا هو بأعرابيٍّ بين شملتين مِنْ شَعَرٍ نائم، فضربه برجلِه، وقال: ائتِ الأميرَ، فأتاه، فقال له الحجاجُ: اغسِلْ يدك وتغدَّ معي، فقال: دعاني مَنْ هو خيرٌ منك فأجبتُه، قال: ومَنْ هو؟ قال: الله تبارك وتعالى، دعاني إلى الصيام فصُمتُ، قال: في هذا الحرِّ الشديدِ؟! قال: نعم، صمتُ ليومٍ هو أشدُّ منه حراً. قال: فأفطِرْ وتصومُ غداً، قال: إنْ ضمنتَ إليَّ البقاءَ إلى غدٍ، قال: ليسَ ذلك إليَّ، قال: فكيف تسألُني عاجلاً بآجلٍ لا تقدِرُ عليه، قال: لأنَّه طعامٌ طيبٌ، قال: لم تُطَيِّبْهُ أنت ولا الطباخُ، ولكن طيَّبته العافيةُ.

١١٦٥ ـ وقال سفيانُ بنُ عيينة: دخل محمدُ بن كعبٍ على عمرَ بن عبد العزيز يوم وُلِّيَ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنما الدنيا سوقٌ مِنَ الأسواقِ، فمنها خرجَ الناسُ بما ربحوا فيها لآخرتهم، وخرجوا منها بما يضرُّهم. فكم مِنْ قومٍ غرَّهم مثلُ الذي أصبحنا فيه، حتى أتاهم الموتُ

(١) عيون الأخبار ٢/٣٣٧ ـ ٣٣٨.

فخرجوا مِنَ الدنيا مُرْمِلين لم يأخذوا مِنَ الدنيا للآخرة، فاقتسم مالَهم مَنْ لا يحمَدُهم، وصاروا إلى مَنْ لا يَعذِرُهم، فانظر الذي تحبُّ أن يكون معك، فقدِّمه بين يديك حتى تخرجَ إليه، وانظر الذي تكره أن يكونَ معك إذا قدمت، فابتَغِ به البَدَلَ حيث يجوز البدلُ، ولا تذهبنَّ إلى سلعةٍ قد بارت على غيرِك، ترجو جوازَها عنك. يا أميرَ المؤمنين افتحِ الأبوابَ، وسهِّلِ الحِجَاب، وانصرِ المظلوم.

١١٦٦ - ورُوِيَ أنَّه لما ولي عمر بن عبد العزيز وفَدَ إليه أهل كلِّ بلدٍ، فلمَّا وَفَدَ عليه أهلُ الحجاز، تقدَّم غلامٌ منهم للكلام، وكان حديثَ السِّنِّ، فقال له عمر: ليتكلَّم مَنْ هو أسنُّ منك. فقال الغلامُ: أصلح الله أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه: قلبِه ولسانِه، فإذا منح اللَّهُ عبداً لساناً لافِظاً، وقلباً حافِظاً، فقد استحقَّ الكلامَ، وعرف فضلَه مَنْ سمع خطابَه، ولو أنَّ الأمرَ يا أمير المؤمنين بالسنِّ لكان في الأمةِ مَنْ هو أحقُّ بمجلسِك هذا منك. فقال عمر: صدقْت، قل ما بدا لك، فقال الغلام: أصلحَ الله أميرَ المؤمنين، نحنُ وَفْدُ تهنئةٍ لا وفدَ مرزئةٍ، وقد أتيناك لمَنِّ الله الذي مَنَّ علينا بك، لم تُقدِمْنا إليك رغبةٌ ولا رهبةٌ، أمَّا الرغبةُ فقد أتتنا منك إلى بلدنا، وأما الرهبةُ فقد أمِنَّا جَوْرَكَ بعدلِك، فقال له عمر: عِظني يا غلامُ. فقال: أصلحَ الله أميرَ المؤمنين، إن ناساً مِنَ الناس غرَّهَم حِلمُ الله عنهم، وطولُ أملِهم، وكَثرةُ ثناءِ الناس عليهم، فزلَّت بهم أقدامُهم فهَوَوْا في النار، فلا يغرَّنَّك حِلْمُ الله عنك، وطولُ أملِك، وكثرةُ ثناءِ الناس عليك، فتزلَّ بك قدمُك فتلحقَ بالقومِ، فلا جعلك الله منهم، وألحقَك بصالحي هذه الأمةِ، ثم سكت. فسأل عمرُ الغلامَ عن سنِّه، فإذا هو ابن إحدى عشرة سنةً، ثم سأل عنه، فإذا هو من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهم، فتمثل عند ذلك عمر ﷺ:

تَعَلَّمْ فليس المرءُ يُولَدُ عالِماً وليسَ أخو عِلْمٍ كَمَنْ هو جاهِلُ
وإنَّ كبيرَ القَوْمِ لا عِلْمَ عندَه صغيراً إذا التفَّتْ عليه المَحَافِلُ

١١٦٧ ـ ولما حجَّ هارونُ بعث إلى مالكٍ رحمه الله بكيسٍ فيه خمسمائة دينار، فلما قضى نُسكه وانصرف، وقدم المدينةَ، بعث إلى مالكٍ أنَّ أميرَ المؤمنين يحبُّ أن تنتقلَ معه إلى مدينةِ السلام، فقال للرسول: قل له: إن الكيسَ بخاتَمِه، وقال رسول الله ﷺ: **«والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون»**[1].

١١٦٨ ـ وقال ابن السمَّاك: دخلتُ على هارون أولَ ليلةٍ مِنْ شهرِ رمضانَ وله شعر وارد[2] وعليه كِساءٌ أبيضُ، فأومأ إليَّ فجلستُ وعنده يحيى بنُ خالد بنِ برمك وحدَه، فأمسكتُ طويلاً. ثم قال لي: يا ابنَ السَّمَّاكِ، إنَّ أمير المؤمنين كان يذكُرُك وهو يومئذٍ وليُّ عهدِ المسلمين، فلما استُخْلِفَ أحبَّ أن تكونَ منه في هذا الشهر قريباً لِما بلغَه مِنْ صلاحٍ في نفسِك وتذكيرِك للعامَّةِ. قلت: أكرمَ الله أمير المؤمنين وأمتَعَ به. ما بلغ أميرَ المؤمنين مِنْ صلاح في أنفسنا، فذلك مِنْ ستر الله علينا بأمير المؤمنين. ولو يعلمُ الناسُ لنا ذنباً واحداً ما بقيَ لنا لسانٌ على مدحٍ، ولقد خفت أن يلحقَني مِنَ المدح الفتنةُ، ومِنَ الستر الغرورُ، وأنا أخافُ أن أهلك بينهما، وأُؤاخَذ بقلَّةِ الشكر عليهما. قال: تكلَّم يا ابن السماك. قال: وقد كنت زوَّرتُ له كلاماً مُغنياً حسناً، فذهب عنِّي ولم يحضُرْني، فلم أجِدْ بداً مِنَ الكلام، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله لم يَرْضَ لخلافته في عبادِك غيرَك، فلا تَرْضَ مِنْ نفسِك إلا بما يرضى به عنك؛ فإنك ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ وأولى الناس بذلك.

يا أمير المؤمنين، من طلب فكاك رقبته في مُهلةٍ من أجَلِه كان خليقاً أن يعتق نفسه.

يا أمير المؤمنين، ومَنْ ذوَّقته الدنيا حلاوتَها برُكونٍ منه إليها، أذاقته الآخرةُ مرارتَها بتجافيه عنها.

---

(١) رواه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨) من حديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه.

(٢) الوارد من الشعر: الطويل المسترسل.

يا أمير المؤمنين، ناشدتُك اللَّهَ أن تَقدَمَ على جنةٍ عرضُها السماواتِ والأرض وقد دُعيتَ إليها وليس لك منها نصيبٌ.

يا أمير المؤمنين، إنك تموتُ وحدَك، وتُحاسَبُ وحدَك، وإنك لا تَقْدَمُ إلا على نادمٍ مشغولٍ، ولا تخلِّفُ إلا مفتوناً مغروراً، وإنك وإيانا في دارِ سفرٍ وجيرانٍ ظُعُنٍ.

١١٦٩ - ويروى أن سليمانَ بن عبد الملك لبس أفخرَ ثيابه، ومسَّ أطيبَ طِيبِه، ونظر في المرآة، فأعجبته نفسُه، ثم قال لجاريةٍ له: كيف ترين، فقالت:

أنتَ نِعْمَ المَتاع لو كُنْتَ تبقى ... غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
ليس فيما بدا لنا مِنْكَ عَيْبٌ ... عابَه الناسُ غيْرَ أنَّك فانِ

فأعرضَ بوجهه، فلم تَدُرْ عليه الجمعةُ إلا وهو في قبره.

١١٧٠ - ورُوِيَ أنَّ ابن السَّمَّاك قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشترِ نفسَك منه ببعضها.

١١٧١ - وقال الفضلُ بن الربيع: حجَّ الرشيد، فبينما أنا نائم ليلةً سمعتُ قرعَ الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أجِب أميرَ المؤمنين، فخرجت مسرعاً، فقلت له: يا أمير المؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ أتيتُك. فقال: ويحَك، إنَّه قد حكَّ في نفسي شيءٌ، انظُرْ لي رجلاً أسأله، فقلت: ههنا سفيانُ بنُ عيينة، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه فقرعتُ عليه البابَ، فقال: مَنْ هذا؟ قلت: أجبْ أميرَ المؤمنين، فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ أتيتُك، فقال: خُذْ لما جئنا يرحمُك اللَّه، فحادثه ساعةً، ثم قال: عليك دينٌ؟ قال: نعم. قال: يا أبا عباس، اقضِ دينَه، ثم انصرفنا. فقال: ما أغنى عني صاحبُك شيئاً، فانظر لي رجلاً أسأله. قلت: ههنا عبدالرزاق بن همام. قال: امشِ بنا إليه، فأتيناه فقرعتُ عليه البابَ، فقال:

مَنْ هذا؟ قلت: أجِبْ أميرَ المؤمنين، فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ أتيتُك. فقال: خذ لما جئنا له رحمك اللَّه، فحدَّثه ساعةً، ثم قال: عليك دينٌ؟ قال: نعم، قال: يا أبا عباس، اقضِ دينَه، ثم انصرفنا، فقال: ما أغنى عني صاحباك شيئاً، فانظر لي رجلاً، فقلت: ههنا الفُضيلُ بن عياض، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه فإذا هو قائم يصلي، يتلو آيةً مِنْ كتاب الله تعالى يردِّدُها، فقال: اقرع البابَ، فقرعتُه، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: ما لي ولأميرِ المؤمنين! فقلت: سبحان اللَّه! أما عليك طاعةٌ؟ أوَلَيسَ قد رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ليس للمؤمنِ أن يُذِلَّ نفسه**»[١]، فنَزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفةِ، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاويةٍ مِنْ زوايا الغرفة، فجعلنا نجُولُ عليه بأيدينا، فسبقت كفُّ الرشيدِ كفِّي، فقال: أوَّه مِنْ كفٍّ ما ألينَها إن نجت غداً مِنْ عذاب اللَّه! قال: فقلتُ في نفسي: ليكلِّمَنَّه الليلةَ بكلامٍ نقيٍّ مِنْ قلبٍ تقيٍّ. فقال: خذ لما جئنا له رحمك اللَّه.

قال: إن عمرَ بن عبد العزيز لما ولي الخلافةَ دعا سالمَ بن عبد الله ومحمدَ بنَ كعبٍ القُرَظيَّ ورجاءَ بن حَيْوَةَ، فقال لهم: إني قد ابتُليتُ بهذا البلاء، فأشيروا عليَّ، فعدَّ الخلافةَ بلاءً، وعدَدْتَها أنتَ وأصحابَك نعمةً.

فقال له سالم بن عبد اللَّه: إنْ أردتَ النجاة مِنْ عذابها، فصُمْ عن الدنيا، وليكن إفطارُك فيها الموت.

وقال له محمد بن كعب القرظي: إن أردتَ النجاة مِنْ عذاب الله

---

(١) وتتمة الحديث: قالوا: يا رسول الله، وكيف يذل نفسه؟ قال: «**يتعرض من البلاء لما لا يطيق**». أخرجه من حديث ابن عمر الطبراني في المعجم الأوسط (٥٣٥٧) والمعجم الكبير (١٣٥٠٧)، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٤/٧: إسناده جيد. وكذا قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ١٥٢/١.
وروي بسند ضعيف من حديث حذيفة رضي الله عنه رواه أحمد ٤٠٥/٥، والترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه(٤٠١٦).

غداً، فليكن كبيرُ المسلمين لك أباً. ووسطُهم عندك أخاً، وأصغرُهم ولداً؛ فوقِّرْ أباك، وارحم أخاك، وتحنَّنْ على ولدِك.

وقال له رجاءُ بن حَيْوَةَ: إن أردتَ النجاةَ مِنْ عذابِ الله غداً، فأحِبَّ للمسلمين ما تحبُّه لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مِتْ متى شئتَ.

وإني لأقول لك هذا، وإنِّي لأخافُ عليك أشدَّ الخوفِ يومَ تزِلُّ الأقدام، فهل معك رحمَك الله مثلُ هؤلاء القوم مَنْ يأمرُك بمثل هذا؟ قال: فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غُشِيَ عليه. فقلت: ارفُق بأميرِ المؤمنين. فقال: يا ابنَ الربيع، قتلتَه أنتَ وأصحابُك، وأرفُق به أنا؟ ثم أفاق، ثم قال: زِدني.

فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أنَّ عاملاً لعمرَ بن عبد العزيز شكا إليه، فكتب إليه عمر: يا أخي، اذكر سهرَ أهلِ النار، وخُلودَ الأبدان؛ فإنَّ ذلك يطرد بكَ إلى ربِّك نائماً ويقظان. وإياك أن تزِلَّ قدمُك عنْ هذه السبيل، فيكونُ آخر العهد بك، ومنقَطَع الرجاء منك. فلما قرأ كتابَه، طوى البلاد حتى قَدِمَ عليه، فقال له عمر: ما أقدَمَك؟ قال له: خلعتَ قلبي، لا وَلِيتُ لك ولايةً أبداً حتى ألقَى اللَّه. فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال: زدني يرحمُك اللَّه.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن عمَّ النبي ﷺ العباسَ جاء إليه، فقال: يا رسولَ اللَّه، أمِّرني على إمارةٍ، فقال له النبي ﷺ: «**يا عباسُ، يا عمَّ النبيّ، نفسٌ تُحييها خيرٌ مِنْ إمارةٍ لا تُحصيها**»[1]. إنَّ الإمارة حسرةٌ وندامةٌ يومَ

---

(١) رواه مرفوعاً ابن أبي شيبة في المصنف ٤١٩/٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٩٦/١٠ عن محمد بن المنكدر مرسلاً. ورواه البيهقي عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله ﷺ، وقال: الأول أصح.
وروى نحوه أحمد في المسند ١٧٥/٢ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف. وفيه أن الذي طلب الإمارة حمزة ﷺ.

القيامةِ، فإنِ استطعتَ ألا تكونَ أميراً فافعل. قال: فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال: زدني يرحمك الله.

قال: يا حَسَنَ الوجه، أنت الذي يسألُك الله عز وجل عَنْ هذا الخَلْقِ يوم القيامة، فإنِ استطعتَ أنْ تقيَ هذا الوجهَ مِنَ النار فافعل، وإياك أن تصبحَ وتمسي وفي قلبك غِشٌّ لرعيَّتِك؛ فإن النبيَّ ﷺ قال: **«من أصبح لهم غاشّاً لم يَرِحْ رائحةَ الجنةِ»**[1].

قال: فبكى هارون بكاءً شديداً. ثم قال: عليك دينٌ، قال: نعم، دَيْنٌ لربي لم يحاسِبْني عليه، فالويلُ لي إنْ سألني، والويلُ لي إن ناقشني، والويلُ لي إنْ لم يُلهِمْني حُجَّتي. قال: إنما أعني مِنْ دَيْنِ العبادِ. قال: إنَّ ربي لم يأمرْني بهذا، أمرني أن أُصدِّقَ وعدَه وأُطيعَ أمرَه، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]. فقال له: هذه ألفُ دينار، فخذْها فأنفِقها على عيالك، وتقَوَّ بها على عبادةِ ربِّك. فقال: سبحان اللَّه، أنا أدلُّك على النجاةِ، وتكافئني بمثل هذا؟! سلَّمك الله ووفقك. ثم صمت فلم يكلِّمْنا، فخرجنا مِنْ عنده، فلما صرنا على البابِ، قال لي هارون: إذا دللتني على رجلٍ، فدُلَّني على مثلِ هذا، هذا سيدُ المسلمين اليوم.

١١٧٢ ـ ورُوِيَ أنَّ امرأةً مِنْ نسائه دخلت عليه، فقالت: يا هذا، قد ترى سوءَ ما نحنُ فيه مِنْ ضيقِ الحال، فلو قبِلتَ هذا المال، لفرَّجنا به. قال: إنما مَثَلي ومَثَلُكم كمَثَل قومٍ كان لهم بعيرٌ، يأكلون مِنْ كسبِه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمَه. فلما سمع الرشيدُ ذلك، قال: ادخُل، فعسى أن يقبَلَ المالَ. قال: فدخلنا، فلمَّا علم بنا الفضيلُ، خرج فجلس على التراب

(١) رواه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) عن معقل بن يسار ﷺ.

على السطح، فجاء هارونُ، فجلس إلى جنبِه، فجعل يكلِّمُه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك، إذ خرجت جاريةٌ سوداءُ، فقالت: يا هذا، قد آذيتَ الشيخَ منذ الليلة، فانصرِفْ يرحمك اللّٰه.

١١٧٣ - ورُوِيَ أنَّ النُّعمانَ بنَ المنذر خرج متصيداً ومعه عديُّ بنُ زيدٍ، فمرُّوا بشجرةٍ، فقال له عديُّ بن زيدٍ: أيُّها الملكُ، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ فقال: لا، فقال: تقول:

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولَنا ... يشرَبُونَ الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ
مَن رآنا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهَ ... أنَّه مُوفٍ عَلى قرنِ زوالْ
وصُرُوف الدَّهر لا تُبْقِي لها ... ولما تأتي به صُمُّ الجبالْ
عَمَرُوا الدُّنيا بعيشٍ حَسَنٍ ... آمِني دَهْرِهِمُ غيرُ عِجَالْ
عَصَفَ الدَّهْرُ بهم فانقَرَضُوا ... وكذاك الدهرُ حالٌ بعدَ حالْ

قال: ثم جاوز الشجرةَ، فمرَّ بمقبرةٍ، فقال له عديٌّ: أيها الملكُ، أتدري ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا، قال: تقول:

أيُّها الرَّكبُ المُخِبُّونْ ... على الأرضِ المُجِدُّونْ
مِثْلَ ما أنتمُ كنَّا ... وكما نحنُ تكونُونْ

فقال النعمان: إنَّ الشجرة والمقبرة لا يتكلمان، وقد علمتُ أنك إنما أردتَ عِظَتي. فما السبيلُ التي يُدرَكُ بها النجاةُ؟ قال: تدع عبادةَ الأوثان، وتعبُدُ اللَّهَ تعالى. قال: وفي هذا النجاةُ؟ قال: نعم، فتنصَّر يومئذٍ.

١١٧٤ - وروى وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ أنه أُتِيَ برجلٍ مِنْ أفضلِ أهلِ زمانه إلى مَلِكٍ يفتِنُ الناسَ، ويحمِلُهم على أكلِ لحمِ الخنْزيرِ. فلما أُتِيَ به أعظمَ الناسُ مكانَه، وهالهم أمرُه، فقال له صاحب شرطة الملك: ائتني بجَدْيٍ نذبحُه مما يحِلُّ لك أكلُه، فإنَّ الملك إذا دعا بلحم الخنْزيرِ أتيتُك به فكُلْه، ففعل به. ثم أُتِيَ به الملكَ، فدعا بلحمِ الخنْزير، فأتى صاحبُ الشرطة

بذلك الجديِ، فأمره الملكُ أن يأكلَ منه فأبى، فجعلَ صاحبُ الشرطةِ يغمِزُه ويأمرُه أن يأكُلَه، ويريه أنه اللحمُ الذي كان دفع إليه، فأبى أن يأكُلَه، فأمرَ به الملكُ صاحبَ الشرطة أن يقتُلَه، فلما ذهب به، قال: ما منعك؟! إنَّ هذا اللحمَ الذي دفعتَ إليَّ. أظننتَ أنِّي أتيتُك بغيرِه؟ قال: لا، قد علمتُ أنه هو، ولكني خفتُ أن يفتَتِنَ الناسُ بي، فإن أُريدوا على أكلِ لحمِ الخنْزيرِ، قالوا: قد أكلَه فلانٌ فيُستَنَّ بي، فأكون فتنةً لهم، فقُتِل.

١١٧٥ ـ وقال خالد بن صفوان بن الأهتم: أوفدني يوسفُ بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد العراق. قال: فقدمت عليه وقد خرج مبتدئاً بقرابته وأهلِه وحَشَمِه وغاشيتِه مِنْ جلسائِه. فنزل في أرضٍ قاع صَحْصَحٍ[١] تنائف[٢] أَفيَح[٣] في عامٍ، قد بكَّرَ وسمِيُّه[٤]، وتتابع وَلِيُّه[٥]، وأخذَتِ الأرضُ زينتَها مِنْ أنوارِ نبتِها مِنْ نَوْرِ ربيعٍ مُونِقٍ، فهو أحسنُ منظراً، وأحسنُ مستَنْظَراً، وأحسنُ مستَخْبَراً، بصعيدٍ كأنَّ ترابه قِطَعُ الكافورِ، حتى لو أنَّ قطعةً أُلقِيت فيه لم تُتَرَّبْ. قال: وقد ضُرِبَ له سُرادِقٌ مِنْ حِبَرَةٍ[٦] كان قد صنعه له يوسفُ بنُ عمر باليمن، فيه فُسطاطٌ فيه أربعةُ أفرشةٍ مِنْ خَزٍّ أحمرَ، مثلُها مرافِقُها، وعليه درَّاعةٌ مِنْ خَزٍّ أحمرَ مثلُها عِمامتُها. قال: وقد أخذ الناس مجالسَهم، فأخرجتُ رأسي مِنْ ناحيةِ الفسطاط، فنظرَ إليَّ شبهَ المستنطقِ لي. فقلت: تَمَّمَ الله عليك يا أميرَ المؤمنين نعمةً سوَّغَكها بشكره، وجعل ما قلَّدك مِنْ هذا الأمرِ رَشَداً، وعاقبةَ ما تؤول إليه حمداً، وخلَّصه

---

(١) أرض قاع صحصح: أي سهلة مستوية.

(٢) تنائف: جمع تنوفة، وهي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة.

(٣) أفيح: واسع.

(٤) الوسمي: مطر الربيع.

(٥) الولي: المطر الذي يكون بعد الوسمي.

(٦) حبرة: برد من صنع اليمن.

لك بالبقاء، وكثَّره لك بالنَّماء، ولا كدَّرَ عليك منه ما صفا، ولا خالط بسروره الرَّدى؛ فقد أصبحتَ للمسلمين ثقةً ومُستراحاً، إليك يقصِدون في أمورهم، وإليك يفزعون في مطالبهم. وما أجدُ يا أمير المؤمنين، جعلني اللَّهُ فداكَ، شيئاً هو أبلغ في قضاء حقِّك وتوقيرِ مجلسِك مما منَّ الله به عليَّ مِنْ مجالستِك، والنظرِ إلى وجهك، مِنْ أن أذكِّرَك نِعَمَ الله عليك، وأُنبِّهَك لشكرها. وما أجدُ يا أمير المؤمنين شيئاً هو أبلغ مِنْ حديث من سلفَ قبلَك مِنَ الملوك، فإنْ أذِنَ لي أميرُ المؤمنين أخبرتُه عنه.

قال: فاستوى جالساً، وكان متكئاً، ثم قال: هاتِ يا ابن الأهتم.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ ملِكاً مِنَ الملوك قبلَك خرج في عام مثلِ عامنا هذا إلى الخَوَرْنَقِ والسَّدير[1]. قال: وقد كان أُعطِيَ فتَاءَ السِّنِّ مع الكثرة والغَلَبَة والقهر. قال: فنظر فأبعَدَ النظرَ، فقال لجلسائه: ها! لمن هذا؟ هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه؟ هل أُعطِيَ أحدٌ مثلَ ما أُعطيتُ؟ قال: وعنده رجلٌ مِنْ بقايا حَمَلَة الحُجَّةِ والمُضِيِّ على أدب الحقِّ ومنهاجِه. قال: ولن تخلوَ الأرضُ من قائم لله بحجته في عبادِه. فقال: أيها الملك، إنَّك قد سألتَ عن أمرٍ، فتأذنُ لي في الجوابِ عنه؟ فقال: نعم. قال: أرأيتَ ما أنت فيه، أشيءٌ لم تَزَلْ فيه، أم شيءٌ صار إليك من غيرك؟ قال: فكذلك هو. قال: فأراك إنما أُعجِبْتَ بشيءٍ يسيرٍ تكونُ فيه قليلاً، ويغيبُ عنك طويلاً، وتكونُ غداً بحسابه مُرْتَهَناً. قال: ويحك! فأين المهرَبُ وأينَ المطلبُ؟ قال: إمَّا أن تقيمَ في مُلكِكَ تعملُ فيه بطاعةِ ربِّك على ما ساءَك وسرَّك وأمَضَّكَ وأرمَضَك[2]، وإمَّا أن تضَعَ تاجك وتضعَ أطمارك وتلبَسَ أمساحَك[3]، وتعْبدَ ربَّك

(١) الخورنق: قصر للنعمان الأكبر. والسدير: نهر بالحيرة.
(٢) أمضك: أوجعك. وأرمضك: أحرقك.
(٣) الأطمار: جمع طِمر، وهو الثوب الخَلَق البالي. والأمساح: جمع مسح، وهو كساء من شعر.

في هذا الجبل حتى يأتيَك أجلُك. قال: فإذا كان في السَّحَرِ فاقْرَعْ عليَّ بابي، فإنِّي مختارٌ أحدَ الرَّأيين، فإنِ اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا تُعصى، وإنِ اختلأتُ خلواتِ الأرضِ وقفرَ البلاد، كنتَ رفيقاً لا تُخالَفُ. قال: فقرَع عليه بابه عند السَّحَرِ، فإذا هو قد وضع تاجَه، ووضع أطمارَه، ولبِسَ أمساحَه، وتهيَّأ للسياحة. قال: فلزما والله الجبل حتى أتتهما آجالُهُما، وهو حيث يقول أخو بني تميم عديُّ بنُ زيد العدويُّ:

أيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهـ ... ـرِ أأنتَ المُبَرَّأ المَوْفُورُ
أمْ لديكَ العهدُ الوثيقُ مِنَ الأيـ ... ـامِ بلْ أنتَ جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خَلَّدْنَ أمْ مَنْ ... ذا لديه مِنْ أنْ يُضَامَ خَفِيرُ
أين كِسرى كِسرى الملوكِ أنو ... شروانَ أمْ أينَ قبلَهُ سَابُورُ
وبنو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الرُّ ... ومِ لم يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكُورُ
أخو الحَضْرِ[1] إذْ بَنَاه وإذْ ... دَجْلَةَ تُجْبَى إليه والخَابُورُ
شادَه مَرْمَراً وجلَّلَهَ كَلْساً ... فلِلطَّيْرِ في ذُراهُ وُكُورُ
لم يَهبْهُ ريبُ المنونِ فبادَ الـ ... ـمُلْكُ عنه فبابُه مهجورُ
وتذكَّرتُ ربَّ الخورنقِ إذ ... أشرفَ يوماً وللهُدى تذكيرُ
سرَّه مالُه وكثرةُ ما يمـ ... ـلِكُ والبحرُ معرضٌ والسَّديرُ
فارعوى قلبُه وقال فما ... غِبْطَةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ
ثمَّ أضْحَوْا كأنَّهم وَرَقٌ جفَّ ... فألْوتْ به[2] الصَّبا والدَّبُورُ
ثمَّ بعدَ الفلاحِ والإمرةِ والمُلْكِ ... وارَتْهُمُ هناك القُبُورُ

قال: فبكى هشام، والله، حتى أخضَلَ لحيته وبلَّ عمامته، وأمر بنَزْع أبنيته، وبنقلان بيته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه، ولزم قصره. قال:

---

(١) الحضر: قصر بجبال تكريت بين دجلة والفرات.

(٢) ألوت به: ذهبت به.

فأقبلتِ الموالي والحَشَمُ على خالد بنِ صفوان بن الأهتم، فقالوا: ما أردتَ إلى الأمير؛ أفسدتَ عليه لَذَّته، ونغَّصتَ عليه باديتَه؟ فقال: إليكم عنِّي، إنِّي عاهدتُ اللَّهَ عهداً أن لا أخلوَ بملك إلا ذكَّرتُه اللَّهَ عزَّ وجلَّ[1].

* * *

٨٤ ـ ما جاء في الموعظة

١١٧٦ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

١١٧٧ ـ ثم قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٦ ـ ١٩].

١١٧٨ ـ وقال الحسنُ: قدِم صعصعةُ ـ يعني عمَّ الفرزدقِ ـ على النبيِّ ﷺ فسمعه يقرأ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، فقال: حسبي حسبي، لا أبالي ألاَّ أسمعَ آيةً غيرَها. انتهت الموعظة.

١١٧٩ ـ وقال شُبْرُمَةُ: إذا كان البَدنُ سقيماً، لم ينفعْه الطعامُ، وإذا كان القلبُ مُغرماً بحبِّ الدَّنيِّ، لم تنفعْهُ الموعظةُ.

١١٨٠ ـ وروى مولى لمسلمةَ بنِ عبد الملكِ عن مسلمةَ أنه دخل على

---

(١) الخبر في المجالسة للدينوري ٤٧/٧ ـ ٥٢، وفي آخره: «فبعث إلى كل واحد من الوفد بجائزة، وكانوا عشرة، وبعث إلى خالد بمثل جميع ما وجَّه إلى جميع الوفد».

عمرَ بن عبد العزيز بعد صلاة الفجر في بيتٍ كان يخلو فيه بعد الفجر، فلا يدخل عليه أحدٌ، فجاءت جاريةٌ بطبقٍ عليه تمر صَيْحاني[1]، وكان يعجبه التمر، فرفع بكفَّيه منه، فقال: يا مسلمةُ، أترى رجلاً لو أكل هذا، ثم شرب عليه من الماء، فإن الماء مع التمر طيبٌ، أتظنُّ يكفيه إلى الليل؟ فقلت: لا أدري، فرفع أكثرَ منه، فقال: فهذا؟ فقلت: نعم يا أميرَ المؤمنين، كان كافيهِ دونَ هذا، حتى ما يُبالي ألا يذوقَ طعاماً غيره. قال: فعلامَ يدخل النارَ؟ قال: فقال مسلمةُ: فما وقعَتْ في نفسي موعظةٌ ما وقعت هذه.

١١٨١ ـ ودخل ابن السَّمَّاك على هارون الرشيد وهو يشرب ماءً، فقال: يا ابنَ السماك، عِظني، فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيتَ لو حُبِسَتْ عنك هذه الشَّربةُ، أكنتَ تَفديها بملكك؟ قال: نعم. قال: يا أميرَ المؤمنين، فلو حُبِس عنك خروجُها، أكنتَ تفديها بملكك؟ قال: نعم، قال: فما خيرُ مُلْكٍ لا يساوي شَربةً ولا بَوْلَةً؟.

١١٨٢ ـ وقال بعضهم: مَنْ كان له مِنْ نفسه واعظٌ، كان مِنَ الله عليه حافظٌ.

١١٨٣ ـ وقال رجل لابن السَّمَّاكِ: عِظني. قال: بمَ أعِظُك أصلحك اللَّه؟ إنَّما الناسُ زاهدٌ وصابرٌ وراغبٌ:

فأمَّا الزاهدُ؛ فقد خرجتِ الدنيا عن قلبِه، لا يأسى على ما فاتَه، ولا يفرحُ بما يُؤتاه. الناسُ منه في راحةٍ، وهو مِنْ نفسِه في عَناءٍ.

وأمَّا الصابر، فإنه يشتهيها بقلبِه، فلمَّا ذكر ما فيها مِنْ عارها وشَنارِها امتنع منها.

---

(١) التمر الصيحاني: من أنواع التمور بالمدينة المنورة.

وأمَّا الراغبُ، فإنَّه لا يبالي مِنْ أين أتته الدنيا، فَسَدَ فيها دينُه أو دُنِّسَ عِرضُه.

فمِنْ أيِّ الثلاثة أنت؟ فقال: من الراغبين. قال: أُفٍّ لك ولأصحابك! ما تصلُحون إلا أنْ تُسَدَّ بكم الأنهارُ والجسورُ.

١١٨٤ ـ ودخل يزيد الرقاشيُّ على عمرَ بن عبد العزيز، فقال: عِظني يا يزيدُ، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أولُ خليفةٍ تموت قبلي. وقال: زدني يا يزيد، قال: يا أمير المؤمنين، ليس بينك وبين آدمَ إلا أبٌ ميتٌ. قال: فبكى، وقال: زدني يا يزيدُ. فقال: يا أمير المؤمنين، ليس بين الجنةِ والنار منْزلٌ. فسقط مغشيّاً عليه.

١١٨٥ ـ وقال سليمان بن عبد الملك لحُمَيدٍ الطويلِ: عظني. فقال: إنْ كنتَ إذا عصيتَ اللَّهَ ظننتَ أنه يراك، فلقدِ اجترأتَ على أمرٍ عظيمٍ، وإنْ كنتَ تظنُّ أنه لا يراك، فلقد كفرت بربٍّ كريم.

١١٨٦ ـ ووعظ شبيبُ بنُ شيبةَ المنصورَ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إن اللَّهَ لم يجعل فوقَك أحداً، فلا تجعلْ فوقَ شكرِه شكراً.

١١٨٧ ـ ورُوِيَ عن الحسن أنه قال: إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوةُ صدَّقوا بها، فأفضى نبتُها إلى قلوبهم وأبدانِهم وأبصارِهم. كنتَ والله إذا رأيتَهم رأيتَ قوماً كأنهم رأوُا الأمرَ رأيَ عينٍ، والله ما كانوا أهلَ جدلٍ ولا باطلٍ، ولكن جاءهم عنِ اللَّهِ أمرٌ فصدَّقوا به، فنَعَتَهُمُ اللَّهُ في القرآن أحسنَ نعتٍ، فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

١١٨٨ ـ قال الحسن: الهَوْنُ في كلام العرب: اللِّينُ والسَّكينةُ والوَقار. قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، قال: حُلَماءُ لا يَجْهَلون، وإنْ جُهِلَ عليهم حَلُمُوا، يصاحبون عبادَ الله نهارَهم، ثم ذكرَ اللَّهُ ليلَهم خيرَ

ذكرٍ، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤]: ينتصبون لله على أقدامِهم، ويفرُشون وجوهَهم لربهم سُجَّداً، تجري دموعهُم على خدودهم، فَرَقَاً مِنْ ربهم. قال الحسنُ: لأمْرٍ ما سهروا.

١١٨٩ ـ قال عبد الواحد بن زيد: ذُكر لي أن في خراب الأُبُلَّة جارية مجنونة تنطق بالحكمة، فلم أزل أطلبُها حتى وجدتها جالسةً على حجر، فقالت: ما الذي جاء بك ههنا؟ قلت: جئت لتعظيني، قالت: واعجباه مِنْ واعظٍ يُوعَظ، ثم قالت: يا عبد الواحد، اعلم أن العبد إذا كان من دينه في كفايةٍ، ثم مال إلى الدنيا سلبه اللَّهُ حلاوةَ الطاعة، فيظلُّ حيرانَ والهاً، فإن كان له عند الله نصيبٌ في سابقِ علمِه، عاتبه يقول له: يا عبدي أردتُ أن أرفعَ قدرَك عند ملائكتي، وحَمَلَةِ عرشي، وأجعلَك إماماً لأوليائي، وأهلِ طاعتي في أرضي فملت إلى عَرَضِ الدنيا وتركتني، فورَّثتُك بذلك الوحشةَ بعد الأُنس، والذُّلَّ بعد العِزِّ، والفقرَ بعد الغنى. عبدي ارجِع إلى ما كنتَ عليه، أُرجع لك إلى ما كنت تعرفه من نفسك، قال: ثم تركَتْني وولَّت عني.

١١٩٠ ـ قال الأصمعي: بلغني أن بعض الحكماء كان يقول: إني لأعِظُكم وإني لكثيرُ الذنوب، مسرفٌ على نفسي، غيرُ حامدٍ لها، ولا حاملها على المكروه في طاعة الله تعالى، وقد بلوتُها فلم أجد لها شكراً في السَّرَّاءِ، ولا صبراً على الضَّرَّاءِ، ولو أن أحداً لا يَعِظُ أخاه حتى يُحكِمَ أمرَ نفسه لترك الأمر بالخير والنهي عن المنكر، ولكنْ محادثةُ الإخوان حياةُ القلوب، وجلاءُ النفوس، وتذكيرٌ من النسيان. فاعلموا أن الدنيا سرورُها أحزانٌ، وإقبالُها إدبارٌ، وآخرُ حياتِها الموت، فكم مِنْ مستقبلٍ يوماً لا يستكمله، ومنتظرٍ غداً لا يبلُغه.

١١٩١ ـ قال أبو وائل: كان عبد اللَّه[1] يُذكِّرُ الناسَ في كل خميسٍ، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لودِدْتُ أنك ذكرتنا في كلِّ يوم، قال:

---

(١) هو ابن مسعود ﷺ. والحديث رواه البخاري (٦٨و٧٠)، ومسلم (٢٨٢١).

أما إنه يمنعني من ذلك أني أكرهُ أن أُمِلَّكُم، وإني أتخوَّلُكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخوَّلُنا بها مخافة السآمة علينا.

١١٩٢ - وقال الحسن: ابنَ آدم، عِظِ الناسَ بعملِك، ولا تَعِظْهُم بقولِك.

١١٩٣ - وقال أبو حازم: إني لأعِظُ الناسَ وما أنا بموضعٍ للوعظِ، ولكن أريد به لنفسي.

١١٩٤ - ولعمر بن عبد العزيز قبل الخلافة:

انْهَ الفؤادَ عَنِ الصِّبى ... وعَنِ انقيادٍ للهَوى
فَلَعَمْرُو ربِّكَ إنَّ في ... شيب المفارق والخلا
لك واعظاً لو كنت تَتَّـ ... ـعِظُ اتِّعاظَ ذوي النُّهى
حتى متى لا ترعوي ... وإلى متى وإلى متى
ما بعدَ أنْ سُمِّيتَ كَهْلاً ... واستُلِبت اسمَ الفتى
بَلِيَ الشبابُ وأنت لو ... عُمِّرْتَ رَهْنٌ للْبِلى
فكفى بذلك زاجراً ... للمرءِ عن غيٍّ كفى

١١٩٥ - وقال الحسن لمطَرِّفٍ: عِظْ أصحابَك. قال: أخاف أن أقولَ ما لا أفعل، فقال: رحمك اللّه، وأيُّنا يفعل ما يقول! ودَّ الشيطان أنه ظَفِرَ منكم بهذه. لم يأمرْ أحدٌ بمعروف ولم ينْهَ عن منكر.

١١٩٦ - ولسليمان بن أبي شيخ:

وفي أربعينَ ترقَّيْتُها ... وعشرٍ مضت ليَ مُسْتَبصرُ
وموعظةٌ لامرئٍ حازمٍ ... إذا كان يسمع أو يبصرُ
فلا تأسَفَنَّ على ما مضى ... ولا يحزننَّك ما يدبرُ
أعوذ بربي مِنَ المخزياتِ ... في ما أُسِرُّ وما أَجْهَرُ

❋ ❋ ❋

٨٥ ـ ما جاء في القُصَّاص

١١٩٧ ـ قال عبد اللّه بن شَوذَب: كان بالبصرة قاصٌّ يجتمع إليه الناس، فخرج إليهم ذات يومٍ وهم مجتمعون، وقال: يا إخوة، أنا أقصُّ عليكم منذ عشرين سنة، فما انتفعتُ أنا بشيءٍ من ذلك، ولا أراكمُ انتفعتم، لا يراني الله بعد هذا المجلس أقصُّ أبداً، فترك القَصَصَ.

١١٩٨ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أنهم سألوه أن يجلس لهم، فقال: واللهِ ما أراكم أهلاً أن أحدِّثكم، ولا أرى نفسي أهلاً أن تسمعوا مني. وما مَثَلي ومَثَلُكم إلا كما قال القائل: افتُضِحُوا فاصطَلَحوا.

١١٩٩ ـ وقيل لحاتمِ الأصمِّ: ألا تجلسُ لنا في المسجد الجامع؟ فقال: لا يجلسُ في الجامع إلا جامعٌ أو جاهلٌ، وأنا لستُ بجامعٍ، وأكره أن أكون جاهلاً.

١٢٠٠ ـ ويروى عن بعض القُصَّاص أن ابن عباس أمره أن يفتتح أولَ مجلسه بالقرآن، ثم يأخذُ بالحلال والحرام، ثم يأخذ في أحاديثِ القرون، ثم يقول: اجتمعوا آخرَ المجلس بالاستغفار.

* * *

٨٦ ـ ما جاء في الأمراء والقضاة والعدل والجور

١٢٠١ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

١٢٠٢ ـ ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه؛ والرجلِ راعٍ على أهلِ بيته وهو مسؤولٌ عن رعيَّتِه، والمرأة راعيةٌ**

على أهل بيت زوجِها وولدِه وهي مسؤولةٌ عنهم، وعبدُ الرجلِ راعٍ على مالِ سيده»[١].

١٢٠٣ - وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **«إنكم ستحرِصُون على الإمارة، وستكون ندامَةً يومَ القيامة، فنعمَتِ المرضعةُ، وبئسَتِ الفاطمةُ»**[٢].

١٢٠٤ - وروى عبد الرحمن بن سَمُرَةَ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا عبدَالرحمن بن سَمُرَةَ، لا تسألِ الإمارَةَ، فإنك إن أُعطِيتَها عَن مسألةٍ وُكِلْتَ إليها، وإن أُعطِيتَها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها»**[٣].

١٢٠٥ - وروى أبو سلمة عن أبي سعيد الخدري، قال: **«ما بعث اللّهُ مِنْ نبيٍّ ولا استخلف مِنْ خليفةٍ إلا كانت له بطانتان: بطانةٌ تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه، وبطانةٌ تأمرُه بالشرِّ وتحضُّه عليه، والمعصومُ مَنْ عصمَه الله تعالى»**[٤].

١٢٠٦ - وعن الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال: لا والله ما كانت تُغْلَقُ دونَه الحُجُب، ولا يُغدا عليه بالجِفان، ولا يُراح عليه بها، ولكنه كان بارزاً، من أراد أن يلقى نبيَّ الله ﷺ لقيَه، وكان يجلس بالأرض ويُوضَعُ طعامُه بالأرض، ويلبَسُ الغليظَ، ويركبُ الحمارَ، ويُرْدِفُ عبده، ويلْعَقُ والله أصابعه ﷺ وكان يقول: **«مَنْ رغب عن سنَّتي فليس مني»**[٥].

قال الحسن: فما أكثرَ الراغبين عن سنَّته التاركين لها، عُلوجاً فُسَّاقاً، أكلَةَ رباً وغُلولٍ، قد سقَمَهُم ربي ومقتَهم، زعموا أنْ لا بأسَ عليهم فيما

(١) البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(٢) البخاري (٧١٤٨).
(٣) البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).
(٤) رواه البخاري (٦٦١١)، وهو حديث مرفوع.
(٥) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت، يتأوَّلون هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

١٢٠٧ ـ وقال المقدادُ بن الأسود: أقبلتُ أنا وصاحبان لي قد ذهبت أسماعُنا وأبصارُنا من الجَهْدِ، فجعلنا نعرِضُ أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ وليس منهم أحدٌ يقبلُنا، قال: فأتينا رسولَ الله ﷺ فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثُ أعنُزٍ. قال النبي ﷺ: «**احلُبوا هذا اللبن واقسِمُوه بيننا**». فكنا نفعل ونرفعُ للنبي ﷺ نصيبَه، فيجيئُنا النبي ﷺ فيسلمُ تسليماً يُسْمِعُ اليقظانَ، ولا يوقظُ النائمَ، ثم يأتي المسجدَ فيصلي، ثم يأتي شرابَه فيشربُه، فأتاني الشيطانُ ذاتَ ليلةٍ، فقال: محمد ﷺ يأتي الأنصارَ، فيُتْحِفونه، فأيَّةُ حاجةٍ به إلى هذه الجرُعةِ؟ فما زال بي حتى شربتُها، فبعد أن وصلتْ في بطني، وعرفتُ أنْ ليسَ إليها سبيل ندَّمني، وقال: ويحك! ما صنعت؟ يجيء محمد ﷺ فلا يجد شرابَه، فيدعو اللَّهَ عليك، فتهلِكَ في دنياك وأخراك، فجعل لا يجيء النومُ، وعليَّ شملةٌ إذا رفعتُها على رأسي خرجت قدماي، وإذا أرسلتُها على قدميَّ خرج رأسي. قال: ونام صاحباي ولم يصنعا ما صنعتُ، فجاء النبيُّ ﷺ ثم صلى كما كان يصلي، ثم أتى شرابَه فكشف فلم يجد شيئاً، فرفع رأسَه إلى السماء، قلت: الآن يدعو عليّ فأهلك، فقال: «**اللَّهُمَّ أطعِمْ من أطعمني، واسقِ من سقاني**»، فقمت إلى شملتي فشددتها حَقْويَّ[1]، ثم أخذتُ الشَّفرةَ فأتيت الأعنُزَ، فجعلت أحسُّهُنَّ أَيَّتهُنَّ أسمنُ لكيما أذبحَها للنبي ﷺ فضربت بيدي على إحداهن، فإذا هي حافِلٌ، وإذا بهنَّ حُفَّلٌ كلُّهن، فعمَدْتُ إلى إناءٍ لآلِ محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحلُبوا فيه، فحلبت فيه حتى علتْ رغوتُه، ثم أتيتُ النبيَّ ﷺ فقال: «**ما شربتم شرابكم الليلةَ**» ؟ قلت: يا نبيَّ اللَّهِ، اشرب فشرب ثم ناولني، فقلت: يا نبيَّ اللَّه، اشرب فشرب، ثم ناولني، فشربت بقيةَ الإناء،

(١) الحقو: الإزار أو هو الخصر.

قال: فلبَعْدُ أن عرفتُ أن النبيَّ ﷺ قد رويَ فأصبت دعوتَه، ضحكت حتى أُلقيتُ على الأرض، فقال النبي ﷺ: «**إحدى سوآتِك يا مقدادُ**». قلت: يا نبيَّ اللَّهِ، صنعتُ كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: «**ما كانت إلا رحمةً مِنَ الله. ألا كنت آذنتني فأيقظنا صاحبَيْنا فيُصيبان منها**»؟ قلت: والذي بعثك بالحق، ما أُبالي إذا أصبتَ وأصبتُ منها مَنْ أصابها من الناس[1].

١٢٠٨ ـ وقيل ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما لك تجوع وأنت على خزائنِ الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبعَ وأنسى الجائعَ.

١٢٠٩ ـ ولعتبة بنت عُفَيْفٍ، وهي أم حاتم الطائي:

لعمري لقِدْماً عَضَّني الجوعُ عَضَّةً فآليتُ ألاَّ أمنعَ الدَّهرَ جائعاً[2]

١٢١٠ ـ وروى عَبايَة بن رفاعة، قال: بلغ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أن سعداً اتخذَ قصراً، وجعل عليه باباً، وقال: انقطع الصُّوَيت. فأرسل عمرُ محمدَ بن مسلمَةَ، وكان عمرُ إذا أحبَّ أن يؤتى بالأمر كما هو بعثه. فقال له: ائتِ سعداً، فأحرِقْ عليه بابه، فقدِمَ الكوفة، فلما أتى الباب أخرج زَنْدَه[3]، واستورى ناراً ثم أحرق الباب، فأُتي سعدٌ، وأُخبِرَ ووصف له بصفته فعرفه، فخرج إليه سعدٌ، فقال له محمد: إنه قد بلغ أميرَ المؤمنين أنك قلت: انقطع الصُّويت، فحلف سعدٌ بالله ما قال ذلك، فقال له محمد: نفعل الذي أُمِرْنا به، ونؤدِّي عنك ما تقول. ثم ركب راحلتَه فلما كان ببطنِ الرِّمَّة أصابه من الخَمْصِ والجوع ما الله به أعلم، فأبصر غنماً فأرسل غلامَه بعمامته، فقال: اذهب فابتع منها شاة، فجاء الغلامُ بالشاةِ، وهو يصلِّي فأراد ذبحها، فأشار إليه أن يكفَّ، فلما قضى صلاته، قال: انظر فإن كانت

---

(١) مسلم (٢٠٥٥).

(٢) سيأتي برقم (١٤٦٨) مع بيتين آخرين.

(٣) الزند: العود الذي تقدح به النار.

مملوكة مسيمتُها، فاردُدِ الشاةَ وخذ العمامة، وإن كانت حرةً فاردد الشاة، فذهب فإذا هي مملوكةٌ، فردَّ الشاةَ، وأخذ العمامة، فأخذ بخِطام ناقتِه، وجعل لا يمرُّ ببقلةٍ إلا خطفَها، حتى آواه الليل إلى قوم فأتوه بخبزٍ ولبن، وقالوا: لو كان عندنا شيءٌ أفضلَ من هذا أتيناك به، فقال: بسم الله أكلٌ حلالٌ أذهب السَّغَب خيرٌ من مأكلِ السُّوء، حتى قدم المدينةَ، فبدأ بأهله فابترد من الماء. ثم راح فلما أبصره عمرُ، قال: لولا حسنُ الظَّنِّ بك ما رأينا أنك أدَّيْتَ. وذكروا أنه أسرع السَّيرَ، فقال: قد فعلتُ، وهو يعيد، ويحلف بالله ما قال. فقال عمر: فهل آمرُ لك بشيءٍ؟ فقال: قد رأيتُ مكاناً إن تأمر لي، فقال عمر: إنَّ أرضَ العراق أرضٌ رقيقةٌ، وإنَّ أهلَ المدينة يموتون حولي مِنَ الجوع، فخشيتُ أن آمرَ لك بشيءٍ تكونُ له باردُه وعليَّ الحارُّ[1].

١٢١١ ـ وقال عمر بن أبي عقرب: سمعت عتَّابَ بن أُسيدٍ يقول: والله ما أصبتُ في عملي الذي ولاني رسولُ الله ﷺ إلا ثوبين معقَّدين كسوتُهما مولاي كَيْسانَ.

١٢١٢ ـ وروى أسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه استعملَ مولىً له يُدعى هُنَيَّاً على الحِمَى، فقال له: يا هُنيُّ، اضْمُمْ جناحَك على المسلمين، واتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنَّ دعوةَ المظلوم مستجابَةٌ، وأدخِلْ رَبَّ الصُّريمةِ وربَّ الغُنَيْمَةِ، وإيايَّ ونَعَمَ ابنِ عوفٍ ونَعَمَ ابن عفان، فإنهما إن تهلِكْ ماشيتهُما يرجِعان إلى زرعٍ ونخلٍ، وإنَّ ربَّ الصُّريمَةَ وربَّ الغُنيمة إن تهلِك ماشيتهما يأتيني ببنيه فيقول: يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين. أفتارِكُهم أنا لا أبَ لك، فالماءُ والكلأُ أيسرُ عليَّ مِنَ الذَّهب والوَرِقِ. وايمُ اللَّه، إنهم ليروْنَ أني قد ظلمتُهم، إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية، وأسلموا

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٥١٣).

عليها في الإسلام. والذي نفسي بيده، لولا المالُ الذي أحمل عليه في سبيل الله تعالى ما حميتُ عليهم من بلادهم شبراً[١].

١٢١٣ - وقال الحسن: رأيتُ عثمانَ بنَ عفان وقد جمع الحصى في مسجد رسول الله ﷺ عند رأسه، وقد جمع إحدى جانبي ردائه عليه، وهو يومئذٍ أميرُ المدينة ما عنده أحدٌ من الناس، ودِرَّتُه بين يديه.

١٢١٤ - وقال الحسن: إنَّ عمرَ بينا يعُسُّ بالمدينة بالليل، أتى على امرأةٍ مِنَ الأنصار تحمِلُ قِربةً فسألها، فذكرت عيالاً وأن ليس لها خادمٌ، وأنها تخرج مِنَ الليل فتسقيهم مِنَ الماءِ، وتكره أن تخرُجَ بالنهار، فحمل عمر عنها القربةَ، حتى بلغ منْزلَها، وقال: أغدِي على عمرَ غدوةً يُخدِمُك خادماً. قالت: لا أصِلُ إليه. قال: إنك ستجدينه إن شاء الله تعالى، فغدت عليه، فإذا هي به، فعرفت أنه هو الذي حمل قِرْبتَها، فذهبت تولِّي، فأرسل في إثرها، وأمر لها بخادمٍ ونفقةٍ.

١٢١٥ - وقال معاويةُ لصَعْصَعَةَ بنِ صُوحان: صِفْ لي عمرَ بن الخطاب، فقال: كان عالماً برعيَّته، عادلاً في قضيَّته، عارياً من الكِبْرِ، قبولاً للعذر، سهلَ الحجابِ، يصونُ البابَ، متحرياً للصوابِ، رفيقاً بالضعيفِ، غيرَ محابٍ للقريب، ولا جافٍ للغريبِ.

١٢١٦ - وكتب عاملٌ من عمَّال حمصَ إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإنَّ مدينةَ حمص قد تهدَّمت، واحتاجت إلى الإصلاحِ. فكتب إليه عمرُ: حصِّنها بالعدل، ونقِّ طُرُقَها من الجَوْر. والسلام.

١٢١٧ - ورُوِيَ عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه ذكر الملوك، فقال: إن الملِكَ إذا ملَكَ زهَّده الله في ماله، ورغَّبه في مالِ غيره، وأُشْرِبَ قلبُه الإشفاقَ، فهو يسخَطُ على الكثير، ويحسُد على القليل، جَذْلُ الظاهر،

---

(١) البخاري (٣٠٥٩).

حزينُ الباطنِ، حتى إذا وجبت نفسُه، ونصب عمره، وضَحَى ظلُّه، حاسبه اللَّه، فأشدَّ حسابَه، وأقلَّ عفوَه.

١٢١٨ ـ وقال حذيفةُ: مِنَ اقترابِ الساعة أن يكون أمراءُ فَجَرَةٌ، ووزراءُ كَذَبَةٌ، وأمناءُ خَونَةٌ، وعلماءُ فسقةٌ، وعُرفاءُ ظَلمةٌ.

١٢١٩ ـ وقال عُبيد بن عُمير: ما ازداد رجلٌ مِنَ السلطان قرباً، إلا ازداد مِنَ الله بعداً، ولا كثُرَ أتباعُه، إلا كثرُ شياطينُه، ولا كثُرَ مالُه إلا كثر حسابُه.

١٢٢٠ ـ وقال قَبيصَةُ بن ذُؤيبٍ: دعا عمرُ بن الخطاب عبدَ اللَّه بن سعدي، وكان على أهل حمص، فقال: علامَ يحبُّكَ أهلُ الشام؟ قال: إني أحبُّهم فأحبُّوني. فقال: ما مالُك اليوم؟ قال: عبدي وقوسي ونعلي وخادَمي. قال: فماذا تلبَسُ في الشتاء؟ قال: عِصابةً أشُدُّ بها رأسي، وجُبَّة كساءٍ، قال: فما تلبَسُ في الصيف؟ قال: قميصاً وريطةً[1]. فأعطاه عمرُ ألفَ دينار، فقال عمر: خذها واستنفِقْ منها، وأعطِ منها، فقال: لا إرَبَ لي فيها، وستجدُ مَنْ هو أحوجُ إليها مني، فقال: خذها، فإنَّ رسول الله ﷺ دفع إليَّ مالاً، ولكنه دونُ الذي أعطيتُك، فقلتُ له كما قلتَ لي، فقال: «**يا عمر، ما أتاك مِنْ هذا المالِ عطاءَ مِنْ غيرِ أن تَعَرَّضَ له، أو تُشْرِف له نفسُك فاقبله**»[2]. فأخذه فانطلق به إلى امرأته فقال لها: أترين رجلاً له هذا مِنْ فقراء المهاجرين هو أم مِنَ الأغنياء؟ فقالت: بلى مِنَ الأغنياء. فقسمها حتى بقيَتْ منها صُرَّةٌ، أظنُّ فيها ثلاثين أو نحو ذلك، فقالت له امرأته: أليس لي أنا حقٌّ؟ فأعطاها إياها.

١٢٢١ ـ وقال مالك الدار: إنَّ عمر بن الخطاب ﷺ أخذ أربعمئة

(١) الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة.

(٢) انظر: البخاري (٧١٦٣)، ومسلم (١٠٤٥).

دينار، فصرَّها صُرَّةً، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجرَّاح، ثم تَلَهَّ[1] ساعةً في البيت حتى تنظر ما يصنعُ. فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أميرُ المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. قال: وصَلَهُ اللَّهُ ورحمه، ثم قال: تعاليْ يا جارية، اذهبي بهذه السبعةِ إلى فلان، وهذه الخمسةِ إلى فلان، حتى أنفدَها، ورجعَ الغلامُ إلى عمرَ فأخبره، ووجده قد أعدَّ مثلَها لمعاذِ بن جبلٍ، فقال: اذهب بهذه إلى معاذِ بن جبلٍ، وتَلَهَّ في البيت حتى تنظُرَ ما يصنعُ. فذهب بها إليه، فقال له: إن أمير المؤمنين يقول لك: اجعلْ هذه في بعضِ حاجتِك، فقال: رحمه الله ووصَلَه، تعاليْ يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، وإلى بيت فلان بكذا. فقالت امرأةُ معاذ: ونحن واللَّهِ مساكينُ، فأعطِنا، ولم يبقَ في الخرقة إلا ديناران، فرمى بهما إليها. فرجع الغلام، فأخبر بذلك عمرَ، وقال: إنهم إخوة بعضُهم مِنْ بعضٍ[2].

١٢٢٢ - ورُوِيَ أن عمرَ استعمل على حمص رجلاً يقال له: عُمير بن سعد، فلما مضتِ السنةُ، كتب إليه أن يقدَمَ، فلم يشعُرْ به عمرُ أن قدِمَ ماشياً حافياً، عُكَّازته وإداوتُه ومِزْوَدُهُ وقَصْعَتُه على ظهره، فلما نظر إليه عمر، قال: يا عُمير، أجَبَيْت أم البلادُ بلاد سوء؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّما نهاك الله تعالى أن تجهَرَ بالسوء مِنْ سوءِ الظنِّ، وما ترى بي من سوء الحالِ، وقد جئتُك بالدنيا أجرُّها بقُرَابها. قال: وما معك من الدنيا؟ قال: عُكازَةٌ أتوكَّأ عليها، وأدفع بها عدواً إن لقيتُه، ومِزْودي أحمِلُ فيه طعامي، وإداوتي هذه أحمِلُ فيها ماءً لشُربي وصلاتي، وقَصْعتي هذه أتوضَّأ فيها، وأغسل فيها رأسي، وآكلُ فيها طعامي. فوالله يا أميرَ المؤمنين، ما الدنيا بعد

(١) تلَهَّ: أي تشاغل.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٠٩)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير ٣٣/٢٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٣٧/١.

لابتغاءٍ لما معي[1]. قال: فقام عمر من مجلسه إلى قبر رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ، فبكى، ثم قال: اللَّهُمَّ ألحِقني بصاحبيَّ غير مفتضَحٍ ولا مبدِّلٍ، ثم عاد إلى مجلسه، فقال: ما صنعتَ في عملك يا عُميرُ؟ فقال: أخذتُ الرِّقَةَ[2] من أهل الرِّقَةِ، والإبلَ من أهل الإبلِ، وأخذتُ الجزيةَ مِنْ أهل الذِّمةِ عن يدٍ وهم صاغرون، ثم قسمتُها بين الفقراء والمساكين وأبناءِ السبيل. فوالله يا أميرَ المؤمنين، لو بقيَ عندي منها شيءٌ، أو فَضَل عندي منها شيءٌ أتيتُك به. فقال له: عُد إلى عملك، فقال له عُمير: أنشدُك اللَّهَ أن تردَّني إلى عملي ولم أسلَمْ منه حتى قلت لذمِّيٍّ: أخزاه اللَّه، ولقد خشيتُ أن يخصِمني له محمد ﷺ وقد سمعته يقول: «**أنا حجيج المظلوم، فمن حاججتُه حجَجْتُه**»[3]، ولكن ائذن لي أن آتيَ أهلي، فأذن له فأتى أهلَه، فبعث عمرُ رجلاً يقال له: حُبيب بمئةِ دينارٍ، فقال: ائتِ عُميراً، فانزل عليه ثلاثاً، فإن يَكُ خائناً لم يخْفَ عليك، ولك في عيشِه وحالِ أهل بيته، وإن لم يكُ خائناً، لم يخف عليك، فادفع إليه المئة. قال: فأتاه حُبيبٌ، فنَزل به ثلاثاً، فلم يرَ له عيشاً إلا الشعيرَ والزيتَ، فلما مضت ثلاثةٌ، قال: يا حُبيبُ، إن تُرِدْ أن تحوَّلَ إلى جيراننا، فلعلَّ أن يكونوا لك أوسع عيشاً منا،

---

(١) كذا في الأصل، وفي حلية الأولياء: «ما الدنيا إلا تبع لمتاعي».

(٢) الرقة: الدراهم المضروبة.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ من هذه الطريق. وأخرج أبو داود في السنن برقم (٣٠٥٢) عن صفوان بن سُليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا من ظلم معاهَداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة**» وإسناد هذا الحديث فيه مجاهيل، قال السخاوي في المقاصد الحسنة: وسنده لا بأس به ولا يضر جهالة من لم يُسَمَّ من أبناء الصحابة؛ فإنهم عدد منجبر به جهالتُهم، ولذا سكت عليه أبو داود وهو عند البيهقي في سننه من هذا الوجه وقال عن ثلاثين من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم. ثم قال السخاوي: له شواهد بينتها في جزء أفردته لهذا الحديث منها عن عمير بن سعد رفعه: «**أنا خصمٌ يوم القيامة لليتيم والمعاهد، ومن خاصمه أخصمه**».

أما نحنُ والله، فلو كان عندنا غيرُ هذا لآثرناك به. قال: فأخرجَ عند ذلك المئةَ، فقال: هذه بعث بها إليك أميرُ المؤمنين، فدعا بخِرَقٍ خَلَقٍ لامرأته، فصرَّها الخمسةَ والستةَ والسبعةَ، ثم قسمها. قال: فقدم حُبيبٌ على عمرَ، فقال: يا أمير المؤمنين، جئتك من عندِ أزهدِ الناس، ما عنده من الدنيا قليلٌ ولا كثيرٌ. قال: فبعث إليه عمر، فقال: ما صنعتَ في المئةِ يا عُمير؟ قال: لا تسألني عنها. قال: لَتُخْبِرَنِّي. قال: قسمتُها بيني وبين إخواننا من المهاجرين والأنصار. قال: فأمر له عمر بوسْقَيْنِ[1] طعاماً وثوبين. قال: يا أمير المؤمنين، أما الثوبان فأقبَلُ، وأما الوسقانِ، فلا حاجةَ لي بهما، عند أهلي صاعٌ مِنْ بُرٍّ هو كافيهم حتى أرجِعَ إليهم[2].

١٢٢٣ ـ وقال أنس بن مالك: غلا الطعام على عهدِ عمرَ بن الخطاب، فأكل عمرُ الشعيرَ، وكان قبل ذلك لا يأكلُه، فاستكره بطنه فصوَّت، فضرب بيده، وقال: هو والله ما ترى حتى يوسِّعَ الله على المسلمين.

١٢٢٤ ـ وقال عطاء بن السائب: استعملَ عمرُ بن الخطاب السائبَ بن الأقرعِ على المدائن، فدخل إيواناً من إيوان كسرى، فإذا صنمٌ يشير بإصبعه إلى الأرض، قد عقد أربعين، فقال: واللهِ ما يشير هذا إلى الأرض إلا وثَمَّ شيء، فاحتفروا فاستخرجوا سَفَطاً فيه جوهرٌ، فكتب إلى عمر بن الخطاب: أما بعد، فإني دخلت إيواناً فرأيت كذا وكذا، فاحتفرتُ فاستخرجت سَفَطاً فيه جوهر، فلم أجد أحداً أحقَّ به منك يا أميرَ المؤمنين، لم يكن مِنْ فَيْءِ المسلمين فأقسِمه بينهم، إنما هو أصبنا شيئاً تحت الأرض. فلما قَدِمَ على عمرَ السفطُ وعليه خاتَمُ السائب، فرأى عمر فيما يرى النائم كأن ناراً قد أُجِّجَت وهو يُرادُ أن يُلقى فيها، فكتب إلى السائب: أن اقدم عليَّ. قال: فقدمت عليه، وهو يطوف في إبل الصدقة، فطفت معه إلى نصف النهار،

---

(١) الوسق: ستون صاعاً.

(٢) حلية الأولياء ٢٤٧/١ ـ ٢٥٠.

قال السائب: فدعا عمرُ بماءٍ فاغتسل، ودعا لي بماء فاغتسلت، فذهب إلى منْزله فأُتِيَ بلحم غليظ، وبخبزٍ متخشِّن، ثم قال: انظر من على الباب، فإذا سُودانٌ من الصُّفَّة، فأذن لهم، فجعل يأكل معهم، فإذا لحمٌ غليظ، فجعلت لا أستطيع أن أُسيغَه، وقد كنت تعودت دَرْمَك أصبهان[1] إذا وضعته في فِيّ دخل في بطني. ثمَّ قال: إذا صليت الظهر فاحضر، قال: فحضرت، فدعا بالسَّفَطِ، فقال: أتعرف خاتمك؟ قلت: نعم، قال: كتبت إليَّ تُرقِّق لي، تزعُم إني أحق به. من أين أصبته؟ فأخبرته. قال: اذهب فاجعله في بيت مال المسلمين حتى أقْسِمَه بينهم.

١٢٢٥ ـ وقال إبراهيم النَّخَعي: إن عمر بن الخطاب بعث مصدِّقين[2]، فأبطؤوا عليه، وبالناس حاجةٌ شديدةٌ، فجاؤوا بالصدقات، فقام فيها متزراً بعباءة تختلف في أولها وآخرها: هذه لآل فلان، وهذه لآل فلان، حتى انتصف النهار وجاع، فدخل بيته حتى إذا أمكن أكْلُه أكَلَه، ثم قال: من أدخله بطنُه النارَ، فأبعدَه اللَّهُ.

١٢٢٦ ـ وعن قتادة قال: قدم عمرُ الشامَ، فصُنِعَ له طعامٌ لم يَرَ قبلَه مثلَه، فقال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال خالد بن الوليد: لهمُ الجنةُ. فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظُّنا في هذا الحطام، وذهبوا بالجنةِ، لقد باينونا بوْناً بعيداً.

١٢٢٧ ـ وقال عبد اللَّه بن عمر العمري: إن عمر بن الخطاب حين قدم الشام، قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منْزلك. قال: ما تريد إلا أن تعصِرَ عينَك عليَّ. فدخل منْزله، فلم يرَ شيئاً، فقال عمر: أين متاعُك؟ لا أرى إلا لِبْداً وشناً وصحفةً[3]، وأنت أمير! أعندك طعامٌ؟ فقام أبو عبيدة إلى

---

(١) الدرمك: الدقيق الأبيض الناعم.

(٢) المصدق: هو جابي الصدقات.

(٣) اللبد: الشعر أو الصوف المتلبد. والشن: القربة البالية الصغيرة. والصحفة: الإناء.

جُونةٍ[١]، فأخذ منها كسرات، فبكى عمر. فقال أبو عبيدة: قد قلت لك: إنك تعصرُ عينَك عليَّ يا أمير المؤمنين، يكفيك من الدنيا ما بلَّغك المقيل. فقال عمر: غرتنا الدنيا غيرك يا أبا عبيدة.

١٢٢٨ ـ وقال أبو عثمانَ النَّهدي: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب ﷺ يطوف حول البيت، وعليه إزارٌ فيه ثنتا عشرة رقعةً، إحداهن بأدَمٍ أحمرَ.

١٢٢٩ ـ وقال سعيد بن جبير: إن علياً ﷺ قدم الكوفةَ وهو خليفةٌ، وعليه إزاران قَطَويَّانِ[٢]، قد رقع إزاره بخرقة ليست بقَطَوِيَّةٍ من ورائه. فجاء أعرابي ينظر إلى تلك الخرقة، فخالفه فقال: يا أمير المؤمنين، كلْ من هذا الطعام، والبَس واركب، فإنك ميت أو مقتول. قال: إن هذا خيرٌ لي في صلاتي، وأصلَحُ لقلبي، وأشبه بسنة الصالحين قبلي، وأجدرُ أن يقتدي بي من أتى بعدي.

١٢٣٠ ـ وقال طاووس: أجدبَ الناسُ على عهد عمرَ ﷺ، فما أكل سمناً ولا سميناً حتى أكل الناس.

١٢٣١ ـ وقال الحسن: قدِم على أمير المؤمنين عمرَ وفدٌ من أهل البصرة مع أبي موسى الأشعري، قال: فكنا ندخلُ عليه وله كل يومٍ خبز ثلاث، فربما وافقناها مأدومةً بسمن، وأحياناً بزيت، وأحياناً باللبن، وربما وافقنا القدائدَ[٣] اليابسةَ قد دُقَّتْ ثم أغليت بماءٍ، وربما وافقنا اللحمَ الغَريضَ[٤] وهو قليل، فقال لنا يوماً: إني أرى واللهِ تعذيرَكم[٥] وكراهيتَكم لطعامي، وإني لو شئت لكنت أطيبَكم طعاماً وأرقَّكم عيشاً. أما والله ما

---

(١) الجونة: سلة صغيرة مغطاة بالجلد.

(٢) القطوي: نوع من الأكسية ينسب إلى قطوان، موضع بالكوفة.

(٣) القدائد: اللحم المقدد، أي المجفف.

(٤) الغريض: الطري.

(٥) التعذير: أن يقصر الرجل وهو يُري صاحبه أنه مجتهد.

أجهلُ عن كراكر[1] وأسنمة، وعن صِلاءٍ وصِنابٍ وصَلائقَ. قال جرير: والصِّلا: الشِّواء، والصِّناب: الخردل، والصَّلائق: الخبز الرُّقاق. ولكن سمعت اللَّهَ عيَّر قوماً بأمرٍ فعلوه، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠]. قال: فكلَّمْنا أبا موسى، فقال: لو كلمتم أميرَ المؤمنين يفرض لكم من بيت المال طعاماً تأكلونه. قال: فكلمناه، فقال: يا معشر الأمراء، هل ترضَوْن لأنفسكم ما أرضاه لنفسي؟ قال: فقلنا: يا أمير المؤمنين، إن المدينة أرضٌ العيشُ بها شديدٌ، ولا نرى طعامَك يغنينا، ولا طعامك يُؤكلُ. قال: فنكَّس ساعةً، ثم رفع رأسه، فقال: قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريبين، فإذا كان بالغداة، فضع إحدى الشاتين على الجريبين، وكل أنت وأصحابُك، ثم ادْعُ بشراب، ثم اسقِ الذي عن يمينك، ثم اسقِ الذي عن شمالك، ثم قم لحاجتك. وإذا كان المساء، فضع الشاة الغابرة على الجريب الآخر، فكلْ أنت وأصحابُك. ألا وأشبِعوا الناسَ في بيوتهم، وأطعِموا عيالهم. والله ما أظنُّ رُستاقاً يُؤكلُ منه كلَّ يومٍ شاتانِ وجريبان إلا يُسرعان في خرابه.

١٢٣٢ ـ وقال عاصم بن بهدلةَ: كان عمر بن الخطاب إذا استعمل العامل اشترط عليه ألاّ يركبَ بِرْذَوْناً، ولا يلبَسَ رقيقاً، ولا يأكلَ نقيّاً، ولا يُغلقَ باباً عن حوائجِ الناس وما يُصلِحُهم، وإني لا أستعملك على أبشارِهم ولا أعراضِهم، ولا أعمالِهم، وإنما أستعملك لتصليَ بهم، وتقضيَ بينهم، وتقسم بينهم فَيْئَهم بالعدل.

١٢٣٣ ـ وقال سعيد بن المسيب: كان عمر بن الخطاب يأتي العيالَ يسلم على أبوابهنَّ، ويقول: ألكنَّ حاجةٌ؟ وأيتُكنَّ تريد أن تشتريَ شيئاً؟ فيرسلْنَ معه بحوائجهن، ومَنْ ليس عندها شيءٌ اشتراه من عنده، وإذا قدم

(١) الكراكر: جمع كِرْكِرة، وهي زور البعير.

الرسولُ من بعض الثغورِ يتتبَّعهنَّ بنفسه في منازلهنَّ بكُتب أزواجِهن، ويقول: إن أزواجكنَّ في سبيل الله تعالى، وأنتُنَّ في بلدِ رسولِ الله ﷺ إن كان عندكنَّ من يقرأ، وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأَ لكنَّ، ثم يقول: الرسولُ يخرج يوم كذا وكذا، فاكتُبنَ حتى نبعثَ بكتُبكنَّ، ثم يدور عليهن بالقراطيس والدَّواة، يقول: هذه دواةٌ وقرطاسٌ، فادنون من الباب حتى أكتب لكن، ويمر بالمُغِيبات[1] فيأخذ كتبهنَّ، فيبعث بها إلى أزواجهنَّ.

١٢٣٤ ـ وقال الربيع بن زياد الحارثي: كنت غلاماً لأبي موسى الأشعري على البحرين، فكتب عمر بن الخطاب ﷺ يأمره بالقدوم عليه هو وعماله، وأن يستخلفوا جميعاً، فلما قدمنا المدينة، أتيت يَرْفَأَ[2]، فقلت: يا يَرْفَأُ، مسترشدٌ وابنُ سبيل، أيُّ الهيئاتِ أحبُّ إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمَّاله؟ فأومأ إليَّ: الخشونة. فاتخذت خُفَّين مُطارَقَينِ[3]، ولبستُ جُبَّةَ صوف، ولففت عمامتي على رأسي، فدخلنا على عمر، فصفَّنا بين يديه، فصعَّد فينا وصوَّب، فلم تأخذْ عينُه غيري، فدعاني فقال: من أنت؟ قلت: الربيعُ بن زياد الحارثي. قال: وما تتولى من أعمالنا؟ قلت: البحرين. قال: كم ترتزق؟ قلت: ألفاً. قال: كثيرٌ. فما تصنع؟ قلت: أتقوَّتُ منها شيئاً وأعود على أقاربَ لي، فما فَضَل عنهم فعلى فقراء المسلمين. قال: فلا بأس، ارجِع إلى موضعك، فرجعت إلى موضعي من الصفِّ، فصعَّد فينا وصوَّب، فلم تقع عينه إلا عليَّ، فدعاني فقال لي: كم سنُّك؟ قلت: خمس وأربعون سنةً، فقال: الآن حين استحكمَتْ سنُّك. ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثو عهدٍ بلين العيش، وقد تجوَّعْتُ له، فأُتِيَ بخبزٍ وأعضاءِ بعير، فجعل أصحابي يعافون ذلك، وجعلت آكلُ، وجعلت أنظر إليه

(١) المغيبات: هن من غاب عنهن أزواجهن في الغزو والجهاد.
(٢) يرفأ: هو مولى عمر بن الخطاب ﷺ.
(٣) مطارقان: أي مطبقين واحداً فوق الآخر.

يلحظُني من بينهم، ثم سبقتْ مني كلمةٌ، تمنيت أني سِخت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك، فلو عمدتَ إلى طعامٍ ألينَ من هذا، فزجرني ثم قال: كيف قلت؟ فقلت: أقول: يا أميرَ المؤمنين، أن تنظر إلى قوتِك من الطحين، فيُخبزُ لك قبل إرادتك إياه بيوم، ويُطبخُ لك اللحمُ كذلك، فيؤتى بالخبز ليناً واللحم غريضاً، فسكن غَرْبُه[1]، ثم قال: ههنا غُرتَ[2]، قلت: نعم، قال: يا ربيع، إنا لو شئنا لملأنا هذه الرحاب من صلائقَ وسبائكَ وصِنابٍ، ولكن رأيتُ الله عز وجل عابَ على قومٍ شهواتِهم، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] ثم أمر أبا موسى بإقراري على عملي، وأن يستبدلَ بأصحابي.

١٢٣٥ ـ وكتب عمرُ بن الخطاب إلى عَمرو بن العاص وهو على مصر: كنْ لرعيتك كما تحبُّ أن يكونَ لك أميرُك.

١٢٣٦ ـ وكان لعمرَ بنِ عبد العزيز سفينةٌ يُحمَلُ فيها الطعامُ من مصرَ إلى المدينة، فقال له محمد بن كعب القرظيُّ: قال بعض الحكماء: أيُّما والٍ تَجَرَ في رعيتِه هَلَكَتْ رعيتُه، فتصدق بالسفينةِ.

١٢٣٧ ـ وقال محمد بن كعبٍ لعمرَ بن عبد العزيز: لا تتخذنَّ وزيراً إلا عالماً، ولا أميناً إلا بالجميلِ معروفاً، وبالمعروفِ موصوفاً، فإنهم شركاؤك في أمانتك، فإن صلُحوا أصلحوا، وإن فسَدوا أفسدوا.

١٢٣٨ ـ وسأل عمرُ بن عبد العزيز وافداً عن حال الناس، فقال: تركتُ غنيَّهم موفوراً، وفقيرَهم مجبوراً، وظالمهم مقهوراً، ومظلومَهم منصوراً. فقال عمرُ: الحمد لله، لو لم تتمَّ خَصلةٌ من هذه الخصال إلا بعضوٍ من أعضائي لكان يسيراً.

---

(١) الغرب: الحدَّة.

(٢) غُرت: يريد: إليه ذهبت، من قولك: غار الرجل: إذا أتى غوراً، وأنجد: إذا أتى نجداً.

١٢٣٩ ـ ورُوِيَ عن مالك بن دينار قال: وجدتُ في بعض الكتب: يقول الله عز وجل: إني أنا اللَّهُ مالك الملوك، قلوبُ الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتُهم عليه رحمةً، ومن عصاني جعلتهم عليه نِقمةً، لا تَشغَلوا أنفسَكم بسبِّ الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم.

١٢٤٠ ـ ووقَّع المأمون في قُصَّةِ مُتظَلِّمٍ من عمرو بن مسعدة: يا عَمرو، اعمُر نعمتَك بالعدلِ، فإنَّ الجَوْر يَهدِمُها.

١٢٤١ ـ وكتب يحيى بنُ يحيى الغساني من الموصل إلى أمير المؤمنين: قد كثُر الشرُّ، أفآخذُ الناس بالظِّنَّةِ أو البيِّنةِ؟ قال: خذهم بالبيِّنةِ، فإنْ لم يُصلحهمُ الحقُّ فلا أصلحهم اللَّه. ففعل ذلك، فعادت أصلحَ البلاد.

١٢٤٢ ـ ودخل طاووس على سليمان يوماً، وهو إذ ذاك خليفةٌ، فقال: هل تدري يا أميرَ المؤمنين من أشدُّ الناسِ عذاباً يوم القيامة؟ فقال له سليمان: قل. فقال طاووس: أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة مَنْ أشركَه اللَّهُ في ملكه، فجار في حُكمهِ، فاستلقى سليمانُ عن سريره وهو يبكي، فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه.

١٢٤٣ ـ وقال وهبُ بن مُنبِّهٍ: إذا همَّ الوالي بالجَوْر أو عمل به أدخلَ اللَّهُ النقصَ في أهل مملكته، حتى في الأسواق والزرع والضَّرع وكلِّ شيءٍ. وإذا همَّ بالخيرِ والعدل وعَمِلَ به، أدخل اللَّهُ البركةَ في أهل مملكته كذلك.

١٢٤٤ ـ وذُكر السلطانُ لأعرابيٍّ، فقال: واللهِ لئِنْ عَزُّوا في الدنيا بالجَوْرِ، لقد ذلُّوا في الآخرة بالعدلِ، وبقليلٍ فانٍ رَضُوا من كثيرٍ باقٍ، وإنما يكون العدمُ حيث لا ينفع الندمُ.

١٢٤٥ ـ وقال عمرو بن العاصي: أسدٌ حَطومٌ خيرٌ مِنْ سلطانٍ ظَلومٍ، وسلطانٌ ظَلوم غَشومٌ خيرٌ مِنْ فتنةٍ تدوم.

١٢٤٦ ـ وقال فُضيلٌ: جَوْرُ ستين عاماً خيرٌ مِنْ هرْجِ ساعةٍ واحدةٍ.

١٢٤٧ ـ وكتب أخ لمحمد بن يوسف يشكو جَوْرَ العمَّالِ. فكتب إليه محمد بن يوسف: بلغني كتابُك تذكرُ ما أنتم فيه، وليس ينبغي لِمَنْ يعملُ بالمعصية أن يُنكرَ العقوبةَ، وما أرى ما أنتم فيه إلا مِنْ شُؤمِ الذنوبِ، والسلام.

١٢٤٨ ـ وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: العلمُ لواحدٍ من ثلاثة: لذي حسبٍ يزينه به، أو لذي دينٍ يَسوسُ به دينَه، أو لمن يختلطُ بالسلطانِ فيُتحفُه بعلمه، وينفعُه به. ولا أعلمُ أحداً أجمعَ لهذه الخصال مِنْ عروةَ بنِ الزبير وعمرَ بن عبد العزيز، فكلاهما جَمَعَ الحَسَبَ والدين ومُخالطةَ السلاطين.

١٢٤٩ ـ وقال عبد المتعالي بن صالح، مِنْ أصحابِ مالكٍ، لمالك: إنَّا لَندخلُ على السلطان وهم يجورون ويظلِمون، فقال: يرحمُك اللّه، فأين الكلامُ بالحقِّ؟.

١٢٥٠ ـ ولعبد اللّه بن المبارك:

إنَّ الجماعةَ حبلُ اللَّهِ فاعتصِموا ... منه بعُرْوَتِهِ الوُثقى لِمَنْ دانا
واللهُ يدفَعُ بالسُّلطانِ مُعْضِلَةً ... عَنْ ديننا رحمةً منه ودُنْيانا
لولا الخلائفُ لم تأمَنْ لنا سُبُلٌ ... وكان أضعَفُنا نهباً لأقوانا

١٢٥١ ـ ورُوِيَ عن ابن عباس، قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصنٍ، فنَزل على ابن أخيه الحُرِّ بن قيسٍ، وكان مِنْ أهلِ النَّفرِ الذين يُدنيهم عمرُ، وكان القُرَّاءُ أصحابُ مجالسِ عمرَ ومشاورتِه كهولاً أو شُبَّاناً. فقال عُيينةُ لابن أخيه: يا ابنَ أخي، لك وجهٌ عند هذا الرجلِ، فاستَأْذِنْ لي عليه. قال ابنُ عباس: فاستأذنَ الحُرُّ لعُيينةَ بنِ حِصْنٍ، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هِيْ يا ابنَ الخطاب، فوالله ما تعطينا الجَزْلَ، ولا تَحكمُ فينا بالعدل. فغضب

عمرُ حتى همَّ أن يُوقِعَ به، فقال له الحُرُّ: يا أميرَ المؤمنين، إن اللّهَ عز وجل قال لنبيِّه عليه السلام: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإنَّ هذا مِنَ الجاهلين، والله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقَّافاً عند كتاب الله تعالى[(١)].

١٢٥٢ ـ وقال مالكٌ: أُنبِئتُ أنَّ عمرَ بن الخطاب نزل يوماً بطريق مكةَ تحت شجرةٍ، فلما اشتدتِ الشمسُ خرج يطرح عليها ثوباً يستظلُّ به. فناداه رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين، هل لك في رجل دَثَرَتْ حاجتُه وطال انتظارُه؟ فقال عمرُ: مَنْ دَثَرَها؟ قال: أنت. فما زالتِ المراجعةُ والقولُ حتى ضربَه بالمِخفَقَة، فأخذ الرجلُ بثوبِ عمرَ، وقال: عَجِلْتَ عليَّ قبل أن تنظُرَ؛ فإنْ كنتُ مظلوماً أنصفتَني، وإنْ كنت ظالماً رددتني إلى الحقِّ. فقال عمر: صدقت. فأخذ عمرُ بثوبِ الرجلِ، ثم أعطاه الدرة، فقال: اسْتَقِدْ، فقال الرجلُ: ما أنا بفاعل، فقال عمرُ: واللّهِ لتفعلنَّ، أو لتفعلنَّ كما يفعلُ مَنْ أنصفَ مِنْ حقِّه. فقال الرجل: فإني أعفو، فقال عمر لرجلٍ معه: أنصفتُ مِنْ نفسي قبلَ أن يُنصف مني وأنا كاره. فلو كنتَ في الأراك[(٢)] لسمعتَ خنينَ عمرَ بن الخطاب.

١٢٥٣ ـ قال مالك: وبلغني أن عَمرَ بنَ الخطاب ضرب رجلاً بالدِّرَّةِ، ثم قال عمر للرجل: استغفِرْ لي، فقال الرجل: بل أنت فاستغفِرْ لي فأنا ظالِمٌ، فقال عمر: أوَلا علمَ لك بنَزوات الإمارة والملك؟.

١٢٥٤ ـ وقال أيوبُ: وجدتُ أعلمَ الناسِ بالقضاءِ أشدَّهم هرباً منه.

١٢٥٥ ـ وقيل للثوري: إن شريكاً استُقْضِيَ، فقال: أيَّ رجلٍ أفسدوا.

١٢٥٦ ـ وقال محمد بن واسعٍ: أولُ مَنْ يُدعى يومَ القيامةِ للحسابِ القضاةُ.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤٢ و٧٢٨٦). وسيكرره المصنف برقم (١٦٢٣).
(٢) الأراك: موضع بمكة.

١٢٥٧ ـ وقيل لإسماعيلَ بنِ إسحاقَ القاضي: ألا ألَّفتَ كتاباً في آداب القضاة؟ قال: هل للقاضي أدبٌ غيرُ أدبِ الإسلام؟ ثم قال: إذا قضى القاضي بالحقِّ، فليقعُدْ في مجلسه كيف شاء، ويَمُدُّ رجليه إن شاء.

١٢٥٨ ـ وقال عمر بن عبد العزيز: إذا كان في القاضي خمسُ خصالٍ فقد كمل: علمُ ما كان قبل، ونزاهةٌ عنِ الطمعِ، وحِلمٌ عندَ الخصم، واقتداءٌ بالأئمة، ومَشورةُ أهلِ الرأيِ.

١٢٥٩ ـ وقال الفُضيلُ بنُ عِياضٍ: «مَنْ ولِيَ القضاءَ فقد ذُبح بغير سكين»[1]، وينبغي للقاضي أن يكون يوماً في القضاء ويوماً في البكاء، فإن له موقفاً بين يدي الله تعالى.

١٢٦٠ ـ وأنشدوا:

إذا جارَ الأميرُ وكاتباهُ ... وقاضي الأرضِ داهَنَ في القضاءِ
فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ ... لقاضي الأرضِ مِنْ قاضي السَّماءِ

١٢٦١ ـ ويُروى أن عُمر بن الخطاب ﷺ قال لشُرَيحٍ لما استقضاه: لا تُسارَّ ولا تُضارَّ، ولا تَشْتَرِ ولا تَبِعْ.

١٢٦٢ ـ قال عمرو بن العاص:

إنَّ القُضاةَ إن أرادوا عدلا ... ورفعوا فوقَ الخُصوم فَضْلا
وزَحزَحُوا بالحُكْمِ منه جَهْلا ... كانوا كغَيثٍ قد أصابَ مَحْلا

* * *

(١) وقد صح ذلك عن نبينا ﷺ رواه عنه من حديث أبي هريرة ﷺ أحمد ٢/٢٣٠، وأبو داود (٣٥٧١)، والترمذي (١٣٢٥)، وصححه الحاكم ٩١/٤، ووافقه الذهبي.

٨٧ ـ ما جاء في اليتيم والصغير

١٢٦٣ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

١٢٦٤ ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١١].

١٢٦٥ ـ وروى بقيَّةُ بن الوليد عن ثابتِ بن عجلانَ: مَنْ وضع يده على رأس يتيمٍ ترحُّماً، كانت له بكلِّ شعرةٍ تَمُرُّ عليه يدُه حسنةٌ.

١٢٦٦ ـ وروى يزيدُ بن أبي عتَّاب عن أبي هريرة، قال: «**خيرُ بيتٍ مِنَ المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحْسَنُ إليه، وشرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُساء إليه**»[1].

١٢٦٧ ـ وروى مالك[2] عن صفوان بن سليم أن النبي ﷺ قال: «**أنا وكافلُ اليتيم في الجنةِ كهاتين**»، وأشار بأصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهامَ.

١٢٦٨ ـ وروى عُتبةُ بن عُميرٍ، قال: لما أدرك قومَ نوحٍ الغرقُ كانت فيهم امرأةٌ معها صبيٌّ، فلمَّا أدركها الماءُ رفعت صبيَّها إلى ركبتيها، فلما بلغه الماءُ رفعته إلى صدرِها، فلما بلغها الماءُ قالت به هكذا، ورفع يديه فوقَ رأسه. فقال الله عز وجل: لو كنت راحماً أحداً منهم لرحمتُها برحمتِها للصبيِّ.

١٢٦٩ ـ وكان أبو قيس صِرْمَةُ بن أنس قد ترهَّب في الجاهلية، وفارق الأوثانَ، واغتسل من الجنابة، واتخذ بيتاً مسجداً، وقال: أعبدُ ربَّ إبراهيمَ، حتى قدم رسولُ الله ﷺ وهو القائل:

---

(١) حديث ضعيف. رواه ابن المبارك في الزهد (٦٥٤)، والبخاري في كتاب الأدب المفرد (١٣٦)، وابن ماجه (٣٦٧٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤٧٨٥).

(٢) في الموطأ ٢/٩٤٨، وهو مرسل. ويغني عنه الحديث الصحيح عن سهل بن سعد ﷺ رواه البخاري (٥٣٠٤)، وعن أبي هريرة عند مسلم (٢٩٨٣).

واتَّقوا اللَّهَ في صغارِ اليتامى ... ربَّما يُستَحَلُّ غيرُ الحلالِ
واعلموا أنَّ لليتيم ولياً ... عالماً يهتدي بغيرِ سؤالِ
ثمَّ مالُ اليتيمِ لا تأكلوه ... إنَّ مالَ اليتيمِ يرعاه والِ

* * *

٨٨ ـ ما جاء في بر الوالدين

١٢٧٠ ـ قال الله عز وجل: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

١٢٧١ ـ وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

١٢٧٢ ـ وقال عبد اللَّه بن مسعود: سألت النبي ﷺ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: «**الصلاةُ على وقتها**». قال: ثم أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**». قال: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل الله**». قال: حدثني بهنَّ، ولو استزدتُه لزادني[1].

١٢٧٣ ـ وروى أنس أن النبي ﷺ ذُكرت عنده الكبائر، أو سُئل عن الكبائر، فقال: «**الشركُ بالله، وقتلُ النفسِ، وعقوقُ الوالدين**»[2].

١٢٧٤ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يَجزي ولدٌ والدَه إلا أنْ يجدَه مملوكاً، فيشتريَه فيُعتقَه**»[3].

---

(١) البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).
(٢) البخاي (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).
(٣) مسلم (١٥١٠).

١٢٧٥ ـ ورُوِيَ أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال له: يا رسول اللَّه، إن أبي ينتقصُني مالي، وينفقُه على عياله، فبكى الشيخُ، وقال: وأيُّ عيالٍ يا رسولَ اللَّه؟ والله ما هنَّ إلا أمُّه وأختاه. وأنشأ يقول:

غَذَوْتُك مولوداً ومُنْتُكَ يافِعاً ... تُعَلُّ بما أُجري عليك وتَنْهَلُ
إذا ليلةٌ ضافَتْكَ بالسُّقْمِ لم أبِتْ ... لسُقْمِكَ إلا ساهراً أتَمَلْمَلُ
كأنّي أنا المطروقُ دونَك بالذي ... طُرِقْتَ به وجعاً فعينايَ تَهْمُلُ
تخافُ الرَّدى نفسي عليك وإنني ... لأعلمُ أن الموتَ دَيْنٌ مؤجَّلُ
فلما بلغتَ السِّنَّ والغايةَ التي ... إليها رجاءً كنتُ فيك أؤمِّلُ
جعلتَ رجائي غِلْظةً وفظاظَةً ... كأنك أنتَ المُنعمُ المتَفَضِّلُ
وسَمَّيْتني باسم المفنَّدِ رأيُه ... وفي رأيك التَّفنيدُ لو كنتَ تَعْقِلُ
فليتكَ إذ لم تَرْعَ حقَّ أُبوَّتي ... فعَلتَ كما الجارُ المجاوِرُ يفعلُ
فأوليتَني حقَّ الجِوارِ ولم تكنْ ... عليَّ بمالي دونَ مالِكَ تبخَلُ
حياتُك همٌّ ثمَّ موتُك فَجْعَةٌ ... وخيرُك مَزوِيٌّ وشرُّك ينْزِلُ

فرقَّ له رسول الله ﷺ وقال لابنه: **«أنت ومالك لأبيك»**(١).

١٢٧٦ ـ وقال عُمر بن ذرٍّ: دخلنا على عمرَ بن عبد العزيز، ونحن اثنا عشر رجلاً من أهل الكوفة، فقال عمر: إنه لما دخل إخوةُ يوسف على يوسف عليه السلام، احتبسَ أخاه، وأقبل عليه يحدثه، فقال له يوسف: أكلُّ هؤلاء إخوتُك؟ قال: نعم. قال: فما لك أخٌ لأبيك؟ فقال: لا، كان لي أخٌ يقال له يوسفُ. قال: فما فعل؟ قال: أكله الذئبُ. قال: فهل حزِنَ عليه

(١) رواه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطبراني في المعجم الأوسط (٦٥٧٠)، وإسناده ضعيف. لكن الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ صحيح، فقد رواه من حديث عبد الله بن عمرو: أحمد ٢/١٧٩، وأبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩١). ومن حديث جابر: ابن ماجه (٢٢٩٢). ومن حديث عائشة رضي الله عنها: ابن حبان (٤١٠).

أبوه يعقوبُ؟ قال: نعم، حزناً شديداً. قال: وما بلغَ من حزنه؟ قال: ذهب بصرُه، فهو كظيمٌ. قال: فهل حزنتَ أنت عليه؟ قال: نعم، حزناً شديداً. قال: فهل تزوجتَ؟ قال: نعم. قال: وهل يتزوج المحزونُ؟ قال: إنَّ الشيخَ يعقوبَ أمرني بذلك، وقال: يا بنيَّ، تزوجْ، لعلَّ يُولَدُ لك ولدٌ يثقل الأرضَ بتسبيحه.

١٢٧٧ ـ وقال علي بن الحسين لابنه: يا بنيَّ، إن اللَّهَ لم يرْضَك لي، فأوصاك بي، ورضِيَني لك، فحذَّرني منك. واعلم أنَّ خيرَ الآباء للأبناء مَنْ لم تدْعُه المودَّة إلى التقصير، وخيرُ الأبناء للآباء مَنْ لم يدْعُه التقصيرُ إلى العقوقِ.

١٢٧٨ ـ وروى نافعٌ عن ابن عمرَ، عن النبي ﷺ قال: **«خرج ثلاثة يمشون، فأصابهم المطرُ، فدخلوا في غارٍ في جبلٍ، فانحطَّتْ عليهم صخرةٌ. قال: فقال بعضُهم لبعضٍ: ادعوا اللَّهَ بأفضلِ عملٍ عملتموه.**

قال أحدُهم: اللَّهمَّ إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنتُ أخرجُ فأرعى، ثم أجيءُ فأحلُبُ، فأجيءُ بالحِلاب، فآتي به أبويَّ فيشربان، ثم أسقي الصِّبيَةَ وأهلي وامرأتي. فاحتبستُ ليلةً، فجئتُ فإذا هما نائمان. قال: فكرهتُ أن أُوقظَهما والصِّبيَةُ يتضاغون[1] عند رجليَّ، ولم يزلْ ذلك دأبي ودأبَهما حتى طلَعَ الفجر. اللَّهمَّ إن كنتَ تعلمُ أني قد فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك، فافرُجْ عنَّا فُرجةً نرى منها السماء. قال: ففُرج عنهم.

فقال الآخر: اللَّهمَّ إن كنتَ تعلمُ أني كنت أحبُّ امرأةً من بناتِ عمي كأشدِّ ما يحبُّ الرجالُ النساءَ، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى يُعطيَها مائةَ دينارٍ، فسعيتُ فيها حتى جمعتُها، فلما قعدتُ بين رجليها، قالت: اتَّقِ اللَّهَ، ولا تفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقِّه، فقمتُ وتركتُها. فإن كنتَ تعلمُ أني

---

(١) يتضاغون: يبكون من شدة الجوع.

فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك، فافرُجْ عنا فُرجةً. قال: ففُرجَ عنهمُ الثُّلثين.

وقال الآخرُ: اللَّهمَّ إن كنتَ تعلمُ أني استأجرتُ أجيراً بفَرَقٍ[١] من ذُرةٍ، فأعطيتُه وأبى ذلك أن يأخذَ، فعمدتُ إلى ذلك الفَرَقِ فزرعتُه حتى اشتريتُ منه بقراً، ثم جاء، فقال: يا عبدَ اللَّه، أعطِني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقرِ ورعاتِها، فقال: أتستهزئُ بي؟! قلت: ما أستهزئُ بك، ولكنها لـك. اللَّهمَّ إن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك، فافرُجْ عنا. فكُشِفَ عنهم»[٢].

١٣٧٩ - وروى أبو العباس الشاعر عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحيٌّ والداك»؟ قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهدْ»[٣].

١٣٨٠ - وروى الأعرجُ عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «نادتِ امرأةٌ ابنَها وهو في صومعتِه، قالت: يا جُريجُ. قال: اللَّهمَّ أمي وصلاتي. قالت: اللَّهمَّ لا يموتُ حتى ينظرَ في وجوه المياميسِ[٤]. وكانت تأوي إلى صومعتِه راعيةٌ ترعى الغنمَ، فولَدت، فقيل لها: ممن هذا الولدُ؟ قالت: مِنْ جُريجٍ، نزل من صومعته»[٥].

١٣٨١ - ورُوِيَ عن أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: قدِمَتْ أمي وهي مشركةٌ في عهدِ قريشٍ ومدَّتِهم، إذ عاهدوا النبيَّ ﷺ، فاستفتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: إن أمي قدِمَتْ وهي راغبةٌ، أفأصِلُها؟ قال: «نعم، صِلي أمَّك»[٦].

---

(١) الفرق: مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع.
(٢) البخاري (٢٢١٥)، ومسلم(٢٧٤٣).
(٣) البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).
(٤) المياميس: جمع مومسة، وهي الزانية.
(٥) البخاري (١٢٠٦)، ومسلم (٢٥٥٠).
(٦) البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣). وسيورده المصنف برقم (١٥٥٦).

١٣٨٢ ـ ورُوِيَ عن حُميد بن عبد الرحمن، عن عبد اللَّه بن عَمرو، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ مِنْ أكبرِ الكبائرِ أن يلعنَ الرجلُ والدَيه**». قيل: يا رسولَ اللَّهِ، وكيف يلعنُ الرجلُ والديه؟! قال: «**يسُبُّ الرجلُ أبا الرجل، فيسبُّ أباه ويسبُّ أمه**»(١).

١٣٨٣ ـ ورُوِيَ أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا دخل عليه أبوه يعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يقُمْ إليه، فأوحى الله إليه: لم تقُمْ إلى أبيك، وعِزَّتي وجلالي لا أخرجتُ مِنْ صُلبِك نبياً.

١٣٨٤ ـ وقال بعضُ العلماء: ما على أحدِكم إذا أراد أن يتصدَّقَ بصدقةٍ أن يجعلَها لوالديه إذا كانا مسلمَيْن، فيكونُ لوالديه أجرُها، ويكونُ له مثلُ أجورِهما مِنْ غيرِ أنْ ينقصَ مِنْ أجورِهما شيءٌ.

١٣٨٥ ـ وكان أميةُ بن أسْكَر أدرك الجاهلية والإسلام وابنه كلابٌ، فاستعمل عمر كلاباً على الأُبُلَّةِ، فاشتاق إليه أبوه، فقال:

لمن شيخانِ قد نَشَدا كِلاباً ... كتابَ اللَّهِ إن قَبِلَ الكتابا
أُناديه فيُعرِضُ في إباءٍ ... فلا وأبي كلابٍ ما أصابا
إذا سَجَعَتْ حَمَامةُ بطن وادٍ ... إلى بيضاتِها دَعَوَا كِلابا
تركتَ أباك مُرْعشةً يداه ... وأمَّك ما يَسيغُ لها شرابا
فإنكَ والتِماسَ الأجر بعدي ... كباغي الماءِ يتَّبِعُ السَّرابا

فأنشدها عمرَ ورَقَّ له، فردَّ كِلاباً إليه، وذلك أنه كتب فيه، فقدِمَ ووصف بِرَّه بأبيه، وأنه كان يحلُب له، فقال له عمر: احلُب لبناً، وحضر أميةُ فسقاه عمرُ، فقال: إني لأشُمُّ رائحةَ يدَيْ كِلابٍ. فبكى عمرُ، وقال: هذا كلابٌ، فضمَّه إليه، وقال: جاهِدْ في أبويك، فقال أمية:

---

(١) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

فـلا وأبـيـكَ مـا بـالـيـتُ وَجْـدي ... ولا شَـغَـفـي عـلـيـك ولا اشـتـيـاقـي
سـأسـتـعـدي عـلـى الـفـاروقِ ربّـاً ... لـه دَفَـعَ الـحـجـيـجُ إلـى بُـسـاقِ

وقال ابن دُريد: بُساق: موضعٌ قُربَ مكةَ شرَّفها اللَّه.

١٢٨٦ ـ ورُوِيَ أن شَيبانَ بنَ المُخَبَّلَ هاجر إلى الكوفةِ أيامَ عُمرَ، فجزع عليه أبوه، فَأُنْشِدَ عُمرُ قولَ المخبَّلِ:

أشـيـبـانُ مـا يُـدريـكَ أنْ رُبَّ لـيـلـةٍ ... غَـبَـقْـتُـك فـيـهـا والـغَـبـوقُ حـبـيـبُ
فإنْ يَكُ غُصْني أصبح اليومَ ذاوياً ... وغُصْنُك مِنْ ماءِ الشباب رَطيبُ
فإني حَنَتْ ظهري خُطوبٌ تَتابَعَتْ ... فمشْيي ضعيفٌ في الرِّجال دَبيبُ
إذا قال صَحبي يا رَبيعُ ألا ترى ... أرى الشَّخصَ كالشَّخصينِ وهو قريبُ
ويُخبرني شيبانُ أنْ لنْ يَعُقَّني ... فـعـقٌّ إذا فـارَقْـتَـنـي ويَـحـوبُ

فكتب عمر ﷺ إلى سعدٍ فأقفلَ شيبانَ.

* * *

٨٩ ـ ما جاء في الرفق بالعيال والتوسعة عليهم

١٢٨٧ ـ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] قيل: في غيرِ إسرافٍ ولا إقتار.

١٢٨٨ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ: «**نفقة الرجل على أهله صدقة**»(١).

١٢٨٩ ـ وروى أبو قتادة السلمي أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها(٢).

---

(١) رواه البخاري (٥٥)، ومسلم (١٠٠٢) من حديث أبي مسعود البدري ﷺ بلفظ: «**إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها، فهو له صدقة**».

(٢) البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣).

١٢٩٠ ـ ورُوِيَ عن عبد اللّه بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِه وهو مسؤولٌ عن رعيَّتِه، والمرأةُ راعيةٌ على أهلِ بيتِ زوجِها وولدِه وهي مسؤولةٌ عنهم»**[1]. اختُصِر.

١٢٩١ ـ وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوماً يلعب السودان بالدَّرَقِ والحِرابِ، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: **«تشتهين تنظرين»**؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه خدي على خده، ويقول: **«دونكم بني أرفدة»** حتى إذا مللت قال: **«حسبك»** ؟ قلت: نعم، قال: **«فاذهبي»**.

قالت عائشة: فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللَّهو[2].

١٢٩٢ ـ وقال مالك: يجب على الإنسان أن يتحبَّبَ إلى أهل داره حتى يكونَ أحبَّ الناسِ إليهم.

١٢٩٣ ـ سُئِلَ مالكٌ: أيصلُحُ للرجلِ أن يأكلَ من طعامٍ لا يأكلُ منه عيالُه ورقيقُه، ويلبَسُ ثياباً لا يكسوهم مثلَها؟ فقال: إني لأراه مِنْ ذلك في سَعَةٍ، ولكن يُحسن إليهم، ويُوسِّعُ عليهم.

١٢٩٤ ـ وأراد رجلٌ تطليقَ امرأتِه، فقال له عمر: لِمَ تُطلِّقُها؟ قال: لا أحبُّها، قال: أوَكُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبِّ؟ فأين الرِّعايةُ والتَّذَمُّمُ؟.

---

(١) البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرج القسم الأول منه البخاري (٩٥٠)، ومسلم (٨٩٢). وأخرج القسم الثاني منه البخاري (٥٢٣٦).

١٢٩٥ ـ ويُروى أن سليمان عليه السلام كان يأكلُ الشعيرَ، ويُطعمُ عِياله دقيقَ القمح، ويُطعم المساكينَ الحُوَّارى[1].

١٢٩٦ ـ وقال عمر رضي الله عنه: إذا وسَّع الله عليكم فأوسِعوا.

١٢٩٧ ـ وقال الحسن: ما عالَ مَنِ اقتصدَ.

١٢٩٨ ـ وقال عمرُ لرجلٍ: كيف عيشُك في أهلِك؟ قال: حسنةٌ بين سيئتين. قال له: وكيف ذلك؟ قال: كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧] والإسرافُ سيئةٌ، والإقتار سيئةٌ، والقَوامُ بينهما حسنةٌ.

١٢٩٩ ـ وقيل: معنى قوله: ﴿فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] ملوماً من الناس، محسوراً من المال.

١٣٠٠ ـ وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: أكثِروا من العيالِ؛ فإنكم لا تدرون بأيِّهم تُرزَقون.

١٣٠١ ـ وقال أبو حازمٍ لرجل: كم عيالُك؟ قال: كثيرٌ، قال: هو خيرٌ لك كلَّما كثُروا، فقال الرجلُ: ما أقوى على ذلك يا أبا حازم، قال له: أنت ترزقُهم؟ لو كان إليك ما سقيتَهم شَربةَ ماءٍ، رِزقُهم على غيرِك، وأجرُهم لك، لودِدْتُ أن الناسَ كلَّهم عيالي، ليكون لي أجرُهم وعلى غيري رزقُهم.

١٣٠٢ ـ وباع حكيمُ بن حزامٍ داراً له من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بخمسةٍ وأربعين ألف درهم، فقيلَ له: أصبحت اليوم غنياً، فقال: كيف الغِنى مع ستةٍ من العِيال.

١٣٠٣ ـ وكان الحسن يشتري لأهله كلَّ يومٍ لحماً بنصف درهم، فإن غلا اللحمُ زادهم.

---

(١) الحوَّارى: الدقيق الأبيض الناعم.

١٣٠٤ ـ وقال بكر بن عبد الله المُزني: إني لأحبُّ أن أرى الرجلَ من إخواني حَسَنَ الحالِ، حَسَنَ الهيئةِ، يُوسِعُ على أهلِه وجيرانَه، يحسب من يراه أن له مالاً، يموت حين يموت فلا يَدَعُ شيئاً، وأكره أن أرى الرجل متقَشِّفاً سيِّءَ السِّحنةِ، مُضَيِّقاً على نفسه وعلى أهله، يظنُّ من يراه أنه فقيِّر، يموتُ يومَ يموت ويدعُ مالاً كثيراً.

١٣٠٥ ـ وقال الأوزاعيُّ: الفارُّ عن عيالِه كالآبِقِ من سيده، لا تُقبَلُ له صلاةٌ ولا صومٌ، حتى يرجِع إليهم.

١٣٠٦ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهمَ: لَرَوْعَةُ أحدِكم إذا نَقَصَ دقيقُ أهلِه خيرٌ من عمر أحدِنا بهذا الساحلِ.

١٣٠٧ ـ وقال بقيَّةُ بن الوليد: كنتُ مع إبراهيمَ في بعض قرى الشام ومعه رفيقٌ له، فجعلنا نمشي حتى بلَغْنا إلى موضعِ حشيشٍ وماءٍ، فقال لرفيقِه: أمَعَنا شيء؟ قال: نعم في المِخلاةِ كِسْراتٌ، فجلس فكسرها، فجعل يأكلُ، فقال: يا بقيَّةُ أُدْنُ فكل، فأكلتُ معه، ثم شرب من الماء شَربةً، ثم تمدَّدَ في كِسائه، فقال: يا بقيةُ، ما أغفلَ الناسِ عما فيه إبراهيمُ من النعيم، ما لي أحدٌ يموتُ ولا أحدٌ أهتم به. قال بقيَّةُ: فتغيَّر وجهي، فقال لي: ألك عِيالٌ؟ قلت: نعم، قال: ولعلَّ رَوْعَةَ صاحبِ العيال أفضلُ مما أنا فيه، ثم قام فقال لي: كن ذَنَباً ولا تكن رأساً، فإن الذَّنَبَ ينجو ويهلِكُ الرأس. مَنْ رجع مِنْ سفرِه إلى أهله فليرْجِعْ بهديةٍ، ولو لم يجدْ إلا حجراً يُلقيه في مِخلاتِه أو حُزمَةَ حطبٍ، فإن ذلك يُعجبهم.

١٣٠٨ ـ ورُوِيَ عن بعض الصالحين أنه أراد أن يطلِّقَ امرأتَه، فقيل: له ما رابك منها؟ فقال: العاقلُ لا يهتِكُ سِتْرَ امرأتِه. فلما طلَّقَها، قيل له: لماذا طلقتَها؟ قال: ما لي ولامرأةِ غيري؟.

١٣٠٩ ـ ورُوِيَ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: دخلت امرأةٌ معها ابنتان لها

تسألُ، فلم تجد عندي شيئاً غيرَ تمرةٍ، فأعطيتُها إياها، فقسمَتْها بين ابنتيها، ولم تأكلْ منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبيُّ ﷺ فأخبرته، فقال النبيُّ ﷺ: **«مَنِ ابتُلِيَ مِنْ هذه البناتِ بشيءٍ، كُنَّ له سِتراً مِنَ النار»**[1].

١٣١٠ ـ وقال حاتمٌ الأصمُّ: إني لفي البيتِ كالدَّابَّةِ المربوطةِ، إنْ قُدِّمَ إليَّ شيءٌ أكلته، وإلا سكتُّ.

١٣١١ ـ وهلك رجلٌ من العرب، فقيل لأهله: صِفي بعلَك؟ فقالت: والله إن كان ما علمتُ لضَحوكاً إذا وَلَجَ، كسوباً إذا خرجَ، آكلاً ما وجد، غيرَ سائلٍ عما فقد.

* * *

٩٠ ـ ما جاء في الرفق بالمملوك

١٣١٢ ـ رُوِيَ عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ، قال: كنت أضرِبُ غلامي، فسمعتُ مِنْ خلفي صوتاً: **«اعلَمْ أبا مسعودٍ لَلّهُ أقدرُ عليه منك عليه»**. فالتفتُّ فإذا هو رسولُ الله ﷺ فقلت: يا رسولَ اللّه، هو حرٌّ، فقال: **«لو لم تفعلْ لمَسَّتك النارُ، أو لفَحَتْكَ النار»**[2].

١٣١٣ ـ ورُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالب ﷺ، قال: كان آخرَ كلامِ النبيِّ ﷺ: **«الصلاةَ الصلاةَ، واتقوا الله فيما ملكتْ أيمانُكم»**[3].

١٣١٤ ـ وقال المعرورُ: لقيتُ أبا ذرٍّ بالرَّبَذَةِ وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه حُلَّةٌ، فسألتُه عن ذلك؟ فقال: إني سابَبْتُ رجلاً، فعيَّرتُه بأمِّه، فقال لي النبيُّ ﷺ: **«يا أبا ذر، أعيَّرتَه بأمِّه؟ إنك امرُؤٌ فيك جاهليةٌ، إخوانُكم**

---

(١) البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩).
(٢) مسلم (١٦٥٩).
(٣) حديث صحيح، رواه أحمد ٧٨/١، وأبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨).

خَوَلُكم، جعلهمُ الله تحتَ أيديكم، فمن كان أخوه تحت يدِه، فليُطعمْه مما يأكل، ولْيُلبسه مما يلبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإنْ كلَّفتموهم فأعينوهم»[١].

١٣١٥ ـ قال هلالُ بن يَسافٍ: كنا نبيع البَزَّ في دار سُويْدِ بن مُقَرِّنٍ، فخرجتْ جاريةٌ، فقالت لرجلٍ منا كلمةً، فلطَمها فغضب سُويدٌ، وقال: لطمْتَ وجهَها؟ لقد رأيتُني سابعَ سبعةٍ من إخواني معَ رسولِ الله ﷺ ما لنا خادم إلا واحدة، فلطمها أحدُنا، فأمرنا رسولُ الله ﷺ فأعتقناها[٢].

١٣١٦ ـ وروى ميمونُ بن [أبي] شَبيبٍ عن عمارِ بن ياسرٍ، قال: لا يضرِبَنَّ رجلٌ عبداً له وهو ظالمٌ إلا أُقِيدَ منه يومَ القيامةِ[٣].

١٣١٧ ـ ورأى أبو هريرة رجلاً راكباً وغلامُه يمشي خلفَه. قال: يا عبدَ اللَّه، اتَّقِ اللَّهَ، إنما هو أخوك، رُوحُك مثلُ رُوحِه، احمله. فحمله.

١٣١٨ ـ وكان عمر بن الخطاب يذهب إلى العوالي[٤] كلَّ سبتٍ، فإذا وجد عبداً في عملٍ لا يُطيقُه وضع عنه منه[٥].

---

(١) البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١). والرجل الذي عيره أبو ذر هو بلال ﷺ، وكان ذلك بأن قال له: يا ابن السوداء، وكانت أم بلال أعجمية.

(٢) مسلم (١٦٥٨).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨١)، وعبد الرزاق في المصنف ٤٤٥/٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٢٢٣/٥ عن عمار ﷺ موقوفاً. ورواه البزار ٢٣٧/٤، والطبراني، كما في الترغيب والترهيب ٢١١/٣، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٧٨/٤، وقال المنذري: رجاله ثقات. وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥٣/١٠ عن رواية البزار.
وأخرج البخاري (٦٨٥٨)، ومسلم (١٦٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من قلف مملوكه وهو بريء مما قال، جلد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال»**.

(٤) العوالي: قرى بالمدينة المنورة.

(٥) رواه مالك في الموطأ ٩٨٠/٢.

١٣١٩ ـ وكان عونُ بن عبد الله إذا عصاه غلامُه قال: ما أشبَهَك بمولاك! مولاك يعصي مولاه، وأنت تعصي مولاك.

١٣٢٠ ـ وقال الحارثُ بن رافع: حُسْنُ المَلَكَةِ يمنٌ، وسوء الخُلُقِ شُؤمٌ.

١٣٢١ ـ وقال معاويةُ: التَّسلُّط على المماليكِ مِنْ لُؤمِ القُدرة وسوءِ المَلَكَةِ.

١٣٢٢ ـ ودعا طلحةُ بن عُبيد الله أبا بكرٍ وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فأبطأ الغلامُ لشيءٍ، فقال طلحةُ: يا غلامُ، فقال: لبَّيك، فقال طلحةُ: لا لبيك، فقال أبو بكر: ما يسرُّني أني قلتُها وليَ الدنيا. وقال عمرُ: ما يسرُّني أني قلتُها ولي حُمْرُ النَّعَمِ، وصَمَتْ عليها طلحة، وباع ضَيعةً بخمسةَ عشرَ ألفِ درهمٍ وتصدَّق بثمنها.

١٣٢٣ ـ ودعا عليٌّ ﷺ غلاماً له، فلم يُجبْه، فخرج فوجده يسمعُه، فقال له: لِمَ لَمْ تُجبْني؟ قال: كسِلتُ وأمِنتُ عقوبَتك. قال: الحمد لله الذي جعلني ممَّن يأمنُه خلقُه.

١٣٢٤ ـ وقال عمرُ بن ذَرٍّ: كان يُقالُ: الإحسانُ إلى الخادم يُشجي العدوَّ ويُذهِبُ البؤسَ.

١٣٢٥ ـ وقيل: استخدِم الصغيرَ حتى يكبُرَ، والأعجميَّ حتى يُفصِحَ.

١٣٢٦ ـ وقال مالكُ بن أنس: سئل رسول الله ﷺ عن العبيدِ؟ فقال: «يُقتَصُّ لهم منكم يوم القيامة»[١].

* * *

(١) انظر التعليق على الأثر رقم (١٣١٦).

٩١ ـ ما جاء في الرفق بالحيوان

١٣٢٧ ـ روى أبو مريم عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «**إياكم أن تتَّخذوا ظهورَ دوابِّكم منابِرَ، فإن اللَّهَ عز وجل سخَّرها لكم لتبلُغوا عليها إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشِقِّ الأنفُس، وجعل لكم الأرضَ، فعليها فاقضُوا حاجاتِكم**»[١].

١٣٢٨ ـ وروى نافع عن ابن عمرَ أن رسول الله ﷺ قال: «**عُذِّبت امرأةٌ في هرةٍ حبستها حتى ماتت جوعاً، فدخلت فيها النارَ. قال: فيقال ـ والله أعلم ـ لا أنتِ أطعمتيها ولا سقيتيها حين حبستيها، ولا أنتِ أرسلتيها فأكلتْ من خَشاشِ الأرض**»[٢].

١٣٢٩ ـ وروى مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدَّ عليه العطشُ، فوجد بئراً فنَزل فيها فشربَ ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهَثُ، يأكلُ الثَّرى من العطشِ، فقال الرجلُ: لقد بلَغَ هذا الكلبُ مِنَ العطشِ مثلَ الذي بلغ بي، فنَزل البئرَ، فملأ خُفَّهُ، ثم أمسكه بِفيه، فسقى الكلبَ، فشكرَ اللَّهُ له، فغَفرَ له**». قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «**في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ**»[٣].

١٣٣٠ ـ وقال عمرُ بن الخطاب ﷺ يوماً: خطر على قلبي شهوةُ الحيتانِ، فركب يَرْفَأُ[٤] الراحلةَ إلى الجار[٥] فسار أربعاً، وأتى بها، فرأى

---

(١) حديث حسن، رواه أبو داود (٢٥٦٧).

(٢) البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢). وخشاش الأرض: هوامُّها وما فيها من حشرات.

(٣) الموطأ ٩٢٩/٢ من حديث أبي هريرة مرفوعاً. ومن طريق مالك رواه البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٤) يرفأ: هو مولى عمر ﷺ.

(٥) الجار: مدينة على ساحل البحر الأحمر بينها وبين المدينة المنورة يوم وليلة. انظر معجم البلدان ٩٢/٢.

عمرُ الراحلةَ، فقال: عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمرَ، والله لا يذوقُه عمرُ.

١٣٣١ ـ وقال مالك: مرَّ على عمرَ بن الخطاب حمارٌ عليه لَبِنٌ، فطرح عليه منه، استكثره ورآه يُثقِلُه.

* * *

٩٢ ـ ما جاء في الجار

١٣٣٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

١٣٣٣ ـ وروى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقُلْ خيراً أو ليصْمُتْ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُؤذِ جارَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمْ ضيفَه»**(١).

١٣٣٤ ـ وروى ابن عمر عن النبي ﷺ قال: **«ما زال جبريلُ يوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيُوَرِّثُه»**(٢).

١٣٣٥ ـ ورُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله إني لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: **«إلى أقربِهما منك باباً»**(٣).

١٣٣٦ ـ وروى أبو شُريح أن النبي ﷺ قال: **«واللهِ لا يُؤمنُ، واللهِ لا يُؤمنُ، واللهِ لا يُؤمنُ»**. قيل: يا رسول اللّه، ومن؟ قال: **«الذي لا يَأمَنُ جارُه بوائِقَهُ»**(٤).

---

(١) البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥).

(٣) البخاري (٢٢٥٩).

(٤) البخاري (٦٠١٦). وبوائقه: شره.

١٣٣٧ ـ وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يمنع جارٌ جارَه أن يغرس خشبةً في جداره»**. ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها مُعرضين، والله لأرمينَّ بها بين أكتافِكم[١].

١٣٣٨ ـ ورُوِيَ أن لقمانَ الحكيم قال لابنه: يا بنيَّ، قد حملتُ الجَنْدَلَ والحديدَ، فلم أحمِلْ حِملاً أثقلَ مِنْ جارِ السُّوء؛ إن رأى حسنةً أخفاها، وإن رأى سيئةً أبداها.

١٣٣٩ ـ قال مالك: وكان يقال: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من جار سوءٍ في دارِ مُقامةٍ.

١٣٤٠ ـ وروى القاسم بن محمد أن أبا بكر الصديق ﷺ، مر بعبدالرحمن بن أبي بكر الصديق وهو يُماظُّ جاراً له، فقال: يا عبدَ الرحمن لا تُماظ جارَك؛ فإن هذا يبقى ويذهبُ الناسُ[٢].

١٣٤١ ـ ويقال: ليس حُسْنُ الجِوار بكفِّ الأذى، ولكنه بالصبرِ على الأذى.

١٣٤٢ ـ وقال رجلٌ لابن مسعودٍ: إن لي جاراً يُؤذيني ويشتُمني ويُضَيِّقُ عليَّ. فقال له: إن هو عصى اللَّهَ فيك، فأطِعِ اللَّهَ فيه.

١٣٤٣ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: الجيرانُ ثلاثة: جارٌ له حقٌّ، وجارٌ له حقَّان، وجارٌ له ثلاثة حقوق.

فالجارُ الذي له ثلاثةُ حقوقٌ: الجارُ المسلمُ، ذو الرَّحِمِ، له حقُّ الجِوارِ، وحقُّ الإسلامِ، وحقُّ الرَّحِمِ.

والجارُ الذي له حقَّان: الجارُ المسلمُ، له حقُّ الجِوارِ وحقُّ الإسلامِ.

---

(١) البخاري (٢٤٦٣)، ومسلم (١٦٠٩).

(٢) الأثر في الزهد لابن المبارك (٦٩٩). ومعنى يماظ: من المماظة، وهي المشارَّة والمشاقة وشدة المنازعة مع طول اللزوم.

والجارُ الذي له حقٌّ واحدٌ: الجارُ المشركُ، له حقُّ الجِوارِ(١).

١٣٤٤ ـ ولأبي الأسود الدؤلي في سوء الجوار:

يلومونَني أنْ بِعْتُ بالرُّخصِ منْزِلي ولـم يـعـرفـوا جاراً هـنـاك يُـنـغِّـصُ
فـقـلـتُ لـهـم بـعـضَ الـمَـلامِ فـإنَّـمـا بـجـيـرَتـهـا تَـغـلـو الـدِّيـارُ وتَـرْخُـصُ

❋ ❋ ❋

٩٣ ـ ما جاء في الضيف

١٣٤٥ ـ قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٥].

١٣٤٦ ـ ويُروى أن إبراهيمَ ﷺ كان إذا أراد أن يتغدى خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغدى معه، وكان يكنى أبا الضِّيفانِ، وكان إبراهيمُ يُضيفُ مَنْ مَرَّ به، فأتاه الملائكةُ الذين أهلكوا قومَ لوطٍ، فقال: لا يُخدُمُهم غيري، فأتاهم بعجلٍ حنيذٍ، فقالوا: لا نأكلُ طعاماً إلا بثمنٍ، قال: إنَّ له ثمناً، قالوا: وما ثمنُه؟ قال: تذكرون اسمَ اللَّهِ على أوَّلِه، وتَحمَدُونه على آخرِه، فقال جبريلُ: حُقَّ لهذا أن يتَّخذَه اللَّهُ خليلَه.

١٣٤٧ ـ وروى أبو شُريحٍ العدويُّ: سمِعَتْ أذنايَ وأبصرَتْ عينايَ حين تكلَّمَ رسولُ الله ﷺ فقال: **«مَنْ كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليُكرمْ ضيفَه جائزَتَه»**. قال: وما جائزتُه يا رسولَ اللَّه؟ قال: **«يومٌ وليلةٌ، والضِّيافةُ ثلاثةُ أيامٍ، فما كان وراءَ ذلك فهو صدقةٌ عليه، ولا يَحِلُّ له أن يَثويَ عنده حتى يُبْرِمَه»**(٢).

١٣٤٨ ـ وقال بعضُ الحكماء: لا تتكلَّفوا للضيفِ فتُبغضوه.

---

(١) وقد روي ذلك مرفوعاً بسند ضعيف من حديث جابر؛ رواه البزار (١٨٩٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٠٧/٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٨٤/٧. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ٣٤٧/١ بتحقيقي: وقد روي هذا الحديث من وجوه متصلة ومرسلة، ولا تخلو كلها من مقال.

(٢) البخاري (٦٠١٩و٦٤٧٦)، ومسلم (٤٨).

١٣٤٩ ـ وقال أنسٌ: كلُّ بيتٍ لا يدخلُه الضيفُ لا تدخلُه الملائكةُ.

١٣٥٠ ـ وسُئِلَ الأوزاعيُّ: ما كرامةُ الضيفِ؟ قال: طلاقَةُ الوجهِ.

١٣٥١ ـ ولأبي يعقوب الخُرَيْميِّ:

وإنِّي لَسَهْلُ الوجْهِ للمُبْتَغي القِرى وإنَّ قِبائي للقِرَى لرَحيبُ
أُضاحِكُ ضيفي قبلَ إنْزالِ رَحْلِهِ ويُخْصِبُ عندي والمَحَلُّ جَديبُ
وما الخِصْبُ للأضيافِ أنْ يَكْثُرَ القِرَى ولكنَّما وجهُ الكريمِ خَصيبُ

١٣٥٢ ـ وقال حاتمٌ الأصمُّ: العَجَلَةُ مِنَ الشيطانِ إلا في خمسةٍ، فإنها سنةٌ: إطعامُ الضيفِ إذا حلَّ، وتجهيزُ الميتِ إذا ماتَ، وتزويجُ البِكْرِ إذا أدركَتْ، وقضاءُ الدينِ إذا وجبَ، والتوبةُ مِنَ الذنبِ إذا أذنبَ.

١٣٥٣ ـ وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهَه: لأَنْ أجمعَ نفراً مِنْ أصحابي على صاعٍ أو صاعين مِنْ طعامٍ، أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أخرُجَ إلى سوقِكم فأشتري نَسْمَةً فأعتقها.

١٣٥٤ ـ وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: قال لي رجاءُ بنُ حَيْوَةُ: ما رأيت رجلاً أتمَّ مُروءَةً من أبيك، سَمُرْتُ معه ذاتَ ليلةٍ والسراجُ يَزْهَرُ[١]، فعَشِيَ السِّراج، فقال: يا رجاءُ، أرى السراجَ قد عَشِي، ووصيفٌ نائمٌ إلى جنبه، فقلت: أُنَبِّهُ الوصيفَ؟ قال: قد نام، قلت: فأقوم أنا، قال: ليس مِنْ مُروءةِ الرجلِ استخدامُه ضيفَه. فوضع ساجاً[٢] عليه، ثم أتى بَطَّةً[٣] فيها زيتٌ ففتحها، ثم صبَّ في السراجِ منها، وأصلح السراجَ ثم انصرف، فقال: قمتُ وأنا عمرُ بن عبد العزيز وانصرفتُ وأنا عمرُ بن عبد العزيز.

---

(١) يزهر: يضيء.
(٢) الساج: الطيلسان الأخضر أو الأسود.
(٣) البطة: إناء كالقارورة. قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١/١٣٥ بعد أن أشار إلى هذا الأثر: تعمل على شكل البطة من الحيوان.

١٣٥٥ ـ

وإنِّي لَعَبْدُ الضَّيفِ ما دامَ ثاوياً ... وما شِيمَةٌ لي غيرها تُشْبِهُ العَبدا

١٣٥٦ ـ ولرجلٍ مِنْ بني الحارث:

فيا ابنَةَ عبدِ اللّهِ وابنةَ مالكٍ ... ويا ابنةَ ذي الجُودَيْنِ والفرَسِ الوَرْدِ
إذا ما صنعتِ الزَّادَ فالتَمِسي له ... أكيلاً فإنِّي لستُ آكلُه وحدي
أخاً طارقاً أو جارَ بيتٍ فإنَّني ... أخافُ ذَميماتِ الأحاديثِ مِنْ بعدي
وإنِّي لَعَبْدُ الضَّيفِ ما دام ثاوياً ... وما فيَّ إلا تلك مِنْ شِيمَةِ العَبْدِ

١٣٥٧ ـ وأنشدوا:

ومُسْتَنْبِحٍ بعدَ الهُدُوءِ دعَوْتُه ... شقراءَ مثل الفجر ذاكٍ وقودُها[1]
فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً ... بطارقِ نارِ مُحْمَدٍ مَنْ يَرودُها
فإنْ شِئْتَ آويناكَ في الحيِّ مُكرَماً ... وإنْ شئتَ بلَّغناكَ أرضاً تُريدُها

١٣٥٨ ـ ولغيره:

الليلُ يا غُلامُ ليلٌ قُرُّ ... والرِّيحُ يا موقِدُ ريحٌ صِرُّ
فأجِّجِ النارَ لِمَنْ يَمُرُّ ... إنْ جَلَبْتَ ضيفاً فأنتَ حُرُّ

١٣٥٩ ـ ولأبي دُلَفٍ:

أيا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسَطتُه ... وآنستُه قبلَ الضِيافةِ بالبِشْرِ
أتاني يُرَجِّيني فما حالَ دُونَه ... ودونَ القِرى والعرف من نائلي سِتْري
وجدتُ له فضلاً عليَّ بقصدِه ... إليَّ وبِراً زادَ فيه على بِرِّي
تَزَوَّدتُه مالاً يَقِلُّ بقاؤُهُ ... وزوَّدني شكراً يدُومُ مَعَ الدَّهرِ

---

(١) قوله: مستنبح: قال ابن منظور في لسان العرب: إذا كان في مَضِلَّةٍ، فأخرج صوته على مثل نباح الكلب ليسمعه الكلب فيتوهمه كلباً، فينبح فيستدل بنباحه فيهتدي.

١٣٦٠ - ويُروى: لا تتكلَّفوا للضيفِ فتُبغضوه، ومَنْ أبغضَ الضيفَ أبغضَه اللَّهُ.

* * *

٩٤ - ما جاء في حب المساكين ومواساتهم

١٣٦١ - قالت صفيةُ بنت أبي عُبيد: ما رأيتُ ابنَ عُمر شبع فأقول شبع، فلما رأيتُ ذلك وكان له يتيمان، صنعتُ له شيئاً، فدعا بهما فأكلا معه، فلما ناما جئتُ بشيءٍ، فقال: ادعُ فلاناً وفلانةً، فقلت: قد ناما وأشبعتُهما، فقال: ادعُ لي بعضَ أهلِ الصُّفَّةِ، فدُعِيَ له مساكينُ فأكلوا معه.

١٣٦٢ - وروى مِسْعَرٌ: أن عليَّ بن حُسين مرَّ بأُناسٍ مساكينَ قد بسطوا أكسِيةً لهم، وجعلوا عليها كِسَراً لهم وهم يأكلون، فقالوا: هَلُمَّ يا أبا عبد اللَّه، فحوَّلَ وَرِكَه فنزل، فجلس معهم وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣] فنال مِنْ كِسَرِهم، ثم قال: قد أجبتُكم فأجيبوني، فأجابوه، فلما دخل قال: يا رَبابُ، هاتي ما كنتِ تدَّخرين.

١٣٦٣ - ورُوِيَ أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا موسى، إذا مررتَ بالفقراء فسلِّمْ عليهم كما تسلِّمُ على الأغنياء. قال: وكان لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عشرون جاريةً يَفْلينَ ثيابَ الفقراءِ.

١٣٦٤ - وروى مالك عن صفوانَ بنِ سُلَيم عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهد في سبيلِ اللّه، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل**»(١).

---

(١) حديث مرسل كما أشار إليه الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري. وقد روي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً عند البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢).

١٣٦٥ ـ وقال الربيع: اصنعوا لي خَبيصاً، فدعا رجلاً به خَبَلٌ، فجعل يُلْقِمُه ولُعابُه يسيلُ، فلما ذهب قال له أهلُه: تَكلَّفْنا وأنفقنا ثم دعوتَ هذا! ما يدري هذا ما أكلَ. قال الربيع: لكنَّ اللَّهَ يدري.

١٣٦٦ ـ وكان الربيعُ إذا جاءه سائلٌ قال: أطعِموه سكَّراً؛ فإن الربيع يحبُّ السكَّر.

١٣٦٧ ـ ولزيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ:

ارحَمْ ضعيفاً لا يُجِزْ بكَ ضَعفُه يوماً فتدرِكه العواقبُ قد نما
يَجزيك أو يُثني عليك فإنَّ مَنْ يُثْني عليك بما فعَلْتَ فقد جزا

١٣٦٨ ـ قال مالك: كان طاووس يشتري الجَزَرَةَ لسُفرتِه فيدفعُها للمساكين، وكان يعملُ الطعامَ الطيبَ ويدعو إليه المساكين. فقيل له: لو دعوتَ أشرافَ الناس، فقال: لا إنَّ هؤلاء لا عَهْدَ لهم بمثلِ هذا.

قال مالك: ما أحسَنَ هذا! وأعجبه العمل به.

* * *

٩٥ ـ ما جاء في المؤمن والمسلم

١٣٦٩ ـ روى النُّعمان بن بشيرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ترى المؤمنين وتراحُمَهم وتَوادَّهم وتعاطُفَهم كمَثَلِ الجسد، إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائرُ جسدِه بالسَّهرِ والحُمَّى»**[١].

١٣٧٠ ـ وروى أبو موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيان يشدُّ بعضُه بعضاً»**، ثم شبَّك بين أصابِعه[٢].

---

(١) البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).
(٢) البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

١٣٧١ ـ وروى سالم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلمُ أخو المسلمِ، لا يَظلِمُهُ ولا يُسلِمُه. ومن كان في حاجةِ أخيه، كان اللَّهُ في حاجتِه، ومَن فرَّج عن مسلم كُربةً، فرَّجَ اللَّهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومن سَتَرَ مسلماً سترهُ الله يوم القيامة**»[١].

١٣٧٢ ـ وروى إسماعيلُ بن بشيرٍ عن أبي طلحةَ وجابر بن عبد اللَّه: ما مِن امرئٍ يخذُلُ فيه امرأً مسلماً في موطنٍ تُنْتَهَكُ فيه حُرمتُه، ويُنْتَقَصُ فيه من عِرضِه، إلا خذله الله في موطِنٍ يحبُّ منه نُصرَتَه. وما من امرئٍ مسلمٍ ينصُر امرأً مسلماً في موطنٍ يُنْتَقَصُ فيه من عِرضِهِ، ويُنْتَهَك فيه من حُرمتِهِ إلا نصره الله عز وجل في موطنٍ يحبُّ فيه نُصرَتَه[٢].

١٣٧٣ ـ ورُوِيَ عن سهلِ بن إبراهيم: كنَّا عند عيسى بنِ مِسكينٍ في منْزله نسمعُ منه، وكان يأتيه في كلِّ يومٍ شيخٌ نحويٌّ، يقال له الخَولانيُّ، ذكروا أنه كان صاحباً له مِنْ عهدِ الصِّبا. وكان عيسى لا يخرج حتى يأكلَ، فجاء الشيخُ يوماً قبل أن يخرجَ عيسى، فأعلموه به فدعاه، فقال للرسول: قل له: إني صائمٌ، فذهب ثم عاد، فقال: يقول لك: صومُك هذا واجبٌ أو تطوُّعٌ؟ فقال: بل تطوعٌ، فقال: فانهض معي. فلما رجع الشيخُ سألناه، فقال لنا: قال لي: ثوابُك إدخالُك المَسَرَّةِ على أخيك المسلمِ بإفطارِك عنده أفضلُ من ثوابِك في صيامِ هذا اليوم. قال: فأفطرتُ معه، قلت له: فذكر لك قضاءَ هذا اليوم؟ قال: لا، ما ذكره.

١٣٧٤ ـ وقال ابنُ مسعود: كان يومَ بدرٍ كلُّ ثلاثة على بعيرٍ، وكان رفيقي رسولُ الله ﷺ وأبو لُبابَةَ، فإذا كانت عُقْبَةُ [النبي ﷺ] قالا: اركب يا

---

(١) البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) حديث ضعيف. رواه أحمد ٤/٣٠، وأبو داود (٤٨٨٤) عن جابر وأبي طلحة مرفوعاً.

رسول الله حتى نمشيَ عنك، قال: **«ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجرِ منكما»**[(١)].

١٣٧٥ ـ وروى يحيى بن المختار عن الحسن أنه قال: المؤمنُ شُعبةٌ مِنَ المؤمنِ، إنَّ به حاجَتَه، إنَّ به فاقَتَه، إنَّ به عِلَّتَه. يفرحُ لفرحِه، ويحزَنُ لحُزنِه، إنْ رأى منه ما لا يُعجبُه سَدَّدَه وقوَّمَه، وحاطه في السِّرِّ والعلانيةِ.

١٣٧٦ ـ وروى أبو حازم عن سهلِ بن سعدٍ: **«إنَّ المؤمنَ مِنْ أهلِ الإيمانِ بمنزِلَةِ الرأسِ مِنَ الجسدِ، يألَمُ المؤمنُ لأهلِ الإيمانِ كما يألَمُ الرأسُ لما في الجسدِ»**[(٢)].

١٣٧٧ ـ وسُئِلَ ابنُ عمر: ما حقُّ المسلمِ على المسلمِ؟ قال: لا يشبعُ ويجوعُ، ويلبَسُ ويَعْرَى، وأنْ يُواسِيَه ببيضائِهِ وصفرائِهِ.

* * *

٩٦ ـ ما جاء في المتحابّين في الله تعالى

١٣٧٨ ـ روى مالك[(٣)] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقولُ اللّهُ عز وجل يومَ القيامةِ: أين المتحابُّون لجلالي؟ اليومَ أُظِلُّهم في ظِلِّي، لا ظِلَّ إلا ظِلِّي»**.

١٣٧٩ ـ وروى مالك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«سبعةٌ يُظِلُّهمُ اللّهُ في ظلّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادةِ الله تعالى، ورجلٌ مُعَلَّقٌ قلبُه في المساجد، ورجلان تحابَّا في اللّهِ، اجتمعا عليه وافترقا، ورجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمالٍ، فقال: إني أخافُ اللّهَ عز**

---

(١) رواه أحمد ٤١١/١، وصححه ابن حبان (٤٧٣٣)، والحاكم ٢٠/٣

(٢) رواه مرفوعاً أحمد ٣٤٠/٥، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: إن إسناده لا بأس به.

(٣) في الموطأ ٩٥٢/٢. ومن طريقه رواه مسلم (٢٥٦٦).

وجل، ورجلٌ تصدقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُه ما تنفِقُ يمينُه، ورجلٌ ذكر اللَّهَ خالياً ففاضَتْ عيناه»[١].

١٣٨٠ - وروى عبد اللَّه بن أبي الهُذيل، قال: خرج عمَّار بن ياسر إلى أصحابه وهم ينتظرونه، فقالوا: أبطأتَ علينا أيها الأميرُ، فقال: أمَا إني سأحدثُكم حديثاً: إنَّ أخاً لكم ممن كان قبلَكم، وهو موسى بن عمران، قال: يا ربِّ حدثني بأحبِّ خلقِك إليك؟ قال: لم؟ قال: لأُحِبَّه لك. قال: سأحدثُكَ: رجلٌ في طرفِ الأرضِ يعبُدُني، فيسمعُ به أخٌ له في طرفِ الأرضِ لا يعرفُه، فإن أصابه مصيبةٌ فكأنما أصابَتْه، وإن شاكتْهُ شوكةٌ فكأنما شاكته، لا يحبُّه إلا لي، فذلك أحبُّ خلقي إليَّ، ثم قال موسى: يا ربِّ، خلقتَ خلقاً فجعلتَهم في النارِ، فأوحى اللَّهُ تعالى إلى موسى أنِ ازْرَعْ زرعاً، فزَرَعَه وسقاه وقام عليه حتى حصده وداسَه، فقال له: ما فعل زرعُك يا موسى؟ قال: قد رفعتُه، قال: فما تركتَ منه؟ قال: ما لا خيرَ فيه، قال: فإني لا أُدْخِلُ النارَ إلا مَنْ لا خيرَ فيه[٢].

١٣٨١ - وروى طاووس عن ابن عباس أنه قال: النِّعمةُ تُكفَرُ، والرَّحِمُ تُقْطَعُ، واللهُ يؤلِّفُ بين القلوب. فإذا قاربَ بين القلوب لم يُزَحْزِحْها شيءٌ أبداً، ثم تلا: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾ [الأنفال: ٦٣].

١٣٨٢ - ورُوِيَ عن سعدٍ الطائيِّ أنه قال: ما زار رجلٌ أخاه في اللَّهِ عز وجل رغبةً في لقائه، إلا ناداه ملكٌ مِنْ خلفِه: ألا طبت أو طابتْ لك الجنةُ[٣].

---

(١) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) حلية الأولياء ٥/٩٤.

(٣) وأخرج الترمذي (٢٠٠٨)، واللفظ له، وابن حبان (٢٩٦١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول ﷺ: **«من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ أنْ طِبْتَ وطاب ممشاك وتبوَّأْتَ من الجنة منزلاً»**. وقال الترمذي: حسن صحيح.

١٣٨٣ ـ وروى أبو رافع عن أبي هريرة: «**أن رجلاً زار أخاً له في قريةٍ أخرى، فأرسل اللَّهُ عز وجل على مَدْرَجَتِهِ[(١)] ملَكاً، فلمَّا أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريدُ أنْ أزورَ أخاً لي في هذه القريةِ، قال: فهل لك عليه مِنْ نعمةٍ تَرُبُّها[(٢)]؟ قال: لا، إني أحببتُه في الله عز وجل، قال: فإني رسولُ الله إليك، إن الله تبارك وتعالى قد أحبَّك كما أحببتَه فيه**»[(٣)].

١٣٨٤ ـ وروى محمد بن سُوقَةَ عن طلحةَ بنِ عُبيد الله بنِ كَرِيزٍ، قال: ما تحابَّ مُتحابَّانِ في الله عز وجل إلا كان أشدُّهما حباً لصاحبِه، يريد أفضَلَهما. وإنَّ ممَّا لا يُرَدُّ مِنَ الدعاءِ: دعاءُ المرءِ لأخيه بظهرِ الغيبِ، وما دعا لأخيه بخيرٍ إلا قال المَلَكُ المُوَكَّلُ به: ولك مِثْلُه[(٤)].

١٣٨٥ ـ ورُوِيَ عن بعض العلماء أنه قال: ما استفادَ عبدٌ أخاً في اللَّهِ إلا أحدَثَ اللَّهُ له درجةً في الجنة[(٥)].

١٣٨٦ ـ وقال علي بن أبي طالب ﷺ يقول: عليكم بالإخوان، فإنهم عُدَّةٌ للدنيا والآخرةِ. ألا تسمعُ إلى قولِ أهلِ النارِ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١].

١٣٨٧ ـ وقال أبو حازم: إن كان لك أخٌ في الله فلا تُعامِلْه في أمرِ دُنياك.

١٣٨٨ ـ قال ابن عباس: إن الذُّباب يقعُ على أخي، فيشقُّ عليَّ.

١٣٨٩ ـ ورُوِيَ أن الثوريَّ زاره قومٌ مِنْ إخوانه، فلم يجدوه في منْزله،

---

(١) المدرجة: الطريق.
(٢) تربُّها: تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجل ولده.
(٣) مسلم (٢٥٦٧) مرفوعاً.
(٤) وروي هذا مرفوعاً. أخرج القسم الأول منه من حديث أنس البخاري في الأدب المفرد (٥٤٤)، وابن حبان (٥٤٤)، والحاكم ٤/١٧١.
وأخرج القسم الثاني من حديث أبي الدرداء مسلم (٢٧٣٢).
(٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٦١٩٠) عن أنس ﷺ.

فإذا سُفْرَةٌ فيها خبز وجُبن، فتناولوا منه، فأتاهمُ الثوريُّ فرآهم يأكلون، فبكى، فقيل له: ما يُبكيك يا أبا عبد اللّه؟ فقال: ذكَّرتموني إخوانَ السَّلَفِ، وعاملتموني بأخلاقِ الصالحين، ولستُ منهم.

١٣٩٠ - وقال يحيى بن معاذ: ليس الصديقُ صديقاً يحتاجُ أن يقولَ له: اذكُرني في دُعائك.

١٣٩١ - وسأل رجلٌ الثوريَّ عن الأُخُوَّةِ في اللّه، فقال: يا أخي، تلك الطريقُ قد نَبَتَ عليها العَوْسَجُ[1].

١٣٩٢ - ورُوِيَ عن أبي إدريس الخولاني أنه قال: دخلتُ مسجدَ دمشق، فإذا فتى شابٌّ برَّاقُ الثَّنايا، وإذا الناسُ معه إذا اختلفوا في شيءٍ أسندوا إليه وصدَرُوا عن قوله، فسألت، فقيل: هذا معاذ بن جبل. فلما كان الغدُ، هجَّرْتُ فوجدتُه قد سبقني بالتَّهجير، ووجدتُه يصلي. قال: فانتظرتُه حتى قضى صلاتَه، ثم جئتُه من قِبَلِ وجهه، فسلمتُ عليه، ثم قلت: والله إني لأحبُّك في اللّه، فقال: آللهِ؟ فقلت: آللهِ. قال: فقال: آللهِ؟ فقلت: آللهِ. قال: فأخذ بِحَبْوَةِ ردائي، فجَبَذَه إليه، فقال: أبشِرْ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: وَجَبَتْ محبَّتي للمتحابِّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»**[2].

١٣٩٣ - ولبعضهم[3]:

عليَّ لإخواني رقيبٌ مِنَ الصَّفا ... تَبيدُ الليالي وهو ليس يَبيدُ
يُذَكِّرُنيهم في مَغيبٍ ومَشْهَدٍ ... فسِيَّانَ عندي غُيَّبٌ وشُهودُ
وإني لأستحيي أخي أنْ أبَرَّه ... قريباً وأجفو والمزارُ بعيدُ

* * *

(١) العوسج: الشوك.
(٢) رواه مالك ٢/٩٥٣ - ٨٦٤، ومن طريقه أحمد ٥/٢٣٣، وصححه ابن حبان (٥٧٥).
(٣) هو الحارث بن خالد بن العاص المخزومي، المتوفى سنة ٨٠ هـ.

٩٧ - ما جاء في حسن الخلق

١٣٩٤ - قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤]. قيل: على أدب القرآن.

١٣٩٥ - وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١٣٩٦ - وروى مالك أن معاذ بن جبل قال: كان آخرَ ما أوصاني به رسولُ الله ﷺ حين جعلت رجلي في الغَرْزِ[١] أن قال: «**أحسِنْ خُلُقَكَ للناسِ معاذَ بن جبل**»[٢].

١٣٩٧ - ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً. وقال رسول الله ﷺ: «**إن مِنْ خيرِكم أحسنَكم أخلاقاً**»[٣].

١٣٩٨ - ورُوِيَ عن أنس بن مالك أنه قال: كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجلُ فصافحه لا ينْزِعُ يدَه مِنْ يدِه حتى يكونَ الرجلُ هو ينْزِعُ، ولا يصرِفُ وجهَه عن وجهِه حتى يكونَ الرجلُ هو يصرفُ، ولم يُرَ مقدِّمُ ركبتيْه بين يدي جليسٍ له[٤].

١٣٩٩ - وقال عمرُ بن الخطاب ﷺ: كفى بالمرء عيّاً أن يَستبينَ مِنَ الناسِ ما يَخفى عليه مِنْ نفسِه، ويَعيبَ الناسَ بما يأتي، ويُؤذي جليسَه بما لا يعنيه.

---

(١) الغرز: ركاب كور الجمل إذا كان من جلد. فإذا كان من حديد أو خشب فهو ركاب.

(٢) الموطأ ٩٠٢/٢ من دون إسناد. وروى أحمد ٢٢٨/٥، والترمذي (١٩٨٧) عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**يا معاذ، اتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**». وهو حديث حسن.

(٣) البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٤) حديث ضعيف. رواه ابن المبارك في الزهد (٣٩٢)، ومن طريقه الترمذي (٢٤٩٠)، وقال: غريب، أي ضعيف.

١٤٠٠ - ورُوِيَ عن عمرو بن شُرحبيل أنَّ سَلمانَ بنَ ربيعةَ، وكان قاضياً قبلَ شُرَيْحٍ، سُئِلَ عن فريضةٍ فأخطأ فيها، فقال عَمرو بن شُرحبيل: القضاء فيها كذا وكذا، فكأنه غضب، فرفع ذلك إلى أبي موسى الأشعري، وكان على الكوفة، فقال: يا سلمانُ، كان يَنبغي لك أن لا تغضبَ، وأنت يا عمرو فكان ينبغي لك أن تُساوِرَه في أذنه، أي تُسارَّه.

١٤٠١ - وقال يحيى بن معاذ: في سَعَةِ الأخلاق كنوزُ الأرزاق.

١٤٠٢ - وقال وهب بنُ مُنَبِّهٍ: مَثَلُ سيِّئِ الخُلُق كمَثَلِ الفَخَّارة، لا تُرقَعُ ولا تُعاد طيناً.

١٤٠٣ - وقال الفُضيلُ: لأَنْ يَصحبُني فاجرٌ حَسَنُ الخُلق أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ يصحبَني عابدٌ سيِّئُ الخُلق.

١٤٠٤ - وصَحِبُ ابنَ المبارك رجلٌ سيئ الخلق في سفرٍ له، فكان يحتمل منه ويُداريه، فلما أن فارقه بكى، فقيل له في ذلك، فقال: أترحَّم عليه، أُفارِقُه وخُلُقُه لم يفارِقْه.

١٤٠٥ - وروى مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال: إن الرجلَ ليُدْرِكُ بحُسنِ خُلُقِهِ درجةَ القائمِ بالليل، الظامئِ بالهواجر[١].

١٤٠٦ - مالك عن ابن المسيب أنه كان يقول: ألا أخبرُكم بخيرٍ مِنْ كثيرِ الصلاةِ والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاحُ ذات البين. قال: وإياكم والبُغضةَ، فإنها هي الحالقة. قال سعيدٌ: لا أقول: حالقةُ الشعرِ، ولكنها حالقةُ الدينِ[٢].

(١) الموطأ ٢/٩٠٤. وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن ليدرك بخلقه درجة الصائم القائم». رواه أحمد ٦/٦٤، وأبو داود (٤٧٩٨)، وصححه ابن حبان (٤٨٠).

(٢) الموطأ ٢/٩٠٤. وهذا القول أيضاً صح نحوه من حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والقيام؟» قالوا: بلى يا رسول الله. =

١٤٠٧ ـ وروى مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**بعثت لأتمم محاسن الأخلاق**»(١).

١٤٠٨ ـ وأوصى حكيم أخاً له فقال: عليك بحسن الخلق، فقال له: وما حسن الخلق؟ قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

١٤٠٩ ـ وقال علي ﷺ: من لانَتْ كلمتُه وجبت محبَّته.

١٤١٠ ـ ولبشار:

خيرُ إخوانِكَ المشارك في المرِّ وأينَ الشَّريكُ في المرِّ أينا
أين مَنْ إن حَضَرْتَ رابَك القوْ ل وإنْ غِبْتَ كان أذْناً وعينا

* * *

٩٨ ـ ما جاء في البِشْرِ والأُلْفَة

١٤١١ ـ روى هشام بن عروة عن أبيه: مكتوبٌ في الحكمة: بُنيَّ، لتكنْ كلمتُك طيبةً، وليكُنْ وجهُك طَلْقاً تكنْ أحبَّ إلى الناس ممن يُعطيهم العطاءَ. ومَنْ يَصحب صاحبَ سوءٍ لا يسلم، ومَنْ يصحب صاحباً صالحاً يغنم.

١٤١٢ ـ وقال ابن وهبٍ: سمعت مالكاً يحدِّث قال: يُقالُ: المؤمن حَسَنُ المَعونةِ، يسيرُ المؤونةِ، والفاجرُ شديدُ المؤونة قبيحُ المعونة.

= قال: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة**». رواه أحمد ٤٤٤/٦ ـ ٤٤٥، وأبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)، وصححه ابن حبان (٥٠٩٢). وروي نحوه من حديث الزبير بن العوام ﷺ. رواه أحمد ١٦٥/١، والترمذي (٢٥١٠). وجود إسناده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٥٤٨/٣، وكذلك الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠/٨.

(١) الموطأ ٩٠٤/٢ بلاغاً. وروي مرفوعاً من حديث أبي هريرة ﷺ رواه أحمد ٣٨١/٢، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وصححه الحاكم ٦١٣/٢.

١٤١٣ ـ وقال أيوب بن القِرِّيَّةِ: أحقُّ الناس بالإجلال ثلاثة: العلماء، والسلطان، والإخوان. فمن استخَفَّ بالعلماء فَسَدَ دينُه، ومن استخَفَّ بالسلطان فسدتْ دنياه، ومن استخفَ بالإخوان فسدتْ مُروءتُه، والعاقلُ لا يستخفُّ بأحد.

١٤١٤ ـ وللخليل بن أحمد:

تَكَثَّرْ مِنَ الإخوانِ ما اسْطَعْتَ إنهم ... بُطونٌ إذا قَلَّبْتَهُمْ وظُهورُ
ليسَ كثيراً ألفُ خِلٍّ لواحِدِ ... وإنَّ عدواً واحداً لكثيرُ

* * *

٩٩ ـ ما جاء في التعاون وقضاء الحاجات

١٤١٥ ـ رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: **«أُنصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً»**[١].

١٤١٦ ـ ورُوِيَ أن سفيان الثوريَّ آخى حائكاً بالكوفة، وكان سفيانُ يقول له: يا أخي، وهو يقول لسفيان: يا معلمُ. فقال له سفيان يوماً: حَجَجْتَ؟ فقال: لا، فذهب سفيانُ فكلَّم صديقاً له في خبره، فأمر له بمائتي درهم، فجاء بها سفيانُ إليه، وقال له: يا أخي، قد يسَّرَ اللَّهُ لك الحجَّ، قال: مِنْ أين يا معلِّمُ؟ فأخبره بما فعل، فقال: قد كنتُ أظنُّ أنَّ في يدي منك شيئاً، أنا أجعل عليَّ الحجَّ فريضةً، واللهُ لم يجعلْه عليَّ؟ فاستحيا سفيان.

١٤١٧ ـ وروى عُبيدُ اللَّهِ بن الوليد الرُّصافيُّ عن أبي جعفرٍ، قال: جاء رجلٌ إلى الحسين بن علي، فاستعان به في حاجتِه، فوجده معتكفاً، فقال:

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٣و٢٤٤٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وتمامه: قال: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: **«تأخذ فوق يديه»**.

لولا اعتكافي لخرجتُ معك، وقضيتُ لك حاجتَك. ثم خرج من عندِه، فأتى الحسنَ بنَ علي، فذكر له حاجتَه، فقال: أما إني كرهت أن أُعنِّيَكَ في حاجتي، بدأتُ بالحُسين بن علي، فقال: لولا اعتكافي لخرجتُ معك، فقال الحسنُ بن علي: لَقَضاءُ حاجةِ أخٍ لي في اللَّهِ أحبُّ إليَّ مِنَ اعتكافِ شهرٍ.

١٤١٨ ـ وروى حُمَيدٌ الطويلُ عن الحسنِ أنه دخل على ثابتٍ البُنانِيِّ لينطَلِقَ في حاجةٍ لرجلٍ، فقال ثابتٌ: إنِّي معتكفٌ، فقال الحسنُ: لأَنْ أقضِيَ حاجةً لرجلٍ مسلمٍ أحبُّ إليَّ مِنَ اعتكافِ سنةٍ.

١٤١٩ ـ ولبعضهم:

افْعَلِ الخَيْرَ ما اسْتَطَعْتَ وإنْ كان قليلاً فَلَنْ تُحيطَ بِكُلِّهْ
فَمَتى تَفْعَلِ الكَثيرَ مِنَ الخَيْرِ إذا كُنتَ تاركاً لأَقَلِّهْ

* * *

١٠٠ ـ ما جاء في المواساة والإيثار

١٤٢٠ ـ قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

١٤٢١ ـ وقال عز وجل: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١١].

١٤٢٢ ـ قيل لمالكٍ: الأسيرُ[1]: أمسلمٌ هو أم مشركٌ؟ فقال: بل مشركٌ.

١٤٢٣ ـ وروى أبو بُردةَ عن أبي موسى الأشعري، قال: قال

---

(١) يعني المذكور في الآية السابقة.

النبي ﷺ: «**إنَّ الأشعريين إذا أرملوا[١] في الغزو أو قَلَّ طعامُ عيالِهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندَهم في ثوبٍ واحدٍ، ثم اقتسموه بينهم بالسَّوِيَّةِ، فهم مِنِّي وأنا منهم**»[٢].

١٤٢٤ ـ وروى عُبيد اللّه بن عبد اللّه بن عُتبة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كان تاجرٌ يُداينُ الناسَ، فإذا رأى مُعسِراً قال لفِتيانِه: تجاوزوا عنه لعلَّ اللّهَ أن يتجاوزَ عنا، فتجاوز اللّهُ عنه**»[٣].

١٤٢٥ ـ وروى مالكٌ عن أنس، قال: قال أبو طلحةَ لأمِّ سُلَيْم: لقد سمعتُ صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفاً، أعرفُ فيه الجوعَ، فهل عندَك مِنْ شيءٍ؟ قالت: نعم، فأخرجتْ أقراصاً مِنْ شعيرٍ، ثم أخذتْ خِماراً لها فلفَّتِ الخبزَ ببعضِه، ثم أرسلتني إلى رسولِ الله ﷺ، فذهبتُ فوجدتُ رسولَ الله ﷺ في المسجدِ ومعه الناسُ، فقمتُ عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أرسلك أبو طلحةَ**»؟ فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «**قوموا**». قال: فانطلَقوا وانطلقتُ بين أيديهم، حتى جئتُ أبا طلحة، فأخبرتُه فقال أبو طلحة: يا أُمَّ سُلَيْم قد جاء رسولُ الله ﷺ وليس عندنا مِنَ الطعامِ ما نُطعمُهم، فقالت: اللّهُ ورسولُه أعلمُ، فانطلق أبو طلحة حتى لقِيَ رسولَ الله ﷺ، فأقبل رسولُ الله ﷺ وأبو طلحةَ حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ: «**هَلُمِّي يا أمَّ سُلَيم ما عندَك**»؟ فأتتْ بذلك الخبزِ، فأمر رسولُ الله ﷺ بذلك الخبزِ فَفُتَّ، وعَصرتْ لهم أمُّ سُلَيم عُكَّةً[٤] لها فآدَمَتْهُ، ثم قال رسولُ الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «**ائذنْ لعشرةٍ**» فأذِنَ لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرةٍ**» فأذِنَ لهم،

---

(١) أرملوا: نفد زادهم.
(٢) البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠).
(٣) البخاري (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).
(٤) العكة: إناء من جلد يوضع فيه السمن والعسل.

فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: «**ائذن لعشرةٍ**»، فأكل القومُ كلُّهم وشبعوا، والقومُ سبعون أو ثمانون[(١)].

١٤٢٦ ـ وروى أبو صالح السَّمَّان عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا يكلِّمُهُمُ الله يومَ القيامةِ ولا ينظرُ إليهم: رجلٌ حلفَ على سلعتِه: لقد أُعْطِيَ بها أكثرَ ممَّا أُعْطِيَ وهو كاذبٌ، ورجلٌ حلف على يمينٍ كاذبةٍ بعدَ العصرِ ليَقْتَطِعَ بها مالَ رجلٍ مسلمٍ، ورجلٌ مَنَعَ فضلَ مائِهِ، فيقولُ الله عز وجل: اليومَ أمنعُكَ فضلي كما منعتَ فَضْلَ ما لم تعملْ يداك**»[(٢)].

١٤٢٧ ـ ورُوِيَ عن جابر بن عبد الله أنه قال: هلاكٌ بالرجلِ أن يَدخُلَ عليه رجلٌ مِنْ إخوانِه فيَحْتَقِرَ ما في بيتِه أنْ يقدِّمَه إليهم، وهلاكٌ بالقومِ أنْ يَحْتَقِروا ما قُدِّمَ إليهم[(٣)].

١٤٢٨ ـ ولأبي العتاهية:

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها ... إذا أطاعَ اللَّهَ مَنْ نالَها
مَنْ لَمْ يُواسِ النَّاسَ مِنْ فضلِه ... عَرَّضَ للإدْبارِ إقبالَها
فاحْذَرْ زوالَ الفَضْلِ يا مانِعاً ... وَوَاسِ مِنْ دُنياك مَنْ سَالَها
فإنَّ مولاك سَريعُ الجَزاءِ ... يُعطيكَ بالحَبَّةِ أمثالَها

١٤٢٩ ـ ولمحمد بن خازم:

لا الفقرُ عارٌ ولا الغِنى شَرَفٌ ... ولا سخاءٌ في طاعةٍ سَرَفُ
مالُكَ الذي تُقَدِّمُه ... وكلُّ شَيْءٍ أخَّرْتَه تَلَفُ

---

(١) البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠) وتقدم برقم (٤١٩).

(٢) البخاري (٢٣٦٩)، ومسلم (١٠٨).

(٣) رواه أحمد ٣/٣٧١، وأبو يعلى في المسند (١٩٨١و٢٢٠١) ضمن حديث مرفوع. وأورده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٣/٣٧٤، ونسبه إلى أحمد وأبي يعلى والطبراني، وقال: وبعض أسانيدهم حسن. ثم قال: لعل قوله: «**إنه هلاك بالرجل**» إلى آخر كلام جابر مدرج غير مرفوع، والله أعلم.

١٤٣٠ ـ ولبعضهم:

وإنِّي امْرُؤٌ ما تَسْتَقِرُّ دراهمي على الكَفِّ إلا عابِراتِ سَبيلِ
أُحَكِّمُ فيها الحقَّ حتى أُذِلَّهَا إذا ذادَ عنها الحقَّ كلُّ بخيلِ

١٤٣١ ـ ولغيره:

ملأتُ يدي مِنَ الدنيا مِراراً فما طَمِعَ العواذِلُ في اقتصادي
ولا وَجَبَتْ عليَّ زكاةُ مالٍ وهل تجِبُ الزكاةُ على جوادِ

١٤٣٢ ـ وقال داود بن عبد الله الجعفري: سمعت مالكاً يقول: كان ابنُ شهابٍ مِنْ أسخى الناسِ، فلمَّا أصابَ تلك الأموالَ قال له مولاه: قد رأيتَ ما مرَّ عليك مِنَ الضِّيقِ والشِّدَّةِ، فانظر كيف تكونُ وأمسِكْ عليك، فقال ابنُ شهابٍ: إنَّ الكريمَ لا تُحَنِّكُه التجارب.

١٤٣٣ ـ وقال إسحاق بن عيسى الطباعُ عن مالكِ بن أنس: قال الزُّهري: وجدتُ السَّخِيَّ لا تنفعُه التجارب.

١٤٣٤ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: **«ابنَ آدمَ، إنما لك مِنْ مالِك ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو أعطيتَ فأمضيتَ»**[1].

١٤٣٥ ـ ورُوِيَ عن عمرَ بن الخطاب ﷺ أنه قيل له: مَنِ السيدُ؟ قال: الجوادُ إذا سُئِلَ، الحليمُ إذا استُجْهِلَ، الكريُم المجالسةِ لمن جالَسَه، الحَسَنُ الخُلُقِ لمن جاورَه.

١٤٣٦ ـ وروى ابن أبي رَوَّادٍ أن ابن عمر كان في مسيرٍ له فنَزَل منْزلاً ولم يَجِئْ ثِقْلُه، فلما أنْ رآه الرِّفاقُ أرسلوا إليه مِنْ طعامِهم، فقعد ابنُ عمر وأصحابُه، وجاءه المساكينُ، فنظر ابن عمر إلى أفضل شيءٍ يحضُرُه مِنَ الطعام، فإذا بقَصْعَةٍ فيها ثريدٌ، فرفعها إلينا ولهم، فأخذ ابنٌ له بالقَصْعَةِ،

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) من حديث عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ.

فقال: هذا أفضلُ طعامِك فدعه لنا، وها هنا مِنَ الطعامِ ما نُطعِمُهم، قال: فتنازعا القَصْعَةَ بينهما، فقال ابن عمر: إنما أجافي بها عن رقَبَتي.

١٤٣٧ ـ وقال الحجَّاجُ: المُبَخَّلُ على الطعامِ أقبحُ مِنَ البَرَصِ على الجسدِ.

١٤٣٨ ـ ورُوِيَ عن نافع أن عبد الله بنَ عمرَ اشتكى، فاشتُرِيَ له عُنقودٌ من عنب بدرهمٍ، فجاء مسكينٌ فسأل، فقال: أعطوه إياه، فخالفَ إنسانٌ فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إليه، فجاءَ المسكينُ فسأل، فقال: أعطوه إياه، ثم خالفه إنسانٌ فاشتراه منه بدرهم، فأراد أن يرجِعَ حتى مُنِعَ، ولو علم ابنُ عمرَ بذلك العنقودِ ما ذاقَهُ[1].

١٤٣٩ ـ وروى الحارثُ بن سُوَيْدٍ عن عبد اللَّه، قال: قال النبي ﷺ: **«أيُّكم مالُ وارِثِهِ أحَبُّ إليه مِنْ مالِه»** ؟ قالوا: يا رسولَ اللَّه، ما مِنَّا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه. قال: **«فإنَّ مالَه ما قدَّم، ومالَ وارِثِهِ ما أخَّرَ»**[2].

١٤٤٠ ـ وقالت لأبي مُسلمٍ امرأتُه: خذْ هذين الدِّرهمين فاشترِ لنا بهما دقيقاً، فقال للجارية: خُذي جِرابَك، فخرج حتى مرَّ بقومٍ قد كان أبو مسلم يعودُهم، ولا يعرفُ منهم إلا صِدْقاً، فقالوا: يا أبا مسلِم، نشكو إلى الله وإليك الجوعَ اليومَ، فرمى بأحد الدرهمين، ثم مرَّ بآخرين، فقالوا له مِثلَ ذلك، فرمى إليهم بالدرهمِ الثاني، وقال للجارية: انقلِبي، فأتتْ أهلَها، فقيل لها: أينَ الطحينُ؟ فقالت: لا أدري، فأتى أبو مسلمٍ، فقالت له أهلُه: أينَ الطحينُ بأبي أنت؟ قال: استقرضني إياه مَنْ لمْ أقدِرْ على ردِّه لكثرةِ إحسانِه إليَّ، قالت: قد كنا على حالِ شدةٍ، قال: إنَّ الله تعالى لا يدَعُنا.

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٧٨٢)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير ٢٦٦/١٢ رقم (١٣٠٦٧).

(٢) البخاري (٦٤٤٢). وعبد الله راوي الحديث هو ابن مسعود ﷺ.

ثم خرج إلى الصلاة، فأتاه رجلٌ بصُرَّةٍ، فقال: استَعِنْ بها يا أبا مسلم، فذهب ينظُرُ فإذا فيها ثلاثون ديناراً، فذهب فاشترى طحيناً وأشياءَ، فجاءها بحمَّالين، فقالت: مِنْ أين هذا؟ قال: مِنْ صاحبِ الدرهمين، واللهُ الذي أقرضْتُه إياهما، فقالت: يا أبا مسلمٍ إنَّ حَقَّ هذا لعظيمٌ، أقسمتُ عليك ألا تمنعَ هذا وفي يدِك شيءٌ إلا أقرضْتَه، قال أبو مسلم: وأبو مسلم يُقسمُ على نفسِه بمثلِ ما أقسمتِ ليَفعلَنَّ إن شاء الله تعالى.

١٤٤١ - وروى الأصمعيُّ أن حرباً كانت بالباديةِ، ثم اتَّصلتْ بالبصرة، فتفاقم الأمرُ فيها حتى مُشِيَ بين الناس بالصلح، فاجتمعوا في المسجد الجامع. قال: فبُعِثْتُ وأنا غلامٌ إلى ضرارِ بن القعقاعِ من دارِمٍ، فاستأذنتُ عليه فأذن لي، فإذا هو في شَمْلَةٍ يَخيطُ بُرْداً لعنزٍ له حَلُوب، فخبَّرْتُه بمجتمع القوم، فأمهلَ حتى أكلتِ العنْزُ، ثم غسل الصَّحْفَةَ، وصاح: يا جاريةُ غدِّنا، فأتته بزيتٍ وتمر. قال: فدعاني فعَذِرْتُه أن آكلَ معه، حتى إذا قضى من أكله حاجتَه، وثب إلى طينٍ مُلقى في الدار فغسل به يده، ثم صاح: يا جاريةُ، اسقني ماءً، فأتته بماءٍ فشربه، ومسح فضلَه على وجهه، ثم قال: الحمد لله؛ ماءُ الفُراتِ، بتمرِ البصرة، بزيتِ الشام، متى نُؤدِّي شكرَ هذه النِّعمِ. ثم قال: عليَّ بردائي، فأتته برداء عَدَنِيٍّ، فارتدى به على تلك الشَّمْلَةِ. قال الأصمعيُّ: فتجافيتُ عنه استقباحاً لزِيِّه، فلما دخل المسجد صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم، فلم تَبْقَ حَبْوَةٌ إلا حُلَّتْ إعظاماً له، ثم جلس فتحمَّلَ جميعَ ما كان بين الأحياء في مالِه وانصرفَ.

١٤٤٢ - ورُوِيَ عن بعض أصحاب إبراهيمَ بنِ أدهمَ أنه قال: كنت جالساً يوماً مع إبراهيم، إذ مر بنا رجلٌ من أصحابه، فلم يُسَلِّمْ، فقال إبراهيم: أليس هذا فلانٌ صاحبُنا؟ فقيل له: نعم، فقال لبعضِ من كان معنا: الْحَقْ به واسأله عن شأنِه، ولأيِّ شيءٍ لم يُسلِّمْ، فلحِقَ به وسأله، فقال: امرأتُه وضعتِ الليلةَ وليس عندي شيءٌ، فخرجتُ وأنا متحيِّرٌ، فما شعرتُ بكم. فقال إبراهيم: إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف غفَلْنا عن

صاحبِنا؟ ثم قال لرجلٍ ممن كان معه: اذهبْ إلى فلان، فقل له يقول لك إبراهيم: أسْلِفْنا دينارين، ثم ادخلِ السوقَ فاشترِ بدينارٍ ما يُصْلِحُهُ، ثم ادفع إليه الدينارَ الآخرَ، قال: فدخلتُ السوقَ فاشتريتُ بدينارٍ ما رأيتُ أنه يحتاج إليه، ثم توجهتُ إلى داره، فدقَقْتُ البابَ، فأجابتني امرأةٌ، فألقيتُ ما معي في صحنِ الدارِ، وأخبرتُها أنَّ إبراهيمَ وجَّهَ إليكم بهذا، فقالت: اللَّهُمَّ لا تَنْسَ لإبراهيمَ هذا اليومَ، فانصرفتُ إلى إبراهيمَ فأخبرتُه بذلك، فما رأيته فرِحَ فرحاً مثلَ ذلك اليومِ.

١٤٤٣ ـ وقال ابن خثيم: كانت معيشةُ عطاءٍ لا زرعَ ولا ضَرعَ، ولكن صلة الإخوان، وكذلك النَّخَعِيُّ.

١٤٤٤ ـ قال أشهبُ: بلغني أن عبد الله بنَ عُمر قال: لقد كنَّا ما أحدُنا أولى بدينارِه مِنْ أخيه المسلم، ثم ذهب ذلك، فكانتِ المواساةُ، ثم ذهبتِ المواساةُ، فكان السَّلَفُ، ثم ذهب السَّلَفُ، فكانتِ العِينَةُ.

١٤٤٥ ـ وروى ابنُ سابطٍ أنَّ أبا جهم بن حُذيفةَ العَدَويَّ قال: انطلقتُ يومَ اليرموكِ أطلبُ ابنَ عمٍّ لي، ومعي شَنَّةٌ[١] مِنْ ماءٍ، أو إناءٌ، فقلت: إن كان به رَمَقٌ سقيتُه مِنَ الماءِ، ومسحتُ به وجهَه، قال: فإذا أنا به ينشغ[٢]، فقلت: أسقيك؟ فأشار: أنْ نعم، فإذا رجلٌ يقول: آه، فأشار ابنُ عمي أنِ انطلِقْ إليه، فإذا هو هشامُ بن العاصِ أخو عَمرو بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فسمع آخرَ يقول: آه، فأشار هشامٌ أنِ انطلقْ إليه، فجئتُه فإذا هو قد مات، ثم رجعتُ إلى هشامٍ، فإذا هو قد مات، ثم أتيتُ ابنَ عمي، فإذا هو قد مات[٣].

(١) الشنة: القربة الخلق البالية.
(٢) ينشغ، بالغين المعجمة، وقيل: بالعين المهملة: كرب من الموت.
(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٢٥)، والجهاد (١١٦)، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ٣/٢٦٠.

١٤٤٦ ـ وذكر الزبير بن بكار، قال: استشهد باليرموك الحارثُ بنُ هشام، وعِكرمةُ بن أبي جهل، وسُهيلُ بن عمرو، فأُتُوا بماءٍ وهم صرعى فتدافَعوه، كلما دُفِعَ إلى رجلٍ منهم قال: اسقِ فلاناً، حتى ماتوا ولم يشربوه. طلب عكرمةُ الماءَ، فنظر إلى سُهيلٍ ينظرُ إليه، فقال: ادفعه إليه، فنظر سهيلٌ إلى الحارثِ ينظرُ إليه، فقال: ادفعه إليه، فلم يصل إليه حتى ماتوا.

١٤٤٧ ـ وكان بُهلولُ بن راشدٍ القَرَويُّ لما سُجِنَ أعطى السجَّانَ في كلِّ يومٍ ديناراً، فقال له أصحابه: يا أبا عمرو في كلِّ يوم دينارٌ! قال: وما في ذلك، فقال لهم حفصُ بن عُمارةَ: سمعت سفيانَ الثوريَّ يقول: إذا كمُلَ صدقُ الصادقِ لم يملِكْ ما في يديه، فخرَّ بُهلولٌ على يديه يقبِّلُهما، وجعل يقول له: سألتُك بالله أنتَ سمعتَه يقولُ هذا؟ فحلف بالله لقد سمعَ سفيانَ يقولُه.

١٤٤٨ ـ وقال بعضُ الحكماء: من جمع السخاءَ والحياءَ، فقدِ استجادَ الإزارَ والرِّداءَ.

١٤٤٩ ـ وقال زيادُ بن حُدَيْر: رأيتُ طلحةَ بنَ عُبيد الله فرَّقَ مائةَ ألفٍ في مجلس، وإنه ليَخيطُ إزارَه بيده.

١٤٥٠ ـ ودخل المُنْكَدِرُ على عائشةَ رضي الله عنها، فقال: أصابتْني حاجةٌ، فقالت: ما عندنا شيءٌ، فلو كانت عندي عشرةُ ألفٍ لبعثتُ بها إليك. فلمَّا خرج من عندها جاءتها عشرةُ ألف مِنْ عند خالدِ بن أُسيد، فأرسلت بها في أثرِه، فدخل السوقَ، فاشترى جاريةً بألف درهم، فولَدت له ثلاثةَ أولادٍ، فكانوا عُبَّادَ المدينة: محمد وأبو بكر وعمر بنو المُنْكَدِرِ.

١٤٥١ ـ ويُروى أنَّ أعرابياً قدِمَ على عليِّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لي إليك حاجةٌ، الحياءُ يمنعُني أنْ أذكرَها لك.

قال: يا أعرابي، فخُطَّها في الأرض، فخطَّ فيها: إني فقيرٌ، فقال لغلامه: يا قَنْبَرُ، اُكْسُهُ حُلَّتي، فكساه الحُلَّةَ، فقال:

كَسَوْتَني حُلَّةً تَبْلَى مَحاسِنُها ... فسوف أكسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنا حُلَلا
إنْ نِلْتَ حُسْنَ ثنائي نِلْتَ مَكْرُمَةً ... ولسْتَ تَبْغي بما قدْ نِلْتُه بَدَلا
إنَّ الثَّناءَ لَيُحْيي ذِكْرَ صاحِبِه ... كالغَيْثِ يُحْيى نَداهُ السَّهْلَ والجَبَلا
لا تَزْهَدِ الدَّهْرَ في عُرْفٍ بَدَأْتَ بهِ ... كلُّ امرِئٍ سوف يُجْزَى بالذي فَعَلا

قال: فقال عليٌّ ﷺ: زِدْهُ مائةَ دينارٍ، فأعطاه إياها، فلمَّا تولَّى الأعرابيُّ، قال له قَنْبَرُ: يا أميرَ المؤمنين، لو فرَّقتَها في المسلمين لأصلحتَ بها مِنْ شأنهم، فقال: مَهْ يا قَنْبَرُ، بل تشكروا لمن أثنى عليكم، وإذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرِموه.

١٤٥٢ ـ قال الشاعر:

فلو كانَ يَسْتَغْني عَنِ الشُّكْرِ ماجِدٌ ... لِرِفْعَةِ حالٍ أو عُلُوِّ مكانِ
لَمَا أمرَ الرَّحمنُ بالشُّكْرِ خَلْقَهُ ... فقالَ اشْكُروا لي أيُّها الثَّقَلانِ

١٤٥٣ ـ وقال بعض الحكماء[1]: «**مَنْ صَنَعَ إليكم معروفاً فكافِؤوه، فإنْ لم تجدوا له ذلك فادعوا له خيراً**».

١٤٥٤ ـ وقال ابن عباس: لا يتمُّ المعروف إلا بثلاثٍ: تعجيلُه، وتصغيرُه، وسَتْرُه، فإذا عجَّلَه فقد هنَّاه، وإذا صغَّرَه فقد عظَّمه، وإذا ستره فقد تمَّمَه.

١٤٥٥ ـ وقال علي بن أبي طالب ﷺ: خيرُ المسلمين مَنْ وَصَلَ وأعانَ ونَفَعَ.

---

(١) بل هو من قول الرسول الكريم ﷺ رواه من حديث ابن عمر ﷺ أحمد ٩٩/٢، والبخاري في الأدب المفرد (٢١٦)، وصححه ابن حبان (٣٤٠٨)، والحاكم ٤١٢/١.

١٤٥٦ ـ قال مالك: يُذْكَرُ أنَّ أبا الدرداء قال: إني لبخيلٌ إن كان عليَّ ثلاثةُ أثوابٍ لا أُقْرِضُ اللَّهَ أحدَها.

١٤٥٧ ـ وقال الحسن: كان أحدُهم يَشُقُّ إزارَه لأخيه باثنَتَيْن.

١٤٥٨ ـ وقال مَيمونُ بن مَيمون: مَنْ طلبَ مرضاةَ الإخوانِ بلا شيءٍ، فلْيُصادِقْ أهلَ القُبُوَّةِ.

١٤٥٩ ـ ولبعضهم:

وآمِرَةٍ بالبُخْلِ قلتُ لها اقْصِرِي ... فليسَ إليه ما حَيِيتُ سَبيلُ
أرى النَّاسَ خِلاَّنَ الكِرامِ ولا أرى ... بخيلاً له في العالمينَ خَليلُ
وإنِّي رأيتُ البُخْلَ يُزْرِي بأهْلِهِ ... فأكْرَمْتُ نفسي أنْ يُقالَ بَخيلُ
ومِنْ خيرِ حالاتِ الفَتى لو عَلِمْتَه ... إذا نالَ خيراً أنْ يكونَ يُنيلُ

١٤٦٠ ـ ولعَمرو بن الأهتم:

ذَريني فإنَّ البُخْلَ يا أمَّ مالكٍ ... لِصالحِ أخلاقِ الرِّجالِ سَروقُ
لَعَمْرُكَ ما ضاقَتْ بلادٌ بأهْلِها ... ولكنَّ أخلاقَ الرِّجالِ تَضيقُ

١٤٦١ ـ ولبعضهم:

ذَريني أكُنْ للمالِ ربّاً ولا يَكُنْ ... ليَ المالُ ربّاً تَحْمَدِي غِبَّهُ غدَا
أريني جَواداً ماتَ هُزْلاً لَعَلَّني ... أرى ما تَرَيْنَ أو بَخيلاً مُخَلَّدَا

١٤٦٢ ـ ولكعب بن زهير:

وعاذِلَةٍ تَخشى الرَّدَى أنْ يُصيبَني ... تروحُ وتَغدو بالمَلامَةِ والقَسَمْ
تقولُ هَلَكْنَا إنْ هَلَكْتَ وإنَّما ... على اللَّهِ أرزاقُ العبادِ كما زَعَمْ
فإنِّي أُحِبُّ الخُلْدَ لَوَ اسْتَطيعُهُ ... وكالخُلْدِ عندي أنْ أموتَ ولمْ أُلَمْ

١٤٦٣ ـ ولعُرْوَةَ بنِ الوَرْدِ:

إنِّي امرؤٌ عافي إنائيَ شِرْكَةٌ ... وأنتَ امرؤٌ عافي إنائِكَ واحِدُ

أَتَضْحَكُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وإن ترى ... بجسمي شحوبَ الحَقِّ والحَقُّ جاهدُ
أُقَسِّمُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأحسو قَراحَ الماءِ[١] والماءُ باردُ

١٤٦٤ ـ ورُوِيَ أنه كان عند بُهلولِ بن راشدٍ طعامٌ، فغلا السعرُ، فأمر به فبيعَ له، ثم أمر أن يُشترى له نصفُ ربعِ القفيزِ، فقيل له: تبيعُ وتشتري؟ فقال: نفرحُ إذا فرح الناسُ، ونحزن إذا حزنوا.

١٤٦٥ ـ وقال مالك: إن رجلاً كان عنده طعامٌ كثيرٌ، فغلا الطعامُ، فأتى الناسُ يغبِطونَه بذلك، قال: فإنِّي أُشهِدُكم أنه للناسِ بما اشتريتُه، ثم قال: أبِجوعِ الناس تغبطونني؟.

١٤٦٦ ـ وقال المغيرةُ بن شُعبةَ: في كلِّ شيءٍ سَرَفٌ إلا في المعروفِ.

١٤٦٧ ـ وقيل للحسن بن سَهلٍ: لا خيْرَ في السَّرَفِ، فقال: لا سَرَفَ في الخيْرِ، فقلب اللفظَ، واستوفى المعنى، وبيَّنَ الحُكْمَ.

١٤٦٨ ـ ولأمِّ حاتِمِ طَيِّئٍ:

لَعَمْري لَقِدْمَاً عَضَّني الجوعُ عَضَّةً ... فآلَيْتُ ألاَّ أمنعَ الدَّهرَ جائعا
فقولا لهذا اللائمِ الآن أعْفِني ... فإنْ أنتَ لم تستَطِعْ فَعَضَّ الأصابِعا
فهل ما تَرَوْنَ اليومَ إلا طَبيعَةً ... وكيف بتَرْكي يا ابنَ أُمِّ الطَّبائِعا[٢]

١٤٦٩ ـ ولغيرِها[٣]:

أصونُ عِرْضي بمالي لا أُدَنِّسُه ... لا باركَ اللَّهُ بعدَ العِرْضِ في المالِ
أحتالُ للمالِ أن أوْدَى فَأَجْمَعهُ ... ولستُ للعِرْضِ إنْ أَوْدى بِمُحْتالِ
كم مِنْ غَنِيٍّ رأينا الفَقْرَ أدْرَكَهُ ... ومِنْ فقيرٍ تَغَنَّى بعدَ إقْلالِ

---

(١) الماء القراح: الذي لا يشوبه شيء.
(٢) أورد المصنف البيت الأول من هذه الأبيات برقم (١٢٠٩).
(٣) وهو حسان بن ثابت ﷺ.

لا يـيأسَـنَّ فقيرٌ أنْ يُصيبَ غِنىً ... يوماً ولا يَأْمَنَنَّ الفَقْرَ ذو مالِ

١٤٧٠ ـ وعُوتِبَ عبدُ الله بنُ جعفرٍ على كَثرةِ إفضالِه، فقال: إنَّ الله تعالى عوَّدني أنْ يتفضَّلَ عليَّ، وعودْتُه أن أتفضَّلَ على عباده، فأكرَهُ أن أقطعَ العادةَ، فيقطعَ عني المادَّةَ.

١٤٧١ ـ ورُوِيَ أنَّ اللَّهَ عز وجل أوحى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تقتُلِ السَّامِرِيَّ؛ فإنَّه سخيٌّ.

١٤٧٢ ـ ولبعضهم:

لا تَبْخَلَنَّ بدُنيا وهي مُقْبِلَةٌ ... فليس يُنْقِصُها التَّبْذيرُ والسَّرَفُ
وإنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرى أنْ تَجودَ بها ... فالحَمْدُ منها إذا ما أدْبَرَتْ خَلَفُ

* * *

١٠١ ـ ما جاء في التواضع

١٤٧٣ ـ قال الحسنُ البصريُّ: أتى جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ ومعه إسرافيلُ، ولم ينْزِلْ إسرافيلُ إلى الأرض قطُّ قبلَها، فقال إسرافيلُ: يا محمدُ، إنَّ ربَّك بعثني إليك يخيِّرُك بين أنْ تكونَ نبياً عبداً، أو نبياً مِلِكاً، فنظر نبيُّ اللَّهِ ﷺ إلى جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كالمستشيرِ له، وكان ناصحاً، فأشار إليه جبريل أنْ تواضَعْ، فقال النبي ﷺ: **«فإنِّي أختارُ أنْ أكونَ نبيّاً عبداً»**. فقال إسرافيلُ: يا محمدُ، فإنَّ اللَّهَ قد أعطاك بما تواضعْتَ له أنَّك سيدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامةِ، وأولُ مَنْ تنشَقُّ الأرضُ عنه، وأولُ شافِعٍ[1].

---

(١) هذا مرسل، رواه حماد بن إسماعيل البغدادي في كتاب تركة النبي ﷺ ص ٤٨ ـ ٤٩. ورواه بنحوه مرفوعاً من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ابن المبارك في الزهد (٤٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير١٠/٢٨٨، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ٤/١٩٦. =

١٤٧٤ ـ وروى حُميدٌ الطويلُ عن أنس بن مالك أنه قال: إنْ كانتِ الأَمَةُ مِنْ إماءِ المدينةِ لَتَأْخُذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ فتنطَلِقُ به حيثُ شاءت[١].

١٤٧٥ ـ وقال مالك: لَمَّا دخل رسولُ الله ﷺ عامَ الفتحِ مكةَ، وسارتِ الجنودُ بين يديه، أكبَّ على واسِطَةِ الرَّحْلِ، ثم قال: «**المُلكُ لله الواحدِ القَهَّارِ**»، فقال أبو سفيانَ للعباس: لقد أصبح لابنِ أخيك ملكٌ عظيمٌ، فقال له العباسُ: ليس بالملكِ ولكنَّها النُّبوَّةُ[٢].

١٤٧٦ ـ وقال سلامانُ بن عامرٍ: أرأيتُم سُليمانَ عليه السلام وما أُعطيَ مِنْ مُلكه، فإنه لم يرفعْ بصرَه إلى السماء قطُّ تَخَشُّعاً وتواضُعاً لله تعالى.

١٤٧٧ ـ وقال عطاءٌ: إنْ كانتِ العجوزُ مِنْ عجائزِ بني إسرائيل لتَعْتَرِضُ سيلمانَ بنَ داودَ وهو على الرِّيحِ، ومعه الجنودُ، فيأمرُ الريحَ فتقفُ، فينظرُ في حاجتِها ثم يمضي.

١٤٧٨ ـ ورُوِيَ أن رسولَ الله ﷺ كان يُؤتى بطعامِه، فيُوضَعُ على الأرض، ثم يقول: «**إنما أنا عبدٌ، آكُلُ كما يأكلُ العبد**»[٣].

١٤٧٩ ـ ورُوِيَ أن عمر بن الخطاب عليه السلام حجَّ، فلمَّا كان

= ورواه من حديث عائشة رضي الله عنها أبو يعلى (٤٩٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩/٩: إسناده حسن.
ورواه مختصراً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أحمد ١٣١/٢، وصححه ابن حبان (٦٣٦٥).

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٦٠٧٢) معلقاً. ووصله أحمد ٩٨/٣، وابن ماجه (٤١٧٧).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٢٦٤) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٧/٦: رجاله رجال الصحيح. ورواه الطبراني أيضاً في المعجم الصغير (٩٦٨)، والمعجم الكبير ٤٣٣/٢٣ ـ ٤٣٤ من حديث ميمونة رضي الله عنها. وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٣/٦ ـ ١٦٤.

(٣) حديث حسن، رواه من حديث عائشة: ابن سعد في الطبقات ٣١٨/١، وأبو يعلى (٤٩٢٠).

بضجنانَ[١] قال: لا إله إلا الله العليُّ العظيم، المعطي مَنْ شاء ما شاء، كنتُ في هذا الوادي في مِدْرَعةِ صوفٍ أرعى إبِلَ الخطَّابِ، وكان فظّاً يُتعِبُني إذا عملتُ، ويضرِبُني إذا قصَّرتُ، وقد أمسيتُ الليلةَ ليس بيني وبين الله أحدٌ، ثم تمثَّل:

لا شيْءَ ممَّا ترى تبقى بشاشَتُه	يبقى الإلهُ ويُودي المالُ والولدُ
لم تُغنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُه	والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ به	والجِنُّ والإنسُ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانت نوافِلُها	مِنْ كلِّ أوبٍ إليها رائدٌ يَفِدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا فَنَدٍ[٢]	لا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يوماً كما ورَدُوا

١٤٨٠ ـ وقال طارق بن شهاب: لما قدِمَ عُمر بن الخطاب عليه السلام الشامَ، أُتِيَ ببِرْذونٍ فركبه، فهزَّه فكرهه فنَزَل عنه، وركب بعيرَه فعَرَضَتْ له مخاضَةٌ، فنَزل عن بعيرِه، ونزع مُوقَيْه[٣] وأخذهما بيده، وخاض الماء وهو ممسكٌ بعيرَه بخِطامِه، أو بزمامِه، فقال له أبو عُبيدةَ: لقد صنعتَ اليومَ صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض. قال: فصكَّ في صدرِه، ثم قال: أوَّه! يمدُّ بها صوتَه، لو غيرَك يقول هذا يا أبا عبيدةَ، إنكم كنتم أقلَّ الناسِ، وأحقرَ الناس، وأذلَّ الناس، فأعزَّكُمُ اللَّهُ تعالى بالإسلام، فمهما تطلُبوا العِزَّ بغيرِه يُذِلُّكُمُ اللَّهُ عز وجل.

١٤٨١ ـ وقالت عائشة رضي الله عنها: إنكم لَتَغْفُلون، أفضلُ العبادةِ التواضعُ[٤].

١٤٨٢ ـ وقال عيسى بن مريم عليه السلام: أربعٌ لا يجتمِعْنَ في أحدٍ إلا

(١) ضجنان: جبل قرب مكة.
(٢) الفند: الكذب.
(٣) الموق: خفٌّ غليظ يلبس فوق الخف.
(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٩٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣١/٧).

بِعَجَبٍ[1]: الصمتُ وهو أولُ العبادة، والتواضعُ لله، والزهدُ في الدنيا، وقِلَّةُ الشيءِ[2].

١٤٨٣ - ورُوِيَ أن النجاشي أرسل يوماً إلى جعفرٍ وأصحابِه، فدخلوا عليه، فإذا هو جالس على الأرض وعليه خُلْقانُ ثيابٍ، فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما في وجوهنا، قال: إنِّي أبشِّرُكم بما يسُرُّكم، إني جاءني مِنْ عوارضكم عينٌ، فأخبرني أن اللَّهَ تعالى قد نصر نبيَّه، وأهلك عدوَّه، وأَسَّر فلاناً وفلاناً التقَوْا بوادٍ يقال له بدر، كثير الأراك، كأني أنظر إليه، كنت أرعى فيه لسيدي، رجلٍ من بني ضَمْرةَ، إبله. فقال له جعفر: مالَكَ جالسٌ على التراب ليس تحتَك بِساطٌ، وعليك هذه الأخلاقُ؟ فقال: إنا نجد فيما أنزل الله تبارك وتعالى على عيسى: أنَّ حقاً على عبادِ الله أن يُحدِثوا للهِ تواضعاً عندَ كلَّ ما أحدثَ لهم نعمةً، فلما أحدثَ اللَّهُ نصرَ نبيِّه، أحدثتُ للَّهِ هذا التواضعَ[3].

١٤٨٤ - ورُوِيَ أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنُه عبدُ الملك، استشعر عليه ثوبَ شعرٍ تحت ثيابِه وأسِفَ عليه أسفاً شديداً، فدخل عليه القاسمُ بن محمد وكان يفاكِهُهُ، فقال: أما علمتَ أنَّ مَنْ مضى مِنْ أسلافِنا كانوا يستحبُّون مقابلَةَ النِّعَمِ بالتواضع، والمصائبِ بالتَّجَمُّل، فراح في حُلَّةٍ مُوَشِّيَةٍ بثمانِمئة دينار.

١٤٨٥ - وقال القاسم بن محمد: سمعتُ أسْلَمَ مولى عمرَ بن الخطاب ﷺ يذكُر أنه كان مع عمرَ وهو يريدُ الشامَ، حتى إذا دنا مِنَ الشام

---

(١) أي لا تجتمع في إنسان إلا بأمر عجيب.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٩٣)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/١٥٧. ورواه الحاكم في المستدرك ٤/٢٣٦ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً، ولا يصح.

(٣) الزهد لابن المبارك (١٩٢).

أناخَ عُمر، وذهب لحاجتِه، فقال أسْلَمُ: فطرحت فَرْوَتي بين شُعْبَتَي الرَّحْلِ، فلمَّا فرغ عُمر عَمَدَ إلى بعيرِ أسلمَ فركبه على الفروِ، وركب أسلمُ بعيرَ عمرَ، فخرجنا نسيرُ حتى لقِيَهما أهلُ الأرض. قال أسلم: فلما دنَوْا منا أشرتُ لهم إلى عمرَ، فجعلوا يتحدثون بينهم، قال عمر: تطمَحُ أبصارُهم إلى مراكب مَنْ لا خَلاقَ له، يريدُ مراكبَ العَجَمِ.

١٤٨٦ ـ وقال ابن مسعود: لا يجدُ الرجلُ حلاوةَ الإيمانِ حتى يَحُلَّ ذروتَه، ولا يحلُّ ذروتَه حتى يكونَ الفقرُ أحبَّ إليه مِنَ الغِنى، وحتى يكونَ التواضعُ أحبَّ إليه مِنَ الشَّرفِ، وحتى يكونَ حامِدُه وذامُّه سواءً.

وكان أصحابُ ابن مسعود يفسِّرونَه: حتى يكونَ الفقرُ في الحلالِ أحبَّ إليه مِنَ الغِنى في الحرامِ، وحتى يكونَ التواضعُ في طاعةِ الله تعالى أحبَّ إليه مِنَ الشَّرفِ في معصيةِ اللَّه، وحتى يكون حامدُه وذامُّه في الحقِّ سواءً[١].

١٤٨٧ ـ وقال معاذ بن جبل: لا يبلغُ عبد ذُرى الإيمان حتى يكونَ التواضعُ أحبَّ إليه مِنَ الشرفِ، وما قلَّ مِنَ الدنيا أحبَّ إليه مما كَثُرَ، ويكون مَنْ أحبَّ وأبغضَ عنده في الحقِّ سواءً، ويحكُمُ للناس كما يحكم لنفسه وأهلِ بيته.

١٤٨٨ ـ وقال الحسن: قال النبي ﷺ: **«أُمِرت أن آمُرَكم أنْ تواضعوا حتى لا يبغي أحدٌ على أحدٍ، ولا يفخَرَ أحدٌ على أحد»**[٢].

١٤٨٩ ـ ورُوِيَ أن عمر بن الخطاب خرج، إذ به بالباب عُيَيْنَةُ بن حصن، والأقرعُ بن حابس، وسهيلُ بن عمرو، وصناديدُ العرب، فقال: أين بلالٌ؟ أين صهيبٌ؟ أين عمارٌ، فتمَعَّرَت وجوه القوم، فقال سهيلٌ: لِمَ تَتَمَعَّرُ

---

(١) حلية الأولياء ١/١٣٢.

(٢) هذا مرسل. ورواه موصولاً مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار ﷺ.

وجوهُكم؟ دُعُوا ودُعِينا، فأسرعوا وأبطأنا، لَئِنْ حسدتموهم على بابِ عمرَ، لَمَا أعدَّ اللَّهُ لهم في الآخرةِ أكثرُ.

١٤٩٠ ـ وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إن العبدَ إذا تواضعَ رفعَ الله حَكَمَتَهُ[1]، وقال: انتَعِشْ رفعك الله. فهو في نفسه حقيرٌ وفي أعينِ الناس كبيرٌ، فإذا تكبَّرَ وعدا طَوْرَه وَهَصَهُ[2] اللَّهُ إلى الأرض، وقال: اخسأْ خَسَأَكَ اللَّهُ، فهو في نفسه كبيرٌ وفي أعين الناس حقيرٌ[3].

١٤٩١ ـ وقال بعض الحكماء: طوبى لمن تواضعَ في غيرِ منْقَصَةٍ، وأذلَّ نفسَه في غيرِ مسكنةٍ، وأنفق مالاً جمعَه مِنْ غيرِ معصيةٍ، وخالطَ أهلَ الفقهِ والحِكمةِ، ورَحِمَ أهلَ الذُّلِّ والمسكنةِ.

١٤٩٢ ـ وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] قال تواضعاً.

١٤٩٣ ـ وقال ابن مسعود: إنَّ رأسَ التواضع أن تبدَأَ مَنْ لقِيتَ بالسلام، وأنْ ترضى بالدُّون مِنَ المجلسِ، وأنْ تكرهَ المِدْحَةَ والسُّمعةَ والرِّياءَ بالبِرِّ.

١٤٩٤ ـ وقال يونس بن عُبيد: إني وأيوبَ لنتذاكرُ عندَ الحسنِ التواضعَ، إذ سمع الحسنُ فأقبلَ علينا، فقال: أَوَتَدْريان ما التواضعُ؟ التواضعُ: أن تخرُجَ مِن منْزلك فلا يلقاك مسلمٌ إلا رأيتَ له عليك فضلاً.

١٤٩٥ ـ وقال أبو سليمان الدَّارانيُّ: إني لأخرجُ مِنْ منْزلي فما ألقى

---

(١) الحَكَمَة من الإنسان: أسفل الوجه، ورفع الحكمة كناية عن الإعزاز؛ لأن من صفة الذليل أن ينكس ويضرب ذقنه بصدره. وقيل: الحكمة: القدر والمنْزلة.

(٢) وهصه: دقه وكسره.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٩٦/٧.

مسلماً ولا كافراً إلا ولا أدري لعلَّه خيرٌ مني يومَ القيامةِ. فقيل له: ولا كافر؟! قال: لعلَّ اللَّهَ يختِمُ له بالإسلام.

١٤٩٦ ـ وقيل لعمرَ بن عبد العزيز: جزاك الله عنِ الإسلامِ خيراً، قال: بل جزى الله الإسلامَ عني خيراً.

١٤٩٧ ـ قال إبراهيمُ بن أدهم: عَبَدَ اللَّهَ رجلٌ أربعين سنةً، ثم قال: يا رب، أرني ثوابَ عملي، ثم رجع إلى نفسه، فقال: وما ثوابُ عملي؟ عند ما صنع بي وما أنعم عليَّ، فذكر سمعَه وبصرَه وكذا وكذا، فأوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائِه يُعْلِمُه: أنَّ إزْراءَك على نفسِك في هذه الساعةِ أفضلُ مِنْ ثوابِ عملِك أربعينَ سنةً.

١٤٩٨ ـ قال وهبُ بن مُنَبِّهٍ: قَرَّبَ رجل من بني إسرائيل قُرباناً فلم يُتَقَبَّلْ منه، فرجع وهو يقول لنفسه: يا نفسُ، مِنْ قِبَلِكِ أُتِيتُ، فنُودِيَ: مقتُك لنفسِك خيرٌ مِنْ عبادةِ مائة سنةٍ.

١٤٩٩ ـ وكان يُقال: مَنْ مَقَتَ نفسَه في ذاتِ اللَّه، أَمَّنَه اللَّهُ مَقْتَه.

١٥٠٠ ـ وقال مغيرةُ: كان سَلمانُ إذا سجدتْ له العجمُ يقول: خشعتُ لله، خشعتُ لله.

١٥٠١ ـ وأثنى رجاءُ بنُ حَيْوَةَ على عُمرَ بن عبد العزيز، فقال: واللهِ إني لأعلَمُ مِنْ نفسي ما لو علِمْتَه منك لمقتُّكَ.

١٥٠٢ ـ وقال ابن المغيرةِ: التواضعُ سُلَّمُ الشرفِ.

١٥٠٣ ـ وقال: مَنْ لم يتواضعْ عند نفسِه لم يرتفعْ عند غيرِه.

١٥٠٤ ـ ولقي رجلٌ محمدَ بن كُناسَةَ وبيده بطْنُ شاةٍ، فقال له: هاته أحمِلْه عنك، فقال: لا، ثم قال:

لا يُنْقِصُ الكامل مِنْ كمالِه ... ما جرَّ مِنْ نفعٍ إلى عيالِه

١٥٠٥ ـ وروى عبد الرحمن بن أبي بكرةَ: لما قدمَ عليٌّ بن أبي طالب كرم الله وجهه البصرةَ، سألني عن زيادٍ، فقلت: يشتكي، فقال: انطلِقْ بنا إليه، فقلت: اركب، قال: الرجلُ أحقُّ بصدرِ دابَّتِه[1]، قال: فركبتُ وركب خلفي على حمار.

١٥٠٦ ـ وقيل: البخلُ والجهلُ معَ التواضعِ أفضلُ مِنَ السخاءِ والعلمِ معَ الكِبْرِ.

١٥٠٧ ـ وقال الأحنفُ: الشريفُ إذا تقرأ تواضعَ، والوضيعُ إذا تقرأ تَكَبَّرَ.

١٥٠٨ ـ وقال غيره: الشريف إذا نسك تواضع، والوضيع إذا نسك تكبر.

* * *

١٠٢ ـ ما جاء في شكر النعمة

١٥٠٩ ـ قال الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

١٥١٠ ـ وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

١٥١١ ـ قال مجاهد: على التوحيد.

١٥١٢ ـ وقال ابن عباس: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، أمَّا الظاهرةُ فالإسلام، وما حَسُنَ مِنْ خُلُقِكَ، وأفضلَ عليك في الرزق. وأمَّا الباطنةُ فما سترَ عليك مِنَ الذُّنوبِ والعُيوبِ.

١٥١٣ ـ وسمع رجلٌ رجلاً يقول: الحمدُ لله على الإسلام، قال: إنك لتَحْمَدُ على نعمةٍ عظيمةٍ.

---

(١) وروي هذا مرفوعاً من حديث بريدة بن الحصيب ﷺ. رواه الترمذي (٢٧٧٣)، وقال: حسن غريب. وصححه الحاكم ٢/٧٣.

١٥١٤ - وقال سفيان: لما جاء البشيرُ إلى يعقوبَ عليه السلام قال له: على أيِّ دينٍ تركتَه؟ قال: على الإسلام، قال: الحمد لله، الآن تَمَّتِ النعمةُ.

١٥١٥ - وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تكن مِمَّن يعجِز عن شكر ما أُوتِيَ، ويبتغي الزيادةَ فيما بقيَ، ينهى ولا ينتهي، ويأمرُ الناسَ بما لا يأتي، يحبُّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويُبغض المسيئين وهو منهم، ويكره الموت لكَثرة ذنوبه، ولا يدَعُها في طول حياته.

١٥١٦ - وقال المغيرة بن شعبة: اشكرْ لمَنْ أنعمَ عليك، وأنْعِمْ على مَنْ شَكَرَكَ؛ فإنه لا بقاءَ للنعمة إذا كُفِرَتْ، ولا زوالَ لها إذا شُكِرَتْ، وإنَّ الشكرَ زيادةٌ مِنَ النِّعَمِ، وأمانٌ مِنَ الفقرِ.

١٥١٧ - وقال وهب بن مُنَبِّهٍ: قال داودُ: يا ربِّ، ابنُ آدمَ ليس منه شعرةٌ إلا تحتَها وفوقَها منك نعمةٌ، فمن أين يكافئها بما أعطيتَه؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داودُ، إني أعطي الكثيرَ، وأرضى باليسيرِ، وإنَّ شُكرَ ذلك أن تَعلمَ أنَّ ما بك مِنْ نعمةٍ فمِنِّي.

١٥١٨ - وقال صَدقةُ بن يَسارٍ: بينما داودُ عليه السلام في محرابِه، إذ مرَّتْ به دودةٌ فتفكَّرَ في خَلْقِها، فقال: ما يعبأُ الله عز وجل بخلقِ هذه؟ فأنطقها اللّهُ له فقالت: يا داودُ، أتُعجِبُك نفسُك؟ لأَنا على قدرِ ما آتاني الله عز وجل، أَذْكَرُ للّهِ، وأشكر له منك فيما آتاك اللّهُ عز وجل.

١٥١٩ - ويُروَى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه التزَمَ الرُّكْنَ، وقال: إلهي، نَعَّمْتَني فلم تجِدْني شاكراً، وابتَلَيْتني فلم تجِدْني صابراً، فلا أنتَ سَلَبْتَ النِّعْمَةَ بتركيَ الشكرَ، ولا أنت أدَمْتَ الشدةَ بتركيَ الصبْرَ. إلهي ما يكون مِنَ الكريم إلا الكَرَمُ، ومِنَ الجافي إلا الجفاءُ.

١٥٢٠ - وقال عُرْوَةُ بن رُوَيْم: إنَّ ابنَ قُرْطٍ قعد على المنبر ذاتَ يومٍ وهو يرى ما بالناس مِنْ نَضْحِ زعفرانٍ وعُصْفُرٍ، وكان العُصْفُرُ في قُضاعَةَ،

والزَّعفرانُ في اليمن، فقال: يا لك فضلاً ويا لك كرامة ما أظهرك، ويا لك نعمة ما أسبغك، اعلموا أيها الناس أنَّما إقامةُ النعمةِ على المُنْعَمِ عليه بالشكرِ للمُنْعِمِ عليه اللَّهِ ربِّ العالمين.

١٥٢١ ـ وقال أبو هارون: دخلت على أبي حازم، فقلت: يرحمُك اللَّه، ما شكرُ العينين؟ قال: إذا رأيتَ بهما خيراً أذعْتَه، وإذا رأيتَ شرَّاً سترْتَه. قلت: فما شكرُ الأُذنين؟ قال: إذا سمعت بهما خيراً حفظْتَه، وإذا سمعت بهما شراً نسِيتَه. قلت: فما شكرُ اليدين؟ قال: لا تأخذْ بهما ما ليسَ لهما، ولا تمنَعْ حقّاً للهِ فيهما. قلت: فما شكرُ البطنِ؟ قال: أن يكونَ أسفلَه صبرٌ، وأعلاه علمٌ. قلت: فما شكرُ الفرج؟ قال: كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٦]. قال: فقلت: فأنتَ الشاكرُ حَقَّ الشكرِ.

١٥٢٢ ـ وقال عمر بن عبد العزيز: تذاكروا النِّعَمَ، فإنَّ ذِكرَها شكرُها.

١٥٢٣ ـ وقال سهل بن عبد اللَّه: أدنى الشكرِ أنْ لا تعصيَ اللَّهَ بِنِعَمِهِ، فإنَّ جوارِحَك كلَّها نِعَمٌ مِنَ الله عليك فلا تَعْصِه بها.

١٥٢٤ ـ وكان الحسن يقول: ابنَ آدمَ، متى تنفَكُّ مِنْ شكرِ النِّعَم وأنت مُرْتَهَنٌ بها، كلَّما شكرتَ نِعمةً تجدُ ذلك بالشكرِ أعظمَ منها عليك، فأنت لا تنفَكُّ بالشكرِ مِنْ نعمةٍ إلا إلى ما هو أعظمُ منها.

١٥٢٥ ـ وأنشدوا[1] في هذا المعنى:

إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً ... عليَّ له في مثلِها يَجِبُ الشُّكْرُ
فكيف بلوغُ الشُّكْرِ إلا بفضْلِهِ ... وإنْ طالَتِ الأيامُ واتَّصَلَ العُمْرُ
إذا مسَّ بالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرورُها ... وإنْ مَسَّ بالضَّرَّاءِ أعقَبَها الأجْرُ
فما مِنهُما إلا له فيه نِعمَةٌ ... تَضيقُ بها الأوهامُ والبَرُّ والبَحْرُ

---

(١) هو محمود بن حسن الوراق، كما تقدم برقم (٢٩٨).

١٥٢٦ ـ وكان مطرف بن عبد الله يقول: إلهي منك تكون النعمة، وعليك تمامُها، وأنت الغنيُّ على شُكرها، وعليك ثوابُها.

١٥٢٧ ـ وقال حاتمٌ الأصَمُّ: يصبحُ الناسُ كلَّ يوم على ثلاثِ فِرَقٍ: فرقةٍ طُرِدوا مِنْ باب الخالق، وفرقةٍ طُرِدوا مِنْ خدمتِه، ولَم يُطردوا مِنْ بابِه، وفرقةٍ أُكرِموا بخدمته. فالواجبُ على الشاكرين أن يقولوا: الحمدُ لله الذي لم يجعلْنا مِنَ المطرودين مِنْ بابه وهم الكفَّارُ، ولا المطرودين مِنْ خدمته وهو الفُسَّاقُ، وجعلنا مِنَ المكرَمين بخدمته، وهم أهلُ المساجد.

١٥٢٨ ـ وقال سفيانُ الثوريُّ: قال لي جعفرُ بن محمد: إذا جاءك ما تحبُّ فأكثِرِ الحمدَ، وإذا جاءك ما تكرهُ فأكثِرْ مِنْ لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، وإذا استبطأتَ الرزقَ فأكثِرْ مِنَ الاستغفارِ. قال سفيانُ: فانتفعتُ بهذه الموعظةِ.

١٥٢٩ ـ وقال عبد اللَّه بن أبي نوح: قال لي رجلٌ في بعض السواحل: كم عاملتَه تبارك وتعالى بما يكره، فعامَلَكَ بما تحبُّ؟ قلت: ما لا أُحصي كثرةً. قال: فهل فقدْتَه في أمرٍ حَزَبَكَ فخذَلَك؟ قلت: لا والله، ولكن أعانني، وأحسن إليَّ. قال: فهل سألتَه شيئاً قطُّ فأعطاك؟ قلت: ما سألتُه قطُّ إلا أعطاني، ولا استغثْتُه إلا أغاثني. قال: فقال: أرأيت لو أنَّ بعض بني آدمَ فعل بك بعضَ هذه الخِلالِ، ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنتُ أقدِرُ له على جزاءٍ. قال: فذلك أحقُّ إن بذلْتَ نفسَك في أداءِ شكرِ نِعَمِهِ عليك، فهو المحسنُ قديماً وحديثاً إليك، واللهِ لشُكْرُه أيسَرُ مِنْ مكافأةِ عبيدِهِ.

١٥٣٠ ـ وكتب عديُّ بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز ﷺ لما حفر نهر البصرة الذي يقال له نهرُ عمر: إني حفرتُ لأهل البصرةِ نهراً عَذُبَ له مشرَبُهم، وجادَتْ عليه أموالُهم، ولم أرَ لهم عليَّ شكراً، فإنْ أذِنْتَ لي قسمتُ عليهم ما أنفقتُ عليه. فكتب إليه عمرُ بن عبد العزيز: إني لا

أحسب أهلَ البصرة خَلَوْا مِنْ رجلٍ قال: الحمدُ لله، حين حفْرِك هذا النهرِ، وإن الله قد رضِيَها شكراً مِنْ جنَّتِه، فارْضَ بها شكراً من نهرك، والسلام.

١٥٣١ - وبعث الحجاجُ إلى الحَسَنِ بعشرين ألفَ درهمٍ، فقال: الحمدُ لله الذي ذكرني.

١٥٣٢ - وسأل أعرابيٌّ رجلاً فأعطاه، فقال: الحمدُ لله الذي ساقني إلى الرزقِ، وساقك إلى الأجرِ.

١٥٣٣ - وقال أعرابي لرجلٍ كان يتعاهدُه بالعطاء: أسألُ الذي رحمني بك أنْ يرحمَك بي.

١٥٣٤ - وقال بعضهم: الشكرُ قَيْدُ النعمةِ، ومفتاحُ المزيدِ، وثمنُ الجنةِ.

١٥٣٥ - وقيل: موضعُ الشكر مِنَ النعمةِ موضعُ القِرى مِنَ الضيفِ، إن وجده لم يَرِمْ(١)، وإنْ عَدِمَه لم يُقِمْ.

١٥٣٦ - وقال بعض الحكماء: مَنْ أُعطِيَ أربعاً لم يُمْنَعْ أربعاً: مَنْ أُعطِيَ الشُّكرَ لم يُمْنَعِ المزيدَ، ومَنْ أُعطِيَ التوبةَ لم يُمْنَعِ القبول، ومَنْ أُعطِيَ الاستخارة لم يُمْنَعِ الخيرة، ومَنْ أُعطِيَ المشورة لم يُمْنَعِ الصوابَ.

١٥٣٧ - وقيل: إذا رُعِيَتِ النِّعَمُ بالشكر فهي أطواقٌ، وإذا رُعِيَتْ بالكفر فهي أغلالٌ.

١٥٣٨ - وقال حبيب بن أوس:

نِعَمٌ إذا رُعِيَتْ بشُكْرٍ لم تَزَلْ　　　نِعَماً وإنْ كُفِرَتْ فهُنَّ مَصائِبُ

---

(١) لم يرم: أي لم يزل أو لم يبرح.

١٥٣٩ ـ وقال عمر بن الخطاب ﷺ: لو كان الشكرُ والصبرُ بعيريْنِ، ما باليْتُ أيهما ركبتُ.

١٥٤٠ ـ وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: وَقَفَتْ علينا امرأةٌ، فقالت: يا قومُ، تغيَّرَ بنا الدهرُ إذْ قَلَّ منا الشكرُ، وفارَقَنا الغِنَى، وحالَفَنا الفقرُ، فرَحِمَ الله امرءً فَهِمَ فعمل، وأعطى مِنْ فَضْل، وواسى مِنْ كفافٍ، وأعان على عَفافٍ.

١٥٤١ ـ ولبعض الأعراب، وقيل: إنها لمحمودٍ الوراق:

أيا رَبِّ قدْ أحسنْتَ عَوْداً وبَدْأةً ... إليَّ فلم ينْهَضْ بإحسانِك الشُّكْرُ
فمَنْ كان ذا عُذرٍ لديكَ وحُجَّةٍ ... فعُذْريَ إقراري بأنْ ليس لي عُذْرُ

١٥٤٢ ـ وقال محمد بن سعد السَّعدي:

سأشكُرُ عَمراً إنْ تَراخَتْ مَنِيَّتي ... أيادِيَ لم تُمْنَنْ وإنْ هي جَلَّتِ
فتىً غيرُ محجوبِ الغِنى عن صديقِه ... ولا مُظهر الشكوى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ
رأى خَلَّتي مِنْ حيثُ يَخْفى مكانُها ... فكانتْ قَذَى عَيْنَيْه حتى تجلَّتِ[١]

١٥٤٣ ـ وقال آخر[٢]:

شكرتُك إنَّ الشكرَ حبْلٌ من التُّقَى ... وما كلُّ مَنْ أوليتَه نِعْمَةً يَقضي
وأحْيَيْتَ مِنْ ذكري وما كنتُ خاملاً ... ولكنَّ بعضَ الذِّكْرِ أنبَهُ مِنْ بَعْضِ

١٥٤٤ ـ وقال آخر:

فلو كان للشكرِ شخصٌ يُرَى ... إذاً ما تَأمَّلَه النَّاظِرُ
لمثَّلْتُهُ لكَ حتَّى تراهُ ... فتَعْلَمَ أنِّي امرُؤٌ شاكِرُ

---

(١) انظر بهجة المجالس ٣١٤/١/١

(٢) هو أبو نخيلة حزن بن زائدة بن لقيط السعدي، كما في بهجة المجالس ٣١٣/١/١، وعيون الأخبار ١٦٥/٣.

١٥٤٥ ـ ولأعرابيٍّ:

رهنتُ يدي بالعجزِ عنْ شكرِ بِرِّهِ ... وما فوقَ شُكري للشَّكورِ مَزيدُ
ولو كان شيئاً يُسْتَطاعُ اسْتَطَعْتُهُ ... ولكن ما لا يُستطاعُ شديدُ

١٥٤٦ ـ وقال آخر:

ولو كان يَستغني عَنِ الشكرِ ماجِدٌ ... لِرِفْعَةِ حالٍ أو عُلُوٍّ مَكانِ
لما أمَرَ الرَّحمنُ بالشُّكرِ خَلْقَه ... فقال اشكُرُوا لي أيُّها الثَّقلانِ

١٥٤٧ ـ ولأبي الفتح البُسْتي:

لَئِنْ عَجَزَتْ عنْ شُكرِ بِرِّكَ قُوَّتي ... وأقوى الورى عَنْ شُكرِ بِرِّكَ عاجِزُ
فإنَّ ثَنائي واعتقادي وطاعتي ... لإقلالِ ما أوْلَيْتَنيه مَراكِزُ

١٥٤٨ ـ ولمحمود الوراق:

أراني إذا ما ازدَدْتُ مالاً وثَرْوَةً ... وخيراً إلى خيرٍ تَزَيَّدْتُ في الشَّرِّ
فكيفَ بِشُكْرِ اللَّهِ إنْ كنتُ إنَّمَا ... أقومُ مَقامَ الشُّكرِ للهِ بالكُفْرِ
بأيِّ اعتذارٍ أو بأيَّةِ حُجَّةٍ ... يقومُ الذي يَدري مِنَ الأمرِ ما أدري
إذا كان وجهُ العُذْرِ ليس ببَيِّنٍ ... فإنَّ اطِّراحَ العُذرِ خيرٌ مِنَ العُذرِ

* * *

١٠٣ ـ ما جاء في صلة الرحم

١٥٤٩ ـ قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد: ٢٢].

١٥٥٠ ـ وروى أبو أيوبَ الأنصاري أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، أخبرني بعملٍ يُدخِلُني الجنةَ، قال القوم: مالَهُ مالَهُ، فقال رسول الله ﷺ:

«أرب ماله»[١]. فقال النبي ﷺ: «**لا تُشرِكْ بالله شيئاً، وتُقيمُ الصلاةَ وتُؤتي الزكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ**»[٢].

١٥٥١ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الرَّحِمُ شِجْنَةٌ مِنَ الرحمنِ، فمَنْ وصلها وصلَه، ومن قطعها قَطَعَه**»[٣].

١٥٥٢ ـ وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّه أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِه، ويُنْسَأَ له في أَثَرِه، فليَصِلْ رَحِمَهُ**»[٤].

١٥٥٣ ـ وروى كُرَيْبٌ مولى ابنِ عباس أنَّ ميمونةَ بنتَ الحارثِ أخبرته أنها أعتَقَتْ وَليدةً، ولم تستأذِنِ النبيَّ ﷺ، فلما كان يومُها الذي يدورُ عليها فيه، قال: أشَعَرْتَ يا رسولَ الله أنِّي أعتقتُ وليدتي؟ قال: «**أوَفعلتِ**»؟ قالت: نعم، قال: «**أمَا إنَّك لو أعطَيتِها أخوالَك كان أعظَمَ لأجرِك**»[٥].

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١/٣٥ في هذه اللفظة ثلاث روايات: إحداها أرِب بوزن عَلم، ومعناها الدُّعاء عليه، أي أصيبتْ آرابُه وسَقَطَت، وهي كلمةٌ لا يُرَاد بها وقُوع الأمر، كما يقال: تَرِبَتْ يداك، وقاتلكَ اللهُ، وإنما تذكر في معرض التعَّجُب، وفي هذا الدعاء من النبي ﷺ قولان: أحدهما تَعَجُّبُه من حرص السائل ومُزَاحَمَته. والثاني: أنه لما رآه بهذه الحال من الحرص غلبَه طبع البَشَرية فدعا عليه. وقد قال في غير هذا الحديث: «**اللهُمَّ إنَّما أنا بَشَرٌ، فمن دَعوتُ عليه، فاجعلْ دُعائي له رَحْمَةً**». وقيل: معناه: احتاجَ فَسَأل، من أرِب الرَّجل يأرَبُ: إذا احْتاَج، ثم قال: ماله، أي أيُّ شيء به؟ وما يُريد؟
والرواية الثانية: أرَبٌ ماله، بوزن جَمَل، أي: حاجة له، وما زائدة للتقليل، أي: له حاجة يسيرة. وقيل: معناه حاجة جاءت به، فحذف، ثم سأل، فقال: ماله.
والرواية الثالثة: أرِبٌ بوزن كتف، والأرِبُ: الحاذقُ الكامل، أي هو أرِبٌ، فحذف المبتدأ ثم سأل، فقال: ماله، أي ما شأنه.

(٢) البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣).

(٣) البخاري (٥٩٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، و(٥٩٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) البخاري (٥٩٨٥). ورواه أيضاً (٢٠٦٧ و٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٥) البخاري (٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩).

١٥٥٤ - وروى سعيدُ بن يَسارٍ عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «**خلقَ اللّٰهُ الخَلْقَ، فلمَّا فرغ منه قامتِ الرَّحِمُ، فأخذت فقال: مه، قالت: هذا مَقامُ العائذِ بك مِنَ القطيعةِ، قال: ألا ترضَين أنْ أصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأقطعَ مَنْ قَطعك؟ قالت: بلى يا ربِّ. قال: فذاك**. قال أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾»[1] [محمد: ٢٢].

١٥٥٥ - ورُوِيَ عن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**لا يدخلُ الجنةَ قاطعٌ**»[2].

١٥٥٦ - ورُوِيَ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: هي راغبة أفأصل أمي؟ قال: «**نعم صلي أمّك**»[3].

١٥٥٧ - وروتْ دُرَّةُ بنتُ أبي لهبٍ، قالت: قلت: يا رسولَ اللّٰه، أيُّ الناسِ أفضلُ؟ قال: «**أتقاهم للّٰه، وآمَرُهم بالمعروف وأنهاهُم عنِ المنكرِ، وأوصَلُهم للرَّحِمِ**»[4].

١٥٥٨ - وروى عبد اللّٰه بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**ليس الواصلُ بالمكافِئِ، ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قُطِعَتْ رحِمُهُ وصلَها**»[5].

١٥٥٩ - وللمُقَنَّع الكِنديِّ، واسمه محمد بن عُمير:

وإنَّ الذي بيني وبينَ بَني أبي ... وبينَ بَني عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا
فإنْ يأكُلوا لحمي وَفَرْتُ لُحومَهُمْ ... وإنْ يَهْدِمُوا مَجْدي بنيتُ لهم مَجْدَا

---

(١) البخاري (٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤).
(٢) البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).
(٣) تقدم برقم (١٢٨١).
(٤) حديث ضعيف. رواه أحمد ٦/٤٣٢.
(٥) البخاري (٥٩٩١).

وإنْ ضَيَّعُوا غَيْبي حَفِظْتُ غُيُوبَهُم وإنْ هُمُ هَوَوْا غَيِّي هَوِيتُ لهم رُشْدَا
ولا أحْمِلُ الحِقْدَ القَديمَ عليهِمُ وليس رئيسُ القوم مَنْ يحمِلُ الحِقْدَا
لهم جُلُّ مالي إنْ تَتابَعَ لي غِنىً وإنْ قَلَّ مالي لم أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا
وليسوا إلى نَصْري سِرَاعاً وإنْ هُمُ دَعَوْني إلى نصرٍ أَتَيْتُهُمُ شَدَّا

١٥٦٠ ـ ولصِرْمَةَ بنِ أنسٍ:

يا بَنِيَّ الأرحامَ لا تَقْطَعُوها وصِلُوها قَريبَةً مِنْ زيالِ
يا بَنِيَّ الأيامَ لا تأْمَنوها واحذَرُوا مَكْرَها ومَرَّ الليالي
واعلموا أنَّ مُرَّها لِنَفَادِ الخَلْقِ ما كان مِنْ جَديدٍ وبالِ

١٥٦١ ـ ولآخر:

أبني تَميم إنَّني أنا عَمُّكُمْ لا تَخْرِمُنَّ نَصيحَةَ الأعمامِ
إنِّي أرى سَبَبَ الفناءِ وإنَّما سببُ الفَناءِ قَطيعةُ الأرحامِ
فَتَداركوا بأبي وأُمِّي أنتُمُ أرحامَكُمْ بِرَواجِحِ الأحلامِ

١٥٦٢ ـ ولمعن بن أوس:

وذي رحم قلمت أظفار ضِغْنِهِ بحِلْمِيَ عنه وهو ليسَ له حِلْمُ
ويَشْتُمُ عِرْضي في المغَيَّبِ جاهِداً وما إنْ له عندي هَوانٌ ولا شَتْمُ
إذا سُمْتُه وَصْلَ القَرَابَةِ سامَني قَطيعَتَها تلك السَّفاهَةُ والإِثْمُ
ويَعُدُّ غُنْمَاً في الحوادِثِ نَكْبَتي وما إنْ له فيها سناءٌ ولا غُنْمُ
وما زلتُ في ليني له وتَعَطُّفي عليه كما تَحْنُو على الولدِ الأُمُّ
فداوَيْتُه حتى ارْفَأَنَّ[1] تقارُهُ فغدا كأنَّا لم يكنْ بينَنا صَرْمُ

١٥٦٣ ـ ورُوِيَ أنَّ البِرَّ وصِلَةَ الرَّحم لتَعْمُرُ الديارَ، وتزيدُ في الأعمارِ، وتُثري المالَ، ولو كان القومُ فُجَّاراً.

---

(١) ارفأنَّ: نفر ثم سكن.

١٥٦٤ ـ ولبعضهم:

لا أدفعُ ابنَ العَمَّ يمشي على شَفَا ... ولو بَلَّغَني مِنْ أذاهُ الجَنادِعُ[1]
ولكنْ أُواسِيه وأنسى ذُنوبَه ... لِتُرْجِعَهُ يوماً إليَّ الرَّواجِعُ
وحسْبُكَ مِنْ ذُلٍّ وسوءِ صَنيعَةٍ ... مُناواةُ ذي القُربى وأنْ قيلَ قاطِعُ

* * *

١٠٤ ـ ما جاء في إفشاء السلام

١٥٦٥ ـ قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

١٥٦٦ ـ وقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

١٥٦٧ ـ وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٦].

قالوا: فابتداءُ السَّلامِ سُنةٌ، وردُّه واجبٌ.

١٥٦٨ ـ وروى هَمَّامٌ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**خلقَ اللّٰهُ آدمَ على صورتِه، طولُه ستون ذراعاً، فلمّا خلَقَه اللّٰهُ، قال: اذهبْ فسَلِّمْ على أولئك، نفرٍ مِنَ الملائكةِ جلوسٍ، واستمِعْ ما يُحَيُّونَك به؛ فإنها تحيَّتُك وتحيَّةُ ذُرِّيَّتِك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة اللّٰه، فزادوه: ورحمةُ اللّٰه. وكلُّ مَنْ يدخلُ الجنةَ على صورةِ آدمَ، فلم يزَلِ الخَلْقُ تَنْقُصُ بعدُ حتى الآن**»[2].

(١) الجنادع: البلايا أو ما يسوؤك من القول.

(٢) البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

١٥٦٩ ـ وروى عبد اللَّه بن عَمرو أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلامِ خيْرٌ؟ قال: «**تُطْعِمُ الطعامَ، وتَقرأُ السلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعْرِفْ**»[١].

١٥٧٠ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُسَلِّمُ الصغيُر على الكبيرِ، والمارُّ على القاعدِ، والقليلُ على الكثيرِ**»[٢].

١٥٧١ ـ وروى أبو أيوب عن النبي ﷺ قال: «**لا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ، يلتقيان فيَصُدُّ هذا، ويصُدُّ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام**»[٣].

١٥٧٢ ـ وروى أنسٌ أن رسول الله ﷺ كان إذا سَلَّم سَلَّم ثلاثاً، وإذا تكلمَ بكلمَةٍ أعادها ثلاثاً[٤].

١٥٧٣ ـ ورُوِيَ عن أنسٍ أنه مَرَّ على صبيانٍ، فسلَّم عليهم، وقال: كان النبي ﷺ يفعله[٥].

١٥٧٤ ـ وقال ابن عباس: لكلِّ داخلٍ دهشةٌ، فآنِسوه بالتحيةِ.

* * *

١٠٥ ـ ما جاء في تشميت العاطس

١٥٧٥ ـ قال أنس: عطس رجلان عند رسول الله ﷺ فشَمَّتَ أحدَهما ولم يُشَمِّتِ الآخرَ، فقيل له، فقال: «**هذا حَمِدَ اللَّهَ تعالى، وهذا لم يَحْمَدْه**»[٦].

---

(١) البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).
(٢) البخاري (٦٢٣١)، ومسلم (٢١٦٠).
(٣) البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).
(٤) البخاري (٩٤).
(٥) البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).
(٦) البخاري (٦٢٢٥)، ومسلم (٢٩٩١).

١٥٧٦ ـ وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا عطَس أحدُكم، فليَقُلِ: الحمد لله، وليقلْ له أخوه أو صاحبُه: يرحمُك اللَّهُ، فإذا قال له: يرحمك اللَّه، فليقلْ: يَهديكُمُ اللَّهُ ويُصلِحُ بالَكم**»[(١)].

١٥٧٧ ـ وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ يُحبُّ العُطاسَ ويَكره التَّثاؤبَ، فإذا عَطَسَ أحدُكم، فحمِدَ اللَّهَ فَحُقَّ على كلِّ مسلم سمِعَه أنْ يُشَمِّتَه، وأمَّا التثاؤبُ فإنَّما هو مِنَ الشيطانِ، فلْيَرُدَّهُ ما استطاعَ، فإنَّ أحدَكم إذا تثاءبَ ضحِكَ منه الشيطانُ**»[(٢)].

* * *

١٠٦ ـ ما جاء في الإصلاح بين الناس

١٥٧٨ ـ قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

١٥٧٩ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

١٥٨٠ ـ قال كعب بن مالك: إنه تقاضى ابنَ أبي حدرد دَيْناً كان له في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعتْ أصواتُهما، حتى سمعَهما رسولُ الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسولُ الله ﷺ حتى كشفَ سِجْفَ[(٣)] حجرته، ونادى كعبَ بنَ مالك: «**يا كعبُ**». قال: لبَّيك يا رسولَ اللَّه، فأشار بيدِهِ: أن «**ضَعِ الشَّطرَ مِنْ دَيْنِك**»، قال كعب: قد فعلتُ

(١) البخاري (٦٢٢٤).
(٢) البخاري (٦٢٢٣).
(٣) السجف: الستر.

يا رسول اللَّه. قال رسول الله ﷺ: «**قم فاقْضِه**»[١].

١٥٨١ ـ وروى حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيطٍ[٢] أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس بالكذابِ مَنْ أصلحَ بين الناس، فنَمَى خيراً أو قال خيراً**»[٣].

١٥٨٢ ـ ورُوِيَ عن بعض الحكماء أنه قال: الكذب يُكتَبُ على ابنِ آدمَ، إلا رجلٌ كذب بين رجلين ليُصلِحَ بينهما.

* * *

١٠٧ ـ ما جاء في النصيحة

١٥٨٣ ـ قال جرير بن عبد اللَّه: بايعتُ رسول الله ﷺ على السمعِ والطاعةِ فلقَّنني: «**فيما استطعت، والنُّصحُ لكلِّ مسلمٍ**»[٤].

١٥٨٤ ـ وقال الحسنُ البصريُّ: إن عُبيد الله بنَ زياد عادَ مَعْقِلَ بنَ يَسارٍ في مرضه الذي مات فيه، فقال له مَعْقِلٌ: إنِّي مُحَدِّثُك حديثاً سمعتُه مِنْ رسولِ الله ﷺ يقول: «**ما مِنْ عبدٍ يَسترعيه اللَّهُ رعيةً، فلم يَحُطْها بنُصحِه، لم يجِدْ رائحةَ الجنةِ**»[٥].

١٥٨٥ ـ وقال الأوزاعيُّ عن حسان بن عطية، قال: قال الله تبارك وتعالى: لا ينجو عبدي مِنِّي إلا بأداءِ ما افترضْتُه عليه، وما يبْرَحُ عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، وما يتقرَّبُ إليَّ بشيءٍ أفضل مِنَ

---

(١) البخاري (٤٥٧)، ومسلم (١٥٥٨).

(٢) في الأصل: «وروى عبد الرحمن بن عوف...»، وهو خطأ، والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٤) البخاري (٥٧ و ٧٢٠٤)، ومسلم (٥٦).

(٥) البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).

النصيحة، فإذا فعل ذلك كنتُ قلبَه الذي يعقِلُ به، ولسانَه الذي ينطِقُ به، وبصرَه الذي يُبصِرُ به، أجبتُه إذا دعاني، وأعطيتُه إذا سألني، وأغفِرُ له إذا استغفرني.

١٥٨٦ ـ وقال ابن وهب: النصيحةُ في أرضِه هي التي بعث بها أنبياءَه.

١٥٨٧ ـ قال: وسمعتُه يقولُ: مِنْ أمرِ الإسلامِ القصدُ والنصيحةُ لعبادِ الله في أمورهم.

١٥٨٨ ـ وروى أنس عن النبي ﷺ: **«لا يُؤمن الرجلُ حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»**[1].

١٥٨٩ ـ ولورقةَ بن نوفلٍ:

ولَقَدْ نَصَحْتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم ... أنا العزيزُ فلا يَغْرُرْكُمُ أحَدُ
لا شيءَ مِمَّا ترى تبْقَى بَشاشَتُه ... إلا الإلهُ ويُودِي المالُ والولدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يوماً خَزائِنُه ... والخُلْدَ قد حاولَتْ عادٌ فما خَلَدوا

١٥٩٠ ـ ولآخر:

إذا الأمرُ أشكَلَ إنْفاذُهُ ... ولم تَرَ منه سبيلاً فَسيحا
فشاوِرْ بأمرِك في سُتْرَةٍ ... أخاكَ أخاكَ الَّلبيبَ النَّصيحا
فَرُبَّتَما فرَّجَ النَّاصحون ... وأبْدَوْا مِنَ الرَّأي رأياً صحيحا
ولا يَلْبَثُ المستشيرُ الرجالَ ... إذا هو شاورَ أنْ يستريحا

١٥٩١ ـ قال مالك: كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا شاور أصحابه قال: ارجِعوا إلى منازلكم فبِيتُوا ليلَكم، وتمكَّنوا في ذلك على طُمأنينة، فإنَّ ذلك أحرى وأيسرَ إذا كان على فراشِه.

(١) البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

١٥٩٢ ـ قال مالك: بلغني أنه كان يُقال: التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ، والعَجَلَةُ مِنَ الشيطان، وما عَجَّلَ امرؤٌ فأصاب، وتأنَّى آخرُ فأصاب، إلا كان الذي تأنَّى أصوب رأياً، ولا عَجَّلَ امرؤٌ فأخطأ، وتأنَّى آخرُ فأخطأ، إلا كان الذي تأنَّى أيسرَ شأناً.

١٥٩٣ ـ وللقَطامِيِّ:

ومَعْصِيَةُ الشَّفيقِ عليك مِمَّا ... يَزيدُكَ مرَّةً منه استِماعَا
وخَيْرُ الأمرِ ما استقبَلْتَ منه ... وليسَ بأنْ تَتَبَّعَهُ اتِّباعَا

❋ ❋ ❋

١٠٨ ـ ما جاء في كتمان السر

١٥٩٤ ـ ذكر العتبيُّ أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيان ﷺ أسَرَّ إلى عثمانَ بنِ عَنْبَسَةَ حديثاً، قال عثمان: فجئتُ أبي، فقلت: إنَّ أميرَ المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً، أفَأُحَدِّثُك به؟ قال: لا، إنَّه مَنْ كَتَمَ حديثَه كان الخِيارُ له، ومَنْ أظهرَه كان الخِيارُ عليه، فلا تجْعَلْ نفسَك مملوكاً بعد أنْ كنت مالكاً. قلت: أفيدخُلُ هذا بين الرجلِ وأبيه؟ قال: لا، ولكني أكرهُ أنْ تُذَلِّلَ لسانَك بإفشاءِ السِّرِّ. قال: وجئتُ إلى معاويةَ، فذكرتُ ذلك له، فقال: أعتقك أخي مِنْ رِقِّ الخطأ.

١٥٩٥ ـ وكان يُقالُ: أصبَرُ الناسِ مَنْ صَبَرَ على كِتمان سرِّهِ، فلم يُبْدِهِ لصديقِه، فيوشِكُ أن يصيرَ عدواً فيذيعه.

١٥٩٦ ـ ولجعفر بن عثمان:

يا ذا الذي أودَعَني سِرَّه ... لا تَرْجُ أنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي
لم أُجْرِه قطُّ على فِكْرَتي ... كأن لم تَجْنِ عليَّ أُذْني

١٥٩٧ ـ وللعُتبي:

ولي صاحِبٌ سِرِّي المكَتَّمُ عندَه ... مخاريقُ نيرانٍ بليلٍ تخرقُ
عَطَفْتُ على أسرارِه فكسَوْتُها ... ثياباً مِنَ الكِتْمانِ لا تَتَخَرَّقُ
إذا ضاق صدرُ المرْءِ عَنْ سِرِّ نفسِهِ ... فصَدْرُ الذي يَسْتَوْدِعُ السِّرَّ أضْيَقُ

١٥٩٨ ـ وقال أبو بكر بن حزم: إنما يتجالسُ المتجالسانِ بأمانةٍ، فلا يحِلُّ لأحدٍ أن يُفشِيَ على صاحبِه ما يكره.

١٥٩٩ ـ ولقيس بن الخَطيم:

أجودُ بمضمونِ التِّلادِ وإنَّني ... بسِرِّك عَمَّن سالني لَضَنينُ
إذا جاوزَ الإثنينِ سِرٌّ فإنَّه ... بِبَثٍّ وتَكْثيرِ الحديثِ قَمينُ
وإنْ ضَيَّعَ الإخوانُ سِرّاً فإنَّني ... كتومٌ لأسرارِ العشيرِ أمينُ
يكونُ له عندي إذا ما ضَمِنْتُه ... مكانٌ بسَوْداءِ الفُؤادِ مَكينُ

١٦٠٠ ـ ولغيره:

ومُسْتَخْبِرٍ عَنْ سِرِّ خِلٍّ رَدَدْتُهُ ... بِعمياءَ مِمَّا سالَ دُونَ يقينِ
وقالَ ائْتَمِنِّي إنَّني ذو أمانَةٍ ... وما أنا إنْ خَبَّرْتُه بأمينِ

١٦٠١ ـ ولبعضهم: صدورُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ.

١٦٠٢ ـ وشاور ملكٌ مِنَ العجم وزيرَيْه، فقال أحدُهما: لا ينبغي للملك أن يستشيرَ منَّا واحداً إلا خالياً، فإنه أمْوَتُ للسِّرِّ، وأحزمُ للرأيِ، وأجدَرُ للسَّلامةِ، وأعفى لبعضِنا مِنْ غائلةِ بعضٍ، فإنَّ إفشاءَ السِّرِّ إلى واحدٍ أوثَقُ مِنْ إفشائِه إلى جماعةٍ، لأنَّ الواحدَ رَهْنٌ بما أُفْشِيَ إليه، وهو أحرى أنْ يَكْتُمَه رغبةً ورهبةً، وإذا كان عندَ أمينٍ كان الملكُ على شُبْهَةٍ.

❋ ❋ ❋

١٠٩ ـ ما جاء في أداء الأمانة

١٦٠٣ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

١٦٠٤ ـ وروى الأعرجُ عن أبي هريرةَ عن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر رجلاً مِنْ بني إسرائيل، سألَ بعضَ بني إسرائيل أنْ يُسْلِفَهَ ألفَ دينارٍ، فقال: ائتِني بالشُّهداء أُشْهِدُهم، فقال: كفى بالله شهيداً، فقال: فائتِني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجلٍ مُسمًّى.

فخرج إلى البحرِ فقضى حاجتَه، ثم التمس مركباً يركبُها يقدَمُ عليه للأجَلِ الذي أجَّلَه، فلم يجِدْ مركباً، فأخذ خشبةً فنقرها، فأدخل فيها ألفَ دينارٍ وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثم زجَّج موضعها[1] ثم أتى بها إلى البحرِ، فقال: اللَّهُمَّ تعلمُ إذِ اسْتَسْلَفْتُ فلاناً ألفَ دينارٍ، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضِيَ بك، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضِيَ بك. وإني اجتهدتُ أنْ أجِدَ مركباً أبعثُ إليه الذي له، فلم أقدِرْ، وإنِّي أسْتَوْدِعُكَهَا، فرمى بها في البحرِ، حتى ولَجَتْ فيه ثم انصرف، وهو في ذلك يلتَمِسُ مركباً يخرجُ إلى بلدِه، فخرج الرجلُ الذي كان أسلفه، فنظر لعلَّ مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبةِ التي فيها المالُ، فأخذها لأهلِه حطباً، فلمَّا نشرها وجد المالَ والصَّحيفةَ.

ثم قدِمَ الذي كان أسلفه، فأتى بالألفِ دينارٍ، فقال: واللهِ ما زلتُ جاهداً في طلبِ مركبٍ لآتِيَكَ بمالِك، فما وجدتُ مركباً قبل الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنتَ بعثتَ إليَّ بشيء؟ قال: لم أجدْ مركباً قبلَ الذي جئتُ

(١) أي سوَّى موضع النقر فيها وأصلحه.

فيه. قال: فإنَّ اللَّهَ قد أدّى عنك الذي بعثتَ والخشبةَ، فانصَرِفْ بالألفِ راشداً»[١].

١٦٠٥ ـ ورُوِيَ عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ أولَ شيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هذه الأُمَّةِ الأمانةُ والخشوعُ، حتى لا تكادَ ترى خاشعاً»**[٢].

١٦٠٦ ـ قال حذيفةُ: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيتُ أحدَهما وأنا أنتظرُ الآخرَ: حدَّثنا أنَّ الأمانةَ نزلت في جَذْرِ قلوبِ الرجالِ، ثم عَلِموا مِنَ القرآن، ثم عَلِموا مِنَ السُّنَّةِ. وحدثنا عن رفعِها، قال: **«ينامُ الرجلُ النَّوْمَةَ فتُقْبَضُ الأمانةُ مِنْ قلبِه فيَظَلُّ أثرُها مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ**[٣]**، ثم ينامُ النَّوْمَةَ فتُقبَضُ فيبقى أثرُها مِثْلَ المَجْلِ**[٤] **كجمرٍ دحرَجْتَه على رِجْلِك، فنَفِطَ فتراه مُنْتَبِراً**[٥] **وليس فيه شيءٌ، فيصبحُ الناسُ يتبايعون، فلا يكادُ أحدُهم يُؤدِّي الأمانةَ، فيُقال: إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقلَه وما أظرَفَه وما أجلَدَه، وما في قلبه حَبَّةُ خردلٍ مِنْ إيمانٍ»**. ولقد أتى عليَّ زمانٌ ولا أبالي

---

(١) البخاري (٢٢٩١).

(٢) لم أجده من حديث سمرة ﷺ، وإنما روي مرفوعاً بنحو هذا اللفظ من حديث شداد بن أوس ﷺ. رواه أحمد في الزهد ص ٣٩٥، والطبراني في المعجم الكبير ٢٩٥/٧ (٧١٨٢ و٧١٨٣). وروي موقوفاً من حديث شداد بن أوس ﷺ بذكر الخشوع فقط؛ رواه أحمد ٢٦/٦ ـ ٢٧، والطبراني في المعجم الكبير ٤٣/١٨، وصححه ابن حبان (٤٥٧٢)، والحاكم ٩٨/١ ـ ٩٩، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٣٥١/١ بعد أن أشار إلى الروايتين: والموقوف أشبه، أي أصح.
وروي من حديث أبي الدرداء ﷺ بذكر الخشوع فقط. رواه الطبراني في المعجم الصغير ٢٣٨/١، ومسند الشاميين (١٥٧٩)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٧٤/٢. وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ٣٥١/١، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٦/٢.

(٣) الوكت: أثر الشيء اليسير منه.

(٤) المجل: أثر العمل في الكف إذا غلظ.

(٥) منتبر: منتفخ.

أيُّكم بايعتُ، لَئِنْ كان مسلماً رَدَّهُ عليَّ الإسلامُ، وإنْ كان نصرانياً رَدَّه عليَّ ساعِيه، وأمَّا اليومَ، فما كنتُ أبايعُ إلا فلاناً أو فلاناً(١).

* * *

١١٠ ـ ما جاء في الوفاء بالعهد

١٦٠٧ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١].

١٦٠٨ ـ وروى أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يومَ القيامةِ ولا يُزَكِّيهم ولهم عذابٌ أليم: رجلٌ مَنَعَ فضْلَ الماءِ بالطريق مَنَعَ معه ابنَ السبيل، ورجلٌ بايع إماماً لا يُبايِعُه إلا للدنيا، فإنْ أعطاه ما يُريدُ وفَى له، وإلا لم يَفِ له، ورجلٌ بايع رجلاً بِسِلْعَتِه بعد العصرِ، فيحلِفُ باللهِ تعالى لقد أُعطِيَ بها كذا وكذا، فصَدَّقه فأخذها، ولم يُعطَ بها»**(٢).

١٦٠٩ ـ قال المدائنيُّ: جعل الحجَّاج في رجلٍ مائةَ ألفٍ، فأُخِذَ فأُتِيَ به الحجاجُ، فقال: لقُتيبَةَ: احتفظ به ليلَتَك، ثم بَكِّرْ به عليَّ. فانصرف به قُتيبةُ إلى منْزِله، فأحضره العَشاءَ، فامتنع منه، فقال له قُتيبةُ: ما بالُك لا تَعَشَّى؟ قال: للذي في صدري أصلحك الله من البلابِلِ، والذي استُبقيتُ عليه مِنَ الهَلَكَةِ؛ فإنَّ أخاً لي هَلَكَ وأوصى إليَّ، فلستُ آمَنُ على تركَتِه الضَّياعَ، وأنا محتاجٌ إلى أنْ أُوصِيَ فيها. قال له قُتيبة: لو كان لك مَنْ يَضمَنُكَ لتركتُك تأتي منْزِلك فتُحْكِم أمرَك. قال: اللَّهُ كفيلي، قال قتيبة: كفى بالله كفيلاً، انطلق. فانطلق الرجل، وخشِيَ قُتيبةُ أن يُؤْخَذَ به، فجعل لا

(١) البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣).
(٢) البخاري (٢٣٥٨ و٧٢١٢)، ومسلم (١٠٨).

يتَقَارُّ ليلَهَ، وكانت له ثلاثةُ أَسِرَّةُ، فجعل يتنَقَّلُ عليها حتى أصبح، فأتاه الرجلُ فجعل مُصبِحاً، فقال له قتيبةُ: ما الذي خلَّفَك إلى هذا الوقت؟ قال: التَّجَهُّزُ للموت أخَّرني. فركب قتيبةُ إلى الحجَّاجِ. قال له: أين صاحبُك؟ قال: قد جئتُ به أيها الأميرُ، وخبَّرَه خَبرَه، فقال له الحجاجُ: فإنِّي قد وهبتُه لك، فخرج إليه قُتيبة، فقال له: إنَّ الأميرَ قد وهبك لي، وقد وهبتُك للّهِ عز وجل، فقال الرجلُ: نِعْمَ القادرُ اللّهُ، ولم يُزَكِّه عليها، وانطلق إلى المسجدِ فصلى ركعتين، ثم أقبل إلى قُتيبةَ، فقال له قُتيبةُ: أعلمتُك أنِّي قد مَنَنْتُ عليك وأعتقتُك، فلم تشكُرْ ليَ الشكرَ الذي يُشبِه ما كان منِّي، فقال: أحببتُ أن أبدأ بشكرِ الله تعالى فأخْلِصهُ، ولا أشرِكُ به أحداً، فقلتُ ما سمعتَ، ودخلتُ المسجدَ، فصليتُ ركعتين، وحمِدْتُ أمركَ إلى اللّهِ عز وجل. فكتب قُتيبةُ على خاتمه يومئذٍ: نِعْمَ القادرُ اللّهُ.

* * *

١١١ ـ ما جاء في الإنصاف

١٦١٠ ـ قال مالكٌ: أقلُّ ما في الناس الإنصافُ، ولو تناصفوا لاستَغْنَوْا عنِ الحُكَّامِ.

١٦١١ ـ قال عبد الملك: أفضلُ الناسِ مَنْ تواضعَ عن رِفْعَةٍ، وعفا عَنْ قُدرةٍ، وأنصفَ عن قُوةٍ.

١٦١٢ ـ وقال بعضهم: مَنْ لم يُنصِفْك في قُربه، فأنْصِفْ نفسَك بِبُعْدِه، فلا خيْرَ لك في صُحبَةِ مَنْ لا يرى لك مِنَ الحقِّ مِثْلَ الذي ترى له.

١٦١٣ ـ ولمعن بن أوس:

إذا أنتَ لم تُنصِفْ أخاك وجَدْتَهُ ... على طَرَفِ البحرِ إنْ كان يَعْقِلُ
ويركَبُ حَدَّ السيفِ مِنْ أنْ تَضِيمَهُ ... إذا لم يكُنْ عن شَفْرَةِ السَّيْفِ مرحلُ

ستَقْطَعُ في الدنيا إذا ما قطَعْتَني يـمـيـنَـك فـانـظُـرْ أيَّ كَـفٍّ تَـبَـدَّلُ
إذا انصَرَفَتْ نفسي عنِ الشَّيءِ لم تَكَدْ إلـيـه بـوجْـهٍ آخِـرَ الـدَّهـرِ تُـقْـبِـلُ

١٦١٤ ـ وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى: لم يَزَلْ للناسِ وجوهٌ يرفعون حوائجَهم، فأكْرِمْ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ وجوهِ الناسِ، وتجتنب المسلم الضعيف من العدل أن ينصفَ في الحكمِ والقسْمِ.

١٦١٥ ـ وقال الحسن: المؤمن لا يَحيفُ على مَنْ يُبغِضُ، ولا يَأثَمُ فيمن يُحِبُّ، وإذا بُغِيَ عليه صبرَ، حتى ينتصِرَ الله له.

١٦١٦ ـ ولسان بن ....(١):

احذَروا الحقَّ لا أُعطيكُمُ اليومَ غيْرَهُ ولِلْحَقِّ إنْ لم تَقْبَلُوا الحَقَّ دافِعُ
فلا الضَّيْمَ أُعطيكُم مِنَ اجْلِ وَعيدِكُمْ ولا الحقَّ مِنْ بغضائِكم أنا مانِعُ
فلَم أرَ مِثْلَ الحقِّ يَدْفَعُه امرُؤٌ ولا الضَّيْمَ يأتيه امرُؤٌ وهو طائِعُ

١٦١٧ ـ ولابنِ عَبْدَلٍ:

أكُفُّ الأذى عن أسرتي وأذوده على أنني أجزي المُقارِضَ بالقرضِ
وأقضي على نفسي إذا الحقُّ نابَني وفي النَّاسِ مَنْ يُقضى عليه ولا يَقْضي

* * *

١١٢ ـ ما جاء في الحِلْم ومِلْك الإنسانِ نفسَه عند الغضب

١٦١٨ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

١٦١٩ ـ وقال عز وجل: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

(١) هنا طمس في الأصل، لم أتبين الصواب فيه.

١٦٢٠ - وروى مالك عن أنس، قال: كنت أمشي معَ النبيِّ ﷺ وعليه بُرْدٌ نجرانِيٌّ غليظُ الحاشيةِ، فأدركه أعرابيٌّ، فجذبَ بِردائِه جَذْبَةً شديدةً. قال أنس: فنظرتُ إلى صَفْحَةِ عاتِقِ النبيِّ ﷺ قد أثَّرَتْ فيها حاشيةُ الرِّداءِ مِنْ شِدَّةِ جذبِهِ، ثم قال: يا محمدُ، مُرْ لي مِنْ مالِ اللَّهِ الذي عندَك، فالتفتَ إليه فضحك، ثم أمرَ له بعطاءٍ[١].

١٦٢١ - وقال أنسٌ لامرأةٍ مِنْ أهلِه: أتعرفينَ فُلانةً؟ قالت: نعم. قال: فإنَّ النبي ﷺ مرَّ بها وهي تبكي عندَ قبرٍ، فقال: «**اتَّقي اللَّهَ واصبري**». فقالت: إليك عنِّي؛ فإنك خِلْوٌ مِنْ مُصيبتي. قال: فجاوزها ومضى، فمرَّ بها رجلٌ، فقال لها: ما قال لك رسولُ الله ﷺ؟ قالت: ما عرفْتُه. قال: إنه لَرسولُ الله ﷺ قال: فجاءت إلى بابِه، فقالت: يا رسولَ اللَّه، ما عرفتُك، فقال النبي ﷺ: «**إنما الصبرُ عندَ أولِ صدمةٍ**»[٢].

١٦٢٢ - وروى أبو سَلمةَ عن أبي هريرة أن رجلاً تقاضى النبيَّ ﷺ فأغلظ له، فَهَمَّ به أصحابُه فقال: «**دعوه، فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالاً، واشترُوا له بعيراً، وأعطوه إياه**». قالوا: لا نجِدُ إلا أفضلَ مِنْ سِنِّهِ، فقال: «**اشروه فأعطوه إياه، فإنَّ خيرَكم أحسنُكم قضاءً**»[٣].

١٦٢٣ - وقال عبد اللَّه بن عباس: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ المدينةَ، فنَزَلَ على ابن أخيه الحُرِّ بن قيسِ بن حِصنٍ، وكان مِنَ النَّفَرِ الذين يُدنيهم عمرُ ﷺ، وكان القُرَّاءُ أصحابُ مجلسِ عُمر ومشاورتِه كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عُيينةُ لابن أخيه: يا ابنَ أخي، هل لك وجهٌ عندَ الأمير، فتَستَأذِنَ لي عليه؟ قال: سأستأذنُ لك عليه. قال: فاستأذنَ لعُيَيْنَةَ، فلما دخل قال: يا ابنَ الخطاب، واللَّهِ ما تُعْطينا الجَزْلَ[٤]، وما تحكُمُ بيننا بالعدلِ، فغضب عمرُ

---

(١) البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).
(٢) البخاري (٧١٥٤)، ومسلم (٩٢٦).
(٣) البخاري (٢٣٠٥)، ومسلم (١٦٠١).
(٤) الجزل: الكثير.

حتى هَمَّ أن يُوقِعَ به، فقال الحُرُّ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله سبحانه قال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فإنَّ هذا مِنَ الجاهلين، فوالله ما جاوزَها عمرُ حتى تلاها، وكان وقَّافاً عندَ كتابِ الله عز وجل[1].

١٦٢٤ - وقال مالك: روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنما الشديدُ الذي يملِكُ نفسَه عندَ الغضب»**[2].

١٦٢٥ - ورُوِيَ أن جلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني كلمات أعيش بهن، ولا تكثر عليَّ فأنسى، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تغضب»**[3].

١٦٢٦ - وقال أبو سُليمانَ الدَّارانيُّ: أحضَرُ الناسِ جواباً مَنْ لا يغضبُ.

١٦٢٧ - وقال بعض الحُكماء: الغضبُ يُفسِدُ الإيمانَ كما يُفسِدُ العسلَ الصَّبِرُ.

١٦٢٨ - وقال الشَّعبيُّ: إذا غضِبَ حاملُ القرآنِ قال القرآنُ: أما تستحيي؟ أنا معك في الليلِ والنهارِ ولا تقتدي بي، أكرِمْني في الدنيا أُكرِمك في الآخرة.

١٦٢٩ - وشتم رجلٌ بعضَ الحُكماءِ، فقال له: لستُ أدخلُ في حربٍ الغالبُ فيها شرٌّ مِنَ المغلوبِ.

١٦٣٠ - وقال رجل لأبي ذرٍّ: رأيت الذي نفاك معاويةٌ مِنَ الشامِ؟ لو كان فيك خير ما نفاك. قال: يا ابنَ أخي، إن ورائي عَقَبَةً كؤوداً، إنْ نجوتُ

---

(١) البخاري (٤٦٤٢ و٧٢٨٦) وتقدم برقم (١٢٥١).

(٢) البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٣) هذه رواية مالك في الموطأ ٢/٩٠٥ عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، وهي مرسلة. ورواه من حديث أبي هريرة ﷺ البخاري (٦١١٦).

منها لم يَضُرَّني ما قلتَ، وإنْ لم أنْجُ منها فأنا شَرٌّ مما قلتَ.

١٦٣١ ـ وقال رجلٌ للأحنفِ: إنْ قلتَ لي كلمةً لَتَسْمَعَنَّ منِّي عشراً. قال له الأحنف: لكنك لو قلتَ لي عشراً لم تسمَعْ منِّي واحدةً.

١٦٣٢ ـ وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: احتمِلُوا مِنَ السَّفيهِ كلمةً تربحوا عشراً.

١٦٣٣ ـ ورُوِيَ عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: مَنْ خاف اللَّهَ لم يَشْفِ غيظَه، ومَنِ اتَّقى اللَّهَ لم يصنعْ ما يريدُ، ولولا يومُ القيامةِ لكانَ غيْرَ ما تَرَوْنَ.

١٦٣٤ ـ وقال أبو الدرداء: أقربُ ما يكون العبدُ مِنْ غَضَبِ الله إذا غَضِبَ.

١٦٣٥ ـ ومرَّ المسيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ على قوم مِنَ اليهود، فقالوا له شرّاً، وقال لهم خيراً، فقيل له: إنهم يقولون شرّاً وأنتَ تقول خيراً، فقال: كلٌّ يُنْفِقُ ممَّا عندَه.

١٦٣٦ ـ وقال رجلٌ للأحنف: ما الحِلْمُ؟ قال: هو الذُّلُّ تصبِرُ عليه.

١٦٣٧ ـ وقال: ما أنا بحليمٍ ولكني صبورٌ.

١٦٣٨ ـ ورُوِيَ أن رجلاً شتم قَنْبَراً، فناداه علي بن أبي طالب: يا قَنْبَرُ، دع شاتِمَك والْهَ عنه تُرْضِ الرحمنَ، وتُسْخِطُ الشيطانَ، ولا تعاقِبْ شاتِمَك، فما يُعاقَبُ الأحمقَ بمِثْلِ السكوتِ.

١٦٣٩ ـ وأنشدوا:

وما شيءٌ أحَبُّ إلى سَفيهٍ ... إذا سبَّ الكريمَ مِنَ الجوابِ
مُتارَكَةُ السَّفيهِ بلا جَوابٍ ... أشدُّ على السَّفيهِ مِنَ السُّبابِ

١٦٤٠ ـ وقال العتابيُّ: الحِلْمُ معاونُ السَّلامة، ومفارِقُ المَلامَةِ.

١٦٤١ ـ وقال عيسى بن دينار: كتب بعضُ أهلِ العلمِ إلى رجلٍ مِنْ إخوانِه: اعلمْ أنَّ الحِلْمَ لباسُ العلمِ، فلا تَعْرَيَنَّ منه.

١٦٤٢ ـ وقال لُقمانُ لابنِه: ثلاثةٌ لا يُعرَفونَ إلا عندَ ثلاثةٍ: لا يُعْرَفُ الحليمُ إلا عندَ الغضبِ، ولا الشجاعُ إلا عند الحربِ، ولا أخوك إلا عند الحاجةِ إليه.

١٦٤٣ ـ وسبَّ رجل رجلاً، فأعرض عنه، فقال: إيَّاك أعني، فقال: وعنك أُعْرِضُ.

١٦٤٤ ـ وسبَّ رجلٌ الشَّعبيَّ بقبائحَ نسبَها إليه، فقال له الشَّعبيُّ: إنْ كنتَ كاذباً فغفرَ اللَّهُ لك، وإن كنتَ صادقاً فغفرَ اللَّهُ لي.

١٦٤٥ ـ وقال رجل لأبي بكر الصديق ﷺ: لأَسُبَّنَّك شيئاً يدخلُ معك في قبْرِك، فقال: معك واللهِ يدخل لا معي.

١٦٤٦ ـ وقال الأحنف: لقد تعلَّمتُ الحِلمَ مِنْ قيسِ بن عاصم المِنْقَرِيِّ: إني لَجالسٌ معه في فنائه وهو يحدِّثُنا، إذ جاءت جماعةٌ يحملون قتيلاً ومعهم رجلٌ مأسور، فقيل: هذا ابنُك قتله أخوك، فواللهِ ما قطع حديثَه، ولا حلَّ حَبْوَتَهُ، حتى فرغَ مِنْ مَنْطِقِه، ثم أنشأ يقول:

أقولُ للنَّفسِ تأسياً وتعزيةً ... إحدى يديَّ أصابَتْني ولم تُرِدِ
كلاهُما خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صاحِبِهِ ... هذا أخي حينَ أدعوه وذا وَلَدي

ثم التفتَ إلى بعضِ ولدِه، فقال: قُمْ فأطلِقْ عمَّك، ووارِ أخاكَ، وسُقْ إلى أمِّهِ مائةً مِنَ الإبلِ، فإنها غريبةٌ.

١٦٤٧ ـ وقال ابن عَبدُوس القاضي: كان أبو عبد الرحمن عبدُ اللَّه بن عُمر بنِ غانمٍ حليماً. بلغنَا أنه لقيه ابنُ زُرْعَةَ، فقال له: يا فاعلُ يا ابنَ الفاعلةِ بالإفحاش، فلم يَهِجْه ولم يقُلْ له شيئاً، فلما كان بعدَ مُدَّةٍ خرج

غانمٌ إلى ضَيْعَةٍ له، فلقِيَه ابنُ زُرْعَةَ فسلَّم عليه ابنُ غانم وبَرَّه، ثم قال: امضِ بنا، فمضى معه إلى مُتَنَزَّهِهِ، فأحضر طعاماً فأكل معه، فأقاما إلى المساء ثم انصرفا، فلما أراد مُفارقَتَه، قال له: يا أبا عبد الرحمن، اغفِرْ لي، فقد كان مني خطأٌ، فقال: أمَّا هذا فلستُ أفعلُه حتى أُخاصِمَك بين يديِ اللَّهِ تعالى، وأما أنْ ينالَك منى في الدنيا مكروهٌ، فأنت آمِنٌ مِنْ هذا.

١٦٤٨ ـ وقال محمود الوراق:

سأُلْزِمُ نفسي الصَّفْحَ عَنْ كلِّ مُذنِبٍ ... وإنْ عَظُمَتْ منه عليَّ الجَرائِمُ
فما النَّاسُ إلا واحدٌ مِنْ ثلاثةٍ ... شريفٌ ومشروفٌ ومِثْلٌ مُقاوِمُ
فأمَّا الذي فَوقي فأعْرِفُ فَضْلَهُ ... وأتْبَعُ فيه الحَقَّ والحَقُّ لازِمُ
وأمَّا الذي دُوني فإنْ قال صُنْتُ عَنْ ... إجابَتِه نفسي وإنْ لامَ لائِمُ
وأمَّا الذي مِثْلي فإنْ زلَّ أو هَفَا ... تَفَضَّلْتُ إنَّ الحِلْمَ بالفَضْلِ حاكِمُ

١٦٤٩ ـ ولبعضهم:

إذا أنا لم أصْفَحْ بِحِلْمِيَ عنْ أخي ... وقلتُ أُكافيه فأينَ التَّفاضُلُ
وإنْ أقْطَعِ الإخوانَ في كُلِّ عَثْرَةٍ ... بَقِيتُ وحيداً ليس لي مَنْ أُواصِلُ
ولَلَّتي أُغْضي الجُفونَ على القَذَى ... وأصفحُ عمَّا رابني وأجامِلُ

١٦٥٠ ـ وقال المأمون: إني لأجِدُ لعفوي لَذَّةً أعظمَ مِنْ لَذَّةِ الانتقامِ.

١٦٥١ ـ ورُوِيَ أن رجلاً بسط لسانه على الأحنفِ، فقال: الذي ستَرَ اللَّهُ علينا أكثرُ مِنَ الذي قلتَ.

١٦٥٢ ـ وقيل لبعض الصالحين: إنَّ فلاناً يقعُ فيك، فقال: لأَغيظَنَّ مَنْ أَمرَه: يَغفِرُ الله لي وله، قيل له: ومَنْ أمرَه؟ قال: الشيطانُ.

١٦٥٣ ـ وقال رجلٌ لأخيه: إنِّي مرَرْتُ بفلان وهو ينالُ منك، ويذكرُ أشياء رحمتُك منها، قال: فهل سمعتَني أذكُره بشيء؟ قال: لا. قال: فإيَّاه فارحَمْ.

١٦٥٤ ـ ولأبي العتاهية:

كم مِنْ سَفيهٍ غاظَني سَفَهاً فَشَفَيْتُ نفسي منه بالحِلْمِ
ولقدْ رَثَيْتُ لظالمي غلظاً ورَحِمْتُه إذْ لَجَّ في ظُلمي

١٦٥٥ ـ أخذه مِنْ قول مُساورِ الورَّاقِ:

إنِّي وهبْتُ لظالمي ظُلمي وغفرْتُ ذاك له على عِلْمِ
ما زال يَظْلِمُني وأرحَمُه حتى رَثَيْتُ له مِنَ الظُّلْمِ

١٦٥٦ ـ وقال الفضيل: ثلاثةٌ لا يُلامون على الغضبِ: المريضُ، والصائمُ، والمسافرُ.

١٦٥٧ ـ ولحاتم طيِّئ:

وعَوْراءَ جاءتْ مِنْ أخٍ فرَدَدْتُها بسامِعَةِ العَيْنَيْنِ طالِبَةٍ عُذْرَا
ولو أنَّني إذ قالها قلتُ مِثْلَها ولم أَعْفُ عنها أوْرَثَتْ بيننا غِمْرَا[1]
فأعرَضْتُ عنها وانتظرتُ به غداً لعلَّ غداً يُبْدي لمنتظرٍ أمْرَا
وقلتُ له عُدْ للأُخُوَّةِ بيننا ولم أتَّخِذْ ما كان مِنْ جَهْلِهِ قَمْرَا

١٦٥٨ ـ وله أيضاً:

ونَفْسَكَ أكْرِمْهَا فإنَّكَ إنْ تَهُنْ عليكَ فلنْ تُلْفِي لها الدَّهْرَ مُكْرِمَا
تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَينَ واسْتَبْقِ وُدَّهُم ولنْ تَسْتطيعَ الحِلْمَ حتَّى تَحَلَّمَا

١٦٥٩ ـ ولابن المعتزِّ:

اصْبِرْ على كَيْدِ العَدُوِّ فإنَّ صَبْرَكَ قاتِلُهْ
فالنارُ تأكُلُ بعضَها إنْ لم تَجِدْ ما تأكُلُهْ
ولَرُبَّمَا بَلَغَ الحَليمُ بِصَبْرِهِ ما يَأمُلُهْ

---

(١) الغمر: الحقد.

١٦٦٠ - ولغيرِه:

إذا مـا خـلـيـلـي أسَـا مَـرَّةً وقـدْ كـان فـيـمـا مـضـى مُـجْـمِـلا
ذَكَـرْتُ الـمُـقَـدَّمَ مِـنْ فِـعْـلِـهِ ولـم يُـفْـسِـدِ الآخِـرُ الأوَّلا

١٦٦١ - ولبشارٍ:

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِباً صديقَك لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فَعِشْ واحِداً أو صِلْ أخاكَ فإنَّه مُقارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجانِبُهْ
إذا أنتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأيُّ النَّاسِ تَصفُو مَشارِبُه

❋ ❋ ❋

١١٣ - ما جاء في الصّبر

١٦٦٢ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

١٦٦٣ - وقال سبحانه: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

١٦٦٤ - وروى أبو هلال الرَّاسِبِيُّ عن الحسنِ في قوله عز وجل: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]. قال: ابتلاه بالكواكبِ فصبَرَ، وابتلاه بالقمر فصبَرَ، وابتلاه بذبح ابنه فصبَرَ.

١٦٦٥ - وكان حبيبُ بن أبي حبيبٍ إذا قرأ هذه الآية بكى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤] ثم قال: واعجباه، أعْطَى وأثْنَى.

١٦٦٦ - وروى مالك بن أنس عن أبي سعيد الخُدري أن ناساً مِنَ الأنصارِ سألوا رسولَ الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى إذا نَفِدَ ما عندَه، قال: «**ما يكونُ عندي مِنْ خيرٍ، فلن أَدَّخِرَ عنكم، ومَنْ يَستَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللَّهُ، ومَنْ يَستَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، ومَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرهُ اللَّهُ، وما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خيراً وأوسعَ مِنَ الصَّبْر**»[1].

---

(١) موطأ مالك ٢/٩٩٧. ومن طريقه رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

١٦٦٧ ـ وروى شَقيقٌ عن عبد اللَّه، قال: قَسَمَ النبيُّ ﷺ قِسْمَةً كبعضِ ما كان يقسِمُ، فقال رجل من الأنصار: واللهِ إنها لَقِسْمَةٌ ما أُريدَ بها وجهُ اللَّهِ. قلت: أما لأقولَنَّ للنبيِّ ﷺ، فأتيتُه وهو في أصحابه، فسارَرْتُه فشَقَّ ذلك على النبيِّ ﷺ وتغيَّرَ وجهُه وغضِبَ حتى ودِدْتُ أني لم أكُنْ أخبَرْتُه، ثم قال: «**قد أُوذِيَ موسى بأكثَرَ مِنْ هذا فصبَرَ**»[1].

١٦٦٨ ـ وروى عبد الواحد بن زيد: مَنْ نوى الصَّبْر على طاعةِ الله صَبَّرَه اللَّهُ عليها، وقَوَّاه لها، ومَنْ عزَمَ الصَّبْر عنْ معاصي اللَّهِ، أعانه اللَّهُ عز وجل على ذلك وعصمه منها.

١٦٦٩ ـ ورُوِيَ عن مالكٍ أنَّ القاسم بنَ محمد وعمر بن عبدالعزيز التقيا في حجٍّ أو عُمرةٍ، فقال له عمر: أوصِني، فقال القاسم: عليك بالصَّبْر في مواضعِ الصَّبْر، فقال له عمر بن عبدالعزيز: إن معَنا فضلاً مِنْ أزوادٍ واسعةٍ، أفلا نأمُرُ لك بها، فقال القاسمُ: إني امرؤٌ لا أَرْزَأُ[2] أحداً شيئاً.

١٦٧٠ ـ ورُوِيَ أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يُوشِكُ أن يُفْضِيَ بالصابرِ البلاءُ إلى الرَّخاءِ، وبالفاجرِ الرَّخاءُ إلى البلاءِ.

١٦٧١ ـ وقال بعض الحكماء: المؤمنُ بين خمسِ شدائد: مُؤمِنٍ يحسُدُه، ومنافقٍ يُبغِضُه، وكافرٍ يُقاتلُه، وشيطانٍ يُضِلُّه، ونفسٍ تُنازِعُه. والصَّبْر جُنَّةٌ ذلك كلِّه، يقيه ويكفيه.

١٦٧٢ ـ وأنشدوا:

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضُّرِّ حتَّى أَلِفْتُه ... وأسْلَمَنِي حُسْنُ العزاءِ إلى الصَّبْرِ
ووسَّع صَدري للأذى كَثْرَةُ الأذى ... وإنْ كنْتُ أحياناً يَضيقُ له صَدْري
وحَسَّنَ لي يَأْسي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِم ... لِعلْمي بِصُنْعِ اللَّهِ مِنْ حيثُ لا أدري

(١) البخاري (٦١٠٠)، ومسلم (١٠٦٢).
(٢) أي: لا أصيب منه شيئاً.

١٦٧٣ - وقال عمر بن عبد العزيز في خُطبتِه: ما أنعمَ اللَّهُ على عبدٍ نِعمةً فانتزَعها منه وعوَّضه منها صبْراً إلا ما كان عَوَّضَه أفضلَ ممَّا انتزع منه، وقرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

١٦٧٤ - ولأبي العتاهية:

لـيسَ لِـمَـا لـيسـتْ لـه حـيـلَـةٌ مـوجـودَةٌ خـيْـرٌ مِـنَ الـصَّـبْـرِ
فَـاخْـطُ مَـعَ الـدَّهْـرِ إذا مـا خَـطـا واجْـرِ مَـعَ الـدَّهْـرِ كـمـا يَـجْـري

١٦٧٥ - وقال علي بن أبي طالب ﷺ: الصَّبْرُ كفيلٌ بالنجاح، والمتوكِّلُ لا يَخيبُ ظنُّه، والعاقلُ لا يَزِلُّ بأولِ نَكبةٍ، ولا يَفرحُ بأولِ رِفْعَةٍ.

١٦٧٦ - وكان يقال: الصَّبْرُ سلامةٌ، والطَّيشُ ندامةٌ.

١٦٧٧ - قال الحسن: الصَّبْر صبران: صبرٌ عندَ المصيبةِ، وصبْرٌ عند ما نهَى اللَّهُ، وهو الأفضل.

١٦٧٨ - وقال داودُ لسليمان عليهما السلام: يُستدَلُّ على تقوى المؤمنِ بثلاثٍ: حُسْنِ التَّوكُّل فيما لم يَنَلْ، وحُسْنِ الرضى فيما قد نال، وحُسْنِ الصَّبْر فيما قد فات.

١٦٧٩ - وأنشدوا:

اصْـبِـرْ لِـدَهْـرٍ نـالَ مِـنْـ ـكَ فَـهـكـذا مَـضَـتِ الـدُّهُـورُ
فَـرَحٌ وحُـزْنٌ نـازِلٌ لا الـحُـزْنُ دامَ ولا الـسُّـرورُ

١٦٨٠ - ولبعضهم:

صَبَرْتُ وكـان الـصَّبْـرُ خيْرَ مُعَوَّلِ وهـل جَـزَعٌ يُـجْـدي عـلـيَّ فـأجـزعُ
صَبَرْتُ على ما لَوْ تَحَمَّلَ بَعْضَه جـبالُ شَرُورَى أوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ

١٦٨١ - ورُوِيَ لعُثمانَ بن عفان ﷺ ولا يُعرَفُ له شِعرٌ غيْرُه:

غِنَى النَّفْسِ يُغْنِي النَّفْسَ حتَّى يَكُفَّهَا ... وإنْ عَضَّهَا حتَّى يَضُرَّ بها الفَقْرُ
وما عُسْرَةٌ فاصْبِرْ لها إن تَتابَعَتْ ... بباقِيَةٍ إلا سَيَتْبَعُها يُسْرُ

١٦٨٢ ـ وأنشدوا لبعض الأعراب:

تَعَزَّ فإنَّ الصَّبْرَ بالحُرِّ أجْمَلُ ... وليس على رَيْبِ الزَّمانِ مُعَوَّلُ
فلو كان يُغْني أنْ يُرَى امْرُؤٌ جازِعاً ... لِنازِلَةٍ أو كان يُغْني التَّذَلُّلُ
لكانَ التَّعَزِّي عندَ كلِّ مُصيبَةٍ ... ونازِلَةٍ بالحُرِّ أولى وأجْمَلُ
فكلٌّ وكُلٌّ ليس يَعدُو حِمامَه ... وما لامرئٍ عمَّا قضى اللَّهُ مَزْحَلُ
فإنْ تَكُنِ الأيَّامُ فينا تَبَدَّلَتْ ... بِبُؤْسٍ ونُعْمَى والحوادِثُ تَفْعَلُ
فما ليَّنَتْ منا قناةً صَليبَةً ... ولا ذَلَّلَتْنَا للتي ليس تُحْمَلُ
ولكِنْ رَحَلْناها نُفوساً كريمَةً ... تُحَمَّلُ ما لا يُسْتطاعُ فتَحْمِلُ
وَقَيْنا بِحُسْنِ الصَّبْرِ منَّا نُفوسَنا ... فَصَحَّتْ لنا الأعراضُ والنَّاسُ هُزَّلُ

١٦٨٣ ـ وللمُعَذَّل بن غَيْلانَ بن سَلَمَةَ العَبْقَسِي:

ولسْتُ بِمَيَّالٍ إلى جانِبِ الغِنَى ... إذا كانتِ العَلْياءُ في جانِبِ الفقرِ
وإنِّي لَصَبَّارٌ على ما يَنُوبُني ... وحَسْبُك أنَّ اللَّهَ أثنى على الصَّبْرِ

١٦٨٤ ـ ولغيره:

إنَّ الأمورَ إذا سُدَّتْ مَسالِكُها ... فالصَّبْرُ يَفْتَحُ منها كلَّ ما ارْتَتَجا
لا تَيْأَسَنَّ وإنْ طالَتْ مُطالَبَةٌ ... إذا اسْتَعَنْتَ بصَبْرٍ أنْ ترى فَرَجا
أخْلِقْ بِذي الصَّبْرِ أنْ يَحظَى بحاجَتِه ... ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبوابِ أنْ يَلِجَا

١٦٨٥ ـ ولتميم بن المُعِزِّ:

سَأَسْكُتُ صَبْراً واحْتِساباً فإنَّني ... أرى الصَّبْرَ سَيْفاً ليس فيه فُلولُ
عَذَابِيَ أنْ أشكو إلى النَّاسِ أنَّني ... عليلٌ ومَنْ أشكو إليه عَليلُ
وإنَّ امرءاً يشكو إلى غَيْرِ نافِعٍ ... ويَشْكُو بما في نَفْسِهِ لَجَهُولُ

١٦٨٦ ـ وأنشدوا:

دَعِ الدَّهْرَ يَجْري بِمِقْدارِهِ ... ويَقْضي عَجائِبَ أَطْوارِهِ
ونَمْ نَوْمَةً عَنْ وُلاةِ الأُمُو ... رِ وخَلِّ الزَّمانَ بِتَدْوارِهِ
فإنَّك تَرْحَمُ مَنْ قَدْ غَبَطْتَ ... وتَعْجَبُ مِنْ قُبْحِ آثارِهِ

❋ ❋ ❋

١١٤ ـ ما جاء في غض البصر

١٦٨٧ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

١٦٨٨ ـ وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

١٦٨٩ ـ ورُوِيَ عن ابن عباس: ما رأيتُ باللَّمَمِ أشبهَ ممَّا قال أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ كتب على ابنِ آدمَ حظَّه مِنَ الزِّنى، أدرَكَ ذلك لا مَحالَةَ، فزِنى العينِ النَّظَرُ، وزِنى اللسانِ النُّطْقُ، والنَّفسُ تَمَنَّى وتشتهي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك أو يُكَذِّبُه**»[1].

١٦٩٠ ـ وقيل ليحيى بنِ زكريا: ما بَدْءُ الزِّنى؟ قال: النظرُ والتَّمَنِّي.

١٦٩١ ـ وكان غزوانُ الرَّقاشيُّ في بعض المغازي، فكشفتْ جاريةٌ، فنظر إليها غزوانُ، فرفع يدَه فلَطَمَ عينَه، وقال: إنك لَلَحَّاظَةٌ إلى ما يَضُرُّكِ ولا يَنْفَعُكِ.

---

(١) البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

١٦٩٢ - وكان مِنْ مُداومةِ الرَّبيعِ بنِ خُثَيْمِ على غَضِّ البصرِ أنَّ النساءَ كُنَّ يَقُلْنَ: ما أجمَلَه مِنْ رجلٍ إلا أنه أعمى.

١٦٩٣ - وقال ابنُ سيرينَ: ما تَثَبَّتُّ وجهَ امرأةٍ قطُّ إلا ثلاثَ نِسوةٍ: أمي وأختي وامرأتي.

١٦٩٤ - وقال الفُضَيْلُ بن عِياضٍ: نظرُ الرجلِ إلى محاسنِ المرأةِ سهمُ إبليسَ مسموم، فمَنْ غضَّ بصرَه التِماسَ ثوابِ الله أعطاهُ اللَّهُ عبادةً يجِدُ طعمَها.

١٦٩٥ - قال الشَّعبيُّ: ما جلس الربيعُ بنُ خُثَيْم على ظهرِ طريقٍ فيه مجلسٌ، قال: أخاف أنْ يُظلَمَ رجلٌ فلا أنصُرُ، أو يَفتري رجلٌ على رجلٍ فأكَلَّف الشهادةَ عليه، وأن لا أغضَّ البصرَ، ولا أهدي السبيلَ، أو أنْ يقعَ مِنْ رجلٍ حِمْلُه فلا أحمِلُ عليه، أو يُسَلِّمَ عليَّ فلا أردُّ، فكنَّا إذا أتيناه دخلنا عليه في منْزِله.

١٦٩٦ - ورُوِيَ أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إيَّاكم والنَّظرةَ؛ فإنَّها تزرعُ في القلبِ شهوةً، وكفى بها حسرةً.

١٦٩٧ - وقال سعيد بن جبير: إنما جاءت فتنةُ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أجلِ النَّظرةِ.

١٦٩٨ - وقال المُعَلَّى الصوفيُّ: شكوتُ إلى بعض الزُّهَّادِ فساداً أجِدُهُ في قلبي، فقال: هل نظرتَ إلى شيءٍ فتاقَتْ نفسُك إليه؟ قلت: نعم. قال: احفظ عينَيْك، فإنك إنْ أطلقْتَهما وقَّعاك في مكروهٍ، وإن مَلَكتَهُما ملكتَ سائرَ جوارِحك.

١٦٩٩ - ورأى بعضُ الزُّهَّادِ صوفياً ينظرُ إلى غلامٍ جميلٍ، فقال له: يا خَرِبَ القلبِ، يا مُفْتَضَحَ الطَّرْفِ، أما تستحي مِنْ كِرامٍ كاتبين، وملائكةٍ مُكْرَمينَ، يحفظون الأفعالَ، ويكتبون الأعمالَ، وينظُرونَ إليك، ويشهدون عليك؟.

* * *

١١٥ ـ ما جاء في حفظ السمع

١٧٠٠ ـ قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

١٧٠١ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

١٧٠٢ ـ ورُوِيَ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**مَنِ استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهم له كارهون، أو يَفِرُّون منه، صَبَّ الله في أذنيه الآنُكَ يومَ القيامةِ**»[(١)].

١٧٠٣ ـ وقال بعض الحكماء: مَنِ استمع إلى ما لا يُباح له مِنَ القولِ، فقد أخذ بحظِّه مِنَ السرقه.

١٧٠٤ ـ ولذلك قيل: إنه يسترق السمع. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٨].

١٧٠٥ ـ وقال بعضهم: مَنْ غَضَّ بصرَه وحَفِظَ سمعَه، فقد قطع سبيل الفِتَنِ إلى قلبه.

١٧٠٦ ـ وروى أبو وائل عن عبد اللَّه: الغناءُ يُنبِتُ النفاقَ في القلب[(٢)].

---

(١) البخاري (٧٠٤٢). والآنك: الرصاص المذاب.

(٢) عبد الله: هو ابن مسعود. ورواه عنه أبو داود (٤٩٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٢٣/١٠، وشعب الإيمان ٢٧٨/٤. وقال البيهقي في شعب الإيمان ٢٧٩/٤: وقد روي هذا مسنداً بإسناد غير قوي، ثم رواه مرفوعاً. وكذا رواه أيضاً في السنن الكبرى. وضعف الرواية المرفوعة ابن الملقن في خلاصة البدر المنير ٤٤٠/٢.

١٧٠٧ ـ وقال نافع: سمعَ ابنُ عمر مِزماراً، فوضع إصبعيه في أُذنيه، ونأى عنِ الطريقِ، وقال ابن عمر: يا نافعُ، هل تسمع شيئاً؟ قلت: لا، فرفع إصبعيه عن أُذنيه، وقال: كنت معَ النبيِّ ﷺ فسمع مثلَ هذا فصنعَ مثل هذا[(١)].

١٧٠٨ ـ وقال بعضُهم: لكلِّ عضوٍ من أعضاء الإنسان غِذاءٌ يتغذَّى به، فإن كان نافعاً صَلَحَ به الجسدُ ونما، وإن كان وبِيّاً أمرضَ الجسدَ وأفسدَه، وغِذاءُ السمعِ الكلامُ، فإنْ تغذَّى بأحسنِه أصلَحَ قلبَه وحسَّنَه، وإن تغذَّى بفاسدِه أمرَضَ القلبَ، وربما أماتَه. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٨].

١٧٠٩ ـ ولسُلمى بنِ وابِصَةَ:

أُحِبُّ الفتى يَنْفِي الفَواحِشَ سَمْعُهُ ... كأنَّ به عَنْ كلِّ فاحشةٍ وَقْرَا
سليمُ دواعي الصَّدْرِ لا باسطاً أذَىً ... ولا مانِعاً خَيْراً ولا ناطِقاً هُجْرَا

* * *

١١٦ ـ ما جاء في حفظ اللسان

١٧١٠ ـ قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

١٧١١ ـ وروى سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ يَضْمَنْ لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رِجليه أضمَنْ له الجنةَ»**[(٢)].

١٧١٢ ـ وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ العبدَ ليَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِنْ رِضوانِ الله تعالى، ما يُلقي لها بالاً، يرفعُه اللَّهُ بها درجاتٍ. وإنَّ**

(١) رواه أحمد ٢/٨ و٣٨، وأبو داود (٤٩٢٤)، وصححه ابن حبان (٦٩٣).

(٢) البخاري (٦٤٧٤).

العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلقي لها بالاً يَهوي بها في نارِ جهنمَ»[١].

١٧١٣ ـ وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كان يُؤمنُ باللهِ واليوم الآخرِ، فليَقُلْ خيراً أو ليصمُتْ**»[٢].

* فلم يجعلْ رسولُ الله ﷺ الصمتَ أفضلَ مِنْ قولِ الخيْرِ، وإنما جعله أفضلَ مِنَ النُّطق بغيْرِ الخيرِ.

١٧١٤ ـ وقال سُليمان بن عبد الملك: إنَّ مَنْ نطقَ فأحسن قادِرٌ على أن يَصْمُتَ فيُحْسِنُ، وليس مَنْ صمت فأحسن قادراً على أن يَنْطِقَ فيُحسن.

١٧١٥ ـ وقال أبو مُسْهِرٍ: إنك تمدَحُ الصَّمتَ بالكلام، ولا تمدحُ الكلامَ بالصَّمتِ.

١٧١٦ ـ وقال حاتمٌ الأصمُّ: ما تركتُ الكلامَ ثلاثةَ أيامٍ إلا بانَ التقصيرُ في عملي.

١٧١٧ ـ وقال الأحنفُ: الكلام هو أفضلُ مِنَ الصمتِ؛ لأن الصمتَ لا يعدو صاحبَه فضلُه، وإنَّ الكلامَ ينتفعُ به عالَمٌ كثيرٌ.

١٧١٨ ـ ودخل الشَّعبِيُّ على عبد الملك بن مروانَ، أوَّلَ ما دخلَ عليه، فقال: يا شعبيُّ، إنك رجلٌ ضئيلٌ، أي صغير المنظر، فقال الشعبي:

لِسانُ الفَتى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤادُهُ ... فَلَمْ تَبْقَ إلا صورةُ اللحمِ والدَّمِ
وكائِنْ تَرَى مِنْ صامِتٍ لك مُعْجَبٌ ... زِيادتُه أو نَقْصُهُ في التَّكَلُّمِ

١٧١٩ ـ وقال بعضُهم: كيف يكون الصمتُ أنفعَ مِنَ الكلامِ، ولم تَزْوِ

---

(١) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

الرواةُ صَمْتَ الصامتين، وروثْ كلامَ المتكلمين، وبالكلامِ بُعِثَ النَّبِيُّون عليهِمُ السلامُ، لا بالصمتِ.

١٧٢٠ ـ ولعليِّ بن بسام:

رأيتُ لسانَ المرءِ لابَسَ عَقْلَهُ ... وعُنوانَهُ فانْظُر بماذا تُعَنْوِنُ
فلا تَعْدُ إصلاحَ اللسانِ فإنَّه ... يُخَبِّرُ عمَّا عندَهُ ويُزَيِّنُ
على أنَّ للإعرابِ حدّاً وربَّما ... سَمِعْتَ مِنَ الإعرابِ ما ليس يَحْسُنُ
ولا خَيْرَ في اللفْظِ الكَريهِ استِماعُهُ ... ولا في فسيحِ اللَّحْنِ والقصدُ أحْسَنُ

١٧٢١ ـ ورُوِيَ أن رجلاً أتى أبا سعيدٍ الخُدري ﷺ فقال له: أوصني، فقال له أبو سعيد: سألتَ عمَّا سألتُ عنه قبلَك، فقيل لي: أُوصيكَ بتقوى اللَّه؛ فإنه رأسُ كلِّ شيءٍ، وعليك بالجهادِ، فإنه رَهبانيةُ الإسلامِ، وعليك بذكرِ الله تعالى، وتلاوةِ القرآن، فإنه رُوحُك في أهلِ السماءِ، وذِكرُك في أهلِ الأرضِ، وعليك بالصمتِ إلا في حقٍّ، فإنك به تَغْلِبُ الشيطانَ[١].

١٧٢٢ ـ وقال أبو نَجيح لطاوس: يا أبا عبد الرحمن، رُوِيَ أن لقمان قال: إن مِنَ الصمتَ حُكْماً وقليلٌ فاعِلُه، فقال طاوس: يا أبا نَجيح، مَنْ تكلَّمَ واتَّقى اللَّهَ خيرٌ مِمَّنْ صمت واتقى اللَّه[٢].

١٧٢٣ ـ وقال الربيعُ: ما تصنعونَ بالكلام بعد تِسْعٍ: بعد سبحان اللَّه، والحمد لله، ولا إله إلا اللَّه، والله أكبر، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسؤال الخير، والتعوُّذ من الشر.

١٧٢٤ ـ ولما قُتِلَ الحُسين بن علي ﷺ قيل للربيعِ: قُتِلَ الحُسينُ،

---

(١) الزهد لابن المبارك (٨٤٠).
(٢) الزهد لابن المبارك (٨٤١).

وقلنا اليوم تتكلَّمُ، فقال: قتلوه، ومَدَّ بها صوتَه، ثم قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر: ٤٦].

١٧٢٥ ـ ورُوِيَ عن سُفيانَ بنِ عبد الله الثَّقفيِّ، قال: قلت: يا رسولَ اللَّه، حدثني بأمرٍ أعتَصِمُ به، قال: «**قل: ربِّيَ اللَّهُ ثم استَقِمْ**». قال: قلت: يا رسول اللَّه، ما أَخْوَفُ ما أَتَخَوَّفُ عليَّ؟ قال: فأخذ بلسانِ نفسِه ثم قال: «**هذا**»(١).

١٧٢٦ ـ وروى زيدُ بن أسلمَ عن أبيه: أنَّ عُمرَ بن الخطاب ﷺ دخل على أبي بكر الصديق ﷺ وهو يَجْذِبُ لسانَه، فقال له عمرُ: مَهْ غفر الله لك! قال أبو بكر الصديق: هذا أوردني الموارد(٢).

١٧٢٧ ـ وروى سعيدُ بن إياسٍ الجُرَيْري عن رجلٍ، قال: رأيتُ ابنَ عباس قائماً بين الرُّكنِ والمقامِ، آخذاً بثَمَرَةِ لسانِه وهو يقول: ويحَكَ! قلْ خيراً تغنَمْ، وأمْسِكْ عن شرٍّ تسلمْ. فقيل له: يا أبا عباس، مالك آخِذٌ بثمرةِ لسانِك؟ قال: بلغني أنَّ العبدَ ليس على شيءٍ مِنْ جسدِه بأحنَقَ منه على لسانه يومَ القيامةِ(٣).

١٧٢٨ ـ وأنشدوا:

اغْتَنِمْ رَكْعَتينِ زُلْفَى إلى اللّـ ـهِ إذا كُنْتَ فارِغاً مُسْتَرِيحَا
وإذا ما هَمَمْتَ يوماً بِنُطْقٍ فاجْعَلَنْ في مكانِه تَسْبيحَا
فاغتِنامُ السُّكوتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْـ ـقِ وإنْ كنتَ بالكلامِ فَصيحَا

---

(١) مسلم (٣٨). وانظر شرح هذا الحديث في جامع العلوم والحكم ١/٥٠٦ ـ ٥١٢ بتحقيقي.

(٢) رواه مالك في الموطأ ٢/٩٨٨، وأبو يعلى في مسنده (٥).

(٣) رواه أحمد في الزهد ص ١٨٩، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/٣٢٧ ـ ٣٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/٢٤٢.

١٧٢٩ - ورُوِيَ أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: حَسِبتمُ الأمورَ في ثلاثةٍ: الكلام والسكوت والنظر، فكلُّ كلامٍ ليس بِذِكرِ الله فهو لَغْوٌ، وكلُّ صمتٍ بغيرِ تَفَكُّرٍ فهو غَفلَةٌ، وكلُّ نظرٍ بغيرِ عِبْرَةٍ فهو لهوٌ، فطوبى لمن كان كلامُه ذِكْراً، وسكوتُه تَفَكُّراً، ونظرُه اعتباراً.

١٧٣٠ - وروى المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ أنه نهى عن قيل وقال، وكَثرة السُّؤال، وإضاعة المال[١].

١٧٣١ - ورُوِيَ أن منصور بن المعتمِر لم يتكلَّمْ بعد العِشاءِ الآخرةِ عشرين سنةً.

١٧٣٢ - وكان الربيعُ بن خُثَيْم إذا أصبح وضع قِرْطاساً وقلماً، فلا يتكلم يومَه بشيءٍ إلا كتبَه، ثم يُحاسبُ نفسَه عندَ المساءِ.

١٧٣٣ - وقال بعضُ الحكماء: أنا على رَدِّ ما لم أَقُلْ أقدَرُ مني على ردِّ ما قلتُ.

١٧٣٤ - وقال بعض النُّسَّاك: أسكتتني كلمةُ ابن مسعود عشرين سنة، وهي: من كان كلامه لا يوافق فعله، فإنما يُوَبِّخُ نفسَه.

١٧٣٥ - وسمع رجلٌ رجلاً يتكلَّم برَفَثٍ، فقال: إنما تُملي على حافظيك كتاباً إلى ربِّك.

١٧٣٦ - وقال ابن مسعود: ما شيءٌ أحوج إلى طول سجن من لسان.

١٧٣٧ - يُقال: إنه ما من يومٍ إلا والأعضاء تناشدُ اللسان: نشدناكَ اللَّهَ أن تَجنيَ علينا جنايةً تُهلكُنا.

---

(١) البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).

١٧٣٨ ـ وقال بعضُ الحكماء: لساني في سجني ما لم أرسله، فإذا أرسلتُه صرتُ في سجنِه.

١٧٣٩ ـ وقال طاوس: لساني سَبُعٌ، إن أطلقتُه أكلني.

١٧٤٠ ـ ورُوِيَ عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: إن العبادةَ عشرةُ أجزاءٍ، تسعةٌ منها في الصمت، وجزءٌ في الفرار من الناس.

١٧٤١ ـ وروى خيثمةُ بن عبد الرحمن عن عديٍّ بن حاتمٍ أنه قال: أيمنُ الرجلِ وأشأمُه ما بين لَحْيَيْه، يعني لسانه.

١٧٤٢ ـ ورُوِيَ عن مالك بن دينار أنه قال: إذا وجدتَ قساوةً من قلبِك ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقِك، فاعلمْ أنك تكلمتَ فيما لا يَعنيك.

١٧٤٣ ـ وأنشدوا:

وإذا خَشيتَ ملامةً من منطقٍ فاحْبِسْ لسانَك في اللَّهاةِ وأطْرِقِ
واخْزُنْ لسانَك لا تقولَ فتُبْتَلَى إنَّ البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمنطِقِ

١٧٤٤ ـ وروي عن أبي مسعود: بئس مطية الرجل زعموا[1].

١٧٤٥ ـ وقال عمر بن عبد العزيز: من عَدَّ كلامه من عمله، قلَّ كلامُه.

١٧٤٦ ـ وقال الحسن: كانوا يقولون: إن لسان الحليم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك. وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه، لا يرجع إلى القلب، ما أتى على لسانه تكلَّم به.

---

(١) رواه أحمد ١١٩/٤ و٤٠١/٥، والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٢)، وابن أبي شيبة ٢٥٢/٥ ومن طريقه أبو داود (٤٩٧٢). وصححه ابن حجر في الإصابة ١٣٣/٧ مع أنه أشار في فتح الباري ٥٥١/١٠ أنه منقطع الإسناد.

١٧٤٧ ـ وقال أبو هريرة: أكثر الناس خطايا يوم القيامةِ أكثرُهم كلاماً فيما لا يَعنيه.

١٧٤٨ ـ وأنشدوا:

الحِلْمُ زَيْنٌ والسكوتُ سلامةٌ فإذا نَطَقْتَ فلا تكُنْ مِهْذارا
فَلَئِنْ نَدِمتَ على سُكوتٍ مرَّةً فَلَتَنْدَمَنَّ على الكلامِ مِرارا

١٧٤٩ ـ ولي في هذا المعنى:

وتيَقَّنْ بأنَّك اليومَ تُمْلي في كتابِ المُسْتَحْفَظينَ الكِرامِ
ثمَّ تُؤتَى يومَ الحسابِ كتاباً ناطِقاً بالفُجورِ والآثامِ
وأرى عَثْرَةَ اللسانِ وإنْ لم تَبْدُ أنْكَى مِنْ عَثْرَةِ الأقدامِ
وأرى القَولَ كالسِّهامِ فإنْ كانَ قبيحاً عَدَتْ علَيَّ سِهامي
ومِنَ الغَيِّ أنْ أُصابَ بسهمٍ وأنا مِلْكٌ يمينِ الرَّامي

١٧٥٠ ـ وقال أبو الدَّرداءِ: أنْصِفْ أُذنيك من فيك، فإنما جُعِلَ لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثرَ مما تقول.

١٧٥١ ـ وحضر قُشَيْرِيٌّ مجلساً مِنْ مجالس العرب، فقال بعضُهم: بِحَقٍّ سُمِّيتُم خُرْسَ العرب! فقال القشَيريُّ: يا أخي، إنَّ حظَّ الرجل في أذنيه لنفسه، وحظَّه في لسانه لغيره.

١٧٥٢ ـ وقال أبو نُواس:

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ وامْضِ عنه بِسَلامِ
مُتْ بِداءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لكَ مِنْ داءِ الكَلامِ
إنَّما السَّالِمُ مَنْ ألْـ جَمَ فاهُ بِلِجامِ

١٧٥٣ ـ ولبعض الشعراء:

قدْ أفلحَ السالِمُ الصَّموت كلامُ واعي الكلامِ قُوتُ

مـا كـلُّ نُـطْـقٍ لـه جـوابٌ جـوابُ مـا يُـكْـرَهُ الـسُّـكـوتُ
واعَـجَـبـاً لامـرئٍ ظَـلُـومٍ مُـسْـتَـيْـقِـنٍ أنـه يـمـوتُ

١٧٥٤ ـ ولابن عبَّاد:

حِـفْـظُ الـلسـانِ راحَـةُ الإنسـانِ فاحْفَظْهُ حِفْظَ الشُّكرِ للإحسانِ
فـآفَـةُ الإنـسـانِ فـي الـلـسـانِ

* * *

١١٧ ـ النهي عن الكذب

١٧٥٥ ـ روى ابنُ أبي مُلَيْكَةَ عن عائشةَ ﵂: ما كان خلقٌ أبغضَ إلى رسولِ الله ﷺ مِنَ الكذبِ. ولقد كان الرجل يكذبُ عند رسول الله ﷺ فما يزالُ في نفسِه عليه حتى يعلمَ أنه قد أحدث توبةً[(١)].

١٧٥٦ ـ وروى عبد اللَّه بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الكذب لَيَهدي إلى الفجورِ، والفجورُ يهدي إلى النار، وإنَّ الرجل لَيَكذبُ حتى يُكْتَبَ عند الله كذاباً. وإن الصدقَ يَهدي إلى البرِّ، والبِرُّ يَهدي إلى الجنةِ، وإنَّ الرجل لَيَصْدُقُ حتى يُكْتَبَ عند الله صِدِّيقاً**»[(٢)].

١٧٥٧ ـ وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**آيةُ المنافق ثلاثٌ: إذا حدَّث كذب، وإذا وعدَ أخلَفَ، وإذا ائْتُمِنَ خان**»[(٣)].

١٧٥٨ ـ ورُوِيَ عن أسماءَ بنتِ أبي بكر ﵄ قالت: سمعتُ امرأةً تسألُ رسولَ الله ﷺ فقالت: إنَّ لي ضَرَّةً، وأنا أتَكَثَّرُ مِنْ زوجي بالفعل، أُضَارُّها بذلك، فهل لي فيه شيءٌ؟ فقال: «**المُتَشَبِّعُ بما لم يُعْطَ كلابسِ ثَوبَيْ زُورٍ**»[(٤)].

---

(١) حديث صحيح. رواه أحمد ١٥٢/٦، وصححه ابن حبان (٥٧٣٦)، والحاكم ٩٨/٤.
(٢) البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).
(٣) البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).
(٤) البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠).

١٧٥٩ ـ وقال ابن مسعود: لا يزال العبدُ يكذب وتُنكتُ في قلبه نكتةٌ سوداء حتى يسوَدَّ قلبُه، فيُكتب عند الله من الكاذبين[١].

١٧٦٠ ـ وقال لقمانُ لابنه: يا بُنَيَّ، عليك بالصدق وإن رأيتَ أنَّ فيه الهَلَكَةَ؛ فإنَّ فيه النجاةَ. يا بُنَيَّ، إياك والكذبَ وإن رأيتَ أنَّ فيه النجاةَ، فإنَّ فيه الهَلَكَةَ.

١٧٦١ ـ ورُوِيَ عن عمر بن محمد بن المُنْكَدِرِ، قال: بينما رجلٌ بمِنىً يبتاعُ شيئاً ويحلِفُ، فقام عليه شيخٌ، فقال: يا هذا، بِعْ ولا تحلِفْ، فعاد فحلَفَ، فقال له مثلَ ذلك، فقال: أَقْبِلْ على ما يَعنيكَ، قال: فإنَّ هذا مما يَعنيني. فلما رآه لا يَكُفُّ عنه اعتذرَ إليه، فقال له الشيخ: آثِرِ الصِّدقَ وإنْ أضَرَّ بك على الكذب فيما ينفعُك، واتَّهِم الكذبَ على نفسِك مما يُحَدِّثُك به غيْرُك وتكلَّم، فإذا انقطع علمُك فاسكُتْ.

١٧٦٢ ـ وقال بعض الحكماء: الكذاب والميت سواءٌ؛ لأنَّ فضيلة الحيِّ النُّطقُ، فإذا لم يُوثَقْ بكلامِه فقد بَطَلَتْ حياتُه.

١٧٦٣ ـ ورُوِيَ عن أم كلثوم: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ رخَّصَ في شيءٍ مِنَ الكذب إلا في الحرب[٢].

١٧٦٤ ـ ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: إذا حدَّثْتُكم عن النبيِّ ﷺ فلأَنْ أخِرَّ مِنَ السماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ مِنْ أن أكذبَ عليه، وإذا حدثْتُكُم فيما بيني وبينكم، فإنَّ الحربَ خُدْعَةٌ[٣].

١٧٦٥ ـ ورُوِيَ عن ابن مسعود أنه قال: إن الكذب لا يصْلُحُ منه شيءٌ

---

(١) رواه مالك في الموطأ ٢/٩٩٠ بلاغاً.

(٢) أم كلثوم: هي بنت عقبة. والحديث رواه أحمد ٦/٤٠٣و٤٠٤، وأبو داود (٤٩٢١). ورواه مسلم ضمن الحديث (٢٦٠٥)، وجعله من قول محمد بن شهاب الزهري.

(٣) البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) وسيأتي برقم (٢٠١٣).

جِدٌّ ولا هَزْلٌ، واقرؤوا إن شئتم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩] فهل ترى مِنْ رُخصةٍ في الكذب[١].

١٧٦٦ ـ وروى قيس بن أبي حازم: سمعت أبا بكر يقول: إياكم والكذبَ، فإن الكذبَ مُجانِبُ الإيمانِ[٢].

١٧٦٧ ـ وقال ابنُ المعتزِّ: اجتَنِبْ مُصاحبَةَ الكذاب، فإن اضطررت إليه فلا تُصَدِّقْه، ولا تُعْلِمْهُ أنك تُكَذِّبُه، فينتقل عن وُدِّهِ ولا ينتقلُ عن طبعِهِ.

١٧٦٨ ـ وأنشدوا:

لا يَكْذِبُ المرْءُ إلا مِنْ مَهَانَتِهِ أو عادةِ السُّوءِ أو مِنْ قِلَّةِ الأدَبِ

١٧٦٩ ـ ولأعرابيٍّ:

حَسْبُ الكَذُوبِ مِنَ المَهانَةِ بَعْضُ ما يُحْكَى عَلَيْهِ
ومتى سَمِعْتَ بِكَذْبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إليهِ

١٧٧٠ ـ وقال ابن المعتز: الكذبُ والحسدُ والنفاقُ أثافيُّ الذُّلِّ.

١٧٧١ ـ وقال الحسن بن سهل: الكذاب لصٌّ، إلا أن اللصَّ يسرِقُ مالَكَ، والكذابُ يسرق عقلك.

١٧٧٢ ـ وقال الفُضَيْلُ: ما مِنْ مُضْغةٍ أبغضُ إلى الله مِنْ لسانٍ إذا كان كذوباً، وما مِنْ مُضغةٍ أحبُّ إلى الله مِنْ لسان إذا كان صَدُوقاً.

١٧٧٣ ـ وقال الأحنف: مِنْ خساسةِ الكذابِ أنَّ الكذابَ يُكَذِّبُه صديقُه، ومِنْ شَرَفِ الصِّدْقِ أنَّ الصادقَ يُصدِّقُه عدوُّه.

١٧٧٤ ـ وقد قيل للقمانَ: ما بلغ بك ما ترى؟ يريدون الفضلَ، فقال:

---

(١) الزهد لابن المبارك (١٤٠٠)، وتفسير الطبري ٦٣/١١.

(٢) رواه أحمد ٥/١، وابن المبارك في الزهد (٧٣٦).

صِدْقُ الحديث، وأداءُ الأمانة، وتركُ ما لا يعنيني.

١٧٧٥ - وقال بعض الحكماء: الصَّدوقُ يُعْطَى ثلاثَ خِصالٍ: الهيبة، والمُلحة، والمحبة.

١٧٧٦ - وقال الفُضَيلُ: لم يتزيَّنِ الناسُ بشيءٍ هو أفضلُ مِنَ الصدقِ، واللهُ سائلُ الصادقين عن صدقِهم، منهم عيسى بن مريم عليه السلام، فكيف الكاذبين المساكين.

١٧٧٧ - وقيل لبعض الحكماء: ما الصدقُ؟ قال: أنْ تصدُقَ في موطنٍ لا يُنجيك فيه إلا الكذبُ.

١٧٧٨ - ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: في المعاريضِ مَندوحة عن الكذب[١].

١٧٧٩ - ورُوِيَ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: اتقوا المعاذير؛ فإن كثيراً منها كذبٌ.

١٧٨٠ - ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن عون أنه قال: ابتعتُ حُلَّةً من السوق فلبستُها، فكان الرجلُ يلقاني، فيقول: أكَساكَ هذا الأميرُ؟ فأسكتُ، فأُحِبُّ أنْ يقعَ في ظنِّه أن الأميرَ كساني. فقال لي أبي: أيْ بُني أراك تُسألُ عن هذه الحُلَّةِ، فلا تكذبْ ولا تخبْر أنك اشتريتَها. قلت: إني أكره أن أكذِبَ، قال: فلا تكذِبَنَّ ولا تَشَبَّهَنَّ بالكذب.

١٧٨١ - ورُوِيَ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كفى المرء كذباً أن يحدِّثَ بكلِّ ما سمع[٢].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٨٢/٥، والبخاري في الأدب المفرد (٨٨٤).

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه برقم (٥)، وابن المبارك في الزهد (٣٧٩). وروي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، رواه مسلم (٥)، وأبو داود (٤٩٩٢)، وابن حبان (٣٠)، والحاكم ١١٢/١.

١٧٨٢ ـ ورُوِيَ عن الحسن أنه قال: كنيةُ الكذبِ زعموا.

١٧٨٣ ـ وقال محمد بن حازم الباهليُّ:

فَكُنْ بالصِّدْقِ معروفاً فلا أدَبٌ مَعَ الكَذِبِ
وَشُبْ بتَواضُعٍ حِلْماً وجاهِدْ سَوْرَةَ الغَضَبِ

١٧٨٤ ـ وله:

الصِّدْقُ زَيْنٌ وإنَّ الكذبَ مَنْقَصَةٌ وشَرُّ ما كان في الفَتَى الكَذِبُ
والعَفْوُ والصَّفْحُ والعفافُ إلى كلِّ جميلٍ وصالحٍ سَبَبُ

١٧٨٥ ـ وروى حكيم بن حزام عن النبي ﷺ أنه قال: **«البَيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يَتفرَّقا، فإنْ صدقا وبيَّنا بُورِكَ لهما، وإنْ كتما وكذَبا مُحِقَتْ بَرَكةُ بيعِهما»**[1].

١٧٨٦ ـ ورُوِيَ عن كعب بن مالك، وهو أحدُ الثلاثةِ الذين تِيبَ عليهم لمَّا تخلَّف عن رسول الله ﷺ قال: فأجمعتُ صِدْقَ رسولِ الله ﷺ وقلت: يا رسولَ اللَّه، إنَّ اللَّهَ إنما نجَّاني بالصدق، فإنَّ مِنْ توبتي أنْ لا أُحَدِّثَ إلا صِدقاً ما بقيتُ، فواللهِ ما أنعمَ اللَّهُ عليَّ مِنْ نِعْمَةٍ قطُّ بعد أنْ هداني للإسلام أعظمُ في نفسي مِنْ صدقي رسول الله ﷺ أنْ لا أكونَ قد كذبتُ فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فأنزل اللَّهُ على رسوله ﷺ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقال في الذين كذبوا حين أنزل الوحي شرَّ مقال لأحد: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٥] إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2] [التوبة: ٩٦].

---

(١) البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).
(٢) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩). وقد تقدم هذا الحديث كاملاً فيما سبق.

١٧٨٧ ـ وقال حارثةُ بن محمد: قال لي عمرُ: إذا ظَنَنْتَ أنَّ الصدقَ يُهْلِكُكَ فاصْدُقْ، فإنَّ الصِّدقَ يُنجيك.

١٧٨٨ ـ وقد قيل: مَنْ قَلَّ صِدقُه قَلَّ صديقُه، ومَنْ صَدَقَتْ لهجتُه ظهرت حُجَّتُه، ومَنْ عُرِفَ بالصدقِ جاز كذبُه، ومنْ عُرِفَ بالكذبِ لم يَجُزْ صِدقُه.

١٧٨٩ ـ قال مالك: بلغني أنه يُقال: ما كان رجلٌ صدوقاً إلا مُتِّعَ بعقلِه، ولم يُصِبْهُ ما أصاب غيرَه مِنَ الهرم والخَرَفِ.

* * *

١١٨ ـ ما جاء في التمادح والإطراء

١٧٩٠ ـ رُوِيَ عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة، فقال: «**أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل**»[١].

١٧٩١ ـ وروى همَّامٌ، قال: جاء رجلٌ، فأثنى على عثمانَ في وجهه، فأخذ المِقدادُ بن الأسود تراباً، فحثا في وجهِه، وقال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا لَقِيتُمُ المدَّاحينَ، فاحثُوا في وجوهِهِمُ الترابَ**»[٢].

١٧٩٢ ـ وكان أبو بكر الصديق ﷺ يقول: اللَّهُمَّ أنت أعلم بي مِنْ نفسي، وأنا أعلمُ بنفسي منهم، فاجعلني خيراً ممَّا يَحسبون، واغفرْ لي برحمَتِك ما لا يعلمون، ولا تُؤاخذني بما يقولون.

١٧٩٣ ـ وروى ثابتٌ عن مُطَرِّفٍ: كنت جالساً مع مَذْعُورٍ، فمرَّ رجل،

(١) البخاري (٢٦٦٣)، ومسلم (٣٠٠١).

(٢) مسلم (٣٠٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٩).

وقال: من سرَّه أن ينظر إلى رجلين مِنْ أهل الجنة، فلينظر إلى هذين. قال: فعُرِفَ في وجه مذعورٍ الكراهيةُ، ورفع رأسه إلى السماء، فقال: اللَّهُمَّ أنت تعلمُنا ولا يعلمُنا[(١)].

١٧٩٤ - وقال القَعْنَبِيُّ: قال مالك: إذا مَدحَ الرجلُ نفسه ذهب بَهاؤُه.

١٧٩٥ - وقيل لأعرابيٍّ: ما أحسنَ ثناءَ الناس عليك! فقال: بلاءُ الله تعالى عندي أحسنُ مِنْ مدحِ المدَّاحين وإن أحسنوا، وذنوبي أكثرُ مِنْ ذَمِّ الذَّامِّين وإن كَثُروا، فيا أسفا على ما فرطتُ، ويا سَوْأتا ممَّا قدَّمتُ.

* * *

١١٩ - ما جاء في ذي الوجهين

١٧٩٦ - روى أبو صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«تجِدُ مِنْ أشَرِّ الناسِ يومَ القيامةِ عندَ الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ»**[(٢)].

١٧٩٧ - ورُوِيَ: مَنْ كان له وجهان في الدنيا كان له يومَ القيامةِ لسانان مِنْ نارٍ[(٣)].

١٧٩٨ - وقال: **«إنَّ ذا الوجهين حقيقٌ أنْ لا يكونَ عندَ الله وجيهاً»**.

١٧٩٩ - وروى محمد بن زيد: قال أناسٌ لابن عمر: إنَّا ندخُلُ على سُلطانِنا، فنقول له بخلاف ما نتكلمُ به إذا خرجنا من عندهم، قال: كنَّا نَعُدُّ هذا نفاقاً[(٤)].

---

(١) الزهد لابن المبارك (١٥١٠).

(٢) البخاري (٣٤٩٣ و٦٠٥٨)، ومسلم (٢٥٢٦).

(٣) رواه من حديث عمار بن ياسر ﷺ البخاري في الأدب المفرد (١٣١٠)، وأبو داود (٤٨٧٣)، وصححه ابن حبان (٥٧٥٦).

(٤) البخاري (٧١٧٨).

١٨٠٠ ـ قال سعيدُ بن أبي عَرُوبَةَ: لأَنْ يكونُ لي نصفُ وجهٍ ونصفُ لسانٍ على ما فيهما مِنْ قُبحِ المنظرِ وعَجزِ المخبَرِ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أكونَ ذا وجهين وذا قولين مختلفين.

١٨٠١ ـ ولابن عبدل:

ولستُ بذي وجهين فيمنْ عَرَفْتُهُ ولا البُخْلُ فاعْلَمْ مِنْ سَمائي ومِنْ أرْضي
وأُعْسِرُ أحياناً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتي وأُدْرِكُ مَيْسورَ الغِنى ومعي عِرْضِي

* * *

١٢٠ ـ النهي عن الغش

١٨٠٢ ـ رُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «**ليس مِنَّا مَنْ غَشَّنا**»[(١)].

١٨٠٣ ـ وقال الحسن البصري: أتينا معقل بن يسار نعوده فدخل علينا عبيد الله بن زياد، فقال له معقل بن يسار: أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فقال: «**ما من والٍ يلي رعيةً من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله تعالى عليه الجنة**»[(٢)].

* * *

١٢١ ـ ما جاء في الخيانة

١٨٠٤ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧﴾ [النساء: ١٠٧].

١٨٠٥ ـ وقوله عز وجل: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨].

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة ﷺ مسلم (١٠١).

(٢) البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢). وانظر الأثر المتقدم برقم (١٥٨٤).

١٨٠٦ ـ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥٢].

١٨٠٧ ـ ورُوِيَ عن سفيان بن أُسَيْدٍ الحضرميِّ: «**كَبُرَتْ خِيانةً أنْ تُحَدِّثَ أخاك حديثاً هو لك به مُصَدِّقٌ، وأنت به كاذبٌ**»(١).

١٨٠٨ ـ ورُوِيَ عن مُصعب بن سعدٍ [عن أبيه] أنه قال: كلُّ الخِلالِ يُطْبَعُ عليها المؤمنُ إلا الخيانةَ والكذبَ(٢).

١٨٠٩ ـ وأنشدوا:

إذا ما كنتَ مُتَّخِذاً خليلاً فَحاذِرْ مِنْ خَليلِكَ أنْ يَخُونَا
فإنَّكَ لَمْ يَخُنْكَ أخٌ كَريمٌ ولكنْ قَلَّ ما تَلْقَى الأَمِينَا

* * *

١٣٢ ـ ما جاء في الغدر

١٨١٠ ـ روى ابنُ عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**الغادِرُ يُرْفَعُ له لواءٌ يومَ القيامةِ، يقال: هذه غَدْرَةُ فُلانِ بنِ فُلانٍ**»(٣).

١٨١١ ـ وروى سعيدٌ المَقْبُرِيُّ عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «**قال اللّه: ثلاثةٌ أنا خصمُهم يومَ القيامةِ، ومَنْ كنتُ خصمَه خَصَمْتُه: رجلٌ**

---

(١) حديث ضعيف. رواه مرفوعاً البخاري في الأدب المفرد (٣٩٣)، وأبو داود (٤٩٧١). وله شاهد من حديث النواس بن سمعان ﷺ رواه أحمد ١٨٣/٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩٩/٦. وإسناده ضعيف أيضاً.

(٢) رواه عن سعد بن أبي وقاص ﷺ موقوفاً ابن المبارك في الزهد (٨٢٨)، وابن أبي شيبة في المصنف ٢٣٦/٥. ورواه عنه مرفوعاً البزار (١٠٢)، وأبو يعلى (٧١١)، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٨٩ و٥٩١). والصحيح وقفه على سعد ﷺ.

(٣) البخاري (٣١٨٦ و٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥ و١٧٣٦).

أُعطِيَ بي ثم غَدَرَ، ورجلٌ باعَ حُرًّا فأكل ثمنَه، ورجلٌ استأجرَ أجيراً فاستوفى منه ولم يُعْطِ أجره»(١).

١٨١٢ ـ ورُوِيَ عن زيد بن أرقم، قال: ليس الخُلْفُ أنْ يَعِدَ الرجلُ الرجلَ ومِنْ نِيَّتِه أنْ يفي له، ولكنَّ الخُلْفَ أنْ يَعِدَ الرجلَ ومِنْ نيتِه أنْ لا يَفِيَ له.

* * *

١٢٣ ـ ما جاء في كفر الإحسان

١٨١٣ ـ روى عطاء بن يسارٍ، عن ابن عباس أن رسولَ الله ﷺ قال حين انصرفَ مِنْ صلاة خُسوف الشمس: **«ورأيتُ النارَ، فلم أرَ كاليوم منظراً قطُّ، ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ»**. قالوا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: **«بكفرِهِنَّ»** قيل: أيكفُرْنَ بالله؟ قال: **«يَكفرنَ العشيرَ، ويكفرنَ الإحسانَ، لو أحسَنْتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ كلَّه، ثم رأتْ منك شيئاً، قالت: لم أرَ خيراً منك قطُّ»**(٢).

١٨١٤ ـ وروى عبد الرحمن بن أبي عَمرةَ أن أبا هريرة حدَّثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن ثلاثةً في بني إسرائيل: أبرَصَ وأقْرَعَ وأعمى، بدا للهِ أنْ يبتَلِيَهم، فبعث إليهم مَلَكاً، فأتى الأبرصَ، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حَسَنٌ وجلدٌ حَسَنٌ، قد قذرني الناس. قال: فمسحه، فأُعْطِيَ لوناً حسناً. قال: أيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الإبل، أو قال: البقرُ، هو يشكُّ في ذلك، أن الأبرصَ والأقرعَ قال أحدُهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، فأُعْطِيَ ناقةً عُشَراءَ، فقال: يُبارَكُ لك فيها.**

---

(١) البخاري (٢٢٢٧).

(٢) البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧).

وأما الأقرعُ، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ فقال: شَعرٌ حسنٌ ويَذهب هذا عني، فقد قذَرني الناسُ، قال: فمسحه فذهب عنه، وأُعْطِيَ شعراً حسناً. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ، فأعطاه بقرةً حاملاً، وقال: يُبارَك لك فيها.

وأتى الأعمى، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: يَرُدُّ الله لي بصري، فأُبصِرُ به الناسَ، فمسحه فردَّ اللّهُ إليه بصرَه. قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغنمُ، فأعطاه شاةً والداً. فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من غنم.

ثم إنه أتى الأبرصَ في صورتِه وهيئتِه، فقال: رجلٌ مسكينٌ، تقطَّعتْ به الحِبالُ في سفري، فلا بلاغَ اليومَ إلا بالله ثم بك، أسألُك بالذي أعطاك اللونَ الحسنَ والجِلدَ الحسنَ والمالَ، بعيراً أتَبَلَّغُ به في سفري. قال له: إنَّ الحُقوقَ كثيرةٌ، فقال له: كأني أعرفُك، ألم تكُنْ أبرَصَ يقذَرُك الناسُ فأعطاك اللّه. فقال: لقد ورِثْتُ لكابرٍ عن كابرٍ، فقال: إنْ كنت كاذباً صَيَّرَك الله إلى ما كنتَ.

وأتى الأقرعَ في صورته وهيئتِه، فقال له مثلَ ما قال لهذا، وردَّ عليه مثلَ ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصَيَّرَكَ الله إلى ما كنتَ.

وأتى الأعمى في صورتِه، فقال: رجلٌ مسكين وابنُ السبيل، وتقطَّعتْ به الحبالُ في سفري، فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ اللّهُ بصري، وفقيراً، فخذْ ما شئتَ، فوالله لا أجهَدُك اليومَ لشيءٍ أخذتَه لله. فقال: أمْسِكْ مالَك، فإنَّما ابتُليتُم، فقد رُضِيَ عنك، وسُخِطَ على صاحبيك»[1].

١٨١٥ - وقال ابن عباس: لا يُزَهِّدُك في المعروف كُفرُ مَنْ كَفَرَه، فإنه يشكرُك إليه مَنْ لم تصنعه إليه[2].

---

(١) البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

(٢) سيكره المصنف برقم (١٨١٩).

١٨١٦ ـ وكان عامرُ بن قُرْطٍ الثُّماليُّ يقول: والله ما ظَعَنَ مِنْ دارِ قومٍ ظاعِنٌ أشدُّ عليهم مِنْ نعمةٍ لم يؤدوا شُكرَها، ولا يستطيعون ردَّها.

١٨١٧ ـ ولما ظَفَرَ الحجاجُ بعِمرانَ بنِ حِطَّانَ قال: اضرِبُوا عنقَ ابنِ الفاجرةِ، فقال عِمرانُ: لَبِئْسَ ما أَدَّبَك أهلُك يا حجاجُ، كيف أمِنْتَ أنْ أُجيبَك بمثلِ ذلك، أبعد الموت منْزِلةٌ أُصانِعُك عليها؟ فأطرق الحجاجُ استحياءً، وقال: خلُّوا عنه. فخرج إلى أصحابه، فقالوا: واللهِ ما أطلقَك إلا اللَّه، فارجِعْ إلى حزبِه، فقال: هيهاتَ، غلَّ يداً مُطْلِقُها، واسترقَّ رقبةَ معتقها، ثم قال:

أَأُقاتِلُ الحجاجَ عَنْ سُلطانِه ... بيدٍ تُقِرُّ بأنها مَولاتُهُ
إنِّي إذاً لأخُو الدَّناءَةِ والذي ... ظَهَرَتْ على أفعالِه جَهَلاتُهُ
ماذا أقولُ إذا وقَفْتُ إزاءَهُ ... في الصَّفِّ واحتَجَّتْ له فَعَلاتُهُ
وتَحدَّثَ الأقوامُ أنَّ صنائِعاً ... غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنْظَلَتْ نَخَلاتُهُ
أأقولُ جارَ عليَّ إنِّي فيكُمُ ... لأَحَقُّ مَنْ جارَتْ عليه وُلاتُهُ
تاللَّهِ لا كِدْتُ الأميرَ بآلَةٍ ... وجوارِحي بسِلاحِها آلاتُهُ

١٨١٨ ـ قال سكيتٌ: كنت مع مولاي جرير بن سهمٍ التَّميميِّ وهو يسير مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف عليٌّ رضي الله عنه فتمثل جرير بن سهمٍ بقولِ الأسود بن يَعْفُر:

جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِمْ ... فكأنَّما كانوا على مِيعادِ

فقال له علي رضي الله عنه: لِمَ لَمْ تقلْ كما قال الله عز وجل: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٨].

ثم قال: يا ابنَ أخي، إن هؤلاء كفروا النعمةَ، فحلَّت بهمُ النِّقمةُ، فإياكم وكفرَ النِّعَمِ، فتَحِل بكم النِّقَمُ.

١٨١٩ ـ وقال ابن عباس: لا يُزَهِّدَنَّك في المعروف كُفْرُ مَنْ كَفَرَه، فإنه يشكرُك عليه مَنْ لم تصنعه إليه[1].

١٨٢٠ ـ ولعبد اللَّه بن المبارك:

يدُ المعروفِ غُنْمٌ حيثُ كانتْ تَضَمَّنَها كَفورٌ أو شَكورُ
ففي شُكرِ الشَّكورِ لها جزاءٌ وعندَ اللَّهِ ما كَفَرَ الكَفورُ

١٨٢١ ـ ولأبي فراس الحمدانيِّ:

وما نِعْمَةٌ مَكفُورةٌ قدْ صَنَعْتُها إلى غيرِ ذي شُكْرٍ بِمانِعَتي أُخْرَى
سآتي جَميلاً ما حَيِيتُ فإنَّني إذا لم أُفِدْ شُكراً أَفَدْتُ به أجْرَا

١٨٢٢ ـ وقال بعضهم: لا ينبغي للعالمِ أنْ يُناظِرَ جاهلاً ولا لجوجاً؛ فإنَّه يجعلُ ذلك سبباً إلى أن يتعلمَ منك دون شُكْرٍ.

١٨٢٣ ـ وقد قيل في ذلك:

والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ[2]

* * *

١٢٤ ـ القناعةُ واليأسُ مِمَّا في أيدي الناس

١٨٢٤ ـ روى عروةُ بن الزُّبيْرِ عن أبيه الزُّبيْرِ بن العوام، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**لأَنْ يأخُذَ أحدُكم أحْبُلاً، فيأخذَ حُزْمَةً مِنْ حطبٍ، فيبيعَ فيكُفَّ اللَّهُ بها وجهَه، خيرٌ له مِنْ أنْ يسألَ الناسَ، أُعْطِيَ أو مُنِعَ**»[3].

---

(١) تقدم قريباً برقم (١٨١٥).

(٢) أوله: «نُبِّئْتُ عَمْراً غيرَ شاكِرَ نِعمتي». وهو لعنترة بن شداد من معلقته المشهورة.

(٣) البخاري (١٤٧١ و٢٣٧٣). والأحبُل: جمع حبل.

١٨٢٥ ـ وروى هشامُ بن عروةَ عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: تعلمون أنَّ الطَّمعَ فقرٌ حاضرٌ، وأنَّ اليأسَ غِنىً حاضرٌ، ومَنْ أيِسَ مِنْ شيءٍ استغنى عنه[١].

١٨٢٦ ـ وكان يُقال: خمسةُ أخلاقٍ تَقْبُحُ في خمسة أصنافٍ مِنَ الناسِ: الحِرصُ في القُرَّاءِ، والفُتُوَّةُ في الشيوخ، وقلةُ الحياءِ في ذوي الأحسابِ، والبخلُ في ذوي الأموالِ، والحِدَّةُ في السلاطين.

١٨٢٧ ـ ولعبد اللَّه بن المبارك:

حَسْبِي بِعِلْمِي أنْ نَفَعْ ... ما الذُّلُّ إلا في الطَّمَعْ
مَنْ راقَبَ اللَّهَ رَجَعْ ... عَنْ سوءِ ما كان صَنَعْ
ما طارَ شَيْءٌ فارْتَفَعْ ... إلا كما طارَ وَقَعْ

١٨٢٨ ـ وقال عبد اللَّه بن سَلام لكعبٍ: ما ينفي العلمَ مِنْ صدورِ الرجالِ بعد أنْ تعلموه؟ قال: الطمعُ.

١٨٢٩ ـ وقال الأصمعيُّ: بينا أنا أمشي في خِرَبِ البصرة، فإذا أنا ببُهلول المجنونِ، وقد رَثَّتْ حالُه، وكَثُرَ شعرُه، وخَلَقَتْ ثيابُه، فقلت له: لو دخلتَ البصرةَ على ما طرأ مِنْ خَبَرِك، وعلا مِنْ ذكرك، لأخَذَ الناسُ مِنْ شعرِك، وكسَوْا ظهرَك. فتبسَّم وقال: اسمع يا أصمعيُّ:

تِهْتُ على أهلِ ذا الزَّمانِ ... فما أرْفَعُ منهم بواحدٍ راسَا
وذاك حَقِّي لأنَّني رَجُلٌ ... أعرِفُ نفسي وأعرِفُ النَّاسَا
أعتَقْتُ نفسي مِنْ رِقِّ مُلْكِهِمُ ... وقلتُ غُضِّي واسْتَشْعِري الياسَا
فَصِرْتُ حُرّاً مُمَلَّكاً مَلِكاً ... مُدَّرِعاً للقُنُوعِ لَبَّاسَا

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٦٣١ و٩٩٨)، وأحمد في الزهد ص ١١٧، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/٥٠.

١٨٣٠ ـ وأنشدوا:

لا تَطْمَحَنَّ إلى ما لَسْتَ مالِكَهُ ... وإنْ بُلِيتَ بإقلالٍ وإفلاسِ
لم يَلْبَسِ المرءُ أردى مِنْ حُلَى طَمَعٍ ... ولا تَحَلَّى بِمِثْلِ الصَّبْرِ والياسِ

١٨٣١ ـ وأنشدوا:

قَنَعْتُ بالدُّونِ مِنْ زماني ... وصُنْتُ نفسي عَنِ الهوانِ
مخافَةَ أنْ يقولَ قومٌ ... فَضْلُ فلانٍ على فلانِ
فاسْتَغْنِ باللهِ عن فُلانٍ ... وعنْ فلانٍ وعن فلانِ
مَنْ كنتُ عن مالِه غَنِيَّاً ... رأيْتُه مِثْلَ ما يراني

١٨٣٢ ـ وقال بعضُ الحكماء: صِلْ مَنْ شئتَ فأنتَ أميرُه، وسَلْ مَنْ شئتَ فأنتَ حقيرهُ، واستَغْنِ عن من شئتَ فأنتَ نظيرُهُ.

١٨٣٣ ـ ولأبي العتاهية:

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الصَّبْرِ حتى أَلِفْتُهُ ... وأسْلَمَني حُسْنُ العزاءِ إلى الصَّبْرِ
وصَيَّرَني يَأْسي مِنَ النَّاسِ راجِيَاً ... لِحُسْنِ صَنيعِ اللَّهِ مِنْ حيثُ لا أدري

١٨٣٤ ـ ولآخر:

للنَّاس مالٌ ولي مالانِ ما لَهُما ... إذا تحارَسَ أهلُ المالِ حُرَّاسُ
مالي الرِّضا بالذي أصبحتُ أمْلِكُهُ ... ومالِيَ اليأسُ مِمَّا يملِكُ النَّاسُ

١٨٣٥ ـ ولعَبيدِ بن الأبرص:

مَنْ يَسْأَلِ الناسُ يَحْرِموهُ ... وسائِلُ اللَّهِ لا يَخِيبُ
وكلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤوبُ ... وغائِبُ الموتِ لا يَؤوبُ

١٨٣٦ ـ ولمحمد بن حازم:

اضْرَعْ إلى اللَّهِ لا تَضْرَعْ إلى الناسِ ... واقْنَعْ بيأسٍ فإنَّ العِزَّ في الياسِ

فـالـرِّزْقُ عَـنْ قَـدَرٍ يـأتـي إلـى أجَـلٍ ... في ضُـمَّـرٍ لا غـافِـلٍ عنـه ولا نـاسِ
فكـيـف أبـتـاعُ فـقـراً حـاضِـراً بـغِـنـىً ... أو كيفَ أطْلُب حاجاتي إلى النَّاسِ

١٨٣٧ ـ وله:

إنّـي لأُكْـرِمُ وجـهـي أنْ أُعَـرِّضَـهُ ... عندَ السُّؤال لغيْرِ الواحدِ الصَّمَدِ
فحسْبِيَ اللَّهُ في يومي وفي غَدِهِ ... الـلَّـهُ أفـضـلُ مـأمـولٍ لـبـعْـدِ غـدِ

١٨٣٨ ـ وله:

أيـهـا الـسـائـلُ عـن شـبـابـي ... وعـن دَهـري وحـالـي
قـد ثـنـانـي الـيَـأْسُ أنْ ... أقْـرَعَ أبـوابَ الـرجـالِ
وصَـحِـبْـتُ الـعُـسْـرَ والـيُـسْـر ... بـصـبـرٍ واحْـتِـمـالِ

١٨٣٩ ـ ولعروةَ بن أُذَيْنَةَ:

وقدْ عَلِمْتُ لَوَ انَّ العِلْمَ يَنْفَعُني ... أنَّ الذي هو رِزْقي سوفَ يَأتيني
أسْـعَـى لـه فَـيُـعَـنِّـيني تَـطَـلُّـبُـهُ ... ولـوْ قَـعَـدْتُ أتـانـي لا يُـعَـنِّـيـني
كم مِنْ فَقيرٍ غَنِيٍّ النَّفْسِ تَعْرِفُهُ ... وكم غَنِيٍّ فَقيرِ النَّفْسِ مِسْكينِ
لا خَيْرَ في طَمَعٍ يُدني لِمَنْقَصَةٍ ... وعِفَّةٌ مِنْ كفافِ العَيْشِ تَكفيني

١٨٤٠ ـ وللحِمْيَرِيِّ[1]:

أيُّـهـا الـسَّـائـلُ الـعِـبـادَ لِـيُـعْـطَـى ... إنَّ لـلـهِ مـا بـأيـدي الـعِـبـادِ
فـاسْـألِ الـلَّـهَ مـا طَـلَـبْـتَ إلـيـهـم ... وارْجُ فَـضْـلَ الـمُـقَـسِّـمِ الـعَـوَّادِ

١٨٤١ ـ ورأى سالِمُ بن عبد الله سائلاً يسألُ يومَ عَرَفَةَ، فقال: يا عاجِزُ، في مثلِ هذا اليومِ تسألُ غيْرَ اللَّهِ.

---

(١) في (نسخة هولندا): البحتري، وهو تصحيف. والحميري: هو إسماعيل بن محمد بن يزيد، المعروف بالسيد الحميري، من شعراء الإمامية. توفي سنة ١٧٣هـ.

١٨٤٢ ـ ولأبي محمد التيمي:

لا تَضْرَعَنَّ لمَخْلوقٍ على طَمَعٍ فإنَّ ذاك مُضِرٌّ منك بالدِّينِ
وارْغَبْ إلى اللَّهِ فيما في خزائِنِهِ فإنَّ ذلك بينَ الكافِ والنُّونِ
أما ترى كلَّ مَنْ ترجو وتَسْأَلُهُ مِنَ الخَلائِقِ مِسكينَ ابنَ مِسْكينِ

١٨٤٣ ـ وقال بعضهم: إذا كان الطمع هلاكاً كان اليأس إدراكاً.

١٨٤٤ ـ وللخليل وقد أهدى إليه سليمانُ بن عليٍّ هديةً، فردَّها وكتبَ إليه:

أبْلِغْ سُليمانَ أنِّي عنه في سَعَةٍ وفي غِنىً غيْرَ أنِّي لستُ ذا مالِ
سَخِيٌّ بنفسي أنِّي لا أرى أحَداً يموتُ هُزْلاً ولا يَبْقى على حالِ
والفَقْرُ في النَّفسِ لا في المالِ تَعْرِفُهُ ومِثْلُ ذاك الغِنى في النَّفْسِ لا المالِ

١٨٤٥ ـ ولمنصور الفقيه، وهو منصورُ بن إسماعيل بن عيسى بن عمر التَّميمي المصري:

إذا القُوتُ تَأتَّى لَـ ـكَ والصِّحَّةُ والأمْنُ
وأصْبَحْتَ أخا حُزْنٍ فلا فارَقَكَ الحُزْنُ

١٨٤٦ ـ وقال رجلٌ مِنَ الحُكماء: تقرُّبُك إلى اللَّهِ مسألَتُه، وتقرُّبُك مِنَ النَّاسِ تَرْكُ مسألَتِهِم.

١٨٤٧ ـ وقال المبرد: أُتِيَ مُعاويةُ برجلٍ مِنْ حَضرموتَ بلغ ثلاث مائة وسبعين سنةً، فسأله وقال: ما كانتْ صِناعتُك؟ قال: التجارةُ، وكنتُ لا أشتري عيباً ولا أرُدُّ رِبحاً، فقال معاويةُ: سَلْنِي حاجتَك؟ قال: أسألُك أن تُدْخِلَني الجنةَ، قال: ليس هذا بيدي، قال: فتَرُدَّ عليَّ شبابي، قال: ولا هذي بيدي، قال: فلستُ أرى بيدِك دنياً ولا آخرةً.

١٨٤٨ ـ ولأبي الأسود الدئلي:

ولا تُشْعِرَنَّ النَّفْسَ يَأْساً فإنَّهُ يَعيشُ بِجِدٍ عاجِزٌ وجَليدُ

ولا تَطْمَعَنَّ في مالِ جارٍ لِقُرْبِهِ   فكلُّ قريبٍ لا يُنالُ بَعيدُ
وفَوِّضْ إلى اللَّهِ الأُمورَ فإنَّهُ   تَروحُ بأرزاقٍ عليك جُدودُ

* * *

١٢٥ ـ ما جاء في الظن

١٨٤٩ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

١٨٥٠ ـ روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إيَّاكُم والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديثِ، ولا تَجَسَّسُوا ولا تَحَسَّسُوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ الله إخوانا**»[1].

١٨٥١ ـ ولبعضهم: لا يُفسِدَنَّكَ الظَّنُّ على صديقٍ، قد أصلَحَك اليقينُ له.

١٨٥٢ ـ قال أشهب: رُوِيَ أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لا يَحِلُّ لامرئٍ مسلم يَسمعُ مِنْ أخيه كلمةً يجدُ لها في شيءٍ مِنَ الخيْرِ مصدراً أن يَظُنَّ بها سوءاً.

١٨٥٣ ـ قال مالك: بلغني أن ابن عمر ﷺ باع مِنْ رجلين بيتاً، وكان يَكيلُ لهما، وقعد إلى جانبِ حائطٍ في ظِلِّهِ، فذهبَ الظِّلُّ عنهما، وأصابتِ ابنَ عُمرَ الشمسُ، فقال له الرجلان: لوِ انصرفتَ عنِ الشمسِ، فإنا لا نزيدُ على حقِّنا، فقال ابن عمر: أمَا إنِّي لا أراكما إلا وقد صدقتُما، ولكنَّ القُعودَ في الشمسِ أحبُّ إليَّ مِنْ ظنِّ السُّوء.

* * *

(١) البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

١٢٦ ـ ما جاء في التّصديقِ بالنُّجوم والكُهّان

١٨٥٤ ـ قوله عز وجل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

١٨٥٥ ـ وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨].

١٨٥٦ ـ وروى مالك عن مُعاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ أنه قال: قلت: يا رسول اللّه، أشياءُ كنا نصنعُها في الجاهلية، كنا نأتي الكُهَّانَ، قال: «**فلا تأتوا الكُهَّانَ**». قال: كنَّا نَتَطَيَّرُ، قال: «**ذلك شيءٌ يجِدُه أحدُكم في نفسه، فلا يَصُدَّنَّكُم**»(١).

١٨٥٧ ـ وروت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن ناساً سألوا رسول الله ﷺ عن الكُهَّانِ، فقال: «**ليسوا بشيءٍ**». فقالوا: يا رسولَ اللّه، إنهم يُحدِّثوننا أحياناً بشيءٍ فيكونُ حقاً، فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمةُ مِنَ الحقِّ يَخْطَفُها الجِنِّيُّ فيُقِرُّها في أذن وَلِيِّه، فيَخْلِطون معها مائةَ كلمةٍ**»(٢).

١٨٥٨ ـ وروى مالك عن زيد بن خالد أنه قال: صلى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبحِ بالحُدَيبية على إِثْرِ سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرونَ ماذا قال ربُّكم؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبحَ مِنْ عبادي مُؤمنٌ بي وكافرٌ؛ فأما مَنْ قال: مُطِرْنا بفضلِ اللّهِ ورحمتِه، فذلك مؤمنٌ بي، وكافرٌ بالكوكب، وأمَّا مَنْ قال:**

---

(١) مسلم رقم (٥٣٧).

(٢) البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨).

مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي، مُؤمنٌ بالكواكب»[(١)].

* معنى هذا، والله أعلم، فيمن جعل الفِعلَ للكوكب، أو قضى بنُزول المطرِ عند احتلال كوكبٍ في موضعٍ مِنَ المواضعِ. فأما مَنْ وصف ذلك بأنَّ الله تعالى يُرسلُ المطرَ متى شاء، ويُمسكه متى شاء، ولا فِعْلَ منه ولا تأثيرَ للكوكب ولا لغيرِه، ولكنه أجرى العادة بإنزالِه المطرَ في أوقات ما، وإمساكِه في أوقاتٍ ما، وأنَّ هذا هو الأغلب مما أجرى اللَّهُ به العادة، وأنه قد يُنقِص هذه العادةَ لأنها ليست بلازمةٍ، وإنما هي غالبُ الحال، وكذلك في أوقات الأنواء.

١٨٥٩ ـ ويبين هذه أن مالكاً رحمه الله أخرج بإثر الحديثِ في «موطئه»[(٢)] أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**إذا أنشأت بَحْرِيَّة ثم تشاءمت، فتلك عين غَدِيقَةٌ**».

* فحكم على السحاب إذا كان على هذه الصفة من الغَدَقِ وكثرة المطر؛ لأن هذا غالبُ عادة تلك الجهة، لا لأنَّ لكونها بحريةً، ونشَأتها بعد ذلك تأثير في نزولِ المطرِ أو كثرتِه أو قِلَّتِه.

١٨٦٠ ـ وروى عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلمُها إلا اللَّهُ: لا يعلم أحدٌ ما يكون في غدٍ، ولا يعلمُ أحدٌ ما يكون في الأرحامِ، ولا يعلم أحدٌ ماذا يكسِبُ غداً، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، وما يدري أحدٌ متى يجيءُ المطر**»[(٣)].

١٨٦١ ـ وسُئِلَ مالكٌ عن الرجلِ ينظرُ في النجوم، فيقول: الشمسُ

---

(١) الموطأ ١٩٢/١ رقم (٤٥١). ومن طريقه رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (١٠٣٨).

(٢) الموطأ ١٩٢/١ رقم (٤٥٢).

(٣) البخاري (١٠٣٩).

تَكْسِفُ غداً، والرجل يَقْدَمُ وما أشبَهَه. قال: أرى أنْ يُزْجَرَ عن هذا، فإن لم يزدَجِرْ أُدِّبَ.

١٨٦٢ - ورُوِيَ أن سوادَ بنَ قارِبِ الدَّوسِيَّ، ويُقال: السَّدُوسي، كان يتكَهَّنُ في الجاهلية، وكان شاعراً ثم أسلمَ، فداعبه يوماً عمر، فقال: ما فَعَلَتْ كَهانَتُك يا سوادُ؟ فغضب فقال: ما كنا عليه نحن وأنت يا عمرُ مِنْ جاهليتِنا وكفرِنا شرٌّ مِنَ الكَهانَةِ، فما لك تُعَيِّرُني بشيءٍ تُبتُ منه، وأرجو مِنَ الله العفوَ عنه؟ ثم سأله عن حديثه في بَدْءِ الإسلام، وما أتاه به رِئِيُّه مِنْ ظهور رسول الله ﷺ، فأخبَره أنه أتاه ثلاثَ ليالٍ متوالياتٍ، هو فيها كلِّها بين النائمِ واليقظانِ، فقال له: قُمْ يا سوادُ واسمع مقالتي، واعقِلْ إنْ كنتَ تعقِلُ، بُعِثَ رسولٌ مِنْ لُؤَيٍّ بن غالبٍ يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته، وأنشده:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلابِها ... وشَدِّها العِيسَ بأقتابِها
تَهْوِي إلى مكةَ تَبغي الهُدَى ... ما صادِقُ الجِنِّ كَكَذَّابِها
فارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هاشِمٍ ... ليس قُدَامَاها كأذْنَابِها

فقدم سواد على رسول الله ﷺ وأنشده:

أتاني نَجِيِّي بعدَ هَدْءٍ ونَوْمَةٍ ... ولم يَكُ فيما قدْ بَلَوْتُ بكاذِبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ ... أتاكَ نَبِيٌّ مِنْ لُؤَيٍّ بنِ غالِبِ
فأشهدُ أنَّ اللَّهَ لا شيءَ غَيْرَهُ ... وأنكَ مَأْمونٌ على كلِّ غائِبِ
وأنكَ أدنى المرسلينَ وسيلةً ... إلى اللَّهِ يا ابنَ الأكرمينَ الأطايِبِ
فَمُرْنا بما يَأتيك مِنْ وحيِ ربِّنا ... وإنْ كان فيما جِئْتَ شَيْبُ الذَّوائِبِ
وكُنْ لي شَفيعاً يومَ لا ذو شَفاعةٍ ... سواك بِمُغْنٍ عَنْ سَوادِ بنِ قارِبِ[1]

(١) انظر تاريخ ابن كثير ٣/٥٦٦ - ٥٧٣، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٥٢.

١٨٦٣ ـ ولمنصور الفقيه:

مَـنْ كـان يَـخْـشَـى زُحَـلا ... أو كـانَ يَـرْجـو الـمُـشْـتَـرِي
فـإنَّـنـي مـنـه وإنْ ... كـان أبـي الأدنـى بـري

١٨٦٤ ـ وله:

لـيـسَ لـلـنَّـجْـمِ إلـى ضُـرٍّ ... ولا نَـفْـعٍ سَـبـيـلُ
إنَّـمَـا الـنَّـجْـمُ عـلـى الأوقـا ... تِ والـسَّـمْـتُ دَلـيـلُ

١٨٦٥ ـ وللخليل بن أحمد:

أبْـلِـغَـا عَـنِّـي الـمُـنَـجِّـمَ أنِّـي ... كـافِـرٌ بـالـذي قَـضَّـتْـهُ الـكَـواكِـبْ
عـالِـمٌ أنَّ مـا يـكـونُ ومـا كـانَ ... بِـحَـتْـمٍ مِـنَ الـمُـهَـيْـمِـنِ واجِـبْ

١٨٦٦ ـ ولابن عبد ربِّه:

مـا قـدَّرَ الـلَّـهُ هـو الـغـالِـبُ ... لـيـس الـذي يَـحْـسُـبُـهُ الـحـاسِـبُ
مـا أنـتـمُ شـيءٌ ولا عِـلْـمُـكُـمْ ... قـد ضَـعُـفَ الـمـطـلـوبُ والـطَّـالِـبُ
فَـكُـلُّـكُـمْ يَـكْـذِبُ فـي عِـلْـمِـهِ ... وعِـلْـمُـكُـم فـي أصْـلِـه كـاذِبُ
تُـغـالِـبـونَ الـلَّـهَ فـي حُـكْـمِـهِ ... والـلَّـهُ لا يَـغْـلِـبُـهُ غـالِـبُ

* * *

١٢٧ ـ ما جاء في الطِّيَرَةِ والعَدوى

١٨٦٧ ـ قال الله عز وجل: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمل: ٤٧].

١٨٦٨ ـ وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «**لا عَدوى ولا طِيَرَةَ ويُعجبني الفَألُ الصَّالحُ**»[(١)].

(١) البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

١٨٦٩ ـ وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا عَدوى ولا طِيَرَةَ ولا هامَةَ ولا صَفرَ، وفِرَّ مِنَ المَجْذوم فِرارَكَ مِنَ الأسَدِ**»[1].

١٨٧٠ ـ وقال أعرابي: يا رسول الله فما بالُ الإبل تكون في الرمل لكأنَّها الظِّباءُ، فيخالطها البعيرُ الأجربُ فيَجْرِبُها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فمن أعدى الأوَّلَ**»[2]؟.

١٨٧١ ـ ورُوِيَ عن عمرو بن دينار[3]، قال: كان ههنا رجلٌ اسمه نَوَّاسٌ، كانت عنده إبِلٌ هِيمٌ[4]، فذهب ابن عمر، فاشترى تلك الإبلَ مِنْ شريكٍ له، فجاء إليه شريكُه، فقال: بِعْتُ الإبلَ. فقال: مِمَّن بعتَها؟ قال: مِنْ شيخ كذا وكذا، قال: ويْحَكَ! ذاك واللهِ ابنُ عمر. فجاءه فقال: إنَّ شريكي باعَك إبلاً هِيماً، ولم يعرِفْك. قال: فاسْتَقْهَا، فلمَّا ذهب يستاقُها، قال: دعْها، رَضِينا بقضاءِ رسول الله ﷺ: «**لا عدوى**»[5].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٧) تعليقاً. وروى الشطر الأول منه البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٣).

قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٣/٣٥، في تفسير «صفر»: كانت العَرَب تزعُم أن في البَطْن حيَّةً يقال لها الصَّفَر، تُصيب الإنسان إذا جَاع وتُؤْذِيه، وأنَّها تُعْدِي، فأبطَل الإسلامُ ذلك. وقيل: أرادَ به النَّسِيءَ الذي كانوا يَفعلُونه في الجاهليَّة، وهو تأخيرُ المحرَّم إلى صَفَر، ويجعَلون صَفَر هو الشهرَ الحرامَ، فأبطَله.

وقال في تفسير «الهامة» ٥/٢٨٢: الهَامَّة: الرأس، واسْم طَائِر، وهو المُرَاد في الحَدِيث، وذلك أنَّهُم كانُوا يَتَشاءمون بها، وهي من طير الليل، وقيل: هي البُومة، وقيل: كانت العرب تزعُم أن رُوح القَتيل الذي لا يُدْرَكُ بِثَأره تصير هَامَةً، فتقول: اسْقُوني، فإذا أدرك بثأره طَارَت. وقيل: كانوا يَزْعُمون أن عِظَام المَيِّت، وقيل: رُوحَه، تَصِير هَامةً فَتَطير، ويسمونه الصَّدى، فَنَفَاه الإسلام ونهاهم عنه.

(٢) البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٣) في الأصل: «عمرو بن معاذ»، وهو خطأ.

(٤) إبلٌ هِيم: جمع هيماء، وهي التي أصابها الهُيام، بضم الهاء وكسرها، داء تصير منه عطشى، تشرب فلا تروى. وقيل: الإبل الهيم: المطلية بالقطران من الجرب، فتصير عطشى من حرارة الجرب. وقيل: هو داء ينشأ عند الجرب. (فتح الباري ٤/٣٧٦)

(٥) البخاري (٢٠٩٩).

١٨٧٢ ـ وأنشدوا:

وما المالُ والأهلونَ إلا وَدِيعَةٌ ... ولا بُدَّ يوماً أنْ تُرَدَّ الودائعُ
لَعَمْرُكَ ما تَدْري الطَّوارِقُ بالْحَصَى ... ولا زاجِراتُ الطَّيْرِ ما اللَّهُ صانِعُ

١٨٧٣ ـ ولشاعرٍ قديم:

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بِغَاءِ ... الخَيْرِ تَعْقادُ التَّمَائِمْ
لا التَّشاؤُمُ بالعُطا ... سِ ولا التَّيامُنُ بالمَقاسِمْ
ولَقَدْ غَدَوْتُ وكُنْتُ لا ... أغْدُو على واقٍ وحاتِمْ[١]
فإذا الأشائِمُ كالأيا ... مِنِ والأيامِنُ كالأشائِمْ
وكذاكَ لا خَيْرٌ ولا ... شَرٌّ على أحدٍ بدائِمْ
قَدْ خُطَّ ذلك في الزَّبُو ... رِ الأوَّلِيَّاتِ القَدَائِمْ

١٨٧٤ ـ ورُوِيَ عن أبي ذُؤَيْبٍ خُويلد بن خالدٍ الشاعرِ الهُذَلِيِّ، وكان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يَرَهُ، قال: بلَغَنا أنَّ رسول الله ﷺ عليلٌ، فاستشعرت حزناً، وبِتُّ بأطولِ ليلةٍ لا يَنجابُ دَيْجُورُها[٢]، ولا يطْلُعُ نُورُها، فظَلِلْتُ أقاسي طُولَها، حتى إذا كان قُرْبَ السَّحَرِ أغفيْتُ، فهتف بي هاتفٌ يقول:

خَطْبٌ أَجَلُّ أناخَ بالإسلامِ ... بينَ النَّخيلِ ومَعْقِدِ الآطامِ
قُبِضَ النبيُّ محمدٌ فعُيونُنا ... تَذْري الدُّموعَ عليه بالتَّسجامِ[٣]

قال أبو ذُؤيب: فوثبتُ مِنْ نومي فَزِعاً، فنظرتُ إلى السماء فلم أرَ إلا سعدَ الذابح[٤]، فتفاءلت به ذَبْحاً يقعُ في العرب، وعلمتُ أن

(١) الواقي: الصُّرَد، والحاتم: الغراب. وكانت العرب تتشاءم بهما.
(٢) الديجور: الظلام.
(٣) سجم الدمع: سال وقطر.
(٤) سعد الذابح: من الكواكب.

النبيَّ ﷺ قُبِضَ، وهو ميت مِنْ عِلَّتِه، فركبتُ ناقتي وسِرْتُ، فلما أصبحتُ طلبتُ شيئاً أزجُر به، فعنَّ لي شيهمٌ، يعني القُنْفُذَ، قد قبضَ على صِلٍّ، يعني الحيَّةَ، فهي تلتوي عليه، والشَّيْهَمُ يقْضَمُها حتى أكلها، فزجرتُ ذلك، وقلت: شَيْهَمٌ شيءٌ مهمٌّ، والتواءُ الصِّلِّ التواءُ الناس عَنِ الحقِّ على القائم بعد رسول الله ﷺ على الأمر، ثم أوَّلتُ أكْلَ الشَّيْهَم إياها غَلَبَةَ القائم بعدَ رسولِ الله ﷺ على الأمرِ، فتعوَّذتُ بالله مِنْ شرِّ ما عنَّ لي، وقدِمتُ المدينةَ ولها ضجيجٌ بالبُكاءِ كضجيجِ الحجيجِ إذا أهلُّوا بالإحرامِ، فقلتُ: مَهْ؟ قالوا: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ فجئتُ إلى المسجدِ فوجدتُه خالياً، فأتيتُ بيتَ رسولِ الله ﷺ فوجدتُ بابَه مُرْتَجاً، وهو مُسَجًّى وقد خلا به أهلُه[١].

١٨٧٥ - وكان بالبصرةِ طاعونٌ، فبعثَ رجلٌ ابنَه معَ غُلامٍ أعجميٍّ إلى سَفَوَانَ[٢]، فلحقه والغلام يقول:

لَـنْ تُـعْـجِـزُوا الـلَّـهَ عـلـى حِـمَـارِ ... ولا ذي مَـــيْـــعَـــةٍ طَـــيَّـــارِ
قَـــدْ يُـــصْـــبِـــحُ الـــلَّـــهُ أمـــامَ الـــسَّـــاري[٣]

١٨٧٦ - وأراد رجلٌ التوجُّهَ إلى أرضٍ بها الطَّاعونُ، فتَرَدَّدَ فحدا به غلامٌ أعجميٌّ، فقال:

يـا أيُّـهـا الـمُـشْـعِـرُ هَـمَّـاً لا تُـهَـمْ ... إنَّك إنْ تُكْتَبْ لكَ الحُمَّى تُحَمْ
وَلَـوْ عَـلَـوْتَ شـاهِـقَـاً مِـنَ الـعَـلَـمْ ... كيف تَوَقِّيكَ وقد جَفَّ القَلَمْ[٤]

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية، وعنه ابن الأثير في الاستيعاب ١٦٤٩/٤ ـ ١٦٥٠.

(٢) سَفَوَان: ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير. معجم البلدان ٢٢٥/٣.

(٣) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ١٤٤/١.

(٤) عيون الأخبار ١٤٥/١.

١٨٧٧ ـ وقيل: إنَّ عُمرَ ﷺ سُمِعَ يقول: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي رُجوعي من سَرْغ[١].

١٨٧٨ ـ وقال أبو موسى بالكوفة لما اشتعلَ الطاعونُ: لا عليكم بأن تَتَنَزَّهُوا عن هذه القرية حتى يُرْفَعَ، فإنِّي أُخبِرُكم بما أكرهُ أنْ يَظنَّ مَنْ خرج أنه لو أقام مات، ويَظُن مَنْ أقام فأصابه أنه لو خرج لم يُصِبْه، فإذا لم يظنَّ المسلمُ هذا، فلا عليك. إني كنتُ مع أبي عُبيدة عامَ طاعونِ عَمواس، فلمَّا اشتعل كتب عمرُ إلى أبي عُبيدةَ ليستخرِجَه: عَرَضَتْ لي إليك حاجةٌ، فعزمتُ عليك إذا نظرتَ في كتابي لا تضعْه حتى تُقبلَ، فعرف أبو عبيدةُ ما أراد، فكتب إليه: قد عرفتُ حاجتَك، وأنا في جُنْدٍ لا أجدُ بنفسي رغبةً عنهم، فحَلِّلْني مِنْ عزمَتِك، فكتب إليه عمر: اظْهَرْ مِنَ الأردنِّ، فإنها عَمقة، إلى الجابية فإنها نزهة.

قال أبو حنيفة: العَمقة: التي يكثُرُ الماءُ فيها.

١٨٧٩ ـ وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يُورَدَنَّ مُمرِضٌ على مصِحٍّ**»[٢].

* وذلك يَحتمِلُ وجهين: أن يكونَ الباري تعالى قد أجرى العادةَ بمرضِ الصحيح عند مُجاورة المريضِ بنوعٍ مِنَ الأمراض له.

ويحتمل أن يريد به ما يطرأ على لمسِ المُصِحِّ مِنَ الإشفاق والمخافةِ، وما في ذلك مِنَ الأذى له، والله أعلم.

١٨٨٠ ـ ولضابىء بن الحارث البُرْجُمِيِّ:

وما عاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْني مِنَ الفَتَى ... نَجاحاً ولا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخيبُ

---

(١) سَرْغ: بين الحجاز والشام قرب تبوك. وعندها التقى عمر بن الخطاب ﷺ بأمراء الأجناد فأخبروه بوقوع الطاعون بأرض الشام، فرجع إلى المدينة المنورة. والأثر هذا رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/١٠. وانظر البخاري (٦٩٧٣)، ومسلم (٢٢١٩).

(٢) البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١).

ولا خَيْرَ فيمن لا يُوَطِّنُ نفسَهُ على نائِباتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوبُ
ورُبَّ أُمورٍ لا تَضُرُّكَ ضَيْرَةً ولِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ دَبِيبُ

١٨٨١ ـ وللكُمَيْتِ:

وما أنا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطيْرُ هَمَّهُ أصاحَ غُرابٌ أمْ تَعَرَّضَ ثَعلبُ
ولا لسانِحاتِ البارِحاتِ عَشِيَّةً أمَرَّ سَليمُ القَرْنِ أمْ مَرَّ أَعْضَبُ[(١)]

١٨٨٢ ـ قال أبو إسحاقَ الحُصَرِيُّ: وقد فرَّق حُذَّاقُ أهل النَّظر بين الطِّيَرَةِ والفألِ؛ فقالوا: الطِّيَرَةُ كانت العربُ تَرجِع إلى ما يُمضيها، وتجري على ما يَقتضيها، فمَنْ هَمَّ بِهَمٍّ فرأى ما يتَطَيَّر منه رجع عنه. والفألُ لا يَردُّ المريدَ عمَّا يُريد، إنمَّا يُقوِّي مَتْنَه، ويُسُرُّ مُهجتَه.

١٨٨٣ ـ وقال بعض الحكماء: ثلاثٌ لا ينجو مِنهنَّ أحدٌ: الحسدُ، والظَّنُّ، والطِّيَرَةُ. فإذا حَسدتَ فلا تَبْغِ، وإذا تطيَّرتَ فلا تَرْجِعْ، وإذا ظَننت فلا تُحَقِّقْ.

١٨٨٤ ـ وتجهَّزَ النَّابغةُ الذُّبيانيُّ معَ زَبَّانَ بنِ سَيَّارٍ الفَزاريِّ للغزو، فسقطتْ على النابغةِ جرادةٌ، فقال: جرادة تَجَرَّد، وذات لونين، فتطَيَّرَ ولعى، ومضى زَبَّانُ ورجع، فقال:

تَخَبَّرَ طَيْرَهُ فيها زِيادٌ[(٢)] لِتُخْبِرَه وما فيها خَبِيرُ
أقامَ كأنَّ لُقْمانَ بنَ عادٍ أشارَ له بِحِكْمَتِه مُشيرُ
تَعَلَّمَ أنَّه لا طَيْرَ إلاَّ على مُتَطَيِّرٍ وهو الثُّبُورُ
بلى شَيْءٌ يُوافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أحَايِيناً وباطِلُه كَثِيرُ
ومَنْ يُنْزَحْ به لا بدَّ يوماً يَجيءُ به نَعِيٌّ أو بَشِيرُ

* * *

(١) الأعضب: المشقوق الأذن.

(٢) زياد: هو اسم النابغة الذبياني، وهو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني.

١٢٨ ـ ما جاء في الأسماء

١٨٨٥ ـ رُوِيَ عن مالك عن يحيى بن سعيد أنَّ رسول الله ﷺ قال لِلَقْحَةٍ تُحلَبُ: «**مَن يَحلُب هذه**»؟ فقام رجلٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمُك**»؟ فقال له الرجل: مُرَّةُ، فقال له رسول الله ﷺ: «**اجلس**». ثم قال: «**مَنْ يحلُبُ هذه**»؟ فقام رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمك**»؟ فقال: حربٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «**اجلس**». ثم قال: «**مَنْ يحلُبُ هذه**»؟ فقام رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمُك**»؟ فقال: يعيش، فقال له رسول الله ﷺ: «**احلب**»[١].

١٨٨٦ ـ وروى مالك عن يحيى بن سعيد أن عمرَ بن الخطاب ﷺ قال لرجل: ما اسمُك؟ فقال: جَمْرة، قال: ابنُ مَنْ؟ قال: ابنُ شِهابٍ. قال: مِمَّنْ؟ قال: مِنَ الحُرَقَةِ. قال: أينَ مَسكنُك؟ قال: بِحَرَّةِ النارِ. قال: بأيِّها؟ قال: بذاتِ لَظَى. قال عمرُ: أدرِكْ أهلَكَ، فقدِ احترقوا. وكان كما قال عمر بن الخطاب ﷺ[٢].

١٨٨٧ ـ ورُوِيَ عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأسماء إلى الله عبد اللّه، وعبدالرحمن**»[٣].

١٨٨٨ ـ ورُوِيَ عن أبي وهب الجُشَمِيِّ، وكان له صُحبةٌ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَسموا بأسماء الأنبياءِ، وأحبُّ الأسماءِ إلى اللّهِ عز وجل عبدُ الله وعبدالرحمن، وأصدقُها حارثٌ وهَمَّامٌ، وأقبحُها حربٌ ومُرَّةُ**»[٤].

---

(١) حديث مرسل، رواه مالك في الموطأ ٩٧٣/٢ رقم (١٧٥٣). وذكره ابن عبد البر في التمهيد ، وقال معقباً عليه: هذا عندي، والله أعلم، ليس من باب الطِّيَرة، لأنه مُحال أن ينهى عن شيءٍ ويفعله، وإنما هو من باب طلب الفأل الحسن، وقد كان أخبرهم عن شر الأسماء أنه حرب ومُرَّة، فأكد ذلك حتى لا يتسمَّى بها أحد، والله أعلم.

(٢) الموطأ ٩٧٣/٢ رقم (١٧٥٣). وهو مرسل.

(٣) مسلم (٢١٣٢).

(٤) حديث ضعيف، رواه أحمد ٣٤٥/٤، والبخاري في الأدب المفرد (٨١٤)، وأبو داود (٤٩٥٠).

١٨٨٩ - وروى أبو هريرة: «**أَخْنَعُ الأسماءِ عند الله تعالى يومَ القيامةِ رجلٌ تسمَّى بمَلِكِ الأملاكِ**». قال سفيانُ: معناه شاهان شاه[١].

١٨٩٠ - وسُئِلَ أنسُ بن مالك عن الغلام يُكنى وهو صغيرٌ؟ فقال: لا بأس بذلك، ومِنَ الناسِ مَنْ يكونُ اسمه كنيته، فقيل له: بلغك أن النبي ﷺ قال: «**يا أبا عمير ما فعل النُّغَيرُ**»؟ فقال: نعم سمعته[٢].

١٨٩١ - وروى سَمُرَةُ بنُ جُندبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُسَمِّيَنَّ غُلامَك يَساراً، ولا رباحاً، ولا نَجِيحاً، ولا أفلحَ؛ فإنك تقولُ: أثَمَّ هو؟ فيقول: لا. إنما هُنَّ أربعٌ، فلا تَزِيدُنَّ عليَّ**»[٣].

١٨٩٢ - وروى محمد بن سيرينَ عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**تَسَمُّوا باسْمي ولا تَكَنُّوا بكُنيتي**»[٤].

١٨٩٣ - وروى فِطْرٌ عن مُنذرٍ، عن محمد بن الحنَفِيَّةِ، قال: قال عليٌّ: قلتُ: يا رسولَ اللَّه، إنْ وُلِدَ لي مِنْ بعدِك ولدٌ، أُسَمِّيه باسمِك، وأكَنِّيه بكُنيتِك؟ قال: «**نعم**»[٥].

١٨٩٤ - وروى همَّامُ بن مُنَبِّهٍ عن أبي هريرةَ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**لا يَقُلْ أحدُكم أطْعِمْ رَبَّك، وَضِّئْ ربَّك، واسْقِ ربَّك، ولْيَقُلْ: سيِّدي ومولاي، ولا يقُلْ أحدُكم: عبدي وأَمَتي، ولْيَقُلْ: فتايَ وفتاتي وغُلامي**»[٦].

١٨٩٥ - ورُوِيَ عن سعيد بن المسيب بنِ حَزْنٍ عن أبيه أنَّ أباه جاء

(١) البخاري (٦٢٠٥ و٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).
(٢) لم أجده بهذا السياق. والمرفوع منه رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).
(٣) مسلم (٢١٣٧).
(٤) البخاري (٣٥٣٩)، ومسلم (٢١٣٤).
(٥) رواه أبو داود (٤٩٦٧)، والترمذي (٢٨٤٣)، وقال: هذا حديث صحيح.
(٦) البخاري (٢٥٥١)، ومسلم (٢٢٤٩).

إلى النبيِّ ﷺ قال: «أنت سَهلٌ». قال: لا أُغَيِّرُ اسماً سمَّانيهُ أبي. قال ابنُ المسيب: فما زالتِ الحُزُونَةُ فينا بعدُ[(١)].

* * *

١٢٩ ـ ما جاء أن الشؤم في ثلاثة

١٨٩٦ ـ روى سالم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**الشُّؤمُ في ثلاثٍ: المرأة، والولد، والدابة**»[(٢)].

* وقد قال بعضُ الناس: إنَّ معنى ذلك أنه قد يتشاءمُ بذلك فيُجري اللَّهُ العادةَ بتلافِ المالِ عند سُكنى هذه الدَّارِ، وموتِ مَنْ يسكُنُها، بانقضاءِ أجلِه مِنْ غيْرِ أن يكونَ للدارِ في ذلك تأثيرٌ، كالذي يركبُ البحرَ في وقت ارتجاجِه، ويشهدُ الحرب، وما أشبه ذلك.

* وقد قيل: إنَّ معنى ذلك أنَّ الذي يتشاءمون به، وهو عندكم ما فيه شؤم، هو هذه الثلاث.

١٨٩٧ ـ وروى أبو حازمٍ عن سهلِ بن سعدٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنْ كان، ففي الفرسِ والمرأةِ والمسكنِ**»، يعني الشُّؤمَ، قال به على النحوين[(٣)].

١٨٩٨ ـ وقد سُئِلَ مالكٌ عن ذلك، فقال: إنْ كان في ما أرى، فكم مِنْ دارٍ سكنَها آخرون فهلَكوا، فهذا تفسيرُه فيما أرى، والله أعلم.

١٨٩٩ ـ وروى مالك[(٤)] عن يحيى بن سعيد أنه قال: جاءتِ امرأةٌ إلى

(١) البخاري (٦١٩٠).
(٢) البخاري (٢٨٥٨)، ومسلم (٢٢٢٥).
(٣) البخاري (٢٨٥٩)، ومسلم (٢٢٢٦).
(٤) الموطأ ٢/٩٧٢ (١٧٥١)، وهو منقطع الإسناد. ورواه موصولاً من حديث أنس بن مالك ﷺ البخاري في الأدب المفرد (٩١٨)، وأبو داود (٣٩٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/١٤٠، وإسناده حسن.

رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ اللَّه، دارٌ سكنَّاها والعددُ كثيرٌ، والمالُ وافرٌ، فَقَلَّ العددُ، وذهبَ المالُ، فقال رسول الله ﷺ: **«دعوها ذميمةً»**.

❋ ❋ ❋

١٣٠ ـ ما جاء في السحر

١٩٠٠ ـ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

١٩٠١ ـ وروى أبو الغَيْثِ عن أبي هريرةَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«اتَّقُوا المُوبقات، الشرك بالله والسحر»**(١).

١٩٠٢ ـ وقال عطَّافُ بن خالد: كنتُ مع سالِم بن عبد اللَّه، فأُتِيَ بغلامٍ في غِلمانٍ، أخذ خيطاً فقطعه، ثم تَفَلَ عليه مرتين أو ثلاثاً، ثم مدَّه أو جَرَّهُ، فإذا هو صحيحٌ، فقال سالم: لو كان إليَّ مِنْ أمرِه شيءٌ لصلبتُه(٢).

١٩٠٣ ـ ورُوِيَ عن هشام بنِ عُروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سُحِرَ رسولُ الله ﷺ حتى إنَّه لَيُخَيَّلُ إليه أنه قد صنع الشيءَ وما صنعه، فدعا ودعا، ثم قال: **«أشَعَرْتِ أنَّ الله أفتاني فيما استفتيته فيه»**، فقالت عائشة: وما ذاكِ يا رسول اللَّه؟ قال: **«جاءني رجلان، فجلس أحدُهما عند رأسي، والآخرُ عند رجليَّ، فقال أحدُهما لصاحبِه: ما وجَعُ الرجلِ؟ قال: مَطْبُوبٌ، قال: مَنْ طَبَّهُ؟ قال: لَبيدُ بنُ الأعْصَمِ، قال: في ماذا؟ قال: في**

---

(١) البخاري (٢٧٦٦ و٥٧٦٤)، ومسلم (٨٩). ورواية البخاري الأولى وجاءت رواية بأتم مما هنا، ولفظهما: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: **«الشرك بالله، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»**.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٥/٢٠٠

مُشْطٍ ومُشاطَةٍ وجُفِّ طَلْعَةٍ، قال: فأين هو؟ قال: في ذَرْوانَ»، وذَرْوانُ بئرٌ في بني زُرَيْقٍ، قالت: فأتاها رسول الله ﷺ ثم رجع إلى عائشةَ، فقال: «**والله لكأنَّ ماءَها نُقاعةُ الحِنَّاء، ولكأن نخلَها رؤوسُ الشياطين**». قالت: فأتى رسول الله ﷺ فأخبرها عن البئرِ، فقلت: يا رسول اللَّه، فهلاَّ أخرجتَه؟ قال: «**أمَّا أنا فقد شفاني اللَّهُ عز وجل، وكرهتُ أنْ أُثيرَ على الناس شراً**»[1].

١٩٠٤ ـ وقال قتادة لسعيد بن المسيب: رجلٌ به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنْشَرُ؟ قال: لا بأس به، إنما يُريدون به الإصلاحَ، قال: فأمَّا ما ينفع فلم يُنْهَ عنه[2].

* * *

١٣١ ـ ما جاء في الرُّقى والتَّمائم

١٩٠٥ ـ رُوِيَ عن ابن عباس أنَّ نفراً مِنْ أصحاب النبي ﷺ مَرُّوا بماءٍ فيهم لَديغٌ أو سَليمٌ، فعرض لهم رجلٌ مِنْ أهلِ الماءِ، فقال: هل فيكم مِنْ راقٍ؟ إنَّ في الماءِ رجلاً لديغاً أو سليماً. فانطلق رجلٌ منهم، فجعل يقرأُ بفاتحة الكتاب، ويجْمعُ بُزاقَه، ويتْفُل فبَرَأ، فأتَوْا بالشَّاء، فقالوا: لا نأخذُه حتى نسألَ النبيَّ ﷺ فسألوه، فضحك وقال: «**ما أدراك أنَّها رُقيةٌ؟ أصبتُم، خذوها فاضرِبوا إليَّ بسهمٍ، إنَّ أحقَّ ما أخذتُم عليه أجراً كتابَ الله عز وجل**»[3].

---

(١) البخاري (٦٣٩١)، ومسلم (٢١٨٩). وقوله: مطبوب: أي مسحور. والمشاطة: الشعر الساقط عند التسريح. وجُفُّ الطلعة: الغشاء الذي على طلع النخل.

(٢) رواه البخاري تعليقاً في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر. ورواه موصولاً الأثرم في كتاب السنن، ومن طريقه ابن عبد البر في التمهيد ٢٨١/٥ و٢٤٤/٦.

(٣) البخاري (٥٧٣٧). وليس هو بنصه عند البخاري، وما أورده المصنف رحمه الله أقرب إلى حديث أبي سعيد الخدري ﷺ الذي رواه البخاري (٥٧٣٦)، ومسلم (٢٢٠١).

١٩٠٦ ـ وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أمرني النبي ﷺ أو أمرَ أنْ يُسترقَى مِنَ العينِ[١].

١٩٠٧ ـ وروت أمُّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ النبيَّ ﷺ رأى في بيتها جاريةً في وجهِها سَفْعَةً، فقال: **«اسْتَرْقُوا لها، فإنَّ بها النظرةَ»**[٢].

١٩٠٨ ـ وروى مالكٌ أنه دخل على رسول الله ﷺ بابني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم فقال لحاضنتهما: **«ما لي أراهما ضارعين؟ قالت حاضنتهما: يا رسول اللّه، إنه تُسرعُ إليهما العينُ، ولا يمنعُنا أنْ نَسْتَرْقِيَ لهما إلا أنّا لا ندري ما يوافِقك مِنْ ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «اسْتَرقُوا لهما، فإنه لو سبق شيءٌ القدَرَ لسبقَتْهُ العيْنُ»**[٣].

١٩٠٩ ـ وروى مالكٌ أنَّ أبا بكر الصديق دخل على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي تشتكي، ويهوديةٌ تَرقيها، فقال أبو بكر: ارقِيها بكتاب الله تعالى[٤].

١٩١٠ ـ وقال ثابتٌ: اشتكيتُ، فقال لي أنسٌ: ألا أَرْقيكَ رُقْيَةَ رسولِ الله ﷺ قال: بلى، قال: **«اللهُمَّ ربَّ الناسِ، مُذْهِبَ الباسِ، اشْفِ أنت الشافي، لا شافِيَ إلا أنتَ، شِفاءً لا يُغادرُ سَقَماً»**[٥].

---

(١) البخاري (٥٣٧٨)، ومسلم (٢١٩٥).

(٢) البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٢١٩٧). والسفعة: السواد في الوجه، وقيل: صفرة، وقيل: حمرة يعلوها سواد. وقيل: لون يخالف لون الوجه.

(٣) الموطأ ٢/٩٣٩ ـ ٩٤٠. وإسناده معضل. ورواه متصلاً من حديث أسماء بنت عُمَيس أحمد ٦/٣٤٨، وابن ماجه (٣٥١٠)، والترمذي (٢٠٥٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وروى مسلم (٢١٩٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأسماء بنت عُميس: **«ما لي أرى أجسامَ بني أخي ضارِعَةً تُصيبُهم الحاجَةُ»**؟ قالت: لا، ولكنِ العينُ تُسرعُ إليهم. قال: **«ارقيهم»**. قالت: فعرضتُ عليه، فقال: **«ارقيهم»**.

(٤) الموطأ ٢/٩٤٣.

(٥) البخاري (٥٧٤٢).

١٩١١ ـ وروت عائشة أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «**باسم اللّهِ، تُربةُ أرضِنا، ورِيقَةُ بعضِنا، يُشفَى سَقيمنا، بإذنِ ربِّنا**»(١).

١٩١٢ ـ ورُوِيَ عن عائشةَ أن النبي ﷺ كان إذا أَوى إلى فراشِه نَفَثَ في كفَّيْه بقُلْ هو الله أحد، وبالمعوِّذتين جميعاً، ثم يمسحُ بهما وجهَه وما بَلَغَتْ يداه مِنْ جسدِه. قالت عائشةُ: فلمَّا اشتكى كان يأمُرُني أنْ أفعلَ ذلك به(٢).

١٩١٣ ـ مالك: أنَّ عائشةَ كانت ترى البَثْرَةَ الصغيرة في يدها، فتُلِحُّ عليها بالتَّعويذ، فيقالُ: إنها صغيرةٌ، فتقول: إنَّ اللَّهَ يُعَظِّمُ ما شاء مِنْ صغيرٍ، ويُصَغِّرُ ما شاء مِنْ عظيمٍ.

١٩١٤ ـ وقال مالك: استُعْمِلَ زيدُ بن أسْلَمَ على مَعْدِنِ بني سُلَيْم، وكان مَعْدِناً لا يزال يُصابُ فيه الناس مِنْ قِبَلِ الجِنِّ، فشكَوْا ذلك إلى زيدِ بن أسلمَ، فأمرهم بالأذان، وأنْ يرفعوا أصواتَهم به، ففعلوا، فارتفع ذلك عنهم، فهُم عليه حتى اليوم، وأعجبني ذلك مِنْ مَشُورةِ زيدِ بن أسلمَ(٣).

* * *

١٣٢ ـ ما جاء في الطِّبِّ والكَيِّ

١٩١٥ ـ قال الله تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠].

١٩١٦ ـ وروى مالك أن رجلاً في زمان النبي ﷺ أصابه جرح، فاحتقن

(١) البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٢١٩٤).
(٢) البخاري (٥٧٤٨)، ومسلم (٢١٩٢).
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١١٧/٣، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣١٧/٥.

الجرحُ الدمَ، وأنَّ الرجلَ دعا رجلين مِنْ بني أنمار، فنظرا إليه، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهما: «**أيُّكما أطبُّ**»؟ قالا: وفي الطبِّ خيْرٌ يا رسول اللَّه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أنزلَ الدواءَ الذي أنزل الداءَ**»(١).

١٩١٧ ـ وروى سعيدُ بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «**الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وماؤُها شفاءٌ للعينِ**»(٢).

١٩١٨ ـ وسُئِلَ سهلُ بنُ سعد: بأيِّ شيء دُووِيَ جرحُ النبي ﷺ؟ قال: لما كُسِرت على رأسِ النبي ﷺ البَيضةُ، وأُدْمِيَ وجهُه، وكُسرت رَباعِيَّتُه، وكان عليٌّ ﷺ يختلف بالماء في المجَنِّ، وجاءت فاطمةُ تغسلُ عن وجهه الدمَ، فلمَّا رأت فاطمةُ ﷺ الدمَ يزيدُ على الماءِ كثرةً، عهدت إلى حصيرٍ فأحرقته وألصقته على جرح النبي ﷺ فرَقَأ الدمُ(٣).

١٩١٩ ـ وقالت عائشةُ ﷺ: لما ثَقُلَ النبيُّ ﷺ واشتدَّ وجعُه، استأذن على أزواجِهِ في أن يُمَرَّضَ في بيتي، فأذِنَّ له، فخرج بين رجلين تخطُّ رجلاه في الأرض، فقال النبي ﷺ بعدما دخل بيتَها واشتد وجعُه: «**هَرِيقُوا عليَّ مِنْ سبعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أوكِيَتُهنَّ لعلِّي أعهد إلى الناس**». قالت: فأجلسناه في مِخْضَبٍ لحفصةَ زوجِ النبي ﷺ ثم طفِقنا نصُبُّ عليه مِنْ تلك القِرَبِ، حتى جعل يشير إلينا أنْ قد فعلتُنَّ، قالت: وخرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم(٤).

١٩٢٠ ـ وروى ابنُ عباس عن النبي ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ الأمَمُ، فجعل**

---

(١) مرسل من حديث زيد بن أسلم. رواه مالك في الموطأ ٩٤٣/٢، وابن أبي شيبة في المصنف ٣١/٥.

(٢) البخاري (٤٤٧٨)، ومسلم (٢٠٤٩). قال ابن الأثير في تفسير الحديث: «**الكمأة من المنّ**»: أي: مما امتنَّ به الله عزَّ وجل به؛ لأنها تظهر من غير بَذر ولا صنع آدمي. وقيل: شبهها بما كان يُنْزله الله على بني إسرائيل عفواً من غيْر تعب.

(٣) البخاري (٢٤٣، ٢٩٠٣)، ومسلم (١٧٩٠). البيضة: ما يقي الرأس في الحرب.

(٤) البخاري (١٩٨، ٤٤٤٢).

النبيُّ والنبيانِ يمرُّون معهم الرَّهطُ، والنبيُّ ليس معه أحد، حتى رُفِعَ لي سوادٌ عظيم. قلت: ما هذا؟ أُمَّتي هذه؟ قيل: هذا موسى وقومُه، قال: انظُرْ إلى الأفق، فإذا سوادٌ ملأ الأفُقَ. ثم قيل لي: انظُرْ ههنا وههنا في آفاقِ السماءِ، فإذا سوادٌ قد ملأ الأفُقَ، قيل: هذه أمتُك، ويدخل الجنةَ مع هؤلاء سبعون ألفاً بغيرِ حسابٍ». ثم دخل ولم يُبَيِّنْ لنا، فأفاض القومُ، وقالوا: نحن الذين آمنَّا بالله واتَّبعْنا رسولَه، فنحن هم وأولادُنا الذين وُلدوا في الإسلام، فإنَّا وُلدنا في الجاهلية، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فخرج فقال: «**هم الذين لا يَسْتَرْقُونَ، ولا يتطيَّرون، ولا يكتوُون، وعلى ربهم يتوكَّلون**». فقال عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصِنٍ: أمنهم أنا يا رسول اللَّه؟ قال: «**نعم**». فقام آخرُ، فقال: أمنهم أنا؟ قال: «**سبقك بها عُكَّاشَةُ**»[1].

١٩٢١ - ويُحتمل أن يكون النبيُّ ﷺ أمر أنْ يُصَبَّ عليه مِنَ القِرَبِ التي لم تُحْلَلْ أوكيتُها، مع ما روى عنه ابنُ عباسٍ مِنْ تفضيلِ مَنْ لا يكتوي، ولا يسترقي[2] ليتبيَّن جوازُ ذلك مع أنَّ تركَه أفضلُ.

١٩٢٢ - وقد روى أنسٌ: كُويتُ مِنْ ذاتِ الجَنْبِ والنبيُّ ﷺ حَيٌّ، وشهدني [أبو طلحة و] أنسُ بنُ النَّضر، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وأبو طلحةَ كواني[3].

١٩٢٣ - وروى مالك[4] أنَّ سعدَ بنَ زُرارَةَ اكتوى في زمنِ النبي ﷺ مِنَ الذَّبْحةِ فمات.

---

(١) البخاري (٥٧٥٠)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) سيأتي برقم (١٩٣٢).

(٣) البخاري (٥٧٢١). وما بين حاصرتين منه.

(٤) الموطأ ٢/٩٤٤، وإسناده منقطع. ورواه موصولاً من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ابن ماجه (٣٤٩٤). ورواه أحمد ٤/٦٥، و٥/٣٧٨ من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ وإسناده حسن.

١٩٢٤ ـ وأنَّ عبدَ اللَّه بن عُمر اكتوى مِنَ اللَّقْوَةِ، ورُقِيَ مِنَ العقربِ[١].

* ويُحتمل أنْ يكونَ ذلك يختصُّ به، يعني النبي ﷺ، لعلَّ ذلك بوحيٍ أُوحِيَ إليه، أنَّه إذا فعل ذلك سيبْرَأ، ويُمكنه أنْ يعهدَ إلى الناسِ، ويُبلِّغَهم ما أُمِرَ بتبلغيه ﷺ وسائر الناسِ إنَّما يُقدمُ على التداوي والمعاناةِ رجاءَ أنْ يَفيق دون قطعٍ بذلك ولا تيَقُّنٍ، ولهذا تأثيرٌ في الشرعِ، وقد أباح الله تعالى أكلَ الميتةِ للمضطرِ، لأنه متيقِّنٌ زوالَ ألَمِ جوعِه، ومنع مالكٌ مِنْ شربِ الخمرِ للعطش والتَّدواي بها، لأنه غيْرُ متيقِّنٍ لبُرْءِ دائِه بها، والله أعلم.

١٩٢٥ ـ وقيل لبعضِ الأطباءِ وقد نَهَكَتْهُ عِلَّتُه: ألا تتعالَجُ؟ فقال: إذا كان الداءُ مِنَ السماءِ بطَلَ الدواءُ، وإذا قدَّرَ الربُّ بطَلَ حذَرُ المربوبِ، ونِعْمَ الدواءُ الأملُ، وبئس الداءُ الأجلُ.

١٩٢٦ ـ وأنشدوا:

قد قلتُ لَمَّا قال لي قائلٌ ... قد صارَ نُعمانُ إلى رمْسِهِ
فأينَ ما يُذْكَرُ مِنْ طِبِّهِ ... وأينَ ما يُذْكَرُ مِنْ جَسِّهِ
هَيْهَاتَ لا يَدْفَعُ عن غَيْرِهِ ... مَنْ كان لا يَدْفَعُ عن نَفْسِهِ

١٩٢٧ ـ وقيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: قد دعوتُه، قيل: فما قال لك؟ قال: إنِّي فعَّالٌ لِمَا أُريدُ.

١٩٢٨ ـ وقال معاويةُ بنُ قُرَّةَ: اشتكى أبو الدرداءِ، فأتاه أصحابُه، فقالوا له ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي. قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنةَ. قالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو الذي أضجعني.

---

(١) الموطأ ٢/٩٤٤. ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف ٥/٥٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٣٤٣. واللقوة: داء يصيب الوجه، فيميله إلى أحد جانبيه.

١٩٢٩ ـ وقيل للربيعِ بنِ خُثَيْمٍ في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: أنظِرُوني. ثم تفكَّرَ، فقال: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝٣٩﴾ [الفرقان: ٣٨ ـ ٣٩]. فذكر مِنْ حِرصِهم على الدنيا، ورغبتِهم فيها؛ قد كانت لهم الأطباءُ، وكان فيهم مرضى، فلا المُداوِي بقيَ، ولا المداوَى، وهلكَ النَّاعتُ والمنعوتُ له، واللهِ لا تَدْعُونَ لي طبيباً.

١٩٣٠ ـ وأنشدوا لابن نُباتةَ:

نُعَلَّلُ بالدَّواءِ إذا مرِضنا ... وهل يَشفِي مِنَ الدَّاءِ الدَّواءُ
ونعتادُ الطَّبيبَ وهل طَبِيبٌ ... يُؤَخِّرُ ما يُقَدِّمُهُ القَضَاءُ
وما أنفاسُنا إلا حِسَابٌ ... وما حَرَكاتُنا إلا فَنَاءُ

١٩٣١ ـ ولآخر:

ما للطَّبيبِ يَمُوتُ بالدَّاءِ الذي ... قد كان يَشْفِي مِثْلَهُ فيما مَضَى
ذهبَ المداوَى والمدوِاي والذي ... جَلَبَ الدَّواءَ وباعَهُ ومَنِ اشْتَرَى

١٩٣٢ ـ وروى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ عنِ ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«الشِّفاءُ في ثلاثةٍ: شَرْبَةِ عسلٍ، وشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نارٍ، وأنهى أُمَّتي عنِ الكَيِّ»**[١].

١٩٣٣ ـ وروى قتادةُ عن جابرِ بن عبدِ اللَّه: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **«إنْ كان في شيءٍ مِنْ أدويتِكم، أو يكونُ في شيءٍ مِنْ أدويتِكم خيرٌ، ففي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أو شَرْبَةِ عسلٍ، أو لَذْغَةِ نارٍ تُوافِقُ الدَّاءَ، وما أُحِبُّ أنْ أكتوِيَ»**[٢].

١٩٣٤ ـ وروى أبو المتوكِّلِ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ أنَّ رجلاً أتى

(١) البخاري (٥٦٨٠).
(٢) البخاري (٥٦٨٣)، ومسلم (٢٢٠٥).

النبيَّ ﷺ فقال: أخي يَشتكي بطنَه، فقال: «**اسْقِهِ عسلاً**»، ثم أتاه فقال: «**اسْقِهِ عسلاً**»، ثم أتاه الثالثةَ، فقال: «**اسْقِهِ عسلاً**». ثم أتاه، فقال: قد فعلتُ. فقال: «**صدقَ اللّهُ وكذب بطنُ أخيك، اسْقِهِ عسلاً**». فسقاه فبَرَأَ[1].

١٩٣٥ - وروى عُروةُ عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها كانت تأمُرُ بالتَّلبينةِ للمريضِ والمحزونِ على الهالكِ، وكانت تقول: إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ التَّلبينةَ تَجُمُّ فؤادَ المريض، وتُذْهِبُ ببعضِ الحُزنِ**»[2].

١٩٣٦ - وروى أبو هريرةَ أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**في الحبَّةِ السوداءِ شِفاءٌ مِنْ كلِّ داءٍ إلا السَّامَ**». قال ابنُ شهابٍ: السَّامُ: الموتُ، والحبةُ السوداء: الشُّونيز[3].

١٩٣٧ - وروى أبو قِلابَةَ عن أنسِ بنِ مالكٍ: أذِنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لأهلِ بيتٍ مِنَ الأنصارِ أنْ يَرقُوا مِنَ الحُمَةِ والأُذنِ[4].

١٩٣٨ - وقد قال قومٌ: إنه لا يجوزُ شُربُ دواءٍ إلا لمرضٍ قد وقع، ووُجِدَ بالمريضِ، وأمَّا شربُه لدفعِ إصابةِ داءٍ لم يُصِبْ فممنوعٌ، وهذا عندي غيْرُ ممنوعٍ، بل هو مُباح، وهو مثلُ الحِجامةِ والفِصاد، اللذَيْنِ لا يُفعلان غالباً إلا لتوقُّعِ داءٍ لم يُوجَدْ بعدُ.

١٩٣٩ - وقد سُئِلَ أنسٌ عن أُجرةِ الحَجَّامِ؟ فقال: احتجم النبيُّ ﷺ حَجَمَهُ أبو طَيْبَةَ، وأعطاه صاعيْنِ مِنْ طعام، وكلَّمَ موالِيَه فخفَّفُوا عنه، وقال: «**إنَّ أمْثَلَ ما تداويتُم به الحِجامَةُ والقُسْطُ البَحْرِيُّ**»[5].

---

(١) البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).

(٢) البخاري (٥٤١٧، و٥٦٨٩)، ومسلم (٢٢١٦). والتلبينة: طعام يُتخذ من دقيق أو نخالة، وربما جعل فيه العسل. سميت بذلك لشبهها باللبن في البياض والرِّقَّة.

(٣) البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥).

(٤) البخاري (٥٧٢٠). والحُمَة ـ بتخفيف الميم ـ: سم العقرب ونحوها.

(٥) البخاري (٥٦٩٦)، ومسلم (١٥٧٧). والقُسط: عود هندي وعربي نافع لكثير من الأمراض، ذكرها صاحب القاموس المحيط.

١٩٤٠ ـ وقد يُصلحُ الإنسانُ غَرْسَهَ بالسَّقيِ والعملِ والعِمارةِ، ليدفعَ عنه ما يتوقَّعُ عليه مِنَ الفسادِ بتركِ ذلك، وكذلك تلقيحُ الثمار إنَّما هو لدفع ما يَحذرُ حدوثَه مِنَ الفسادِ.

١٩٤١ ـ وقال طبيبٌ للحجَّاجِ وقد عاده: قد شَرَّفْتَني، فاحفظْ ما أقولُ لك: لا تشرَبَنَّ دواءً حتَّى تحتاجَ إليه، ولا تأكُلَنَّ طعاماً وفي جوفِكَ طعامٌ، وإذا أكلتَ فامْشِ أربعين خُطوةً، ولا تأكُلِ الفاكهةَ مُوَلِّيَةً، ولا تأكلْ مِنَ اللحمِ إلا فَتِيَّ الغنمِ، ولا تنكِحَنَّ عجوزاً، وعليك بالسواكِ.

١٩٤٢ ـ وقال النَّقَّاشُ: ما شَرِقَ أحدٌ بلَبَنٍ قَطُّ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

١٩٤٣ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: خَفِّفِ الطعامَ تَأْمَنِ الأسقامَ.

١٩٤٤ ـ وقال آخرُ: مَنْ لَزِمَ القَصْدَ استغنَى عَنِ الفَصْدِ.

١٩٤٥ ـ وقال عَمرو بنُ العاصِ: مَنْ أراد الصحةَ بمصرَ، فلْيَمْشِ البَرْدَيْنِ، ولْيُدْفِئِ الطَّرَفَيْنِ.

* * *

١٣٣ ـ ما جاء في الصور

١٩٤٦ ـ روى بُسْرُ بنُ سعيدٍ أنَّه كان مع عُبيدِ الله الخَوْلانِيِّ، فحدَّثَ زيد بن خالد أنَّ أبا طلحةَ حدَّثه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تدخُلُ الملائكةُ بيتاً فيه صورةٌ**». قال بُسْرٌ: فمرض زيدُ بنُ خالدٍ، فعدْناه، فإذا نحن في بيتِه بِسَتْرٍ فيه تصاويرُ، فقلت لعُبيدالله: أَلَمْ يُحَدِّثْنا في التَّصاويرِ؟ فقال: إنَّه قال: «**إلا رَقْمٌ في ثوبٍ**». أَسَمِعْتَهُ. قلت: لا. قال: بلى قد ذكر[1].

(١) البخاري (٣٢٢٦)، ومسلم (٢١٠٦). والرقم: النقش.

١٩٤٧ ـ قالت عائشةُ ﵂ : دخل عليَّ النبيُّ ﷺ وفي البيتِ قِرامٌ فيه صورةٌ، فتلَوَّنَ وجهُه، ثم تناول السِّتْرَ فهتَكه، وقالت: قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ مِنْ أشدِّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ الذين يُصَوِّرُونَ هذه الصُّوَرَ**»[(١)].

١٩٤٨ ـ وروى القاسمُ بنُ محمدٍ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ﵂: أخبَرته أنَّها اشترتْ نُمْرُقَةً فيها تصاويرُ، فلمَّا رآها رسولُ الله ﷺ قام على البابِ فلم يدخل، فعرفتُ في وجهِه الكراهيَةَ، فقلت: يا رسولَ اللَّه، أتوبُ إلى اللَّهِ وإلى رسولِه، ماذا أذنبتُ؟ [فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما بال هذه النمرقةُ**»؟ قلت: اشتريتها لك لتقعدَ عليها وتوسَدها]. فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أصحابَ هذا الصُّورِ يُعذَّبون يومَ القيامةِ، يقال لهم: أَحْيُوا ما خلقتُم**»، وقال: «**إنَّ البيتَ الذي فيه الصورُ لا تدخُله الملائكةُ**»[(٢)].

١٩٤٩ ـ ورُوِيَ عن عائشةَ أنَّ أمَّ حبيبةَ وأمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنهم ذكرتا كنيسةً رأيْنَها بأرضِ الحبشةِ، فيها تصاويرُ، فذكرَتَا ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**إنَّ أولئك إذا كان فيهمُ الرجلُ الصالح بنَوْا على قبْرِه مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصُّوَرَ، وأولئك شِرارُ الخلْقِ عند اللَّهِ يومَ القيامةِ**»[(٣)].

١٩٥٠ ـ وكره مالكٌ الصلاةَ في الكنائسِ للتَّماثيلِ تكونُ فيها.

١٩٥١ ـ قال ابنُ القاسم: والذي يصلِّي إلى قِبلةٍ فيها تَماثيلُ أشدُّ عندَه.

١٩٥٢ ـ قال مالكٌ: التماثيلُ تكون في الأَسِرَّةِ والقِبابِ والمنابِرِ، وما أشبَهه مكروهةٌ؛ لأنها خُلِّقَتْ خَلْقاً، وما كان مِنَ الثيابِ والبُسُطِ والوسائِدِ، فإنَّها تُمْتَهَنُ، وأرجو أنْ يكون خفيفاً، وتركُه مِنْ غيْرِ تحريمٍ له أحبُّ إلَيَّ.

---

(١) البخاري (٦١٠٩)، ومسلم (٢١٠٧). والقرام: الستر فيه نقوش.

(٢) البخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧). والنمرقة: وسادة صغيرة.

(٣) البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

١٩٥٣ ـ ومعنى قول مالك هذا: التعلُّقُ بحديث أبي طلحةَ أنه ﷺ قال: «**إلا ما كان رقْمَاً في ثوبٍ**»[١]. فعلى هذا يُحملُ حديث عائشةَ عنِ النبيِّ ﷺ «**إنَّ أصحابَ هذه الصُّورِ يُعَذَّبونَ يومَ القيامةِ**» الصُّنَّاعُ، ويُحتَمَلُ أنْ يُريدَ به الصُّوَرَ التي خُلِّقَتْ خَلقاً، فكره هو ﷺ ما كان مِنْ ذلك في القِرامِ والسِّتْرِ لمشابَهتها لها، أو لكونه ﷺ إماماً يُقتدى به، فإنَّ مِنْ حُكمِ الإمامِ أنْ يَجتنبَ ما يُشبهُ المحظورَ، وإنْ كان مُباحاً لئلا يقتديَ به مَنْ لا علمَ له، فيتعدَّى إلى المحظورِ، على ما رُوِيَ عن عمر بن الخطاب ؓ أنه رأى طلحةَ بنَ عُبيدِ الله يلبَس، مُحرِمَاً، ثوباً مصبوغاً بالمدَرِ، فقال: إنَّكم أيُّها الرَّهْطُ أئمَّةٌ يَقتدي بكمُ الناسُ، فلا تلبَسُوا شيئاً مِنْ هذه الثيابِ المصَبّغَةِ، فلو أنَّ رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوبَ، لقال: إنَّ طلحةَ بنَ عُبيدِ الله قد كان يلبَسُ الثيابَ المصَبَّغَةَ في الإحرامِ[٢]. فعلى هذا إنَّما يتعلَّق بالمنع مِنْ مثلِ هذا بالأئمةِ لما ذكرناه.

* وقوله ﷺ: «**إنَّ البيتَ الذي فيه الصُّورُ لا تدخُلُه الملائكةُ**»[٣] يُحتملُ أنْ يريدَ الصُّورَ المخلوقةَ. ويُحتملُ أنْ يُريدَ به جميعَ الصورِ، وأنَّه يمتنع مِنْ دخولِ البيتِ الذي تكون فيه الصورُ المرقومةُ ملائكةُ الوحيِ، حملاً للرسل عليهم السلامُ على أفضلِ الأحوال، أو تَنَزُّهَاً مِنَ الملائكةِ عن ما يُشبه المُحَرَّمَ مِنَ الصُّوَرِ.

١٩٥٤ ـ وقد قال ابنُ القاسم: لا يُلبَسُ خاتَمٌ فيه تِمثالٌ ولا يُصلَّى فيه، وأمَّا ما خُلِّقَ خَلْقاً مِنَ الصُّوَرِ، فالمشهورُ مِنَ قولِ الفقهاء منعُها.

١٩٥٥ ـ وسُئِلَ أصبغُ عنِ اللُّعَبِ المصوَّرَةِ يلعبُ بها النساءُ والجواري، فقال: لا بأس به ما لم تكن تماثيلَ مصورةً مخروطةً، فلا يجوز؛ لأنَّها تبقى، ولو كانت فَخَّاراً أو عِيداناً تنكسِرُ وتَبلَى رجوْتُ أنْ تكونَ خفيفةً،

---

(١) هو المتقدم برقم (١٩٤٦).
(٢) الموطأ ٣٢٦/١. والمدر: الطين المستحجر.
(٣) تقدم برقم (١٩٤٨).

كمثل رُقومِ الثياب في الصورِ، فلا بأسَ بها؛ لأنَّها تبلَى وتُمْتَهَنُ. قلت: أليس قد ذُكِرَ عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها كانت تلعبُ بها[1]، قال: نعم. قيل: أترى بعملِها وببيعِها بأساً؟ قال: أمَّا التي أجزتُ لك، فلا أرى ببيعِها بأساً.

* فوجه هذا أنَّ المنعَ تعلَّق عندَ أصبغَ بِما تبقى صورتُه كالحديدِ والنُّحاسِ والحِجارة. وقولُ مالكٍ أظهرُ.

١٩٥٦ ـ ورُوِيَ عن سعيدِ بنِ أبي الحسنِ، قال: كنتُ عندَ ابنِ عباسٍ، إذ أتاه رجلٌ، فقال: يا ابنَ عباسٍ، إنِّي إنسانٌ إنَّما معيشتي مِنْ صنعةِ يدي، وإنِّي أصنع هذه التصاويرَ. فقال ابنُ عباس: لا أحدِّثُك إلا ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول؛ سمعتُه يقول: «**مَنْ صَوَّرَ صورةً، فإنَّ الله مُعَذِّبُهُ حتَّى ينفُخَ فيها الروحَ، وليس بنافِخٍ فيها أبداً**». فربا الرجلُ ربوةً شديدةً، واصفرَّ وجهُه، فقال: ويحَكَ، إنْ أبَيْتَ إلا أنْ تصنعَ، فعليك بِهذا الشجرِ الذي ليس فيه روح[2].

١٩٥٧ ـ ولي في هذا المعنى:

تَجَنَّبْ بِجَهْدِكَ ما صَوَّرُوا وإنْ كان في سَتْرٍ او مِئْزَرَهْ
فإنَّ الرَّسولَ عليه السَّلامُ أَحَقَّ العَذَابَ لِمَنْ صَوَّرَهْ

* * *

١٣٤ ـ الغناء والنَّوح

١٩٥٨ ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [لقمان: ٦].

---

(١) انظر البخاري (٦١٣٠)، ومسلم (٢٤٤٠).

(٢) البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠). وقوله: ربا: أي انتفخ وأصابه نَفَسٌ في جوفه. وقيل: معناه: ذعر وامتلأ خوفاً.

١٩٥٩ ـ قال ابنُ عمر: هو الغناء.

١٩٦٠ ـ وقاله ابنُ عباس.

١٩٦١ ـ قال ابنُ مسعود: هو الغناء، والذي لا إله إلا هو. يُردِّدُها ثلاثَ مرات.

١٩٦٢ ـ وقال ابنُ مسعود: هو الرجل يشتري الجاريةَ المغنيةَ تُغنيه ليلاً ونهاراً.

١٩٦٣ ـ وقال قتادةُ: معناه: مَنْ يَختارُ الغناءَ ويستحسنُه.

١٩٦٤ ـ وروى مالكٌ عنِ ابنِ المنكَدِرِ أنه قال: يقول الله تبارك وتعالى يومَ القيامةِ: أين الذين كانوا يُنَزِّهون أسماعَهم وأنفسَهم عن اللَّهو ومزاميرِ الشيطان، أَدخلوهم رِياضَ المِسْكِ. ثم يقول للملائكة: أسمِعوهم حَمدي وثناءَ عليَّ، وأخبِروهم ألاَّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنزن[١].

١٩٦٥ ـ وروى مكحولٌ عن عائشةَ رضي الله عنها: مَنْ مات وعنده جاريةٌ مغنيةٌ، فلا تُصلُّوا عليه[٢].

١٩٦٦ ـ وروى جُوَيْبِرٌ عن الضَّحَّاك: الغناءُ مَهلَكَةٌ للمال، مَسْخَطَةٌ للربِّ، مَقساةٌ للقلبِ.

١٩٦٧ ـ وسُئِلَ عنه القاسمُ بنُ محمدٍ، فقال: الغناءُ باطلٌ، والباطلُ في النارِ.

١٩٦٨ ـ وروى ابنُ جُريجٍ عن مجاهدٍ: لَهْوُ الحديثِ الطبلُ.

---

(١) رواه من طريق مالك علي بن الجعد في مسنده (١٦٨٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٥١/٣.

(٢) رواه ابن حزم في المحلّى ٥٧/٩ من طريق مكحول عن عائشة عن النبي ﷺ وهو حديث مرسل ضعيف.

١٩٦٩ - ورُوِيَ أنَّ عبدَ الله بنَ عُمر دخل عند رجلٍ، فوجد عنده عوداً فلم يعرِفْه، فأخذه فقال له الرجل: ما هو يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هو مِيزانٌ حَرَّانِيٌّ، فقيل له: ليس بِميزانٍ حرَّانِيٍّ، ولكنه يُنقَرُ فيقول. فنقره عبدُ الله بنُ عمر، فقال: يقول: سيندمون سيندمون سيندمون.

١٩٧٠ - وقال مالك: مَنْ كان صاحبَ قِيانٍ لم تُقبل شهادتُه. ولا يجوز لأحدٍ أنْ يشتريَ مغنيةً؛ لأنه يُعطى بالغناءِ المحرَّمِ ثمناً.

١٩٧١ - قيل لمالك: إنَّ الغناءَ يروى عن أهل المدينة، فقال: كذب مَنْ روى ذلك، إنَّما كان يفعلُه عندنا الفُسَّاقُ.

١٩٧٢ - ورُوِيَ عن بعض العلماء أنه قال: مَنِ استَمع إلى صوت قَيْنَةٍ صبَّ الله في أذنه الآنُكَ يوم القيامة(١).

١٩٧٣ - ورُوِيَ أنَّ عبدَ الله بنَ عمر مَرَّ براعٍ يزمُرُ، ووراءَه نافعٌ مولاه، فصرف راحلتَه عنِ الطريقِ، وجعل يقولُ لنافعٍ: أتسمع؟ أتسمع؟ حتى بعُدُوا، قال له نافعٌ: لا أسمعُ شيئاً، فردَّ راحلته إلى الطريق(٢).

١٩٧٤ - والغناءُ محرَّمٌ، لأنه مُلْهٍ، وإنَّما حُرِّمَتْ الخمرُ لَمَّا كانت تُلهي عن ذكرِ الله وعنِ الصلاةِ، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

١٩٧٥ - وفي الغناءِ في هذا المعنى أضعافُ ما في سواه، وإذا اقترنَتْ بالغناءِ الآلةُ كان ألهى، فكان تحريمُه أشدَّ، ولا شُبهةَ في أنَّه مِنَ اللَّهوِ، وما ذكرَ اللَّهُ اللَّهوَ في كتابِه العزيز إلا ذمَّهُ، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا

---

(١) ورواه مرفوعاً من حديث مالك بن أنس ﷺ الدارقطني في كتاب غرائب مالك، وقال: لا يثبت. وابن حزم في المحلّى ٥٧/٩، وحكم عليه بالوضع. والآنك: هو الرصاص المذاب.

(٢) تقدم برقم (١٧٠٧).

وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

١٩٧٦ ـ والغناءُ سببُ السهوِ، ومعدِنُ اللَّهوِ، ومُرَبٌّ على اللغوِ، وهذا كلُّه مِنَ الباطلِ، والباطلُ عن الحقِّ مائلٌ، وفي النارِ آفِلٌ.

١٩٧٧ ـ روى عُبيدُ الله عنِ ابنِ عباسٍ، قال: **خِلالٌ مِن خِلالِ الجاهلية: الطَّعْنُ في الأنسابِ، والنِّياحَةُ، والاستسقاءُ بالأنواءِ**[1].

١٩٧٨ ـ وقال أبو بكر الهذَلِيُّ: قلت لبعضهم[2]: هل كان نساءُ المهاجرين يصنعنَ ما يُصنعُ اليومَ؟ قال: معاذَ اللَّه، لكن ههُنا بأَخَرَةَ شَقُّ جُيوبٍ، ونشرُ شُعورٍ، ولطمُ خُدودٍ، وخَمشُ وجوهٍ، وصوتانِ ملعونانِ آثِمانِ فاحشان [عند هذه النِّعمةِ، وعند هذا البلاءِ]، ذكرَ اللَّهُ المؤمنين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤ ـ ٢٥] وجعلتم في أموالكم حقّاً للنائحةِ عندَ المصيبة، وللمغنِّيةِ عندَ النِّعمةِ، يتزوجُ الرجلُ منكم، فيقول الرجلُ لأهلِه: تَحَفَّلِي تَحَفَّلِي، فيحملها على حِصانٍ، ويسير خلفَها عِلجانِ معهما قَصَبَتا شيطانٍ، معهما مَنْ لَعَنَ اللَّهُ ورسولُه، فإنَّ رسولَه ﷺ لعن مُخنَّثي الرجال، ومُذكَّراتِ النِّساء[3].

وقال حُذيفةُ: لا تُخرجوا رجالَكم في ثيابِ النساءِ، ولا نساءَكم في ثيابِ الرجال. وأنتم تُخرجون رجالَكم في ثياب النساء، ونساءَكم في ثياب الرجالِ، فيمرُّ بها على المجالسِ والمساجدِ، فيُقال: مَنْ هذه؟ فيقال: امرأةُ فلان، وبنتُ فلان، تُنسَبُ إلى أبيها مرةً، وإلى زوجِها أخرى، لا بِرٌّ، لا حياءٌ، ولا غَيْرة، ولا تقوى، ترى رجلاً لم يكن له أهلٌ، أفاده الله أهلاً، استقبلَ نعمةَ الله تعالى بما ترونَ مِنَ الشُّكر.

---

(١) رواه مرفوعاً البخاري (٣٨٥٠).

(٢) هو الحسن البصري كما في رواية الحارث بن أبي أسامة.

(٣) الحديث المرفوع رواه البخاري (٥٨٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

هذا في النعمةِ. فإنْ كانت في المصيبةِ، فإنَّ الميتَ منكم يموتُ فيُوصي بالوصيةِ وعندَه الأمانةُ، وعليه الدَّيْنُ، فيأتي الشيطانُ أهلَه، فيقول: والله لا تُنفِّذُون وصيتَه، ولا تُؤدُّون أمانتَه، ولا تقضُون دينَه، حتى تبدؤوا بحقِّي في مالِه. فيشترون ثِياباً جُدُداً، فيُؤتى بها بِيضاً فتُصبَغُ بالسوادِ، ثم تُشقَّقُ عمداً، ثم يأتون بأَمَةٍ مُستأجَرَةٍ، تبكي بغيْر شَجْوِهِم، وتبيعُ عبْرَتَها بدراهِمِهم، مَنْ دعاها بكت له، وإنْ كانت مِنْ غيْرِهم، وما عسى النائحةُ أنْ تقولَ: ألا إنِّي أنهاكم عمَّا أمركم اللَّهُ به، وآمرُكم بما نهاكم الله عنه، آلا إنَّ اللَّهَ نهاكم عنِ الجَزَعِ، وأنا آمُرُكم أن تَجزعوا، آلا إنَّ اللَّهَ أمركم بالصبْرِ، وأنا أنهاكم أنْ تصبِروا. فيقال: اعرِفُوا لها حقَّها، فيُبرَّدُ لها الشرابُ، وتنتخَبُ لها الثيابُ، وتُحملُ على الدوابِّ، ما كنت أرى أبقى في قومٍ هذه حالُهم[1].

* * *

١٣٥ ـ مُحَقّراتُ الذُنوبِ

١٩٧٩ ـ روى أبو عِمران التُّجِيبيُّ أنه سمع أبا أيوبَ يقول: إنَّ الرجلَ ليعملُ الحسنةَ فيَتَّكِلُ عليها، ويعملُ المُحَقِّراتِ حتى يأتِيَ وقد أحاطت به، وإنَّ الرجلَ ليعمَلُ السيئةَ فيفْرَقُ منها، حتَّى يأتِيَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ بها.

١٩٨٠ ـ ورُوِيَ عن [أبي] قتادةَ، قال: قال عُبادةُ: إنَّكم لتعملونَ اليومَ أعمالاً، هي أدقُّ في أنفسِكم مِنَ الشَّعرِ، إنْ كنَّا لنعُدُّها على عهدِ رسول الله ﷺ مِنَ الموبقاتِ. قال قتادةُ: قلتُ: فكيف لو أدركَ زمانَنا هذا، كان لذلك أقْوَلَ[2].

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، كما في بغية الباحث عن زوائد الحارث، للهيثمي (٢٦٥، و٨٨٩). وهو مرسل ضعيف. والمرفوع منه صحيح، وتخريجه في التعليق السابق.

(٢) عُبادة: هو ابن قلاط، أو ابن قرط ﷺ والحديث صحيح، رواه أحمد ٣/٤٧٠ و٥/٧٩. وروى نحوه البخاري (٦٤٩٢) عن أنس بن مالك ﷺ.

١٩٨١ ـ وقال مُطَرِّفُ بنُ عبد اللَّه: لِيُعَظَّمْ جَلالُ اللَّهِ تعالى في صُدورِكم، فلا تذكروه في مِثلِ قولِ أحدِكم للكلبِ: اللَّهم اخزِه، وللحمارِ وللشَّاةِ.

١٩٨٢ ـ وقال خُناسُ بنُ سُحَيْم: أقبلتُ مع زيادِ بنِ حُدَيْرٍ مِنَ الكُناسة، فقلت في كلامي: لا والأمانةَ، فجعَل زيادٌ يبكي، ويبكي، فظننتُ أنِّي أتيتُ أمراً عظيماً، فقلت له: أكانَ يُكرَهُ ما قلتُ؟ قال: نعم، كان عمرُ ينهى عنه.

١٩٨٣ ـ وروى كعبٌ: أنه نزل بعضُ الأنبياء، وقد نَفِدَ زادُ القوم، فلم يُصيبوا حطباً، فخرجوا معه، فلم يَحقروا الشَّطبةَ[1] ولا البَعَرَة ونحوهما، حتى جمعوا ما اكتفَوْا به، فحمِدَ اللَّهَ النبيُّ عليه السلام وأثنى عليه، ثم قال: إنَّ الله لا يستحيي أنْ يضرِب مثلاً ما بعوضةً فما فوقَها، وإنَّ هذا كان مِنْ بلاءِ الله تعالى وأمثالِه، وإياكم أن تحقِروا شيئاً مِنَ الأعمال، مِنْ مثقال حبةٍ مِنْ خيْر تعملونه، أو شرٍ تتقونه، فهكذا يجتمع القليلُ منه حتى يكونَ كثيراً، وإذا عملتم خيْراً فاشكُروا اللَّهَ تعالى واحمَدُوه، وإذا عملتم شرَّاً فتوبوا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ واستغفروه إنَّه كان غفَّاراً، وإيَّاكم والإصرارَ على الذنبِ، والاستكبارَ عنِ التوبةِ.

* * *

١٣٦ ـ ما جاء في ذلِّ المعصية

١٩٨٤ ـ قال الحسنُ: أهلُ الدنيا وإنْ فَذْفَدَتْ بهم الهَمالِيجُ، ووَطِئَتْ أعقابَهم الرجالُ، فإنَّ ذُلَّ المعصيةِ في قلوبِهم، أبى اللَّهُ إلا أنْ يُذِلَّ مَنْ عصاهُ[2].

١٩٨٥ ـ وقال داودُ الطَّائيُّ: ما أخرجَ اللَّهُ عبداً مِنْ ذُلِّ المعصيةِ إلى عِزِّ الطَّاعةِ، إلا أغناه بغيْرِ مالٍ، وآنَسه بلا أنيسٍ، وأعزَّه بلا عشيرٍ.

---

(١) الشطبة: السعفة الخضراء.

(٢) حلية الأولياء ١٤٩/٢. وفدفدت :عدت، وفي نسخة (هولندا) زفزفت، والزفزفة: شدة الجري. والهماليج البراذين.

١٩٨٦ ـ ولعبد اللَّه بن المبارك:

رأيتُ الذُّنوبَ تُميتُ القُلُوبَ ويُورِثُكَ الذُّلَّ إدْمانُها
وتَرْكُ الذُّنوبِ حَياةُ القُلوبِ وخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيانُها
وهل غَيَّرَ الدِّينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سَوْءٍ ورُهْبانُها
وباعُوا النُّفُوسَ فلم يَرْبَحُوا ولم يَغْلُ في البيعِ أثمانُها
لقدْ رَتَعَ القَوْمُ في جِيفَةٍ يَبِينُ لذي العَقْلِ إنْتانُها

١٩٨٧ ـ وأنشدوا:

إذا حَلَّتِ الخَمْرُ في دارِ قومٍ فقد رَحَلَ الدِّينُ عن دارِهِمْ

* * *

١٣٧ ـ قسوة القلوب

١٩٨٨ ـ قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣].

١٩٨٩ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤].

١٩٩٠ ـ وقال عز من قائل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

١٩٩١ ـ ورُوِيَ عن الحسنِ أنه قرأ هذه الآية: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦٠]. فقال: والله إنَّ أكيَسَ القوم في هذا الأمرِ لَمَنْ بكى. فابكوا هذه القلوبَ، وابكوا هذه الأعمالَ، فإنَّ الرجلَ ليبكي وإنه لقاسي القلبِ.

١٩٩٢ - ورُوِيَ عن أبي الدَّرداءِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ وجاءه رجلٌ يشكو إليه قَسْوَةَ قلبه، فقال: «**أَدْنِ اليتيمَ منك، والطُفْ به، وامسحْ رأسَه، وأطْعِمْه مِنْ طعامِك، فإنَّ ذلك يُلَيِّنُ قلبَك، وتُدركُ حاجتَك**»[1].

١٩٩٣ - ورُوِيَ أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لأصحابِه: لا تُكثِرُوا الكلامَ بغيْرِ ذِكرِ اللَّه، فتقسُوَ قلوبُكم، فإنَّ القلبَ القاسي بعيدٌ مِنَ اللَّهِ ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا إلى عُيوبِ الناسِ، كأنكم أربابٌ، وانظُروا في عُيوبِكم كأنكم عبيدٌ.

١٩٩٤ - ورُوِيَ أنَّ أشْعَيا قال لبني إسرائيلَ: إنَّ الدَّابَّةَ تزدادُ على كثْرَةِ الرِّياضة لِيناً، وقلوبُكم لا تزدادُ على كثرةِ الموعظةِ إلا قسوةً، إنَّ الجسدَ إذا صحَّ كفاه قليلُ الطعامِ، وإنَّ القلبَ إذا صحَّ كفاه القليلُ مِنَ الحكمةِ، كم سراجٍ أطفأتْهُ الرِّيحُ، وكم عابدٍ أهلكَه العُجْبُ.

١٩٩٥ - وسأل رجلٌ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: يا أمَّ المؤمنين، إنَّ لي داءً، فهل عندَك دواءٌ؟ فقالت: وما داؤُك؟ قال: القسوةُ، قالت: بِئسَ الداءُ داؤُك، عُدِ المرضى، واشهَدِ الجنائزَ، وتَوقَّعِ الموتَ.

١٩٩٦ - وشكا رجلٌ إلى مالكِ بنِ دينارٍ قَسوةَ قلبِه، فقال له: أَطِلِ الصيامَ، فإنْ وجدتَ قسوةً، فأَقِلَّ الطعامَ، فإنْ وجدتَ قَسوةً، فوالِ بين الأيامِ.

١٩٩٧ - وروى إسماعيلُ بنُ أبي أُوَيْسٍ: سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقول: كنتُ كلَّما وجدتُ قَسوةً في قلبي آتي محمدَ بنَ المنكدِرِ، فأنظرُ إليه، فأتَّعِظُ بنفسي أياماً.

---

(١) حديث ضعيف. رواه عبد الرزاق في المصنف ١١/٩٦ ـ ٩٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/٤٧٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/٢١٤. وفيه رجل مجهول. وله شاهد من حديث أبي هريرة، رواه أحمد ٢/٢٦٣ و٣٨٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/٦٠، وشعب الإيمان ٧/٤٧٢، وإسناده ضعيف أيضاً.

١٩٩٨ ـ وقال أحمدُ بنُ أبي سُليمانَ: قال لنا سُحنون يوماً، وذُكِرَتْ رِقَّةُ القلبِ وقساوتُه، فقال: اعلمُوا أنَّ القاسي القلبَ هو الذي ليس فيه مِنْ خوفِ اللَّهِ شيءٌ.

❋ ❋ ❋

١٣٨ ـ المِراءُ والجدال

١٩٩٩ ـ المِراءُ هو: مُدافعةُ الحقِّ بالقول، وتركُ الانقيادِ لِمَا ظهر منه، فهو اسمٌ يَنطلقُ غالباً على الممنوعِ المحظورِ، وقد يُستعمل بمعنى الجدالِ والمناظرة، وهو تردُّدُ الكلامِ بين اثنين، يريد كلٌّ واحدٍ منهما إظهارَ قولِه، وإبطالَ قولِ خصمِه. قال ابن عباس: إني تماريت أنا وصاحبي هذا. وهو بِمعنى المحاجَّةِ، قال الله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [النساء: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

فيقع تحته المحظورُ والواجبُ والمباحُ، فمن جادل ليُظهرَ باطلاً، أو جادلَ بغيْرِ علم، فجدلُه محظورٌ، وهو به مذمومٌ، قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٦٩﴾ [الحج: ٦٨ ـ ٦٩]. ولا يصحُّ أنْ يُجادلُوه إلا وقد وُجِدَ منه الجِدالُ لهم؛ لأنَّ المفاعلَةَ بابُها أنْ تقعَ مِنَ اثنينِ، فجدالُهم باطلٌ وكفرٌ؛ لأنَّهم يُريدون به إظهارَ الكفرِ، وجدالُه ﷺ حقٌّ وجهادٌ، لأنه يريدُ به إظهارَ الإيمانِ، وقد أمره الله تعالى به، فقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

فكلُّ مَنْ ذمَّ الجِدالَ مِنَ السَّلفِ إنَّما ذمَّه على أحدِ وجهين: إمَّا أنْ يذُمَّ جدلَ مَنْ نَصَرَ باطلاً ودعا إلى ضلالةٍ، أو جدلَ مَنْ لا عِلْمَ له بذلك، فلا يَحِلُّ له أن يتعرَّضَ له ولا يُناظِرَ أهلَ البِدَعِ؛ لأنَّه يتعرَّضُ لأحدِ أمرين ممنوعين، وربَّما اجتمعا له:

أحدُهما: أنَّه يُظهرُ باطلَهم على حقِّه.

والثاني: أنَّه ربما وقعت في نفسِه شُبهةٌ، ليس عندَه مِنَ العِلم ما يرُدُّها به فتُضِله.

٢٠٠٠ ـ وقال مَيمونُ بنُ مِهرانَ: لا تُمارِ مَنْ هو أعلمُ منك؛ فإنك إنْ فعلتَ خزَنَ عنك عَلمَه ولم تَضُرَّه شيئاً.

٢٠٠١ ـ وقال أبو سَلَمَةَ: لو رفُقتُ بابنِ عباسٍ لاستخرجتُ منه عِلماً كثيراً.

٢٠٠٢ ـ ورُوِيَ عن عمرَ بنِ الخطابِ أنه قال: يَهدِمُ الزمانَ ثلاثةٌ: زَيْغَةُ عالِمٍ، أو زلَّةُ عالِمٍ، ومُجادلَةُ منافقٍ بالقرآنِ، وأئمةٌ مُضِلُّونَ.

٢٠٠٣ ـ وقال لقمانُ لابنِه: مَنْ لا يملك لسانَه يندم، ومن يُكثر المِراء يُشتم، ومنْ يدخلْ مداخلَ السوءِ يُتَّهم. يا بُنَيَّ، لا تُمارِ العلماءَ فيمقُتوكَ.

٢٠٠٤ ـ وقال بعض الحكماءِ: ذرُوا المِراءَ؛ فإنَّه لا تفهم حِكمتُه، ولا تُؤمنُ فِتنتُه.

٢٠٠٥ ـ وقال مالكُ بنُ أنسٍ: المِراءُ يُقَسِّي القلبَ، ويُورِثُ الضَّغنَ.

٢٠٠٦ ـ وقال بلالُ بنُ سعدٍ: إذا رأيتَ الرجلَ لَجُوجاً مُمارِياً مُعْجَباً برأيِه، فقد تَمَّتْ خَسارتُه.

٢٠٠٧ ـ ولِمِسْعَرِ بنِ كَدام يقول لابنه:

إنِّي منحتُكَ يا كَدام نَصيحَتي ... فاسْمَعْ لقولِ أبٍ عَليكَ شَفيقِ
أمَّا المزاحةُ والمِراءُ فدَعْهُما ... خُلقانِ لا أرضاهُما لصديقِ
إنِّي بلوتُهما فلم أَحْمَدْهُما ... لِمُجاورٍ جاراً ولا لِرَفيقِ

❋ ❋ ❋

فصل

٢٠٠٨ ـ وأما المُجادلة والمُحاجَّةُ لإظهارِ الحقِّ ونُصرته، فغيْرُ ممنوعةٍ، بل هي مشروعةٌ لمن كان مِنْ أهلِ العلم، فكم موقِفٍ تدعوه الضَّرورةُ إلى ذلك، ويحتاج المسلمون إليه، فهو مِنْ باب القيامِ للهِ بالحقِّ.

٢٠٠٩ ـ وقد قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٠ ـ ٨٢].

٢٠١٠ ـ ثم قال عَزَّ مِنْ قائل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

* * *

١٣٩ ـ ما جاء في البِدَع

٢٠١١ ـ روى مُرَّةُ الهَمْدَانيُّ، قال: قال عبدُ اللَّه: إنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللَّهِ تعالى، وأحسنَ الهدْيِ هدْيُ محمَّد ﷺ وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وإن ما تُوعدونَ لآتٍ وما أنتم بمعجزين(١).

٢٠١٢ ـ روى أبو سَلَمَةَ بنُ عبد الرحمن عن أبي سعيد الخُدريِّ، قال: بينما نحن عند النبيِّ ﷺ وهو يَقْسِمُ قَسْمَاً، أتاه ذو الخُوَيْصَرةِ، رجلٌ مِنْ بني تَميم، فقال لرسول الله ﷺ: اعدِلْ، قال: «**ويلَكَ! ومَنْ يَعدلُ إذا لم**

(١) البخاري (٦٠٨٩ و٧٢٧٧). وعبد الله هو ابن مسعود ﷺ.

أعدِلْ؟ قد خِبتُ وخسرتُ إذا لم أكن أعدِلُ». فقال عمرُ: يا رسولَ اللّه، ائذنْ لي أنْ أضرِبَ عُنقه، فقال له: «**دعْهُ، فإنَّ له أصحاباً يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَهُ مع صيامِهِم، يقرؤون القرآنَ لا يُجاوِزُ تراقِيَهم، يَمرُقون مِنَ الدِّينِ كما يَمرُق السهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ينظر إلى نصلِه فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثم ينظرُ إلى رُصافِه فلا يُوجدُ فيه شيء، ثم ينظرُ إلى نَضِيِّه، وهو قِدْحُه، فلا يُوجدُ فيه شيءٌ، ثم ينظرُ إلى قُذَذِه فلا يُوجدُ فيه شيء، قد سبقَ الفرثَ والدمَ، آيتُهم رجلٌ أسودُ إحدى عَضُدَيه مثلُ ثدي المرأةِ، أو مثلُ البَضْعَةِ تَدَردَرُ، يخرجون على حين فُرقةٍ مِنَ الناسِ»**. قال أبو سعيد: فأشهدُ أنِّي سمعتُ هذا الحديثَ مِنْ رسولِ الله ﷺ، وأشهدُ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ قاتلَهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجلِ فالتُمِسَ في القتلى، فأُتِيَ به حتى نظرتُ إليه على نعتِ النَّبيِّ ﷺ الذي نعتَه[1].

٢٠١٣ ـ وروى سُوَيدُ بنُ غَفَلَةَ، قال: قال عليُّ بنُ أبي طالب: إذا حدَّثتُكم عنْ رسولِ الله ﷺ فلأَنْ أخِرَّ مِنَ السماء إلى الأرضِ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أكذِبَ عليه، وإذا حدثتُكم فيما بيني وبينَكم، فإنَّ الحربَ خُدَعَةٌ، سمعت النبي ﷺ يقول: «**يأتي في آخرِ الزمانِ قومٌ، حُدَثاءُ الأسنانِ، سُفهاءُ الأحلامِ، يقولون مِنْ قولِ خيرِ البَرِيَّةِ، يمرُقون مِنَ الإسلامِ كما يمرُقُ السهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لا يُجاوزُ إيمانُهم حناجرَهم، فأينما لقيتُموهم فاقتُلوهم، فإنَّ قتلَهم أجرٌ لمن قتلَهم يومَ القِيامةِ**»[2].

٢٠١٤ ـ وقال خالدٌ الرَّبَعِيُّ: كان في بني إسرائيلَ شابٌّ قد قرأ الكتبَ،

---

(١) البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦). الرصاف: العقب الذي يكون فوق مدخل النصل في السهم، واحدها رصفة. والنضيُّ في السهم: هو ما بين الريش والنصل. والقدح: السهم قبل أن يُعمل فيه الريش والنصل قبل أن يُبرى. والقُذَذ: ريش السهم، واحدتها قُذَّة. والبضع: القطعة من اللحم. وتدردر: أي تتحرك وتذهب وتجيء. انظر جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٨٧ ـ ٨٨.

(٢) تقدم برقم (١٧٦٤).

وكان مغموراً فيهم، وأنَّه أرادَ المالَ والشَّرَفَ، فابتدعَ بِدْعَةً، حتى أدرك بها المالَ والشَّرفَ، فلم يزلْ كذلك حتى كثُرَ أتباعُه، فبينما هو على فراشِه، قال: لا يعلمُ الناسُ ما ابتدعتُ، أليسَ اللَّهُ تعالى يعلمُه، وإنِّي تبتُ إلى ربِّي، قال: فعمَدَ فخرقَ تَرقُوَتَه، فجعل فيها سِلسلةً، ثم أوثقَها إلى آسِيَةٍ[1] مِنْ أواسي المسجدِ، ثم قال: لا أُطلقُ نفسي حتَّى يُطلِقَني اللَّهُ، وكان لا يعدو بني إسرائيل أنْ يكونَ منهم مَنْ يُوحَى إليه، فأوحى الله إلى نبيٍّ مِنْ أنبيائِه، أنَّه لو كان ذنبُك فيما بيني وبينك لغفرتُ ذلك لك بالغاً ما بلغَ، ولكن كيف بمنْ أضللتَ مِنْ عبادي، فماتوا فدخلوا النارَ، فلا أتوبُ عليك.

٢٠١٥ - وروى عَمرو بنُ مُرَّةَ عن مجاهدٍ: لكلِّ عملٍ شِرَّةٌ، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فمن كانت فَترتُه إلى السُّنةِ فقد اهتدى، ومن كانت فَترتُه إلى غَيْرِ السُّنَّةِ فقد ضَلَّ[2].

٢٠١٦ - رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنِّي أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلِّي وأنام، فمنِ اتَّبع سُنَّتي فهو مني، ومَنْ رغِبَ عن سُنتي فليس مني**»[3].

٢٠١٧ - قال سُحنون: قال أبو حازم: لا يزالُ الدِّينُ متيناً ما لم تكنِ الأئمةُ على بِدعةٍ، فإذا كانتِ الأئمةُ على بِدعةٍ، فقد مَرَجَ الأمرُ.

٢٠١٨ - وقال ابنُ عباس: ما مِنْ عامٍ إلا وتظهرُ فيه بدعةٌ، وتموت فيه سُنةٌ.

٢٠١٩ - وقال الفُضيلُ بنُ عِياضٍ: مَنْ عظَّمَ صاحبَ بِدعةٍ، أعان على

---

(١) الآسية: السارية أو الأسطوانة.

(٢) وروي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. رواه أحمد ١٥٨/٢، وصححه ابن حبان (١١). والشِّرَّة: الحرص على الشيء والرغبة والنشاط.

(٣) رواه من حديث أنس بن مالك ﷺ البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

هدم الإسلام، ومن أحب صاحب بدعة فقد أحبطَ اللَّهُ عملَه، وأخرج نورَ الإيمانِ مِنْ قلبِه.

٢٠٢٠ ـ وقال يحيى بن معاذ: مصائبُ المؤمن في الدنيا ثلاثةٌ: صلاةٌ تفوتُه، وأخٌ في اللَّهِ يموتُ، وحَدَثٌ يَحدثُ في الإسلام.

٢٠٢١ ـ وكان أيوبُ السَّختيانيُّ يُسمِّي أهلَ البِدعِ كلَّهم خوارجَ، ويقول: إنهم اختلفوا في الاسمِ، واجتمعوا في العيبِ.

٢٠٢٢ ـ وأُتِيَ عُبَيْدُ الله بنُ زيادٍ بخارجيٍّ، فأمر بقتلِه، فقال له: إنْ رأيتَ أنْ تُؤَخِّرَ قتلي إلى غدٍ فافعلْ، فقال عُبيدُ الله بنُ زياد: وما تنتفعُ بهذا، وإنَّما هو بياضُ نهارٍ، وسوادُ ليلٍ، فأخَّره، فلمَّا ولَّى الخارجيُّ قال:

عسى فَرَجٌ يأتي بهِ اللَّهُ إنَّه ... له كلَّ يومٍ في خَلِيقَتِهِ أمْرُ

فسمعه عُبيد اللَّهِ فأمر بردِّه، فاستتابَه وكساه وخلَّى سبيلَه، فقال:

إذا ضَيَّقْتَ أمراً زادَ ضِيقاً ... فإنْ هَوَّنْتَ ما قد ضاقَ هانا
فلا تَجْزَعْ لأمرٍ ضاقَ بأساً ... فكم صَعْبٍ تَشَدَّدَ ثم لانا

٢٠٢٣ ـ ولبعضهم، وقيل إنه منصور:

مَهْمَا شَكَكْتَ فلا تَشُكَّ ... بِأَنَّ كُتْبَ الجاحِظِ
مِنْ شَرِّ ما يُمْلِي اللِّسانُ ... على الرَّقِيبِ الحافِظِ

* * *

١٤٠ ـ ما جاء في الفِتَنِ

٢٠٢٤ ـ روى الزُّهريُّ عن سعيدِ بنِ المسَيِّبِ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «**يتقاربُ الزمانُ، وينقُصُ العَمَلُ، ويُلقَى الشُّحُّ، وتظهرُ**

الفِتَنُ، ويكثُرُ الهرجُ». قيل: يا رسول اللَّه، وما الهَرْجُ؟ قال: «**القتلُ القتلُ**»[١].

٢٠٢٥ - ورُوِيَ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**لَيَأْتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ خيرُ مالِ المسلمِ الغنَمُ، يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبالِ ومواقعَ القطرِ، يفِرُّ بدينِه مِنَ الفِتَنِ**»[٢].

٢٠٢٦ - ورُوِيَ عن زينبَ بنتِ جحشٍ: استيقظَ النبيُّ ﷺ مِنَ النوم مُحْمَرّاً وجهُه يقول: «**لا إله إلا اللَّه، ويلٌ للعربِ مِن شرٍّ قدِ اقتربَ، فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومَأجوجَ مِثلُ هذا**»، وعقدَ تسعين أو مائةً، قيل: أَنَهلكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثُرَ الخَبَثُ**»[٣].

٢٠٢٧ - وروى أسامةُ بنُ زيدٍ، قال: أشرف النبيُّ ﷺ على أُطُمٍ مِنْ آطامِ المدينة، فقال: «**هل ترونَ ما أرى**»؟ قالوا: لا. قال: «**فإنّي لأرَى الفِتَنَ تقعُ خِلالَ بُيوتِكم كمواقعِ القَطْرِ**»[٤].

٢٠٢٨ - ورُوِيَ عن أمِّ سَلَمَةَ: استيقظَ النبيُّ ﷺ ليلةً فزِعاً، يقول: «**سبحان اللَّه! ماذا أنزلَ الله تعالى مِنَ الخزائنِ، وماذا أنزلَ مِنَ الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَواحِبَ الحُجَرِ**»؟ يريد أزواجَه لكي يُصلِّينَ. «**رُبَّ كاسِيَةٍ في الدنيا عارِيَةٍ في الآخرةِ**»[٥].

٢٠٢٩ - وروى كُرْزُ بنُ عَلْقَمَةَ الخُزاعِيُّ أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ اللَّه، هل للإسلام مُنتهى؟ قال: «**نعم. ما أهلُ بيتٍ مِنَ العربِ أو العجم أرادَ اللَّهُ بهم خيراً إلا أدخلَ عليهم الإسلام**». قال: ثم مَهْ؟ قال: «**ثم تقعُ الفِتَنُ كأنَّها**

---

(١) البخاري (٧٠٦١)، ومسلم ٢٠٥٧/٤ رقم (١٥٧).
(٢) البخاري (١٩). وشعف الجبال: رؤوس الجبال.
(٣) البخاري (٣٣٤٦، و٧٠٩٥)، ومسلم (٢٨٨٠).
(٤) البخاري (١٨٧٨)، ومسلم (٢٨٨٥). والأطم: البناء المرتفع.
(٥) البخاري (١١٥).

الظُّلَلُ». قال الرجل: كلا والله إنْ شاءَ اللَّه. قال: «**بلى، والذي نفسي بيدِه، لتَرْجِعُنَّ فيها أساوِدَ صَبا يضربُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ**». ثم قال الزُّهريُّ: الأسودُ لا ينهَسُ حتَّى يرفعَ رأسَه[(١)].

٢٠٣٠ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فِتَنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ مِنَ القائم، والقائمُ خيرٌ مِنَ الماشي، والماشي خيرٌ مِنَ السَّاعي. مَنْ تَشَرَّفَ لها تَسْتَشْرِفْه، فمنْ وجدَ مَلْجَأً أو معاذاً فلْيَعُذْ به**»[(٢)].

٢٠٣١ ـ قال حُذيفةُ: كان الناسُ يسألون رسولَ اللَّهِ ﷺ عنِ الخيْرِ، وكنت أسألُه عن الشرِّ مخافةَ أنْ يُدرِكَني، فقلت: يا رسولَ اللَّه، إنا كنَّا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا الله تعالى بهذا الخيْرِ، فهل بعدَ هذا الخيْرِ مِنْ شرٍّ؟ قال: «**نعم**». قلت: وهل بعد ذاك الشَّرِّ مِنْ خيْرٍ؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَنٌ**». قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «**قومٌ يهدُون بغيْرِ هدْيي، تعرف منهم وتنكر**». قلت: فهل بعد ذلك الخيْرِ مِنْ شرٍّ؟ قال: «**نعم، دُعاةٌ على أبواب جهنَّمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها**». قلت: يا رسول اللَّه، صِفْهم لنا، قال: «**هم مِنْ جِلدتِنا، ويتكلَّمون بألسنتِنا**». قال: فما تأمُرني إنْ أدركَني ذلك؟ قال: «**تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهم**». قلت: فإنْ لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «**فاعتزلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك**»[(٣)].

٢٠٣٢ ـ ورُوِيَ عن حُذيفةَ أنه قال: لَيَأْتِيَنَّ على الناس زمانٌ لا ينجو فيه إلا مَنْ دعا بدعاءِ الغَرق[(٤)].

---

(١) رواه أحمد ٤٧٧/٣، وصححه ابن حبان (٥٩٥٦)، والحاكم ٣٤/١. و«أساود صبا»: حيات مصبوبة على الناس من السماء، أو هي حيات ترتفع لتنهش الناس.

(٢) البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٣) البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٢/٦ و٤٥١/٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٧٤/١.

٢٠٣٣ ـ ورُوِيَ عن حُذيفةَ: **«تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ، فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكِتَتْ فيه نُكْتَةٌ بيضاءُ. فمنْ أحبَّ منكم أنْ يعلمَ أصابَته فِتنةٌ أم لا، فلينظُرْ هل يرى شيئاً حلالاً كان يراه حراماً، أو يرى شيئاً حراماً كان يراه حلالا»**(١).

٢٠٣٤ ـ وسُئِلَ حُذيفةُ عن الفِتنةِ، فقال: حقٌّ وباطلٌ يَشتبهان، فمَنْ عرفَ الحقَّ لم تضُرَّه الفتنةُ.

٢٠٣٥ ـ ورُوِيَ عن عَدِيِّ بنِ عَدِيٍّ الكِنديِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ستكون أمورٌ وفِتَنٌ، فَمَنْ شهدَها وكرِهَها كان كمَنْ غابَ عنها، ومنْ غابَ عنها فرضِيَها كان كمَنْ شَهِدَها»**(٢).

٢٠٣٦ ـ وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ: هذه فِتَنٌ قد أقبلتْ كقِطَعِ الليلِ المظلمِ، كلَّما ذهب رِسْلٌ جاء رِسْلٌ، يُصبحُ الرجلُ مؤمناً ويُمسي كافراً، يبيعُ فيها أقوامٌ دينَهم بِعَرَضٍ مِنَ الدنيا قليل، فقيل: ما المخرجُ منها، فقال: والله ما لي ولكم مَخرجٌ منها إلا أنْ نخرجَ منها كيومَ دخلنا كالذي عهِدَ إلينا نبيُّنا ﷺ.

٢٠٣٧ ـ وقال حُذيفةُ: بينَا نحن جلوسٌ عندَ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ إذ قال: أيُّكم يحفظُ عنِ النبيِّ ﷺ في الفِتنةِ؟ قال: فتنةُ الرجلِ في أهلِه ومالِه وولدِه وجارِه، تكفِّرُها الصلاةُ والصدقةُ، والأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر. قال: ليس عن هذا أسألُك، ولكن التي تَموجُ كموج البحرِ. قال: ليس عليك منها بأسٌ يا أميرَ المؤمنين، إنَّ بينَك وبينها باباً مُغلقاً، قال عمرُ: أيُكْسَرُ البابُ أم يُفتَحُ؟ قال: بل يُكْسَرُ، فقال عمر: إذاً لا يُغْلَقُ أبداً، قلت: أجلْ، قلنا لحذيفةَ: أكان عمرُ يعلمُ البابَ؟ قال: نعم، كما أعلمُ أنَّ

(١) حديث مرفوع، رواه مسلم (١٤٤).

(٢) حديث حسن. رواه أبو داود (٤٣٤٦). ورواه أيضاً (٤٣٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير ١٣٩/١٧ رقم (١٤٥) من حديث عدي بن عدي عن العرس بن عَميرة.

دُونَ غدٍ ليلةً، وذلك أنّي حدَّثته حديثاً ليس بالأغاليطِ، فهِبْنا أنْ نسألَه مَنِ البابُ، فأمرنا مسروقاً فسأله، فقال: مَنِ البابُ، قال: عمر(١).

٢٠٣٨ ـ وروى عبدُ الرحمن بنُ أبي بَكْرَةَ عن أبيه: أنَّ رسولَ الله ﷺ خطبَ الناسَ في حَجَّةِ الوَداعِ، فقال: «**ألا تدرون أيَّ يومٍ هذا**»؟ قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ، قال: فسكت حتى ظنَنَّا أنه سيُسمِّيه بغيْرِ اسمِه، فقال: «**أليسَ بيوم النَّحرِ**» قلنا: بلى يا رسولَ اللَّه، قال: «**أتدرون أيَّ بلدٍ هذا؟ أليستْ بالبلَدةِ؟**» قلنا: بلى يا رسولَ اللَّه، قال: «**فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم وأبشارَكم عليكم حرامٌ، كحُرْمَةِ يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا، ألا هل بلَّغتُ؟**» قلنا: نعم، قال: «**اللَّهُمَّ فاشهدْ، فليُبَلِّغ الشاهدُ الغائبَ؛ فإنَّه رُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى مِنْ سامعٍ، لا ترجِعُوا بعدي كفاراً يضرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ**». قال: فلمَّا كانَ يومُ حُرِقَ ابنُ الحضرميِّ، حرقه جاريةُ بنُ قُدامةَ، قال: أَشْرِفُوا على أبي بَكْرَةَ، قالوا: هذا أبو بكرةَ يراك، قال أبو بكرة: لو دخلوا عليَّ ما نهشتُ بقَصَبَةٍ(٢).

٢٠٣٩ ـ وقال بعضُ الحكماء: شَرُّ قتيلٍ في الإسلامِ قتيلٌ يُقتَلُ بين يديْ مَلِكين يُريدان الدنيا(٣).

٢٠٤٠ ـ وكان يُقالُ: ما ابتَلَى الله تبارك وتعالى قوماً بفِتنةٍ إلا سلبَهم عُقولَهم، فإذا أرادوا رفْعَ الفِتنةِ عنهم ردَّ عليهم عُقولهم، ليعرِفُوا قَبيحَ ما كانوا فيه.

٢٠٤١ ـ وروى الحارثُ بنُ سُوَيْدٍ عن عليِّ بن أبي طالب كرَّم الله

---

(١) البخاري (٥٢٥ و٧٠٩٦)، ومسلم (١٤٤).

(٢) البخاري (٧٠٧٨)، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) وروي مرفوعاً من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، رواه الطبراني في المعجم الأوسط، كما في مجمع الزوائد ٢٩٢/٧. قال الهيثمي: وفيه عبد الأول أبو نعيم (أحد رواته) ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وجهَه، قال: ينقُصُ الإسلامُ، حتَّى لا يُقال: الله الله، فإذا فُعِلَ ذلك ضربَ يعسوبُ الدينِ بذَنَبِه، فإذا فُعِلَ ذلك بعثَ الله قوماً يَجتمعون كما يَجتمع قَزَعُ الخريفِ. والذي نفسي بيده، إنِّي لأعرِفُ اسمَ أميرِهم ومُناخَ رِكابِهم[١].

٢٠٤٢ - ورُوِيَ عن عبدِ اللَّه بن مسعود أنه قال: إنَّ على أبوابِ السلاطين فِتَناً كمَبَارِكِ الإبِلِ. والذي نفسي بيدِه، لا تُصيبون مِنْ دنياهم شيئاً إلا أصابوا مِنْ دنياكم مِثْلَه[٢].

٢٠٤٣ - وقال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: جَمْعُ المال وغِشيانُ السَّلاطين لا يُبقيان مِنْ حسناتِ المرءِ إلا ما يُبقي ذئبان جائعان ضاريان سَقطا في حَظَارٍ[٣] فيه غنمٌ، فباتا يَحرُسان حتى أصبحا.

٢٠٤٤ - وقال سفيانُ الثوريُّ: كان خِيارُ الناسِ وأشرافُهم الذين يقومون إلى هؤلاء الأمراءِ، فيأمرونَهم وينهونَهم، وكان آخرون يَلزمون بُيوتَهم، فكانوا لا يُنتفَعُ بهم، ولا يذكرون، ثم بقِينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمرونَهم شرارُ الناس، والذين لزموا بيوتَهم خيارُ الناس.

٢٠٤٥ - وقال قتادةُ: العلماءُ كالملحِ؛ إذا فسدَ شيءٌ صَلُحَ بالملحِ، وإذا فسدَ الملحُ لم يَصْلُحْ بشيءٍ.

٢٠٤٦ - وقال محمد بن سُحنون: كان لبعضِ أهلِ العلمِ أخٌ يأتي القاضيَ والواليَ بالليلِ يسلمُ عليهما، فبلغه ذلك، فكتب إليه: أما بعدُ، فإنَّ الذي يراك بالليلِ يراك بالنهارِ، وهذا آخرُ كتابٍ أكتبُه إليك. قال محمد: فعرضتُه على سُحنون، فأعجبَه، وقال: ما أسْمَجَه بالعالمِ أنْ يُؤتَى إلى مجلسِه، فلا يُوجَدُ فيه، فيقال: إنه عندَ الأمير.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٥٢/٧، وأحمد في فضائل الصحابة ٦٦٠/٢ رقم (١١٢٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف ٣١٧/١١.

(٣) الحظار: ما يعمل للإبل والغنم ليقيها البَرد والريح.

٢٠٤٧ ـ وقال سحنون: إذا أتى الرجلُ مجلسَ القاضي ثلاثةَ أيامٍ متواليةٍ بلا حاجةٍ، فينبغي أن لا تُقبلَ شهادتُه.

٢٠٤٨ ـ وروى عمرُ ﷺ أنه قال: قد علمتُ متى يهلِكُ الناسُ؛ إذا جاء الفقهُ مِنْ قِبَلِ الصغيرِ، واستعصى عليه الكبيرُ، وإذا جاء الفِقهُ مِنْ قِبَلِ الكبير تابعه الصغيرُ فاهتديا.

٢٠٤٩ ـ وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ: لا يزالُ الناسُ بخيْرٍ ما أخذوا العلم عن أكابرِهم، فإذا أخذوه عن صغارِهم وشِرارِهم هلكوا.

٢٠٥٠ ـ رُوِيَ عن عبدِ اللَّه بن المبارك ﷺ قال: الأصاغِرُ هم أهلُ البِدَعِ.

٢٠٥١ ـ ويُحتملُ عندي أنْ يكونَ معنى الأصاغرِ مَنْ لا عِلْمَ عندَه، فقد كان عمرُ بنُ الخطاب ﷺ يستشيرُ الصِّغارَ، وقد كان القُرَّاءُ أصحابَ مشاورتِه، كهولاً كانوا أو شُبَّاناً.

ويحتملُ أنْ يريدَ بالأصاغرِ مَنْ لا قَدْر له ولا حال، ولا يكون ذلك إلا بنبذِ الدينِ والمروءةِ، فأمَّا مَنِ التزمَهما، فلا بدَّ أن يسمُوَ أمرُه، ويَعْظُمَ حالُه.

٢٠٥٢ ـ وقد رُوِيَ عن مكحولٍ أنه قال: تفقُّهُ الرِّعاعِ فسادُ الدنيا، وتفقُّهُ السِّفْلَةِ فسادُ الدينِ.

٢٠٥٣ ـ وقال الفَريابِيُّ: كان سفيانُ الثوريُّ ﷺ إذا رأى هؤلاء النَّبَطَ يكتُبون العلمَ يتغيَّرُ وجهُه، فقلت له: يا أبا عبد اللَّه، أراك إذا رأيتَ هؤلاء يكتُبون العلمَ يشتدُّ عليك، فقال: كان العلمُ في العربِ وسادةِ الناس، فإذا خرج عنهم وصار إلى هؤلاءِ، يعني النَّبَطَ والسِّفْلَةِ، غُيِّرَ الدينُ.

٢٠٥٤ ـ وقال سفيانُ: كانوا يتعوَّذونَ بالله مِنْ شَرِّ فتنةِ العالِمِ، ومِنْ شرِّ فتنةِ العابدِ الجاهلِ؛ فإنَّ فتنَتَهما فتنةٌ لكلِّ مفتونٍ.

❋ ❋ ❋

١٤١ ـ ما جاء في فساد الزمان

٢٠٥٥ ـ قال الزُّبيْرِ بنِ عديٍّ: أتينا أنسَ بنَ مالك، فشكوْنا إليه، فقال: اصبِروا؛ «**فإنَّه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعدَه شرٌ منه، حتى تلقَوْا ربَّكم**»، سمعتُه مِنْ نبيِّكُم ﷺ[١].

٢٠٥٦ ـ ورُوِيَ عن أنسٍ أنه قال: **لا يزدادُ الأمرُ إلا شِدَّةً، ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا الناسُ إلا شُحّاً، ولا تقومُ الساعةُ إلا على شِرارِ الناسِ**[٢].

٢٠٥٧ ـ وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: سيأتي على الناسِ زمانٌ لا يَبقى مِنَ الإسلام إلا اسمُه، ومِنَ القرآنِ إلا رسمُه، مساجدُهم يومئذٍ عامرةٌ وهي خرابٌ مِنَ الهدى، علماؤُهم شَرٌّ مَنْ تحتَ أديمِ السماءِ، منهم خرجتِ الفتنةُ، وفيهم تعودُ.

٢٠٥٨ ـ وقال أبو هريرةَ: والذي نفسي بيدِهِ، ليأتِيَنَّ على الناس زمانٌ يكون الموتُ أحبَّ إلى العلماءِ مِنَ الذهبِ الأحمرِ، حتى يأتِيَ الرجلُ إلى قبْرِ أخيه، فيقول: يا ليتني مكانَه[٣].

٢٠٥٩ ـ وبكى فُضيلُ بنُ عِياضٍ يوماً بكاءً شديداً، فقيل له: يا أبا عليٍّ، ما هذا البكاءُ؟ فقال: ولِمَ لا أبكي؟ ولو رُفِعَتِ الكعبةُ بيْن أظهُرِنا ما بكى منَّا أحدٌ، هذه سُنَّةُ اللَّهِ وسُنَّةُ رسولِه قد رُفِعَتْ.

٢٠٦٠ ـ قال أبو حازم: كان العلماء فيما مضى مِنَ الزمان إذا لقي العالِمُ مَنْ هو فوقَه مِنَ العلماءِ كانت غنيمتُه أنْ يتعلمَ منه، وإذا لقي مَنْ هو

---

(١) البخاري (٧٠٦٨).

(٢) هو حديث مرفوع، رواه ابن ماجه (٤٠٣٩)، والحاكم في المستدرك ٤/٤٤١. وله شواهد: منها عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩/٣٥٧ رقم (٨٣٥)، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/١٤. وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه رواه الطبراني ٨/١٨٢ رقم (٧٧٥٧)، وصححه الحاكم.

(٣) انظر: صحيح البخاري (٧١١٥)، وصحيح مسلم ٤/٢٢٣١ رقم (٥٣).

مثلُه ذاكَرَه، وإذا لقي مَنْ هو دُونَه لم يَزْه عليه. حتى كان هذا الزمانُ، فصار العالِمُ يعيبُ مَنْ فوقَه ابتغاءَ أن ينقطعَ عنه حتى يري الناس أنَّ به حاجةً إليه، ولا يُذاكِرُ مَنْ هو مِثلُه، ويَزهى على مَنْ هو دُونَه، فيهلك الناس.

٢٠٦١ ـ وأنشدوا في فساد الزمان:

لَعَمْرُكَ ما يَدري الفَتَى كيف يَتَّقِي نَـوائِبَ هـذا الـدَّهْرِ أمْ كيف يَـحْـذَرُ
تَـرى الـشَّـيْءَ مِـمَّـا يَـتَّـقِـي فَـتـخَـافـه ومـا لا يَـرى مِـمَّـا يَـقِـي الـلَّـهُ أكْـثَـرُ

* * *

١٤٢ ـ ما جاء في العُزلة والخَلْوَة

٢٠٦٢ ـ روى حُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمن عن سالم بنِ أبي الجعدِ أنَّ عمرَ استعملَ النعمانَ بنَ مُقَرِّن على كَسْكَرَ، فكتب إليه يُناشدُه اللَّهَ إلا نَزَعَه مِنْ كَسْكَرَ، وبعثه في جيشٍ مِنْ جيوشِ المسلمين، فإنَّما مَثَلُهُ ومَثَلُ كَسْكَرَ كمَثَلِ مُومِسَةٍ تَزَيَّنُ له كلَّ يومٍ. فنَزَعه وبعثه إلى نَهاوَنْدَ[١].

٢٠٦٣ ـ وخرج عُروةُ بنُ الزُّبيْرِ مِنَ المدينةِ، فنَزل المضيقَ، فأتَوْه فقال لهم: فررتُ منكم، قالوا: لِمَ؟ قال: رأيتُ مجالسَكم لاغِيةً، وأسواقَكم لاهيةً، والفواحشَ في حواشِيكم ظاهرةً، فتخوَّفتُ أنْ يَحُلَّ بكم بلاءٌ فيصيبني معكم، ففررت منكم.

٢٠٦٤ ـ وخرج سفيانُ الثوريُّ إلى الباديةِ، إلى أبي حبيبٍ البدويِّ مُسَلِّماً عليه، فرآه وهو يصلي، فلما فطِنَ به، خفَّفَ صلاتَه، ثم التفتَ إليه، فقال: مَنْ أنتَ؟ قال: سفيانُ الثوريُّ، قال: أنت الذي يقول أهلُ هذه القرية: إنك خيْرهم؟ فقال سفيان: نعم، ونسألُ اللَّهَ بركةَ ما يقولون، ثم قال له: يا سفيانُ، إنَّ مَنْعَ الله كلَّه عطاءٌ؛ لأنه لا يَمنع مِنْ بُخلٍ، ولكن

(١) سيكرره المصنف برقم (٣٢٣٢).

نظراً واختباراً، ثم التفت إلى سفيانَ، فقال: يا سفيانُ إنَّ حديثَك لطَيِّبٌ، وإنَّ في الصلاةِ لشُغلاً عن حديثِك، ثم كبَّرَ للصلاةِ، ورجع الثوريُّ إلى الكوفة.

٢٠٦٥ ـ وقيل للجُنيدِ: بِما ينال العبدُ سلامةَ قلبِه؟ قال: بالعزلة والصَّمتِ، وتَرْكِ استماعِ خوضِ الناسِ، وأنْ لا يعقِدَ قلبَه على ذنبٍ ولا حِقدٍ.

٢٠٦٦ ـ وقال بعض الحكماء: لا يتمكن أحدٌ مِنَ الخَلوةِ إلا بالتمسُّك بكتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، والمتمسكون بكتاب الله تبارك اسمُه هم الذين استراحوا مِنَ الدنيا.

٢٠٦٧ ـ وقال محمد بن الحسين: أتى رجلٌ بعضَ العُبَّادِ، فقال ما حاجتُك؟ قال: جئتُ أكون معك، قال: يا أخي، إنَّ العبادةَ لا تكون بالشركةِ، إنه مَنْ لم يأنَسْ باللهِ لم يأنَسْ بشيءٍ.

٢٠٦٨ ـ وقال ابنُ المبارك: سمعتُ وُهَيْبَ بنَ الوردِ يقول: جرَّبتُ أهلَ الدنيا منذ خمسين سنةٍ، فما وجدتُ أحداً غفرَ لي ذنباً فيما بيني وبينَه، ولا سترَ عليَّ عورةً، ولا وصَلَني إنْ قطعتُه، ولا أمِنْتُه إنْ غضب. فالاشتغال بهؤلاء حُمْقٌ كبير، فانقَطِعْ إلى مَنْ يغفِرُ لك سريرَتك وعلانِيَتَك، ولا يَمقُتُك بذلك.

٢٠٦٩ ـ وقال مكحولٌ الدمشقيُّ: إنْ كان في مُجالسةِ الناسِ خيْرٌ، فالعزلَةُ أسلمُ.

٢٠٧٠ ـ وكان سفيان الثوري يقول: هذا زمان السكوت، وملازمة البيوت.

٢٠٧١ ـ وقال الزُّبَيْرُ بنُ العوام ﷺ: لا ينْبُلُ الرجلُ حتى يلزمَ بيتَه.

٢٠٧٢ ـ ورُوِيَ عن أبي موسى الأشعريِّ أنه قال: جليسُ الصِّدْقِ خَيْرٌ

مِنَ الوَحدةِ، والوَحدةُ خَيْرٌ مِنْ جليسِ السُّوءِ، ومَثَلُ جليسِ الصِّدقِ كمَثَلِ العطارِ؛ إنْ لِمْ يُحْذِكَ مِنْ طِيبِه يَعبقك مِنْ ريحِه، ومَثَلُ جليسِ السُّوءِ كالقَيْنِ؛ إنْ لم تَحْرِقك نارُه نالك شَرارُه.

٢٠٧٣ ـ وقال حمَّادُ بن واقدِ الصَّفَّارُ: جئتُ إلى مالكِ بنِ دينار وهو قاعدٌ وحدَه، وإذا كلبٌ قد وضع حَنَكَه على رُكبتيه، فذهبت أطرُدُه، فقال: دعه؛ هذا لا يضُرُّ ولا يُؤذي، فهو خَيْرٌ مِنْ جليسِ السُّوءِ.

٢٠٧٤ ـ وذُكِرَ أنَّ الفُضيلَ بنَ عِياضٍ كان جالساً في المسجد الحرام وحدَه، فنظر إليه أخٌ له فقام إليه، فقال: ما حاجتُك؟ فقال: المؤانسةُ يا أبا عليٍّ، فقال: هي واللّهِ بالمواحشَةِ أشبه، هل تريدُ إلا أنْ تتزَيَّنَ لي وأتزين لك، وتكذب عليَّ وأكذب عليك. إمَّا أن تقومَ عنِّي، وإمَّا أنْ أقومَ عنك.

٢٠٧٥ ـ وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: قال لي سفيانُ الثوريُّ، في اليَقَظَةِ والمنامِ جميعاً، في حياتِه وبعد مَماتِه: أَقِلَّ مِنْ معرفةِ الناسِ؛ فإنَّ التَّخَلُّصَ منهم شَديدٌ، ولا أحسِبُ رأيتَ ما تكرهُ إلا مِمَّن عرفتَ.

٢٠٧٦ ـ ولما قدِمَ ابنُ المباركِ المَصِّيصةَ، سأل عن محمدِ بنِ يوسف فلم يُعْرَفْ، فقال: مِنْ فضلِه لا يُعرفُ.

٢٠٧٧ ـ وقيل: إنَّ الحسنَ أراد الحجَّ، فقال له ثابتٌ البُنانِيُّ: بلغني أنك تريدُ الحجَّ، وأحببتُ أنْ نصطَحِبَ، فقال له الحسنُ: ويحَكَ! دعنا نتعاشرُ بسَتْرِ اللّهِ عزَّ وجلَّ، إنِّي أخافُ أنْ نصطحبَ فيرى بعضُنا مِنْ بعضٍ ما نتماقتُ عليه.

٢٠٧٨ ـ وقال الفُضيلُ بنُ عِياضٍ: فِرَّ في آخرِ الزمانِ مِنَ الناس كفرارِك مِنَ الأسدِ، غيْرَ تاركٍ للجماعةِ.

٢٠٧٩ ـ وقال: احذروا الناسَ؛ فإنَّهم داءٌ ليس له دواءٌ.

٢٠٨٠ ـ وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق.

٢٠٨١ ـ وقال يوسفُ بنُ أسباط: سمعت الثوريَّ يقول: واللهِ الذي لا إله إلا هو لقد حلَّتِ العزلةُ.

٢٠٨٢ ـ وقيل لغزوانَ الرَّقاشيِّ: هَبْكَ لا تضحكُ، فما يمنعُك مِنْ مُجالسةِ إخوانِك؟ فقال: إنِّي أصبتُ راحةَ قلبي في مُجالسة مَنْ عندَه حاجتي.

٢٠٨٣ ـ وقيل للحسنِ: يا أبا سعيد، إنَّ ههنا رجلاً لم نَرَهُ قطُّ إلا وحدَه خلفَ ساريةٍ، فقال الحسن: إذا رأيتموه فأخبِروني. فنظروا إليه ذاتَ يومٍ، فقالوا للحسن: هذا الرجلُ الذي أخبرناك به، فقام إليه الحسن، وقال: يا عبدَ اللَّه، أراك قد حُبِّبَتْ إليك العزلةُ، فما يمنعُك مِنْ مُجالسةِ الناس؟ قال: أمرٌ شغلني عنِ الناسِ، قال: فما يمنعُك أنْ تأتِيَ هذا الرجلَ الذي يُقال له الحسنُ، فتجلس إليه، قال: أمرٌ شغلني عنِ الناس وعن الحسن، فقال له الحسن: وما ذلك الشغلُ يرحمُك اللَّه؟ قال: إنِّي أُصبحُ وأمسي بيْن نعمة وذنبٍ، فرأيتُ أنْ أُشغِلَ نفسي عنِ الناسِ بشكرِ الله على النعمةِ، والاستغفارِ مِنَ الذنبِ، فقال له الحسن: أنت يا عبدَ الله أفقهُ عندي مِنَ الحسن، فالزَمْ ما أنت عليه.

٢٠٨٤ ـ وقال حاتِمٌ الأصَمُّ: أنزِلِ الناسَ عندك بمنْزلةِ النارِ، لا تدنو منها إلا عندَ الحاجةِ إليها، مُقتبساً على حَذَرٍ منْ بعيد.

٢٠٨٥ ـ وقال أبو الدَّرداءِ: اتقوا اللَّهَ واحذروا الناسَ؛ فإنَّهم ما ركبوا ظهرَ بعيرٍ إلا أدبَروه، ولا ظهرَ جوادٍ إلا عقرُوه، ولا قلبَ مُؤمنٍ إلا خرَّبوه.

٢٠٨٦ ـ وقال الرَّبيع بنُ خُثَيْمٍ: تفقَّهُوا ثم اعتزلوا وتعبَّدُوا.

٢٠٨٧ ـ وكان عمر بنُ ذَرٍّ لا يخرج مِنْ منْزِله إلا لثلاثٍ: لصلاةٍ في جماعة، أو عيادةِ مريضٍ، أو حضورِ جنازةٍ. وكان قد انحنى من العبادةِ

٢٠٨٨ ـ وقيل لإبراهيمَ بنِ أدهمَ: ما تقولُ في الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر؟ فقال: ما لكم وللاختلاطِ بأهل الدنيا، فيجب عليكم ذلك؟ دعوا الدنيا لأهلها.

٢٠٨٩ ـ وقال وُهَيْبُ بنُ الوردِ: قال رجل لوَهْب بنِ مُنَبِّهٍ: إنَّ الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه، وما حدَّثتُ نفسي إلا أنْ لا أخالِطَهم، فقال وهبٌ: لا تفعلْ؛ فإنَّه لا بدَّ للناسِ منك، ولا بدَّ لك منهم، لهم إليك حوائِجُ، ولك إليهم حوائِجُ، ولكن كن فيهم أصمَّ سميعاً، أعمى بصيراً، سَكوتاً ناطقاً.

٢٠٩٠ ـ وقال مالك بن دينار: دخلتُ بعضَ المواضع، فإذا أنا بصوتٍ لا أرى شخصَه، وهو يقول: يا مَن آنسني بذكرِه، وأوحشني مِنْ خلقِه، وكان لي عند شِدَّتي، ارحمِ اليومَ غُربتي. يا عظيمَ الصَّنيعةِ إلى أوليائه، اجعلني اليومَ مِنْ أوليائِك المتقين. قال مالك: فانبعث الصوتَ حتى وقفتُ على فتىً، فلمَّا رآني قال: منكم فررتُ، فقلت: يرحمك اللَّهُ، دُلَّنِي على الطريقِ، فأومأ بيده إلى السماءِ، وقال: عليك بالدليلِ.

٢٠٩١ ـ وأنشدوا في الوحدة:

ارْضَ بـالـلـهِ صـاحِـبَـا ... ودَعِ الـنَّـاسَ جـانِـبَـا
قَـلِّـبِ الـنَّـاسَ كـيـفَ شِـئْـتَ ... تَـجِـدْهُـمْ عَـقـارِبَـا

٢٠٩٢ ـ وأنشدوا:

طِـبْ عَـنِ الأُمَّـةِ نَـفْـسَـا ... وارْضَ بـالـوَحْـدَةِ أُنْـسَـا
جـانِـبِ الـنَّـاسَ تُـعـافَـى ... ثُـمَّ كُـنْ لـلـبَـيْـتِ حِـلْـسَـا

٢٠٩٣ ـ وقيل للعتابي: من تجالس اليوم؟ قال: من أبصق في وجهه ولا يغضب، قيل له: ومن ذلك؟ قال: الحائط.

٢٠٩٤ ـ ولابن المعتز:

رأيت حياة المرء تُرخِصُ قدْرَه وإن مات أغلتْه المنايا الطوائحُ
كما يخلقُ الثوبَ الجديدَ ابتذالُه كذا تخلق المرء العيون اللوامحُ

٢٠٩٥ - ولمنصور الفقيه:

الناس بحرٌ عميق والبعد منهم سفينهْ
وقد نصحتُك فانظر لنفسك المسكينهْ

٢٠٩٦ - وأنشد أبو سليمان الخطَّابِيُّ، ويقال إنَّها لثعلب:

ألا حَبَّذَا عَيْشُ الخُمُولِ وحَبَّذَا مَقِيلي في أفيائِهِ ورُقادِي
خُمولٌ وأَمْنٌ طارَ مَثْوايَ فيهما وقد جَهِلَ الحُسَّادُ لِينَ مِهادي
هَلِ العَيْشُ إلا اليَأسُ والصَّبْرُ والتُّقَى وعِلْمٌ إلى خَيْرِ العَواقِبِ هادِي

* * *

١٤٣ - اشتغالُ المرءِ بعيبِ نفسِه

٢٠٩٧ - روُيَ أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يا عَبيدَ الدنيا، خِفتم ربَّكم على الناس في ذُنوبِهم، وأَمِنتُموه على أنفسِكم، كيف يُبغضُ أحدُكم أخاه على الظَّنِّ، ويدعُ نفسَه على اليقين ولا يَمقُتُها؟ أم كيف يغضبُ أحدُكم إذا ذُكِرَ له بعضُ ذُنوبه ويفرح إذا مُدِحَ بما ليس فيه.

٢٠٩٨ - وقال الحسنُ: ابنَ آدمَ، ترى القذاةَ في عيْنِ أخيك، وتدعُ الجِذْلَ[1] المعترِضَ في عينك لا تراه.

٢٠٩٩ - وقال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: طُوبى لمن شُغِلَ بالنظرِ في عيبِ نفسِه عنِ النظرِ في عُيوبِ غيْرِه، طُوبى لمن تواضع للهِ خشيةً، وجالسَ أهل الذُّلِّ والمسكنةِ، وتصدَّق مِنْ مالٍ جمعَه مِنْ غيْرِ معصيةٍ، ووسِعَتْهُ السُّنَّةُ ولم يتعدَّها إلى البِدعةِ.

---

(١) الجذل: أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع، أو ما عظم من أصول الشجر.

٢١٠٠ ـ وقيل: أربع خصالٍ تَشينُ العالِمَ: ذَمُّه الناسَ، وحَمدُه نفسَه، ومنعُه العلمَ مَنْ سأله، وتركُه العملَ بعلمِه.

٢١٠١ ـ وقال بعضُ الحكماء[١]: لا تَتَّبِعُوا عوراتِ المسلمينَ؛ فإنَّه مَنْ تَتَبَّعَ عورةَ أخيه المسلمِ يتبع الله عورتَه ويفضحه.

٢١٠٢ ـ وقالت رابعةُ: إنَّ العبدَ إذا ذاق مَحبةَ اللَّهِ أطلعه اللَّهُ على مساوِئِ عملِه، فيشغله عن مساوئِ الناس.

٢١٠٣ ـ وأنشدوا:

المرءُ إنْ كان عاقِلاً ورِعَاً ... يَشْغَلُهُ عنْ عُيُوبِنَا وَرَعُهْ
كما السَّقيم العليل يَشغَلُه ... عن وجَعِ النَّاسِ كلِّهم وَجَعُهْ

٢١٠٤ ـ وأخبرني أبو القاسم الدِّمْثائي، قال: ذُكِرَ عند الربيعِ بنِ خُثَيمٍ رجلٌ، فقال: ما أنا براضٍ نفسي فأتفرغ مِنَ النظر في ذنبها إلى ذنوب الناس، إنَّ الناس خافوا اللَّهَ عزَّ وجلَّ على ذنوب العباد، وأمِنوه على ذنوبِهم.

٢١٠٥ ـ وقال بِشْرُ بنُ الحارث: نظري في عيبي شغلني عن عيوب الناسِ، وبُكائي على ذنوبي شغلني عن أكل الطَّيباتِ.

٢١٠٦ ـ وأنشدوا:

ابدأ بنفسِكَ فانْهَهَا عنْ غِيِّها ... فإذا انتهتْ عنها فأنتَ حَكيمُ
فهناك يُسْمَعُ إنْ وَعَظْتَ ويُقْتَدَى ... بالرَّأيِ منكَ ويَنْفَعُ التَّعْليمُ

---

(١) بل هو حديث مرفوع عن النبي ﷺ رواه عدد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ منهم: عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، رواه الترمذي (٢٠٣٢)، وصححه ابن حبان (٥٧٦٣). وأبو بَرْزَةَ الأسلميُّ، رواه أحمد ٤/٤٢٠ ـ ٤٢١، وأبو داود (٤٨٨٠). وثوبان رواه أحمد ٥/٢٧٩.

٢١٠٧ ـ ولآخرَ:

يَمْنَعُني مِنْ عَيْبِ غَيْرِيَ الذي أَعْرِفُ في نفسي مِنَ العَيْبِ
عَيْبي لَهُم بالظَّنِّ مِنِّي بِهِم ولَسْتُ مِنْ عَيْبِيَ في رَيْبِ
إنْ كان عَيبي غابَ عنهم فقد أحصَى ذُنوبي عالِمُ الغَيْبِ
لو أنَّني أَقْبَلُ مِنْ واعِظٍ إذاً كَفَتْنِي عِظَةُ الشَّيْبِ

* * *

١٤٤ ـ البعد عن أهل الدنيا

٢١٠٨ ـ روى ابنُ وَهْبٍ عن مالك أنَّه قال: إنَّ التَّقرُّبَ مِنْ أهلِ الباطل والقولَ بالباطل يصدُّ عنِ الحقِّ. ومِنْ سعادة المرءِ أنْ يُوَفَّقَ للخيْرِ.

٢١٠٩ ـ وقال أبو حازم سَلَمَةُ بنُ دينار: لو أنَّ العلماءَ استغنَوْا بعلمِهم، لزَهدَ أهلُ الدنيا في دنياهم، ولكن اتَّبعوا أهلَ الدنيا، فلمَّا رأوْا ذلك زهَدوا في علمِهم، وضنُّوا بدنياهم. وهل مِنَ الدنيا شيءٌ إلا وقد كان له أهلٌ قبلَكم؟ فآثِرْ نفسَك أيها المرءُ على النُّصحِ لولدِك، فإنَّك تَدَعُ مالَك لمن لا يَحمَدُك، وترجِعُ إلى مَنْ لا يَعذِرُك. واعلم أنَّ أهلَ السماءِ وأهلَ الأرضِ لو اجتمعوا على أنْ يزيدوا نفسَك في رزقِها على ما كتبَ اللَّهُ لها، لم يقدِروا على ذلك، ولو أنَّهم اجتمعوا على أنْ يُنقصوها مِمَّا كُتبَ لها لم يقدِروا على ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢].

٢١١٠ ـ قال مالكُ بنُ مِغْوَلٍ: بلَغَنا أنَّ عيسى بنَ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يا معشرَ الحواريين، تَحبَّبوا إلى الله ببغُضكم أهلَ المعاصي، وتقرَّبوا إلى الله تعالى بما يباعدكم منهم، والتمسوا رضاه بسخطِهم. قالوا: يا روحَ الله، فمنْ نُجالسُ؟ قال: جالسوا مَنْ تُذَكِّرُكم باللّهِ رؤيتُه، ومَنْ يزيدُ في عملكم مَنطِقُه، ومَنْ يُرغِّبُكم في الآخرةِ عملُه.

٢١١١ ـ وقال محمد بنُ أبي مالكٍ الغَنَوِيُّ: كان المهديُّ قد أراد سفيانَ الثوريَّ بكلِّ وجهٍ مِنَ الوجوه أنْ يأتيَه ويأخذَ صِلَتَه، فأبى سفيانُ أنْ يقبَلَ، وفرَّ مِنَ الكوفة، فنَزل البصرةَ متوارياً، وكان ابن أبيُ أبْجَرَ الطبيبُ صديقاً لسفيانَ، فخرج معه إلى البصرةِ، قال: فكنَّا في منْزلٍ مِنْ منازل الغامضةِ، فاعتلَّ سفيانُ الثوريُّ، فخرجتُ أشتري له حاجةً، فأرجع فإذا بين يديه ثلاثةُ كتبٍ قد أُسنِدَت إلى الحائط، فقلت: يا أبا عبد اللَّه، ما هذه الطَّواميرُ؟ قال: هذا صاحبُ منْزلنا، عافانا الله وإياه، جاءنا بها. قلت: فمِمَّنْ هي؟ قال: لا أدري، فنظرتُ فإذا كتابٌ من المهديِّ إليه، وكتابٌ مِنْ محمد بن سليمانَ، وكان على البصرةِ، وكتابٌ مِنْ يعقوبَ بن داودَ، وهو وزيرُ المهديِّ، فقلت: يا أبا عبدالله، لا أقلَّ مِنْ أنْ تقرأَها فتعلمَ في أيِّ شيءٍ هي، وفي أيِّ شيءٍ كُتِبَ إلينا، فقال: وما نصنع بقراءَتِها؟ قلت: وما في ذلك؟ قال: أنت أعلمُ، قال: فقرأتُ كتابَ المهديِّ:

مِنْ عبد الله محمد أميرِ المؤمنين إلى سفيانَ بنِ سعيدٍ، بسم الله الرحمن الرحيم، أمَّا بعدُ، فإنَّا ندعوك إلى أنْ تُجيبَنا فتُبَصِّرَنا وتدُلَّنا وتعلِّمَنا؛ فإنَّك قد علمتَ مذهبي، ومَحبَّتي العدلَ، وأنت في حَرجٍ مِنْ تركِك ذلك، ووِزْرُه عليك.

فقلت: يا أبا عبد اللَّهِ، واللهِ ما أرى بهذا بأساً، وما يدعوك القومُ إلا إلى خيْرٍ وصلاحٍ لك وللرَّعيَّةِ، فأنشدك اللَّهَ لَمَا فعلتَ، قال: فالتفتَ إليَّ، وقال: قل لهم يعملون بما يعرفون، فإذا لم يعلموا جئتُ حتى أُخبِرَهم، ثم قلب وجهَه إلى الحائطِ، فلمَّا صليتُ المغربَ قال: أخرجني مِنْ هذا المنْزل إلى غيْره، فتحوَّلنا.

٢١١٢ ـ وقال ابنُ المبارك: التعزُّزُ على الأغنياءِ تواضعٌ.

* * *

١٤٥ ـ الحبُّ في الله والبُغضُ فيه

٢١١٣ ـ روى أنسٌ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مِمَّا سِواهما، وأنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحِبُّه إلا للهِ، وأنْ يكرَه أنْ يعودَ في الكفرِ كما يكره أنْ يُقذَفَ في النارِ**»(١).

٢١١٤ ـ وروى سالم بنُ أبي الجعدِ عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ فقال: متى الساعةُ يا رسول اللّه؟ قال: «**ما أعددتَ لها**»؟ قال: ما أعددتُ لها مِنْ كثير صلاةٍ ولا صيامٍ ولا صدقةٍ، ولكني أُحِبُّ اللّهَ ورسولَه، قال: «**أنت مع مَنْ أحببتَ**»(٢).

٢١١٥ ـ وروى مجاهدٌ عنِ ابنِ عباسٍ أنه قال: أَحِبَّ في اللّهِ وأَبْغِضْ في اللّهِ، وعادِ في اللّهِ ووالِ في اللّهِ؛ فإنَّه لا تُنالُ وَلايةُ اللّه إلا بذلك، ولا يجد رجل حلاوةَ الإيمان وإنْ كثُرتْ صلاتُه وصيامُه حتى يكونَ كذلك.

* وقد صارت مؤاخاةُ الناس اليومَ في الدنيا، ولا يُجدي ذلك على أهلِه يومَ القيامةِ.

٢١١٦ ـ وقيل لأبي الدَّرداءِ: أُتبغِضُ الرجلَ يعملُ المعاصي؟ فقال: أُبغضُ عملَه، فإذا تاب فهو أخي.

٢١١٧ ـ وقال الحسنُ: أَحِبُّوا هوْناً، وأَبغِضُوا هوْناً، فقد أفرَطَ أقوامٌ في حبِّ أقوام فهلَكوا، وأفرطَ أقوامٌ في بُغضِ أقوامٍ فهلَكوا، فلا تُفْرِطْ في حبِّك، ولا تُفْرِطْ في بُغضِك، ومَنْ وجد دونَ أخيه سِرّاً فلا يُطلعه، ولا تَجَسَّسْ أخاك، فقد نُهيتَ عن تَجَسُّسِه، ولا تَبْغِ عليه.

---

(١) البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).
(٢) البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

٢١١٨ ـ ورُوِيَ عن مجاهِدٍ أنه قال: نُحِبُّ الناسَ على ما نراه مِنْ صلاحِهم، ونُبغضُهم على ما نراه مِنْ فسادِهم، والحسابُ على الله تعالى.

٢١١٩ ـ وقال هُدْبَةُ:

وكُنْ مَعْقِلاً لِلْحِلْمِ واصْفَحْ عَنِ الخَنَا فإنَّك رَاءٍ ما حَيِيتَ وسامِعُ
وأَحْبِبْ إذا أَحْبَبْتَ حُبّاً مُقارِباً فإنَّك لا تدري مَتَى أنتَ نازِعُ
وأَبْغِضْ إذا أَبْغَضْتَ بُغْضاً مُقارِباً فإنَّك لا تدري مَتَى أنتَ راجِعُ

* * *

١٤٦ ـ الزهد في الدُّنيا والتقلل منها

٢١٢٠ ـ قال: حسن البصري: دخل عمرُ بنُ الخطاب ﷺ على رسول الله ﷺ وهو نائمٌ على سريرٍ مُرْمَلٍ[١] بشريطٍ، فجلس فرأى أثَرَ الشَّريطِ بجنبِه، فدَمعت عيناه، فقال رسول الله ﷺ: **«ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب»**؟ فقال: إنِّي ذكرت كسرى وقيصرَ، وما هما فيه مِنَ الملك، وذكرتُك وأنت رسولُ الله نائمٌ على سريرٍ مُرْمَلٍ بالشَّريط. فقال رسول الله ﷺ: **«ألا تُريدُ أنْ تكونَ لنا الآخرةُ»**؟ قال: بلى، قال: **«يا عمرُ، أتدري ما مَثَلِي ومَثَلُ الدُّنيا؟ كمَثَلِ راكبٍ سار في يومٍ صائفٍ، فرُفِعَتْ له شجرةٌ، فاستظلَّ في ظِلِّها، ثم راح وتركها»**[٢].

٢١٢١ ـ قال أنسٌ: لم يأكلِ النبيُّ ﷺ على خُوانٍ حتى مات، ولا أكل خبزاً مُرَقَّقاً حتى مات[٣].

---

(١) مرمل: منسوج.
(٢) حديث مرسل بهذا الإسناد. أخرجه هناد بن السري في كتاب الزهد (٤٧٢). وقد روي بنحوه مرفوعاً من حديث الحسن عن مالك بن أنس ﷺ رواه أحمد ٣/١٣٩ ـ ١٤٠، وصححه ابن حبان (٦٣٦٢). ورواه من حديث ابن عباس ﷺ البخاري (٤٩١٣).
(٣) البخاري (٥٤٢١).

٢١٢٢ ـ وقالت عائشةُ: لقد تُوُفِّيَ النبيُّ ﷺ وما في رَفِّي شيءٌ يأكلُه ذو كبدٍ إلا شطْرَ شعيرٍ في رَفٍّ لي، فأكلتُ منه حتى طال عَلَيَّ، فكِلْتُهُ ففَنِيَ[١].

٢١٢٣ ـ قالت عائشةُ: وما شَبِعَ آل محمدٍ منذ قدِمَ المدينةَ مِنْ طعامِ ثلاثَ ليالٍ تِباعَاً حتَّى قبِضَ[٢].

٢١٢٤ ـ وما أكل محمدٌ ﷺ أكلتين في يومٍ إلا إحداهما تمرٌ[٣].

٢١٢٥ ـ ولقد كان يأتي علينا الشهرُ لا نُوقِدُ فيه ناراً، إنَّما هو التمرُ والماءُ، إلا أنْ يُؤتَى باللحمِ[٤].

٢١٢٦ ـ وكان فِراشُ النبي ﷺ من أدم حشوُه لِيفٌ[٥].

٢١٢٧ ـ وروى عُروةَ عنْ عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت له: يا ابنَ أختي، إنَّا كنَّا لننظرُ إلى الهلال ثم الهلال، أهِلَّةِ شهرين، وما أُوقِدَتْ في أبياتِ رسول الله ﷺ نارٌ. فقلت: يا خالةُ، فما كان يُعَيِّشُكم؟ قلت: الأسودان: التمرُ والماءُ، إلا أنه قد كان لرسولِ الله ﷺ جيرانٌ مِنَ الأنصارِ، كانت لهم منائِحُ، وكانوا يَمنحونَ رسولَ الله ﷺ مِنْ ألبانِهم فيسقينا[٦].

٢١٢٨ ـ دخل سعدٌ على سلمانَ، رضي الله عنهما، يعودُه فبكى سلمانُ، فقال له سعدٌ: ما يبكيك؟ تلقى أصحابَك، وتَرِدُ على رسول الله ﷺ الحوضَ، تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وهو عنك راضٍ. فقال له: إنِّي لا أبكي جَزَعَاً مِنَ الموت، ولا حِرْصَاً على الدُّنيا، ولكن

(١) البخاري (٦٤٥١)، ومسلم (٢٩٧٣).
(٢) البخاري (٦٤٥٤)، ومسلم (٢٩٧٠).
(٣) البخاري (٦٤٥٥)، ومسلم (٢٩٧١).
(٤) البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢).
(٥) البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٠٨٢).
(٦) البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٩٧٢).

رسول الله ﷺ عَهِدَ إلينا، قال: «**لِيَكُنْ بُلْغَةُ أحدِكم مِنَ الدُّنيا مِثلَ زادِ الراكبِ**»، وحولي هذه الأساوِدُ. وإنَّما حولَه إجَّانَةٌ ومِطْهَرَةٌ، أو قَعْبَةٌ. فقال سعد: يا أبا عبد اللَّه، اعهدْ إلينا بعهدٍ نأخُذُ به بعدَك، فقال: يا سعدُ، اذكُرِ اللَّهَ عندَ هَمِّكَ إذا هَمَمْتَ، وعندَ بَرِّكَ إذا أقسمتَ، وعندَ حُكمِك إذا حكمتَ(١).

٢١٢٩ - وقال علي بن أبي طالب: إنَّ فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقَى مِنْ أثَرِ الرَّحى، فأتى النبيَّ ﷺ شيءٌ، فانطلَقَتْ فلم تجِدْه، فوجدتْ عائشةَ رضي الله عنها، فأخبَرَتها، فلمَّا جاء النبيُّ ﷺ أخبَرته بمجيء فاطمةَ، فجاء النبيُّ ﷺ وقد أخذنا مضاجِعَنا، فذهبتُ لأقوم، فقال: «**على مكانِكما**». فقعد بيننا حتى وجدتُ بَرْدَ قدميه على صدري، وقال: «**ألا أُعَلِّمُكما خيراً مِمَّا سألتُماني؟ إذا أخذتُما مضاجِعَكما، فكَبِّرا أربعاً وثلاثين، وسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما مِنْ خادمٍ**»(٢).

٢١٣٠ - وروى عطاءُ بنُ يَسارٍ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أكثَرَ ما أخافُ عليكم ما يُخرِجُ الله لكم مِنْ بركاتِ الأرضِ**». قيل: ما بركاتُ الأرضِ؟ قال: «**زهرةُ الدُّنيا**». فقال رجل: هل يأتي الخيْرُ بالشَّرِّ؟ فصمتَ النبيُّ ﷺ حتَّى ظننَّا أنه يُنزَلُ عليه، ثم جعل يمسحُ عن جبينه، قال: «**أين السائلُ**»؟ قال أبو سعيد: لقد حمِدناه حين

(١) حديث صحيح، رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧٦/٧، والحاكم في المستدرك ٣١٧/٤، ومن طريقة البيهقي في شعب الإيمان ٣٠٥/٧ عن أبي سفيان عن أشياخه عن سلمان الفارسي. ورواه ابن المبارك في الزهد(٩٦٦) عن الحسن عن سلمان. ورواه ابن ماجه (٤١٠٤٠) من حديث أنس بن مالك. وصححه ابن حبان (٧٠٦) من طريق عامر بن عبد الله بن الزبير عن سلمان.
والأساود: الشخوص من المتاع، وكل شخص سواد من إنسان أو متاع أو غيره. والإجانة: إناء تغسل فيه الثياب. والقعبة: القدح.

(٢) تقدم برقم (١٦٠).

طلع ذلك، قال: «**لا يأتي الخَيرُ إلا بالخيرِ، إنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وإنَّ كلَّ ما يُنْبِتُ الرَّبيعُ يقتُلُ حَبطَاً أو يُلِمُّ إلا آكِلَةَ الخَضِرِ، أكلتْ حتَّى إذا امتدَّتْ خاصِرَتاها استقبلتِ الشمسَ، فاجترَّتْ وثَلَطَتْ وبالت، ثم عادت فأكلت، وإنَّ هذا المالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أخذَه بحقِّه ووضعه في حقِّه، فنِعْمَ المعونةُ هو، ومَنْ أخذَه بغيرِ حقِّه كان كالذي يأكلُ ولا يشبعُ**»[١].

٢١٣١ - ورُوِيَ عن أبي مسلم الخَوْلانِيِّ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أُوحِيَ إلي أنْ أجمَعَ المالَ، ولا أكونَ مِنَ التَّاجرين، ولكن أُوحِيَ إليَّ أنْ سَبِّحْ بحمدِ ربِّك وكُنْ مِنَ الساجدين، واعبُدْ ربَّك حتى يأتِيَك اليقين**»[٢].

٢١٣٢ - وقال الحسنُ: مرَّ رسولُ الله ﷺ بمنْزِلِ قوم قدِ ارتحلوا عنه، وإذا طِلاً مطروحٌ، فقال: «**أتَرَوْنَ هذا هانَ على أهلِهِ**»؟ فقالوا: مِنْ هوانِه عليهم ألقَوْه، قال: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لَلدُّنيا أهونُ على اللَّهِ مِنْ هذا على أهلِه**»[٣].

٢١٣٣ - ورُوِيَ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيدِه، لو كانتِ الدُّنيا تعدِلُ عندَ اللَّهِ مِنَ الخيرِ وزنَ جناحِ بعوضةٍ، ما أعطى كافراً شيئاً منها**»[٤].

---

(١) البخاري (١٤٦٥ و ٦٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٢).
الخبط: أن تأكل الدابة، فتكثر حتى تنتفخ بطنها لذلك وتمرض. وقوله: أو يلم: أي يقرب من ذلك. وثلطت الدابة: ألقت روثها.

(٢) حديث مرسل، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٣١/٢. ورواه مرفوعاً من حديث عبد الله بن مسعود: الجرجاني في تاريخ جرجان ٣٤٢/١، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢٥٧/٥. وإسناده ضعيف.

(٣) حديث مرسل. وصح مرفوعاً بنحوه من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٤) حديث صحيح، رواه بنحوه من حديث سهل بن سعد ﷺ الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠). وانظر ما يأتي برقم (٢٢٥٠).

٢١٣٤ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال له: **«يا أبا هريرةَ، ألا أُريكَ الدُّنيا جمعاءَ بما فيها»**؟ قلت: بلى، قال: فأخذَ بيدي وأتَى بي وادياً مِنْ أوديةِ المدينةِ، فإذا مَزبلةٌ فيها رؤوسُ الناسِ، وعذِراتٌ وخِرَقٌ باليةٌ، وعِظامُ البهائم. ثم قال: **«يا أبا هريرةَ، هذه الرُّؤوسُ كانت تحرِصُ حِرْصَكم، وتأمُلُ آمالَكم، ثم هي اليومَ تساقَطُ جِلداً بلا عظمٍ، ثم هي صائرةٌ رماداً رِمديداً. وهذه العَذِراتُ ألوانُ أطعمتِهم، اكتسبوها مِنْ حيثُ اكتسبتُموها، فقذفوها في بطونِهم، فأصبحت والناسُ يتحامَوْنَها. وهذه الخِرَقُ الباليةُ رياشُهم ولباسهم، ثم أصبحتْ والرِّيحُ تعصِفُها. وهذه العظامُ عظامُ دوابِّهم التي كانوا ينتجِعون عليها أطرافَ البلاد، فمن كان يبكي على الدُّنيا فليبكِ»**. قال: فما برحنا حتَّى اشتدَّ بكاؤُنا[١].

٢١٣٥ ـ ورُوِيَ عن عبدِ اللّهِ بنِ عمرَ أنه قال: أخذَ رسول الله ﷺ ببعض جسدي، فقال: **«يا عبدَ اللّه، كنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو كعابرِ سبيلٍ، واعدُدْ نفسَك في الموتى»**[٢].

٢١٣٦ ـ وقال أبو بُرْدَةَ: دخلتُ على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأخرجت لي إزاراً غليظاً مِمَّا يُصنع باليمن، وكساءَين مِنْ هذه التي يدعونَها القَطَرِيَّةَ، فأقسمتْ لنا بالله أنَّ رسولَ الله ﷺ قُبِضَ فيها[٣].

٢١٣٧ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرةَ، قال: كان عيسى ابنُ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لأصحابه: اتَّخذوا[٤] المساجدَ مساكنَ، والبيوتَ منازلَ، وكلوا مِنْ بقلِ

---

(١) لم أجده.

(٢) البخاري (٦٤١٦) من دون قوله: «واعدد نفسك في الموتى». وهذه الزيادة رواها أحمد ٢/٢٤ و٤١، والترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤).

(٣) البخاري ﷺ ٣١٠٨ و٥٨١٨)، ومسلم (٢٠٨٠). والثياب القطرية: منسوبة إلى قطر.

(٤) في الأصلين: «لا تتخذوا». والتصويب من الزهد لابن المبارك (٥٦٣)، والمصنف لابن أبي شيبة ٦/٣٤٠.

البَرِّيَّةِ، واشربوا مِنَ الماءِ القَراحِ، وانْجُوا مِنَ الدُّنيا بسلامٍ.

٢١٣٨ ـ وقال سليمان[1]: كلُّ العيشِ قد جرَّبنا لَيِّنَه وشديدَهُ، فوجدنا يكفي منه أقلُّه.

٢١٣٩ ـ ورأى رجلٌ رجلاً مِنْ ولدِ معاويةَ يعملُ على بعيرٍ له، فقال: هذا بعدَما كنتم فيه مِنَ الدُّنيا! فقال: رحمك اللَّه، ما فقدْنَا إلا فُضولَ العيشِ.

٢١٤٠ ـ قال أشهبُ: قال مالك، رحمهما الله، في تأويل هذه الآية: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]: مَنْ كان له مسكنٌ يأوي إليه، وامرأةٌ تزوَّجها، وخادمٌ يخدُمه، فهو مِنَ الملوك الذين ذكر اللَّهُ تعالى.

٢١٤١ ـ وقال الحسنُ: رحمَ الله رجلاً أنفقَ مِنْ مالِه قُوتاً حسناً، وهضم الفضلَ ليومِ فقرِه وفاقتِه، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ما كانت تُغْلَقُ دونَه الأبوابُ، ولا تقومُ دونَه الحُجَّابُ، ولا يُغدى عليه بالجِفانِ، ولا يُراحُ عليه بها، ولكنه كان بارزاً، مَنْ أراد أنْ يلقى رسولَ الله ﷺ لقِيَه؛ كان يجلسُ بالأرض، ويضعُ طعامَه بالأرض، ويلبَس الغليظَ، ويركبُ الحمار، ويُرْدِفُ عبدَه، ويَلعَقُ واللَّهِ يدَه.

٢١٤٢ ـ قال مالك: إنَّ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه فرض لأزواجِ النبيِّ ﷺ اثني عشرَ ألفَ درهم لكلِّ واحدة، فلمَّا أُتِيَتْ زينبُ بها، قالت: عرفني عمرُ على أزواجِ النبيِّ ﷺ فقيل: بل هو لك، قالت: اللَّهُمَّ لا يُدركني قَسْمُ عمرَ مرة أخرى، فما بلغتِ الحولَ حتَّى ماتت.

٢١٤٣ ـ ورُوِيَ أنَّ عيسى عليه السلام قال: يا معشرَ الحواريين، إياكم

---

(١) يعني ابن داود عليهما السلام. والأثر رواه ابن المبارك في الزهد(٥٧٣)، وابن أبي شيبة في المصنف٧/٧٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/١١٨.

وكَثرةَ الأكلِ والشربِ، أَجيعوا أنفسَكم وأظمِؤوها وأعروها، وأنْصِبُوها. يا معشرَ الحواريين، لا تدَّخِرُوا ذهباً ولا وَرِقاً، إنَّما يدَّخِرُ ذلك أهلُ الدُّنيا، ومَنْ لم يترُكْ بيتَه خراباً، وامرأتَه أرملةً، وأولادَه يتامى، لم يدخلْ في مَلَكُوتِ السماءِ.

٢١٤٤ ـ ويُروى أنَّ علياً ﷺ أكل مِنْ تمرِ دَقْلٍ، ثم شربَ عليه الماءَ، وضرب على بطنِه، وقال: مَنْ أدخلَهُ بطنُه النارَ فأبعدَهُ اللَّهُ، ثم تمثَّل بهذا البيت:

وأنتَ إذا أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وفَرْجَكَ نالا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

٢١٤٥ ـ وأنشدوا:

دُنيا تُخادِعُنِي كَأَنِّي ... لستُ أَعْرِفُ حالَهَا
مَنَعَ الإلهُ حَرَامَهَا ... وأنا اجْتَنَبْتُ حلالَهَا
ورَأَيْتُها مُحْتاجَةً ... فَوَهَبْتُ جُمْلَتَهَا لَهَا

٢١٤٦ ـ لأبي بكر الصوفي:

ليتَ شِعْرِي أرى مِنَ الدَّهْرِ يَوْمَاً ... ليس مِنْ مَطِيَّتِي غَيْر رِجْلِي
وإذا كنتُ في جَمِيعٍ قَوْلِي ... قَرِّبُوا للرَّحيلِ قَرَّبْتُ نَعْلِي
حيثُما كنتُ لا أُخَلِّفُ مالاً ... مَنْ رآني فقدْ رآني ورَحْلِي[1]

٢١٤٧ ـ ورُوِيَ عن عبدِ الله بنِ مسعود: أنَّ الله تعالى جعلَ الدُّنيا كلَّها قليلاً، وما بقيَ منها قليلٌ مِنْ قليلٍ، ومثلُ ما بقيَ منها كالثَّغْبِ[2] شُرِبَ

---

(١) ونُسبتِ الأبياتُ إلى أبي الشَّمَقْمَقِ، بالرواية الآتية:

أتُراني أرى مِنَ الدَّهْرِ يوماً ... لي فيه مَطِيَّةٌ غَيْر رِجلي
كلَّما كنتُ في جميعٍ فقالوا ... قَرِّبُوا للرحيلِ قرَّبْتُ نعلي
حيثُما كنتُ لا أُخَلِّفُ رَحْلاً ... مَنْ رآني فقدْ رآني ورَحْلي

(٢) الثغب: مسيل الماء في الوادي.

صفوُه، وبقيَ كدَرُه، والدُّنيا دارُ مَنْ لا دارَ له، ومالُ مَنْ لا مالَ له، ولها يَجمعُ مَنْ لا عقلَ له.

٢١٤٨ ـ ورُوِيَ عن سعيدِ بنِ أبي هلالٍ أنه قال: أنا زعيمٌ ثلاثٍ لِمَنْ أَكَبَّ على الدُّنيا: بفقرٍ لا غِنَى له، وأَمَلٍ لا انقطاعَ له، وهَمٍّ وحُزنٍ لا فراغَ له.

٢١٤٩ ـ ورُوِيَ عن إبراهيمَ التَّيميِّ أنه قال: كم بينكم وبينَ القومِ، أقبلتْ عليهمُ الدُّنيا فهربوا منها، وأدبرتْ عنكم فاتَّبعتُموها.

٢١٥٠ ـ وقال الحسن: أَبَى اللَّهُ أنْ يُعطِيَ عبداً مِنْ عبادِه شيئاً مِنَ الدُّنيا إلا بِعِوَضٍ خطيرٍ مِثلِه مِنَ البلاءِ، إمَّا عاجلٍ وإمَّا آجِلٍ.

٢١٥١ ـ ورُوِيَ أنَّ رجلاً عرضَ لأصحابِ النبيِّ ﷺ في مَسيرٍ له، فقال: أَوصوني، فجعلوا يُكلِّمُونه ويأمُرُه كلُّ إنسانٍ بموعظةٍ، فقال له معاذُ بنُ جبلٍ: هؤلاء قد أكثروا عليك، وما أراكَ تُحصي كلَّ ما أَوْصَوْك به، ولا غِنى بك عَنْ نصيبِك مِنَ الدُّنيا، وأنتَ إلى نصيبِك مِنَ الآخرةِ أحوجُ، فابدأْ بنصيبِك مِنَ الآخرةِ؛ فإنَّه يأتي بك على نصيبِك مِنَ الدُّنيا، فينظِمُه لك انتظاماً، ثم تزولُ معك حيثُما زُلْتَ.

٢١٥٢ ـ وروى نوفٌ البِكاليُّ أنه قال: رأيتُ علياً ﷺ أكثَرَ الدُّخولَ والخروجَ، والنَّظرَ إلى السماء، ثم قال: أنائمٌ أنتَ يا نوفُ؟ قلت: لا، بل رامِقٌ أرمُقُكَ بعيني منذُ الليلةِ يا أميرَ المؤمنين، فقال لي: يا نوفُ، طُوبى للزَّاهدينَ في الدُّنيا، الرَّاغبينَ في الأُخرى، أولئك قومٌ اتَّخذوا أرضَ الله بساطاً، وتُرابَها فراشاً، وماءَها طِيباً، والكِتابَ شِعاراً، والدُّعاءَ دِثاراً، ثمَّ قَرَضُوا الدُّنيا قرضاً على منهاجِ المسيحِ. يا نوفُ، إنَّ اللَّهَ جلَّ اسمُه أوحى إلى عبدِه المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنْ قُلْ لبني إسرائيلَ لا تدخُلوا بيتاً مِنْ بيوتي إلا بقلوبٍ طاهرةٍ، وأبصارٍ خاشعة، وأَكُفٍّ نَقيَّةٍ، وأَعلِمْهُم أنِّي لا أُجيبُ لأحدٍ منهم دعوةً، ولأحدٍ مِنْ خَلقي قِبَلَهُ مَظْلِمَةٌ.

٢١٥٣ ـ ورُوِيَ عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: لا تُهلِكُوا أنفسَكم بطلبِ

الدُّنيا، واغلِبُوا أنفسَكم بتركِ ما فيها. عُراةً دخلتُموها، وعُراةً تخرُجون منها، فاسألوا اللَّهَ رِزقَ يوم بيومٍ.

٢١٥٤ ـ وقال عبدُ الله بنُ مسعود: مَنِ اجتهدَ للدنيا أَضَرَّ بالآخرةِ، ومَنِ اجتهدَ للآخرةِ أَضَرَّ بالدُّنيا. أيْ قومُ، فآثِرُوا الباقِيَ على الفاني، وخُذوا مِنْ لا شيءَ شيئاً.

٢١٥٥ ـ وعن رجلٍ مِنْ أهلِ الشامِ أنَّه دخلَ على أبي ذَرٍّ ﷺ وهو يُوقِدُ تحتَ قِدْرٍ له مِنْ حطبٍ قد أصابَه مطرٌ، ودموعُه تسيلُ، فقالت له امرأتُه: لقد كان لك عنْ هذا مندوحةٌ، لو شئتَ كُفِيتَ، قال أبو ذَرٍّ: وهذا عيشي، فإنْ رَضيتِ و إلا فتحتُ كَنَفَ الله تعالى. قال: فكأنَّما أَلقَمَها حجراً، حتى إذا أنضجَ ما في قِدْرِهِ، جاء بصَحْفَةٍ له، فكسر فيها خُبزاً له كِسَراً غليظةً، ثم جاءَ بالذي في القِدْرِ فقَلَبَه عليه، ثم جاء به إلى امرأتِه، فقال لي: أَدْنُهْ، فأكلنا جميعاً، ثم أمرَ جاريةً أنْ تسقِيَنا، فسقَتْنا مَذْقَةً مِنْ لبَنِ مِعْزاةٍ.

فقلت: يا أبا ذَرٍّ، لو اتخذتَ في بيتك عيشاً، فقال: عِبادَ اللَّهِ، أتريدون لي مِنَ الحسابِ أكثَرَ مِنْ هذا؟ أليس هذا مِثالٌ نرقُدُ عليه، وعَباءَةٌ نبسُطُها، وكِساءٌ نلبَسُه، وبُرمَةٌ نطبُخُ بها، وصَحْفَةٌ نأكلُ فيها ونغسِلُ فيها رؤوسَنا، وقَدَحٌ نشربُ به، وبَطَّةٌ فيها زيتٌ، وغَرارَةٌ فيها دقيقٌ؟ أفَتُريدونَ لي مِنَ الحسابِ أكثَرَ مِنْ هذا؟ قلت: فإنَّ عطاءَك أربعُ مائةِ دينارٍ، وأنتَ في شَرَفٍ مِنَ العطاءِ، فأين يذهبُ؟ فقال: أمَا إنِّي لم أُعَمِّ عليكم؛ لي في هذه القريةِ ـ وأشارَ إلى قريةٍ بالشام ـ ثلاثونَ فرساً، فإذا خرج عطائي اشتريتُ منه فُلوساً، فجعلتُها عند نَبَطِيٍّ ههُنا، فإنِ احتاجَ أهلي إلى اللَّحمِ أخذوا منه، وإنِ احتاجُوا إلى شيءٍ أخذوا منه، وأحمِلُ على هذه الخيلِ في سبيلِ اللَّه، ليس عند أبي ذَرٍّ دينارٌ ولا درهمٌ[1].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٨٩)، وعبد الرزاق في المصنف ١١/٣١٢ رقم (٢٠٦٢٩).

٢١٥٦ ـ ورُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها تصدَّقتْ في يومٍ بثمانين ألفاً، وأفطرتْ على خبزٍ وزيتٍ وملح، فقيل لها: يا أمَّ المؤمنين، هلا اشتريتِ بدرهمٍ لحماً فأفطرتِ عليه؟ قالت: لو ذكَّرتُموني لفعلتُ!.

٢١٥٧ ـ ورُوِيَ عن الحسن أنه قال: رحِمَ اللَّهُ عبداً كسبَ طيِّباً، وأنفقَ قصداً، وقدَّمَ فضلاً ليومِ فقرِه وفاقتِه. إنَّ الدُّنيا قد فضحتْ مَنْ قبلَكم، فلا تفضَحْكُم، خذوا منها ما قلَّ وكفى، وإيَّاكم وما كثُرَ منها وألهى، عليكم صلاتَكم صلاتَكم، زكاتَكم زكاتَكم، أتِمُّوا رُكوعَكم وسُجودَكم، فإنَّهما مِنْ تمامِ صلاتِكم، فإنَّكم إذا فعلتم ذلك، لم يسأَلْكم عمَّا وراءَ ذلكم.

٢١٥٨ ـ وقال أبو واقدٍ الَّليثي: تابَعْنَا الأعمالَ، فلم نجدْ شيئاً أبلغَ في عملِ الآخرةِ مِنَ الزهدِ في الدُّنيا.

٢١٥٩ ـ ورُوِيَ أنَّ الله تعالى ناجى موسى عليه السلام، فقال: يا موسى، لم يتصَنَّعِ المتَصَنِّعُون لي بمثلِ الزهدِ في الدُّنيا، فقال: يا ربِّ، فماذا جزيتَهم؟ فقال: أمَّا الزاهدون في الدُّنيا، فإنِّي أُبيحُهم جنَّتي، ويتَبَوَّؤون منها حيث شاؤوا.

٢١٦٠ ـ وقال عُروةُ: قدِمَ عمرُ الشامَ، فتلقَّاهُ أُمراءُ الأجنادِ وعُظماءُ أهلِ الأرضِ، فقال عمرُ: أين أخي؟ قالوا: ومَنْ؟ قال: أبو عُبيدةَ، قالوا: يأتيك الآن، قال: فجاء على ناقةٍ مخطومةٍ بحبل، فسلَّمَ عليه وسأله، ثم قال للناس: انصَرِفوا عنَّا، فسارَ معه حتى أتى منْزِله، فنَزل عليه، فلم يَرَ في منْزِله إلا سيفَه وتُرْسَه ورحْلَه، فقال له عمر رضي الله عنه: لو اتَّخذتَ متاعاً، أو قال: شيئاً، فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ هذا سَيبلِّغُنا المقيلَ[1].

٢١٦١ ـ ورُوِيَ عن عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ رضي الله عنه أنَّه قال: ما كان عمرُ

---

(١) الزهد لابن المبارك (٥٨٦).

أقدَمنا إسلاماً، ولا أقدَمنا هجرةً، ولا أنكأَنا للعدوِّ، ولا أكثرَنا صياماً، ولا أكثرَنا صلاةً، ثم ذكرْنا زَهادَته في الدُّنيا، فعرفتُ أنَّه فضَلَنا بذلك.

٢١٦٢ ـ ورُوِيَ عنِ الحسنِ أنه قال: أهينوا هذه الدُّنيا، فوالله لأَهنأُ ما تكونُ إذا أُهينتْ، وواللهِ ما أهانَ الدُّنيا قومٌ قطُّ إلا هنَّأهُمُ اللَّهُ إياها، وباركَ لهم فيها، ولا أعزَّها قومٌ إلا أغَصَّهم اللَّهُ بها إلى شرِّ دارٍ، وأطولِ عذابٍ.

٢١٦٣ ـ وقال يَسارُ بنُ نُمَيْرٍ: ما نَخلتُ لعمرَ ﷺ دقيقاً إلا وأنا له عاصٍ.

٢١٦٤ ـ وقال الحسنُ البصريُّ: لَمَّا بعثَ اللَّهُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعونَ، قال: إنَّ أفضلَ ما تزيَّنَ به العبادُ في عني، وأبلغَه فيما عندي: الزهدُ في الدُّنيا، والرَّغبةُ في الآخرة، وهي زِينةُ الأبرارِ، عليهم منها لباسٌ يُعرفون به مِنْ أثَرِ السَّكينةِ والوَقارِ، والشُّحوبِ والنُّحولِ، فأولئك عبادي حقّاً حقّاً.

٢١٦٥ ـ وقال الحسن: لقد أدركتُ قوماً يأتي على أحدِهم أربعونَ سنةً ما توسَّدَ وِسادةً، ولا اشتهى على أهلِه شهوةَ طعامٍ، وإنْ كان أحدُهم ليأكلُ الأكلةَ، فيوَدُّ أنَّها حَجَّرتْ في بطنِه.

٢١٦٦ ـ وقال الحسنُ: لقد أدركتُ أقواماً مِنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ وصحبتُ طوائفَ منهم، ما كانوا يفرحون بشيءٍ مِنَ الدُّنيا أقبلَ، ولا يأسَفون على شيءٍ منها أدبَرَ، ولَهِيَ كانت أهونَ عليهم مِنْ هذا الترابِ الذي تطَؤونه بأرجلِكم. إنْ كان أحدُهم ليعيشُ عُمرَه كلَّه لا يُطوَى له ثوبٌ، ولا يَأمُرُ أهلَه بصَنعةِ طعامٍ، ولا جعلَ بينَه وبينَ الأرضِ شيئاً، أدركتُهم عاملينَ بكتابِ الله ربِّهم وسنَّةِ نبيِّهم، إذا جنَّهمُ الليلُ قِيامٌ على أطرافهم، يفتَرشون وجوهَهم، تجري دموعُهم على خُدودهم، يُناجون ربَّهم في فَكاكِ رِقابهم. إذا عملوا حسنةً فرحوا بها، وداموا في شُكرها، وسألوا اللَّهَ أنْ يتقبَّلَها، وإذا عملوا

السيئةَ أحزنَتْهم، وسألوا اللّه أن يغفِرَها. واللّهِ ما زالوا كذلك، وعلى ذلك، فما سَلِمُوا مِنَ الذُّنوب، ولا نَجَوا إلا بالمغفرة.

٢١٦٧ - ورُوِيَ أنَّ رسولَ الله ﷺ وسلم قال: «**إنَّ الله لَيحمي عبدَه الدُّنيا وهو يُحبُّه، كما تحمون مريضَكم الطعامَ والشرابَ، تخافون عليه**»[١].

٢١٦٨ - وقال الحسنُ: المؤمنُ دنياه سجنُه، والقبْرُ حِصنُه، والجنةُ نُزُلُه. والكافرُ الدُّنيا جنَّته، والقبْرُ سِجنُه، والنارُ مأواه.

٢١٦٩ - وعن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ أنه كان يقول: أعوَنُ الأخلاق على الدينِ الزُّهدُ في الدُّنيا، وأوشَكُها رَدَىً اتِّباعُ الهوى، ومِنَ اتِّباعِ الهوى الرغبةُ في الدُّنيا، ومِنَ الرغبةِ في الدُّنيا حبُّ المالِ والشرفِ، ومِنْ حبِّ المالِ والشرفِ استحلالُ المحارمِ بغضبِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، وغضبُه عَزَّ وجَلَّ الداءُ الذي لا دواءَ له، ورضوانُ اللَّهِ تعالى الدواءُ الذي لا يضُرُّ معه داءٌ، فَمَنْ يُرِدْ أنْ يُرضِيَ ربَّه يُسخطُ نفسَه، ومَنْ لا يُسْخِطُ نفسَه لا يُرضي ربَّه، وإنْ كان إنسانٌ كلَّما كرِهَ شيئاً مِنْ دينِه تركَه، أوشَكَ أنْ لا يَبقى مِنْ دينه شيءٌ.

٢١٧٠ - وقال سفيانُ الثوريُّ: بلغني عنِ الزُّهريِّ أنه قال: ليس الزهدُ بتَشَعُّثِ الشعرِ، وتَفَلِ الرِّيحِ، وخُشونَةِ الملبسِ والمطْعمِ، ولكن الزهد ظَلَفُ[٢] النفسِ عن محبوبِ الشَّهواتِ.

٢١٧١ - وقال منصورُ بنُ عمَّارٍ: طُوبى لمن أصبحتِ العبادةُ حِرفَتَه، والفقرُ أُمنيتَه، والعُزلةُ شهوتَه، والآخرةُ هَمَّهُ، والموتُ فِكرتَه، وطلبٌ مِنَ العيشِ بُلْغَتَهُ، وشُغلٌ بالزهدِ نِيَّته، وأماتَ بالذُّلِّ عِزَّتَه، وشكا إلى اللَّهِ غُربَتَه، ورجا بالتَّوبةِ رحمتَه. طوبى لمن كانت هذه صفته.

---

(١) رواه من حديث قتادة بن النعمان ﷺ أحمد ٥/٤٢٧ و٤٢٨، والترمذي (٢٠٣٦) وحسنه. وصححه ابن حبان (٦٦٩)، والحاكم ٤/٢٠٧ و٢٠٩، ووافقه الذهبي.

(٢) ظلف النفس: منعها.

٢١٧٢ ـ ودخل محمدُ بنُ كعبِ القُرَظِيُّ على سُليمانَ بنِ عبد الملك في ثيابٍ رَثَّةٍ، فقال له سُليمانُ: ما يحمِلُك على لُبسِ هذه الثيابِ؟ قال: أكره أنْ أقولَ: الزُّهدُ، فأطْرِيَ نفسي، أو أقولَ: الفقرُ، فأشكُوَ ربِّي.

٢١٧٣ ـ ورأى سفيانُ الثوريُّ رابعةَ البصريةَ، فرأى حالَها رثَّةً، فقال لها: لو أعلمتِ بعضَ أهلِ البصرةِ مِنْ أصحابِك، فإنِّي أرى في الحالِ رَثاثَةً، فقالت: يا سفيانُ، وما ترى مِنْ رثاثَةِ حالي، ألستُ على الإسلامِ؟ وهو العِزُّ الذي لا ذُلَّ معه، والله يا سفيانُ إنِّي لأستحيي أنْ أسألَ الدُّنيا مَنْ يملِكُها، فكيف أسألُها مَنْ لا يملِكُها!.

٢١٧٤ ـ وقال عيسى عليه السلام: عجباً لكم، تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بلا عملٍ، ولا تعملون للآخرةِ وأنتم لا تُرزقون فيها إلا بالعملِ.

٢١٧٥ ـ وقال أحمد بنُ صالحٍ: بلغني أنَّ مالكاً كان قليلَ الشيءِ، يُظهرُ التَّجَمُّلَ، ضيِّقَ الأمرِ، لم يكن له منْزلٌ، كان يسكنُ بكِراءٍ حتى مات.

٢١٧٦ ـ وقال جميل الأيْليُّ: بلغني أنه كان عمرُ بنُ عبد العزيز يُبَدِّي ولدَه عندنا بأيْلَةَ، فكان يأمرُ قَيِّمَه عليهم يكسوهم الكرابيسَ والبُتوتَ[1]، وإذا نقلهم مِنْ منْزلٍ إلى منْزلٍ يحملُهم على الحُمُرِ الأعرابيةِ.

٢١٧٧ ـ وقال الشَّعبيُّ: خرج عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه مع قوم يُشيِّعُهم إلى الشامِ أو إلى العراق، فقال: أوصيكم بتقوى اللّه، وأطيلوا الاحتفاءَ.

٢١٧٨ ـ وقال عمر بن الخطاب: الزُّهد في الدُّنيا راحةُ القلبِ والجسدِ.

٢١٧٩ ـ وقال يحيى بنُ معاذٍ: في اكتسابِ الدُّنيا ذُلُّ النفوسِ، وفي

(١) الكرابيس: جمع كربوس، وهو الثوب الخشن. والبتوت: جمع بتٌّ، وهو الطيلسان.

اكتسابِ الجنَّةِ عِزُّ النفوسِ، فيا عجباً لِمَن يختارُ المَذَلَّةَ في طلبِ ما يَفنَى على العِزِّ في طلبِ ما يبقى.

٢١٨٠ ـ وقال عُبيدُ بن عُميْرٍ: الدُّنيا أمَدٌ، والآخرةُ أبَدٌ.

٢١٨١ ـ وقال الزهريُّ: الزاهدُ في الدُّنيا مَنْ لم يمنعِ الحلالَ شُكرَه، ولم يغلبِ الحرامُ صبْرَه. قال معناه: مَنْ تركَ الحرامَ، وشكرَ الحلالَ.

٢١٨٢ ـ وقال الحسنُ: الحجُّ المبرورُ: أنْ ترجِعَ زاهداً في الدُّنيا، راغباً في الآخرة.

٢١٨٣ ـ وقال بعضُ الصالحين: الزهدُ تركُ الحرامِ وفضولِ الحلالِ، وتركُ المنْزلةِ عندَ الناسِ.

٢١٨٤ ـ ولم يعبْ سُحنونَ قوله: تركُ الحرامِ، وقال: تركُ الحرام فريضةٌ. وقال: مِنَ الزُّهدِ تركُ الفضولِ عند القُدرةِ عليها، ولا خيْرَ في حبِّ المنْزلةِ.

٢١٨٥ ـ وقال سُحنونُ: زُهدُ الغنِيِّ بالتَّركِ، وزُهدُ الفقير بالنِّيَّةِ، وتركُ الدُّنيا زهداً أفضل مِنْ طلبِها وإنفاقِها في البِرِّ.

٢١٨٦ ـ وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: الزُّهدُ ثلاثةُ أصنافٍ: فزهدٌ فرضٌ، وزهدٌ فضلٌ، وزهدٌ سلامةٌ؛ فالزهدُ الفرضُ: الزهدُ في الحرامِ، والزهدُ الفضلُ: الزهدُ في الحلالِ، وزهدُ السلامةِ: الزهدُ في المشتَبَهِ.

٢١٨٧ ـ ولمحمد بن حازمٍ:

قُلْ لِلْمُقِلِّينَ ذَوِي الزُّهْدِ ... مَلَكْتُمُ الدُّنيا بلا جُنْدِ
لو ذاقَتِ الأمْلاكُ ما ذُقْتُمُ ... مِنْ لَذَّةِ العَيْشِ بلا نَكْدِ
فَرُّوا إليكُم ثُمَّ قالوا ... لقدْ أنقَذَنَا اللَّهُ مِنَ الجُهْدِ
حياتُكُمْ طَيِّبَةٌ فانْعَمُوا ... بالعَمَلِ الصَّالِحِ لِلْخُلْدِ

٢١٨٨ ـ ولي فيما يقرب مِنْ هذا المعنى:

تَبَلَّغْ مِنَ الدُّنيا بِأَيْسَرِ زادِ   فإنَّك عنها راحِلٌ لِمَعادِ
وغُضَّ عَنِ الدُّنيا وزُخْرُفِ أَهْلِهَا   جُفونَك واكحلها بطول سُهادِ
وجاهِدْ عَنِ اللَّذاتِ نَفْسَكَ جاهِدًا   فإنَّ جِهادَ النَّفْسِ خَيْرُ جِهادِ
فما هذه الدُّنيا بِدارِ إقامَةٍ   فَتَعْتَدَّ مِنْ أعْراضِها بِعَتَادِ
وما هِيَ إلا دارُ لَهْوٍ وفِتْنَةٍ   وأنَّ قُصارى أَمْرِهَا لِنَفَادِ

٢١٨٩ ـ ورُوِيَ في بعضِ الكتبِ: أوحى الله عَزَّ وجَلَّ إلى الدُّنيا: مَنْ خدمني فاخدُميه، ومَنْ خدَمَك فاستخْدِميه.

٢١٩٠ ـ ورُوِيَ عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ انه قال: الدُّنيا قَنطرَةٌ، فاعبُروها ولا تعمُروها.

٢١٩١ ـ ولبعض البغداديين:

لقدْ غَرَّتِ الدُّنيا رِجالاً فأصبَحُوا   بِمَنْزِلَةٍ ما بعدَها مُتَحَوَّلُ
فساخِطُ أمْرٍ لا يُبَدَّلُ غَيْرَهُ   وراضٍ بأمْرٍ غَيْرِه سَيُبَدَّلُ
وبالِغُ أمرٍ كانَ يأمُلُ دُونَه   ومُخْتَلَجٌ مِنْ دُونِ ما كانَ يَأمُلُ

٢١٩٢ ـ وقال يحيى بنُ خالد: دخلنا في الدُّنيا دُخولاً أخرَجَنا منها.

٢١٩٣ ـ وقال الشَّعبِيُّ: ما أعلمُ لي وللدنيا مثالاً إلا ما قال كُثَيِّرٌ:

أَسِيئي بِها أو أَحْسِني لا مَلُومَةً   لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتِ

٢١٩٤ ـ وقال سفيانُ[1]: كما تركَ لكمُ الملوكُ الحكمةَ، فاترُكوا لهمُ الدُّنيا.

---

(١) هو ابن عيينة. والأثر رواه ابن المبارك في الزهد (٢٨٤)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧٤/٥ عن سفيان بن عيينة، حدثنا خلف بن حوشب، قال: قال عيسى بن مريم ﷺ للحواريين... فذكره.

٢١٩٥ ـ وانشدوا لأبي العتاهية:

أَرَى أُناساً بأدنى الدِّينِ قد قَنَعُوا ولا أراهم رَضُوا في العَيْشِ بالدُّونِ
فاسْتَغْنِ باللهِ عَنْ دُنيا الملوكِ كما استَغْنَى الملوكُ بدنياهم عَنِ الدِّينِ

٢١٩٦ ـ وقيل لمحمدِ بنِ واسعٍ: إنَّك لترضى بالدُّون! فقال: إنَّما يرضى بالدُّونِ مَنْ رَضِيَ بالدُّنيا.

٢١٩٧ ـ وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: حبُّ الدُّنيا أصلُ كلِّ خطيئةٍ، والمالُ فيها داءٌ كبيرٌ. قيل: فما داؤُه؟ قال: الفخرُ والكِبْرُ، فإنْ سَلِمَ مِنْ ذلك شَغَلَه عنْ ذِكْرِ الله تعالى.

٢١٩٨ ـ ولأبي العتاهية:

يا مَنْ تَرَفَّعَ بالدُّنيا وزِينَتِها ليسَ التَّرَفُّع رَفْع الطِّينِ بالطِّينِ
إذا أرَدْتَ شَريفَ النَّاسِ كُلِّهِمُ فانْظُرْ إلى مَلِكٍ في زِيِّ مِسْكينِ

٢١٩٩ ـ وقيل لإبراهيمَ بن أدهمَ: كيف أنت يا أبا إسحاق؟ فأنشأ يقول:

نُرَقِّعُ دُنيانا بتَمْزيقِ دِينِنا فلا دِينُنا يَبْقَى ولا ما نُرَقِّعُ
فَطُوبى لعَبدٍ آثَرَ اللَّهَ رَبَّه وجادَ بِدُنياهُ لِمَا يَتَوَقَّعُ

٢٢٠٠ ـ وقال فُضَيْلُ بنُ عِياضٍ: لو كانتِ الدُّنيا مِنْ ذهبٍ يَفنى، والآخرةُ مِنْ خَزَفٍ يَبقى، لكانَ يَنبغي لنا أنْ نختارَ خزفاً يبقى على ذهبٍ يَفنى، فكيف وقد اختَرنا خزفاً يفنى على ذهبٍ يبقى!.

٢٢٠١ ـ ولبعضِهم:

هَبِ الدُّنيا تُساقُ إليكَ عَفْوَا أليسَ مَصِيرُ ذَاكَ إلى انْتِقالِ
وما دُنياك إلا مِثْلُ فَيْءٍ أَظَلَّكَ ثُمَّ آذَنَ بالزَّوالِ

٢٢٠٢ ـ وقال الحسن: رحمَ الله قوماً كانتِ الدُّنيا عندَهم وديعةً، فأدَّوْها إلى مَنِ ائتمنَهم عليها، ثم راحوا خِفافاً.

٢٢٠٣ ـ ويُروى عن داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان يقول: إلهي، لأَنْ أذوقَ مرارة الدُّنيا بحلاوةِ الآخرةِ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أذوقَ حلاوةَ الدُّنيا بمرارةِ الآخرةِ.

٢٢٠٤ ـ ويُروى أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مرَّ على رجل نائمٍ، فقال: يا عبدَ اللَّه، ألا تقومُ فتعبدَ ربَّك؟ فقال: قد عبدتُ ربِّي بأحبِّ العبادةِ إليه. قال: وما هي، قال: تركتُ الدُّنيا لأهلها. قال عيسى: نم، فقد فُقْتَ العابدين.

٢٢٠٥ ـ وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: الزهدُ في الدُّنيا هو ثلاثةُ أحرفٍ: زايٌ وهاءٌ ودالٌ؛ فمعنى الزاي: أنْ تتركَ زينةَ الدُّنيا، ومعنى الهاء: أنْ تتركَ هواها، ومعنى الدال: أنْ تتركَ الدُّنيا بأسرها. فإذا كان كذلك كمُلَ الزهدُ.

٢٢٠٦ ـ وقيلَ لمالك بن أنسٍ: ما الزهدُ؟ قال: التقوى. لم يزهدْ رجلٌ في الدُّنيا إلا نطقتِ الحكمةُ على لسانه.

٢٢٠٧ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: الزهدُ زُهدانِ: زهدٌ في الدُّنيا، وزهدٌ في الرئاسة، فمَنْ زَهَدَ في الدُّنيا ولم يزهَدْ في الرئاسةِ لم ينفَعْه زهدُه في الدُّنيا، ومَنْ زَهَدَ في الرئاسة كان في الدُّنيا أزهدَ.

٢٢٠٨ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: الزهدُ في الرئاسة أشدُّ مِنَ الزهدِ في الذهبِ والفضةِ؛ لأنَّه قد يبذُلُ الذهبَ والفضةَ في طلبِ الرئاسةِ.

٢٢٠٩ ـ وقال أبو سُليمانَ الدَّارانِيُّ: ليس الزاهدُ مَنْ ألقَى هُمومَ الدُّنيا واستراحَ منها، إنَّما الزَّاهدُ مَنْ زهَدَ في الدُّنيا وتعِبَ فيها للآخرةِ.

٢٢١٠ ـ وقال أبو سُليمانَ: ليس للرجلِ أنْ يحملَ أهلَه على الزُّهدِ، ولكن يدعوهم إليه، فإنْ أجابوه وإلا اشترى لهم ما يُصلحُهم، وعمِلَ هو في نفسِه ما شاء.

٢٢١١ ـ وقال وكيعٌ لسُفيانَ الثوريِّ: تأمُرُ الناسَ بالزهدِ وأنت تأكلُ الطَّباهِجَ[1]؟! فقال: إنِّي لم أنهَهم عنِ الأكلِ. كلْ وانظُرْ مِنْ أينَ تأكلُ، وادخُلْ وانظُرْ على مَنْ تدخلُ، وتكلَّمْ وانظُرْ كيف تتكلَّمُ، فإنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ عندَ لسانِ كلِّ قائلٍ، فإنَّه ما تزيَّنَ الناسُ بشيءٍ أفضل مِنَ الصدقِ وطلبِ الحلالِ.

٢٢١٢ ـ وقيل ليحيى ين معاذٍ: متى يكون الرجلُ زاهداً؟ قال: إذا بلغ حرصُه في تركِها كحرصِ الحريصِ في طلبِها.

٢٢١٣ ـ وقالت امرأةُ أبي حازمٍ لأبي حازمٍ: هذا الشتاءُ قد هجمَ علينا، ولا بُدَّ لنا مِنَ الطعامِ والثيابِ والحطبِ، فقالَ لها أبو حازمٍ: مِنْ هذا كلِّه بُدٌّ، ولا بُدَّ لنا مِنَ الموتِ، ثم البعثِ، ثم الوقوفِ بين يديِ اللَّهِ تعالى، ثم الجنة أو النار.

٢٢١٤ ـ وقال ابنُ عباس: سمعت أبا بكر الصديق ﷺ يقول:

إذا أردتَ شريفَ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... فانظُرْ إلى مَلِكٍ في زِيِّ مِسْكِينِ
ذاك الذي حَسُنَتْ مِنْهُ خَلائِقُهُ ... وذاكَ يَصْلُحُ للدُّنْيا وللدِّينِ

٢٢١٥ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: الزاهدُ نظرُه في الدُّنيا عِبْرَةٌ، وكلامُه فيها حِكمةٌ، وسُكوتُه فيه فِكرةٌ، يصبِرُ عندَ البلاءِ، ويشكرُ عند الرَّخاءِ، ويرضى بجميعِ القضاءِ.

٢٢١٦ ـ ويُرْوى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان يقول: حبُّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ، والنِّساءُ حُبالَةُ إبليسَ، والخمرُ جِماعُ كلِّ شرٍّ.

٢٢١٧ ـ ورُوِيَ عن أبي الدرداء أنه كان يقول: كفى به ذنباً لا يُستَغْفَرُ منه حُبُّ الدُّنيا.

---

(١) الطباهج: اللحم المشرَّح.

٢٢١٨ ـ ورُوِيَ عن ثوبانَ مولى رسولِ الله ﷺ أنه قال لشُرَحْبيلَ بنِ مسلم: اشحذْ سيفَك. قال: وما ذاك يا عبدَ اللَّه؟ قال: قُذِفَ في قلوبكمُ الوهنُ، ونُزِعَ مِنْ عدوِّكمُ الرُّعبُ، قال: وما ذاك؟ قال: بِحبِّكمُ الدُّنيا وكراهيتِكمُ الموتَ.

٢٢١٩ ـ ورُوِيَ أنَّ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول لأصحابه: بحقٍّ أقول لكم: شرُّكم عملاً عالِمٌ يحبُّ الدُّنيا، يوَدُّ لو أنَّ الناسَ كلَّهم في عملِه مِثلَه، ما أحبُّ إليَّ عبيدَ الدُّنيا لو يجدون معذرةً، ما أبعدهم يشعرون.

٢٢٢٠ ـ ورُوِيَ عنِ الحسنِ أنه قال: إنَّ الدُّنيا خَضِرَةٌ حُلوةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُستخلِفَكم فيها، فناظِرٌ كيف تعملون، فاتَّقوا النساءَ، واتَّقوا الدُّنيا، فوالذي نفسي بيده، إنَّها لأسحَرُ مِنْ هاروتَ وماروتَ[1].

٢٢٢١ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن سَلَمَةَ أنه قال: اجتمع ثلاثةُ نَفَرٍ عل ذمِّ الدُّنيا، فقالت لإبليسَ: ألا تسمعُ ما يقولون؟ فقال: دعيهم حتى يتفرَّقوا، فلأُلزِمَنَّهم مِنْ حبِّك ما يعانقونك به اعتناقاً.

٢٢٢٢ ـ وقال يزيدُ بن أبي يزيدَ: وقع بالبصرةِ حريقٌ، فأخذ مالكُ بنُ دينارٍ مُصحفَه في عنقِه ثم خرج، فقال: هكذا يومَ القيامةِ.

٢٢٢٣ ـ ولمحمد بن كُناسةَ:

رأَيْتُكَ لا يُغْنيكَ ما دُونَهُ الغِنَى ... وقد كانَ يُغْنِي دُونَ ذاك ابْنُ أَدْهَمَا

وكان يَرَى الدُّنيا صَغيراً عَظيمُها ... وكانَ لِحَقِّ اللَّهِ فيها مُعَظِّمَا

يُرَى مُسْتَكِيناً خاضِعاً مُتَواضِعاً ... ولَيْثاً إذا لاقَى الكَتيبَةَ ضَيْغَمَا

(١) وصح مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. رواه مسلم (٢٧٤٢) من دون قوله: «**إنها لأسحر من هاروت وماروت**». وقد روى هذه اللفظة البيهقي في شعب الإيمان ٣٣٩/٧، وقال عنها الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤٤/٧: إنه خبر منكر.

٢٢٢٤ ـ ولعُبيدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ طاهرٍ:

ومَنْ سَرَّهُ أنْ لا يرى ما يَسُوؤُه فلا يَتَّخِذْ شَيْئاً يَخافُ له فَقْدَا
فإنَّ صَلاحَ المَرْءِ يَرْجِعُ كُلُّهُ فَساداً إذا الإنسانُ جازَ به الحَدَّا

٢٢٢٥ ـ ابن طباطبا العلويِّ:

إنَّ في نَيْلِ المُنَى وَشْكُ الرَّدَى وقِياسُ القَصْدِ عِنْدَ الشَّرَفِ
كَسِراجٍ دُهْنُهُ قُوتٌ لَهُ فإذا غَرَّقْتَهُ فيه طُفِي

٢٢٢٦ ـ وقال أبو حازم: إنَّما بيني وبين الملوكِ يومٌ واحدٌ، أمَّا أمسِ، فلا يجدون لَذَّتَه، وأنا وإياهم مِنْ غدٍ على وَجَلٍ، وإنَّما هو اليومُ، فما عسى أنْ يكونَ؟.

٢٢٢٧ ـ ولحاتم طَيِّئٍ في هذا المعنى:

هلِ الدَّهْرُ إلا اليومُ أو أمسِ أو غَدُ كذاك الزَّمانُ بينَنا يَتَرَدَّدُ
يُرَدُّ علينا لَيْلَةً بعدَ يَوْمِهَا فلا نَحْنُ ما نَبْقَى ولا الدَّهْرُ يَنْفَدُ

٢٢٢٨ ـ وقال أبو العتاهيةِ:

حَتَّى متَى نحنُ في الأيَّام نحسُبها وإنَّما نحنُ منها بيْنَ يَوْمَيْنِ
يومٌ تَوَلَّى ويومٌ نحنُ نَأمُلُهُ لعلَّهُ أجْلَبُ الأيَّامِ لِلْحَيْنِ

٢٢٢٩ ـ ولآخر:

حَسْبُ الفَتَى مِنْ عَيْشِهِ زادٌ يُبَلِّغُهُ المَحَلا
خُبْزٌ وماءٌ بارِدٌ والظِّلُّ حينَ يُريدُ ظِلا

٢٢٣٠ ـ ولآخر:

وإذا نَبَا بي مَنْزِلٌ داوَلْتُهُ واعْتَضْتُ عنه غَيْرَهُ لي مَنْزِلا
وإذا غلا شَيْءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُه فيكونُ أرْخَصَ ما يكونُ إذا غَلا

* * *

١٤٧ ـ ما جاء في وصف الدنيا وذمّها

٢٢٣١ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

٢٢٣٢ ـ ورُوِيَ عن بعضِ الحُكماءِ أنه قال: الدُّنيا دارُ مَنْ لا دارَ له، ومالُ مَنْ لا مالَ له، ولها يجمعُ مَنْ لا عقلَ له، وعليها يُعادي مَنْ لا عِلْمَ له، وعليها يَحسُدُ مَنْ لا فِقْهَ له، ولها يسعى مَنْ لا يقينَ له[١].

٢٢٣٣ ـ وكان أبو عبد الله الصَّنابِحِيُّ يقول: اللَّهُمَّ إنِّي لا أرى الدُّنيا إلا حَرّاً مُؤذياً، أو برداً مُؤذياً، فعَجِّلْ ليَ الراحةَ منها إلى ما هو خيْرٌ لي منها.

٢٢٣٤ ـ وقال ابنُ السَّمَّاكِ: لو لم يزهدْ أهلُ الدُّنيا في الدُّنيا إلا أنَّ ابنَ آدمَ منها على خطرٍ عظيم؛ إمَّا نِعمةٌ راحِلةٌ، وإمَّا بَلِيَّةٌ نازِلةٌ، وإمَّا مُصيبةٌ حادثةٌ، وإمَّا مَنيَّةٌ قاضيةٌ. فلقد كدَّرتْ عليه العيشَ إنْ كان له عقلٌ، فهو في النَّعماءِ على خطرٍ، ومِنَ البلاءِ على غَرَرٍ، ومِنَ المنايا على يقينٍ، فلو كان الخالقُ لم يخبِرْ عنها بخبَرٍ، ولم يضربْ لها مثلاً بزُهدٍ، لكانتِ الدُّنيا قد أيقظتِ النائمَ، ونبَّهتِ الغافلَ. فكيف وقد بيَّنَ اللَّهُ تعالى عنها زاجراً، وفيها واعظاً؟ فما لها عندَه قدْرٌ، ولا لها عنده وزنٌ، وما خلَقَ اللّهُ خلْقاً أبغضَ إليه منها. ولقد بلغني أنَّه ما نظر إليها منذُ خلقَها بُغضاً لها، ولقد عُرِضَتْ على نبيِّنا محمد ﷺ بمفاتِحها وخواتِمها، ولا يَنقُصُهُ ذلك عندَ الله شيئاً فلم يقبلها، علمَ أنَّ اللَّهَ أبغضَ شيئاً فأبغضَه، وصغَّرَ شيئاً فصغَّرَه، ووضع شيئاً فوضعَه. فلو قبِلَها كان الدليل على حبِّه لها قبوله إياه، ولكن كره أنْ يخالفَ

---

(١) تقدم نحوه برقم (٢١٤٧) من قول عبد الله بن مسعود رضي الله.

على اللَّهِ أمرَه، أو يحبَّ ما أبغضَه خالقُه، أو يرفعَ ما وضعَه مالكُه.

٢٢٣٥ - وقيل لعليِّ بنِ أبي طالب ﷺ: صِفْ لنا الدُّنيا. قال: ما أصِفُ لك مِنْ دارٍ: مَنْ صَحَّ فيها سَقِمَ، ومَنْ سَقِمَ فيها بَرِمَ، ومَنِ افتقرَ فيها حَزِنَ، ومَنِ استغنى فيها فُتِنَ، حلالُها حسابٌ، وحرامُها عقابٌ.

٢٢٣٦ - ورُوِيَ عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: الدُّنيا لإبليسَ مزرعةٌ، وأهلُها له حُرَّاثٌ.

٢٢٣٧ - وقال ابنُ المعتزِّ: وَعْدُ الدُّنيا إلى خُلْفٍ، وبقاؤُها إلى تَلَفٍ، طَوَّاحةٌ طَرَّاحةٌ، آسِيَةٌ جَرَّاحةٌ، كم راقدٍ في ظلِّها قد أيقظَته، وواثِقٍ بها قد خانتْه.

٢٢٣٨ - وروى المباركُ بنُ فَضالَةَ عنِ الحسنِ أنَّه كان إذا تلا هذه الآية: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] قال: هذا قاله مَنْ خلقَها، وهو أعلمُ بها.

٢٢٣٩ - وقال سفيانُ الثوريُّ: قال لقمانُ لابنِه: يا بُنَيَّ، إنَّ الدُّنيا بحرٌ عميقٌ، قد غرقَ فيه ناسٌ كثيرٌ، فلتكُنْ سفينتُك فيه تقوى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، وحشْوُها الإيمانُ باللهِ عَزَّ وجَلَّ، وشِراعُها التَّوكلُ على الله تعالى، لعلَّك تنجو، ولا أراك ناجياً.

٢٢٤٠ - ورُوِيَ عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: إنَّ أولياءَ الله تعالى همُ الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، الذين نظروا إلى باطنِ الدُّنيا حين نظر الناسُ إلى ظاهرِها، وإلى آجِلِها إذا نظرَ الناسُ إلى عاجِلِها، فأماتوا ما خَشُوا أنْ يُميتَهم، وتركوا ما علِموا أنَّه سيترُكهم، أعداءُ ما سالَمَ الناسُ، وسِلْمٌ لِمَا عادى الناسُ، لهم خَبَرٌ عجيبٌ، وعندهمُ الخَبَرُ العجيبُ، بهم نطقَ الكِتابُ وبه نطقُوا، وبهم عُلِمَ الهُدى، وبه عُلموا. لا يَرَوْنَ أماناً دُونَ ما يَرجُون، ولا خوفاً دونَ ما يَجدون.

٢٢٤١ ـ وذَمَّ رجلٌ بحضرةِ عليِّ بن أبي طالبٍ كرَّم اللَّهُ وجهَه الدنيا، فقال: الدُّنيا دارُ صِدْقٍ لِمَنْ صدَقَها، ودارُ نجاةٍ لِمَنْ فَهِمَ عنها، ودارُ غِنَى لِمَنْ تزوَّدَ منها. فيها مهبِطُ وحيِ الله تعالى، ومُصلَّى ملائكتِه، ومساجدُ أنبيائِه،ومتجرُ أوليائِه، ربِحوا فيها الرحمةَ، واكتسبوا فيها الجنةَ، فمَنْ ذا يذُمُّها وقد آذنَتْ ببَيْنِها، ونادتْ بفُراقِها، وذكَّرتْ بسرورها الشُّرورَ، وببلاياها البلاءَ، ترغيباً وترهيباً. فيا أيُّها الذَّامُّ المعلِّلُ نفسَه بغرُورها، متى خدعتْكَ الدُّنيا بمصرعِ آبائك في البِلَى، أمْ بمضْجَعِ أُمَّهاتِك في الثَّرى؟.

٢٢٤٢ ـ وللحسن بن هانئٍ:

وما نحنُ إلا هالِكٌ وابنُ هالِكٍ ... وذو نَسَبٍ في الهالِكينَ عَريقُ
إذا امتَحَنَ الدُّنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَتْ ... له عن عَدُوٍّ في ثِيابِ صَديقُ

٢٢٤٣ ـ وكان المأمونُ يقول: لو قيل للدُّنيا: صِفي نفسَك، ما عدَت هذا البيتَ:

ومَنْ يَأمَنِ الدُّنيا يَكُنْ مِثْلَ قابِضٍ ... على الماءِ خانَتْهُ فُروجُ الأَصابِعِ

٢٢٤٤ ـ وخطبُ الحسينُ بنُ عليٍّ ﷺ غَداةَ اليوم الذي استُشهد فيه، فحمِدَ اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: يا عبادَ اللَّه، اتَّقوا اللَّهَ، وكونوا مِنَ الدُّنيا عل حذَرٍ، فإنَّ الدُّنيا لو بقيتْ على أحدٍ، وبَقِيَ عليها أحدٌ، لكانت للأنبياءِ أحقَّ بالبَقاءِ، وأولى بالرِّضى، وأرضى بالقضاءِ، غيْرَ أنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى خلقَ الدُّنيا للفناءِ، فجديدُها بالٍ، ونعيمُها مُضْمَحِلٌّ، وسرورُها مُكْفَهِرٌّ، والمنْزلُ بُلْغَةٌ، والدارُ قُلْعَةٌ، فتزوَّدوا فإنَّ خيْرَ الزَّادِ التَّقوى.

٢٢٤٥ ـ وقال محمود الورَّاقُ:

تُبَيِّتُ مالَك مِيراثاً لِوارِثِه ... فَلَيْتَ شِعْري ما بَقَّى لكَ المالُ
القَوْمُ بعدَكَ في حالٍ تَسُرُّهُمُ ... فليتَ شِعْري ما آلَتْ بِكَ الحالُ

مَلُّوا البُكاءَ فما يَبْكيكَ مِنْ أحَدٍ واسْتَحْكَمَ القِيلُ في الميراثِ والقالُ

٢٢٤٦ - وقال الأصمعيُّ: قرأتُ على قبْرٍ:

يا طالِبَ الدُّنيا أَلَمْ تَتَّعِظْ بِفِعْلِها قَبْلَكَ في العالَمِ
إنَّ التي تَطْلُبُ غَرَّارَةٌ قَريبَةُ العُرْسِ مِنَ المأْتَمِ

٢٢٤٧ - ولبعضهم:

كم للحَوادِثِ مِنْ صُروفِ عَجائِبِ ونَوائِبٍ مَوصُولَةٍ بنَوائِبِ
ولقدْ تَقَطَّعَ مِنْ شَبابِكَ وانْقَضَى ما كنتُ أعلَمُه إليك بآيِبِ
تُبْقِي مِنَ الدُّنيا الكَثيرَ وإنَّما يَكفيكَ منها مثلُ زادِ الرَّاكِبِ
لا يُعْجِبَنَّكَ ما ترى فكأنَّه قد زالَ عنك زوالَ أمسِ الذَّاهِبِ

٢٢٤٨ - ولبديع الزمانِ:

إنَّ للأيَّامِ أسراراً بِهَا سوفَ تَبوحْ
إنَّما نحنُ إلى الآ جالِ نَغْدُو ونَرُوحْ
إنَّما الدَّهْرُ غُرورٌ ولِمَنْ أصْغَى يَصِيحْ
ولِسانُ الدَّهْرِ بالْوَعْظِ لِواعِيهِ فَصِيحْ
نحنُ لاهونَ وآجا لُ المنايا لا تُريحْ

٢٢٤٩ - ولعليِّ بنِ العباسِ الرُّومي:

لَعَمْرُكَ ما الدُّنيا بِدارِ إقامَةٍ إذا زالَ عنْ عيْنِ الَّلبيبِ غطاؤُها
وكيفَ بقاءُ الناسِ فيها وإنَّما يُنالُ بأسبابِ الفَناءِ بَقاؤُها

٢٢٥٠ - ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: **«لو كانتِ الدُّنيا تعدِلُ عندَ الله جناحَ بَعوضَةٍ ما سقى الكافرَ منها شَربةً»**(١).

---

(١) حديث صحيح. تقدم تخريجه برقم (٢١٣٣).

٢٢٥١ ـ ولبعضِهم:

ولـو كانـتِ الـدُّنيا ثَـوابـاً لـمحسِنٍ إذاً لـم يـكُـنْ فيـهـا مَعـاشٌ لـظالِـمِ
فـقـدْ جـاعَ فـيـهـا الأنـبـياءُ كـرامَـةً وقـد شَـبعَـتْ فيـهـا بُـطونُ الـبهـائِـمِ

٢٢٥٢ ـ وأنشدوا:

أرى الـدُّنـيـا لِـمَـنْ هـي فـي يَـدَيْـهِ بـلاءً كـلَّـمـا كَـثُـرَتْ إلـيـهِ
تُـهـيـنُ الـمـكـرِمـيـنَ لـهـا بِـصـغْـرٍ وتُـكْـرِمُ كـلَّ مَـنْ هـانـتْ عـلـيـهِ
إذا اسـتـغـنَـيـتَ عـن شـيءٍ فـدعْـهُ وخُـذْ مـا كـنـتَ مُـحـتـاجـاً إلـيـهِ

٢٢٥٣ ـ ويروى أن الله عَزَّ وجَلَّ قال لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُهبِطَ إلى الأرض: ابنِ لخرابٍ، ولِدْ لفَناءٍ.

٢٢٥٤ ـ وقال بعض الحكماء[1]: «**الدُّنيا سجنُ المؤمنِ، وجنَّةُ الكافرِ**».

٢٢٥٥ ـ وقيل لبعضِهم: كيف ترى الدُّنيا؟ قال: تُخْلِقُ الأبدانَ، وتُجَدِّدُ الآمالَ، وتُقرِّبُ المنيَّةَ، وتُباعدُ الأُمنيَّةَ. قال: فما حالُ أهلِها؟ قال: مَنْ ظَفِرَ فيها تعِبَ، ومَنْ فاتته نصَبَ[2].

٢٢٥٦ ـ وأنشدوا:

ومَـنْ يَـحْـمَـدِ الـدُّنـيـا لِـعَـيْـشٍ يَـسُـرُّهُ فـسوفَ لَعَمْري عنْ قليلٍ يَلومُها
إذا أقبلتْ كانت على المرءِ حَسْرَةً وإنْ أدبرتْ كانت كثيراً هُمومُها

٢٢٥٧ ـ ولغيْرِه:

تَروحُ لك الدُّنيا بغيْرِ الذي غَدَتْ وتَـحْـدُثُ مِـنْ بـعـدِ الأمـورِ أُمـورُ
وتَجري الليالي باجتماعٍ وفُرقَةٍ وتَـطْـلُـعُ فـيـهـا أنْـجُـمٌ وتـغُـورُ

---

(١) بل هو من قول الرسول ﷺ رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) سيأتي نحوه برقم (٢٢٧٣).

فَمَنْ ظَنَّ أنَّ الدهرَ باقٍ سُرورُهُ فذاك مُحالٌ لا يَدومُ سُرورُ
عفا اللَّهُ عمَّنْ صَيَّرَ الهمَّ واحداً وأيقَنَ أنَّ الدَّائراتِ تدُورُ

٢٢٥٨ ـ ولغيْرِه:

ألا إنَّما الدُّنيا غَضارَةُ أَيْكَةٍ إذا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جَفَّ جانِبُ
فكم سُخِّنَتْ بالأمسِ عيْنٌ قَريرَةٌ وقَرَّتْ عيونٌ دمعُها اليومَ ساكِبُ
هي الدارُ ما الآمالُ إلا فجائِعٌ عليها وما اللذَّاتُ إلا مصائِبُ
فلا تكتَحِلْ عيناك فيها بعَبْرَةٍ على ذاهبٍ منها فإنَّك ذاهِبُ

٢٢٥٩ ـ ولغيْرِه:

ألا إنَّما الدُّنيا كأحلامِ نائِمٍ وما خيْرُ عيشٍ لا يكونُ بدائِمِ
تأمَّلْ إذا ما نِلْتَ بالأمْسِ لَذَّةً فأفْنَيْتَها هل أنتَ إلا كحالِمِ

٢٢٦٠ ـ وقال ابن عباس ﷺ: إنَّ اللَّهَ جعل الدُّنيا ثلاثةَ أجزاءٍ: جُزءاً للمؤمنِ، وجزءاً للمنافقِ، وجزءاً للكافر. فالمؤمنُ يتزوَّدُ، والمنافقُ يتزيَّنُ، والكافر يتمتَّعُ.

٢٢٦١ ـ وقال أبو الدَّرداءِ: مِنْ هَوانِ الدُّنيا على اللَّهِ أنَّه لا يُعصى إلا فيها، ولا يُنالُ ما عندَه إلا بتركِها.

٢٢٦٢ ـ وقال أبو حازمٍ: ما الدُّنيا؟ أمَّا ما مضى منها فحُلُمٌ، وما بقِيَ فأمانيٌّ.

٢٢٦٣ ـ وأنشدوا:

أرى طالِبَ الدُّنيا وإنْ طالَ عُمرُهُ ونالَ مِنَ الدُّنيا سُروراً وأنْعُمَا
كبَانٍ بَنَى بُنيانَه فأتَمَّه فلمَّا استوى ما قدْ بناهُ تَهَدَّما

٢٢٦٤ ـ ولمضَرِّسِ بنِ رِبْعِيٍّ:

وما هي إلا ليلَةٌ ثم يومُها وحَوْلٌ إلى حولٍ وشهرٌ إلى شهرِ

مطايا يُقَرِّبْنَ الصَّحيحَ إلى البِلى ... ويُدنينَ أشلاءَ السَّقيمِ إلى القَبْرِ
ويَتْرُكْنَ أزواجَ الغَيورِ لِغَيْرِهِ ... ويَقْسِمْنَ ما يَحوي الشَّحيحُ مِنَ الوَفْرِ

٢٢٦٥ ـ ولآخر:

وما أهلُ الحياةِ لنا بأهلٍ ... ولا دارُ الفَناءِ لنا بدارِ
وما أموالُنا إلا عَوارٍ ... سَيأخُذُها المعِيرُ مِنَ المُعارِ

٢٢٦٦ ـ ولإسماعيل بن القاسم:

أصبحتِ الدُّنيا لنا عِبْرَةً ... والحمدُ لله على ذلِكَا
اجتمعَ الناسُ على ذَمِّها ... وما نرى منهم لها تارِكَا

٢٢٦٧ ـ ومر رجلٌ مع أبي عثمانَ الدَّباغِ على كَنيفٍ[1]، فقال: إلى هذا انتهتْ دنيا القوم.

٢٢٦٨ ـ وأنشدوا:

ولقد سألتُ الكُتْبَ عنْ أخبارِهم ... فتضاحَكَتْ عَجَباً ولم تُبْدِ
حتَّى مَرَرْتُ على الكَنيفِ فقال لي ... أموالُهم ونَوالُهم عندي

٢٢٦٩ ـ وللتِّهامي:

حُكْمُ المنيَّةِ في البَرِيَّةِ جارِ ... ما هذه الدُّنيا بدارِ قَرارِ
بيْنَا يُرى الإنسانُ فيها مُخْبِراً ... حتَّى يُرَى خَبَراً مِنَ الأخبارِ
طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُريدُها ... صَفْوَاً مِنَ الأقْذاءِ والأكدارِ
ومُكَلِّفُ الأيَّامِ ضِدَّ طِباعِها ... مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذْوةَ نارِ
وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنَّما ... تَبني الرَّجاءَ على شَفيرٍ هارِ
العيشُ نَومٌ والمنِيَّةُ يَقْظَةٌ ... والمرْءُ بينَهُما خَيالٌ سارِ

---

(١) الكنيف: بيت الخلاء، وموضع قضاء الحاجة.

فاقضُوا مآرِبَكم عِجالاً إنَّما أعمارُكم سَفَرٌ مِنَ الأسفارِ
وتراكَضُوا خيْلَ الشَّبابِ وبادِرُوا أنْ تُسْتَرَدَّ فإنَّهُنَّ عَوارِي
فالدَّهْرُ يخدَعُ بالمنى ويَغُصُّ إنْ هَنَّى ويَهْدِمُ ما بَنَى بِبَوارِ

٢٢٧٠ ـ ولبشارٍ:

ذكرتُ بها عيباً فقلتُ لصاحِبي كأَنْ لم يكُنْ ما كان حينَ يزولُ
بدا لِيَ أنَّ الدهرَ يقدَحُ في الصَّفَا وأنَّ بقائي إنْ حَيِيتُ قَليلُ
فعِشْ خائِفاً للموتِ أو غيْرَ خائفٍ على كلِّ نفسٍ للحِمامِ دَليلُ
خَليلُكَ ما قَدَّمْتَ مِنْ عملِ التُّقَى وليس لأيَّامِ المنونِ خَليلُ

٢٢٧١ ـ وللنَّاشئ:

وُجودُ المُنَى أنْ لا تَكَثَّرَ بالمُنَى ونَيْلُ الغِنَى أنْ لا تُفكِّرَ في الغِنَى
ومنْ كان للدُّنيا أشدَّ تَصَوُّراً تَجِدْهُ عنِ الدُّنيا أشَدَّ تَصَوُّنا

٢٢٧٢ ـ ولأبي الطيب:

سُبِقْنَا إلى الدُّنيا فلو عاشَ أهلُها مُنِعْنَا بها مِنْ جيئةٍ وذَهوبِ
تَمَلَّكَها الآتي تَمَلُّكَ سالِبٍ وفارَقَها الماضي فِراقَ سَليبِ

٢٢٧٣ ـ ولقي رجلٌ حكيماً، فقال: كيف ترى الدَّهرَ؟ قال: يُخلِقُ الأبدانَ، ويُجدِّدُ الآمالَ، ويُقرِّبُ المنيَّةَ. قال: فما حالُ أهلِه؟ قال: مَنْ ظفِرَ منهم تعِبَ، ومَنْ فاتَه نصب. قال: فما الغِنى عنه؟ قال: قطْعُ الرَّجاءِ منه. قال: فأيُّ الأصحابِ أبَرُّ وأوفى؟قال: العملُ الصالِحُ والتَّقوى. قال: فأيُّهم أضَرُّ وأردى؟ قال: النفسُ والهوى. قال: فأين المخرجُ؟ قال: في سُلوكِ المنهجِ. قال: وما هو؟ قال: بذْلُ المجهودِ، وترْكُ الرَّاحةِ، ومُداوَمَةُ الفِكر. قال: أوصِني. قال: قد فعلتُ[1].

---

(١) تقدم بعضه برقم (٢٢٥٥).

٢٢٧٤ ـ وللأسودِ بن يَعْفَرَ:

ولقد عَلِمْتُ لَوَ انَّ عِلميَ نافِعي ... أنَّ السَّبيلَ سَبيلُ ذي الأَعوادِ
ماذا أُؤَمِّلُ بعدَ آلِ مُحَرِّقٍ ... تَركوا مَنازِلَهم وبَعْدَ إيادِ
أهْلِ الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ وبارِقٍ ... والقصْرِ ذي الشُّرُفاتِ مِنْ سِنْدادِ
أرضٌ تَخَيَّرَها لِطيبِ مَغيضِها ... كعبُ بنُ مَامَةَ وابنُ أُمِّ دُوَادِ
جرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ ديارِهم ... فكأنَّما كانوا على مِيعادِ
ولقد غَنَوْا فيها بأكْرَم عِيشَةٍ ... في ظِلِّ مُلْكٍ ثابِتِ الأوتادِ
فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلْهَى به ... يوماً يَصيرُ إلى بِلًى ونَفادِ

٢٢٧٥ ـ ولآخرَ:

إذا أبقتِ الدُّنيا على المرْءِ دينَه ... فما فاتَه منها فليسَ بضائِرِ
فما رضِيَ الدُّنيا ثواباً لمؤمنٍ ... ولا رضِيَ الدُّنيا عِقاباً لكافِرِ

* * *

١٤٨ ـ ما يحذر من فتنة الدُّنيا

٢٢٧٦ ـ قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

٢٢٧٧ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

٢٢٧٨ ـ وروى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّما مَثَلي ومَثَلُ ما بعثَني اللَّهُ به كمَثَلِ رجلٍ أتى قوماً، فقال: يا قومُ، إنِّي رأيتُ الجيشَ بعيني، وإنِّي أنا النذيرُ العُريان، فالنَّجاء النجاء. فأطاعه طائفةٌ مِن قومِه، فأدلجوا فانطلقوا على مَهَلِهم فنجَوْا، وكذبتْ طائفةٌ فأصبحوا بمكانِهم،**

فصبَّحهمُ الجيشُ فأهلكَهم واجتاحَهم، مثل مَنْ أطاعني واتَّبعَ ما جئتُ به، ومثل مَنْ عصاني وكذَّبَ بما جئتُ به مِنَ الحقِّ»[1].

٢٢٧٩ - ورُوِيَ عن الحسنِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما مَثَلي ومَثَلُكم كمَثَلِ قوم سلكوا مَفازَةً غبْراءَ لا يدرُون ما قطعوا منها أكثَرَ أمْ ما بقيَ منها، فحسَرَ ظهرُهم، ونفِدَ زادُهم، وسقطوا بين ظهرانَي المفازةِ، فأيقنوا بالهَلَكَة. فبينا هم على ذلك، خرج عليهم رجلٌ في حُلَّةٍ، يقطُرُ رأسُه ماءً، فقالوا: إنَّ هذا لحديثُ عهدٍ بالرِّيفِ، وانتهى إليهم، فقال: ما لكم يا هؤلاء؟ فقالوا: ما ترى: حسَرَ ظهرُنا، ونفِدَ زادُنا، وسقطْنَا بين ظهرانَي المفازةِ، لا ندري ما قطعنا منها أكثرُ أمْ ما بقِيَ علينا. فقال: ما تجعلون لي إنْ أنا زودتُكم ماءً رِواءً، ورِياضاً خضراً؟ قالوا: نجعل لك حُكمَك. قال: تجعلون لي عُهودَكم ومواثيقَكم ألا تعصوني. قال: فجعلوا له عُهودَهم ومواثيقَهم ألا يعصُوه. فمال بهم، فأوردهم رياضاً خضراً، وماءً رِواءً، فمكث يسيراً، ثم قال لهم: هلُمُّوا إلى رياضٍ أعشبَ مِنْ رياضِكم، وماءٍ أروى مِنْ مائكم هذا، فقال جُلُّ القومِ: ما قدَرْنا على هذا حتى كدنا ألا نقدِرَ عليه، وقالت طائفةٌ منهم: ألستم قد جعلتم لهذا الرجلِ عهودَكم ومواثيقَكم ألا تعصُوه، وقد صدَقَكم في أولِ حديثِه، فآخِرُ حديثِه مِثلُ أوَّلِه. فراح وراحوا معه، فأوردَهم رياضاً خضراً، وماءً رِواءً، وأتى الآخرين العدوُّ مِنْ تحتِ ليلتِهم، فأصبحوا بينَ قتيلٍ وأسيرٍ»[2].

٢٢٨٠ - ورُوِيَ عن عبدِ الله بنِ السَّعديِّ، وكان مِنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ قال: بيْنَا أنا نائم، أوفَيْتُ على جبلٍ، فبيْنَا أنا عليه، طلعَتْ ثُلَّةٌ مِنْ هذه الأُمةِ، فسدَّت الأفقَ، حتى إذا دنَوْا مِنِّي، دفعتْ عليهمُ الشِّعابُ بكلِّ زهرةٍ مِنَ الدُّنيا، فمرُّوا ولم يلتفتْ إليها منهم راكبٌ، فلمَّا جاوزها قلَصَتِ الشِّعابُ

---

(١) البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٢) حديث مرسل، رواه ابن المبارك في الزهد (٥٠٧)، فقال: بلغنا عن الحسن البصري.

بما فيها، فلبِثْتُ ما شاء اللَّه، ثم طلعَتْ عليَّ ثُلَّةٌ مثلُها، حتى إذا بلغوا مبلَغَ الثُّلَّةَ الأولى دفعتْ عليهمُ الشِّعابُ بكلِّ زهرةٍ مِنَ الدُّنيا، فالآخِذُ والتَّاركُ، وهم على ظهْرٍ، حتَّى إذا جاوزَها قلَصَتِ الشِّعابُ بما فيها، فلبثتُ ما شاءَ اللَّهُ أنْ ألبثَ، ثم طلعتِ الثُّلَّةُ الثالثةُ، حتَّى إذا بلغوا مبلغَ الثُّلثين، دفعتِ الشِّعابُ بكلِّ زهرةٍ مِنَ الدُّنيا، فأناخ أولُ ركبٍ منهم، فلم يجاوِزْه راكبٌ، فنَزلوا يهتالون مِنَ الدُّنيا، فعهدي بالقومِ يهتالون وقد ذهبتِ الركاب[1].

٢٢٨١ ـ وروى وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: مرَّ رجلٌ مِنَ العُبَّادِ على صاحبٍ له، فوجده مهموماً مُنَكَّساً، فقال: ما شأنُك أراك مهموماً؟ فقال: أعجبني أمرُ فلان، بلَغَ مِنَ العِبادةِ ما قد بلغَ، ثم يرجِعُ إلى أهلِ الدُّنيا، فقال: لا تعجبْ مِمَّنْ يرجِعُ، ولكن اعجَبْ مِمَّنْ يستقيمُ.

٢٢٨٢ ـ وروى إبراهيمُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ أنَّ عمرَ بنَ الخطاب ﷺ أُتِيَ بكنوزِ كسرى، فقال عبدُ اللَّه بن أرقم: تجعلُها في بيتِ المالِ حتَّى تقسِمَها، فقال عمرُ: واللهِ لا آويها إلى سقفٍ حتى أُمضِيَها، فوضعها في وسطِ المسجدِ، وباتوا عليها يحرُسونها، فلمَّا أصبحَ كشف عنها، فرأى ما فيها مِنَ الحمراءِ والبيضاءِ ما تكادَ تتلألأ، فبكى عمر، فقال عبد الرحمن بنُ عوفٍ: ما يُبكيك يا أميرَ المؤمنين؟ فوالله إنَّ هذا ليومُ شكرٍ ويومُ سُرورٍ، ويومُ فرحٍ، فقال عمر بن الخطاب: هذا لم يُعطَهُ قومٌ قطُّ إلا أُلقيتْ بينهمُ العداوةُ والبغضاءُ[2].

٢٢٨٣ ـ ورُوِيَ عن زيدِ بن أسلمَ أنَّه بلغه عن عائشةَ ﵂ أنها لبست دِرعاً جديداً، فجعلت تنظرُ إليه، فرآها أبو بكر، فقال: مَهْ! أمَا تعلمين أنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يراك؟.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٠٦).

(٢) الزهد لابن المبارك (٧٦٨).

٢٢٨٤ ـ روى سفيانُ أنَّ النبيَّ ﷺ دخل على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فرأى على بابِها سِتراً، فقال: «**يا عائشةُ، أخِّريه فإذا رأيتُه ذكرت الدُّنيا**»[١].

٢٢٨٥ ـ وروى مالكٌ[٢] أنَّ عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ قالت: أَهدى أبو جهمِ بن حُذيفةَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ خَميصَةً شاميةً لها عَلَمٌ، فشهد فيها الصلاةَ، فلمَّا انصرفَ قال: «**رُدَّ هذه الخَميصةَ إلى أبي جَهْمٍ، فإنِّي نظرتُ إلى عَلَمِها في الصلاةِ، فكاد يَفتِنَني**».

٢٢٨٦ ـ روى مالكٌ عن عبد اللَّه بن أبي بكر، أنَّ أبا طلحةَ الأنصاريَّ كان يصلي في حائطِه، فطار دِبْسِيٌّ، فطَفِقَ يتردَّدُ يلتمِسُ مخرجاً، فأعجبه ذلك، فجعل يُتبِعُه بصرَه ساعةً، ثم رجع إلى صلاتِه، فإذا هو لا يدري كم صلى، فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنةٌ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فذكر له الذي أصابَه في حائطه مِنَ الفتنةِ، وقال: يا رسولَ اللَّه، هو صدقةٌ لله، ضَعْهُ حيثُ شئتَ[٣].

٢٢٨٧ ـ وروى مالكٌ عنْ عبدِ اللَّه بن أبي بكرٍ أنَّ رجلاً مِنَ الأنصارِ كان يصلي في حائطٍ له بالقُفِّ، وادٍ مِنْ أوديةِ المدينة، في زمان التَّمرِ، والنخلُ قد ذُلِّلَتْ، فهي مُطَوَّقَةٌ بثمرِها، فنظر إليها، فأعجبَه ما رأى مِنْ ثَمرِها، فرجع إلى صلاته، فإذا هو لا يدري كم صلى، فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنةٌ، فجاء عثمانَ بنَ عفانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يومئذٍ خليفةٌ، فذكر له ذلك، وقال: هو صدقةٌ، فاجعلْه في سبيل الخيْرِ، فباعه عثمانُ بنُ عفانَ بخمسين ألفاً، فسُمِّيَ ذلك المالُ الخمسين[٤].

---

(١) الزهد لابن المبارك (٣٩٩) والحديث رواه مسلم (٢١٠٧) من طريق أخرى.
(٢) في الموطأ ٩٧/١. ورواه بنحوه البخاري (٣٧٣)، ومسلم (٥٥٦).
(٣) الموطأ ٩٨/١. وإسناده منقطع. والدبسي طائر صغير.
(٤) الموطأ ٩٩/١. ورواه من طريقه ابن المبارك في الزهد (٥٢٧).

٢٢٨٨ ـ ولمحمد بن حازمٍ الباهلي:

ألا إنَّما الدُّنيا على المرءِ فِتْنَةٌ عَلى كلِّ حالٍ أقبلَتْ أمْ تَوَلَّتِ

٢٢٨٩ ـ وقال أبو حازم: نعمةُ الله عليَّ فيما زَوى عنِّي مِنَ الدُّنيا أعظمُ مِمَّا أعطاني، فإنِّي رأيتُ قوماً أُعطُوا مِنَ الدُّنيا فهَلَكوا.

* * *

١٤٩ ـ ما جاء في اجتناب الشهوات

٢٢٩٠ ـ قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

٢٢٩١ ـ قال ابن مسعود: الغَيُّ نهرٌ في جهنمَ في النارِ، يُعذَّبُ فيه الذين اتَّبعوا الشهواتِ.

٢٢٩٢ ـ وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [الحجرات: ٣].

٢٢٩٣ ـ قيل: نزع منها محبَّة الشهوات.

٢٢٩٤ ـ وقال عز من قائل: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ١٢].

٢٢٩٥ ـ قال أبو سليمان الداراني: صبروا عنِ الشهواتِ.

٢٢٩٦ ـ ورُوِيَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**حُفَّتِ الجنةُ بالمكارِهِ، وحُفَّتِ النارُ بالشهواتِ**»[١].

٢٢٩٧ ـ وقال سالم بنُ أبي الجعدِ: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أُوتيتُ مفاتيحَ**

---

(١) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خزائنِ الأرضِ». فقد ذهب نبيُّكم إلى خيْرِ مذهَبٍ، وترككم تأكلون الخَبيصَ أحمَرَه وأصفَرَه وأبيَضَه، والأصلُ واحدٌ؛ الدَّقيقُ والسَّمنُ والعسلُ، ولكنكمُ اتبعتُمُ الشهواتِ[1].

٢٢٩٨ ـ وقال الحسنُ: دخل عمر بنُ الخطاب ﷺ على ابنِه وهو يأكلُ لحماً، فقال: ما هذا؟ قال: لحمٌ اشتهيناه فاشتريناه، فقال: أوَكُلَّما اشتهيتَ شيئاً اشتريتَه؟ وقد قال تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

٢٢٩٩ ـ وقال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ: كفى بالمرءِ سَرَفاً أنْ يأكلَ كلَّ ما اشتهى، وإنِّي لأَشتهي الشيءَ يسوي الدَّانقين، فما آكُلُه سنةً.

٢٣٠٠ ـ وقال عمر ﷺ: إنَّ للحمِ ضراوةً كضراوةِ الخمرِ، فعليكم بهذا الزيتِ، فإنْ خفتم حرَّه، فاكسِروه بالطَّبخِ.

٢٣٠١ ـ ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ عطِشَ فدعا بشرابٍ، فأُتِيَ بإناءٍ فيه عسلٌ، فجعل يُديرُ القَعْبَ على كفِّه ثم يقول: أَشرَبُها فتذهبُ حلاوتُها، وتبقى تَبِعَتُها. فدفعها إلى رجلٍ مِنَ القوم فشرِبَها.

٢٣٠٢ ـ وقال نافعٌ: اشتهى ابنُ عمرَ ﷺ سمكةً وهو ناقِهٌ مِنْ مرضٍ، فالتُمِسَتْ له بالمدينة، فلم تُوجدْ، ثم وُجدتْ بعد كذا وكذا، فاشتُريتْ بدرهمٍ ونصفٍ، فشُوِيَتْ وجِيءَ بها على رغيفِها، حتى وُضِعتْ بين يديه، وقام سائلٌ بالبابِ، فقال للغلام: لُفَّها برغيفِها فادفعها إليه، قال له الغلامُ: أصلحكَ اللَّه! لقدِ اشتهيتَها منذ كذا وكذا، فلم نجدْها، حتى وجدناها، فاشتريتُها بدرهمٍ ونصفٍ، فنحن نُعطيه ثمنَها. قال: لُفَّها وادفعها إليه، فلما دفعها إليه، قال الغلامُ للسائل: هل لك أنْ تأخذَ

---

(١) الخبر رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/١٩٤. والقسم المرفوع منه رواه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦) من حديث عقبة بن عامر ﷺ.

دِرهماً وتردَّها؟ قال: نعم، فدفع إليه درهماً وجاء بها، فوضعها بين يديه، وقال: كلْ هنيئاً يا أبا عبد الرحمن، قد أعطيتُه درهماً وأخذتُها، قال: لُفَّها وادفعها إليه، ولا تأخذْ منه الدرهمَ، فإنَّه مَنِ اشتهى شهوةً فردَّ شهوتَه غُفِرَ له.

٢٣٠٣ ـ وقال الحسنُ: إنَّ الحقَّ قد أجهدَ الناسَ، وحال بينهم وبين شهواتِهم، فلا يصبِرُ عليه إلا مَنْ عرفَ فضلَه، ورجا عاقبتَه.

٢٣٠٤ ـ وكان عامرُ بن عبد الله يقول: وجدتُ عيشَ الناسِ في أربعٍ: الطعامُ، والنومُ، واللباسُ، والنساءُ؛ فأمَّا اللباسُ، فوالله ما أُبالي ما وارَيْتُ به عَورتي إذا كان حلالاً، وما أُبالي ما ألقيتُه على ظهري صُوفاً أو غيْرَه، وأمَّا النساءُ، فوالله ما أُبالي إلى امرأةٍ نظرتُ أم إلى جدارٍ، وأمَّا الطعامُ والنومُ فغلباني إلا أنْ أُصيبَ منهما، ولكن واللهِ لأَضُرَّنَّ بهما جَهدي.

٢٣٠٥ ـ ودخلت امرأةٌ مِنَ المهالِبَةِ على فاطمةَ رضي الله عنها، امرأةِ عمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله عنه فرأتْها في هيئةٍ رَثَّةٍ، فقالت لها: امرأةُ أميرِ المؤمنين! ألا تتهيَّئينَ له؟ فلما أكثرتْ، قالت لها: يا أَمَةَ اللَّهِ، هل تتهيَّأُ المرأةُ لزوجِها إلا بما يحبُّ؟ قالت: نعم، قالت: فإنَّه يحبُّ هذا مِنِّي.

٢٣٠٦ ـ وقال أبو هريرة: **«أكثرُ ما يَلِجُ به الناسُ النارَ الأجوفانِ: الفرْجُ والفَمُ»**[(١)].

٢٣٠٧ ـ وقال عمرانُ بن سُليمانَ: بلغني أنَّ عيسى ابنَ مريمَ عليه السلام قال لأصحابه: إنْ كنتم إخواني وأصحابي، فوَطِّنُوا أنفسَكم على العداوةِ والبغضاءِ مِنَ الناسِ، فإنَّكم لا تُدركون ما تَطلُبون إلا بتَركِ ما تشتهون، ولا

---

(١) حديث مرفوع. رواه أحمد ٢/٢٩١، والترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وصححه ابن حبان (٤٧٦)، والحاكم ٤/٣٢٤، ووافقه الذهبي.

تنالون ما تُحبون إلا بالصَّبْر على ما تكرهون، طُوبى لمن كان بصرُه في قلبِه، ولم يكن قلبُه في بصرِه.

٢٣٠٨ - ورُوِيَ عنِ ابنِ مسعودٍ أنه قال: الحقُّ ثقيلٌ مَرِيٌّ، والباطلُ خفيفٌ وَبِيٌّ، ورُبَّ شهوةِ ساعةٍ تُورِثُ حُزناً طويلاً.

٢٣٠٩ - ورُوِيَ أنَّ إبليسَ عليه لعنةُ الله ظهرَ ليحيى بنِ زكريا عليه السلام وعليه معاليقُ، فقال: ما هذه؟ قال: الشهواتُ التي أصطادُ بها بني آدمَ، قال: هل تجِدُ لي فيها شيئاً؟ قال: لا، غيْرَ أنك شبعتَ ليلةً فثَقُلْتَ عنِ الصلاةِ والذِّكْرِ، قال يحيى بنُ زكريا: لا جَرَمَ، لا أشبعُ، فقال إبليسُ: لا جَرَمَ، لا نصحتُ أحداً أبداً.

٢٣١٠ - ويُروى أنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ أوحى إلى داودَ عليه السلام: يا داودُ، حَذِّرْ وأنذِرْ أصحابَك أكلَ الشَّهواتِ؛ فإنَّ القُلوبَ المعلَّقةَ بأكلِ شهواتِ الدُّنيا عُقولُها محجوبةٌ.

٢٣١١ - ويُروى عن عيسى عليه السلام أنَّه قال: طُوبى لمن تركَ شهوةً حاضرةً لموعدٍ غائبٍ لم يَرَهُ.

٢٣١٢ - وقال يحيى بنُ مُعاذٍ: أعداءُ الإنسانِ ثلاثةٌ: دنياهُ، وشيطانُه، ونفسُه، فاحتَرِسْ مِنَ الدُّنيا بالزُّهدِ فيها، ومِنَ الشيطانِ بمخالفتِه، ومِنَ النفسِ بتركِ الشهواتِ.

٢٣١٣ - وقال بعضُ الحُكماءِ: مَنِ استولتْ عليه النفسُ صارَ أسيراً في حُبِّ الشهواتِ، محصوراً في سجنِ هواها.

٢٣١٤ - ورُوِيَ أنَّ جاراً لمالك بنِ دينارٍ أتاه في مرضِه، فقال: يا أبا يحيى، هل تشتهي شيئاً؟ قال: نفسي تُنازعني إلى شيءٍ منذ أربعين سنةً، قال: وما هو؟ قال: رغيفٌ أبيضُ ولبَنٌ، فأُتِيَ بهما، فجعل ينظر إليهما،

ويقول: دافعتُ نفسي عن شهوتي عمري، حتى إذا لم يبْقَ إلا القليل أكلتُهما، اذهبوا به إلى يتيم بني فلان، ومات بشهوته.

٢٣١٥ ـ وقال يحيى بن معاذ: مَنْ كثُر شِبَعُه كثُر لحمُه، ومَنْ كثُر لحمُه كثُرت شهوتُه، ومَنْ كثُرت شهوتُه كثُرت ذنوبُه، ومَنْ كثُرت ذنوبُه قسا قلبُه، ومَنْ قسا قلبُه غرِقَ في الآفاتِ.

٢٣١٦ ـ وقال يحيى بن معاذ: ذو الحسناتِ سعيدٌ مقرَّبٌ، وذو السيئات شقِيٌّ معذَّبٌ، وذو الشهواتِ متعوبٌ مُحاسَبٌ.

٢٣١٧ ـ وقال وهب بن مُنَبِّهٍ: ما زِيدَ على الخيْرِ، فهو شهوةٌ.

٢٣١٨ ـ وقال وهب بن منبِّهٍ: مَنْ أراد شهواتِ الدُّنيا فليتهيَّأْ للذُّلِّ.

٢٣١٩ ـ ويُروى أنَّ امرأةَ العزيزِ قالت ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما مَلَكَ خزائنَ الأرض: يا يوسفَ، إنَّ الحرصَ والشهوةَ صيَّرتِ الملوك عبيداً، وإنَّ الصبْرَ والتُّقى صيَّرَ العبيدَ ملوكاً، قال لها يوسفُ: إنَّه مَنْ يتَّقِ ويصبْرُ فإنَّ الله لا يضيعُ أجرَ المحسنين.

٢٣٢٠ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: شهواتُ النفوسِ نيرانُها، ولذَّاتُ الدُّنيا حَطَبُها، والجوع ماؤها الذي يُطفئها.

٢٣٢١ ـ وكان أبو حازمٍ إذا نظر إلى الفاكهة قال: والله إنِّي لأشتهيكِ، ولكن موعدك الجنة.

٢٣٢٢ ـ وأنشدوا في هذا المعنى:

ومِنَ البلاءِ وللبلاءِ عَلامَةٌ ... أنْ لا يُرى لك عن هواك نُزُوعُ
والعبدُ عَبْدُ النَّفسِ في شَهَواتِها ... والحُرُّ يَشْبَعُ مَرَّةً ويَجوعُ

* * *

١٥٠ ـ ما جاء في التَّنعُّم والسؤال عن النعيم

٢٣٢٣ ـ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

٢٣٢٤ ـ قال مكحول: بارِدُ الشَّرابِ، وظِلالُ المساكنِ، وشِبَعُ البطون، واعتدالُ الخَلْقِ، ولَذاذةُ النوم.

٢٣٢٥ ـ ورُوِيَ أنَّ حفصةَ رضي الله عنها قالت لعمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه: ألا تلبَسُ ثوباً ألينَ مِنْ ثوبِك هذا، وتأكلُ طعاماً أطيبَ مِنْ طعامِك هذا، فقد فتح الله عليك الأرضَ، وأوسَعَ عليك الرزقَ؟ فقال: سأخصِمُك إلى نفسِك، فذكر أمرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ وما كان يلقى مِنْ شدَّةِ العيش، فلم يزل يذكُرُ حتى بكت، ثم ذكر حالَ أبي بكر رضي الله عنه بمثل ذلك، ثم قال: لأَشركنَّهما في مِثلِ عيشِهما الشديدِ؛ لعلي أُدركُ معهما مثلَ عيشِهما الرَّخِيِّ[١].

٢٣٢٦ ـ وروى إبراهيمُ بن عبد الرحمن بن عوفٍ أنَّ أباه عبدَ الرحمن بنَ عوفٍ رضي الله عنه أُتِيَ بطعامٍ، وكان صائماً، فقال: قُتِلَ مُصعبُ بن عُميْرٍ وهو خيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ في بُردةٍ، إنْ غُطِّيَ رأسُه بدتْ رجلاه، وإنْ غُطِّيَ رِجلاه بدتْ رأسُه، وأراه قال: قُتِلَ حمزةُ وهو خيْرٌ مِنِّي، ثم بُسِطَ لنا مِنَ الدُّنيا ما بُسِطَ، أو قال: أُعطينا مِنَ الدُّنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أنْ تكونَ حسناتُنا عُجِّلت لنا. ثم جعل يبكي حتى ترك الطعامَ[٢].

٢٣٢٧ ـ وقال أبو جُحيفةَ: أكلتُ ثريدةً، خبزَ بُرٍّ بلحمٍ سمينٍ، فأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتجشَّأُ، فقال: «**اكْفُفْ عليك مِنْ جُشائك، فإنَّ أكثرَ الناس شِبَعاً في الدُّنيا أطولُهم جوعاً يومَ القيامة**». قال: فما أكل أبو جُحيفةَ مِلْءَ بطنِه حتَّى فارقَ الدُّنيا، كان إذا تغدَّى لا يتعشَّى، وإذا تعشَّى لا يتغدَّى[٣].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٧٤)، وابن أبي شيبة في المصنف ٩٧/٧.

(٢) البخاري (١٢٧٤، ١٢٧٥، ٤٠٤٥).

(٣) حديث حسن بشواهده. رواه الحاكم ١٢١/٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٣٢/٢٢، وإسناده ضعيف. وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رواه الترمذي (٢٤٧٨)، وابن ماجه (٣٣٥٠)، وإسناده ضعيف أيضاً. وله شاهد ضعيف آخر من=

٢٣٢٨ ـ وقال الحسن: كانوا يعدُّون النعيمَ في الدُّنيا أنْ يتغدَّى الرجلُ ثم يتعشَّى، وكانوا يتغدَّون ولا يتعشَّون، ويتعشَّونَ ولا يتغدُّون، وربَّما لم يجدوا الغَداءَ ولا العشاءَ، فيصبِرون على ذلك.

٢٣٢٩ ـ وقال الله تعالى لأهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

٢٣٣٠ ـ ورُوِيَ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما ملأ ابنُ آدمَ وِعاءً شرًّا مِنْ بطنٍ، حَسْبُ ابنِ آدمَ أكلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَه، فإنْ كان لا مَحالَةَ، فثُلُثٌ طعامٌ، وثُلُثٌ شرابٌ، وثُلُثٌ نَفَسٌ**»(١).

٢٣٣١ ـ وقال هارونُ بنُ إبراهيمَ: قال ليَ الحسنُ: صُمْ ولا تَبْغِ في صومِك. قيل: وما البغْيُ في الصوم؟ قال: أنْ يقولَ الرجلُ: ارفعوا لي كذا؛ فإنِّي أريدُ أنْ أصومَ غداً.

٢٣٣٢ ـ وقال الزُّهريُّ: كان سالم بنُ عبد الله إذا أكل مسح يديه بنعليه، أو بأسفلَ رجليه، ثم يقول: هذه مناديلُ آلِ عمرَ.

٢٣٣٣ ـ وقال عبد اللَّه بن عمر لسعيدِ بن جُبيْرٍ: بلغ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ أنَّ يزيدَ بنَ أبي سُفيانَ يأكلُ ألوانَ الطعامِ، فقال عمر لمولى يقال له يَرْفَأُ: إذا علمتَ أنه حضر عشاؤُه فأعلِمْني. فلما حضرَ عشاؤُه أعلمَه، فأتى عمرُ بنُ الخطابِ، فسلَّم فاستأذن، فأُذِنَ له، فدخل فقُرِّبَ عَشاؤُه، فجاء بثريدٍ فأكل معه عمرُ، ثم قُرِّبَ شِواءٌ، فبسط يزيد يدَه وكفَّ عمرُ، ثم قال: اللَّهَ اللَّهَ يا يزيد بن أبي سفيان، أطعامٌ بعد طعامٍ، والذي نفسي بيده لئِنْ خالفتُم عن سنتِهم ليُخالِفَنَّ بكم عن طريقِهم(٢).

= حديث سلمان الفارسي ﷺ رواه ابن ماجه (٣٣٥١). وانظر جامع العلوم والحكم ٤٧٨/٢ ـ ٤٧٩ بتحقيقي.

(١) رواه من حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ أحمد١٣٢/٤، والترمذي(٢٣٨٠)، وصححه الحاكم ١٢١/٤، وابن حبان (٦٧٤ و٥٢٣٦). وانظر الحديث مع شرحه في جامع العلوم والحكم ٤٦٧/٢ ـ ٤٧٩.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٧٨)، وإسناده ضعيف.

٢٣٣٤ ـ ورُوِيَ عنِ المسيح عليه السلام أنه قال: يا معشرَ الحواريِّين، كلوا خبزَ الشعيرِ بالملحِ الجريشِ، ولا تأكلوه إلا على شهوةٍ، والبَسوا مُسوح الشَّعرِ، واخرُجوا مِنَ الدُّنيا سالمين آمنين. بحقٍّ أقولُ لكم: إنَّ حلاوة الدُّنيا مرارةٌ في الآخرة، وإنَّ مرارةَ الدُّنيا حلاوةٌ في الآخرةِ، وإنَّ عبادَ الله ليسوا بالمتنعِّمين.

٢٣٣٥ ـ قال أسلمُ مولى عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه: قدِمَ علينا معاويةُ بنُ أبي سفيانَ وهو أبَضُّ الناس وأجملُهم، فخرج إلى الحجِّ مع عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنهما، فكان عمرُ ينظر إليه فيعجبُ له، ويضع أصبعَه على متنِه، ثم يرفُعها عن مِثْلِ الشِّراكِ، فيقول: بخٍ بخٍ، نحن إذاً خيْرُ الناس إنْ جُمِعَ لنا خيْرُ الدُّنيا والآخرة، فقال معاويةُ: يا أميرَ المؤمنين، سأُحدِّثُك؛ إنَّا بأرضِ الحَمَّاماتِ والرِّيفِ، فقال عمر: سأُحدِّثُك ما بك: إلطافُك نفسَك بأطيبِ الطعام، وتَصَبُّحُك حتى تضرِبَ الشمسُ متنَك، وذوو الحاجاتِ وراءَ بابِك. فلمَّا جئنا ذا طُوى، أخرج معاويةُ حُلَّةً فلبسها، فوجد عمرُ منها ريحاً، كأنَّه ريحُ طِيبٍ، فقال: يعمَدُ أحدُكم فيخرُجُ حاجَّاً تَفِلاً، حتى إذا جاء إلى أعظمِ بُلدانِ اللَّهِ حُرمةً أخرج ثوبيه، كأنَّما كانا في الطِّيبِ فلبِسَهما، فقال معاوية: إنَّما لبستُهما لأنِّي أدخُل فيهما على عشيرتي، فقال: والله لقد بلغني أذىُك ههُنا وبالشَّامِ. فنَزَعَ معاويةُ الثوبيْن، ولبسَ ثوبيه اللذين أحرمَ فيهما[١].

٢٣٣٦ ـ وقال عمرُ بنُ الخطابِ: إيَّاكم وكثرةَ الحمَّاماتِ، والاطِّلاءَ بالنُّورَةِ، والتَّوطِّي على الفُرُشِ، فإنَّ عبادَ الله ليسوا بالمتنعِّمين.

٢٣٣٧ ـ وقال سلامُ بنُ زيادٍ: إنَّه بلغَه أنَّ أبغضَ الأجسادِ إلى اللَّهِ الجسدُ الناعمُ.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٧٦). قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٦/١١٢: إسناده قوي.

٢٣٣٨ ـ وقال يزيدُ بنُ أبي حبيبٍ في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]: أولئك أصحابُ النبيِّ ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً يريدون به تَنعُّماً، ولا يلبَسون ثوباً يريدون به جمالاً، وكانت قلوبُهم على قلبٍ واحدٍ.

٢٣٣٩ ـ وقال سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ لعبد الله بنِ عامرٍ: نِعْمَ الرجلُ أنت يا ابنَ عامرٍ، إنْ لم تكن مِمَّنْ قال الله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

٢٣٤٠ ـ وقال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ: إنِّي لأدَعُ الطعامَ الطَّيِّبَ فما آكُلُه، وأدَعُ الشرابَ الطَّيِّبَ فما أشربُه، أكره أنْ أتعجَّلَ النَّعيمَ في الدُّنيا.

٢٣٤١ ـ وروى محمدُ بنُ عُبيدِ الله المكِّيُّ عن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ: أنه صام يوماً وأفطر على شَربةٍ مِنْ سَويقٍ بقَنْدٍ[١]، فقال: لقد خفتُ أنْ تذهبَ هذه الشربةُ بأجرِ يومي هذا.

٢٣٤٢ ـ وروى ابنُ شهاب عن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ أنه قال: إنِّي لأشربُ الشَّربةَ أو آكُلُ الأكلَةَ فيقسو قلبي ثلاثةَ أيامٍ ما أعرفُه.

٢٣٤٣ ـ وقال نافعٌ: أهدى رجلٌ إلى ابنِ عمرَ جرَّةً فيها جَوارِشُ[٢]، فقال: ما هذا؟ قال: جَوارِشُ، قال: وما جَوارِشُ؟ قال: تَهضِمُ عنك طعامَك، فقال ابنُ عمرَ: والله ما أكلتُ شِبَعاً منذ كذا وكذا، فردَّها عليه.

٢٣٤٤ ـ ودخل عبدُ الله بنُ مُطيعٍ على ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، فقال لصَفِيَّةَ: ما يمنعُك أنْ تصنعي لهذا الشيخِ طعاماً يشُدُّ به ظهرَه؟ فقال عبدُ اللَّهِ: يا ابنَ مُطيع: الآن تأمُرني بالشيخِ حين لم يبْقَ مِنْ عُمري غيْرُ ظِمْءِ حمارٍ[٣]، ما شبعتُ منذُ عشرِ حِجَجٍ.

---

(١) القند: عسل قصب السكر إذا جمد.

(٢) الجوارش: نوع من الأدوية المركبة، يقوي المعدة ويهضم الطعام.

(٣) كناية عن قِصَر ما تبقَّى من عمره. فالحمار لا يصبر عن العطش إلا يسيراً.

٢٣٤٥ ـ وقال ابنُ شهابٍ: جلستُ يوماً إلى أبي إدريسَ الخوْلانيِّ، فقال: ألا أُخبِرُكم بمنْ كان أطيبَ الناسِ طعاماً؟ فلمَّا رأى الناس قد نظروا إليه، قال: إنَّ يحيى بن زكريا كان أطيبَ الناسِ طعاماً، إنَّما كان يأكلُ مع الوحشِ كراهيةَ أنْ يُخالطَ الناسَ في معايشِهم، وكان يقول: مَنْ أنعمُ منكَ يا يحيى بنَ زكريا وطعامُك الجرادُ، وقلوبُ الشجرِ!.

٢٣٤٦ ـ وقال هلالُ بنُ يَسافٍ: كان عيسى ابنُ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يلبَس الشعرَ، ويأكلُ الشجرَ، ويبيتُ حيث أمسى، لم يكن له بيتٌ يخرَبُ، ولا ولدٌ يموت، ولا يرفع غداءً لعشاءٍ، ولا عشاءً لغداءٍ، وكان يقول: كلُّ يومٍ يجيءُ رزقُه معه.

٢٣٤٧ ـ ورُوِيَ أنَّ إسماعيلَ نبيَّ الله ﷺ أكلَ ذاتَ ليلةٍ حتى شبعَ، فنام حتى صُلِّيتْ صلاةُ الصبحِ، فحلف أن لا يأكلَ مِنَ الطعام إلا ما يأكلُ الوحشُ، فخرج يسيح في الأرض ولا يأكلُ إلا ما تأكلُ الدوابُّ والوحشُ.

٢٣٤٨ ـ وقال ابن الماجَشونِ: صُنِعَ لنا طعامٌ، فاجتمعنا عليه ومعنا طَلْقُ بنُ حبيبٍ، فأكل مِنْ أوَّلِ صَحْفَةٍ ثم قبض يدَه، وأقبلنا نأكلُ مِنْ كلِّ ما وُضِعَ، فنظر إليَّ، وقال: ما أرى أصحابَنا هؤلاء يريدون أنْ يُصلُّوا الليلةَ.

٢٣٤٩ ـ وقال عونُ بنُ عبد اللَّه: كان بنو إسرائيل إذا أمسَوْا نادى مناديهم: لا تأكلوا كثيراً؛ فإنكم إنْ أكلتم كثيراً نِمتم كثيراً، وإنْ نِمتم كثيراً صلَّيتم قليلاً.

٢٣٥٠ ـ وقال إبراهيمُ بنُ مَيْسَرَةَ: خرجنا مع طاوسٍ وقد أصابه وَعكٌ، فنَزلنا منْزِلاً، فأرادني ابنُه على طعامٍ أنْ آكُلَه، فأبَيْتُ عليه، فذكر ذلك لأبيه، فقال له أبوه: دعْه، فإنَّ الجوعَ خيْرٌ للصحيحِ والمريضِ، وما رأيتُ طاوساً يرفع يدَه مِنْ طعامٍ إلا وأنا لا أرى أنه شبعَ منه.

٢٣٥١ ـ وقيل لسَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ: إنَّ ابنَك كادَ البارحةَ أنْ يموتَ بَشَماً[1]، قال: لو ماتَ بشماً ما صلَّيتُ عليه.

٢٣٥٢ ـ وقال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ لرجلٍ: إيَّاك والبِطْنَةَ، وكثرةَ الضَّحكِ؛ فإنَّهما مَقساةٌ للقلبِ.

٢٣٥٣ ـ وقال الحسنُ: أهلُ الإيمان ينام أحدُهم على شِقِّه الأيمنِ يذكُرُ ربَّه، وأصحابُ الدُّنيا ينامُ أحدُهم على شِقِّهِ الأيسرِ لينهضِمَ طعامُه.

٢٣٥٤ ـ وقال حُميدُ بنُ هلالٍ العدويُّ: نَهى عمرُ عنِ السَّمْنِ واللحمِ أنْ يُجْمَعَ بينَهما، فدخل عُبيدُ الله بنُ عمر على عبد الله بنِ عمرَ، فقرَّب إليه خبزاً ولحماً، فقال عبيدُ اللَّه: ما أنا بطاعمٍ مِنْ طعامِك حتى تُفرغَ عليه سمناً، فقال عبد اللَّه: ألم تسمع إلى ما نَهى أميرُ المؤمنين؟ فقال: ما أنا بفاعلٍ، فقالت صفيةُ بنتُ أبي عُبيدٍ: لا تحرِمْ أخاك طعامَك، فجيء بسمنٍ فأفرغ عليه، فبينما هو موضوع لم يُصيبوا منه، إذا عمرُ على الباب، فقال: ما لكم ولطعامِكم؟ فأهوى عمرُ بيدِه، فوجد طعم سمنٍ، فمال على الخادمِ ضرباً، فقالت الخادم: ما ذنبي، إنَّما أفعلُ ما أُمرتُ به، فتركها فمال على صفيةَ فضربَها، حتى سقط خِمارُها، فجاءت تسعى حتى دخلتِ البيتَ، وأغلقتِ البابَ دُونَه، ثم جاء فمَثُلَ قائماً على عبد اللَّه، ثم انصرف عنه.

٢٣٥٥ ـ وقال حفصُ بنُ أبي العاص: كنَّا نتغدَّى مع عمرَ بنِ الخطاب ﷺ فقال: لا تنخُلُوا الدقيقَ؛ فإنه طعامٌ كلُّه، وقال: إنَّ السَّمراءَ لا تُنْخَلُ.

٢٣٥٦ ـ وقال الحسنُ بنُ نُعَيْم السَّكْسَكِيُّ: نزلنا على ولدِ أبي هريرة في قريتِهم بفلسطينَ، وهي قريةٌ يقالُ لها يبنى، فكانوا يُطعمونَنا الخبزَ النَّقِيَّ. فقلت: هل جاءكم هُنا أبو هريرةَ؟ فقالوا: نعم، قدِمَ علينا، فقرَّبنا إليه مِنْ

---

(١) البشم: التخمة.

هذا الخبْزِ الذي تأكلُ، فنظر إليه فقال: هذا طعامكم؟ فقلنا: نعم، فقال: حرَّمَ اللَّهُ عليَّ أن أذوقَه حتَّى ألقى خليلي أبا القاسم. قال: ثم بكى، وأمرَنا أنْ نطحنَ له قمحاً ولا ننخُلَه، ولا نُغرْبِلَه، فكان يأكلُ منه، ونحن نأكلُ مِنْ طعامِنا هذا.

٢٣٥٧ ـ ودخل سالم بنُ عبد الله على سُليمانَ بنِ عبد الملك، فرآه حَسَنَ الهيئةِ، حَسَنَ البَضْعَةِ، فقال: ما طعامُك؟ قال: الخَلُّ والزيتُ، قال: وتشتهيه؟ قال: أتركُه حتى أشتهِيَه.

٢٣٥٨ ـ ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ عبد العزيز خرج في بعضِ أسفارِه، فلمَّا اشتدَّ عليه الحرُّ، دعا بعِمامةٍ واعتَمَّ بها، فلم يلبثْ أنْ نزعَها، فقيل له: يا أميرَ المؤمنين، لِمَ نزعْتَها، وكانت تقيكَ الحرَّ؟ فقال: ذكرتُ أبياتاً قالها الأوَلُ، وهي:

مَنْ كان حين تَمَسُّ الشمسُ جَبْهَتَهُ ... أوِ الغُبارُ يَخافُ الشَّيْنَ والشَّعَثَا
ويَأْلَفُ الظِّلَّ كي تبقَى بَشَاشَتُهُ ... فَسَوْفَ يَسْكُنُ يوماً راغِمَاً جَدَثَا
في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ غَبْراءَ مُوحِشَةٍ ... يُطيلُ تَحْتَ الثَّرى في جَوْفِهَا اللَّبَثَا

٢٣٥٩ ـ وقال لقمانُ لابنِه: يا بُنيَّ: خُلِقَ الإنسانُ على ثلاثةِ أثلاثٍ: ثُلُثٌ للهِ، وثلثٌ لنفسِه، وثلثٌ للدُّودِ والتُّرابِ. فالذي للهِ روحُه، والذي لنفسِه عملُه، والذي للدُّودِ والترابِ جسدُه. يا بُنَيَّ، فالعاجزُ الخاسرُ مَنْ ينصَبُ ويسعى للدُّودِ والتُّرابِ.

٢٣٦٠ ـ وروى عمرُ بنُ يزيدَ: قلتُ لعبدِ اللَّه بن دينار: كيف كان طعامُ ابن عمرَ؟ قال: كانَ يُطعِمُنا ثريداً، فإنْ لم نشبع زادنا ثريداً.

٢٣٦١ ـ وقيلَ لبعضِ الحُكماءِ: أيُّ وقتِ الطعامُ فيه أفضلُ؟ قال: أمَّا مَنْ قَدَرَ عليه، فإذا اشتهى، وأمَّا مَنْ لا يجدُ، فإذا وجد.

٢٣٦٢ ـ وقيل لمالكٍ: أيُّ أوقاتِ الأكلِ أفضلُ؟ فقال: ما وصَفَ اللَّهُ

تعالى به أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢].

٢٣٦٣ ـ وقال ابنُ مسعودٍ: إنَّ المؤمنَ يأكلُ بشهوةِ أهلِه، والمنافقُ يأكلُ بشهوتِه.

٢٣٦٤ ـ وللأسودِ بنِ يَعْفُرَ:

جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِمْ ... فكأنَّما كانوا على مِيعَادِ
ولقدْ غَنَوْا فيها بِأَنْعَمَ عِيشَةٍ ... في ظِلِّ مُلْكٍ ثابِتِ الأَوْتادِ
فإذا النَّعيمُ وكُلُّ ما يُلْهَى بهِ ... يَوْمَاً يَصيرُ إلى بِلَىً ونَفادِ[1]

* * *

١٥١ ـ ما جاء في اللباس

٢٣٦٥ ـ رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**بينما رجلٌ يَجُرُّ إزارَه، خُسِفَ به، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرض إلى يومِ القيامة**»[2].

٢٣٦٦ ـ وروى أبو هريرةَ ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**لا ينظرُ اللَّهُ يومَ القيامةِ إلى مَنْ يَجُرُّ إزارَه بَطَراً**»[3].

٢٣٦٧ ـ وروى مالكٌ عنِ العلاءِ بنِ عبد الرحمنِ، عن أبيه: سألتُ أبا سعيدٍ الخُدريَّ عنِ الإزارِ، قال: أنا أُخبِرُكَ بعلمٍ؛ سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**إزارةُ المسلم إلى أنصافِ ساقيه، لا جُناحَ عليه فيما بينَه وبينَ الكعبين، ما أسفلَ مِنْ ذلك ففي النارِ، ما أسفلَ مِنْ ذلك ففي النار، لا ينظُرُ اللَّهُ يومَ القيامةِ إلى مَنْ جَرَّ إزارَه بطراً**»[4].

---

(١) تقدمت هذه الأبيات مع أبيات أُخر برقم (٢٢٧٤).

(٢) رواه البخاري (٣٤٨٥ و٥٧٩٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ورواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

(٤) الموطأ ٩١٤/٢ ـ ٩١٥. وهو حديث صحيح.

٢٣٦٨ - وروت صفيَّةُ بنتُ أبي عُبيدٍ عن أُمِّ سلمةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أنَّها قالت حين ذُكِرَ الإزارُ: فالمرأةُ يا رسول اللَّه؟ [قال]: «**تُرخيه شِبْراً**»، فقالت أُمُّ سلمةَ: إذاً ينكشِفُ عنها، قال: «**فذراعاً لا تزيدُ عليه**»[(١)].

٢٣٦٩ - وروى ابنُ عمرَ أنَّ أبا بكرٍ ﷺ قال: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ أحَدَ شِقَّيْ إزاري يسترخي، إلا أنْ أتعاهدَ ذلك منه، فقال النبي ﷺ: «**لستَ مِمَّنْ يصنعُه خُيَلاء**»[(٢)].

٢٣٧٠ - وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ إزارُه إلى أنصافِ ساقيه، وقميصُه فوقَ ذلك، ورِداؤه فوقَ ذلك.

٢٣٧١ - وقال أبو سُليمانَ الدَّارانِيُّ: لَمَّا اتَّخذَ اللَّهُ إبراهيمَ خليلاً أوحى إليه: أَنْ وارِ عورتَك عنِ الأرضِ، فكان لا يتَّخذُ مِنْ كلِّ شيءٍ إلا واحداً إلا السَّراويلَ، فإنَّه كان يتَّخِذُ سِروالين، فإذا غسلَ أحدَهما لبِسَ الآخرَ، لئلا يأتِيَ عليه حالٌ إلاَّ وعورتُه مستورةٌ.

٢٣٧٢ - ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ رأى رجلاً في كُمِّ قميصِه طولٌ، فدعا بشفرةٍ، ثم جمع كفَّيه فقطع حيثُ انتهت يدُه مِنَ القميصِ، ثم دفعَه إليه.

٢٣٧٣ - وقال جعفرُ بنُ محمدٍ: كان عليٌّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَه يَمُدُّ يدَه، فيقطعُ ما جاوز اليدَ، وكان يقول: ليس للكُمِّ فضلٌ على اليدِ.

٢٣٧٤ - وقال أبو أُمامةَ: أُتي عمرُ بقميصٍ له كرابيس فلبسَه، ثم قال: يا عبدالله بنَ عمرَ، هاتِ الشفرةَ، أو هاتِ السكينَ، فمدَّ يدَه في القميص، فإذا فيه فضلةٌ على أصابعِه، فقال: اقطع، فقطع حتى حسَرَ عن كفِّه. قال:

---

(١) حديث صحيح، رواه مالك في الموطأ ٩١٥/٢، ومن طريقه أبو داود (٤١١٧)، وابن حبان (٥٤٥١).

(٢) البخاري (٣٦٦٥ و ٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥).

قلت: يا أمير المؤمنين، ألا أدعو لك خيَّاطاً يكُفُّ عنك هُدْبَ هذا القميصِ؟ فقال لي: كلا. فلقد رأيت هُدْبَ ذلك القميصِ وهو يطوف في سِكَكِ المدينة على كفِّ عمرَ ما يكُفُّه.

٢٣٧٥ ـ والذي يستحِبُّه أهلُ العلمِ مِنْ جنسِ الثيابِ المتوسِّطُ، وما عليه جمهورُ أشكال ذلك اللابس إذا كان مباحاً، ويُكرهُ السَّرَفُ.

٢٣٧٦ ـ قال زيدُ بنُ أسلمَ: كنتُ جالساً عند ابنِ عمرَ، فدخل عليه ابنٌ له عليه قميصٌ يتقعقَعُ، فقال له ابنُ عمر: يا بُنَيَّ، إيَّاكَ أنْ تكونَ مِمَّنْ يجعلُ ما رزقَه اللَّهُ في بطنِه وعلى ظهرِه.

٢٣٧٧ ـ وقال يزيدُ بنُ أبي حبيبٍ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧] قال: هم الذين لا يأكلون طعاماً للذَّةِ، ولا يلبَسون ثوباً لجمال[١].

٢٣٧٨ ـ والأظهرُ عندي أنْ يكونَ معناه: أنَّهم إذا أنفقوا لم يزيدوا في النَّفقةِ ويبذِّرُوا، ولم يضيِّقُوا فيها، وقد قاله غيْري مِنْ أهلِ التفسير.

٢٣٧٩ ـ وقال عبدُ اللَّه بن عمر: «**مَنْ لبِسَ ثوبَ شُهرةٍ في الدنيا، أُلبِسَ ثوبَ مَذَلَّةٍ يومَ القيامةِ، ثم أُلهِبَ عليه ناراً**»[٢].

٢٣٨٠ ـ وقال عبدُ الله بنُ عمرَ: ألا أُخبِركم بالأخسرين أعمالاً؟ هم الذين يلبَسون المشهورَ، وينامون على المأثورِ، ويركَبون المنظورَ إليه، يأكلون ما يشتهون، ويَمنعون مملوكَهم ما يشتهي.

٢٣٨١ ـ وقال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ: إنه ليكونُ الفتى يحبُّه اللَّهُ، فيلبَسُ الثوبَ المشهورَ، فيُعرِضُ اللَّهُ عنه حتَّى يضعَه.

---

(١) تقدم برقم (٢٣٣٨).

(٢) حديث مرفوع. رواه أحمد ٩٢/٢ و ١٣٩. أبو داود (٤٠٢٩)، وابن ماجه (٣٦٠٦ و٣٦٠٧). وهو حديث حسن.

٢٣٨٢ - وقيلَ لسلمانَ الفارسيِّ: ما لك لا تلبَس الحسَنَ مِنَ الثياب؟ فقال: ما للعبدِ والثوبِ الحسَنِ، فإذا أُعتِقَ فله والله ثيابٌ لا تَبلى.

٢٣٨٣ - وتُكرَهُ الشُّهرةُ بدونِ الثِّيابِ، وأنْ يلبَس الإنسانُ منها ما لا يليق بحالِ مثلِه معَ الوجودِ.

٢٣٨٤ - وقال إبراهيم النخعيُّ: لا تلبَسْ مِنَ الثيابِ ما يستشهرُك به الفقهاءُ، ويزدريك به السُّفهاءُ.

٢٣٨٥ - وقال سعيدُ بنُ عبد الملك: بِتُّ عند أُختي فاطمةَ بنتِ عبد الملك، امرأةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيز ليلةً، فلمَّا أمسى دخل عمرُ البيتَ، وفي البيتِ تابوتٌ، ففتحه وأخرج ثوبَيْ شعَرٍ، ووضع ثيابَه، ثم لبسهما، ثم قام يُصلي.

٢٣٨٦ - وروى مالكُ بنُ أنسٍ عن زيدِ بنِ أسلمَ أنَّ جابرَ بنَ عبد الله قال: خرجنا معَ رسولِ الله ﷺ في غزوةِ بني أنمارٍ، قال جابر بن عبد اللَّه: فبينا أنا نازلٌ تحتَ شجرةٍ، إذا رسولُ الله ﷺ فقلت: يا رسولَ اللَّه، هلُمَّ إلى الظِّلِّ، فنَزل رسولُ الله ﷺ قال جابرٌ: فقمتُ إلى غَرراةٍ لنا، فالتمستُ فيها، فوجدتُ جَرْوَ قِثَّاءٍ[1] فكسرتُه، فقرَّبتُه إلى رسولِ الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**مِنْ أينَ لكم هذا**»؟ قلت: خرجنا به مِنَ المدينة، قال جابر: وعندنا صاحبٌ لنا نُجهِّزُه يذهب يرعى ظهرَنا، قال: فجهَّزتُه، ثم أدبر فذهب في الظَّهرِ وعليه بُردانِ قد خَلَقَا، قال: فنظرَ إليه رسولُ الله ﷺ فقال: «**ما له ثوبانِ غيرُ هذين**»؟ قال: فقلت: بلى يا رسولَ اللَّه، له ثوبان في العَيْبَةِ كسوتُه إيَّاهما، قال: «**فادْعُه فأْمُرْهُ فليَلْبَسْهُما**». قال: فدعوتُه فلبسهما، ثم ولَّى يذهب، فقال رسول الله ﷺ: «**ما له ضربَ اللَّهُ عُنُقَه؟ أليس هذا خيرٌ**»؟ فسمعه الرجلُ، فقال: يا رسولَ اللَّه، في سبيلِ الله، فقال

(١) جرو القثاء: هو القثاء الصغير. والجرو: الصغير من كل شيء حتى النبات.

رسول الله ﷺ: «**في سبيل الله**». قال: فقُتِلَ في سبيل الله[١].

٢٣٨٧ ـ ورُوِيَ في العُتْبِيَّةِ: رأى رسول الله ﷺ على رجلٍ أطمارٌ، فقال: «**هل لك مِنْ مالٍ**»؟ فقال: نعم، قد آتاني الله مِنْ أفواجِ المالِ كلِّه، فقال له رسول الله ﷺ: «**فَلْيَبِنْ عليك مالُك**»[٢].

٢٣٨٨ ـ ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ قال: إني لأُحبُّ أنْ أنظرَ إلى القارئِ أبيضَ الثيابِ.

٢٣٨٩ ـ وقال: إذا وسَّعَ اللَّهُ عليكم فأوسِعُوا.

٢٣٩٠ ـ ورُوِيَ عنِ الحسنِ أنه قال: إذا وسَّعَ اللَّهُ على أحدِكم، فليجعَلْ ذلك في الإدامِ والطَّعامِ، أو نحوِ مِنْ هذا، وليَكُفَّ عنِ الثيابِ، فإنَّ فيها الرِّياءَ والسُّمعةَ، والفخرَ والخُيلاءَ.

٢٣٩١ ـ ورُوِيَ عن عيسى عليه السلام أنه قال: جَودةُ الثيابِ مِنْ خُيَلاءِ القلبِ.

٢٣٩٢ ـ ويُحتمَلُ عندي أنْ يكونَ معنى ذلك: الخروج عنْ عادتِه وعادةِ أمثالِه، حتَّى يشتهرَ بذلك، وما قاله عمر ﷺ: «**إذا وسَّعَ اللَّهُ عليكم فأوسِعُوا**»، يريدُ التَّرَفُّعَ عنْ حالةِ الإقلالِ والأَطمارِ إلى حالةِ التَّوسُّطِ وتَجمُّلِ مِثلِه.

٢٣٩٣ ـ وقال رجلٌ للحسنِ: أيُّ الثيابِ أحبُّ إليك؟ فقال: أغلظُها وأحسنُها، وأوضَعها عندَ الناسِ. فقال الرجل: يا أبا سعيد، أليس يُقالُ: «**إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ**»[٣]؟ فقال: يا أصلعُ، ذهبتَ غيْرَ المذهبِ، اللَّهُ جميلٌ يحبُّ الجمالَ له بطاعتِه.

---

(١) موطأ مالك ٢/٩١٠ ـ ٩١١. ومن طريقه رواه ابن حبان (٥٤١٨)، والحاكم ٤/١٨٣.

(٢) رواه بنحوه أحمد ٣/٤٧٣، وأبو داود (٤٠٦٣)، والترمذي (٢٠٠٧)، وصححه ابن حبان (٥٤١٦)، والحاكم ٤/١٨١.

(٣) هو حديث مرفوع، رواه مسلم (٩١) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

٢٣٩٤ ـ وهذا كلُّه يُحتملُ ألاَّ يخرجَ مِمَّا قدَّمناه، وأنْ يُريدَ أنَّ أحبَّ الثيابِ إليه أغلظُ ما يليقُ به، ويلبَسُه مثلُه. ويُحتملُ أنْ يكونَ مذهبُه اختياراً دون الثيابِ، فقد كان سالِمٌ يلبَسُ خشِنَ الثيابِ، وكان القاسمُ بنُ محمدٍ يلبَس رفيعَ الثياب، وكلٌّ يذهبُ مذهباً مِنَ الطاعةِ، والله أعلمُ وأحكمُ.

٢٣٩٥ ـ وقال علي ﷺ: جمالُ الرجلِ في عِمَّتِه، وجمالُ المرأةِ في خُفِّها.

٢٣٩٦ ـ وقال الأحنفُ: استجيدوا النِّعالَ؛ فإنَّها خلاخيلُ الرجالِ.

٢٣٩٧ ـ وحُكِيَ عن أبي سُليمانَ الدَّارانيِّ أنه قال: لا يلبَسُ الشعرَ مِنْ هذه الأمةِ إلا مُراءٍ أو أحمقُ.

٢٣٩٨ ـ وقال الأوزاعيُّ: لباسُ الصوفِ في السفرِ سُنَّةٌ، وفي الحضرِ بدعةٌ.

٢٣٩٩ ـ وذُكِرَ عند إبراهيمَ بنِ أدهم رجلٌ فأُثنِيَ عليه، فقال: رأيتُه نسكَ نُسكاً أعجمياً في لباسِه الصُّوفَ.

٢٤٠٠ ـ وأما ما رُوِيَ عن أبي عثمانَ النَّهديِّ أنه قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب ﷺ يطوف حول البيتِ وعليه إزارٌ فيه ثِنتا عشرة رقعةً، إحداهن بأَدَم، فإنَّه يُحتملُ أنَّه يفعل ذلك لِعوَزٍ في ذلك الوقت، ولم يكن يريدُ أنْ يأخُذَ مِنْ بيتِ المال. ويُحتملُ أنْ يكونَ فعلَه؛ لأنَّه مِمَّنْ يَقتدي به الفقيرُ، فكان يفعلُه ليُطَيِّبَ به نُفوسَهم، ويريد لَمَّا كان ناظراً عليهم، ومسؤولاً عنهم، أنْ يساويَ أفقرَهم وأضعفَهم حالاً، ولذلك رُوِيَ عنه أنَّه لَمَّا أجدبَ الناسُ امتنع مِنْ أكل السمنِ، وإن كان واجداً له، ليساويَ ضعفاءَ رعيَّتِه، ولا يفضُلهم في مطعمٍ ولا ملبسٍ.

٢٤٠١ ـ وقال عبد اللَّه بن المبارك لأبي العتاهيةِ، ورآه يلبَسُ الصوفَ:

أيُّها القارئُ الذي لَبِسَ الصُّو ... فَ وأضحى يُعَدُّ في الزُّهَّادِ
الْزَمِ الثَّغْرَ والتَّعَبُّدَ فيه ... ليسَ بَغدادُ مَنزِلَ العُبَّادِ
إنَّ بغدادَ للمُلوكِ مَحَلٌّ ... ومَناخٌ للقارئِ الصَّيَّادِ

٢٤٠٢ ـ وروى هشامُ بنُ عُروةَ عن أبيه، عن عاملٍ لعمر بن الخطاب ﷺ كان على أذرَعات، قال: قدم علينا عمرُ بنُ الخطابِ، وإذا عليه قميصٌ مِنْ كرابيسَ، فأعطانيه فقال: اغسله ورَقِّعْهُ، فغسلته ورقَّعتُه، ثم قطعتُ عليه قميصاً قُبْطِيّاً، فأتيتُه بهما فقلت: هذا قميصُك، وهذا قميصٌ قطعتُه عليه لتلبَسَه، فلمسه فوجده ليِّناً، فقال: لا حاجةَ لنا به، هذا أنشفُ للعرقِ منه.

٢٤٠٣ ـ وروى عمرُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ لبِسَ الحريرَ في الدنيا لم يلبَسْه في الآخرة. وإنَّما يلبَسُ الحريرَ في الدنيا مَنْ لا خَلاقَ له**»[1].

٢٤٠٤ ـ ورُوِيَ عنْ عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ أنه رأى حُلَّةً سِيَراءَ عند بابِ المسجد، فقال: يا رسولَ اللَّه، لو اشتريتَ هذه فلبستها يومَ الجمعة، وللوفدِ إذا قدموا عليك. فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّما يلبَس هذه مَنْ لا خَلاقَ له في الآخرةِ**». ثم جاءت رسولَ الله ﷺ منها حُلَلٌ، فأعطى منها عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ حُلَّةً، وقال عمرُ: يا رسولَ اللَّهِ، كسوتَنيها وقد قلتَ في حُلَّةِ عُطاردٍ ما قلتَ، قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لم أَكْسُكَها لتلْبَسها**». فكساها عمرُ بنُ الخطابِ أخاً له مشركاً[2].

٢٤٠٥ ـ وروى حذيفةُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تشربوا في آنيةِ الذَّهبِ**

---

(١) روى القسم الأول من الحديث البخاري (٥٨٣٠). والقسم الثاني رواه البخاري (٥٨٣٥)، ومسلم (٢٠٦٨).

(٢) البخاري (٨٨٦)، ومسلم (٢٠٦٨). ومعنى سِيَراء: حرير.

والفضَّةِ، ولا تلبَسُوا الحريرَ والدِّيباجَ؛ فإنَّها لهم في الدُّنيا ولكم في الآخرةِ». ونهى أنْ نجلسَ عليه[1].

٢٤٠٦ - وروى عروةُ عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: كان ضِجاعُ رسولِ الله ﷺ مِنْ أَدَمٍ حشوُها ليفٌ[2].

٢٤٠٧ - وقال طاووس: دخل عبدُ الله بنُ الزُّبيْر بيتَه، فإذا أربعة مُثُلٍ[3]، فقال: هذا لي وهذا لابنِه حُسينٍ، وهذا للضيفِ، وهذا للشيطان، فأخرِجُوه.

٢٤٠٨ - وقال عبد اللَّه بن أبي الهُذيلِ: كلُّ نُمرُقَةٍ لا يُنامُ عليها، يتوسَّدُها شيطانٌ.

٢٤٠٩ - وقال الحسنُ: تزوَّجَ مُجاشِعٌ السُّلَمِيُّ امرأةً يقال لها الخضراءُ، وكان يحبُّها وتغلِبُه على أمرِه، فنجَّدتْ بيتَها، فبلغ ذلك عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه فغضب، فكتبَ إلى مُجاشِعٍ: أما بعد، فإنه قد بلغني أنَّ الخضراءَ قد استهْوَتْكَ حتى تُنَجِّدَ بيتَها، وإنِّي عزمتُ عليك إذا جاءك كتابي هذا، فلا تضعْه مِنْ يدِك حتَّى تذهبَ بمن معك، فلا يدع سَتراً إلا هَتَكَه. فلمَّا قرأ الكتاب اشتدَّ ذلك عليه، وقال: قُوموا معي، فقاموا معه، فدخلوا بيتَه، فاستقبلته الخضراءُ، فقال: إليكِ عني، فأَذِنَ لهم فدخلوا، فقال: لِيَهْتِكَنَّ كلُّ رجلٍ منكم ما يَليهِ، فهتكوا ذلك في ساعتِهم.

٢٤١٠ - وقال نافع: عَلَّقَتْ صفيةُ على بابها درنوكاً[4]، فبلغ ذلك عمرَ، فقال: والله لأَحْرِقَنَّهُ على ما فيه، فبلغ ذلك صفيةَ، فنَزَعتْه، فجاءَ فلم يرَ شيئاً، فقال: ما بالُ رجالٍ يبلِّغوني ما لم يكنْ؟!.

---

(١) البخاري (٥٤٢٦ و٥٨٣٧)، ومسلم (٢٠٦٧).

(٢) تقدم برقم (٢١١٦).

(٣) جمع مثال، وهو الفراش.

(٤) الدرنوك، ويقال: الدرموك بالميم: ضرب من البُسُط والستور.

٢٤١١ ـ ورُوِيَ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالب ﷺ دخل بيتاً لبعضِ آلِه، فأبصرَ البيتَ قد نُجِّدَ، فقال: ما هذا يا ليلى؟ قالت: يا أمير المؤمنين، بناتُ عمِّي نظَرْنَ بيتي رثّاً، فأرسَلْنَ إليَّ هذا المَتاعَ، فأخذَ يهتِكُ الحَجَلَةَ[1] والمتاعَ بيده، ويقول: حَسْبُ آلِ عليٍّ ما هم فيه.

٢٤١٢ ـ وقال ثابتٌ البُنانيُّ: إنَّ أبا الدرداءِ زوَّجَ ابنتَه، فحمل متاعاً رثّاً دوناً، فذهب بها إلى زوجِها، فقال أبو الدرداء: إنَّا قد أدَّبناها فأحسَنَّا أدبَها، فلا تُفسِدْها علينا.

٢٤١٣ ـ وقال ابنُ سِيرينَ: صنع رجلٌ لحُذيفةَ طعاماً، فأتاه فرأى في بيتِهِ شيئاً مِنْ زيِّ العجمِ، فخرج وهو يقولُ: مَنْ تشبَّه بقومٍ فهو منهم، مَنْ تشبَّه بقومٍ فهو منهم، لِيَتَّقِ أحدُكم أنْ يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعرُ.

٢٤١٤ ـ وأنشدوا:

إذا المرْءُ لم يَلْبَس ثِياباً مِنَ التُّقى ... تَقَلَّبَ عُرْياناً وإنْ كانَ كاسِيَا
وخَيْرُ خِصَالِ المَرْءِ طاعَةُ رَبِّهِ ... ولا خَيْرَ في منْ كانَ للهِ عاصِيَا

٢٤١٥ ـ ولعمرو بن معد يكرب:

لَيْسَ الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ ... فاعْلَمْ وإنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إنَّ الجَمَالَ مَآثِرٌ ... ومَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا

* * *

١٥٢ ـ ما جاء في الفطرة

٢٤١٦ ـ روى أبو سَلَمَةَ عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ مولودٍ إلا يُولدُ على الفِطرةِ، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسانِه، كما**

(١) الحجلة: موضع كالقبَّة يزيَّن بالثياب والستور للعروس.

تُنتَجُ البهيمةُ بَهيمةَ جمعاءَ، هل تُحِسُّونَ فيها مِنْ جدعاءَ»؟ ثم يقول: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1] [الروم: ٣٠].

٢٤١٧ - وقال ابن شهاب: يُصلَّى على كلِّ مولودٍ مُتوَفَّى، وإن كان لِغيَّةَ؛ مِنْ أجلِ أنَّه وُلِدَ على فِطرةِ الإسلامِ، أو أبوه خاصَّةً، وإنْ كانت أمُّه على غيْرِ الإسلامِ، فإنَّ أبا هريرةَ يُحدِّثُ: قال النبيُّ ﷺ: **«كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ»**[2].

٢٤١٨ - وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«الفِطرةُ خمسٌ: الخِتانُ، والاسْتِحدادُ، ونَتفُ الإبِطِ، وقصُّ الشَّاربِ، وتقليمُ الأظفارِ»**[3].

٢٤١٩ - وقال: **«اختَتَنَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ثمانينَ سنة، اختَتَنَ بالقَدُوم»** مُخَفَّفَةً[4].

٢٤٢٠ - وسُئِلَ ابنُ عباسٍ: مِثْلُ مَنْ أنت حين قُبضَ رسولُ الله ﷺ؟ قال: أنا يومئذٍ مختون، وكانوا لا يَخْتِنونَ الرجلَ حتى يدركَ[5].

٢٤٢١ - ورُوِيَ عن يحيى بنِ سعيدٍ: سمعتُ سعيدَ بنَ المسيِّبَ يقول: كان إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أوَّلَ مَنْ أضافَ الضَّيفَ، وأوَّلَ مَنِ اختَتَنَ، وأولَ مَنْ قصَّ شاربَه، واستحدَّ، وقلَّمَ أظفارَهُ، وأولَّ مَنْ رأى الشَّيبَ، فقال: ياربِّ، ما هذا؟ فقيل له: وَقارٌ، قال: ربِّ زِدْني وَقاراً[6].

٢٤٢٢ - ورُوِيَ عن عكرمة: اختَتَنَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ابنُ ثمانينَ

---

(١) البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).
(٢) البخاري (١٣٥٨). وقوله: لِغيَّة: أي من زنا.
(٣) البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧).
(٤) البخاري (٣٣٥٦)، ومسلم (٢٣٧٠). القدوم: مكان بالشام.
(٥) البخاري (٦٣٠٠).
(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٢٥٠).

سنة، أوحى الله تعالى إليه: إنَّكَ قد أكملتَ إيمانك إلا بَضْعَةً مِنْ جسدِك فألقِهَا، فخَتَنَ نفسَه بالفأسِ. قال عكرمةُ: فلم يَطُفْ بعدَ مَلَّةِ إبراهيمَ بالبيت إلا مُخْتَتَنٌ.

* * *

١٥٣ ـ ما جاء في البناء

٢٤٢٣ ـ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**مِنْ أشراطِ السَّاعةِ: إذا تطاولَ رُعاةُ البَهمِ في البُنْيانِ**»[١].

٢٤٢٤ ـ وقال ابن عمر: لقد رأيتُني معَ رسولِ الله ﷺ بنيتُ بيدي بيتاً يُكِنُّني مِنَ المطرِ، ويُظِلُّني مِنَ الشمسِ، ما أعانَني عليه أحدٌ مِنْ خلقِ الله عزَّ وجلَّ[٢].

٢٤٢٥ ـ وقال عبد الله بن عمر: ما وضعتُ لَبِنَةً على لَبِنَةٍ، ولا غرستُ نَخلةً منذ قُبِضَ النبي ﷺ[٣].

٢٤٢٦ ـ وقال قيس بن أبي حازم: دخلنا على خَبَّابٍ نعودُه، وقد اكتوى سبعَ كيَّاتٍ، فقال: إنَّ أصحابَنا الذين سلفوا مضَوْا ولم تَنقُصْهم الدنيا، وإنَّا أصبنا ما لا نجدُ له موضعاً في الترابِ، ولولا أنَّ النبيَّ ﷺ نهانا أنْ ندعُوا بالموتِ لدعوتُ به، ثم أتيناه مرةً أخرى وهو يبني حائطاً له، فقال: إنَّ المسلمَ يُؤجَرُ في كلِّ شيءٍ يُنفقُه إلا في شيءٍ يجعلُه في هذا الترابِ[٤].

---

(١) رواه بهذا اللفظ البخاري معلَّقاً في باب ما جاء في البناء. ورواه موصولاً برقم (٥٠)، ومسلم (٩).

(٢) البخاري (٦٣٠٢).

(٣) البخاري (٦٣٠٣).

(٤) البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٢٦٨١).

٢٤٢٧ ـ وقال الربيعُ بنُ سليمانَ: بلغني أنَّ كلَّ شيءٍ يُنفقُه المؤمنُ يُؤْجرُ فيه إلا البناءَ، غيْرِ بناءِ القصَبِ.

٢٤٢٨ ـ ورُوِيَ عن أبي قِلابةَ أنه قال: إذا منعَ العبدُ حقَّ اللَّهِ تعالى في مالِه، سلَّطه الله على الطِّينِ.

٢٤٢٩ ـ وقال الحسنُ: مرَّ رجلٌ[1] من أصحاب النبي ﷺ على أخٍ له وهو يعالج ماله، فقال: ما الذي تصنع؟ قال: ترى عليَّ بأساً؟ قال: نعم، لو أتيتُ عليك وأنت تَمَرَّغُ في عَذِرَةِ أهلِك كان أحبَّ إليَّ مِمَّا تصنعُ.

٢٤٣٠ ـ ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ كتب إلى سعدِ بنِ أبي وقاص وهو أميرُ الكوفة: سلامٌ عليك. أما بعد، بلغني أنَّ عبدَ الله بنَ مسروع الأشجعيَّ اتخذَ قصراً، فإنْ كان كذلك فاهدمه. ما بالُ المسلمين وما بالُ القصور؟! قال: فأقبل سعدٌ يسير حتى أتى إلى مجلس أشجعَ، فسلَّم فردوا عليه السّلام، فقال: أين قصرُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسروعٍ؟ قلنا: هذا البيتُ، أصلح الله الأميرَ، فقال سعدٌ: رحم اللَّهُ الأميرَ، ثم انصرف.

٢٤٣١ ـ وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: بلغَ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ أنَّ رجلاً بنى بالآجُرِّ، فقال: ما كنتُ أرى أحداً مِنْ هذه الأمةِ يتشبَّه بفرعونَ.

٢٤٣٢ ـ وقال الحسنُ: ينطلقُ أحدُهم فيحفر دارَه حتى يبلغَ الماءَ. ويحك! قد حملتَ الجبالَ الرَّاسياتِ، ولم تحمل دارَك؟.

٢٤٣٣ ـ وقال ابنُ أبي الهذيل: بنى عبدُ الله بنُ مسعودٍ بناءً في دارِه، فدعا عمَّاراً، فقال: كيف ترى؟ قال: بنيتَ شديداً، وأمَّلتَ بعيداً، وتموتُ قريباً.

٢٤٣٤ ـ وقال ابن شوذبَ: بنى معاويةُ الخضراءَ، فأدخلها أبا ذرٍّ،

(١) هو أبو ذر الغفاري ﷺ كما ورد في حلية الأولياء ١/١٦٣، وشعب الإيمان ٧/٧٩٣.

فقال: كيف ترى هذا البناءَ يا أبا ذرٍّ؟ فقال: إنْ كنتَ بنيتَه مِنْ مالِ اللَّهِ، فأنتَ عند اللَّهِ مِنَ الخائنين، وإنْ كنتَ بنيتَه مِنْ مالِك، فأنتَ عندَ اللَّهِ مِنَ المسرفين.

٢٤٣٥ ـ قال مالكٌ رحمه الله: يُذكر أنَّ أبا الدرداء أعمَرَ منزلاً بحمصَ، فبلغَ ذلك عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنهما، فكتب إليه: أمَا كان فيما بنتِ الرومُ وفارسُ ما يكفيك. وأخرجه مِنْ حمصَ إلى دمشقَ.

٢٤٣٦ ـ وقال ثابتٌ البُنانِيُّ: إنَّ صفوانَ بنَ مُحرِزٍ كان له خُصٌّ أعلاه جِذعٌ فانكسرَ، فقيل له: أصلِحْه، فقال: دعْهُ، فأنا أموتُ غداً أو بعدَ غدٍ، كم رجلٍ مات وهو هكذا.

٢٤٣٧ ـ وقال عاصمُ بنُ بَهدَلَةَ: كان لأبي وائلٍ خُصٌّ مِنْ قصبٍ يكون فيه هو ودابَّتُه، فإذا غزا نقضَه، فإذا رجع بناه.

٢٤٣٨ ـ وقيل للأحنفِ بن قيسٍ، وكان سيدَ قومِه: ألا نضربُ عليك سُرداقاً؟ قال: ما سمعتُ بسُرداقٍ إلا في النارِ، والله لا يُضربُ عليَّ سُرداقٌ أبداً، فما كان بيتُه إلا خُصّاً مِنْ قصبٍ حتى لقيَ اللَّهَ تعالى.

٢٤٣٩ ـ وقال أبو يحيى النَّشارُ: أتينا إلى الحسنِ حتى انتهينا إلى بابِ دارِه، فإذا جانبٌ مِنَ الحائط مائلٌ، فقال له بعضُ أصحابِه: يا أبا سعيد، لو سوَّيتَه قبلَ أنْ يقعَ، فقال: هيهات! الأمرُ أعجلُ مِنْ ذلك.

٢٤٤٠ ـ وقال ابنُ رُستم: كنَّا عند الحسن، فأتى رجلٌ، فقال: يا أبا سعيدٍ، بنيتُ داراً أحبُّ أنْ تدخلَها وتدعو بالبَركة. فقام وقمنا معه، فدخل الدارَ ونظر إليها، فقال: غرَّكَ مَنْ في الأرضِ، ومقتَك مَنْ في السماء، خرَّبتَ دارَك، وعمَّرتَ دارَ غيرِك. ثم أقبلنا حتى مررنا على دارِ الحسنِ، فإذا جانبُ دارِه مائلٌ، فقال له رجلٌ: لو بنيتَ هذا قبلَ أنْ يَخِرَّ، فقال: هيهاتَ! الأمرُ أعجلُ مِنْ ذلك.

٢٤٤١ - وقال وُهَيْبُ بنُ الوردِ: البناءُ الذي لا سَرَفَ فيه ما يسترُ مِنَ الشمس، ويُكِنُّ مِنَ المطرِ، واللباس الذي لا سَرَفَ فيه ما وارى العورةَ، ووقَى مِنَ البَردِ، والطعامُ الذي لا سَرَفَ فيه ما سدَّ الجوعَ، وكان دُونَ الشِّبَعِ.

٢٤٤٢ - وقال سفيان بن عُيينةَ: كتب سعد بن أبي وقاصٍ إلى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما، وهو على الكوفة، يستأذنه في بناء منْزِلٍ يسكنُه، فوقَّع في كتابه: ابْنِ ما يستُرُك مِنَ الشمس، ويُكِنُّكَ مِنَ الغيثِ؛ فإنَّ الدنيا دارُ قُلْعَةٍ.

٢٤٤٣ - ورُوِيَ عن يزيدَ أنَّه قال: اشتريتُ داراً، فكرهتُ أنْ أذكرَ أمرها للفُضيلِ بنِ عِياضٍ، قال: فبلَغَه ذلك، فقال: يزيدُ، ويحكَ! بلغني أنَّك اشتريتَ داراً، فقلت له: قد كان ذلك، فقال لي: إيَّاك أنْ تكون قد نقدتَ غيْرَ مالِك؟ فقلت: الحمد لله، قال: فقال لي: فهل أشهدتَ عُدولاً؟ فقلت له: قد كان ذلك، فقال: ويحكَ يا يزيدُ! إنَّه واللهِ سيأتيك مَنْ يُخرجُك منها خاضعاً ذليلاً صاغراً عُرياناً، ولا يسألُ عن بيِّنَتِك، فليتك حين اشتريتَ كتبتَ العُهدةَ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى عبدٌ ذليلٌ، قد نُودِيَ بالرَّحيلِ، مِنْ ميتٍ في القبور رهينٍ، اشترى منه دارَ الغُرورِ، وهو راحلٌ منها عن قليلٍ، ولهذه الدارِ حُدودٌ أربعةٌ: الحدُّ الأولُ منها ينتهي إلى دارِ الآفاتِ، والثاني ينتهي إلى دارِ العاهاتِ، والثالثُ ينتهي إلى دار المهلكاتِ، والرابعُ ينتهي إلى دارِ الأمواتِ. ولهذه الدار مدخلٌ يدخلُ منه الشيطانُ المُغوي، والهوى المُردي، فما أدركَ هذا المشتري مِنْ دركٍ فعلى مُقَلْقَلِ الأحشاءِ، وقابضِ أرواحِ الموتى. فيا مسكينُ يا مغرورُ! تجمعُ المالَ على المالِ، وتزعُم أنَّك تنظرُ لولدِك. فأين أنت يا مغرورُ يا مِسكينُ إذا نادى بك وبهم المنادي لفصلِ القضاءِ، وتعلَّقَ المظلومُ بالظالمِ، فتنسى والله دارَك وولَدَك. شهد على شراءِ هذه الدارِ أهلُ الفَناءِ، ومَنْ هم قد غرَّتْهم الدنيا.

تزودوا رحمكم الله مِنْ صالح الأعمال، وبادروا قبلَ حلول الآجالِ، فقد دنتْ منكم الرِّحلةُ والزَّوالُ.

٢٤٤٤ ـ وقال الفُضَيْلُ: إنِّي لا أعجَبُ مِمَّنْ بنى داراً ولم يسكُنْها، وإنَّما أعجبُ مِمَّنْ نظر إليه ولم يَعتبِرْ.

٢٤٤٥ ـ ونظر يحيى بنُ معاذٍ إلى دارٍ حسنةٍ، وبُنيانٍ حسنٍ، فقال: هذا حُسْنُ بناءٍ يفنَى، فكيف بحسْنِ بناءٍ يبقى؟.

٢٤٤٦ ـ ووُجِدَ على بابِ قصرٍ باليمن:

بنيناهُ ونحنُ مُحقِّقُونَا بأنَّا تارِكُوه وظاعِنُونَا
وأنَّا عنه نرحَلُ ثم يُغنَى به مِنْ بَعْدُ قومٌ آخَرُونَا
فهم مِنَّا وإنْ عَمَرُوا طويلا وداموا لا مَحَالَةَ لاحقُونا
ويَخْلَقُ بعدَ جِدَّتِه ويَبْلَى على مَرِّ الزمانِ كما بَلِينَا

٢٤٤٧ ـ ولآخر:

هذه الدارُ بناها قبْلَنَا عُصْبَةٌ بادُوا وخَلَّوْهَا لنا
ثم تُفْنِينَا وتَبْقَى بعدَنَا لَيْسَتِ الدَّارُ لِحَيٍّ وَطَنَا

* * *

١٥٤ ـ ما جاء في التفاخر وحب الظهور

٢٤٤٨ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

٢٤٤٩ ـ وروى يحيى بن جَعدةَ: أنَّ ابنَ عباس أتى على عبد اللّه بن صفوان بنِ أُميةَ وابنِ الزُّبيْرِ وهم يتذاكرون أحياء العربِ، فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم:٤١]. ثم طاف بالبيت شوطاً،

ثم قال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم:٥١]. ثم طاف شوطاً، ثم جاء، ثم قال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم:٥٤]. ثم طاف شوطاً، ثم قال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٦ ـ ٥٨] إلى آخر الآية. ثم قال: إذا ذكرتمُ البُيوتاتِ، فاذكروا هؤلاء.

٢٤٥٠ ـ وقال ابن المسيِّب: إنَّ نفراً انتسبوا، فيهم سلمان، فلمَّا انتهوا إليه قالوا: يا سَلمانُ انتسِب، فقال: أنا سلمانُ ابنُ الإسلامِ. قال: فبعث إليهم عمرُ، فأذِنَ لسَلمانَ، وأقعده إلى جنبِه، ثم أذِنَ لهم، وقال: انتَسِبوا، فقالوا: نستغفِرُ اللَّهَ ونتوبُ إليه يا أميرَ المؤمنين. فقال: أنتم معَ مَنِ انتسبْتُمْ إليه، وأنا وسلمانُ أبناءُ الإسلامِ.

٢٤٥١ ـ وقال: أبو عُبيدةَ بنُ الجرَّاحِ: ما مِنْ أحدٍ مِنَ الناسِ أحمر ولا أسود، أعجمي ولا فصيح، عبد ولا حر، أعلمه أفضل مني بتقوى إلا أحببت أن أكون في سلاحه.

٢٤٥٢ ـ وقال معاذ بن جَبلٍ: ودِدْتُ أنَّ اللَّهَ يَزيدني تقوى إلى تقواي وأنَّ رَوثَةَ حمارٍ تعلَّقتْ عني، فقيل: معاذُ بنُ رَوثة، ليس لي نسبٌ غيْره.

٢٤٥٣ ـ وقال بكر بن حماد:

نُعايِرُ الناسَ فيما ليس يَنْفَعُهُمْ ... وفَرَّقَ النَّاسَ أهْواءٌ وآراءُ
حُبُّ الرِّئاسَةِ داءٌ لا دَواءَ له ... ولَيسَ مِنْ أحَدٍ إلا لـه داءُ

٢٤٥٤ ـ وقال سفيانُ الثوريُّ: كنتُ أتمنَّى الرِّئاسةَ وأنا شابٌّ، وأرى الرجلَ عند السَّاريةِ يُفتي فأغبِطُه، فلمَّا بلغتُها عرفتُها.

٢٤٥٥ ـ ورُوِيَ أنَّ عليَّ بن أبي طالب ﷺ خرج مِنَ المسجدِ يوماً،

فاتَّبعه الناسُ، فالتفت إليهم، وقال: أيُّ قلبٍ يَصلُحُ على هذا؟ ثم قال: خَفْقُ النِّعالِ مَفْسَدَةٌ لقلوبِ الرجالِ.

٢٤٥٦ ـ وقال عمر بن الخطاب: هي مَذَلَّةٌ للتَّابعِ، مَفْسَدَةٌ للمتبوعِ.

٢٤٥٧ ـ وأنشدوا في ذمِّ الفخر:

مـا بـال مَـنْ أولُـه نـطـفـةٌ وجـيـفـةٌ آخـره يـفـخـرُ
لا فـخـر إلا فـخـرُ أهـلِ الـتُّـقـى غـداً إذا ضَـمَّـهُـمُ الـمَـحْـشَـرُ

❋ ❋ ❋

١٥٥ ـ النهي عن التنافس في الدنيا

٢٤٥٨ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٦].

٢٤٥٩ ـ ورُوِيَ عن الحسن أنه قال: إذا رأيتُمُ الناسَ يتنافسون في الدنيا، فتنافسوا في الآخرةِ، فإنَّ الدنيا تذهبُ وتبقى الآخرةُ.

٢٤٦٠ ـ وقال: مَنْ نافسَكَ في دِينك فنافِسْه، ومَنْ نافسَكَ في الدنيا فألْقِها في نَحْرِهِ.

٢٤٦١ ـ وقال بعض الحكماء: لا تُنافسِ الملوك في خفضِ عيشِهم ولين رياشهم، ولكن انظُر إلى سُرعة ظَعنِهم وسُوءِ مُنقلَبِهم.

٢٤٦٢ ـ وأنشدوا:

تُـنـافِسُ فـي الـدنـيـا غُـروراً وإنَّـمـا قُصَارى غِناها أنْ يَؤُولَ إلى الفَقْرِ
وإنَّـا لَـفِـي الـدُّنـيـا كَـرَكْـبِ سَـفـيـنَـةٍ تَـظُـنُّ وُقُـوفـاً والـزَّمـانُ بـنـا يَـجْـري

❋ ❋ ❋

١٥٦ ـ النهي عن التباغض والتحاسد

٢٤٦٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

٢٤٦٤ ـ وروى مالكٌ عنِ الزُّهريِّ، عن أنسٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدوا، ولا تَدابَروا، وكونوا عِبادَ اللَّهِ إخواناً»**[١].

٢٤٦٥ ـ وروى مالكٌ[٢] عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«تُفتَحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ الاثنين ويومَ الخميسِ، فيُغفَرُ لكلِّ عبدٍ مسلم لا يُشركُ بالله شيئاً، إلا رجلٌ كانت بينه وبين أخيه شحناءُ، فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتَّى يصطلحا»**.

٢٤٦٦ ـ وروى الزهريُّ عن أنسٍ، قال: بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ فقال: **«يطلُعُ عليكم رجلٌ مِنْ أهلِ الجنَّةِ»**. قال: فاطلعَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ تنطِفُ لحيتُهُ ماءً مِنْ وَضوئِه، مُعَلِّقٌ نَعليه في يده الشمال. فلمَّا كان مِنَ الغدِ، قال رسول الله ﷺ: **«يطلُعُ عليكمُ الآن رجلٌ مِنْ أهلِ الجنةِ»**، فاطلعَ ذلك الرجلُ على مِثْلِ مَرتبتِه الأولى. فلمَّا كان مِنَ الغدِ، قال رسول الله ﷺ: **«يطلُعُ عليكمُ الآن رجلٌ مِنْ أهلِ الجنة»**، فاطلعَ ذلك الرجلُ على مَرتبتِه الأولى. فلمَّا قام رسول الله ﷺ تَبِعَه عبدُالله بن عَمرو بن العاص، فقال: إني لاحَيْتُ أبي، فأقسمتُ أنْ لا أدخلَ عليه ثلاثَ ليالٍ، فإنْ رأيتَ أنْ تُؤوِيَني إليك حتَّى تُحِلَّ يميني فعلت. قال: نعم.

قال أنسٌ: فكان عبد اللَّه بن عَمرو بن العاص يُحدِّثُ: أنه باتَ معه ثلاثَ ليالٍ، فلم يَرَه يقوم مِنَ الليلِ شيئاً، غيْرَ أنه إذا تعارَّ مِنَ الليل، وتقلَّب

---

(١) الموطأ ٢/٩٠٧، ورواه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٢) الموطأ ٢/٩٠٨، ورواه مسلم (٢٥٦٥).

على فراشِه ذكرَ الله عزَّ وجلَّ، وكبَّر حتى يقومَ لصلاةِ الفجرِ، ويُسبغُ الوُضوءَ. قال عبد اللّه: غيْرَ أنّي لم أسمعْه يقول إلا خيْراً. فلمَّا مضتِ الثّلاثُ ليالٍ، وكِدتُ أنْ أَحْقِرَ عملَه، قلتُ: يا عبدَ اللّه، إنه لم يكُنْ بيني وبين أبي غضبٌ ولا هَجْرٌ، ولكني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لك ثلاثَ مراتٍ في ثلاثةِ مجالس: «**يطلُعُ عليكمُ الآنَ رجلٌ مِنْ أهلِ الجنّة**»، فاطلعتَ أنت تلك الثّلاثَ مرَّاتٍ، فأردتُ أنْ آوِيَ إليك، فأنظُرَ عمَلَك، فأقتديَ بك، فلم أرَكَ تعملُ كبيراً، فما الذي بلغَ بك ما قال النبيُّ ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيتَ، غيْرَ أنّي لا أجِدُ في نفسي غِلاًّ لأحدٍ مِنَ المسلمين، ولا أحسُدُهُ على خيْرٍ أَعطاه اللّهُ إياه. فقال عبد اللّه بن عَمرو: هذه التي بلغتْ بك، وهي التي لا نطيقُ[1].

٢٤٦٧ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: «الحسدُ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ»[2].

٢٤٦٨ ـ وقال عبد اللّه بن الحكم: قال مالكٌ: إنَّ أولَ المعاصي: الكِبْرُ والحسدُ والشُّحُّ؛ حسدَ إبليسُ آدَمَ وتكبَّرَ، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، فجمع بين الكِبْرِ والحسد. وقال تعالى: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩] فشحَّ حتى أكلَ منها.

٢٤٦٩ ـ وقال ابن وهبٍ: قال مالكٌ: الحسدُ قديمٌ، حسَدَ ابنُ آدمَ أخاه حين لم يُتقبَّلْ منه، كأنه يقول: فقتله.

---

(١) حديث صحيح. رواه ابن المبارك في الزهد (٦٩٤)، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٥٥٩)، وأحمد ١٦٦/٣.

(٢) وروي مرفوعاً بسند ضعيف عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**». رواه أبو داود (٤٩٠٣). ورواه ابن ماجه (٤٢١٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ وسنده ضعيف أيضاً.

٢٤٧٠ ـ وقال بعضُهم: النِّعمةُ على صاحبِها نِعمةٌ، وعلى حاسدِها نِقمَةٌ.

٢٤٧١ ـ روى أبو صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَحاسُدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاهُ اللَّهُ القرآنَ، فهو يتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، فيقول: لو أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ عملتُ مِثْلَ ما يعملُ، ورجلٌ آتاه اللَّهُ مالاً فهو ينفِقُه في حقِّه، فيقولُ: لو أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ، عملتُ مِثْلَ ما يعملُ»**[١].

٢٤٧٢ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: **«استعينوا على حوائِجِكم بالكِتمانِ، فكلُّ ذي نعمةٍ محسودٌ»**[٢].

٢٤٧٣ ـ قال عبد الرحمن بن القاسم المصري: بلغني أنَّ عمرَ بن الخطاب قال: ما مِنْ أحدٍ عليه مِنَ الله نعمةٌ إلا وله عليها حاسدٌ، ولو كان الرجلُ أقومَ مِنَ القَدَحِ، لقال له قائل: لولا.

٢٤٧٤ ـ وقال سفيان بن عُيَيْنَةَ: الحسدُ أولُ ذنبٍ عُصِيَ اللَّهُ به في السماء، يعني حسدَ إبليس آدم، وأولُ ذنبٍ عُصِيَ الله به في الأرض حسد ابن آدم أخاه فقتله.

٢٤٧٥ ـ وقال بعض الحكماء: **«ثلاثٌ لا يَسلمُ المؤمنُ منهنَّ، وللمؤمن منهنَّ مَخْرَجٌ: الظنُّ، والطِّيَرَةُ، والحسدُ؛ فمن ظنَّ فلا يُحَقِّقْ، ومَنْ تطيَّرَ فليمضِ، ومَنْ حسدَ فلا يَبْغِ»**[٣].

---

(١) البخاري (٥٠٢٦ و٧٢٣٢)، ومسلم (٨١٥).

(٢) وروي مرفوعاً من حديث معاذ بن جبل ﷺ بسند ضعيف. أخرجه الطبراني في المعجمين الصغير (١١٨٦)، والكبير ٩٤/٢٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٧٧/٥.

(٣) ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٢٨/٣ رقم (٣٢٢٧) عن حارثة بن النعمان مرفوعاً، وإسناده ضعيف.

٢٤٧٦ ـ وقال فرقدٌ السَّبَخِيُّ: الحسدُ داءٌ لا يُبْريه إلا الزهدُ، فمَنْ زَهَدَ في الدنيا لم يَصحبِ الحسدَ.

٢٤٧٧ ـ وقال معاويةُ: كلُّ الناسِ أستطيعُ أنْ أُرضِيَه إلا حاسدَ نعمةٍ، فإنَّه لا يُرضيه إلا زوالُها.

٢٤٧٨ ـ وقال معاويةُ لابنِه: يا بنيَّ إياك والحسدَ؛ فأنه يَبينُ فيك قبلَ أنْ يَبينَ في عدوكَ.

٢٤٧٩ ـ وقال رجلٌ للحسن: أيحسُدُ المؤمنُ؟ قال: لا أبا لك! مَنْ أنساكَ بني يعقوبَ.

٢٤٨٠ ـ وقال ابنُ السَّمَّاكِ: إنَّ الحاسدَ لَيُحِبُّ أنْ تزولَ عنه ألفُ نعمةٍ بنعمةٍ واحدةٍ تزولُ عمَّن يَحسُدُه.

٢٤٨١ ـ وقال بعضُ الحكماء: مَنْ تَتبعتْ عيناهُ ما في أيدي الناسِ، طال حُزنُه، ولم يَشْفِ غيظَه.

٢٤٨٢ ـ وأنشدوا[1]:

اصْبِرْ على ضَرَرِ الحَسودِ ... فإنَّ صَبْرَكَ قاتِلُهْ
فالنَّارُ تَأكُلُ بعضَها ... إنْ لَمْ تَجِدْ ما تَأكُلُهْ
ولَرُبَّما بَلَغَ الحَليمُ ... بِصَبْرِهِ ما يَأمُلُهْ

٢٤٨٣ ـ ولبعضهم: الحاسدُ يَعمَى عن محاسِنِ الصُّبحِ بعيْنٍ يُدرِكُ بها دقائِقَ القُبحِ.

* * *

(١) هو ابن المعتز كما صرح به المصنف برقم (١٦٥٩).

١٥٧ ـ النهي عن الهجرة

٢٤٨٤ ـ روى عطاءُ بنُ يزيد عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**لا يَحِلُّ لمسلم أنْ يَهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثِ ليالٍ، يلتقيان، فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأُ بالسَّلام**»[١].

٢٤٨٥ ـ وروى أبو حازمٍ عن أبي هريرة، قال: «**لا هِجْرَةَ فوقَ ثلاثٍ، فمَنْ هَجَرَ فوقَ ثلاثٍ فماتَ، دخلَ النارَ**»[٢].

٢٤٨٦ ـ وروى مالك عن عطاء بن عبد الله الخراساني قال: قال رسول الله ﷺ: «**تصافحوا يذهب الغِلُّ وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء**»[٣].

٢٤٨٧ ـ ولسعيد بن حُميدٍ يُعاتب بعض إخوانِه:

أَقْلِلْ عِتَابَكَ فالبَقاءُ قَليلُ ... والدَّهْرُ يَعْدِلُ مَرَّةً ويَمِيلُ
لَمْ أَبْكِ على زَمَنٍ ذَمَمْتُ صُرُوفَهُ ... إلا بكَيْتُ عليه حينَ يَزُولُ
ولِكُلِّ نائِبَةٍ أَلَمَّتْ مُدَّةٌ ... ولِكُلِّ حالٍ أقْبَلَتْ تَحْويلُ
والمُنْتَمُونَ إلى الإخاءِ جَمَاعَةٌ ... إنْ حَصَّلُوا أفناهُمُ التَّحْصيلُ
ولَعَلَّ أَحْداثَ المَنِيَّةِ والرَّدَى ... يَوْماً سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وتَحُولُ
ولَعَلَّ أيَّامَ الحَياةِ قَليلةٌ ... فَعَلامَ يَكْثُرُ عَتْبُنَا ويَطُولُ

❋ ❋ ❋

١٥٨ ـ النهي عن البغي

٢٤٨٨ ـ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

٢٤٨٩ ـ وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤٢].

---

(١) البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).
(٢) رواه أحمد ٢/٣٩٢، وأبو داود (٤٩١٤).
(٣) الموطأ ٢/٩٠٨. وهو حديث مرسل.

٢٤٩٠ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣].

٢٤٩١ ـ وقال بعض الحكماء: ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البَغْيُ والنَّكْثُ والمكرُ.

٢٤٩٢ ـ وروى عكرمةُ عن ابن عباس قال: إنَّ أولَ قَسَامَةٍ[1] كانت في الجاهليةِ لَفِينا بني هاشم: كان رجلٌ مِنْ بني هاشمٍ استأجره رجلٌ من قريش من فخذٍ أخرى، فانطلق معه في إبله، فمر به رجلٌ من بني هاشم قد انقطعت عُرْوَةُ جُوالِقه[2]، فقال: أَغِثْني بعقالٍ أشُدُّ به عُرْوَةَ جُوالقي لا تَنْفِرُ الإبِلُ، فأعطاه عقالاً فشد به عُرْوَةَ جُوالِقه، فلما نزلوا عُقِلَتِ الإبلُ إلا بعيراً واحداً، فقال الذي استأجرهُ: ما شأنُ هذا البعيرِ لم يُعْقَلْ مِنْ بيْنِ الإبلِ؟ قال: ليس له عِقالٌ، قال: فأين عِقالُه؟ قال: فحَذَفَهُ بعصاً كان فيها أجلُه، فمرَّ به رجلٌ مِنْ أهلِ اليمنِ، فقال: أتشهدُ الموسمَ؟ قال: لا، وربَّما شهدتُه، قال: هل أنتَ مُبلغٌ عني رسالةً مرَّةً مِنَ الدَّهرِ؟ قال: نعم، قال: فكتب: إذا شهدتَ الموسِمَ، فنادِ: يا آلَ قُريشٍ، فإنْ أجابوك فنادِ: يا آل بني هاشمٍ، فإن أجابوكَ، فسَلْ عن أبي طالبٍ، فأخبِرْه أنَّ فلاناً قتلني في عِقالٍ. ومات المستأجَرُ، فلمَّا قدِمَ الذي استأجَرَه أتاه أبو طالبٍ، فقال: ما فعل صاحبُنا؟ قال: مَرِضَ فأحسنتُ القِيامَ عليه، فوَلِيتُ دفنَه، قال: قد كان أهلَ ذلك منك. فمكث حِيناً ثم إنَّ الرجلَ الذي أوصى إليه أنْ يُبَلِّغَ عنه وافَى الموسَمَ، فقال: يا آلَ قريش. قالوا: هذه قريش، قال: يا آلَ بني هاشم، قالوا: هذه بنو هاشم. قال: أين أبو طالب؟ قالوا: هذا أبو طالب. قال: أمرني فلانٌ أنْ أُبلِّغَك رسالةً أنَّ فلاناً قتلَه في عِقالٍ، فأتى أبو طالب،

---

(١) القَسامَة: الأيمان يقسم بها أولياء الدم على استحقاقهم دم صاحبهم، أو يقسم بها المتهمون على نفي القتل عنهم. (جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٢٧٩).

(٢) الجُوالق: وعاء من جلود وثياب.

فقال: اختَرْ مِنَّا إحدى ثلاثٍ: إنْ شئتَ أنْ تُؤَدِّيَ مائةً مِنَ الإبلِ، فإنَّك قتلتَ صاحبَنا، وإنْ شئتَ حلفَ خمسون مِنْ قومِك أنَّك لم تقتُلْه، فإنْ أبيتَ قتلناك به. فأتى قومه، فقالوا: نحلِفُ، فأتته امرأةٌ مِنْ بني هاشم، كانت تحتَ رجلٍ منهم قد ولدَتْ له، فقالت: يا أبا طالبٍ، أُحِبُّ أنْ تُجيزَ ابني هذا برجلٍ مِنَ الخمسين، ولا تَصْبُرَ يَمينَه حيثُ تُصْبَرُ الأيمانُ، ففعل، فأتاه رجلٌ منهم، فقال: يا أبا طالب، أردتَ خمسين رجلاً يحلفون مكانَ مائةٍ مِنَ الإبَلَ نصيبُ كلِّ رجلٍ بعيران، هذان بعيران، فاقبَلْهُما عنِّي، ولا تُصْبَرْ يميني حيث تُصْبَرُ الأيمانُ فقبلهما، وجاء ثمانيةٌ وأربعونَ فحلفوا. قال ابن عباسٍ: فوالذي نفسي بيدِه، ما حالَ الحَوْلُ ومِنَ الثَّمانيةِ وأربعين عَيْنٌ تطرِفُ[١].

٢٤٩٣ ـ ورُوِيَ عن مالكٍ: ثلاثٌ لا ينفعُ معَهُنَّ شيءٌ: البغيُ والمكرُ ونقضُ العهد. وثلاثٌ لا يضُرُّ معَهُنَّ شيءٌ: الدُّعاءُ عند الكَرْبِ، والاستغفارُ عند الذَّنبِ، والشُّكرُ عندَ النِّعمةِ.

٢٤٩٤ ـ وقال قيس بن عاصم لبنيه: يا بَنِيَّ، إيَّاكم والبغيَ، فما بَغَى قومٌ إلا ذَلُّوا وقَلُّوا.

٢٤٩٥ ـ وقال أبو عُبيدةَ معمر بن المثنَّى: أوَّلُ بَغْيٍ كان في قيسٍ: أن المقايسَ، وهم بنو قيسٍ مِنْ بني سَهْم، تباغَوْا فيما بينهم، فبعث الله عز وجل فأرةً على ذُبالةٍ فيها نارٌ فجرَّتْها إلى خيامٍ لهم فاحترقوا، ثم كان ظلمٌ وبغيٌ بين بني السَّبَّاقِ بنِ عبد الدار بنِ قُصَيٍّ، فبعث الله تعالى عليهم الفناءَ. فقالت سُبَيْعَةُ بنتُ الأحَبِّ لابنٍ لها يُقال له خالدٌ، وكان به زَهْوٌ، تُحذِّرُه ما لقيَ المقايسُ وبنو السَّبَّاقِ:

أَبُنَيَّ لا تَظْلِمْ بِمَكَّـ ... ـةَ لا الصَّغِيرَ ولا الكَبِيرْ
احْفَظْ مَحَارِمَهَا ولا ... يَغْرُرْكَ باللهِ الغَرُورْ

---

(١) البخاري (٣٨٤٥).

أَبُـنَـيَّ مَـنْ يَـظْـلِـمْ بِـمَـكَّـ ـةَ يَـلْـقَ أَطْـرافَ الـشُّـرُورْ
والـلّـهُ أَمَّـنَ وَحْـشَـهَـا والـطَّـيْـرُ تُـعْـقَـلُ فـي ثَـبِـيـرْ
ولَـقَـدْ أتـاهـا تُـبَّـعٌ فَـكَـسَـا بَـنِـيَّـتَـهَـا الـحَـرِيـرْ
والـفِـيـلُ أُهْـلِـكَ جَـيْـشُـهُ يُـرْمَـوْنَ فـيـهـا بـالـصُّـخُـورْ
فَـاسْـمَـعْ إذا حُـدِّثْـتَ وافـ ـهَـمْ كـيـفَ عـاقِـبَـةُ الأُمُـورْ

٢٤٩٦ ـ ولذي الأصبع العُدوانيِّ:

عَـذِيـرَ الـحـيِّ مِـنْ عُـدْوا نَ كـانـوا حَـيَّـةَ الأرْضِ
بَـغَـى بَـعْـضٌ عـلـى بَـعْـضٍ فَـلَـمْ يُـبْـقُـوا عـلـى بَـعْـضِ
فـقـدْ صـاروا أحَـادِيـثَ بِـرَفْـعِ الـفِـعْـلِ والـخَـفْـضِ

٢٤٩٧ ـ ولأبي العتاهيةِ:

صاحِبُ البَغْيِ ليسَ يَسْلَمُ منهُ وعلى نفسِهِ بَغَى كلُّ باغِ

٢٤٩٨ ـ وقال صَيفِيُّ بنُ رَباحٍ التميميُّ لبنيهِ: يا بَنِيَّ، اعلموا أنَّ أسرعَ الجُرْمِ عُقوبةً البغيُ، وشرَّ النُّصرةِ التَّعدِّي، وألأمَ الأخلاقِ الضِّيقُ، وأسوءَ الآدابِ كَثرةُ العِتابِ.

٢٤٩٩ ـ وروى سعيد بن جبير عنِ ابن عباس، قال: تكلَّم مَلِكٌ مِنَ الملوك بكلمةِ بغْيٍ وهو جالس على سريرِه، فمسخَه اللَّهُ، فما يدري أيَّ شيءٍ مُسِخَ: أذُبابٌ أم غيْره، إلا أنه ذهبَ فلم يُرَ.

٢٥٠٠ ـ ولبعضهم:

يا قَوْمَنَا لا تُشِبُّوا الحَرْبَ إذ خَمَدَتْ تَمَسَّكُوا بِحِبَالِ السِّلْمِ واعْتَصِمُوا
لا تَرْكَبُوا البَغْيَ إنَّ البَغْيَ مَصْرَعةٌ وإنَّ شَارِبَ كأسِ البَغْيِ يَتَّخِمُ
وأنْصِفُوا قَوْمَكُمُ لا تَهْلَكُوا بَذَخاً فَرُبَّ ذي بَذَخٍ زَلَّتْ بهِ قَدَمُ

❋ ❋ ❋

١٥٩ ـ النهي عن الظلم

٢٥٠١ ـ رُوِيَ عن عبد اللَّه بن عمر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**الظُّلمُ ظُلُماتٌ يومَ القيامة**»[(١)].

٢٥٠٢ ـ ورُوِيَ عن أبي معبَدٍ مولى ابن عباس [عن ابن عباس] أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا دعوةَ المظلومِ؛ فأنَّه ليسَ بينَها وبينَ اللَّهِ حِجابٌ**»[(٢)].

٢٥٠٣ ـ وروى المقْبُرِيُّ عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ كانتْ عندَه مَظْلِمَةٌ لأخيه مِنْ عِرْضِهِ أو شيءٍ، فليتَحَلَّلْه منه اليومَ قبلَ أنْ لا يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ، إنْ كان له عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدْرِ مَظْلِمَتِه، وإنْ لم يكُنْ له حسناتٌ أُخِذَ مِنْ سيئاتِ صاحبِه فتُحمل عليه**»[(٣)].

٢٥٠٤ ـ وروى عبد الرحمن بن عمرو بن سهل أنَّ سعيدَ بن زيدٍ قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأرضِ شِبْراً طُوِّقَهُ مِنْ سبعِ أَرَضِينَ**»[(٤)].

٢٥٠٥ ـ وروت زينبُ بنتُ أبي سلمةَ عن أمِّ سلمةَ، عن رسول الله ﷺ أنه سمعَ خُصومَةً ببابِ حُجرتِه، فخرج إليهم، فقال: «**إنَّما أنا بشرٌ وإنَّكم تَختصِمُون إليَّ، فلعَلَّ بعضَكم أنْ يكونَ ألحَنَ بحُجَّتِه، فأحسِبُ أنه صدقَ وأقضي له بذلك. فمنْ قضيتُ له بحقِّ مسلمٍ، فإنما هي قطعةٌ مِنَ النارِ، فليأخذْها أو ليترُكها**»[(٥)].

---

(١) البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).
(٢) البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).
(٣) البخاري (٢٤٤٩).
(٤) البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).
(٥) البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣).

٢٥٠٦ ـ وروى وهب بن منبه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**»[(١)].

٢٥٠٧ ـ وروى حُميدٌ عن أنسٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**انصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً**». قالوا: يا رسولَ اللَّه، هذا أنصرُه مظلوماً، فكيف أنصرُه ظالماً؟ قال: «**تأخذُ فوقَ يدِه**»[(٢)].

٢٥٠٨ ـ وروى أبو بُردةَ بن أبي موسى، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي للظالم، حتَّى إذا أخذه لم يُفلِتْه**». ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[(٣)] [هود: ١٠٢].

٢٥٠٩ ـ ورُوِيَ عن أبي أمامة، قال: يجيءُ الظالِمُ يومَ القيامة، حتى إذا كان على جسرِ جهنمَ، لقِيَه المظلومُ، وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظُلِموا بالذين ظَلَموا حتى ينزِعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا حسنات حُمِلَ عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يُردُّوا في الدَّرْك الأسفل من النار.

٢٥١٠ ـ وقال رجلٌ مِنْ أهلِ الكتابِ لابن عباس: إنَّ في التوراة: مَنْ يظلِمْ يَخْرب بيتُه. فقال ابنُ عباس: وهذا في القرآنِ، قال الله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: ٥٢ ـ ٥٣].

٢٥١١ ـ وقال سُحنون بن سعيد: كان يزيدُ بن حاتم يقول: والله ما هِبْتُ شيئاً قط هيبتي رجلاً ظلمتُه، وأنا أعلم أنه لا ناصرَ له إلا اللَّه، يقول لي: حسبُك اللَّه، بيني وبينَك اللَّه.

---

(١) البخاري (٢٢٨٧) ومسلم (١٥٦٤).
(٢) البخاري (٢٤٤٣).
(٣) البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

٢٥١٢ ـ وقال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب: يا معشرَ الظُّلماءِ، لا تُجالِسوا أهلَ الذكرِ، فإنهم إذا ذكروني ذكرتُهم برحمتي، وإذا ذكرتُموني ذكرتُكم بلعنَتي.

٢٥١٣ ـ وقال بلال بن سعد: اتقوا اللَّهَ فيمنْ لا ناصِرَ له إلا اللَّهُ.

٢٥١٤ ـ وقال سفيانُ الثوريُّ: مَنْ تبسَّم في وجه ظالمٍ أو وسَّعَ له في مجلسٍ، فقد قطع عُرى الإسلامِ، وكان مِنْ أعوانهم.

٢٥١٥ ـ وقال أبو سُليمانَ الدَّارانيُّ: حين دخلَ إخوةُ يوسفَ على يوسفَ، عرفهم ولم يعرفوه، وكان على وجهه برقعٌ، فخلا بكبيرِهم وكان ابنَ خالتِه، فقال له: بما أوصاك أبوك؟ قال: بأربعٍ. قال: ما هنَّ؟ قال: يا بُنيَّ، لا تَتَّبعْ هواك فتفارقَ إيمانَك، فإنَّ الإيمان يدعو إلى الجنة، والهوى يدعو إلى النار، ولا تُكثِرْ منطِقك فيما لا يعنيك فتسقط من عينه، ولا تُسئْ بربِّك الظنَّ، فلا يستجيب لك، ولا تكن ظالماً، فإنَّ الجنةَ لم تُخلقْ للظالمين.

٢٥١٦ ـ وبكى عليُّ بن الفُضَيل يوماً، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: أبكي على مَنْ ظلمني إذا وقف غداً بين يدي الله عزَّ وجلَّ ولم تكن له حجةٌ.

٢٥١٧ ـ وأنشدوا:

إنِّي غفرْتُ لظالمي ظُلْمي ... وتَرَكْتُ ذاكَ له على عِلْمِ
ما زالَ يَظْلِمُني وأرْحَمُهُ ... حتَّى بَكَيْتُ له مِنَ الظُّلْمِ

٢٥١٨ ـ وقال معاويةُ بن أبي سفيان: إنَّ أولى الناسِ بالعفوِ أقدرُهم على العُقوبةِ، وإنَّ انقصَ الناس عقلاً مَنْ ظَلمَ مَنْ هو دُونَه.

٢٥١٩ ـ وكان يقالُ: ليس شيءٌ لِتَغَيُّرِ نِعمةٍ وتعجيلِ نِقمةٍ أشدَّ مِنَ الإقامةِ على الظُّلمِ.

٢٥٢٠ ـ وقال رجل: كنت جالساً عند عمرَ بن عبد العزيز، فذكرَ الحجَّاجَ فشتمتُه ووقعتُ فيه، فقال عمر: إنَّ الرجلَ لَيَظلِم بالمظلمةِ، فلا يزالُ المظلومُ يشتمُ الظالمَ ويسبُّه حتى يستوفِيَ حقَّه ويكون للظالِم فضلٌ عليه.

٢٥٢١ ـ ورُوِيَ أنَّ رجلاً قال لمحمد بن سيرين: هل يحِلُّ لعنُ الحَجَّاجِ؟ فقال: يا ابنَ أخي، إن اللَّهَ عَدْلٌ، لئِنْ أخذَ للحجَّاجِ مِنَ المظلومين، ليأخُذَنَّ للحجَّاجِ مِنَ الظالمين.

٢٥٢٢ ـ وروى إسماعيلُ بنُ أبي حكيم عن حكيم بن جابر، قال: كان أبوالدَّرداءِ مضطجعاً بين أصحابه وثوبُه على وجهِه، فمرَّ به قَسٌّ، فأعجبه سَمْتُه، فقال بعضهم: اللَّهُمَّ العنْه ما أعظَمَه، ما أسمَنَه! فكشف أبو الدرداءِ عن وجهِه، فقال: ما الذي لعنتم آنفاً؟ قال: قَسٌّ مرَّ بنا، فقال: لا تلعنوا أحداً، فإنه لا ينبغي للَّعَّانِ أن يكونَ عند الله يومَ القيامةِ صِدِّيقاً.

٢٥٢٣ ـ وقال بعضُ الحكماء: الظلمُ ثلاثةٌ: ظلمٌ لا يغفِرُه الله عزَّ وجلَّ، وظلمٌ لا يترُكُه اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وظلمٌ لا يعبأُ الله به. فأمَّا الظُّلمُ الذي لا يغفِرُه اللَّه، فهو الشِّرك بالله عزَّ وجلَّ، وأما الذي لا يترُكه اللَّهُ تعالى، فمظالِمُ العبادِ بعضهم بعضاً، وأمَّا الظُّلمُ الذي لا يعبأُ اللَّهُ به، فذنبُ العبدِ بينَه وبينَ ربِّه سبحانه[1].

٢٥٢٤ ـ وقال ميمون: مَنْ ظلم رجلاً ففاته أن يخرُجَ منه، فاستغفر له دُبُرَ صلاتِه، خرج مِنْ مظلِمَتِه.

---

(١) وروي مرفوعاً بسند ضعيف من حديث أنس بن مالك ﷺ رواه البزار (٢٤٣٩)، والطيالسي (٢١٠٩)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٠٩/٦.

ويشهد له حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: «**الدواوين ثلاثة**..». رواه أحمد ٢٤٠/٦، والحاكم ٥٧٥/٤. والحديث حسن بشواهده، وقد فصلت القول فيه في كتاب «الأمر بالعزلة في آخر الزمان» لابن الوزير ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

٢٥٢٥ ـ ولأبي العتاهية:

أمَا والـلّـهِ إنَّ الـظُّـلْـمَ لُـؤْمٌ ولـكـنَّ الـمُـسـيءَ هـو الـظَّـلـومُ
إلـى دَيَّـانِ يـومَ الـدِّيـنِ نَـمـضـي وعـنـدَ الـلَّـهِ تَـجْـتَـمِـعُ الـخُـصـومُ
سَـلِ الأيـامَ عـن أُمَـمٍ تَـقَـضَّـتْ سَـتُـخْـبِـرُكَ الـمَـعـالِـمُ والـرُّسُـومُ

٢٥٢٦ ـ ولصِرْمَةَ بنِ أبي أنسٍ:

يـا بَـنِـيَّ الـتُّـخـومَ لا تَـظْـلِـمُـوهـا إنَّ ظُـلْـمَ الـتُّـخـوم ذو عِـقـالِ
واجْمَعُوا أَمْرَكُم على البِرِّ والتَّقْـ ـوى وتَـرْكِ الـخَـنَـى وأَخْـذِ الـحَـلالِ

٢٥٢٧ ـ ولآخر:

يـا أيُّـهـا الـظَّـالِـمُ فـي فِـعْـلِـهِ والـظُّـلْـمُ مَـرْدودٌ عـلـى مَـنْ ظَـلَـمْ
إلـى مـتـى تَـعْـصـي وحـتَّـى مـتـى تـشـكـو الـمُـصِـيـبـاتِ وتَـنْـسَـى الـنِّـعَـمْ

٢٥٢٨ ـ ولمحمد بن أبي العتاهية:

مـا كـلُّ قَـوْلٍ لـه جَـوابُ جـوابُ مـا تَـكْـرَهُ الـسُّـكـوتُ
يـا عَـجَـبـاً لامـرِئٍ ظَـلُـومٍ مُـسْـتَـيْـقِـنٍ أنَّـه يَـمـوتُ

* * *

١٦٠ ـ ما جاء في الذين يعذبون الناس في الدنيا

٢٥٢٩ ـ روى أبو ظِبيان عن جريرِ بن عبد الله البَجَلِيِّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرحَمُ اللَّهُ مَنْ لا يرحَمُ الناسَ**»[١].

٢٥٣٠ ـ ورأى الزُّهريُّ في منامِه كأنه مدفونٌ في قَبْرٍ، وكفُّه خارجةٌ مِنَ القبْرِ مخضوبةٌ بالحِنَّاء. فسُئِلَ عن ذلك سعيدُ بن المسيبِ، فقال: هذا رجلٌ

(١) البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٩).

صالحٌ يصيب دماً خطأً، فاستُعْمِلَ الزهريُّ على صدقاتِ عُذْرَةَ، فاستعمل مولىً للصَّلتِ بن عبدالله بنِ نوفلِ بن الحارث بن عبد المطلب ساعياً، فخان فضربَه الزهريُّ بعصاً، فأصاب جُرحاً كان بظهره قد بَرِئَ، فانتقضَ عليه عند ضربِه إياه، فمات منه، فجزع الزهريُّ وندم، وقال: لا أقربُ امرأةً، ولا يُظِلُّني سقفُ بيت. وظل متنحِّياً منفرداً عن الناس، فمرَّ به زيد بن علي بن الحسين، فقال: يا ابنَ شهاب، اتَّقِ اللَّه؛ فوالله ما أخافُ أن تعجزَ عنك رحمةُ اللَّه، ولكن أخافُ أن يوبِقَك قُنوطُك مِنْ رحمة اللَّهِ، تُبْ إلى الله وابعثْ إلى أهلِ الرَّجل بديتِه، وارجِع إلى أهلك ومنْزِلك، فكان يقول: زيدُ بن علي بن الحسين أعظمُ الناسِ عليَّ مِنَّةً.

٢٥٣١ ـ وقال محمد بن رجاء: قال دِهقان لأسد بن عبد الله وهو على خُراسان، ومرَّ به وهو يرهق في حبسه: إن كنتَ تُعطي مَنْ تَرحمُ، فارحم مَنْ تظْلِم، إنَّ السماوات لتُفرَجُ لدعوة المظلومِ، فاحذرْ مَنْ ليس له ناصرٌ إلا اللَّه، ولا جُنَّة إلا الثقةُ بنُزول التغيير، ولا سلاح إلا الابتهالُ إلى مَنْ لا يُعجِزُه شيءٌ، وما أشكُّ أنَّ البغيَ يصرعُ أهلَه، والبغيُ مصرعُه وخيمٌ، فلا تغتَرَّ بإبطاء الغِياثِ مِنْ ناصرٍ متى شاء أنْ يُغيثَ أغاثَ، وقد أملى لقومٍ لكي يزدادوا إثماً، وجميعُ أهلِ السعادةِ إمَّا تاركٌ سالِمٌ مِنَ الذنبِ، وإمَّا تاركٌ للإصرارِ. ومَنْ رغِبَ عنِ التَّمادي، فقد نالَ إحدى السَّعادتين، ومَنْ خرجَ عَنِ السَّعادةِ، فلا غايةَ له إلا الشِّقوة.

٢٥٣٢ ـ قال مالك: قال هشام بن حكيم لبعضِ أُمراءِ الشَّام، ورأى نَبَطاً قد أُقيموا في الشَّمس لخراجهم، فقال: أشهدُ لَسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ في الآخرةِ الذين يُعذِّبون الناسَ في الدنيا**»[١].

❋ ❋ ❋

(١) مسلم (٢٦١٣).

١٦١ ـ النهي عن الأذى والبذاء

٢٥٣٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٢٥٣٤ ـ وروى هلال بن عليٍّ عن أنس، قال: لم يكن رسول الله ﷺ سبَّاباً ولا فحَّاشاً، كان يقول لأحدِنا عند المعتِبَة: «**ما له تَرِبَ جبينُه**»؟[1].

٢٥٣٥ ـ وقال مالك بن أنس: أدركتُ بالمدينةِ قوماً كانت لهم عُيوبٌ، سكتوا عن عيوبِ الناسِ، فسكت الناسُ عن عيوبِهم، وأدركت بالمدينة قوماً لم تكُنْ لهم عُيوبٌ، ذكروا عُيوبَ الناسِ، فأحدثَ الناسُ لهم عُيوباً.

٢٥٣٦ ـ ولمحمد بن حازمٍ الباهليِّ:

مَـنْ يَـشْـتِـمِ الـنَّـاسَ يَـشْـتُـمُـوهُ ومَنْ يَنْصَبْ لهم في أُمورِهِمْ نَصَبُوا
نـعـم ومَـنْ يَـجْـتَـنِـبْ مَـسَـاوِيـهُـمْ حـيـثُ مَـسـاوِيـه كـانَ يَـجْـتَـنِـبُ
الصَّمْتُ في موضعِ السُّكوتِ ولَوْ كـان كـلامٌ مِـنْ فِـضَّـةٍ ذَهَـبُ

٢٥٣٧ ـ وقال الفضيل: كان يُقال: ما أحدٌ يسبُّ شيئاً مِنَ الدنيا؛ دابَّةً ولا غيْرَها، فيقول: أخزاكَ اللَّهُ، أو لعنك اللَّهُ، إلا قالت: بل أخزى الله أعصانا لربِّه تعالى، وابنُ آدمَ أعصى وأظلمُ.

١٦٢ ـ ما جاء في النهي عن النَّميمة

٢٥٣٨ ـ قال همَّامٌ: كنا مع حذيفةَ، فقيل له: إنَّ رجلاً يرفع الحديثَ إلى عثمانَ، فقال حذيفة: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**لا يدخلُ الجنةَ قتَّاتٌ**»[2].

٢٥٣٩ ـ وقال ابن عباس: مرَّ النبيُّ ﷺ بقبرين، فقال: «**إنَّهما ليُعذَّبانِ، وما يُعذَّبانِ في كبير: أمَّا أحدُهما، فكان لا يستَتِرُ مِنَ البول، وأمَّا الآخرُ،**

(١) البخاري (٦٠٣١).
(٢) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥). والقتَّات: النمَّام.

فكان يمشي بالنَّميمة». ثم أخذ جريدةً رَطْبَةً، فشقَّها نِصفينِ، فغرز في كلِّ قبرٍ واحدة. قالوا: يا رسول اللَّه، لِمَ فعلتَ هذا؟ قال: «**لعلَّه يُخفِّفُ عنهما ما لم يَيبَسا**»[1].

٢٥٤٠ ـ وقال كعب الأحبار: أصابَ الناسَ قحطٌ شديدٌ على عهدِ موسى ﷺ فخرج موسى يستسقي ببني إسرائيلَ، فلم يُسْقَوْا، ثم خرج فلم يُسْقَوْا، ثم خرج الثالثةَ، فأوحى اللَّهُ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنِّي لا أستجيبُ لك ولا لمن معك، فإنَّ فيكم نماماً، فقال موسى: يا ربِّ، من هو حتى نُخرجَه من بيننا؟ فأوحى الله إليه: يا موسى، أنهاكم عنِ النَّميمة وآتيها. فباتوا فأرسل اللَّهُ عليهمُ الغيثَ.

٢٥٤١ ـ وقال فُضيلٌ: ثلاثٌ يهدِمْنَ العملَ، ويُفَطِّرْنَ الصائمَ، ويَنقُضنَ الوُضوء: النَّميمة والغيبةُ والكذب.

٢٥٤٢ ـ وقال يحيى بن أكثم: النَّمَّام شرٌّ مِنَ الساحرِ، يعمل النَّمَّامُ في ساعةٍ ما لا يعمل الساحرُ في شهر.

٢٥٤٣ ـ وقال رجلٌ للمهديِّ: عندي نصيحةٌ يا أميرَ المؤمنين. قال: لمن نصيحتُك هذه: لنا أو لعامَّةِ المسلمين أم لنفسِك؟ قال: لك يا أميرَ المؤمنين. قال: ليس السَّاعي بأعظمَ عورةً ولا أقبحَ حالاً مِمَّن قَبِلَ سِعايتَه، ولا تخلو مِنْ أنْ تكونَ حاسدَ نعمةٍ، فلا تشفي غيظَك، أو عدوّاً فلا نُعاقبُ لك عدوَّك. ثم أقبل على الناسِ، فقال: لا ينصحُ لنا ناصحٌ إلا بما للّهِ فيه رضىً وللمسلمين صلاحٌ.

٢٥٤٤ ـ وقال أبو الأسود الدِّئلي لابنه:

أكرِمْ صديقَ أبيكَ حيثُ لَقِيتَه ... واحبُ الكرامَةَ مَنْ بدا فحَباكَها
لا تُبْدِيَنَّ نَميمَةً حُدِّثْتَها ... وتَحَفَّظَنَّ مِنَ الذي أنْباكَها

---

(١) البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

٢٥٤٥ ـ وأوصت أعرابيةٌ ابنَها، فقالت: إياكَ والنَّميمةَ، فإنَّها تزرعُ الضَّغينةَ، وإيَّاك والتَّعرُّضَ للعيوبِ، فتتَّخذَ غَرَضاً، وخليقٌ ألا يثبُتَ الغرضُ على كثرةِ السِّهامِ.

❋ ❋ ❋

١٦٣ ـ النهي عن الغيبة

٢٥٤٦ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

٢٥٤٧ ـ وروى عِكرمةُ عن ابن عباسٍ أنَّ رسول الله ﷺ خطبَ الناسَ يومَ النَّحرِ، فقال: «**يا أيها الناسُ، أيُّ يوم هذا**»؟ قالوا: يومٌ حرامٌ. قال: «**فأيُّ بلدٍ هذا**»؟ قالوا: بلدٌ حرامٌ، قال: «**فأيُّ شهرٍ هذا**»؟ قال: شهرٌ حرامٌ، قال: «**فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحُرمَةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا**». فأعادها مِراراً، ثمَّ رفع رأسه إلى السماءِ، فقال: «**اللَّهُمَّ هل بَلَّغتُ، اللَّهُمَّ هل بلَّغتُ**»؟ قال ابن عباسٍ: فوالذي نفسي بيده، إنَّها لَوصيَّتُه إلى أمَّتِه، «**فليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ، لا ترجِعُوا بعدي كفَّاراً يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ**»[(١)].

٢٥٤٨ ـ وروى مالكُ بن أنس عن المطَّلبِ بن حنْطَب، قال: سأل رجلٌ رسول الله ﷺ: ما الغيبة؟ قال: «**أنْ تذكرَ مِنَ الرجلِ ما لا يحبُّ أنْ يسمعَ وإنْ كان حقاً**». قال: يا رسول اللَّه، وإن كان حقّاً؟ قال رسول الله ﷺ: «**وإنْ كان باطلاً فهو البهتانُ**»[(٢)].

---

(١) البخاري (١٧٣٩).

(٢) الموطأ ٩٨٧/٢، وهو حديث مرسل. ورواه موصولاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسلم (٢٥٨٩).

٢٥٤٩ ـ وروى وهبٌ الذِّماريُّ عن فَضالةَ بن عُبَيْدٍ أنَّ داودَ سأل ربه أن يُخبِرَه أي الأعمال أحبُّ إليه. قال: عشرٌ إذا فعلتَهُنَّ يا داودُ: لا تذكرْ أحداً مِنْ خَلقي إلا بخيْرٍ، ولا تَغتابَنَّ أحداً مِنْ خلقي، ولا تَحسدَنَّ أحداً مِنْ خلقي. فقال: يا رب، هؤلاء الثلاثُ لا أستطيع.

٢٥٥٠ ـ وروى عليُّ بن رباحٍ عن عمرو بن العاص ﷺ، قال: انتهى عجبي عندَ ثلاثٍ: المرءُ يَفِرُّ مِنَ القدرِ وهو لاقيه، وينظرُ في عينِ أخيه القذى ويكون الجِذْعُ في عينه فلا يعنيه، ويكون في دابَّتِه الصَّعَرُ فيصلُحها جَهْدَه، ويكون فيه الصَّعَر فلا يُصلحُ نفسَه[١].

٢٥٥١ ـ وقال أبو أُمامَةَ الباهليُّ: إنَّ العبدَ يُعطى كتابَه يومَ القيامةِ، فيرى فيه حسناتٍ لم يكن عمِلَها، فيقول: يا رب، مِنْ أين لي هذا؟ فيقول: هذا بما اغتابَك به الناسُ وأنت لا تشعرُ.

٢٥٥٢ ـ وقال سعيدُ بن جبيْر: يُؤتى بالعبدِ يومَ القيامة، فيُدفعُ إليه كتابُه، فلا يرى صلاتَه ولا صيامَه، ولا سائرَ أعمالِه، فيقول: يا ربِّ، هذا كتابُ غيْري، كان لي حسناتٌ ليست فيه، فيقال: إنَّ ربَّك لا يَضِلُّ ولا يَنسى، ذهب عملُك كلُّه باغتيابِك الناس.

٢٥٥٣ ـ وروى مكحولٌ عن بعض الحكماءِ أنه قال: لا تكونوا عيَّابينَ ولا مدَّاحينَ، ولا طعَّانينَ ولا مُتَماوتين.

٢٥٥٤ ـ وروى سهلُ بن معاذِ بن أنسٍ الجُهَنِيُّ عن أبيه: **«مَنْ حَمَى مؤمناً مِنْ منافق يَعيبُه، بعث الله عزَّ وجلَّ مَلَكاً يَحمي لحمَه مِنْ نارِ جهنَّم، ومَنْ قَفَى مسلماً بشيءٍ يريد به شَينَه حبسَه الله على جسرِ جهنَّم حتى يخرُجَ مِمَّا قال»**[٢].

---

(١) الزهد لابن المبارك (١٤٤٨). والصعر: الميل في الخد.

(٢) هو حديث مرفوع، رواه أحمد ٤٤١/٣، وأبو داود (٤٨٨٣)، وإسناده ضعيف.

٢٥٥٥ ـ وقال عمر بن الخطاب ﷺ: أبغضُ عبادِ اللَّهِ إلى اللَّهِ كلُّ طَعَّانٍ لَعَّانٍ.

٢٥٥٦ ـ وقال ابنُ عباس: اذكُرْ أخاكَ إذا توارى عنك بمثْلِ الذي تُحبُّ أنْ يذكُرَك به إذا تواريتَ عنه.

٢٥٥٧ ـ وكان ابنُ أبي زكريا يقول: إنْ ذكرتُمُ اللَّهَ أعنَّاكم، وإنْ ذكرتُمُ النّاسَ تركناكم.

٢٥٥٨ ـ وقال ابن المعتزِّ: لا تذكرِ الميتَ بسوءٍ، فتكونُ الأرضُ أكتمَ عليه منك.

٢٥٥٩ ـ وقال مالك بن دينارٍ: كفى بالمرء شرّاً أنْ لا يكونَ صالحاً ويقعُ في الصَّالحين.

٢٥٦٠ ـ ورأيت في بعض الكتب: أنَّ الله أوحى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ مات تائباً مِنَ الغِيبة، فهو آخرُ مَنْ يدخلُ الجنةَ، ومَنْ مات مُصِرّاً عليها فهو أولُ مَنْ يدخلُ النارَ.

٢٥٦١ ـ وقيل للحسن: إن رجلاً اغتابك، فبعث إليه طبقاً مِنَ الطُّرَفِ، وقال: بلغني أنك أهديتَ إليَّ حسناتِك، فأردتُ أن أكافئك فيها.

٢٥٦٢ ـ وقال عبد اللَّه بن المبارك: لو كنتُ مغتاباً أحداً، لاغتبتُ والديَّ، فإنَّهما أحقُّ بحسناتي.

٢٥٦٣ ـ ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أيعجزُ أحدُكم أنْ يكونَ كأبي ضَمْضَم؟ كان إذا خرج مِنْ منزِلِه قال: اللَّهُمَّ إني قد تصدقتُ بعِرضي على عبادِك**»[1].

---

(١) حديث ضعيف. رواه أبو داود (٤٨٨٦) عن قتادة مرسلاً. ورواه البزار (٣٣٨٧) من حديث أنس ﷺ.

٢٥٦٤ ـ وقال وهب بن منبِّه: قال رجلٌ في بني إسرائيل: اللَّهُمَّ ليس لي مالٌ أتصدق به، فأيَّما مسلمٍ أصاب عِرضي، فهو عليه صدقةٌ. فأوحى الله إلى نبيِّ زمانِه: إنه قد غُفِرَ له.

٢٥٦٥ ـ وقال حاتمٌ الأصمُّ: ثلاثةٌ إذا كُنَّ في مجلسٍ، فالرحمة مصروفةٌ عنه: ذِكْرُ الدنيا، والضَّحكُ، والغِيبة.

٢٥٦٦ ـ وقال يحيى بن معاذ: ليكُنْ حظُّ المؤمن منك ثلاث خصالٍ تكُنْ مِنَ المحسنين: إنْ لم تنفعْه فلا تضُرَّه، وإنْ لم تسُرَّه فلا تغُمَّه، وإنْ لم تمدَحْه فلا تذُمَّه.

٢٥٦٧ ـ وقال بعض الحكماء: الغيبة فاكهة القرَّاء، وضيافة الفُسَّاق، وبستان الملوك، ومراتِعُ النساء.

٢٥٦٨ ـ وسمع محمد بن سيرين رجلاً يسُبُّ الحَجَّاجَ، فقال: يا أيها الرجلُ، إنك إذا وافيتَ الآخرةَ كان أصغرُ ذنبٍ عملتَه قطُّ أعظمَ عليك مِنْ أعظمِ ذنبٍ عملَه الحَجَّاجُ، واعلمْ أنَّ الله حَكَمٌ عَدْلٌ، إنْ أخذَ مِنَ الحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَ شيئاً، فسيأخذُ للحَجَّاجِ مِمَّنْ ظلمَه، فلا تشغلنَّ نفسَك بسبِّ رجل.

٢٥٦٩ ـ ولبعضهم:

احْذَرِ الغِيبَةَ فَهْيَ الـ ... فِسْقُ لا رُخْصَةَ فيهِ
إنَّما المُغْتابُ كالـ ... آكِلِ مِنْ لَحْمِ أخيهِ

٢٥٧٠ ـ وقال بعضهم: لا تأمَنَنَّ مَنْ كَذَبَكَ أنْ يكذبَ عليك، ومَنِ اغتاب غيْرَك عندك أنْ يغتابَك عندَ غيْرِك.

٢٥٧١ ـ ولإبراهيم بن العباس في هذا المعنى:

إنِّي متى أحْقِدْ بِحِقْدِكَ لا أَضُرُّ به سِوَاكا
ومَتى أطَعْتُكَ في أخيكَ أطَعْتُ فيه غداً أخاكا

٢٥٧٢ ـ قال عيسى بن دينار: لا غِيبة في ثلاثةٍ: إمامٍ جائرٍ، وصاحبِ بدعةٍ، ومعلنٍ بفسقِه.

* * *

١٦٤ ـ الانتهاء عن المحارم

٢٥٧٣ ـ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

٢٥٧٤ ـ وروى أبو موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلي ومَثَلُ ما بعثني الله به كمَثَل رجلٍ أتى قوماً، فقال: رأيتُ الجيشَ بعيني وأنا النَّذير العُريانُ، فالنَّجا النَّجا، فأطاعوه فأدلجوا على مَهْلِهم فنَجَوْا، وكذَّبه طائفةٌ فصبَّحهمُ الجيشُ فاجتاحهم**»[1].

٢٥٧٥ ـ وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**مَثَلي ومَثَلُ الناسِ كمَثَلِ رجلٍ استوقدَ ناراً، فلمَّا أضاءت ما حولَه جعل الفراشُ، وهذه الدوابُّ التي تقعُ في النار يقعْنَ فيها، فجعل ينْزِعُهُنَّ ويغلِبْنَه فيقتحِمْنَ فيها، فأنا آخذُ بحُجَزِكم عنِ النارِ، وأنتم تقتحمون فيها**»[2].

٢٥٧٦ ـ وقال الحسن: ابنَ آدمَ، عُفَّ عن محارمِ الله تكُنْ عابداً، وارْضَ بقَسْمِ اللَّهِ تكُنْ غنيّاً، وأحسِنْ مُجاورةَ مَنْ جاورَك تكُنْ مسلماً،

---

(١) البخاري (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٢) البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤).

وصاحبِ الناسَ بالذي تُحِبُّ أنْ يُصاحبوك به تكُنْ عدلاً.

٢٥٧٧ ـ وروى مالك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**حُفَّتِ النارُ بالشَّهواتِ، وحُفَّتِ الجنةُ بالمكارهِ**»[(١)].

٢٥٧٨ ـ وروى طاووس عن ابن عمر قال: خُلِقَ ابن آدمَ خطَّاءً إلا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تعالى.

٢٥٧٩ ـ وقال أبو حازم: مَنْ يضمنْ لي اثنتينِ ضمِنْتُ له على الله الجنةَ. قال: وما هما؟ قال: دعْ ما تحبُّ إذا كرهه الله عزَّ وجلَّ، وعملْ ما تكره إذا أحبَّه الله عزَّ وجلَّ.

٢٥٨٠ ـ ولأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عَرَفَةَ نفطويه:

لـيسَ الـظَّـريـفُ بـكـامِـلٍ فـي ظَـرْفِـهِ … حـتَّـى يـكـونَ عـنِ الـحَـرَامِ عَـفِـيـفَـا
فـإذا تَـعَـفَّـفَ عـنْ مَـحَـارِمِ رَبِّـهِ … فـهُـنـاكَ يُـدْعَـى فـي الأنَـامِ ظَـرِيـفَـا

❋ ❋ ❋

١٦٥ ـ محاسبة الرجل نفسه

٢٥٨١ ـ رُوِيَ عن عمر بنِ الخطاب ﷺ أنه قال: حاسبوا أنفسَكم قبلَ أنْ تُحاسَبُوا، وزِنُوا أنفسَكم قبلَ أنْ تُوزَنُوا، وتزَيَّنُوا للعَرْضِ الأكبرِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

٢٥٨٢ ـ ورُوِيَ عن الحسن البصري أنه كان يقول: اعلموا، رحمكم اللَّه، أنَّ أيسرَ الناسِ حساباً يومَ القيامةِ الذين حاسبوا أنفسَهم في الدنيا، فوقَفوا عندَ همومِهم وأعمالِهم، فإنْ كان الذي همُّوا به لله مَضَوْا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا. قال: وإنَّما ثَقُلَ الحسابُ يومَ القيامةِ على

(١) البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣).

الذين جازفوا الأمور في الدنيا أخذوها على غيرِ محاسبةٍ، فوجدوا اللَّهَ قد أحصى عملهم مثاقيلَ الذَّرِّ، فقالوا: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ إلى آخر الآية. . . [الكهف: ٤٩].

٢٥٨٣ ـ ورُوِيَ عن وهب بن مُنَبِّهٍ، قال: إنَّ في حكمةِ آلِ داودَ: حقٌّ على العاقلِ أنْ لا يغفُلَ عن أربعِ ساعاتٍ: ساعة يُناجي فيها ربَّه، وساعة يُحاسبُ فيها نفسَه، وساعة يُفضي فيها إلى إخوانِه الذين يُخبِرونَه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعةً يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عونٌ على سائر الساعات وإجمام القلوب. وحَقٌّ على المؤمن أنْ يعرفَ زمانَه، ويحفظَ لسانَه، ويُقبلَ على شأنه، ولا يَظعنُ إلا في إحدى ثلاثٍ: زادٍ لِمَعادِه، أو مَرَمَّةٍ لمعيشتِه، ولَذَّةٍ في غيْرِ مُحَرَّمٍ.

٢٥٨٤ ـ وقال الحسن: كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولون: مَنْ سرَّه أنْ يعلمَ ما لَه عندَ اللَّهِ، فلينظُرْ ما للّهِ عندَه.

قال الحسن: أجل واللهِ، لقد صدقوا؛ انظُرْ فيما فرضَ اللَّهُ عليك، فإنْ كنتَ قد وفَّيتَ للهِ بذلك، فلك عندَ الله بذلك الوفاءُ، وإلا فاحذَرْ. ومَنْ سرَّه أنْ يعلمَ مكانَ الشيطانِ منه، فلينظُرْ إلى عملِه السُّوء.

٢٥٨٥ ـ وقال الحسن: المؤمن قَوَّامٌ على نفسِه، يحاسبُ نفسَه. إن المؤمن يفجؤُه الشيءُ يعجبُه، فيقول: واللّهِ إنِّي لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي، ولكنْ والله ما مِنْ سبيلٍ إليك، هيهاتَ، حِيلَ بيني وبينِك، ويفْرُطُ منه الشيءُ، فيَرْجِعُ إلى نفسِه، فيقولُ: ما أردتِ إلى هذا، ما لي ولهذا، والله ما أُعْذَرُ بهذا، والله لا أعودُ إلى هذا أبداً إنْ شاءَ اللَّهُ. إنَّ المؤمنين قومٌ أوثقهمُ القرآنُ وحال بينهم وبين شهواتِهم، إنَّ المؤمنَ أسيرٌ في الدنيا يسعى في فَكاكِ رقبتِه مِنَ النارِ، لا يأمَنُ شيئاً حتَّى يلقى اللَّهَ تعالى، يعلمُ أنه

مأخوذٌ عليه في سمعِه ولسانِه وبصرِه وجوارحِه، يعلمُ أنَّه مأخوذٌ عليه في ذلك كلِّه.

٢٥٨٦ ـ وقال الحسنُ: ابنَ آدمَ، اذكُرْ ربَّك بالليلِ والنهارِ، وانظُرْ مِنْ أيِّ عذابٍ تَفِرُّ، وأي نعيم تطلُبُ، وأي نعمةٍ تشكُرُ؛ فإنك إذا فعلتَ ذلك كُرِّهَتْ إليك الخطايا، وتَيَسَّرَ عليك العمل.

٢٥٨٧ ـ وقال الحسنُ: ابنَ آدمَ، وُكِّلَ بك مَلَكَانِ كريمانِ، وبُسِطَتْ إليك صحيفةٌ، فأَمِّلْ ما شئتَ، حتى إذا أنتَ فارقتَ الدنيا، أُلزمتَ صحيفتَك في رقبتِك، ثم تلا هذه الآيةَ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤].

٢٥٨٨ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: مَنْ ضيَّعَ شكرَ النِّعَمِ حلَّتْ به النِّقَمُ، ومَنْ لم يُحاسبْ نفسَه قبلَ يومَ القيامةِ حلَّ به الندمُ.

٢٥٨٩ ـ وقال سليمان بن عبد الملك: ليت شعري، ما لنا عندَ اللَّهِ. قال أبو حازم: اعرِضْ عملَك على كتابِ الله تعلم ما لك عند اللَّه. قال: وأين أجده؟ قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤].

❋ ❋ ❋

١٦٦ ـ التحرُّزُ في المطاعم والمشارب

٢٥٩٠ ـ قال أبو الزَّاهريةِ: إنَّ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يأكل مِنْ عملِ يدِه، كان يعمل القِفافَ ويبيعُها.

٢٥٩١ ـ وقال سعيد بن المسيِّبِ: كان لقمانُ خيَّاطاً.

٢٥٩٢ ـ وقال أبو هريرةَ: كان زكريا نجاراً.

٢٥٩٣ ـ وقال مسعر: كان سَلمانُ يعمل الخُوصَ، فيجعلُه ثلاثاً: ثُلثاً يتصدَّقُ به، وثُلثاً يأكلُه، وثُلثاً يُعيده في الخوص.

٢٥٩٤ ـ وقال يحيى بن ميمون: قال عيسى بن مريم ﷺ: أنا أُحبُّ مَنْ يعملُ بيديه ويضعُ أصابعَه في أُذنيه، ولا يسلُكُ سبيلَ الخاطئين، ولا يجلسُ معَ المستهزئين، أنا ضامِنٌ لأولئك الحياةَ في الآخرة.

٢٥٩٥ ـ وقال خالدُ بن مَعدان: ما أكل أحدٌ قطُّ طعاماً خيْراً له مِنْ أنْ يأكلَ مِنْ عمل يديه.

٢٥٩٦ ـ وكان مَسْلَمَةُ بن عبد الملك نَهِماً في الطعامِ، وقليلَ الصبْرِ على الجوع، يتَّخذُ طَيِّبَ الطعام. وإنَّ عمرَ بن عبد العزيز شغله يوماً في بعضِ ما هو فيه، فلم يقُمْ مِنْ مجلسِه إلا للصلاة، فما أمسى مَسْلَمَةُ إلا وهو يكادُ أنْ يأكلَ الترابَ مِنْ شدَّةِ ما به مِنَ الجوع، ولم يكُنْ صائماً، وكان عمرُ بن عبد العزيز صائماً، فقُدِّمَ إلى عمرَ بن عبد العزيز عندَ فطرِه خبزٌ غليظٌ وعدسٌ، فقال لمسلمةَ: يا أبا سعيدٍ، هَلُمَّ إلى طعامِنا هذا، فأكلَ معه مَسْلَمَةُ حتَّى تَملأ مِنْ شدَّةِ ما كان به مِنَ الجوعِ، ثم وُضِعَ الطعامُ للناسِ: الخبْزُ النَقِي وألوانُ الطعام، فقال عمرُ لمسلمةَ: كل معَ الناسِ مِنْ طعامِهم، فإنه أطيب مِمَّا أكلنا، فقال مسلمةُ: قد واللهِ تملأتُ، وما أقدِرُ على غيْرِه، فقال له عمرُ عند ذلك، وإنما أراد أدبَه: ويحَكَ يا مسلمةُ، ففيمَ التَّقَحُّمُ في النارِ وهذا العيشُ يكفي؟.

٢٥٩٧ ـ وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: كفى بك سَرَفاً ألا تشتهيَ شيئاً إلا اشتريتَه وأكلتَه.

٢٥٩٨ ـ وكان علي بن أبي طالب ﷺ إذا دُعِيَ إلى طعامٍ دخلَ إلى فاطمةَ، فقال: أعطيني كِسْرَةً أرُدُّ بها الجوعَ لتَحْسُنَ مؤاكلتي.

٢٥٩٩ ـ ودخل رجلٌ إلى عبد الملك بن مروان وهو يأكلُ، فقال له:

هَلُمَّ إلى الغداءِ، قال: ما فِيَّ فضلٌ، فقال: ما أقبحَ بالرجلِ أنْ يأكلَ حتَّى لا يكونَ فيه فضْلٌ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، عندي مُسْتَزادٌ، ولكني أكرهُ أن أصيرَ إلى الحالةِ التي استقبَحَ أميرُ المؤمنين.

٢٦٠٠ ـ وكان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يشبعُ قطُّ. فقيل له: ما لك لا تشبعُ وبيدك خزائنُ الأرضِ؟ فقال: إنِّي أخافُ إنْ شبعتُ نسِيتُ الجائعينَ.

٢٦٠١ ـ وقال لقمانُ لابنِه: يا بُنيَّ، لا تأكلْ شِبَعاً على شِبَعٍ، إنك إنْ تُلقيه للكلبِ خيْرٌ مِنْ أنْ تأكلَ فوقَ الشِّبَعِ.

٢٦٠٢ ـ ورُوِيَ عن أبي حازم عن أبي هريرة: «**أن الله عزَّ وجلَّ أمرَ المؤمنين بما أمرَ به المرسلين، فقال تبارك اسمه:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] **وقال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]. **وذكر الرجلَ يُطيلُ سفرَه أشعثَ أغبرَ يَمُدُّ يدَه إلى السماءِ: يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُه حرامٌ، وملبسُه حرامٌ، فأنَّى يُستجابُ له**»[(١)]؟.

٢٦٠٣ ـ وقال عيسى بن دينار: إن فتىً مِنَ الأنصار كان جالساً عندَ عمر بن الخطاب، فقال له عمرُ بن الخطاب: كيف نفَقَتُك اليومَ يا فلان؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، الحسنةُ بين السَّيئتين، فقال له عمرُ: وكيف؟ قال: يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان:٦٧]. فالإسرافُ سيئةٌ والإقتارُ سيئةٌ، والقَوامُ بين ذلك حسنةٌ. قال: فكان عمرُ بن الخطاب يتعجَّبُ مِنْ فضلِ عقلِه حتى لقيَ الله عزَّ وجلَّ.

٢٦٠٤ ـ وقال بقيَّةُ بن الوليد: قلت لرفيقِ إبراهيم بن أدهم: حدثني بأشدِّ شيءٍ مرَّ بك معه. قال: أصبحنا يوماً صِياماً فأمسينا ولم نُصِبْ شيئاً

(١) مسلم (١٠١٥). وهو حديث مرفوع.

نُفطِرُ عليه، فلما أصبحنا، قلتُ: يا أبا إسحاقَ، لو خرجتَ بنا إلى بابِ الدستق فأكرينا أنفسَنا في الغفلةِ، قال: أنتَ وذاك، قال: فمضيتُ أنا وهو إلى بابِ الدستق، فجاء رجلٌ، فأكرانا بدرهمٍ ودانِقينِ، فعملنا يومَنا ذلك إلى الليل، فأخذت الكِراءَ، فاشتريتُ ما نحتاجُ إليه، وتصدَّقتُ بالباقي، وجئتُ به، فوضعتُه بينَ يديه، فلمَّا رآه بكى. قلت له: ما يُبكيك؟ فقال: أمَّا نحنُ، فقدِ استوفَيْنا أُجورَنا، فليتَ شعري، أوَفَّينا صاحبَ العمل؟ قال: فأخذتُ الطعامَ، فتصدَّقتُ به وبِتنا طاوِيَيْنِ، فهذا أشدُّ شيءٍ مرَّ بي معه.

٢٦٠٥ ـ وقال بعضهم: ينبغي للعبدِ أنْ يكونَ في الدنيا كالمريضِ لا بد له مِنْ قوتٍ، وليس كلُّ الطعامِ يوافقُه.

٢٦٠٦ ـ وروى مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ شرب الخمرَ في الدنيا ولم يَتُبْ منها، حُرِمَها في الآخرةِ»**[١].

٢٦٠٧ ـ وروى أنسٌ أن رسول الله ﷺ قال: **«مِنْ أشراطِ الساعةِ أنْ يظهرَ الجهلُ، ويقِلَّ العلمُ، ويظهرَ الزِّنا، وتُشربَ الخمرُ، ويقِلَّ الرجالُ ويَكثُرَ النساءُ»**[٢].

٢٦٠٨ ـ وروى أبو مالك الأشعري أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: **«ليكونَنَّ في أُمَّتي أقوامٌ يستَحِلُّونَ الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ، ولَيَنْزِلَن أقوامٌ إلى جنبِ عَلَمٍ يروحُ عليه بسارِحَةٍ لهم تأتيهم لحاجةٍ، فيقولوا: غداً ارجِعْ إلينا، فيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، ويضعُ العلمَ، ويَمسخُ آخرين قِرَدَةً وخنازيرَ إلى يومِ القيامة»**[٣].

---

(١) الموطأ ٢/٨٤٦ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ورواه عنه البخاري (٥٥٧٥). وهو في صحيح مسلم (٢٠٠٣) من غير طريق مالك.

(٢) البخاري (٨٠ و٥٥٧٧).

(٣) البخاري (٥٥٩٠).

٢٦٠٩ - وروى ابن عمر، قال: قام عمرُ على المنبَرِ، فقال: أمَّا بعدُ، نزلَ تحريمُ الخمرِ، وهي من خمسةٌ: العنبُ والتمرُ والعسلُ والحِنطةُ والشَّعيرُ. والخمرُ ما خامَرَ العقلَ[1].

* * *

١٦٧ - التوقي في المكاسب

٢٦١٠ - روى أبو زُرعة عن أبي هريرة، قال: قام فينا رسول الله ﷺ فذكر الغُلولَ فعظَّمه وعظَّمَ أمرَه، قال: «**لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم يومَ القيامةِ على رقبتِه شاةٌ لها ثُغاءٌ، على رقبتِه فرسٌ له حَمحَمةٌ، يقول: يا رسول الله أغِثني، فأقول: لا أملكُ لك شيئاً، قد بلَّغتُك، على رقبتِه بعيرٌ له رُغاء، يقول: يا رسول الله أغِثني، فأقول: لا أملكُ لك شيئاً، قد أبلغتُك، على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملكُ لك شيئاً قد أبلغتُك، على رقبتِه رِقاعٌ تَخفِقُ، فيقول: يا رسول الله أغِثني، فأقول: لا أملكُ لك شيئاً، قد أبلغتُك**»[2].

٢٦١١ - وروى النُّعمانُ بن أبي عياش عن خولةَ الأنصاريةِ، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إنَّ رجالاً يتخَوَّضون في مالِ الله بغيرِ حقٍّ، فلهمُ النارُ يومَ القيامةِ**»[3].

٢٦١٢ - وروى همَّام بن مُنَبِّهٍ عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «**غزا نبيٌّ مِنَ الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعْني رجلٌ مَلَكَ بُضْعَ امرأةٍ وهو**

(١) البخاري (٤٦١٩)، ومسلم (٣٠٣٢).

(٢) البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١). والصامت: الذهب والفضة أو ما لا روح فيه من أصناف المال. و«رقاع تخفق»: أي تضطرب، والمقصود بها الثياب التي ينتهبها الغالُّ من الغنيمة. وقيل: ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقاع.

(٣) البخاري (٣١١٨). وقوله: «يتخوَّضون»: أي يتصرفون في مال المسلمين بالباطل.

يريد أن يَبنِيَ ولَمَّا يَبْنِ بها، ولا أحدٌ بنى بيوتاً ولم يرفعْ سُقُوفَها، ولا أحدٌ اشترى غنماً أو خَلِفَاتٍ وهو ينتظرُ وِلادَها. فغزا فدنا مِنَ القرية صلاةَ العصرِ أو قريباً مِنْ ذلك، فقال للشمسِ: إنكِ مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللَّهُمَّ احبِسْها عنَّا، فحُبِسَتْ حتى فتحَ الله عليهم، فجمعَ الغنائمَ، فجاءت، يعني النارُ، لتأكُلَها، فلم تَطْعَمْهَا، فقال: فيكمُ الغُلولُ، فليُبايِعْني مِنْ كلِّ قبيلةٍ رجلٌ، فلَزِقَتْ يدُ رجلٍ بيدِه، فقال: فيكمُ الغُلولُ، فلتُبايِعْني قبيلتُك، فلَزِقَتْ يدُ رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكمُ الغلولُ، فجاؤوا برأسٍ مثلِ رأسِ بقرةٍ مِنَ الذهبِ، فوضعوها فجاءتِ النارُ فأكلتها، ثم أَحَلَّ اللَّهُ لنا الغنائمَ، رأى ضعفَنا وعجزَنا فأحَلَّها»[1].

٢٦١٣ ـ وروى مالك[2] أن رسول الله ﷺ حين صَدَرَ مِنْ حُنينٍ، وهو يريدُ الجِعْرانَةَ، سأله الناسُ حتى دنتْ به ناقتُه مِنْ شجرةٍ، فتشبَّكتْ بردائه حتى نزعتْه عن ظهرِه، فقال رسول الله ﷺ: «رُدُّوا عليَّ ردائي، أتخافون ألا أَقسِمَ بينكم ما أفاءَ اللَّهُ عليكم؟ والذي نفسي بيدِه، لو أَفاءَ اللَّهُ عليكم مثلَ سَمُرِ تِهامَةَ نَعَماً، لقسمْتُه بينكم ثُمَّ لا تَجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذَّاباً». فلمَّا نزلَ رسولُ الله ﷺ قام في الناسِ، فقال: «أَدُّوا الخائِطَ والمِخْيَطَ؛ فإنَّ الغُلولَ عارٌ ونارٌ وشَنارٌ على أهلِه يومَ القيامةِ». قال: ثم تناول مِنَ الأرضِ وَبَرَةً مِنْ بعيرٍ أو شيئاً، ثم قال: «والذي نفسي بيده، ما لي مِمَّا أفاءَ اللَّهُ عليكم ولا مِثْلُ هذه إلا الخُمُسُ، والخُمُسُ مردودٌ عليكم».

٢٦١٤ ـ وروى مالك عن عبد الله بنِ المغيرة أنَّه بلغه أنَّ الرسولَ ﷺ أتى الناسَ في قبائلهم يدعو لهم، وإنه نزل قبيلةً مِنَ القبائل. قال: وإنَّ

---

(١) البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧). والخلفات: جمع خلفة، وهي الحامل من النُّوق.

(٢) في الموطأ ٢/٤٥٧ ـ ٤٥٨ عن عمرو بن شعيب. وهو حديث مرسل. ورواه بنحوه البخاري (٢٨٢١) من حديث جبير بن مطعم.

القبيلةَ وجدوا في بَرْذَعَةِ رجلٍ منهم عِقْدَ جَزْعٍ غُلولاً، فأتاهم رسولُ الله ﷺ فكَبَّرَ عليهم كما يُكَبِّر على الميت[١].

٢٦١٥ ـ وروى أبو حُمَيْدٍ السَّاعديُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ استعمل عاملاً، فجاءه العاملُ حين فرغَ مِنْ عملِه، فقال: يا رسول اللَّه، هذا لكم وهذا أُهْدِيَ لي، فقال له: **«أفلا قعدتَ في بيتِ أبيك وأُمِّكَ، فتنظر هل يُهدى لك أم لا»**؟ ثم قام رسولُ الله ﷺ عَشِيَّةً بعد الصلاةِ، فتشهَّدَ وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: **«أمَّا بعدُ، فما بالُ العاملِ نستعمِلُه، فيأتينا فيقولُ: هذا مِنْ عملكم وهذا أُهدِيَ لي، أفلا قعدَ في بيتِ أبيه وأُمِّه، فينظرَ هل يُهدى له أم لا؟ فوالذي نفسي بيدِه، لا يَغُلُّ أحدُكم منها شيئاً إلا جاء يومَ القيامةِ يَحمله على عنقه؛ إنْ كان بعيراً جاءَ به له رُغاءٌ، وإنْ كانت بقرةً جاء بها لها خُوارٌ، وإن كانتْ شاةً جاء بها تَيْعَرُ»**، ثم رفع يدَه حتى رأيتُ بياضَ إِبِطَيْهِ: **«ألا هلْ بَلَّغتُ»**؟[٢].

٢٦١٦ ـ وقال بعض الحكماء: الرِّشوةُ تَعمي عينَ الحكيم، فكيف بالجاهلِ؟.

٢٦١٧ ـ ورُوِيَ عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ أنه قال: إنِّي لأجدُ فيما أَنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ مِنَ الكتابِ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ: لا تُعْجَبَنَّ بامرِئٍ أصابَ مالاً مِنْ غيْرِ حِلِّهِ، فما أَنفقَ منه لم يُبارَكْ فيه، وما تصدَّقَ به منه لم يقبَلْه اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وفَضْلُ ذلك زادٌ إلى النار، ولا تُعْجَبَنَّ لصاحبِ نعمةٍ بنعمتِه، فإنَّك لا تدري إلى ما يَصيرُ بعد الموتِ.

٢٦١٨ ـ وروى الأوزاعيُّ عنِ القاسم بنِ مُخَيْمِرَةَ أنه قال: مَنْ أصاب مالاً مِنْ مَأْثَم، فوصل به رَحِماً، أو تصدَّقَ به، أو أنفقَه في سبيلِ اللَّهِ

---

(١) الموطأ ٢/٤٥٨. وإسناده منقطع. قال ابن عبد البر في التمهيد ٢٣/٤٢٩: هذا الحديث لا أعلمه، في حفظي، أنه رُوِي مسنداً بوجه من الوجوه، والله أعلم.

(٢) البخاري (٦٦٣٦)، ومسلم (١٨٣٢).

تعالى، جُمِعَ ذلك كلُّه، ثم قُذِفَ به في جهنَمَ.

٢٦١٩ ـ ودُعِيَ الحسنُ إلى وليمةٍ ومعه أخوه سعيدٌ، فرأيا أُسَّاً قد فُرِشَتْ به الدارُ، والجُزُرُ تُنْحَرُ عليها، فذهب سعيدٌ يتكلمُ، فقال له الحسن: اسكتْ. فلمَّا خرج قال له الحسنُ: يعمَدُ أحدُكم فيسرقُ ثم يبني، ثم يقول: تعالَوْا انظروا، فقد رأينا يا فاسقُ ويا أخونَ الخائنين؛ أمَّا أهلُ الأرضِ فغرُّوك، وأمَّا أهلُ السماءِ فمقتوك.

٢٦٢٠ ـ ورُوِيَ عن جَعْونَةَ بنِ الحارثِ أنَّ عمر بن عبد العزيز ﷺ قال له حين ولاه بعضَ ثُغور الجزيرة: يا جَعْوَنَةَ، أتدري ما يُحبُّ أهلُك منك؟ قال: نعم، يُحبون بقائي وصلاحي. قال: لا، ولكن يُحبون ما قام لهم سَوادُك، فأكلوا في غِمارِكَ، واحتطبوا على ظهرِك، فاتَّقِ اللَّهَ، ولا تُطعمهم إلا طَيِّباً.

٢٦٢١ ـ قال مالك: زعم ابنُ رومان في قوله تعالى: ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

قال: كان تأتيهم يوم السبت فإذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شيء إلى السبت الآخر، فأعد لذلك رجلٌ منهم خيطاً ووتداً فربط حوتاً منها في الماء يوم السبت، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتوى فوجد الناس ريحَه، فأتَوْه فسألوه عن ذلك، فجَحَدَهم، فلم يزالوا به حتى قال لهم: فإنه جِلْدُ حُوتٍ وجدتُه، فلمَّا كان السبتُ الآخرُ، فعل مِثْلَ ذلك، فلمَّا أمسى مِنْ ليلةِ الأحدِ أخذه فاشتواه، فوجدوا رائحتَه، فجاؤوه فسألوه، فقال لهم: لو شئتم صنعتم مِثْلَ ما أصنعُ، قالوا له: وما صنعتَ؟ وأخبرهم الخبَرَ، ففعلوا مِثْلَ ذلك حتى كثُرَ ذلك، وكانت مدينة لها ربضٌ يُغلقونها عليهم، فأصابهم مِنَ المسْخِ ما أصابهم، فغدا إليهم جيرانُهم مِمَّن كان حولَهم يطلبون منهم ما يطلبُ الناسُ، فوجدوا المدينةَ مُغلقةً عليهم، فنادوْا فلم يُجبْهم أحدٌ، فتسَوَّروا عليهم، فإذا هم قِرَدَةٌ، فجعل القرد يتمسَّحُ بمن كان يعرفُه قبلَ ذلك يدنو منه ويتمَسَّح به.

٢٦٢٢ ـ وقال زيد بن داود الأنصاري: سُئِلَ مالكٌ عن الزهدِ في الدنيا، فقال: طِيبُ المكسبِ، وقِصَرُ الأملِ.

٢٦٢٣ ـ ورُوِيَ عن يزيدَ بن أبي حبيبٍ أنه روى: تكونُ هذه الأمةُ على ثلاثةِ أطباقٍ: فأمَّا الطبقُ الأولُ: فلا يُحبُّون كثرَةَ المالِ، ولا جَمْعَ المالِ قليلِه ولا كثيرِه، إلا ما يُبَلِّغُهم إلى الآخرةِ. وأمَّا الطبقُ الثاني: فيُحِبُّونَ جمعَ المالِ وكثرتِه، يصِلون به أرحامَهم ويتاماهم ومساكينَهم، ويَحُجُّون ويُعطون في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ، لأَنْ يَعَضَّ أحدُهم على الحجرِ أحبُّ إليه مِنْ أنْ يكسِبَ مالاً قبيحاً. وأمَّا الطبقُ الثالثُ: فيُحِبُّون جمعَ المالِ وكثرتَه، لا يُبالونَ مِنْ أين يدخُلُ عليهم كسْبُهم، فأولئك لا يُعاتَبون في أنفسِهم.

٢٦٢٤ ـ قال مالك: كان ببلدنا قومٌ مِنْ أهلِ الفضلِ والعبادةِ، يَرُدُّون العطيةَ يُعْطَوْنَها، قيل له: فالحديثُ **«ما أتاكَ مِنْ غيرِ مسألَةٍ، فإنَّما هو رزقٌ رزقكه اللّه»**[1] أفيه رخصةٌ؟ قال: نعم. يريد: أنه على الإباحةِ، وأنَّ له تَرْكَه إن شاء.

٢٦٢٥ ـ ولذلك كان حكيم بن حزام لا يأخذ شيئاً.

٢٦٢٦ ـ وقد قيل لمالك: فمَنْ أُعْطِيَ شيئاً أو وُصِلَ به؟ قال: ترْكُه أفضلُ إنْ كان له غِنَىً، إلا أنْ يكونَ مُحتاجاً.

٢٦٢٧ ـ ولعبد الله بنِ المبارك في إسماعيلَ بنِ عُلَيَّةَ حين قُدِّمَ على الصدقات:

يا جاعِلَ الفِقْهِ له بازِيًّا ... يَصْطادُ أمْوالَ السَّلاطينِ
أينَ رِواياتُك فيما مَضَى ... عنِ ابنِ عَوْنٍ وابنِ سِيرينِ

---

(١) رواه أحمد ٣٢٠/٤ ـ ٣٢١ من حديث خالد بن عدي الجهني ﷺ، وصححه ابن حبان (٣٤٠٤)، والحاكم ٦٢/٢، ووافقه الذهبي.

ودَرْسُكَ العِلْمَ بآثارِهِ وتَرْكُ أبوابِ السَّلاطينِ
لا تَبِعِ الدِّينَ بدنياً كَمَا يَفْعَلُ ضُلاَّلُ الرَّهابينِ
احْتَلْتَ للدُّنيا ولَذَّاتِها بحيلَةٍ تَذْهَبُ بالدِّينِ
فَصِرْتَ مَجنوناً بها بعدَما كنتَ دَواءً للمجانينِ
يا فاضِحَ العِلْمِ ومَنْ كان ذا عِلْمٍ وأصحابِ الأساطينِ
ذاكَرَ النّاسُ وقالوا مَعَاً زَلَّ حِمارُ العِلْمِ في الطِّينِ

٢٦٢٨ ـ وروى يوسفُ بن أسباط: قال لي سفيانُ الثَّوريُّ: لأَنْ أُخَلِّفَ عشرةَ آلافِ درهمٍ يُحاسبني اللَّهُ عليها، أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أحتاجَ إلى الناسِ.

٢٦٢٩ ـ وروى بُهلولُ بن عُبيدٍ، قال: سمعت مالكَ بنَ أنسٍ يقول: طلبُ رزقٍ في شُبهةٍ أحسنُ مِنَ الحاجةِ إلى الناسِ. قلت: يا أبا عبد اللَّه، وأيُّ شُبهةٍ؟ قال: ما قال فيه بعضُ أهلِ العلمِ: هو حرامٌ، وقال بعضُهم: هو حلال.

٢٦٣٠ ـ وأخذ هذا مالكٌ مِنْ قولِ عمرَ بنِ الخطاب: لَمَكْسَبَةٌ فيها بعضُ الدَّنِيَّةِ أحبُّ إليَّ مِنْ طلبِ ما في أيدي الناسِ.

٢٦٣١ ـ وأمرَ عمرُ أُمراءَ الأجنادِ ألا يزرَعَ الجندُ ولا يُزارعوا أحداً؛ لأنَّ عطاءهم قائمٌ، فأتى شريكُ بنُ سُمَيٍّ الغطيفيُّ إلى عمرو، فقال: إنكم لا تُعطوننا ما يَحْسِبُنا، أفتأذنُ لي في الزرعِ؟ فقال عمرو: لا، فزرع شريكٌ بغيْرِ إذنه، فكتب عمرو إلى عمرَ يخبِره بخبَره، فكتب إليه: ابعثْ إليَّ به، فقال شريكٌ لعمرو: قتلتَني، فأْذَنْ لي أخرج بغيْرِ كتابٍ ففعل، فأتى عمر فقال له: لأجعلنك نكالاً فقال: أوَتَقْبَلُ مِنّي ما قبِلَ اللَّهُ مِنَ العباد؟ قال: وتفعلُ؟ قال: نعم. فكتب إلى عمرو أنَّ شريكاً جاءني تائباً، فقبلتُ منه.

❋ ❋ ❋

١٦٨ ـ فتنة الغنى والمال

٢٦٣٢ ـ رُوِيَ أنَّ أبا عبيدة بن الجراح قدم بمالٍ مِنَ البحرين، فسمعت الأنصارُ بقدومه فوافَوْا صلاةَ الصبحِ مع رسول الله ﷺ فلمَّا انصرفوا تعرَّضوا له، فتبسَّمَ لهم حين رآهم، وقال: **«أظنُّكم سمعتُم بقدوم أبي عُبيدةَ، وأنَّه جاء بشيءٍ»**؟ فقالوا: أجل يا رسول اللَّه. قال: **«فأبشِروا وأَمِّلوا ما يسُرُّكم، فوالله ما الفقرُ أخافُ عليكم، ولكن أخشى عليكم أنْ تُبسَطَ عليكمُ الدنيا كما بُسِطَتْ على مَنْ كان قبلَكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتُهلِكَكُم كما أهلكَتْهم»**[١].

٢٦٣٣ ـ وروى أبو سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أكثرَ ما أخافُ عليكم ما يُخرِجُ اللَّهُ لكم مِنْ بركاتِ الأرض»**. قيل: ما بركاتُ الأرض؟ قال: **«زَهْرَةُ الدنيا»**. فقال رجلٌ: هل يأتي الخيْرُ بالشَّرِّ؟ فصمت النبيُّ ﷺ حتى ظنَنَّا أنه يُنْزل عليه، ثم جعل يمسحُ عن جبينِه. قال: **«أين السائلُ»**؟ قال: أنا. قال أبو سعيد: لقد حَمِدْناه حين طلب ذلك. فقال: **«لا يأتي الخيرُ إلا بالخيرِ، إنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلوةٌ، وإنَّ كلَّ ما أنبتَ الربيعُ يقتُل حَبَطاً أو يُلِمُّ إلا آكِلَةَ الخَضِرِ، أكلتْ حتى إذا امتدتْ خاصِرتاها استقبلتِ الشمسَ، واجترَّت وثلَطَّتْ وبالتْ، ثم عادت فأكلت. وأنَّ هذا المالَ حُلْوةٌ، مَنْ أخذه بحقه ووضعه في حقِّه، فنعمَ المعونةُ هو، وإنْ أخذَه بغيرِ حقِّه كان كالذي يأكلُ ولا يشبع»**[٢].

٢٦٣٤ ـ ورُوِيَ أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ كان يقول: اللَّهُمَّ إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللَّهُمَّ إني أسألك أن أنفقه في حقه.

٢٦٣٥ ـ قال مالك: حدثني زيدُ بنُ أسلم، قال: قال ابن الأرقمِ

---

(١) البخاري (٣١٥٨، ٤٠١٥)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) البخاري (١٤٦٥، و٦٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٢).

لعمر بن الخطاب ﷺ: إنَّ ههنا حُلِيّاً ومناطِقَ مِنْ ضنائنِ ما كان لفارسَ، أفلا نقسِمُه؟ قال: بلى، إذا رأيتَني فارغاً فآذِنّي. فآذنتُه، فقال: تأتيني به، قال: فنقلتُه إليه في القِفاف، فلما رآه رأى شيئاً عجَباً، فوضعه بين يديه، فقال: اللَّهُمَّ إنَّا لا نستطيعُ إلا أنْ نحبَّ ما حبَّبْتَ إلينا، ثم تلا هذه الآيَةَ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤]. ثم قال: اللَّهُمَّ قِنِي شرَّه، وارزُقني أنْ أُنفقَه في حقِّه. فما برِحَ حتى قسمَه كلَّه. قال مالك: وقال ذلك الرجلُ: جمعوا فأوْعَوا، فلا ذهبوا بما جمعوا ولا أقاموا فيه[1].

٢٦٣٦ ـ وقال أبو ذر: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حَرَّةِ المدينة، واستقبَلَنا أُحدٌ، قال: «**يا أبا ذرٍّ**». قلت: لبَّيكَ يا رسولَ اللَّه. قال: «**ما يسُرُّني أنَّ عندي مثلَ أُحدٍ ذهباً تَمضي عليه ثالثةٌ وعندي منه دينار إلا شيءٌ أرصده لديني، إلا أنْ أقولَ به في عبادِ الله هكذا وهكذا وهكذا**»، عن يمينِه وعن شِمالِه ومِنْ خلفِه. ثم قال: «**إنَّ الأكثرين همُ الأقلُّون يومَ القيامة، إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا**»، عن يمينه وعن شمالِه ومِنْ خلفِه، «**وقليلٌ ما هم**»[2].

٢٦٣٧ ـ وروى مالك أن أبا طلحةَ كان يصلِّي في حائطٍ له، فطار دِبسيٌّ، فطَفِقَ يتردَّدُ يلتمس مخرجاً، فلم يجد لالتفافِ النخلِ، فأعجبه ذلك، فأتبَعَهُ بصرَه ساعةً، ثم رجع، فإذا هو لا يدري كم صلى، فقال: لقد أصابني في مالي هذا فتنةٌ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر له ذلك، فقال: يا رسول اللَّه، هو صدقةٌ لله تعالى، فضَعْه حيث أراك اللَّهُ عزَّ وجلَّ[3].

٢٦٣٨ ـ وروى مالكٌ أنَّ رجلاً مِنَ الأنصارِ كان يصلي في حائطٍ له

---

(١) انظر مصنف ابن أبي شيبة ٥٥٦/٦ ـ ٥٥٧.
(٢) البخاري (٦٤٤٤).
(٣) الموطأ ٩٨/١، وإسناده منقطع. والدبسي طائر صغير. وانظر ما تقدم برقم (٢٢٨٦).

بالقُفِّ، وادٍ مِنْ أوديةِ المدينةِ، في زمن التَّمر، والنخلُ قد ذُلِّلَتْ فهي مُطوَّقةٌ بثَمَرِها، فنظر إلى ذلك، فأعجبه ما رأى مِنْ ثمرِها، ثم رجع إلى صلاته، فإذا هو لا يدري كم صلى، قال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنةٌ، فأتى عثمانَ بنَ عفانَ ﷺ وهو يومئذٍ أميرٌ بالمدينة، فذكر ذلك له، وقال له: إنه صدقةٌ، فاجعله في سبيل الخيرِ، فباعه عثمانُ بنُ عفانَ بخمسين ألفاً، فسُمِّيَ بعد ذلك المال الخمسين[١].

٢٦٣٩ - ورُوِيَ عن الزهريِّ أنَّ رجلاً مِنْ أهل الشامِ قال: لآتِيَنَّ المدينةَ، فألقى أصحابَ النبيِّ ﷺ وأُجَدِّدُ بهم عهداً وأسألُهم، فقدم المدينةَ، فتقَرَّاهم رجلاً رجلاً، حتى سأل عن عبد الرحمن بن عوفٍ، فقيل له: هو بأرضٍ له بالجُرف، فخرج حتى أتاه، فإذا عبدُ الرحمن قد وضع رداءَه وأخذ المِسحاةَ، فهو يُسَيِّلُ الماء، وجاءه الرجلُ فسلَّمَ، فاستحيى عبد الرحمن، فوضع المِسحاةَ، وأخذ رداءه، فقال الرجل: لقد جئتُ لأمر، ورأيتُ ما هو أعجبُ منه، ما لنا نَخِفُّ في الجهاد وتَثَّاقلون عنه، ونزهدُ في الدنيا وترغبون فيها وأنتم أصحابُ نبيِّنا وأفاضِلُنا في أنفسنا؟ فهل تقرؤون غيْرَ الذي نقرأ، أو بلغكم غيْرُ الذي بلغَنَا؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: ما نقرأ إلا ما تقرؤون، ولا بلَغَنا إلا نحوُ الذي بلغَكم، ولكنا ابتُلِينا بالضَّرَّاء فصبَرنا، وابتُلينا بالسَّرَّاء فلم نصبِر[٢].

* وهذا من عبد الرحمن بن عوف اعترافٌ واعتذارٌ مِنْ أمرٍ مُباحٍ، وربما كان مندوباً إليه؛ وذلك أنَّ تسييلَه الماءَ في أرضِه لا يتعلَّقُ به منعٌ، بل هو مندوبٌ إليه؛ لأنه مِنْ إصلاح مالِه، مع ما في مباشرةِ ذلك بنفسِه مِنَ التواضعِ، والبُعدِ عنِ الكِبْر.

---

(١) الموطأ ٩٩/١، ورواه من طريقه ابن المبارك في الزهد رقم (٥٢٧) وقد تقدم برقم (٢٢٨٧).

(٢) أخرج بعضه الترمذي برقم (٢٤٦٤)، وقال: حديث حسن.

٢٦٤٠ ـ وقد دخل النبي ﷺ على أبي الهيثم بنِ التَّيِّهانِ وهو يُحَوِّلُ الماءَ في حائطِه، فلم ينكرْ ذلك عليه(١).

٢٦٤١ ـ وكان النبي ﷺ في بيته في مهنةِ أهلِه(٢).

وليس في شيءٍ مِنْ ذلك حرصٌ على الدنيا ولا تركٌ للزهد فيها.

٢٦٤٢ ـ والزاهدون في الدنيا على ثلاثةِ أصنافٍ:

صنفٌ لا يتعرَّضون لكسبِها، يزهدون في جمعِها، وكان مِنَ الأنبياءِ صلوات الله عليهم على هذه الطريقةِ: عيسى ابنُ مريمَ، ويحيى بنُ زكريا، وجماعةٌ مِنَ الأنبياء عليهم السلام. ومِنَ الصحابة: أبو بكر الصديق، وعليُّ بن أبي طالبٍ، وهشامُ بنُ حكيم، وسَلمانُ، وأبو ذرٍّ، وأبو الدرداءِ، ومعاذُ بن جبلٍ، وأبو عبيدةَ بنُ الجراح رضي الله عنهم.

والصنف الثاني: يكتسِبون المالَ، ثم ينفقون جميعَه في سبيل البِرِّ، ولا يتمسَّكون منه بشيءٍ، وعلى هذا مِنَ الأنبياء نبيُّنا محمد ﷺ، ومن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين: عمرُ بن الخطاب:

٢٦٤٣ ـ فقد رُوِيَ عنه أنه قال: ما مِنْ مِيتَةٍ بعد الموتِ في سبيلِ الله أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أموتَ بين شُعْبَتَيْ رَحْلي أضربُ في الأرضِ أبتغي مِنْ فضلِ اللّه، قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

٢٦٤٤ ـ وإنما ذهب إلى هذا لِمَا رواه مالكٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ أرسلَ إلى عمرَ بنِ الخطاب بعطائه، فردَّه عمرُ، فقال له رسول الله ﷺ: «لِمَ رَدَدْتَه»؟ فقال: يا رسولَ اللّه، أليسَ خيْراً لأحدِنا ألاّ يأخُذَ لأحدٍ شيئاً؟ فقال

---

(١) صحيح مسلم (٢٠٣٨)، وسنن الترمذي (٢٣٦٩)، وفيهما أنه ﷺ كان يستعذب الماء.

(٢) صحيح البخاري (٦٧٦).

رسولُ الله ﷺ: «**إنَّما ذلك عنِ المسألةِ، فأمَّا ما كان مِنْ غير مسألةٍ، فإنما هو رزقٌ يرزقُه اللَّه**»، فقال عمر بنُ الخطاب: أما والذي نفسي بيده لا أسأل أحداً شيئاً ولا يأتيني شيءٌ من غير مسألةٍ إلا أخذته[1].

والصنف الثالث: يكتسبون المالَ مِنْ وجهِه، وينفق منه الكثيرَ في سبيلِ اللَّه، ويتمسَّكُ منه بالكثيرِ، ولا يتنعَّمُ منه في مأكلٍ ولا ملبس ولا استمتاعٍ، بل يكونُ حظُّه منه وما يصرفُه إلى نفسه أقلَّ مِمَّا يصرفُه في سبيل اللَّه. ومِنَ الأنبياء عليهمُ السلام على هذه الحال يوسفُ وسليمانُ عليهما السلام.

٢٦٤٥ ـ فقد رُوِيَ أنَّ يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يجوع، فقيل له: أتجوعُ وبيدِكَ خزائنُ الأرضِ؟ فقال: أخافُ أنْ أشبعَ فأنسى الجِياعَ.

٢٦٤٦ ـ وكان سليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يأكلُ الشعيرَ، ويُطعِمُ أهله الخشكارَ، ويطعمُ النَّاسَ الحُوَّارَى[2].

وعلى هذا من الصحابة: عثمانُ بنُ عفانَ، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ، وطلحةُ، والزبيْرُ رضي الله عنهم لم يكونوا يتنعَّمونَ بأكلٍ ولا شُربٍ ولا لُبسٍ ولا غيْرِه، بل كانوا يقتصدون في ذلك، ويجمعون المالَ، وأكثرُ ما ينفقونه في سبيلِ اللَّهِ، فهذا مِنْ أعمالِ البِرِّ أيضاً وصنفٌ مِنْ أصنافِ الزُّهدِ.

٢٦٤٧ ـ وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه ذكر المال، فقال: «**نِعْمَ المعونةُ للرجلِ الصَّالحِ**»[3].

وقد تقدم ما هو في معناه.

---

(١) الموطأ ٢/٩٩٨ عن عطاء بن يسار، وهو مرسل. ورواه موصولاً البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٠٤٥).

(٢) الخشكار: خبز الحنطة الذي لم ينخل. والحُوَّارَى: خلاصة الدقيق ولُبابه.

(٣) رواه بلفظ: «نعم المال الصالح...» أحمد ٤/١٩٧، وصححه ابن حبان (٣٢١٠، و٣٢١١)، والحاكم ٢/٢، و٢/٢٣٦، ووافقه الذهبي.

وأمَّا بقاؤُه بالمدينةِ وتوقُّفُه عنِ الجهادِ، فإنَّه في آخرِ عمره وكِبَرِ سِنِّه احتيجَ إلى بقائه في المدينةِ ليشاورَه الإمامُ في أمورِ المسلمين وأحكامِهِم، وكان في ذلك الوقتِ يضعُفُ هو ومَنْ كان مثلُه عنِ الحربِ، وكان غيْرُه مِنْ أهلِ الشبابِ والقوةِ أقدرَ على ذلك، وفي قتلِ واحدٍ مِنْ هؤلاءِ الائمَّةِ وهْنٌ عظيمٌ على الإسلامِ، ولذلك أقاموا بالمدينةِ، وهذه كانت حال أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ وأكثر أئمة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وإنَّما قال عبدُ الرحمن بن عوف: إنَّما ابتُلينا بالسَّرَّاء فلم نصبِرْ: يريدُ، واللهُ أعلمُ، غيْرَه ممَّنِ اقتضى سِنُّهُ الجهادَ، وليس بالناسِ إلى بقائِه بالمدينةِ حاجةٌ وَكِيدَةٌ، فأخبرَ عنِ الجمهور، وهو الذي احتاجَ إلى معرفته السائلُ ليتمسَّك بزهدِه في الدنيا ومسارعتِه إلى الجهادِ وترْكِ إظهارِ حالِه ومالِه في ذلك مِنَ السَّعَةِ والقُرْبة؛ لئلا يأخذَ به مَنْ لا يقصِدَ قصدَهُ ولا يسوغُ له الأخذ به.

ويُحتَمَلُ أنْ يكونَ عبدُ الرحمن كان يُؤْثِرُ إحدى الطريقتين الأُولَيَيْن، وتمسَّك بهذه الطريقةِ الثالثةِ توسُّعاً وتسامُحاً بما يجوزُ، مع اعتقادِه أنَّ ما ترك أفضلُ، فأظهرَ ما أظهرَ مِنَ العذرِ لتمسُّكه بما غيْرُه أفضلُ عندَه، واللهُ أعلمُ وأحكمُ.

٣٦٤٨ - وروى إبراهيمُ بنُ عبد الرحمن بن عوف أنَّ عبد الرحمن بن عوف ﷺ أُتِيَ بطعامٍ، وكان صائماً، فقال: قُتِلَ مصعبُ بنُ عُميْرٍ وهو خيْرٌ مِنِّي، فكُفِّنَ في بُرْدَةٍ، إنْ غُطِّيَ بها رأسُه بدت رجلاه، وإنْ غُطِّيَ بها رجلاه بدا رأسُه، وقُتِلَ حمزةُ وهو خيْرٌ مِنِّي، ثم بُسِطَ لنا مِنَ الدنيا ما بُسِطَ، أو قال: أُعطِينا منها ما أُعطينا، وقد خشيتُ أنْ تكونَ حسناتُنا عُجِّلَتْ لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعامَ[1].

---

(١) البخاري (١٢٧٤، ١٢٧٥، ٤٠٤٥)، وقد تقدم برقم (٢٣٢٦).

٢٦٤٩ ـ وقال حاتمٌ الأَصَمُّ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يحتَجُّ يومَ القيامةِ بأربعةِ أنفسٍ على أربعةِ أصنافٍ: على الأغنياء بسُليمانَ، وعلى الفقراء بعيسى، وعلى العبيدِ بيوسفَ، وعلى المرضى بأيوبَ، صلى الله على نبينا وعليهم.

٢٦٥٠ ـ ورُوِيَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لو أنَّ لابنِ آدمَ واديَينِ من ذهبٍ لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ويتوبُ اللَّهُ على مَنْ تابَ**»[1].

٢٦٥١ ـ ورُوِيَ عن حكيم بنِ حِزامٍ أنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم قال: «**هذا المال خَضِرَةٌ حُلوةٌ، فمَنْ أخذَه بطيب نفسٍ بُورِكَ له فيه، ومَنْ أخذه بإشرافِ نفسٍ، لم يُبارَكْ له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبعُ، واليدُ العليا خيرٌ مِنَ السُّفلى**»[2].

٢٦٥٢ ـ ورُوِيَ أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مع صاحبٍ له يسيحانِ، فأصابهما الجوعُ، وقد انتهَوْا إلى قريةٍ، فقال عيسى لصاحبه: انطلِقْ اطلُبْ لنا طعاماً في هذه القرية. وقام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يصلي، فجاء الرجلُ بثلاثةِ أرغفةٍ، فأبطأ عليه انصرافُ عيسى، فأكل رغيفاً، فانصرف عيسى، فقال: أين الرغيفُ الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفين. قال: فمضيا على وجوههما حتى مرَّا بظِباءٍ، فدعا عيسى ظبياً منها، فذبحوه وأكلوا منه، ثم قال عيسى: قم بإذن اللَّه، فإذا هو يشتَدُّ، فقال الرجلُ: سبحان اللَّه! فقال: بالذي أراكَ هذه الآيةَ مَنْ صاحبُ الرغيفِ؟ فقال: ما كانا إلا اثنين. قال: فمضيا على

---

(١) رواه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١٠٤٩)، ومن حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه البخاري (٦٤٣٨)، ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨). ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مسلم (١٠٥١).

(٢) البخاري (١٤٧٢).

وجوههما، فمَرَّا بنهرٍ عجاجٍ عظيمٍ، فأخذ بيدِه، فمشى به على الماءِ حتى جاوزَ الماءَ، فقال الرجلُ: سبحان اللَّه! فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآيةَ، مَنْ صاحبُ الرغيفِ؟ قال: ما كانا إلا اثنين. فخرجا حتى أتَيَا قريةً عظيمةً خَرِبَةً، وإذا قريبٌ منها لَبِنٌ مِنْ ذهبٍ، فقال الرجل: هذا مالٌ؟ فقال عيسى: أجل هذا مالٌ، واحدةٌ لي، وواحدةٌ لك، وواحدةٌ لصاحبِ الرغيفِ، فقال: أنا صاحبُ الرغيفِ، فقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هي لك كلُّها، وفارقه. فأقام عليها ليس معه ما يحملها عليه، فمرَّ به ثلاثةُ نفَرٍ فقتلوه وأخذوا اللَّبِنَ، فقال اثنان منهما لواحدٍ: انطلِقْ إلى القريةِ، فأتِنَا بطعامٍ فذهب، وقال أحدُ الباقيين للآخر: تعالَ نقتلْ هذا إذا جاءَ ونقسِم هذه بينَنَا. قال الآخر: نعم. وقال الذي ذهبَ: أجعل في الطعام سُمّاً فأقتُلُهما وآخذُ اللَّبِنَ لنفسي ففعل، فلمَّا جاء قتلاه وأكلا مِنَ الطعام الذي جاء به فماتا، فمرَّ بهم عيسى وهم حولها مصروعون، فقال: هكذا تفعلُ الدنيا.

٢٦٥٣ ـ وروى بلالُ بنُ سعدٍ: أنَّ أبا الدرداء قال: أعوذُ باللهِ مِنْ تفرِقَةِ القلبِ. قيل: وما تفرِقَةُ القلبِ يا أبا الدرداءِ؟ قال: يُوضَعُ لي في كلِّ وادٍ مالٌ.

٢٦٥٤ ـ وروى أبو هريرة عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**تَعِسَ عبدُ الدينارِ والدرهمِ والقطيفةِ والخَميصةِ، إنْ أُعْطِيَ رضِيَ، وإنْ لم يُعْطَ لم يرضَ**»[(١)].

٢٦٥٥ ـ ورُوِيَ عنْ أبي موسى الأشعري أنه قال: الدينارُ والدرهمُ مُهلِكا مَنْ كان قبلَكم، وإنِّي لأظُنُّهما مهلِكَتُكم.

٢٦٥٦ ـ وروى زياد بن الهيثم عن مالك أنه قال: إنَّما قال: دينارٌ؛ لأنه دَيْنٌ ونارٌ.

٢٦٥٧ ـ ورُوِيَ عنِ ابن مسعودٍ أنه قال: لكلِّ أُمَّةٍ فتنةٌ، وإنَّ فتنةَ هذه الأمة الدراهمُ.

---

(١) البخاري (٢٨٨٦)، ومسلم (١٠٤٦).

٢٦٥٨ ـ وقال الأحنفُ بن قيسٍ: بينما أنا في ملأٍ مِنْ قريشٍ في مسجد المدينةِ، إذ جاء رجلٌ أشعثُ الرأسِ، خَشِنُ الثيابِ، حتى قام علينا، فقال: بشِّرِ الكانزينَ برَضْفٍ يُحمى عليها في نارِ جهنمَ، فتوضع على حَلَمِ الثَّدي حتى تنجُوَ مِنْ نُغْضِ الكَتِفِ، وتوضع على نُغْضِ الكتفِ حتى تنجُوَ مِنْ حَلَمِ الثَّدي. قال: ثم ولَّى وجلس بالأُسطُوانةِ، فقمت حتى جلستُ إليه، فقلت: يرحمُك اللَّه، إنك شقَقَتْ على إخوانِك بما قلتَ لهم، فقال: إنَّ هؤلاء لا يعلمونَ أنَّ خليلي أبا القاسم صلوات الله عليه قال لي: «**يا أبا ذرٍّ، انظرْ إلى أُحُدٍ**»، فنظرت إلى ما عليه مِنَ الشمس، وأنا أرى أنْ يبعثَني لحاجةٍ، فقال: «**ما يسرُّني أنَّ لي مثلَ أُحُدٍ ذهباً أموتُ يومَ أموتُ وعندي منه أوقيتان**». ثم هؤلاء لا هَمَّ لهم إلا الدنيا يجمعونها. قلت: يا أبا ذر، ما يمنعُك، يرحمُك اللَّهُ مِنْ إخوانِك مِنْ قريشٍ أن تعتريهم وأن تصيب مِنْ دنياهم؟ فقال: لا وربِّك لا أسألُهم دنياً ولا أستفتيهم في دِينٍ حتى ألحقَ بالله ورسولِه[1].

٢٦٥٩ ـ ولحسان بن ثابت[2]:

ألـم تَـرَ أنَّ الـمـالَ يُـهْـلِـكُ رَبَّـهُ ... إذا جَـمَّ آتِـيـهِ وسُـدَّ طَـرِيـقُـهُ
ومَـنْ جـاوَزَ الـمـاءَ الـغَـزِيـرَ مَـجَـمَّـهُ ... وسَـدَّ طَـرِيـقَ الـمـاءِ فـهـو غَـرِيـقُـهُ

٢٦٦٠ ـ وقال المبَرد: انتبه حسان بن ثابت ليلاً، فصاح: يا للأوسِ، يا للخزرجِ. فبادرَ جميعُهم، فقالوا: ما دَهَمَك؟ فقال: قلت خمسةَ أبياتٍ لَهُنَّ خيْرٌ مِنَ الدنيا وما فيها. قيل له: وما هي؟ فأنشدهم:

متى ما يَرَى الناسُ الغَنِيَّ وجارَهُ ... فـقـيـراً يـقـولـوا عـاجِـزٌ وجَـلِـيـدُ
وليسَ الغِنَى والفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الفَتَى ... ولـكِـنْ أحـاظٍ قُـسِّـمَـتْ وجُـدُودُ
وإنَّ امْـرَأً أَمْـسَـى وأَصْـبَـحَ سـالِـمَـاً ... مِـنَ الـنَّـاسِ إلا مـا جَـنَـى لَـسَـعِـيـدُ

---

(١) البخاري (١٤٠٧)، ومسلم (٩٩٢). والنُّغْض: العظم الدقيق الذي على طرف الكتف.
(٢) وينسب البيتان أيضاً لابن الرومي، وهما في ديوانه.

وإنَّ امْرَأً نالَ الغِنَى ثمَّ لَمْ يَنَلْ قَرِيبَاً ولا ذا حَاجَةٍ لَسَعِيدُ
وإنَّ امْرَأً عادى الرِّجَالَ على الغِنَى ولَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ الغِنَى لَحَسُودُ[1]

٢٦٦١ ـ ولبعضهم، ويروى أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ كان يمسِكُها بيده كثيراً:

قد كنتُ ذا مالٍ فلا والذي أَعْطانِيَ المالَ وأَغْنانِي
ما قَرَّتِ العَيْنُ به ساعَةً إلا تَذَكَّرْتُ فأَشْجَانِي
عِلْمِي بأَنِّي صَائِرٌ لِلْبِلَى وفَاقِدٌ أَهْلِي وجِيرانِي
وتَارِكٌ مالي على حالِهِ نَهْبَاً لِشَيْطانِ بنِ شَيْطانِ
لامْرَأَةِ ابْنِي أو زَوْجِ ابْنَتِي يا لَكَ مِنْ غَيٍّ وخَسْرانِ
يَسْعَدُ في مالي وأَشْقَى بِهِ قَوْمٌ ذَوُو غِلٍّ وشَنْآنِ
إنْ أَحْسَنُوا كانَ لَهُمْ أَجْرُهُ وخَفَّ مِنْ ذلك مِيزانِي

٢٦٦٢ ـ وقال رجلٌ لعمرَ بنِ الخطاب ﷺ: إنَّ فلاناً جمع مالاً. قال عمر: فهل جمع له أياماً؟.

٢٦٦٣ ـ فأخذه العطَوِيُّ[2]، فقال:

أَرْفِهْ بِعَيْشِ فَتَىً يَغْدُو على ثِقَةٍ إنَّ الذي قَسَمَ الأرْزاقَ يَرْزُقُهُ
فَالْعِرْضُ منه مَصُونٌ لا يُدَنِّسُهُ والوَجْهُ منه جَدِيدٌ ليسَ يُخْلِقُهُ
جَمَعْتَ مالاً فَفَكِّرْ هلْ جَمَعْتَ لَهُ يا جامِعَ المالِ أَيَّاماً تُفَرِّقُهُ
المالُ عِنْدَكَ مَخْزُونٌ لِوارِثِهِ ما المالُ مالُكَ إلا حِينَ تُنْفِقُهُ

٢٦٦٤ ـ ولبديع الزمان أبي الفضل الهرويِّ:

أيا جامِعَ المالِ مِنْ حِلِّهِ تَبِيتُ وتُصْبِحُ في ظِلِّهِ

---

(١) أورد ابن عبد البر بعض هذه الأبيات في بهجة المجالس ١٨٩/١، وقال: ولرجل من بني قري، أو للمعلوط، وقيل: إنها لحاتم الطائي. وفي عيون الأخبار ٢٤٦/١ منسوبة للمعلوط.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية الكناني، المتوفى سنة ٢٥٠ هـ. والأبيات في ديوانه.

سَيُؤْخَذُ منك غَداً كُلُّهُ ... وتُسْأَلُ مِنْ بَعْدُ عَنْ كُلِّهِ

٢٦٦٥ ـ وله:

يا حَرِيصاً على الغِنَى ... قاعِداً بالمَرَاصِدِ
لَسْتَ في سَعْيِكَ الذي ... خُضْتَ فيه بِصائدِ
إنَّ دُنْيَاك هذِهِ ... لَسْتَ فيها بِخَالِدِ
بَغْضُ هذا فَإِنَّمَا ... أَنْتَ سَاعٍ لِقَاعِدِ

٢٦٦٦ ـ ولأبي الفضل الميكالي:

وكُلُّ غِنَىً يَتِيهِ به غِنِيٌّ ... فَمُرْتَجَعٌ بِمَوْتٍ أوْ زَوَالِ
وَهَبْ جَدِّي زَوَى لي الأَرْضَ طُرّاً ... أَلَيْسَ الموتُ يَزْوِي ما زَوَى لي

* * *

١٦٩ ـ الصبر على الفقر

٢٦٦٧ ـ روى أبو سعيد الخدريُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفُّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، ومَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ. وما أُعْطِيَ أحدٌ عَطاءً هو خَيرٌ وأوسَعُ مِنَ الصَّبرِ**»[1].

٢٦٦٨ ـ ورُوِيَ عن سهلِ بن سعدٍ أنه قال: مَرَّ رجلٌ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال لرجلٍ عندَه جالسٌ: «**ما رأيك في هذا**»؟ فقال: رجلٌ مِنْ أشرافِ الناسِ، هذا واللهِ حَريٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ. قال: فسكتَ النبيُّ ﷺ ثم مَرَّ رجلٌ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما رأيُك في هذا**»؟ فقال: يا رسولَ الله، هذا رجلٌ مِنْ فقراءِ المسلمين، هذا حَرِيٌّ إنْ خطبَ أنْ لا يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشَفَّعَ، وإنْ قال أنْ لا يُسْمَع لقولِه،

(١) البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

فقال رسولُ الله ﷺ: «**هذا خيرٌ مِنْ مِلْءِ الأرضِ مِثل هذا**»[1].

٢٦٦٩ - وقال أبو هريرةَ: إنْ كنتُ لأعتمدُ على الأرض بكبِدي مِنَ الجوع، وإنْ كنتُ لأشُدُّ الحجرَ على بطني مِنَ الجوع. ولقد قعدتُ يوماً على طريقِهمُ الذي يحرجون منه، فمرَّ أبو بكرٍ، فسألتُه عن آيةٍ مِنْ كتابِ الله عزَّ وجلَّ، ما سألتُه إلا ليُشبِعَني، فمرَّ فلم يفعل، [ثم مرَّ بي عمرُ، فسألتُه عنْ آيةٍ مِنْ كتابِ اللَّهِ، ما سألتُه إلا ليُشبِعَني، فمرَّ ولم يفعلْ]، ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسَّمَ حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «**أبا هِرٍّ**». قلت: لبيكَ يا رسول الله. قال: «**الْحَقْ**». ومضى فاتَّبعتُه، فدخل فأستأذن لي فدخل، فوجد لبَناً في قدحٍ، فقال: «**مِنْ أين هذا اللبنُ**»؟ قالوا: أهداه لك فلانٌ أو فلانةٌ. قال: «**يا أبا هِرٍّ**». قلت: لبيكَ يا رسول الله. قال: «**الْحَقْ إلى أهل الصُفَّةِ، فادْعُهُمْ لي**». قال: وأهلُ الصُّفَّةِ أضيافُ الإسلامِ لا يأوون على أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ؛ إذا أتتْهُ صدقةٌ بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبنُ في أهلِ الصُّفَّةِ، كنتُ أحقَّ أنْ أُصيبَ مِنِ هٰذا اللبنِ شَرْبَةً أتقوَّى بها،[فإذا جاؤوا أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلُغَني من هذا اللبَنِ]، ولم يكن مِنْ طاعةِ الله وطاعةِ رسولِه بدٌّ، فأتيتُهم فدعوتُهم، فأقبلوا فاستأذَنوا، فأذن لهم، فأخذوا مجالسَهم مِنَ البيت. قال: «**يا أبا هِرٍّ**». قلت: لبيك يا رسولَ الله. قال: «**خذ فأعطِهم**»، فأخذت القدحَ، فجعلت أعطيه الرجلَ، فيشربُ حتى يَروَى، ثم يردُّ عليَّ القدحَ، فأعطيه فيشرب حتى يروى حتى انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وقد رَوِيَ القومُ كلُّهم، فأخذ القدحَ، فوضعه على يدِه، فنظر إليَّ فتبسَّم، وقال: «**أبا هِرٍّ**»، قلت: لبيك يا رسولَ الله. قال: «**بقيتُ أنا وأنتَ**». قلت: صدقتَ يا رسولَ اللَّهِ، فقال: «**اقعدْ فاشربْ**»، فقعدتُ فشربتُ، فقال: «**اشربْ**»، فشربتُ، فما زال يقول: «**اشربْ**»، حتى قلتُ: لا، والذي بعثك

---

(١) البخاري (٥٠٩١، و٦٤٤٧).

بالحَقِّ، ما أجدُ له مسلكاً. قال: «**فأَرِني**»، فأعطيتُه القدحَ، فحَمِدَ الله، وسمَّى وشرب الفضلةَ[1].

٢٦٧٠ ـ وروى أسامةُ بنُ زيدٍ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**قمتُ على بابِ الجنةِ، فكان عامَّةُ مَنْ دخلها المساكينُ، وأصحابُ الجَدِّ محبوسون، غيرَ أنَّ أصحابَ النارِ قد أُمِرَ بهم إلى النار**»[2].

٢٦٧١ ـ وقال هشام بن عُروة: قال لنا أبي: إذا رأى أحدُكم شيئاً مِنَ الدنيا وزهرتِها، فليأت أهلَه، فليأمُرْهم بالصلاةِ وليصطَبِرْ عليها، فإنَّ الله تعالى قال لنبيِّه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣١ ـ ١٣٢].

٢٦٧٢ ـ وروى الحسنُ أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: إنِّي أحبُّك. فقال: «**إنْ كنتَ تحبُّني، فاتَّخِذْ للفقرِ جلباباً، فوالذي نفسي بيده، إنَّ البلاءَ أسرعُ إلى المؤمنِ مِنَ السيلِ إلى منتهاه**»[3].

٢٦٧٣ ـ وقال مَعْمَر: سمعتُ صالحَ بن مِسْمارٍ يقول: ما أدري: أنِعْمَةُ الله تعالى عليَّ فيما بَسَطَ لي أفضلُ، أم نعمتُه فيما زوى عنِّي؟.

٢٦٧٤ ـ وقال العوَّامُ بن حَوْشَبٍ: بعث معاويةُ بنُ أبي سفيانَ بمالٍ إلى رجلٍ مِنَ الصحابةِ، وكان محتاجاً، وكان صاحبَ زُهدٍ، فلم يُوافِقْه الرسولُ في المنْزِلِ، فلقيه لاقٍ، فقال: أدرِكْ يا فلانُ ما جاءَكَ مِنْ أميرِ المؤمنين مِنَ الفوائد، أدرِكْ! قال: فمضى إلى منْزِله كالمحزونِ، فقال: ما هُهُنا؟ فقالوا: هذا بعثَ به إليك أميرُ المؤمنين. قال: مكانَكم، فواللهِ إنْ زال يفرِّقُ ما جاءه مِنْ مالٍ وكسوةٍ شيئاً شيئاً في الفقراء واليتامى والأراملِ حتى ما بقِيَ

---

(١) البخاري (٦٤٥٢)، وما بين حاصرتين منه.

(٢) البخاري (٥١٩٦، و٦٥٤٧)، ومسلم (٢٧٣٦).

(٣) هذا حديث مرسل. وروي بنحوه مرفوعاً من حديث عبد الله بن مغفَّل ﷺ رواه الترمذي (٢٣٥٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

منه شيءٌ، فقال له قائلٌ: يا فلانُ، واللهِ إنَّا لنعرِفُك بالحاجةِ التي كنتَ عليها، قال: فما ظنُّكم؟ فوالله الذي لا إله إلا هو إنْ كان يسرني أنِّي حُبِستُ عنِ الرَّعيل الأولِ مِنْ أهلِ الجنةِ، وأنَّ لي ما طلَعَتْ عليه الشمسُ.

٢٦٧٥ ـ وقال الشَّعبيُّ: إنَّ الرجلَ مِنْ فقراءِ المسلمين يموتُ وحاجتُه تَجَلْجَلُ في صدره لم يقضِها في الدنيا: يريدُ النكاحَ فلا يجدُ، ويريدُ اللباسَ فلا يجدُ، ويريدُ المركبَ فلا يجد، ويأتي بابَ السلطانِ فلا يُؤذَنُ له، لو قُسِمَ نورُه بين أهلِ الأرض لوسِعَهم.

٢٦٧٦ ـ ولبعضهم:

فلا تَجزَعْ وإنْ أَعْسَرْتَ يَوْماً ... فقَدْ أَيْسَرْتَ في الزَّمَنِ الطَّويلِ
ولا تَيْأَسْ فَإنَّ اليَأْسَ كُفْرٌ ... لَعَلَّ اللَّهَ يُغْني عَنْ قَليلِ
وأَنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ ... وقَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قيلِ
فلا تَظْنُنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ ... فَإنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالجَميلِ
ولَوْ أنَّ العُقولَ تُفيدُ مالاً ... لكانَ المالُ عِنْدَ ذَوِي العُقُولِ

٢٦٧٧ ـ وللنَّمِرِ بنِ تَوْلب:

لا تَغْضَبَنَّ على امْرِئٍ في مالِه ... وعلى كَرَائِمِ صُلْبِ مالِكَ فَاغْضَبِ
وإذا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الغِنَى ... وإلى الذي يَهَبُ الرَّغائِبَ فارْغَبِ

٢٦٧٨ ـ ولبعضهم:

عَسَى فَرَجٌ يَأْتي بِهِ اللَّهُ إنَّهُ ... لَه كل يوم في خَليقَتِه أَمْرُ
إذا اشتَدَّ عُسْرٌ فارْجُ يُسْراً فإنَّه ... قَضَى اللَّهُ أَنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يُسْرُ

٢٦٧٩ ـ ولغيره:

لا أَشْتَكي عُسْرِي إلى النَّا ... سِ وهُمْ مَنْ أَعْلَمُ
إنَّ إلهاً مَسَّ بالـ ... ـضُّرِّ جَوادٌ مُنْعِمُ
أشكُو الذي يَرْحَمُني ... إلى الذي لا يَرْحَمُ

٢٦٨٠ ـ وقال الأسدي وهو حكيم:

وأُعْسِرُ أحْيَانَاً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي ... فَأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنَى ومَعِي عِرْضِي
وأَقْضِي على نَفْسِي إذا الأَمْرُ نابَنِي ... وفي النَّاسِ مَنْ يُقْضَى عليه ولا يَقْضِي

٢٦٨١ ـ وروى نوفٌ البِكالِيُّ أنَّ صياداً كافراً وصيَّاداً مُؤمناً تصيَّدا، فكان الكافرُ يضرِبُ بشبكتِه فيخرجُ، ويضربُ المؤمنُ بشبكتِه فلا يخرج حتى أمسى، ثم ضربَ المؤمنُ بشبكته، فأخرجَ سمكةً فعالجها، فانفلتَتْ منه، فقال موسى: يا ربِّ، هذا الكافرُ لم يزَلْ يضرِبُ ويُخرِجُ، وعبدُك هذا المؤمنُ لم يزَلْ منذُ اليومَ يضرِبُ بشبكتِه، فلا يُخرجُ، فلمَّا أخرج سمكةً عالجها ليذهبَ بها إلى عيالِه فانفلتَتْ، فقال الله عزَّ وجلَّ: افرُجوا عَمَّا لعبدي مِنَ الجنةِ، فنظر إليها، فقال: ما يضُرُّ عبدي ما زَوَيْتُ عنه مِنَ الدنيا إذا صار إلى هذا، ثم قال: افرُجُوا عمَّا لعبدي الكافرِ مِنَ النارِ، فنظر إليها، فقال: ما ينتفعُ عبدي بما أعطيتُه في الدنيا إذا صار في هذا؟ فقال: بلى يا ربِّ.

٢٦٨٢ ـ ولبعضِهم:

هَجَمَ الشِّتاءُ وليسَ عندي دِرْهَمٌ ... ولَقَدْ يُصَابُ بِبَعْضِ ذاك المسلمُ
ويُقَطِّعُ النَّاسُ الجِبَابَ وغَيْرَهَا ... وكَأَنَّنِي بِفِنَاءِ مَكَّةَ مُحْرِمُ
والرِّزْقُ مَقْسُومٌ فَبَعْضٌ ضَيِّقٌ ... قَسَمَ المَعَايِشَ في العَبَادِ مُقَسِّمُ
يُعْطِي ويَمْنَعُ مَنْ يَشاءُ بِقُدْرَةٍ ... واللّهُ يَرْزُقُ مَنْ يشاءُ ويَحْرِمُ

٢٦٨٣ ـ ولبعضهم:

سَيُفْتَحُ بابٌ إذا سُدَّ بابٌ ... بلى وتَهُونُ الأُمُورُ الصِّعابُ
ويَتَّسِعُ الحالُ مِنْ بَعْدِ مَا ... تَضِيقُ المذاهِبُ فيها الرِّحَابُ
مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ فَهَوِّنْ عليكَ ... فلا الهَمُّ يُغِني ولا الاكْتِئابُ
إذا احْتَجَبَ النَّاسُ عَنْ سائِلٍ ... فما دُونَ سائِلِ رَبِّي حِجَابُ

❋ ❋ ❋

١٧٠ ـ ما جاء في القناعة والرضى

٢٦٨٤ ـ قال أبو الصَّهباءِ صِلَةُ بنُ أُشَيْم: طلبتُ الرزقَ في وجهِه، فأعياني أنْ أُصيبَه إلا رزقَ يومٍ بيومٍ، فعلمتُ أنه خيْرٌ لي.

٢٦٨٥ ـ قال: وسمعتُ الحسنَ، أو حُدِّثْتُ عنه، أنه قال: ما مِنْ مسلمٍ يُرْزَقُ رزقَ يومٍ بيومٍ، لا يعلم أنه خيْرٌ له إلا عاجِزٌ أو غَبِينُ الرَّأيِ.

٢٦٨٦ ـ ورُوِيَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يا ابنَ آدمَ، عندك ما يكفيك وأنت تطلُبُ ما يُطْغيك، ابنَ آدمَ، لا بقليلٍ تقنَعُ، ولا مِنْ كثيرٍ تشبعُ، يا ابنَ آدمَ، إذا أصبحتَ معافى في جسدِك، آمِناً في سِرْبِكَ، عندَك قُوتُ يومِك، فعلى الدُّنيا العفاءُ**»[١].

٢٦٨٧ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «**ليس الغِنَى عَنْ كثرَةِ العَرَضِ، ولكن الغنى غنى النفسِ**»[٢].

٢٦٨٨ ـ وقال أبو حازم: إنْ كنتَ تطلبُ مِنَ الدنيا ما يكفيكَ، فأدنى ما فيها يكفيك، وإن كان لا يُغنيك ما يَكفيكَ، فليس فيها شيءٌ يُغنيك.

٢٦٨٩ ـ وقال أبو حازم: وجدتُ الأشياءَ شيئاً لي وشيئاً ليس لي؛ فأمَّا ما كان لي، فلو كان في ريح لأدركتُه حتى آخذه، وأما ما لم يكن لي، فلوِ اجتمعَ الخلائقُ على أنْ يجعلوه لي، لم يقدِروا عليه. ففيمَ الهمُّ ههُنا.

---

(١) حديث مرسل. وروي مرفوعاً من حديث عمر بن الخطاب ﷺ رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٨٧٥)، وعنه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩٨/٦. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٢٩٤/٧، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٧١/١٢. وفي سند الروايتين أبو بكر الداهري، وهو متهم بالوضع.
لكن معنى الحديث صحيح كما قال العجلوني في كشف الخفاء ٣١/١. ويشهد له الحديث «**من أصبح معافى في بدنه، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**». رواه من حديث أبي الدرداء ﷺ ابن حبان (٦٧١). ومن حديث عبيد الله بن محصن ﷺ الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١).

(٢) البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

٢٦٩٠ ـ وقال أبو الدرداء: اللَّهُمَّ عفواً، اللَّهُمَّ عفواً، ثلاثاً، نأكلُ كما يأكلون، ونشربُ كما يشربون، ونَنكِح كما يَنكحون، ولهم فضولٌ وأموالٌ، ننظر إليها كما ينظرون، عليهم حسابها، وليس علينا منها شيءٌ.

٢٦٩١ ـ وعن صفوان بن سُليم، قال عمر بن الخطاب ﷺ: ما الغِنَى؟ قال: الرجلُ يكون له العَقارُ يأكلُ مِنْ غَلَّتِه وهو قائمٌ بعينه. قال: لا. قالوا: فالرجلُ يكون له الأرضُ يأكلُ مِنْ غَلَّتِها. قال: لا. قالوا: فالرجلُ يكون له مالٌ يتَّجِرُ فيه، ويأكلُ مِنْ رِبْحِه. قال: لا، ولكن مَنْ كانت له زوجةٌ تُعِفُّه، وخادمٌ يَكُفُّه، وبيتٌ يَأويه، فقدِ استكملَ الغِنى، يرزقُ اللَّهُ العبدَ كلَّ يومٍ ما شاء.

٢٦٩٢ ـ وروى الحسنُ عن عمرو بنِ تغلبَ، قال: أتى النبيَّ ﷺ مالٌ، فأعطى قوماً، ومنع قوماً، فبلغه أنهم عتِبُوا، فقال: «**إنِّي أُعطي الرجلَ وأدعُ الرجلَ، والذي أدعُ أحبُّ إليَّ مِنَ الذي أُعطي، أُعطي أقواماً لِمَا في قلوبهم مِنَ الجزعِ والهلعِ، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعلَ الله في قلوبهمْ مِنَ الغِنى والخيرِ، منهم عَمرو بن تغلبَ**». قال عَمرو: ما أُحِبُّ أنَّ لي بكلمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ[1].

٢٦٩٣ ـ قال أبو عُبيد بنُ يَسارٍ: النفسُ أفضلُ مِنْ يسارِ المالِ، فمَنْ لم يُرْزَقْ مالاً، فلا يُحْرَمَنَّ تقوى؛ فرُبَّ شبعان مِنَ النِّعمِ غَرثانُ مِنَ الكرمِ.

٢٦٩٤ ـ ولعُروةَ بنِ أُذينةَ:

لقد علمتُ فما الإشفاقُ في طَمَعٍ	إنَّ الذي هو رِزقي سوف يَأتيني
أسعى إليه فيُعَنِّني تَطَلُّبُهُ	ولو قَعَدْتُ أتاني لا يُعَنِّيني
لا خَيْرَ في طَمَعٍ يُدْني إلى طَبَعٍ	وعِفَّةٌ مِنْ قِوامِ العَيْشِ تَكْفِيني

(١) البخاري (٧٥٣٥).

٢٦٩٥ ـ ولمحمد بن حازم:

لَلُبْسُ ثَوْبَيْنِ بَالِيَيْنِ وطَيُّ يَوْمٍ ولَيْلَتَيْنِ
أَيْسَرُ مِنْ مِنَّةٍ لِقَوْمٍ أَغُضُّ منها جُفُونَ عَيْني
إنِّي وإنْ كنتُ ذا عِيالٍ قليلَ مالٍ كَثيرَ دَيْنِ
لَمُسْتَعِفٌّ بِفَضْلِ رَبِّي حَوائِجي بينَه وبَيْني

٢٦٩٦ ـ وله:

أَشَدُّ مِنْ عَيْلَةٍ وجُوعِ إغْضاءُ حُرٍّ على خُضُوعِ
فاقْنَعْ مِنَ الدَّهْرِ قُوتَ يَوْمٍ وأنْتَ بالمنْزِلِ الرَّفِيعِ
ولا تُرِدْ ثَرْوَةً بما قَدْ يُنالُ بالذُّلِّ والخُضُوعِ
وارْحَلْ إذا أَجْدَبَتْ بِلادٌ منها إلى الخِصْبِ والرَّبيعِ

٢٦٩٧ ـ وله:

الحَمْدُ للهِ شُكْرَ أَنْعُمِهِ فليسَ لي حاجَةٌ إلى أَحَدِ
خَفَّ عِيالي فَمَا أُعَرِّجُ في الدُّ نيا على والدٍ ولا ولدِ
وقَلَّ مالِي عَنِ الزَّكاةِ وأَصْـ بَحْتُ مِنَ النَّاسِ في غِنَى الأَبَدِ
رَضِيتُ بالقُوتِ واكْتَفَيْتُ بِهِ واشْتَدَّ ظَهْري بِقِلَّةِ العَدَدِ

٢٦٩٨ ـ وله:

الحمدُ للهِ ليسَ الرِّزْقُ بالطَّلَبِ ولا العطايا على عَقْلٍ ولا أَدَبِ
إنْ قَدَّرَ اللَّهُ شيئاً أنتَ نائِلُه يوماً وجَدْتَ إليه أَسْهَلَ السَّبَبِ
وإنْ أَبى اللَّهُ ما تَهوى فلا طَلَبٌ يُجْدِي عليك ولو حاوَلْتَ في كُتُبِ

٢٦٩٩ ـ وكان علي ﷺ يتمثَّلُ بهذه الأبيات:

صُنِ النَّفْسَ واحْمِلْهَا على ما يَزِينُها تَعِشْ سَالِماً والقَوْلُ فيك جَمِيلُ
ولا تُرِيَنَّ النَّاسَ إلا تَجَمُّلاً نَبَا بكَ دَهْرٌ أو جَفَاكَ خَليلُ

وإنْ ضاقَ رِزْقُ اليَوْمِ فاصْبِرْ إلى غَدٍ عسى نَكَباتُ الدَّهْرِ عنك تَزُولُ
يعِزُّ الغَنِيُّ النَّفْسِ إنْ قَلَّ مالُهُ ويَغْنَى فَقيرُ النَّفْسِ وهو ذَلِيلُ
وما أكثَرَ الإخْوانَ حين تَعُدُّهُمْ ولكِنَّهُمْ في النَّائِباتِ قَلِيلُ

٢٧٠٠ ـ وبلغني أنَّ بعضَ أُمراءِ بُخْتُرَ سُجن بمصرٍ، وكان له مِنْ أهلِ مصرَ إخوانٌ يَقصِدونه ويُجالسونه، فإذا حضر طعامُهم أكلَ معه مَنْ حضر منهم، فطالَ جلوسُهم في بعضِ الأيامِ، وتأخَّرَ الطعامُ، فقال بعضُهم: قد جُعنا، فقال: انظروا في السُّفْرَةِ، فوجدوا فيها كِسَراً باردَةً فأكلوها، فلمَّا أكملوا أكْلَها، جاء الطعامُ المعتادُ وقد احتفلوا فيه، فمدُّوا أيديَهم إليه، وقبض يده عنه، فقالوا له: الآن نحبُّ أنْ تأكلَ مِنْ هذا الطعامِ الطَّيِّبِ، فأنشدهم:

وما هِيَ إلا جَوْعَةٌ قدْ سَدَدْتُها وكُلُّ طَعامٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ واحِدُ

٢٧٠١ ـ ولبعضهم:

لا أقولُ اللَّهُ يَظْلِمُني كيفَ أشْكو غَيْرَ مُتَّهَمِ
قَنَعَتْ نفسي بِمَا رُزِقَتْ وتَمَطَّتْ في العُلَى هِمَمي
ولَبِسْتُ الصَّبْرَ سابِغَةً فهيَ مِنْ قَرْني إلى قَدَمي
فإذا ما الدَّهْرُ عاتَبَنِي لَمْ يَجِدْني كافِرَ النِّعَمِ

٢٧٠٢ ـ ولأُميَّةَ بن أبي الصلت يصفُ الأرضَ:

هي القَرارُ فلا تَبْغِي بها بَدَلاً ما أرْحَمَ الأرض إلا أنَّنا كُفُرُ
منها خُلِقْنَا وكانتْ أُمَّنَا خُلِقَتْ ونحنُ أبناؤُها لو أنَّنَا شُكُرُ

٢٧٠٣ ـ وقال علي بن أبي طالب ﷺ: لا يكونُ الرجلُ سيِّدَ أهلِه حتى لا يُبالي أيَّ ثوبَيْه لبِسَ، ولا ما سَدَّ به فَوْرَةَ الجوعِ.

* * *

١٧١ ـ النهي عن إضاعة المال وتبذيره

٢٧٠٤ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

٢٧٠٥ ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

٢٧٠٦ ـ وقال رسول الله ﷺ لسعدِ بن أبي وقاصٍ: «**لأَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أغنياءَ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَذَرَهُم عالَةً يَتَكَفَّفُونَ الناسَ**»[(١)].

٢٧٠٧ ـ ورُوِيَ عنْ كعبٍ أنه قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ: إنَّ مِنْ تَوبتي أنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مالي صدقةً إلى الله ورسوله. قال رسول الله ﷺ: «**أمسِكْ عليك بعضَ مالِك، فهو خيْرٌ لك**»[(٢)].

٢٧٠٨ ـ وكتب المغيرةُ إلى معاويةَ بنِ أبي سفيانَ ﷺ **أنَّ رسولَ الله** ﷺ **كان ينهى عنْ قيلَ وقالَ، وكثْرَةِ السُّؤالِ، وإضاعةِ المالِ، وكان ينهى عن عُقوقِ الأُمَّهاتِ، ووَأْدِ البناتِ، ومنعَ وهاتِ**[(٣)].

٢٧٠٩ ـ سُئِلَ مالكٌ عن معنى الحديثِ في إضاعةِ المالِ، فقال: منعُه مِنْ حقِّه، ووضعُه في غيْرِ حقِّه؛ يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

٢٧١٠ ـ وروى عُبيدُ الله بنُ عبد الله بنِ عتبةَ بنِ مسعودٍ عنِ ابنِ عباسٍ: وَجَدَ النبيُّ ﷺ شاةً ميتةً أُعْطِيَتْها مولاةٌ لميمونةَ مِنَ الصدقةِ. قال النبيُّ ﷺ: «**هلا انتفعتُمْ بجلدِها**»؟ قالوا: إنَّها ميتةٌ. قال: «**إنما حُرِّمَ أكلُها**»[(٤)].

---

(١) البخاري (١٢٩٥، و٢٧٤٢)، ومسلم (١٦٢٨).
(٢) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).
(٣) البخاري (٧٢٩٢)، ومسلم (٥٩٣).
(٤) البخاري (١٤٩٢)، ومسلم (٣٦٣).

٢٧١١ ـ ورُوِيَ أنَّ عبدَ الرحمن بنَ شُريحٍ وعَمرو بنَ الحارثِ اجتمعا، فقال ابن شريح لعمرو بن الحارث: يا أبا أُميةَ، ما تقولُ في رجلٍ ورث مالاً حلالاً، فأراد أنْ يَخرجَ مِنْ جمعيه إلى الله تعالى زُهداً في الدنيا ورَغبةً فيما عنده؟ فقال: لا تفعل، فقال له ابنُ شُريح: سبحان الله، لا تفعلْ! تقول لي: لا تزهد في الدنيا، فقال عَمرو بن الحارث: ما أدَّبَ اللّهُ به نبيَّه أفضلُ مِنْ ذلك؛ قال الله تبارك اسمُه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩] ولكن تُقَدِّمُ بعضاً وتُمْسِكُ بعضاً.

٢٧١٢ ـ قال أيوبُ السَّختيانِيُّ: قال لي أبو قِلابةَ: يا أيوبَ، الْزَمْ سُوقَك؛ فإنَّ فيها غِنَىً عَنِ الناسِ، وصلاحاً في الدِّينِ.

٢٧١٣ ـ وقال أبو الدرداءِ: إصلاحُ المعيشةِ مِنْ صلاحِ الدِّينَ، وصلاحُ الدينِ مِنْ صلاحِ العقلِ.

٢٧١٤ ـ وزعمتِ الرواةُ أنه لم يُرْوَ للأحنفِ بنِ قيسٍ غيْرُ بيتينِ:

فَلَوْ مُدَّ سَرْوَى بمالٍ كَثِيرٍ ... لَجُدْتُ وكُنْتُ له باذِلا
فإنَّ المُرُوَّةَ لا تُسْتَطاعُ ... إذا لم يَكُنْ مالُها فاضِلا

٢٧١٥ ـ ولكُثَيِّرٍ:

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عَطاءه ... حقيقة تقوى أو صديقٌ تُوافِقُهْ
مُنِعْتَ وبَعْضُ المَنْعِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ ... ولم يَفْتَلِتْكَ المالُ إلا حَقَائِقُهْ

٢٧١٦ ـ ولابن المعتزِّ:

يا رُبَّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امْرِئٍ ... فقامَ للناسِ مَقامَ الذَّليلِ
فاشْدُدْ عُرَى مالِكَ واسْتَبْقِهِ ... فالبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤالِ البَخِيلِ

٢٧١٧ ـ ورُوِيَ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ كتب إلى ابنه محمَّدٍ:

احفظْ ما في الوعاءِ، وشُدَّ الوِكاءَ، فحُسْنُ التَّدبيرِ معَ الاقتصادِ أكفى لك مِنْ كثيرٍ معَ الفسادِ.

٢٧١٨ ـ قال ابن القاسم: بلغني عنْ سعيدِ بنِ المسَيب أنه كانت له ذهبٌ يَتَّجِرُ فيها، فلمَّا حضرتْه الوفاةُ قال: يا بُنَيَّ، هذه نفقتي التي كنتُ أَكُفُّ بها وجهي، وأتقَوَّى بها على عبادةِ ربي.

❋ ❋ ❋

١٧٢ ـ الأمر بحفظ المال وتثميره

٢٧١٩ ـ روى أنس بن مالك أن أُمَّ سُلَيْم قالت للنبيِّ ﷺ: أنسٌ خادمُك، قال: «**اللَّهُمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه، وبارِكْ له فيما أعطيتَه**»(١).

٢٧٢٠ ـ ورُوِيَ أنَّ بعضَ الحكماءِ قال: نِعْمَ المَطِيُّ الدنيا، فارتَحِلوها تُبَلِّغْكم الآخرةَ.

٢٧٢١ ـ ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطاب ﷺ قال: ما مِيتَةٌ بعدَ الموتِ في سبيل الله أحبُّ إليَّ مِنْ أن أموتَ بين شُعبتَيْ رَحْلي، أضرِبُ في الأرض أبتغي مِنْ فضلِ الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٢) [المزمل: ٢٠].

٢٧٢٢ ـ وقال عبد الله بنُ السَّعدي: إنه قدم على عمرَ بن الخطابِ ﷺ في خلافته، فقال له عمرُ: ألم أُحَدَّثْ أنك تَلِي مِنْ أعمالِ الناس أعمالاً، فإذا أعطيتَ العمالةَ كَرِهْتَها، فقلت: بلى. قال عمر: فما تريد إلى ذلك؟ فقال: إنَّ لي أفراساً وأعبُداً وأباعِرَ، أريد أنْ تكون عَمالتي صدقةً على المسلمين. قال عمر: لا تفعل؛ فإنِّي كنتُ أردتُ الذي أردتَ، فكان

---

(١) البخاري (٦٣٧٨، و٦٣٨٠)، ومسلم (٢٤٨٠).

(٢) تقدم برقم (٢٦٤٣).

رسولُ ﷺ يعطيني العطاءَ، فأقولُ له: أعطِه مَنْ هو أفقرُ إليه مني، حتى أعطاني مرةً مالاً، فقلت له: أعطِه أفقرَ إليه مني، فقال لي النبي ﷺ: «**خذْهُ فتَمَوَّلْه وتصدَّقْ به، فما جاءكَ مِنْ هذا المالِ وأنت غيرَ مُشرِفٍ ولا سائلٍ فخذه، وإلا فلا تُتبِعه نفسَك**»[1].

٢٧٢٣ ـ وروى عُروةُ بن الزبيْرِ عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: لما استُخْلِفَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: لقد علم قومي أنَّ حِرْفتي لم تكن تَعجزُ عن مُؤْنَةِ أهلي، وشُغِلْتُ بأمورِ المسلمين، فسيأكلُ آلُ أبي بكر مِنْ هذا المالِ وأحترِفُ للمسلمين فيه[2].

٢٧٢٤ ـ ودخل عمر بن الخطابِ رضي الله عنه السوقَ يتعاهدُها، فقيل له: كيف رأيت يا أميرَ المؤمنين؟ قال: رأيتُ العبيدَ والموالي جُلَّ أهلِها، وما رأيتُ بها مِنَ العربِ إلا قليلاً، وكأنَّه قد ساءَه ذلك. قالوا: يا أميرَ المؤمنين، قد أغنانا اللَّهُ عنها بالغِنى، ونكره الدَّناءَةَ، ويكفينا غِلمانُنا وموالينا. قال: والله لئِنْ تركتموهم وإياها ليحتاجَنَّ رجالُكم إلى رجالِهم، ونساؤكم إلى نسائِهم.

٢٧٢٥ ـ وقال حذيفةُ: خيارُكم مَنْ لم يدع دُنياه لآخرتِه ولا آخرتَه لدنياه.

٢٧٢٦ ـ وقال شعيب بنُ حربٍ ليوسفَ بنِ أسباط: يا أبا محمد، بلغكَ أنَّ طلبَ الحلالِ فريضةٌ والصلاةَ في الجماعة سنةٌ؟ قال: نعم. قلت: يا أبا محمدٍ، ترى الرجلَ عندَه ما يأكلُ السنةَ والسنتين يطلُب؟ قال: نعم، هذا زمانُ طلبٍ.

٢٧٢٧ ـ قال عروةُ بن الزُّبيْرِ: إذا رُزِقَ العاقلُ مالاً نظرَ فيه، فإنه لا يدري لعلَّه آخرُ رزقِه.

---

(١) البخاري (٧١٦٣)، ومسلم (١٠٤٥). وانظر ما تقد برقم (٢٦٤٤).

(٢) البخاري (٢٠٧٠).

٢٧٢٨ - وروى أبو هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «**بينما أيوبُ يغتسلُ عُرياناً، خَرَّ عليه رِجْلٌ مِنْ جرادٍ مِنْ ذهب، فجعل يَحثي في ثوبِه، فناداه ربُّه: يا أيوبُ، ألم أكُنْ أغنيتُك عمَّا ترى؟ قال: بلى يا ربِّ، ولكن لا غِنى بي عن بركتِك**»[١].

٢٧٢٩ - قال ابن وهب: قال لي مالك: مِنَ الناسِ مَنْ يُؤتيه اللَّهُ الملكَ فيتَّقي اللَّهَ فيه، ومنهم مَنْ يُبتلى بالفقرِ فلا يتَّقي اللَّهَ فيه.

٢٧٣٠ - وقالوا: مَنْ أصلحَ مالَه، فقد صانَ الأكرَمَيْنِ: دينَه وعِرْضَه.

٢٧٣١ - وقال قيسُ بنُ عاصم لبنيه: يا بَنِيَّ، احفظوا عني ثلاثاً، فلا أحدَ أنصحُ لكم مني: إذا أنا مِتُّ، فسَوِّدُوا كبارَكم ولا تُسَوِّدُوا صغارَكم، فيحْقِرُ الناسُ كبارَكم، فتهونوا عليهم، وعليكم بحفظِ المال؛ فإنَّه مَنْبَهَةٌ للكريم، ويُستغنَى به عنِ اللَّئيم، وإياكم والمسألةَ؛ فإنَّها شرُّ كسبِ المرءِ.

٢٧٣٢ - وقال المعتمر بن سليمان: عليك بإصلاحِ دينِك، فإليه معادُك، وعليك بإصلاح مالِك، ففيه معاشُك، وعليك بالعلمِ، فإنَّه زَيْنُك.

٢٧٣٣ - قال مالكٌ عن يحيى بنِ سعيد أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ كان يقول: مَنْ كانت له أرضٌ فليعمُرها، ومَنْ كان له مالٌ فليُصلِحْه، فيوشِكُ أنْ يأتيَ مَنْ لا يُعطي إلا مَنْ أحبَّ.

٢٧٣٤ - وكان سفيانُ الثوريُّ يقول: مَنْ كان في بيتِه شيءٌ فليصلِحْه، فإنَّك في زمانٍ إذا احتاج الرجلُ فيه إلى الناس كان أولَ ما يبذُلُ دينُه.

٢٧٣٥ - وقال سعد القصر: ولاني عُتبةُ بنُ أبي سفيانَ أموالَه بالحجازِ، فلمَّا ودعتُه، قال: يا سعدُ، تعهَّدْ صغيرَ مالي يكبُرُ، ولا تُغفِلْ كبيرَه فيصغر؛ فإنه ليس يمنعُني كثيرُ ما في يدي مِنْ إصلاحِ قليلِه، ولا قليلُ ما

---

(١) البخاري (٣٣٩١).

بيدي مِنَ الصبْرِ على كثيرِ ما يَنوبُني. قال سعد: فقدمتُ المدينةَ، فحدثتُ به رجالاتِ قريشٍ، فابتدروا به الكتبَ إلى الوكلاءِ.

٢٧٣٦ ـ وقال بعض الحكماء: بذلُ الحِيلةِ في طلبِ الحلالِ، وقلَّةُ الحوائجِ إلى الناس أفضلُ العبادةِ.

٢٧٣٧ ـ وقال سعيد بن المسَيَّبِ: لا خيْرَ فيمن لا يجمعُ المالَ، فيكفُّ به وجهَه، ويقضي به دَينَه، ويصونُ به عِرْضَه، ويؤدِّي به أمانتَه.

٢٧٣٨ ـ وكان عبدُ الله بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ أحدَ العقلاء، فقال له عبد الملك بن مروان يوماً: ما مالُك؟ قال: شيئان: الرِّضى عنِ اللَّهِ، والغِنى عنِ الناسِ. فلمَّا نهض قِيلَ له: هلاَّ أخبَرتَه بمقدارِ مالِك؟ قال: لا يعدُو أنْ يكونَ قليلاً فيحقِرُني، أو كثيراً فيحسُدني.

٢٧٣٩ ـ وقال زيادٌ: لو كان لي مائةُ ألفِ ألفٍ وبعيرٌ أجربُ، لقمتُ عليه قيامَ مَنْ لا مالَ له غيْرُه، ولو أنَّ عندي عشرةُ دراهم لا مالَ له عندي غيْرُها، ولزمني حقٌّ، لوضعتها فيه.

٢٧٤٠ ـ وقيل لأبي الأسودِ: إنك لأظرَفُ الناسِ لولا إمساكٌ فيك. قال: وما خيْرُ وعاءٍ لا يَحفظُ ما فيه.

٢٧٤١ ـ ورُوِيَ عن عبد الله عمرَ أنه قال: اعمَلْ لآخرَتِك كأنك تموتُ غداً، واحرُث لدُنياك كأنك تعيش أبداً.

٢٧٤٢ ـ ورُوِيَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ أنه قال: حبُّ الكِفايةِ مفتاحُ المعجزةِ.

٢٧٤٣ ـ وقيل لخالدِ بنِ صفوانَ: ما لك لا تُنفقُ؛ فإنَّ مالَك عريضٌ؟ فقال: الدهرُ أعرضُ منه. فقيل: كأنكَ أَمِنْتَ أنْ تعيشَ الدهرَ كلَّه. قال: ولا أتيقَّنُ أني أموت غداً.

٢٧٤٤ ـ وقال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ: قِلَّةُ العِيالِ أحدُ اليَسارَيْنِ.

٢٧٤٥ ـ وقال غيره: العِيالُ سوسُ المالِ.

٢٧٤٦ ـ وقال أيوبُ: قال لي أبو قِلابَةَ: يا أيوبَ، احفظْ مني ثلاثَ خِصالٍ: إيَّاك وأبوابَ السلاطين، وإياك ومُجالسةَ أهلِ الأهواءِ، والزَمْ سُوقَك؛ فإنَّ الغِنى مِنَ العافيةِ.

٢٧٤٧ ـ وقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا معشرَ القُرَّاءِ، استَبِقُوا الخيْراتِ، وابتغوا مِنْ فضلِ الله، ولا تكونوا عِيالاً على الناس.

٢٧٤٨ ـ وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إني لأرى الرجلَ فيعجِبُني، فأقول: هل له حِرْفةٌ، فإنْ قالوا: لا، سقطَ مِنْ عيني.

٢٧٤٩ ـ وروى خالدُ بنُ مَعْدان عنِ المقدامِ عنِ النبيِّ ﷺ قال: **«ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً مِنْ أنْ يأكلَ مِنْ عملِ يدِه، وإنَّ نبيَّ اللَّهَ داودَ كان يأكلُ مِن عملِ يدِه»**[1].

٢٧٥٠ ـ ولمحمد بن حازمٍ.

إذا اقْتَصَدَ الفَتَى في المالِ قالوا ... بَخِيلٌ لا يَهَشُّ إلى المَعَالي
وإنْ هُوَ سامَحَ الأقْوامَ فيه ... فيا لَكَ فيه مِنْ حُسْنِ المَقَالِ
خِداعَاً يَجْلِبُون جَدَاهُ حتَّى ... إذا أَعْرَوْهُ مِنْ نَشَبٍ ومالِ
وأدْبَرَ أمْرُهُ وَلَجَا إليهِمْ ... فَأَهْوَنُ ما يكونُ على الرِّجالِ
أرى لَكَ أنْ تَمُدَّ يَدَيْكَ قَصْداً ... بلا سَرَفٍ ولا إمْسَاكِ مالِ

٢٧٥١ ـ ولمنصورٍ:

أفْضَلُ مِنْ رَكْعَتَي قُنوتِ ... ونَيْلِ حَظٍّ مِنَ السُّكُوتِ

---

(١) البخاري (٢٠٧٢).

ومِنْ رِجالٍ بَنَوْا حُصُوناً تَصُونُهم داخِلَ البُيوتِ
غُدُوُّ عَبْدٍ إلى مَعَاشٍ يَرْجِعُ فيه بفَضْلِ قوتِ

٢٧٥٢ ـ ورُوِيَ عن بعضِ الحكماءِ: «**مَنْ أَمسى وانِيًا مِنْ طلبِ الحلالِ، باتَ مغفوراً له**»[1].

٢٧٥٣ ـ ولبعضهم:

إذا قلَّ مالُ المرْءِ قَلَّ بَهاؤُهُ وضاقَتْ عليه أرضُهُ وسماؤُهُ
وأصبحَ لا يدري وإنْ كان حازِمَاً أقُدَّامُه خَيْرٌ له أمْ ورَاؤُهُ

٢٧٥٤ ـ وكان ابن عمرَ وسالِمٌ يخرُجان إلى السوقِ، فيجلسان فيه، وكان ابن المسيبِ يجلس في أصحاب العَباءِ.

٢٧٥٥ ـ قيل لمالك: فالرجلُ يكون له الفضلُ يحضُرُ السوقَ، فيقارب في ذلك الشيءِ لمكانِ فضلِهِ، فقال: لا بأس بذلك.

٢٧٥٦ ـ وقد كان عمرُ بن الخطاب ﷺ يحضُرُ السوقَ.

٢٧٥٧ ـ وقال بعض الحكماءِ: الأسواقُ موائِدُ اللَّهِ تعالى في أرضِه، فمن أتاها أصاب منها.

٢٧٥٨ ـ ولابن عطاء[2]:

إذا المرْءُ لم يَطْلُبْ مَعَاشَاً لنَفْسِهِ شكا الفَقْرَ أو لامَ الصَّديقَ فأكْثَرَا
وصارَ على الأدْنَيْنِ كَلاًّ وَأَوْشَكَتْ صِلاتُ ذَوِي القُربى له أنْ تَنَكَّرَا

---

(١) ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٥٢٠) مرفوعاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «**من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له**». وقال: لا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٦٣، وقال: فيه جماعة لم أعرفهم.

(٢) وتنسب الأبيات أيضاً إلى عروة بن الورد، وهي في ديوانه، وقبل البيت الأخير:
وما طالبُ الحاجتِ من كلِّ وجهةٍ من الناس إلا من أجدَّ وشمَّرا

فَسِرْ في بلادِ اللَّهِ والْتَمِسِ الغِنَى تَعِشْ ذا يَسَارٍ أوْ تَمُوتَ فَتُقْبَرَا
ولا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بِدُونٍ ولا تَنَمْ وكيفَ ينامُ اللَّيلَ مَنْ كانَ مُعْسِرَا

* * *

١٧٣ ـ الانتفاع بالمال

٢٧٥٩ ـ رُوِيَ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ لما قدمَ البصرةَ، جلس للناس، فسأل الحارثيِّينَ عنِ الربيعِ بنِ زيادٍ، فأُخبِرَ أنه عليلٌ مِنْ نشَّابةٍ كانت أصابته قبلَ ذلك، فانتفضت عليه، فذهب ليعودَه فرأى سَعَةَ دارِه، وقد خطَّها خمسةَ آلافِ ذراعٍ، فإذا بناؤها بالقصبِ، فلمَّا صار إلى الربيعِ، قال: كيف تَجِدُك؟ قال: أجِدُني لو كانت عيناي بذَهابِ هذا الأمرِ لتمنَّيتُه. قال عليٌّ: فوالذي نفسي بيده، ليأْجُرَنَّكَ اللَّهُ بمثلِ الدنيا لو كانت لك فطلبتَ بها الآخرةَ. إنَّ اللَّهَ يعطي العبدَ بقدرِ رَوعتِهِ وصَرعتِه وبَليَّتِه وألمِه ومصيبتِه بما لا يُقايِسُ خلقَه، وعند الله في ذلك تضعيفٌ كثيرٌ. ثم أجالَ بصرَه في الدارِ، قال: ما رجوتَ مِنْ سَعَةِ ما أرى، ما أحوجَك إلى التَّوسعةِ في أمرِ مَعادِك.

ثم قال الربيعُ: يا أميرَ المؤمنين، أَعْدِنِي[١] على عاصمِ بن زيادٍ، وكان أخاه لأبيه وأمِّه، وكان تحتَ عاصمٍ بنتُ أبي موسى الأشعريِّ، كانت أمها بنت الرومي، ملكٌ مِنْ ملوك حِمْيَرَ، وكانت أولَ مَنِ ابتذلَ بُرودَ اليمن في الفَرشةِ والسُّتورِ، وكان عاصمٌ يلبَسُ العباءَةَ، فأنكرت امرأتُه ذلك فاعتزلته، فأرسل عليٌّ ﷺ إلى عاصمٍ، فأتاه في عباءةٍ، فوقف بين يديه، فعبس في وجهه، ثم قال له: أمَا رحِمْتَ ولدَك؟ أما استحييتَ مِنَ أهلِك؟ أترى اللَّهَ أباحك الطيباتِ وهو يكره أنْ تأخذَ منها؟ أنت أهونُ على الله مِنْ ذلك، أوَمَا رأيتَ الله يقول في كتابه: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا

---

(١) أي: انصرني.

﴿فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١﴾ [الرحمن: ١٠ ـ ١١] إلى قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن: ٢٢]. والله لابتِذالُك نِعَمَ اللَّهِ بالفعالِ أحبُّ إليه منه بالمقالِ؛ فإنَّه عزَّ مِنْ قائلٍ يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١].

قال عاصمٌ: فما بالُك يا أميرَ المؤمنين في خُشونة ملبَسِك، وخشونةِ مأكَلِك؟ قال: إنَّ اللَّهَ تعالى فرض على أئمةِ الخلْقِ أنْ يعدِلُوا أنفسَهم بضَعَفَةِ الناسِ، لئلا يتمنَّعَ بالفقيرِ فقرُه.

٢٧٦٠ ـ قال الأصمعيُّ: قال بعض الأعراب: إذا كانَ الرأيُ عند مَنْ لا يُسمَعُ منه، والسلاحُ عند مَنْ لا يستعملُه، والمالُ عند مَنْ لا يُنفقُه، ضاعتِ الأمورُ.

٢٧٦١ ـ وقال رجلٌ للحسنِ: إنَّه قد وسَّعَ الله علينا، فنسألُ شيئاً مِنْ عطرٍ وكسوةٍ، ولو شئنا اكتفينا بدونِها، فما تقول؟ قال: أيُّها الرجلُ، إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد أدَّبَ أهلَ الإيمانِ فأحسنَ أدبَهم، فقال: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]. إنَّ الله ما عذَّبَ قوماً أعطاهم الدنيا فشكروه، ولا عذَّبَ قوماً زوى عنهمُ الدنيا فعصَوْه.

٢٧٦٢ ـ قال مالكٌ: مِنَ السعادةِ: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والمركبُ الهنِيء(١).

٢٧٦٣ ـ وسُئِلَ مالكٌ عن قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧] فقال: أنْ يعيشَ ويأكلَ ويشربَ، غيْرَ مُضيَّقٍ عليه في رأيٍ.

* * *

---

(١) وروي ذلك مرفوعاً عن النبي ﷺ من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ رواه أحمد ١٦٨/١، وصححه ابن حبان (٤٠٣٢). ولفظه: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار صالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء**».

١٧٤ ـ الاستعانة بالمال على الدين والتوصل إلى الآخرة

٢٧٦٤ ـ قال أبو هريرة ﷺ: إنَّ رسولَ الله ﷺ: **«لا تَحاسُدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاهُ اللَّهُ القرآنَ، فهو يتلوه آناءَ الليلِ والنهارِ، فهو يقول: لو أُوتِيتُ مِثلَ ما أُوتِيَ فلانٌ هذا، فعلتُ كما يفعلُ، ورجلٌ آتاهُ اللَّهُ مالاً، فهو يُنفقُه في حقِّه، فيقول: لو أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ هذا عملتُ فيه مِثْلَ ما يعملُ»**[1].

٢٧٦٥ ـ وروى قَتادةُ عن أنسٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«ما مِنْ مسلم يغرِسُ غرْسَاً أو يزرعُ زرعاً، فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بَهيمةٌ، إلا كان له صدقةٌ»**[2].

٢٧٦٦ ـ وروى مَعْمَرٌ عنِ الزُّهريِّ أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ ﷺ تصدَّقَ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بشطْرِ مالِه بأربعة آلافٍ، ثم تصدَّق بأربعين ألفاً، ثم تصدَّقَ بأربعينَ ألفِ دينارٍ، ثم حملَ على خمسمائة فرسٍ في سبيلِ اللَّهِ، ثم حملَ على ألفٍ وخمسمائةِ راحلةٍ في سبيلِ الله، وكان عامَّةُ مالِه مِنَ التجارة[3].

٢٧٦٧ ـ ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«مَنْ جهَّزَ جيشَ العُسْرَةِ فله الجَنَّةُ»**، فجهَّزه عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ. وقال: **«مَنْ يشتري بئْرَ رُومَةَ فيكون دلْوُه كدِلاءِ المسلمين فله الجنةُ»**، فاشتراها عثمان ﷺ[4].

٢٧٦٨ ـ وقال الحسنُ البصريُّ: إنَّ اللَّهَ قد رفع عنكمُ النِّسيانَ والخطأَ

---

(١) البخاري (٥٠٢٦، و٧٢٣٢، و٧٥٢٨).

(٢) البخاري (٢٣٢٠)، ومسلم (١٥٥٢).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٢٠)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩٩/١.

(٤) رواه بهذا اللفظ البخاري تعليقاً برقم (٢٧٧٨). وانظر الترمذي (٣٧٠٤)، والنسائي ٢٣٥/٦.

وما أُكرِهتُم عليه وما لا تُطيقون، وأحلَّ لكم في حالِ الضَّرورةِ أشياءَ مِمَّا حرَّم عليكم، وأعطاكم خمساً:

أعطاكمُ الدنيا قرضاً، وسألَكُموها قرضاً، فما أعطيتُموه طيِّبَةً به أنفُسُكم جعلَ التَّضعيفَ مِنْ عشرةٍ إلى سبعمائةٍ إلى ما لا يُحصيه غيْرُه حين يقول تبارك وتعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].... إلى آخر الآية. وما أخذ منكم كُرهاً فاحتَسبتموه وصبَرتم، جعل لكم به الصلاةَ والرحمةَ وتحقيقَ الهُدى حين يقول تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٦ ـ ١٥٧].

والثالثة: إنْ شكرتُم لأَزيدَنَّكم.

والرابعة: لو أساء مسلمٌ حتى تبلُغَ إساءَتُه الكفرَ ثم تابَ، تابَ اللَّهُ عليه وأحبَّه حين يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والخامسة: لو أعطاها جبْريلَ وميكائيلَ، لكان قد أجزلَ لهما العطاءِ حين يقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٢٧٦٩ ـ وقال سعيدُ بن جُبَيْرٍ: متاعُ الغُرورِ: هو ما يُلهيكَ عنْ طلبِ الآخرةِ، وما لم يُلْهِكَ عنها فليس بِمَتاعٍ، ولكنه مَتاعُ بلاغٍ إلى ما هو خيْرٌ منه.

٢٧٧٠ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: ليس خيْرُكم مَنْ ترك الدنيا للآخرةِ، ولا الآخرةَ للدنيا، ولكن خيْرُكم مَنْ أخذ مِنْ هذه لهذه.

* * *

١٧٥ ـ الأعمال بالنيات

٢٧٧١ ـ روى عمر بن الخطاب ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**الأعمال بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لامرئٍ ما نَوَى؛ فمن كانت هجرتُه إلى اللَّهِ ورسولِه، فهجرتُه إلى اللَّهِ ورسولِه، ومَنْ كانت هجرتُه إلى دنيا يُصيبُها أو امرأةٍ يتزوجُها، فهجرتُه إلى ما هاجرَ إليه**»(١).

٢٧٧٢ ـ وروى سفيانُ عن زُبَيْدٍ اليامِيِّ، قال: يسُرُّني أنْ يكونَ لي في كلِّ شيءٍ نيَّةٌ حتى في الأكلِ والنومِ.

٢٧٧٣ ـ وروى أهلُ العراق عن أبي ذَرٍّ ﷺ عنه أنهم سألوه، فحدَّثهم ثم قال: تعلمون أنَّ هذه الأحاديث التي يُبتغى بها وجهَ اللَّهِ تعالى لن يتعلَّمَها أحدٌ يريد بها عَرَضَ الدنيا، فيجدُ عَرْفَ الجنةِ(٢) أبداً.

٢٧٧٤ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: نيةُ الرجلِ خيرٌ مِنْ عملِه(٣).

٢٧٧٥ ـ ومعنى ذلك: أنَّ النِّيَّةَ دُونَ عملٍ يُجزى عليها، والعمل دون نيةٍ لا يُجزى عليه.

* * *

١٧٦ ـ ما جاء في التفكر والاعتبار

٢٧٧٦ ـ قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

٢٧٧٧ ـ وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ

---

(١) البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧). وانظر هذا الحديث مع شرحه في كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١/٥٩ ـ ٩٢ بتحقيقي.

(٢) عَرْف الجنة: رائحتها.

(٣) وروي ذلك في حديث مرفوع عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٩٤٢)، وعنه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/٢٥٥، وقال: هذا حديث غريب. وضعفه الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٤/٢١٩. وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/٤٣٠.

ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

٢٧٧٨ ـ وقيل لأمِّ الدَّرداءِ: ما كان أفضلُ عبادةِ أبي الدَّرداءِ؟ قالت: التفكُّرُ.

٢٧٧٩ ـ وقال أبو الدَّرداءِ: تفكُرُ ساعةٍ خيْرٌ مِنْ قيامِ ليلةٍ.

٢٧٨٠ ـ قيل لمالك: وترى التفكُّرَ عملاً مِنَ الأعمال؟ قال: نعم، وهو اليقين؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]

٢٧٨١ ـ وقال الحسنُ البصريُّ: ما زال أهلُ العلمِ يعودون بالتذكُّرِ على التفكُّرِ، وبالتفكُّرِ على التذكُّرِ، ويُناطقون القلوبَ حتَّى نطقتْ، فإذا لها أسماعٌ وأبصارٌ، فنطقت بالحكمةِ، وضربتِ الأمثالَ، وأُورِثَتِ العلمَ.

٢٧٨٢ ـ وروى ابنُ القاسم عن مالكٍ، قال: كان عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ يمرُّ بالخَرِبَةِ، فينادي، يا خَرِبَةُ، أين أهلُك، مراراً، ثم يقول: بادوا وعامِرٌ على الأثرِ.

٢٧٨٣ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: مَنْ ألزَمَ قلبَه التفكُّرَ ملأَ اللَّهُ قلبَه نوراً وحكمةً.

٢٧٨٤ ـ وكان أبو مسلم الخَوْلانِيُّ إذا مرَّ بخَرِبَةٍ قال: يا خَرِبَةُ، أين أهلُك؟ ذهبوا وبقيتْ أعمالُهم، وانقطعتِ الشهوةُ وبقيتِ الخطيئةُ. ابنَ آدمَ، تركُ الذنبِ أيسَرُ مِنْ طلبِ التوبةِ.

٢٧٨٥ ـ وقال مجاهدٌ: مررتُ بخَرِبَةٍ مع ابنِ عمرَ، فقال: يا مجاهدُ، نادِهِ: يا خَرِبَةُ، أين أهلُكِ؟ أو ما فعل أهلُكِ؟ فناديتُ: فقال ابنُ عمر: ذهبوا وبقيتْ أعمالُهم، وانقطعتِ الشهوةُ وبقيتِ الخطيئةُ.

٢٧٨٦ ـ وكان مُحْرِزُ بنُ خلفٍ إذا ساح في قرطاجنَّةَ ومشى في قصورها يُنشد:

انظُرْ إلى الأطلالِ كيفَ تغيَّرتْ ... مِنْ بعدِ ساكِنِها وكيفَ تنكَّرتْ
سَحَبَ البِلَى أذيالَهُ برُسومِهَا ... فتساقطَتْ أحجارُها وتكسَّرتْ
ومضى جَماعَةُ أهلِها بِسَبيلِهِم ... فتَغيَّبَتْ أخبارُهُم وتَسَتَّرتْ
لَمَّا نَظَرْتُ تفكُّراً لدِيارِهِمْ ... سَحَّتْ جُفوني عَبْرَةً وتَحَدَّرتْ
لو كنتُ أعْقِلُ ما أفقتُ مِنَ البُكا ... حَسْبِي هناك ومُقْلَتِي ما أبْصَرتْ
نَصَبَتْ لنا الدنيا زَخارِفَ حُسْنِها ... مَكْراً بنا وخَدِيعَةً ما فَتَّرتْ
وهي التي لَمْ تَحْلُ قَطُّ لِذائِقٍ ... إلا تَغَيَّرَ طَعْمُها وتَمَرَّرتْ
خَدَّاعَةٌ بِجَمالِها إذ أَقْبَلَتْ ... فَجَّاعَةٌ بِزوالِها إذْ أدْبَرتْ
وهَّابَةٌ سَلاَّبَةٌ لِهِباتِهَا ... طَلاَّبَةٌ لِخَرابِ ما قدْ عَمَّرتْ
فإذا بَنَتْ أمْراً وتَمَّ بِناؤُهُ ... نَصَبَتْ مَجانِقَها عليه فدَمَّرتْ
يا ربُّ فيك وإنْ ظَلَمْتُ رَجِيَّتِي ... يَسِّرْ عَلَيَّ إذا الأُمورُ تَعَذَّرتْ

٢٧٨٧ ـ ولآخر:

وتَعُدُّ كَثْرَةَ مَنْ يَموتُ تَعَجُّباً ... عَمَّا قليلٍ سوفَ تَدْخُلُ في العَدَدْ
وأراكَ تَحْمِلُهُمْ ولستَ تَرُدُّهُمْ ... وكأنَّنِي بك قدْ حُمِلْتَ ولَمْ تُرَدْ

* * *

١٧٧ ـ ما جاء في اليقين

٢٧٨٨ ـ وقال الحسن: إنَّ للهِ عباداً كمن رأى أهلَ الجنةِ في الجنةِ مخلَّدين، وأهلَ النارِ في النارِ مُعذَّبين، قلوبُهم محزونةٌ، وشُرورهم مأمونةٌ، وأنفسُهم عفيفةٌ، وحوائجُهم خفيفةٌ. صبَروا أياماً قليلةً، فصاروا لعاقبةِ راحةٍ طويلةٍ؛ أمَّا الليلُ، فصفوفٌ أقدامُهم، تجري دموعُهم على خدودِهم، ويَخِرُّون إلى ربِّهم: ربَّنا ربَّنا. وأمَّا النهارُ، فعلماءُ حُلماءُ، بَرَرَةٌ أتقياءُ،

كأنَّهمُ القِداحُ؛ إذا نظر إليهمُ الناظرُ حسِبَهم مرضى وما بالقومِ مِنْ مرضٍ، وكأنَّما خُولطوا، ولقد خالطَ القومَ أمرٌ عظيمٌ.

٢٧٨٩ ـ ورُوِيَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ أنه قال: إنَّ الرَّوحَ والفَرَجَ في اليقينِ، والرِّضا والهمَّ والحزنَ في الشَّكِّ والسُّخْطِ.

* * *

١٧٨ ـ ما جاء في التقوى

٢٧٩٠ ـ قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٢٧٩١ ـ وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢٧٩٢ ـ ورُوِيَ عن زُبَيْدٍ، عن مُرَّةَ أنه قال: قال عبدُ الله في هذه الآية: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: حقُّ تُقاتِه: أنْ يُطاعَ فلا يُعصى، وأنْ يُشكرَ فلا يُكفرَ، وأنْ يُذكرَ فلا يُنسى.

٢٧٩٣ ـ ورُوِيَ عن عليٍّ ﷺ أنَّه خطبَ، فقال: إنَّ التقوى يومَ القيامةِ مطايا ذُلُلٌ، ركِبَها أهلُها، وأعطَوْهَا أزِمَّتَها، فسارت حتى أتَوْا ظِلاً ظليلاً، فنَزلوا وتحدَّثوا، ففُتِحَتْ لهم أبوابُ الجنةِ، ففاح عليهم زهرتُها ونعيمُها، وقيل: ادخلُوها بسلامٍ آمنين. ألا وإنَّ الخطايا خَيْلٌ شُمْسٌ حُمِلَ عليها أهلُها، ونُزِعَ لُجُمُها، فحمحمت بهم حتى ألقتهُم في النارِ.

٢٧٩٤ ـ وقال بعضُ الصالحين: إنِّي أعرفُ آيةً لو أخذ بها الناسُ لكفتهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

٢٧٩٥ ـ وأنشدوا:

بتقوى الإلهِ نَجا مَنْ نَجا ... وفازَ وأدْرَكَ ما قدْ رَجَا
ومَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ ... كما قال مِنْ أمْرِهِ مَخْرَجَا

٢٧٩٦ ـ وقال عمرُ بنُ الخطاب ﷺ: مَنْ خاف اللَّهَ لم يشْفِ غيْظَه، ومَنِ اتَّقى اللَّهَ لم يصنعْ كلَّ ما يُريدُ. ولولا يومُ القيامةِ لكانَ غيْرَ ما ترونَ.

٢٧٩٧ ـ وكتبت عائشةُ إلى معاويةَ ﷺ: أمَّا بعدُ، فاتَّقِ اللَّه؛ فإنَّك إنِ اتقيتَ اللَّهَ كفاك الناسَ، وإنِ اتَّقيتَ الناسَ لم يُغنوا عنك مِنَ الله شيئاً.

٢٧٩٨ ـ وقال الأعمشُ: مَنْ كان رأسَ مالِه التقوى، كَلَّتِ الأنفُسُ عن وصفِ رِبْحِه.

٢٧٩٩ ـ وقال بعضُ الصالحين: إنَّ اللَّهَ يحبُّ الأتقياءَ الأخفياءَ، الذين إنْ غابوا لم يُفتَقَدُوا، وإنْ حضروا لم يُعرَفوا، قلوبُهم مصابيحُ الهدى، يَخرجون مِنْ كلِّ فِتنةٍ عمياءَ.

٢٨٠٠ ـ وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: لكلِّ شيءٍ معدِنٌ، ومعدِنُ التَّقوى قلوبُ العارفين، عقَلُوا عن أمره، فاتَّقَوْهُ في أمرِه ونَهيِه.

٢٨٠١ ـ وقال ابنُ المعتَزِّ: التقوى هي العُدَّةُ الباقيةُ، والجُنَّةُ الواقيةُ، ظاهرُ التقوى شرفُ الدنيا، وباطِنُها شرفُ الآخرةِ.

٢٨٠٢ ـ وقال مجاهدٌ: كان لُقمانُ عبداً نُوبِيّاً مُجَدَّعاً، ذا مَشافِرَ، مُصْطَكاً، فقيل له: ألستَ عبدَ بني فلانٍ؟ قال: بلى. قيل: فما بلغَ بك هذا؟ قال: تقوى اللَّهِ وطولُ الصمتِ، وتركي ما لا يعنيني.

٢٨٠٣ ـ وروى ابنُ وهبٍ عن مالكٍ: أنَّ زيدَ بنَ أسلمَ كان يقول: ابنَ آدمَ، اتَّقِ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُحبكَ الناسُ وإنْ كرهوا.

٢٨٠٤ ـ قال ابنُ أبي أُوَيْس: قال مالكُ بن أنس: كان وهبُ بنُ كيْسانَ يقعدُ إلينا، ثم لا يقومُ أبداً، حتى يقولَ لنا: إنَّه لا يصلُحُ آخرُ هذا الزمانِ إلا ما أصلَحَ أوَّلَه. قلت له: تريدُ ماذا؟ قال: التُّقَى.

٢٨٠٥ ـ ولما حضرتْ عبدَ الله بنَ شدَّادٍ الوفاةُ دعا ابنَه محمداً، فقال:

يا بُنيَّ، أرى داعيَ الموتِ لا يُقلعُ، ومَنْ مضى لا يَرجعُ، ومَنْ بقيَ فإليه يَنْزِعُ، يا بُنيَّ، ليكُنْ أَوْلى الأمورِ بك تقوى الله تعالى في السِّرِّ والعلانيةِ، والشُّكرُ لله وصدقُ الحديثِ؛ فإنَّ الشَّكورَ يُزادُ، والتقوى خيْرُ زادٍ.

٢٨٠٦ ـ كما قال الحُطَيْئَةُ:

ولستُ أرى السَّعادَةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكنَّ التَّقِيَّ هو السَّعيدُ
وتَقوى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْراً ... وعندَ اللَّهِ للأَتْقَى مَزِيدُ
وما لا بُدَّ أنْ يأتي قَريبٌ ... ولكنَّ الذي يَمضي بَعيدُ

٢٨٠٧ ـ وقال أبو الدَّرداءِ:

يقولُ المرءُ فائِدَتي ومالي ... وتَقوى اللَّهِ أفْضَلُ ما استَفَادا
يُريدُ المَرْءُ أنْ يُعْطَى مُناهُ ... ويَأْبَى اللَّهُ إلا ما أرادا

٢٨٠٨ ـ وللأعمشِ:

إذا أنتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزادٍ مِنَ التُّقَى ... ولاقَيْتَ بعدَ المَوْتِ مَنْ قد تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ على أنْ لا تكونَ كَمِثْلِهِ ... وأنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ بِمَا كان أرْصَدَا

٢٨٠٩ ـ ولأبي العتاهيةِ:

ألا إنَّمَا التَّقوى هو العِزُّ والكَرَمْ ... وحُبُّك للدنيا هو الذُّلُّ والعَدَمْ
وليسَ على عبدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ ... إذا صَحَّحَ التَّقْوى وإنْ حاكَ أو حَجَمْ

٢٨١٠ ـ وقال أبو بكر الأنباريُّ: قرأتُ على قبْرٍ بالأُبُلَّةِ:

الموتُ بَحْرٌ غالِبٌ مَوْجُهُ ... تَضِلُّ فيه حِيلَةُ السَّابِحِ
يا بِنْتِ إنِّي قائِلٌ فاسْمَعِي ... مَقالَةَ مِنْ مُشْفِقٍ ناصِحِ
ما صَحِبَ الإنسانَ مِنْ عُمْرِهِ ... مِثْلُ التُّقَى والعَمِلِ الصَّالِحِ

٢٨١١ ـ وقال الحسنُ: إنَّ لأهلِ التقوى علاماتٍ يُعرفون بها: صِدقُ الحديث، ووفاءٌ بالعهدِ، وصِلةُ الرَّحِمِ، ورحمةُ الضُّعفاءِ، وقِلَّةُ الفخرِ

والكِبْرِ، وبذلُ المعروفِ، وحُسْنُ الخُلقِ، وسَعَةُ الحِلمِ، واتِّباعُ العلمِ فيما يُقرِّبُ إلى اللَّهِ.

* * *

١٧٩ ـ ما جاء في العبادة

٢٨١٢ ـ قال بعضُهم: العبادةُ: الفراغُ.

٢٨١٣ ـ وقال بعضهم: إقبالُ العبدِ على ربِّه، وشغلُه بذكرِه.

٢٨١٤ ـ والعبادةُ عندي أداءُ الفرائضِ، واجتنابُ المحارمِ، والأخذُ بحظٍّ مِنَ النوافلِ.

٢٨١٥ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

٢٨١٦ ـ وقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩].

٢٨١٧ ـ وقال أبو الدَّرداءِ: ليس الخيْرُ أنْ يكثُرَ مالُك وولدُك، ولكن الخيْر أنْ يعظُمَ حِلمُكَ، ويكثُرَ علمُك، وتُباري الناسَ في عبادةِ اللَّهِ، فإنْ أحسنتَ حَمدتَ اللَّهَ ربَّك، وإنْ أسأتَ استغفرتَ مِنْ ذنبِك.

٢٨١٨ ـ وقال الحسنُ: مَنْ أحسنَ عبادةَ اللَّهِ في شَبيبتِه، لقَّاهُ اللَّهُ الحكمةَ عندَ كِبَرِ سِنِّه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٢﴾ [يوسف: ٢٢].

٢٨١٩ ـ وقال بعضُهم: نظر رجلٌ إلى قومٍ عملوا لرجلٍ عملاً، فأتَوْه يطلبون منه أُجرتَهم في عملِهم، فدخل بينهم، وقال: أعطِني أنا كما أعطيتَ هؤلاء، فقال له: فكيف أُعطيك ولم تعملْ شيئاً؟ اذهبْ عنِّي، فقال له:

وإنَّما تُعطي مَنْ عملَ لك؟ قال: نعم. فتحوَّلَ إلى نفسِه، فقال: يا نفسُ، تفكَّري في هذا؛ إنْ عملتِ أُعطيتِ، وإنْ لم تعملي لم تُعطَيْ شيئاً.

٢٨٢٠ ـ وقالت أمُّ مالكِ بن دينارٍ له: يا بُنيَّ، لو أقررتَ عيني بنظرِ يوم واحدٍ، فقال: يا أُمَّهْ: قد نُصِبَتْ لنا غايةٌ، وأُمرنا بالسباقِ إليها، وأنا أُضَمِّرُ نفسي اليومَ، عسى أنْ أسبِقَ غداً.

٢٨٢١ ـ ورُوِيَ عن وهبِ بن مُنَبِّهٍ أنه قال: قال حكيمٌ مِنَ الحكماء: إنِّي لأستحيي مِنْ ربِّي أنْ أعبدَه رجاءَ ثوابِ الجنةِ، فأكونَ كالأجير؛ إنْ أُعطِيَ أجراً عملَ، وإنْ لم يُعْطَ لم يعملْ. وإنِّي لأستحيي مِنْ ربِّي أنْ أعبدَه مخافةَ النارِ، فأكونَ كالعبدِ السُّوءِ إنْ رَهِبَ عملَ، وإنْ لم يرهَبْ لم يعملْ، ولكن أعبدُه بما هو له أهلٌ[(١)].

٢٨٢٢ ـ ورُوِيَ عن أبي الدَّرداءِ ﷺ أنه قال: لولا ثلاثٌ ما أحببتُ أنْ أعيشَ يوماً: الظَّمأُ للهِ بالهواجرِ، والسجودُ في جوفِ الليلِ، ومُجالسةُ أقوامٍ ينتقون خيارَ الكلامِ كما ينتقي أحدُكم أطايِبَ الثَّمرِ.

٢٨٢٣ ـ وقال أبو سُليمانَ الدَّارانِيُّ: إذا لَذَّتْ لك القراءةُ، فلا تركعْ ولا تسجدْ، وإذا لذَّ لك السجودُ فلا تقرأْ ولا تركعْ، الأمرُ الذي يُفتَحُ لك فيه فالزَمْه؛ أرأيتَ إنساناً يطلُبُ شيئاً فإذا وجده تركه؟.

٢٨٢٤ ـ ورُوِيَ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللَّهَ يحبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه**»[(٢)].

---

(١) عبادتنا لربنا سبحانه وتعالى بما هو له أهل لا تنافي رجاء ما عنده من الثواب، ولا خوف ما عنده سبحانه من العقوبة؛ فالمسلم الحق يكون بين الرجاء والخوف. وهذا نهج أنبياء الله عز وجل، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وانظر ما علقته في كتاب بحر الدموع لابن الجوزي ص٣٩.

(٢) البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥) من حديث عائشة.

٢٨٢٥ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه سمع امرأةً مِنَ الليل تُصلِّي، فقال: «**مَنْ هذه**»؟ فقيل: الحَوْلاءُ بنتُ تُوَيْتٍ، لا تنامُ الليلَ. فكَرِهَ ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ حتَّى عُرِفَتِ الكَراهيةُ في وجهِه، ثم قال: «**إنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا، أكلَفُوا مِنَ العملِ ما لكم به طاقةٌ**»[(١)].

٢٨٢٦ ـ وقالت عائشةُ ﵂: كان أحبَّ العملِ إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبُه[(٢)].

٢٨٢٧ ـ وقال الحسنُ: إنَّ هذا الدينَ دينٌ واصِبٌ[(٣)]، وإنَّ الحقَّ ثقيلٌ والإنسانَ ضعيفٌ.

٢٨٢٨ ـ وكان يُقالُ: لا يأخذْ أحدُكم مِنَ العملِ ما لا يُطيقُ؛ فإنَّه لا يدري ما قَدْرُ أجلِه. وإنَّ العبدَ إذا ركب بنفسِه العُنفَ وكلَّفَ نفسَه ما لا يطيقُ، يُوشكُ أنْ يترُكَ ذلك كلَّه حتَّى لعلَّهُ لا يُقيم الفريضةَ، وإذا ركب بنفسِه اليسيرَ والتَّخفيفَ، وكلَّفَ نفسَه ما يُطيقُ، كان أكثَرَ العاملين.

٢٨٢٩ ـ وكان يقال: شر السير الحقحقة[(٤)].

٢٨٣٠ ـ وقال الفُضيلُ بنُ عِياضٍ: لا يتقرَّبُ العبدُ إلى الله بشيءٍ أفضلَ مِمَّا افترضَ عليه، ولا يقبلُ اللَّهُ نافلةً حتَّى تُؤدَّى الفريضةُ. إنَّما الفرائضُ رُؤوسُ الأموالِ، والنوافلُ الأرباحُ.

٢٨٣١ ـ وكان يقول: اترُكوا النوافلَ إذا خِفتم أنْ تَضُرُّوا بالفرائضِ.

٢٨٣٢ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] ولم يقل: ليبلُوَكم أيُّكم أكثَرُ عملاً.

---

(١) البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٥) عن عائشة.

(٢) البخاري (٦٤٦٢)، ومسلم (٧٨٣).

(٣) أي دائم ثابت.

(٤) الخبر في الزهد لابن المبارك (١٣٢٩). والحقحقة: المتعب من السير.

٢٨٣٣ ـ وقال ابن مسعود ﷺ: أدِّ ما افترضَ اللَّهُ عليك تكُنْ مِنْ أعبدِ الناسِ، واجتنِبْ ما نَهاكَ اللَّهُ عنه تكُنْ مِنْ أورَعِ الناسِ، وارْضَ بِمَا قسمَ اللَّهُ تكُنْ مِنْ أقنَعِ الناسِ.

* * *

١٨٠ ـ ما جاء في الحياء

٢٨٣٤ ـ رُوِيَ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لكُلِّ دينٍ خُلُقٌ، وخُلُقُ الإسلامِ الحياءُ**»[(١)].

٢٨٣٥ ـ ورُوِيَ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ أنه قال: كان النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً مِنَ العذراءِ في خِدْرِها، فإذا رأى شيئاً كرِهَه عرفناه في وجهِه[(٢)].

٢٨٣٦ ـ ورُوِيَ عن أبي مسعودٍ البدريِّ: قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ مِمَّا أدرك الناسُ مِنْ كلامِ النُّبوَّةِ الأولى: إذا لم تستَحِ فاصنعْ ما شِئْتَ**»[(٣)].

٢٨٣٧ ـ ورُوِيَ عن عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ: قال النبيُّ ﷺ: «**الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ**»، فقال بشيرُ بنُ كعبٍ: مكتوبٌ في الحِكمةِ: إنَّ مِنَ الحياءِ وَقاراً، وإنَّ مِنَ الحياءِ سَكينةً. فقال له عِمرانُ بنُ حُصيْنٍ: أُحدِّثُك عن رسولِ الله ﷺ وتُحدِّثُني عن صحيفتِك[(٤)].

٢٨٣٨ ـ ورُوِيَ عن عبدِ الله بنِ عُمرَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ على رجلٍ

---

(١) حديث حسن. رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وأبو يعلى (٣٥٧٣) عن أنس بن مالك ﷺ. ورواه ابن ماجه (٤١٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن عبد البر في التمهيد ٤٢/٢١ عن معاذ بن جبل ﷺ وحسَّنه. ورواه الإمام مالك في الموطأ ٩٠٥/٢ عن زيد بن طلحة بن ركانة مرسلاً.

(٢) البخاري (٣٥٦٢، و٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٣) البخاري (٣٤٨٣).

(٤) البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧).

مِنَ الأنصارِ وهو يَعِظُ أخاه في الحياءِ، يقول: إنك تَستحيي، حتَّى كأنه يقول: قد أضَرَّ بك، فقال رسول الله ﷺ: «**دَعْهُ، فإنَّ الحياءَ مِنَ الإيمان**»[1].

٢٨٣٩ ـ ورُوِيَ عن أبي عبدِ الله الجَدَلِيِّ أنه قال: ما رفعَ داودُ رأسَه إلى السماءِ حتَّى ماتَ حياءً مِنْ ربِّه.

٢٨٤٠ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: لكلِّ شيءٍ كرمٌ، وكرمُ القلبِ الحياءُ، ولكلِّ شيءٍ زَيْنٌ، وزَيْنُ الحياءِ تركُ الذُّنوبِ، ولكلِّ شيءٍ ثَمرةٌ، وثَمَرةُ الحياءِ اكتسابُ الخيْرِ.

٢٨٤١ ـ وقال سُليمانُ: الحياءُ نِظامُ الإيمان، فإذا انحَلَّ النظامُ ذهب ما فيه.

٢٨٤٢ ـ وقال مالكُ بنُ أنسٍ: أولُ مَنِ اضطربَ الأخبيةَ في سفرِهِ عُثمانُ بنُ عفان رضي الله عنه وقال: إنِّي رجلٌ شديدُ الحياءِ، فأريدُ أنْ أستَتِرَ.

٢٨٤٣ ـ وقال الحسنُ: ثلاثُ خِصالٍ لا تكونُ إلا في نبيٍّ أو رجلٍ صالحٍ: الحياءُ والسخاءُ والزهدُ.

٢٨٤٤ ـ ورُوِيَ عنِ ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا مِنَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ**». قالوا: واللهِ إنَّا لنستَحْيي. قال: «**ليس ذلك. مَن استَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحياءِ، فليَحْفَظِ الرَّأسَ وما وَعَى، والبطْنَ وما حوى، وليذكُرِ الموتَ والبِلَى، ومَنْ أرادَ الآخرةَ ترك زِينةَ الدنيا، فمَنْ فعل ذلك، فقد استَحْيَى مِنَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ**»[2].

٢٨٤٥ ـ كان الأسودُ بنُ يزيدَ يَجتهدُ في العبادةِ، ويصومُ حتَّى يخضَرَّ

(١) البخاري (٢٤، و٦١١٨)، ومسلم (٣٦).

(٢) حديث ضعيف. رواه أحمد ١ ٣٨٧، والترمذي (٢٤٥٨)، وقال: هذا حديث غريب، أي ضعيف.

جسدُه ويصفَرَّ. فلمَّا حضرتْهُ الوفاةُ بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: ومَنْ أحقُّ بالبُكاءِ مِنِّي؟ واللهِ لو أيقنتُ بالمغفرةِ لأَهَمَّني الحياءُ مِنْ ربِّي مِمَّا عصيتُه. واللهِ إنَّ الرجلَ ليكونُ بينَه وبيْنَ صاحبِه الذنبُ العظيمُ فيغفرُه له، فلا يزالُ يستحييه أيامَ حياتِه، فاللهُ أحقُّ أنْ يُستَحْيَى منه.

٢٨٤٦ ـ ولبعضهم:

إذا قلَّ ماءُ الوَجْهِ قَلَّ حَياؤُهُ ... ولا خَيْرَ في وَجْهٍ إذا قَلَّ ماؤُهُ

٢٨٤٧ ـ ومعنى الحياءِ المأمور به: إذا كان سببَ الإمساكِ عمَّا لا يَحِلُّ أو يُنقِصُ المروءةَ. وأمَّا إذا منعَ شيئاً مِنَ الدِّيانةِ أو العلمِ، أو قضاءِ الحقوقِ التي عليه للهِ أو للناسِ، فهو مذمومٌ، واسمُ العِيِّ أحقُّ به.

٢٨٤٨ ـ وروتْ أمُّ سَلَمَةَ، قالت: جاءتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ الله لا يَستحيي مِنَ الحقِّ، هل على المرأةِ غُسلٌ إذا احتلمتْ؟ قال: «**نعم، إذا رأتِ الماءَ**»[1].

٢٨٤٩ ـ وقالت عائشةُ رضي الله عنها: نِعْمَ النساءُ نساءُ الأنصارِ؛ لم يمنعهُنَّ الحياءُ أنْ يتفقَّهنَ في الدينِ[2].

٢٨٥٠ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: لا يتعلَّمُ العلمَ مُستَحْيٍ ولا مُستكبِرٌ.

٢٨٥١ ـ ولحبيب بن أوسٍ الطائيِّ:

إذا لَمْ تَخْشَ عاقِبَةَ الليالي ... ولَمْ تَسْتَحْيِ فافْعَل ما تَشَاءُ

فلا واللهِ ما في العَيْشِ خَيْرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذهبَ الحَياءُ

يَعيشُ المَرْءُ ما استَحْيَى بِخَيْرٍ ... ويَبْقَى العُودُ ما بَقِيَ اللِّحَاءُ

* * *

(١) البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣١٣).

(٢) مسلم (٣٣٢). ورواه البخاري تعليقاً في كتاب العلم، باب الحياء من العلم.

١٨١ ـ ما جاء في أولياء الله تعالى

٢٨٥٢ ـ قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

٢٨٥٣ ـ ورُوِيَ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ أنه سُئِلَ: مَنْ أولياءُ الله تعالى؟ قال: الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

٢٨٥٤ ـ ورُوِيَ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ مِنْ عبادِ اللَّهِ مَنْ لو أقسمَ على الله لأبَرَّهُ**»[(١)].

٢٨٥٥ ـ وروى معمرٌ أنَّ الحسن كان إذا تلا هذه الآيةَ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. قال: هذا حبيبُ الله، هذا وليُّ اللَّهِ، هذا صفوةُ اللَّهِ، هذا خِيرَةُ اللَّهِ، هذا أحبُّ أهلِ الأرضِ إلى الله تعالى، أجابَ اللَّهَ تعالى في دعوتِه، وعمل صالحاً في إجابتِه، وقال: إنني من المسلمين لربه.

٢٨٥٦ ـ وكان إذا تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] قال: اللَّهمَّ أنتَ ربُّنا، فارزُقنا الاستقامةَ.

٢٨٥٧ ـ وقال الحسنُ: لولا الصالحون لفَسَدَتِ الأرضُ، ولولا العلماءُ لكان الناسُ كالبهائمِ، ولولا السلطانُ لأكل الناسُ بعضُهم بعضاً، ولولا الحمقى لخَربتِ الدنيا، ولولا الرِّيحُ لأنتَنَ ما بيْنَ السماءِ والأرضِ.

٢٨٥٨ ـ ورُوِيَ أنَّ النيلَ امتسكَ في زمنِ عمرَ بنِ الخطاب ﷺ فسُئِلَ القِبْطُ عن ذلك، فقالوا: إنَّا كنَّا إذا أتى وقتُ مُدُوده عمَدنا إلى جاريةٍ مِنْ بناتِ مُلوكِنا، فألقيناها حيَّةً في عرضه فيمدُّ، فما لم نفعلْ لا يمُدُّ، فأشفق المسلمون مِنْ ذلك، وكتبوا به إلى عمرَ ﷺ فكتب عمرُ كتاباً فيه: بسم الله

---

(١) البخاري (٢٨٠٦)، ومسلم (١٦٧٥) عن أنس بن مالك ﷺ.

الرحمن الرحيم، مِنْ عبدِ اللَّهِ عمرَ أميرِ المؤمنين إلى نيلِ مصرَ؛ سلامٌ عليك، فإنِّي أحمَدُ الله إليك الذي لا إله إلا هو، أمَّا بعدُ، فإنْ كنتَ تَجري بحولِك وقوَّتِك فلا حاجةَ لنا بك، وإنْ كنتَ تَجري بحولِ الله وقُوَّتِه، فاجْرِ على بركةِ الله، والسلامُ.

وكتب إلى عَمرو بنِ العاص وهو أميرٌ مصر يومئذٍ يأمرُه أنْ يُلقيَ كتابَه في عُرضِ النيلِ ففعل، فمدَّ النيلُ بإذنِ الله تعالى.

٢٨٥٩ ـ ولأبي عبد الله بنِ حُمَيْدٍ:

رُبَّ ذي طِمْرَيْن نِضْوٍ ... يَأْمَنُ العالَمُ شَرَّهْ
لا يُرَى إلا غَنِيّاً ... وهو لا يَمْلِكُ ذَرَّهْ
وهْوَ لو أَقْسَمَ في ... شَيْءٍ على اللَّهِ أَبَرَّهْ

❋ ❋ ❋

١٨٢ ـ ذكر المجتهدين

٢٨٦٠ ـ رُوِيَ عن المغيرةَ أنه قال: قام رسولُ الله ﷺ حتى تفطَّرتْ قدماه. قالوا: يا رسولَ الله، قد غفرَ اللَّهُ لك ما تقدَّم مِنْ ذنبِك وما تأخَّرَ. قال: «**أفلا أكونُ عبداً شكورا**»[١].

٢٨٦١ ـ وروى إسحاقُ بن عبد اللَّه بن أبي طلحةَ أنَّ رجلاً قال: لأَرْمُقَنَّ صلاةَ رسول الله ﷺ. قال: فصلَّى العشاءَ، ثم اضطجعَ غيْرَ كثير، ثم قام ففرغ مِنْ حاجتِه، ثم أتى مؤخَّرةَ الرَّحْلِ، فأخذ منه السِّواكَ، فاستَنَّ فتوضأ، فوالذي نفسي بيده ما ركع حتى ما درينا ما مضى مِنَ الليلِ أكثَرُ أم ما بقي منه، وحتى ركبني مِنَ النوم أمثالُ الجبال[٢].

---

(١) البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١٠٥، و١٢٣٥). ورواه مسلم (٧٦٥) عن زيد بن خالد الجهني ﷺ أنه قال: لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ ثم ذكر مثله.

٢٨٦٢ ـ ورُوِيَ عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الله، قال: كان عبد اللَّه بن مسعود إذا هدأتِ العيون قام، فسمعتُ له دَوِيّاً كدوِيِّ النحلِ حتى يُصبحَ[1].

٢٨٦٣ ـ وروي عليُّ بنُ الأقمَرِ عن أبي الأحوصِ، قال: إنْ كان الرجل لَيطوفُ الفُسطاطَ، فيسمع فيه دَوِيّاً كدَوِيِّ النحلِ، فما بال هؤلاء يأمَنونَ ما كان أولئك يخافونَ[2]؟.

٢٨٦٤ ـ وقال مجاهدٌ: ما المجتهدُ منكم إلا كاللاعب منهم.

٢٨٦٥ ـ وروى أبو الضُّحى عن مسروقٍ، قال: قال رجل مِنْ أهل مكةَ: هذا مقامُ أخيك تميم الدَّاريِّ، لقد رأيتُه ذاتَ ليلةٍ قام حتى أصبح أو كرَبَ أنْ يُصبحَ، يقرأ آيةً مِنْ كتاب الله يركع ويسجد ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

٢٨٦٦ ـ وقال أحمد بن حرب: يا عجباً لمن يعلمُ أنَّ الجنةَ تَزَيَّنُ فوقَه، والنارَ تُسَعَّرُ تحتَه كيف ينام بينهما!

٢٨٦٧ ـ وقيل لعامرِ بن عبد اللَّه: كيف صبْرُك على سهر الليل وظمأِ الهواجرِ؟ فقال: هل هو إلا أنِّي صَرفتُ طعامَ النهارِ إلى الليلِ ونومَ الليل إلى النهارِ.

٢٨٦٨ ـ وقال مُطَرِّفُ بن عبد اللَّه: لا يراني الله آكلاً بنهارٍ ولا نائماً بليلٍ أبداً إنْ شاء الله. فقيل له: يرحَمُك اللَّه! مَنْ يستطيعُ هذا؟ قال: وما أيسرَ ذلك؛ منْزلةٌ حوَّلتُها إلى أخرى، فجعلتُ الطعامَ في النهارِ إلى الليل، ونومَ الليلِ إلى النهارِ.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٩٧)، وابن أبي شيبة في المصنف ٧٣/٢، والحاكم في المستدرك ٣٥٦/٣.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٥٥/٧.

٢٨٦٩ ـ وقال أبو حازم: أدركتُ رجالاً ما كان يزيدُ دخولُ رمضانَ في اجتهادِهم شيئاً، ولا يُنقص خروجُه مِنَ اجتهادِهم شيئاً.

٢٨٧٠ ـ ورُوِيَ عن بلالِ بنِ سعدٍ أنه قال: زاهِدُكم راغبٌ، ومُجتهدُكم مقَصِّرٌ، وعالِمكم جاهلٌ، وجاهلُكم مغتَرٌّ.

٢٨٧١ ـ ورُوِيَ عن أبي مسلم الخَوْلانِيِّ أنه قيل له حيث كبُرَ ورَقَّ: لو قصَّرتَ عمَّا تصنعُ، فقال: أرأيتم إذا أرسلتم الخيلَ في الحَلَبةِ، ألستم تقولون لفوارِسِها: ارفُقوا بها، حتى إذا رأيتمُ الغايةَ، فلا تستَبْقُوا منها شيئاً؟ قالوا: بلى. قال: فإنِّي قد رأيتُ الغايةَ.

٢٨٧٢ ـ وروى ثابتٌ أنَّ أبا موسى أتى على ابنِه وهو ساجدٌ، فطاف سبعةَ أشواطٍ في البيت وابنُه لا يرفعُ رأسَه، فقال: يا بُنَيَّ، لو عمَدتَ إلى شيءٍ تُطيقه؛ فإنك لا تدري ما حسْبُ الحياة. قال: ومَنْ لي بتلك الحياة؟ قال: فاذهب فاصنع ما شئتَ.

٢٨٧٣ ـ ورُوِيَ أنَّ سفيانَ الثوريَّ أكل ليلةً حتى شبعَ، ثم قام حتى أصبح، ثم أنشد:

أشْبِعِ الزَّنْجِي وكُدَّهْ ... إنَّمَا الزَّنْجِي حمار

٢٨٧٤ ـ وكان طاووسٌ يفرش فراشَه، فيضطجعُ عليه، فيتقلَّى عليه كما تتقلَّى الحبةُ في المِقلى، ثم يثِبُ فيُدرِجُه، ويصلي إلى الصباح، ثم يقول: طيَّرَ ذكرُ جهنمَ نومَ العابدين.

٢٨٧٥ ـ ورُوِيَ أنَّ بعض الصالحين قدِمَ مِنْ سفرٍ، فمهَّدتْ له امرأتُه فراشاً فقام عليه، وكانت له ساعةٌ يصلي فيها، فنام عنها، فلمَّا أصبح حلفَ أن لا ينامَ على فراشٍ أبداً.

٢٨٧٦ ـ وكان عبد العزيز بن أبي رَوَّادٍ إذا جَنَّ الليلُ يأتي فراشَه، فيجرُّ عليه يدَه، ويقول: إنك لَيِّنٌ، وفراشُ أهلِ الجنةِ ألْيَنُ منك، فلا يزال يصلي الليل كلَّه.

٢٨٧٧ ـ وكان عَمرو بن عُتبةَ بن فرقَدٍ يَخرج ليلاً، فيقف على القبور، فيقول: يا أهلَ القبور، لقد طُوِيَتِ الصُّحفُ، لقد رُفعتِ الأعمالُ. ثم يبكي، ثم يصُفُّ قدميه، ثم يصلي الليلَ كلَّه، ثم يرجعُ فيشهد صلاة الصبح.

٢٨٧٨ ـ وقال الفُضيلُ: إني لأستقبلُ الليلَ مِنْ أولِه، فيهُولني طولُه، فأفتتحُ القراءةَ، فأصبح وما قضيتُ نُهمَتي.

٢٨٧٩ ـ وكان الحسنُ بنُ صالح وأخوه عليٌّ وأمُّهُما يختِمون القرآنَ كلَّ ليلةٍ، ثم مات عليٌّ، فكان حسنٌ يقوم كلَّ ليلةً.

٢٨٨٠ ـ وقال عبد الرحمن بن يزيد: كنَّا مع عطاءٍ الخُراسانِيِّ، وكان يُحيي الليلَ كلَّه، فإذا مضى مِنَ الليلِ ثُلُثُه أو أكثرُ مِنْ ذلك، نادى: يا عبدَ الرحمن بنَ يزيد، يا فلان، يا فلان، قوموا فتوضَّؤوا وصلُّوا، فإنَّ قيامَ هذا الليلِ وصيامَ هذا النهارِ أيسرُ مِنْ شربِ الصَّديدِ ومُقَطَّعاتِ النِّيرانِ، فالوحى[1] الوحى، والنجا النجا.

٢٨٨١ ـ وقال أبو الجُوَيْرِية: لقد صحبتُ أبا حنيفةَ ستةَ أشهرٍ، فما منها ليلةٌ وضعَ جنبَه.

٢٨٨٢ ـ وقيل: إنَّ أبا حنيفة مرَّ يوماً بقومٍ، فقالوا: هذا يُحيي الليلَ كلَّه، فسمعهم أبو حنيفةَ، وكان يُحيي نصفَ الليلِ، فقال: أراني أُوصَفُ بما لا أفعلُ، فكان بعد ذلك يُحيي الليلَ كلَّه.

٢٨٨٣ ـ وقال المغيرةُ بنُ حبيبٍ: رمقتُ مالكَ بنَ دينارٍ توضَّأ بعد العشاء، ثم قام إلى مُصلاهُ، فقبض على لحيته، فجعل يقول: اللَّهُمَّ حَرِّمْ شَيبةَ مالكٍ على النارِ. إلهي، قد علمتَ ساكنَ الجنةِ مِنْ ساكنِ النارِ، فأيُّ الرجلين مالكٌ؟ وأيُّ الدارين دارُ مالك؟ فلم يزَلْ ذلك فعله حتى طلَعَ النهارُ.

---

(١) الوحى: السرعة.

٢٨٨٤ ـ وأنشدوا في ذلك:

إذا ما الليلُ أظْلَمَ كابَدُوه فَيُسْفِرُ عنهم وهم رُكُوعُ
أطارَ الخَوفُ نَوْمَهُمُ فقاموا وأهلُ الأَمْنِ في الدنيا هُجُوعُ

٢٨٨٥ ـ ولَمَّا مات منصور بنُ المعتمِرِ، قال رجلٌ لأُمِّهِ: يا أمَّ منصورٍ، ما فعل منصورٌ؟ قالت: صام والله لم يُفطرْ، وقام فلم يَنَمْ.

٢٨٨٦ ـ وكانت لمنصورٍ جارةٌ لها ابنةٌ تصعدُ بها كلَّ ليلةٍ بعد العَتمةِ إلى سطحٍ لها، وتُنْزِلُها سَحَراً، وكانت تنظرُ إلى منصورٍ قائماً يُصلي، فلمَّا مات منصورٌ وصعدتِ المرأةُ وابنتُها، قالت: يا أُمَّهْ، ما فعل ذلك الجِذْعُ الذي كان على سطحِ منصورٍ؟ فقالت: يا بُنَيَّةُ، ما كان جِذعاً، إنَّما كان ذلك منصور.

٢٨٨٧ ـ ورُوِيَ أنَّ قوماً أرادوا سفراً، فحادُوا عنِ الطريقِ، فانتهَوْا إلى متعبِّدٍ منفردٍ عنِ الناسِ، فنادَوْه، فأشرف عليهم، فقالوا: قد أخطأنا الطريقَ، فكيف هو؟ فأومأ برأسِه إلى السماء، فعلم القومُ ما أراد، فقالوا: إنَّا سائلوك، فهل أنت مُجيبُنا؟ فقال: سلوا ولا تُكثروا، فإنَّ النهارَ لا يرجعُ، والعمرَ لن يعودَ، والطالبَ حثيثٌ ذو اجتهادٍ، فقالوا: على ما الخلقُ عند مليكِهم؟ قال: على نِيَّاتِهم. فقالوا: أوصِنا، قال: تزوَّدوا على قدرِ سفرِكم؛ فإنَّ خيْرَ الزادِ ما بلَّغ. ثم أرشدهم إلى الطريق وتوارى.

٢٨٨٨ ـ وكان سفيانُ الثوريُّ يقول: عندَ الصباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرَى، وعندَ المماتِ يَحْمَدُ القومُ التُّقى.

٢٨٨٩ ـ وكانت ابنةُ الرَّبيعِ بنِ خُثَيْم تقول: يا أبَه، ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ فيقول: يا بُنَيَّةُ، إنَّ أباك يخاف البياتَ.

٢٨٩٠ ـ وكانت حبيبةُ العدويةُ إذا صلتَ العَتَمَةَ قامت على سطحٍ لها، وشدَّت عليها دِرعَها وخِمارَها، ثم قالت: إلهي، قد غارتِ النجومُ، ونامتِ

العيونُ، وغَلَّقَتِ الملوكُ أبوابَها، وهذا مقامي بيْن يديك. ثم تُقبلُ على صلاتِها. فإذا كان السَّحَرُ وطلَعَ الفجرُ، قالت: إلهي، هذا الليلُ قد أدبرَ، وهذا النهارُ قد أسفرَ، فليت شعري، أقَبِلْتَ مِنِّي ليلتي فأُهَنَّأُ، أم رددتَها عليَّ فأُعزَّى؟.

٢٨٩١ ـ وكانت مُعاذةُ تُحيي الليلَ كلَّه صلاةً، فإذا غلبَها النومُ قامت، فجالت في الدارِ تقول: يا نفسُ، النومُ أمامَك، ولو قد مِتِّ لطالَ نومُك على حسرةٍ أو مسرةٍ.

٢٨٩٢ ـ وقال أبو سُليمان الدارانِيُّ: بِتُّ عندَ رابعةَ ذاتَ ليلةٍ، فقامت إلى محرابِها، وقمتُ إلى ناحيةٍ مِنَ البيت، فلم تزَلْ قائمةً حتَّى السَّحَرَ، فلمَّا كان السَّحَرُ، قالت: ما حقُّ مَنْ قوَّانا على قيامِ هذه الليلةِ؟ قالت: حقُّه أنْ نصومَ له غداً إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى.

* * *

١٨٣ ـ ذكر المنقطعين إلى الله تعالى

٢٨٩٣ ـ قال إبراهيمُ بنُ بشارٍ الرَّماديُّ: سألتُ إبراهيمَ بنَ أدهم: كيف بدْءُ أمرِكَ حتى صرتَ إلى هذا؟ قال: غيْرُ هذا أولى بك. قلت: يرحمُك الله، لعلَّ اللَّهَ ينفعنا به يوماً، ثم سألته ثانيةً، فقال: ويحك! اشتغلْ باللَّهِ، ثم سألته ثالثةً، فقلت: إنْ رأيت، يرحمك الله، أنْ تُخبِرَني، لعلَّ الله ينفعني به يوماً.

قال لي: كان أبي مِنْ ملوك خراسان، وكان مِنَ المياسيرِ، فكان قد حُبِّبَ إليَّ الصيدُ، فبينا أنا راكبٌ فرساً وكلبي معي، فأثرتُ ثعلباً أو أرنباً، فحرَّكتُ فرسي، فسمعت نداءً مِنْ ورائي: يا إبراهيمُ، ليس لهذا خُلِقْتَ، ولا بِهذا أُمرتَ، فوقفتُ أنظرُ يَمنَةً ويَسْرَةً، فلم أرَ أحداً، فقلت في نفسي: لعن اللَّهُ الشيطانَ. ثم حرَّكتُ فرسي، فسمعتُ نداءً أقوى مِنَ الأول: يا

إبراهيمُ، ليس لهذا خُلِقْتَ، ولا بِهذا أُمِرْتَ، فوقفت مقشَعِرّاً أنظرُ يَمْنَةً ويَسْرَةً، فلم أرَ شيئاً، فقلت: لعن الله إبليسَ. ثم حرَّكتُ فرسي، فسمعت مِنْ قَربوسِ سَرْجي: يا إبراهيمُ، ليس لهذا خُلِقْتَ، ولا بِهذا أُمِرتَ، فوقفت فقلتُ: هيهات، جاءني النذيرُ مِنْ ربِّ العالمين. والله لا عصيتُ ربي ما عصمني بعدَ يومي هذا.

فتوجَّهتُ إلى أهلي، وخلَّفتُ فرسي، وجئتُ إلى بعضِ رُعاة أبي، فأخذتُ جُبَّتَه وكِساءه، وألقيتُ إليه ثيابي، فلم تزلْ أرضٌ تُقِلُّنِي وأرضٌ تَضعُني حتى صرتُ إلى العراقِ، فعملت بها أياماً، فلم يَصْفُ لي شيءٌ مِنَ الحلالِ، فسألتُ بعضَ المشايخِ عنِ الحلالِ، فقال: عليك ببلادِ الشامِ. قال: فصرتُ إلى مدينةٍ يقال لها المنصورةُ، وهي المصِّيصَةُ، فعملتُ بها أياماً، فلم يَصْفُ لي شيءٌ مِنَ الحلالِ، فسألت بعضَ المشايخ، فقال: إنْ أردتَ الحلالَ، فعليك بطَرطوسَ، فإنَّ المباحاتِ بها والعملَ كثيرٌ.

قال: فبينما أنا قاعدٌ على باب البحرِ، إذ جاءني رجلٌ، فاكتَراني أنظُرُ له بستاناً، فتوجهتُ معه، فكنتُ في البستانِ أياماً كثيرةً، فإذا أنا بخادمٍ قد أطلَّ ومعه أصحابٌ له، ولو علمتُ أنَّ البستانَ لخادم ما نطرتُه، فقعدَ في مجلسِه، ثم قال: يا ناطُورَنا، يا ناطُورَنا، فأجبته. قال: اذهب فأْتِنَا بأكبَرِ رمَّانٍ تقدِرُ عليه وأطيب، فأتيته برمَّانٍ، فأخذ الخادم رُمَّانةً فكسرها، فوجدها حامضةً، فقال لي: يا ناطورَنا، أنت منذ كذا وكذا في بُستانِنا تأكلُ مِنْ رماننا وفاكهتِنا، ما تعرفُ الحُلو مِنَ الحامضِ؟ قلت: والله ما أكلتُ مِنْ فاكهتِكم شيئاً، وما أعرفُ الحلوَ مِنَ الحامضِ. قال: فغمز الخادمُ أصحابَه، وقال: ألا تعجَبون مِنْ كلام هذا؟ ثم قال لي: لو كنتَ إبراهيمَ بنَ أدهمَ ما زاد على هذا. فلمَّا كان مِنَ الغدِ حدَّثَ الناسَ بالصِّفَةِ، فجاء الناسُ عُنُقاً إلى البستان، فلمَّا رأيتُ كثرَةَ الناسِ اختفيتُ والناسُ داخلون وأنا هاربٌ منهم، فهذا كان أولَ أمري.

٢٨٩٤ ـ وقال عبدالله بن المعلِّم: خرجنا مِنَ المدينةِ حُجَّاجاً، فلمَّا كنَّا بالرُّوَيْثَةِ، نزلنا فوقف بنا رجلٌ عليه أثوابٌ رثَّةٌ، له منظرٌ وهيئةٌ، فقال: مَنْ يبغي خادَماً، مَنْ يبغي ساقياً؟ فقلت: دونَك هذه القِربة، فأخذها فانطلق، فلم يلبثْ إلا يسيراً حتى أقبلَ وقدِ امتلأتْ أثوابُه طيناً، فوضعها كالمسرورِ الضاحكِ، ثم قال: لكم غيْرُ هذا؟ قلنا: لا. وأطعمناه قُرصاً بارداً، فأخذه وحمِدَ اللَّهَ تعالى وشكره، ثم اعتزل وقعدَ يأكلُه أكلَ جائعٍ، فأدركتني عليه الرَّأفةُ، فقمتُ إليه بطعامٍ طيِّبٍ كثيرٍ، فقلت: قد علمتُ أنَّه لم يقعْ منك القرصُ بموضعٍ، فدونَكَ هذا الطعامَ، فنظر في وجهي، فتبسَّم وقال: يا عبد اللَّه، إنَّما هي فَوْرَةُ جوعٍ، فما أُبالي بأيِّ شيءٍ رددتُها، فرجعتُ عنه، فقال لي رجلٌ على جنبي: أتعرفه؟ قلت: لا، قال: إنه مِنْ بني هاشم، مِنْ ولدِ العباس بنِ عبد المطلب، كان يسكنُ البصرةَ، فتاب فخرج منها، فتُفُقِّد فما عُرِفَ له أثرٌ، فأعجبني قولُه، ثم تجمعتُ به وآنستُه، وقلت له: هل لك أنْ تُعادِلَني، فإنَّ معي فضلاً مِنْ راحلتِي، فجزَّاني خيْراً، وقال: لو أردتُ هذا لكان لي مُعَدّاً، ثم أَنِسَ إلَيَّ، وجعل يُحدِّثُني وقال لي: أنا رجلٌ مِنْ ولدِ العباس، كنت أسكن البصرةَ، وكنتُ ذا كِبْرٍ شديدٍ وبذخٍ، وإنني أمرتُ خادَماً أنْ تحشُوَ لي فراشاً مِنْ حريرٍ ومِخَدَّةً بوَرْدٍ نَثيرٍ ففعلت، فإني لنائِمٌ، إذا بقِمْعِ وردةٍ قد أغفلَتْه الخادمُ، فقمت إليها، فأوجعتُها ضرباً، ثم عدتُ إلى مضجعي بعدَ إخراجِ القمعِ مِنَ المخدةِ، فأتاني آتٍ في منامي في صورةٍ فظيعةٍ وهزَّني، وقال لي: أفِقْ مِنْ غشيتِك، أبْصِرْ مِنْ حيْرتِك، ثم أنشأ يقول:

يا خَدُّ إنَّكَ إنْ تَوَسَّدُ لَيِّناً ... وُسِّدْتَ بعدَ الموْتِ صُمَّ الجَنْدَلِ
فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ صالِحاً تَسْعَدْ بِهِ ... فَلَتَنْدَمَنَّ غداً إذا لَمْ تَفْعَلِ

فانتبهتُ فَزِعاً، فخرجتُ مِنْ ساعتي هارباً إلى ربي.

٢٨٩٥ ـ وقال عبد الواحد بن زيدٍ: ذُكِرَ لي أنَّ في خرائبِ الأُبُلَّةِ

جاريةً مجنونةً تنطق بالحكمةِ، فلم أزلْ أطلبُها حتى وجدتُها في خَرِبةٍ جالسةً على حجرٍ وعليها جُبَّةُ صوفٍ، وهي محلوقةُ الرأسِ. فلمَّا نظرت إليَّ، قالت مِنْ غيْرِ أنْ أُكلِّمَها: مرحباً بك يا عبدَ الواحد، فقلت لها: رحَّبَ الله بك، وعجبتُ مِنْ معرفتِها بي ولم أرَها قبلَ ذلك، فقالت لي: ما الذي جاء بك ههنا؟ قلت: جئت لتَعِظيني، فقالت: يا عجباً لواعظٍ يُوعَظُ، ثم قالت: يا عبدَ الواحد، اعلم أنَّ العبدَ إذا كان مِنَ الله في كِفايةٍ، ثم مال إلى الدنيا سلبه حلاوةَ الزهدِ، فيظلُّ حيرانَ والِهاً، فإذا كان له عندَ الله نصيبٌ عاتبه وَحِيّاً وبشَّرَه، فقال له: عبدي، إنِّي أردتُ أنْ أرفعَ قدرَك عند ملائكتي، وحَمَلَةِ عرشي، وأجعلَك دليلاً لأوليائي وأهلِ طاعتي في أرضي، فمِلْتَ إلى عَرَضٍ مِنْ أعراضِ الدنيا وتركتَني، فورَّثْتُك بذلك الوحشةَ بعدَ الأُنسِ، والذُّلَّ بعدَ العِزِّ، والفقرَ بعد الغِنى. عبدي، ارجِعْ إلى ما كنتَ عليه أرجعْ لك إلى ما كنتَ تعرفُه مِنْ نفسك. قال: ثم تركَتْني ووَلَّتْ، وانصرفتُ عنها وبقلبي حسرةٌ منها.

١٨٤ ـ مجاهدة النفس ومخالفة الهوى

٢٨٩٦ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

٢٨٩٧ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

٢٨٩٨ ـ وقال الشَّعبيُّ: إنَّما سُمِّيَ هوىً؛ لأنه يَهوي بصاحبِه في النار.

٢٨٩٩ ـ ورُوِيَ عن بعضِ الحكماء أنه قال: كُفَّ أذاك عن نفسِك، لا تُتابعْ هواها في معصيةِ اللَّه عزَّ وجلَّ، إذاً تُخاصمك يومَ القيامةِ، فيلعنُ بعضُك بعضاً، إلا أنْ يعفُوَ الله ويستُرَ.

٢٩٠٠ ـ وقال الثوريُّ: ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليَّ مِنْ نفسي؛ مرةً لي ومرةً عليَّ.

٢٩٠١ ـ وقال الحسنُ: ما الدَّابَّةُ الجموحُ بأحوجَ إلى اللجامِ الشديدِ مِنْ نفسِك.

٢٩٠٢ ـ وقال بعضُ الحكماء: جاهدْ نفسَك بأصنافِ الرياضة. والرياضةُ على أربعةِ أوجهٍ: القوتُ مِنَ الطعام، والغَمْضُ مِنَ المنام، والحاجةُ مِنَ الكلام، وحملُ الأذى مِنْ جميعِ الأنام. فيتولَّدُ مِنْ قلةِ الطعامِ موتُ الشهواتِ، ومِنْ قلَّةِ المنامِ صَفْوُ الإراداتِ، ومِنْ قلةِ الكلام السلامةُ مِنَ الآفاتِ، ومِنَ احتمالِ الأذى البلوغُ إلى الغاياتِ. فليس على العبد أشدُّ مِنَ الحلمِ عند الجَفَا، والصبْر على الأذى.

٢٩٠٣ ـ ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: رحمَ الله عبداً سمع فوعى، ودُعِيَ إلى الرشاد فدنا، وأخذ بحُجْزَةِ هدى فنجا، وراقبَ ربَّه، وخاف ذنبَه، وقدَّم خالصاً، وعمل صالحاً، واكتسبَ مدخوراً، واجتنبَ محظوراً، وكابرَ هواه، وكذَّبَ مُناه، وحذِرَ أجَلاً، ودأبَ عملاً، وجعل الصبْر رَغبةَ حياتِه، والتُّقَى جُنَّةَ وفاتِه.

٢٩٠٤ ـ وروى عبدالله بنُ مَوهِبٍ عن يزيدَ بن عبدالله بنِ قُسَيْطٍ، قال: كانتِ الأنبياءُ يكون لهم مساجدُ خارجاً مِنْ قراهم، فإذا أراد النبيُّ أنْ يسألَ ربَّه عن شيءٍ، خرج إلى مسجده، فصلى ما كتبَ الله عزَّ وجلَّ له، ثم سألَ ربَّه تعالى ما بدا له، فبينا نبيٌّ في مسجدِه، إذا جاءه عدوُّ الله، فجلس بينه وبين القبلةِ، فقال النبي ﷺ: أعوذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم، فردَّدَ ذلك ثلاثَ مراتٍ، فقال له عدوُّ الله: أخبْرني بأيِّ شيءٍ تنجو به مني، فقال له النبي ﷺ: بل أنت أخبرني بأيِّ شيءٍ تغلِبُ ابنَ آدم، فأخذ كلُّ واحدٍ مِنْ صاحبِه، فقال النبي ﷺ: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]. فقال: قد سمعتُ هذا قبلَ

أنْ تُولَدَ، فقال النبي ﷺ: فإنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وإني واللَّهِ ما أحسستُ بك قطُّ إلا استعذتُ بالله عزَّ وجلَّ منك. قال عدوُّ اللَّه: صدقتَ، بهذا تنجو مني. قال النبي ﷺ: فأخبِرني بأيِّ شيءٍ تغلِبُ ابنَ آدم؟ قال: آخُذُه عندَ الغضبِ وعند الهوى.

١٨٥ ـ البكاء من خشية الله تعالى

٢٩٠٥ ـ قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢].

٢٩٠٦ ـ وقال رسول ﷺ: **«يا أُمةَ محمد، والله لو تعلمونَ ما أعلمُ، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»**[1].

٢٩٠٧ ـ ورُوِيَ عن عبدِ الأعلى التَّيميِّ أنه قال: مَنْ أُوتِي مِنَ العلمِ ما لا يُبكيه، فخليقٌ أنْ لا يكون أُوتِيَ علماً ينفعُه؛ لأنَّ الله تعالى نعت العلماءَ، فقال: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

٢٩٠٨ ـ ورُوِيَ عن عبدِ الله بنِ عَمرو أنه قال: والله لو تعلمون ما أعلمُ، لسجدَ أحدُكم حتى ينقطعَ صُلْبُهُ، ولصرخَ حتَّى ينقطعَ صوتُه. ابكوا إلى الله، فإنْ لم تستطيعوا أنْ تبكوا فتباكُوا.

٢٩٠٩ ـ ورُوِيَ عنِ ابنِ عُميْرٍ أنَّ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ خرَّ ساجداً أربعين ليلةً يبكي، فرفع رأسه وما في جبهتِه نُخارةٌ مِنْ لحمٍ.

٢٩١٠ ـ وقال الأوزاعيُّ: كانت عينا داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كالقِربتَين تنطُفان

---

(١) رواه بهذا اللفظ البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الماءَ. ولقد كانتِ الدموعُ خَدَّتْ في وجهِه كخديدِ الماءِ في الأرض.

٢٩١١ ـ ورُوِيَ عن مجاهدٍ أنه قال: مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسَه حتى نبتَ المرعى مِنْ دموعِ عينيه حتى غطَّى رأسَه، فنُودِيَ: يا داودُ، أجائعٌ أنتَ فتُطْعَمَ؟ أم ظمآنُ فتُسقى؟ أم عارٍ فتُكسى؟ فأجيب في غيْرِ ما طلبٍ، فنَحَبَ نحبَةً هاج العودُ، فاحترق مِنْ حرِّ جوفِه، ثم أنزل الله تعالى عليه التوبةَ والمغفرةَ، فقال: يا ربِّ، اجعلْ خطيئتي في كفِّي، فما كان يبسُطُ كفَّه لطعامٍ ولا لشرابٍ ولا لشيءٍ سوى ذلك، إلا رآها فأبكته. قال: وإنْ كان ليُؤتَى بالقدحِ ثُلثاه ماءٌ، فإذا تناوله أبصرَ خطيئتَه، فما يضعُه على شَفَتِه حتى تَفيضَ مِنْ دموعِه.

٢٩١٢ ـ ورُوِيَ أنَّ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يُعاتَبُ في كثرةِ البكاءِ، فيقول: ذروني أبكي قبلَ يوم البكاءِ، قبلَ تحريقِ العظامِ واشتعالِ اللِّحَى، وقبلَ أنْ يُؤْمَرَ بي ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ، لا يعصون اللهَ ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون.

٢٩١٣ ـ ورُوِيَ أنَّ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إلهي، ما جزاءُ مَنْ بكى مِنْ خشيتِك حتى تَسيلَ دموعُه على وجهِه؟ قال تعالى: جزاؤُه أنْ أُحرِّمَ وجهَه على لَفْحِ النار، وأنْ أُؤمِّنَه يومَ الفزعِ الأكبَرِ.

٢٩١٤ ـ وروى مُطَرِّفُ بنُ عبد الله عن أبيه، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يصلي ولِجَوفِه أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ[1].

٢٩١٥ ـ وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: طُوبى لمن خزَنَ لسانَه، ووسِعَه بيتُه، وبكى على خَطيئتِه.

٢٩١٦ ـ وروى سالِمٌ عنِ ابنِ عُمرَ، قال: لَمَّا مرَّ النبيُّ ﷺ بالحِجْرِ، قال: «**لا تدخلوا مساكِنَ الذين ظلموا أنفسَهم إلا أنْ تكونوا باكينَ؛**

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٢٥ و٢٦، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي ٣/ ١٣، وصححه ابن خزيمة (٩٠٠)، وابن حبان (٦٦٦ و٧٥٣)، والحاكم ١/ ٢٦٤.

أنْ يُصيبَكم مِثلُ ما أصابَهم»، ثم قَنَّعَ رأسَه وأسرعَ المسيرَ حتَّى أجازَ الواديَ[1].

٢٩١٧ ـ وروى عَبيدَةُ عن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**اقرأ عليَّ**». قلت: يا رسولَ الله، أقرأُ عليكَ وعليك أُنزِلَ؟ قال: «**نعم**»، فقرأتُ سورةَ النساء حتى أتيتُ إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١] قال: «**حسبُك الآن**»، فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرِفان[2].

٢٩١٨ ـ ورُوِيَ عنِ القاسم بنِ محمد، قال: غدوتُ يوماً، وكنتُ إذا غدوتُ بدأتُ بعائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أسلِّمُ عليها. قال: فغدوتُ يوماً، فإذا هي تصلي صلاةَ الضحى، وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧] وتبكي وتدعو وتُردِّدُ الآيةَ، فقمت حتَّى مللتُ وهي كما هي، فلمَّا رأيتُ ذلك ذهبتُ إلى السوقِ، فقلت: أفرُغُ مِنْ حاجتي، ثم رجعتُ وهي ترِدِّدُ الآيةَ وتدعو وتبكي.

٢٩١٩ ـ وكان إبراهيمُ يبكي إلى امرأتِه يومَ الخميس وتبكي إليه، ويقول: اليومَ تُعْرَضُ أعمالُنا على الله عزَّ وجلَّ.

٢٩٢٠ ـ وأنشد ابنُ قتيبةَ[3]:

لا تَبْكِ للدُّنيا ولا أَهْلِها ... وابْكِ لِيَوْمٍ تَسْكُنُ القَابِرَهْ
وابْكِ إذا صِيحَ بِأَهْلِ الثَّرَى ... فاجْتَمَعُوا في ساعَةِ السَّاهِرَهْ
وَيْلَكِ يا دُنيا لَقَدْ قَصَّرَتْ ... لِحالِ مَنْ يَسْكُنُكِ الآخِرَهْ

٢٩٢١ ـ ورُوِيَ عن أبي رجاءٍ، قال: رأيتُ هذا الموضعَ مِنَ ابنِ

(١) البخاري (٣٣٨٠)، ومسلم (٢٩٨٠).
(٢) البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠).
(٣) في عيون الأخبار ٢/ ٣٣٢.

عباسٍ، يعني مَجرى الدموعِ، كالشِّراكِ البالي مِنَ البُكاء.

٢٩٢٢ ـ وروى عروةُ عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: بدا لأبي بكر، فابتَنَى مسجداً بفناءِ دارِه، وكان يصلي فيه ويقرأُ القرآنَ، فينقذِفُ عليه نساءُ المشركين وأبناؤُهم، يَعجَبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآنَ، فأفزعَ ذلك أشرافَ قريشٍ مِنَ المشركين[١].

٢٩٢٣ ـ وروى ابنُ أبي مُلَيْكَةَ عنِ ابنِ طارقٍ، قال: مررتُ بعبد الله بن عَمرو بن العاص وهو ساجدٌ يبكي، فقمتُ فرفع رأسَه، فقال: أوَتعجبُ مِنْ بكائي؟ ثم نظر إلى القمرِ، فقال: إنَّ هذا لَيبكي مِنْ خشيةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

٢٩٢٤ ـ وقال أبو بكر بن أبي أُوَيْسٍ: كان مالكُ بنُ أنس قد أدامَ النظرَ في المصحف قبل موتِه بسنتين، وكان كثيرَ القراءةِ، طويلَ البُكاءِ.

٢٩٢٥ ـ وقال ابنُ عاصمٍ: كانت مِدْرَعَةُ الحسنِ تُرفَعُ كلَّ يومٍ رَطبةً مِنَ الدموعِ مِمَّا يبكي.

٢٩٢٦ ـ وقال محمد بن عبد الله: كنَّا نجلس إلى أبي خُشَيْنَةَ العابدِ الأعرجِ يبكي ويُبكينا، ثم يقول:

كلُّ ذي غَيْبَةٍ سَيَرْجِعُ يَوْمَاً ... غَيْرُ غُيَّابِ زائراتِ القُبورِ

٢٩٢٧ ـ وكان عمرُ بن عبد العزيز يبكي، ويقول: كيف أشبعُ مِنَ الطعامِ والشرابِ وليس أحدٌ يُظلَمُ بالمشرقِ والمغربِ إلا وكنتُ أنا صاحبَه.

٢٩٢٨ ـ وبكى مُطَرِّفُ بنُ عبد الله يوماً في مجلسِه واشتدَّ بكاؤُه، فقيل له في ذلك، فقال: أَوَأُلامُ على البكاء؟ وكيف لا أبكي وقد أخذَ الموتُ بجنبَيَّ، وأكلتُ زادي، ونفِدَ شرابي، وقرَّبتُ رِكابي، وغداً يُنادى برحيلي،

(١) البخاري (٤٧٦ و٢٢٩٧).

ثم أُخرَجُ مِنْ سَعَةِ دنيا إلى ضيقِ لحدٍ، ثم أقفُ بين يديْ ربي، فلا أدري المنصرَفُ إلى نارٍ تُعذِّبُني أم إلى جنةٍ تُنعِّمُني، كلُّ الويلِ لي إنْ لم يرْحمنِي ربِّي.

٢٩٢٩ - وكان يزيدُ الرَّقاشيُّ يقول: ويحكَ يا يزيدُ! مَنْ يصومُ عنك؟ مَنْ يصلي عنك بعد الموت؟ ومَنْ ذا يترضَّى ربَّك عنك بعدَ الموتِ. ثم يقول: يا معشرَ الناسِ، ألا تبكون وتنوحونَ على أنفسِكم باقي حياتِكم، مَنِ الموتُ موعدُه، والقبْرُ بيتُه، والثَّرى فراشُه، والدُّودُ أنيسُه، وهو مع ذلك ينتظرُ الفزعَ الأكبَرَ، ثم يبكي.

٢٩٣٠ - وكان محمد بنُ المنكدرِ إذا بكى يمسحُ وجهَه ولحيتَه بدموعِه، ويقول: بلغني أنَّ النارَ لا تأكلُ موضعاً مسَّته الدموعُ.

٢٩٣١ - وقال عاصمٌ: سمعتُ شقيقَ بنَ سَلَمَةَ يقول وهو ساجدٌ: ربِّ اغفر لي، ربِّ اغفر لي، إنْ تَعْفُ عنِّي فطَوْلاً، وإنْ تُعذِّبني فغيْرُ مستوفٍ. قال: ثم يبكي حتى أسمعَ نحيبَه مِنْ وراءِ المسجدِ.

٢٩٣٢ - وقال عبد الرحمن بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ: قلت ليزيدَ بنِ مَرْيد: ما لي أرى عينيك لا تجِفُّ؟ قال: وما مسألتُك عن ذلك؟ قلت: عسى الله أنْ ينفعَني به. قال: يا أخي، إنَّ الله عزَّ وجلَّ تواعدَني أنِّي إنْ عصيتُه يسجنُني في النار. والله لو لم يتواعدْني إنْ عصيتُه إلا بأنْ يسجنَني في الحمامِ لكنتُ حَرِيّاً ألا تجِفَّ عيني.

٢٩٣٣ - ورُوِيَ أنَّ أنسَ بنَ مالك قال لثابتٍ البُنانِيِّ: ما أُشَبِّهُ عينيك بعينَيْ رسولِ اللَّهِ ﷺ فبكى ثابتٌ حتَّى عَمِشَتْ عيناه.

٢٩٣٤ - وقال العنبَريُّ: اجتمع أصحابُ الحديث على باب الفُضيل بن عِياضٍ، فاطَّلع عليهم مِنْ كُوَّةٍ وهو يبكي ولحيتُه ترجُفُ، فقال: عليكم بالقرآن، عليكم بالصلاةِ. ويحَكم! ليس هذا زمانُ حديثٍ، إنَّما هو زمانُ

بكاءٍ وتضرُّعٍ واستكانةٍ ودعاءٍ كدعاءِ الغريقِ، إنَّما هذا زمانُ احفظْ لسانَك، وأَخْفِ مكانَك، وعالِجْ قلبَك، وخذْ ما تعرفُ، ودعْ ما تنكرُ.

٢٩٣٥ ـ وقال كعبُ الأحبارِ: والذي نفسي بيده، لأَنْ أبكي مِنْ خشيةِ اللّهِ حتى تسيلَ دموعي على وجهي أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أتصدقَ بجبلِ ذهبٍ.

٢٩٣٦ ـ وقال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: فقدَ زكريا ابنَه يحيى عليهما السلام، فوجده بعدَ ثلاثٍ مضطجعاً على قبْرٍ وهو يبكي، فقال: ما هذا يا بنيَّ؟ قال: أخبَرتني أنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبَرك أنَّ بين الجنةِ والنارِ مفازةً لا يُطفئُ حرَّها إلا الدموعُ. قال: ابكِ يا بُنيَّ.

٢٩٣٧ ـ ودعا بعضُ الحكماءِ، فقال: إلهي، ارزُقني عينين هَطَّالتين تبكيان مِنْ خشيتِك قبلَ أنْ تكونَ الدموعُ دماً والأضراسُ جمراً.

٢٩٣٨ ـ وقال عبد الله بن عمر: لأَنْ أدمعَ دمعةً مِنْ خشيةِ اللهِ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أتصدقَ بألفِ دينارٍ.

٢٩٣٩ ـ وقال مُتَطَبِّبٌ لثابتٍ: إنْ ضمنتَ لي تركَ ثلاثٍ، ضمنتُ لك بُرْءَ عينيك: إكثارُ البُكاء، وإدامةُ الصومِ، وتطويلُ السجودِ. فبكى ثابتٌ، وقال: أيُّ خيْرٍ في الحياةِ بعدَ هذه الثلاثِ.

٢٩٤٠ ـ وقيل لبعضِهم: إنَّ كثرةَ البكاءِ تُذهبُ البصرَ، فقال: ذاك له شهادةٌ، فبكى حتى عَمِيَ.

٢٩٤١ ـ وقيل لغُفَيْرَةَ العابدةِ: أمَا تسأمينَ مِنَ البكاء؟ فقالت: كيف يسأمُ ذو داءٍ مِنْ شيءٍ يرجو أنْ يكونَ فيه الشفاءُ.

٢٩٤٢ ـ وقال ابنُ العلاء السَّعديُّ، وكان له ابنةُ عمٍّ يُقال لها بُرْدَةُ تعبَّدت، وكانت تُكثرُ القراءةَ في المصحفِ، فلمَّا أتت على آيةٍ فيها ذكرُ النارِ بكت، فلم تزلْ تبكي حتى ذهبت عيناها مِنَ البكاء، فقال بنو عمِّها:

انطلقوا إلى بُرْدَةَ نَعْذِلُها في البكاءِ. قال: فدخلنا عليها، فقلنا لها: يا بُرْدَةُ، كيف أصبحتِ؟ قالت: أصبحنا أضيافاً مُنيخينَ بأرضِ غُربةٍ، ننتظرُ متى يُدعى بنا فنجيبُ، فقلنا لها: لم هذا البكاءُ؟ قد ذهبت عيناك منه، فقالت: إنْ يكن لعينيَّ عندَ الله خيْرٌ، فلن يضرَّ بهما ما ذهب منهما، وإنْ لم يكن ذلك، فسيزيدُهما بكاءً أطولَ منه وأعرضَ. فقال القوم: قوموا بنا، فهي والله في شيءٍ غيْرِ ما نحنُ فيه.

٢٩٤٣ ـ وقال أبو عاصم النبيلُ: رأيتُ هشامَ بنَ حسَّان إذا ذُكِرَ النبيُّ ﷺ أو الجنةُ أو النارُ بكى حتى تسيلَ دموعُه على خدِّه، ورأيتُ ابنَ عونٍ تدورُ دموعُه في عينيه ولا تخرجُ.

٢٩٤٤ ـ وقال أبو حفصٍ الفلاسُ: كان بِخَدِّ منصورِ بنِ المعتَمِرِ خالٌ، فانسحَجَ مِنَ البكاءِ.

٢٩٤٥ ـ وقال السَّلولِيُّ: كان رجلٌ مِنْ بَلْعَنْبَرَ قد لَهِجَ بالبكاء، لا تراه إلا باكياً، فعاتبه رجل مِنْ إخوانِه يوماً، فقال: مِمَّ تبكي يرحمُك الله هذا البكاءَ الطويلَ؟ فبكى ثم قال:

بكيتُ على الذُّنوبِ لِعُظْم جُرْمي ... وحُقَّ لكلِّ مَنْ يَعصي البُكاءُ
فلو كانَ البكاءُ يَرُدُّ عَنِّي ... لأَسْعَدَتِ الدُّموعَ مَعاً دِمَاءُ

ثم بكى حتى غُشِيَ عليه، فقام الرجل عنه وتركه على حالِه.

٢٩٤٦ ـ وكان الضحاكُ يبكي كلَّ عَشِيَّةٍ، ويقول: لا أدري ما صعدَ اليومَ مِنْ عملي.

٢٩٤٧ ـ ولابن الرُّوميِّ:

إلى الزُّهَّادِ في الدنيا ... جِنانُ الخُلْدِ تَشْتاقُ
عَبيدٌ مِنْ خَطاياهُمْ ... إلى الرَّحْمنِ أُبَّاقُ

حَدَتْهُمْ نَحْوَهُ الرَّغْبَـ ... ـةُ والرَّهْبَةُ فانْساقُوا
وراقَتْ لَهُمُ الدُّنيا ... وعاقَتْهُمْ فما انْعاقُوا
عليهم حينَ تلقاهُمْ ... سَكِيناتٌ وإطْراقُ
بقاياهُمْ مِنَ الخِدْمَـ ... ـةِ أشباحٌ وأرْمَاقُ
تَوَهَّمَهُمْ وقدْ مالَتْ ... بِسُكْرِ النَّوْمِ أعْناقُ
وقد قاموا ولا يَهْجَـ ... ـعُ ومَنْ ذاقَ الذي ذاقوا
يِضِجُّونَ إلى اللّهِ ... ودَمْعُ العَيْنِ مِهْراقُ
مَلِيكَ المُلْكِ أعْتِقْنا ... فإعْتاقُكَ إعْتاقُ
مَلِيكَ المُلْكِ خَلِّصْنا ... إذا ما كُشِفَتْ ساقُ
مَلِيكَ الملكِ هَلْ مِمَّا ... تَطَوَّقْناهُ إطْلاقُ
فَفي أعناقِنَا طُرَّاً ... مِنَ الآثامِ أطْواقُ

٢٩٤٨ ـ ولبعضهم عفا الله عنه:

يا كثيرَ البُكا أظُنُّكَ مِمَّا ... صَيَّرَتْهُ الذُّنوبُ مِثلي ذَليلا
إخوَتِي كيفَ لا يطولُ بُكائي ... وبِجَهْلِي عَصَيْتُ رَبّاً جَلِيلا
قُمْ فنَادِ إذا الخلائِقُ نامُوا ... يا مُقِيلَ العِثَارِ كُنْ لي مُقِيلا

* * *

١٨٦ ـ ما جاء في الحزن

٢٩٤٩ ـ رُوِيَ عنِ الحسنِ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا سجنُ المؤمنِ وجنةُ الكافرِ**»(١). قال الحسنُ: فواللَّهِ إنْ أصبَحَ فيها مؤمنٌ إلا حزيناً، وكيف لا يحزنُ المؤمنُ وقد حُدِّثَ عنِ الله تعالى أنه واردٌ جهنمَ، ولم يأتِه أنه صادرٌ عنها. والله ليلقَيَنَّ أمراضاً ومصائبَ وأموراً تُغيظه،

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ولَيُظْلَمَنَّ فما ينتصِرُ، يَبتغي بذلك الثوابَ مِنَ الله عزَّ وجلَّ، فما يزالُ فيها حزيناً حتى يُفارِقَها، فإذا فارقها أفضى إلى الراحةِ والكرامةِ.

٢٩٥٠ ـ وقال الحسنُ: ما عُبِدَ اللهُ بمثلِ طولِ الحزنِ.

٢٩٥١ ـ وقال مالكُ بنُ دينارٍ: إنَّ القلبَ إذا لم يكن فيه حزنٌ خَرِبَ، كما أنَّ البيتَ إذا لم يُسكنْ خَرِبَ.

٢٩٥٢ ـ قال أبو الأشهب: كنَّا عندَ الحسنِ إذ قال لأصحابِه: قوموا بنا نعودُ عُفَيْرَةَ العابدةَ، فقمنا فدخلَ إليها الحسنُ ودخلنا معه، فإذا هي جالسةٌ في مِحرابِها، وقد صلَّتْ حتى أُقْعِدَتْ، وبكت حتى عَمِيت، وصامت حتى تغيَّرت، فقال بعضُ مَنْ كان معنا: ما أشدَّ العمى على مَنْ كان بصيراً، فسمعته عُفَيْرَةُ، فقالت: مهلاً يا فَتى؛ فإنَّ عَمَى القلبِ عنِ الله تعالى أشدُّ مِنْ عَمَى العينين عنِ الدنيا، لَوَدِدْتُ أنَّ اللَّهَ تعالى سَلَبَني جميعَ جوارحي ووهبَ لي شيئاً مِنَ الحزن. فقال الحسن: قوموا بنا، فخرجنا مِنْ عندِها والحسنُ يقول: ما رأيتُ مثلَ هذه المرأةِ.

٢٩٥٣ ـ وقال حبيبُ بنُ أبي ثابتٍ: كان حاجِبا يعقوبَ قد وقعا على عينيه، فقيل له: ما بلغ بك هذا؟ قال: طولُ الزمانِ، وكثرةُ الأحزانِ. فأوحى الله إليه: يا يعقوبُ، تشكوني. فقال: خَطيئةٌ أخطأتُها فاغفِرْها.

٢٩٥٤ ـ وقال الحسنُ البصريُّ، وذكر هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣] قال: المؤمنون قومٌ ذُلُلٌ، ذُلِّلَتْ واللَّهِ الأسماعُ والجوارحُ حتى يَحسبُهم الجاهلُ مرضى. والله ما بالقومِ مِنْ مرضٍ، وإنَّهم لأصحاءُ، ولكن دخلهم الخوفُ ما لم يدخلْ غيْرَهم، ومنعهم مِنَ الدنيا علمُهم بالآخرة، قالوا: الحمد لله الذي أذهَبَ عنَّا الحَزَنَ. والله ما أحزَنَهم حُزنُ الناسِ، ولا تعاظَمَ في أنفسِهم ما طلبوا به اللَّهَ، أبكاهمُ الخوفُ مِنَ النارِ، وأنَّه مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بعزاءِ الله تعالى تقطَّعتْ نفسُه حَسَراتٍ على الدنيا.

ومَنْ لم يَرَ لله عليه نعمةً إلا في مطعمٍ أو مشربٍ، فقد قلَّ علمُه، وحضر عذابُه.

٢٩٥٥ ـ وسمعتْ رابعةُ سفيانَ الثوريَّ يقول: واحُزناهُ، فقالت له: يا أخي، لا تقلْ كذلك، فقال: وكيف أقول؟ فقالت له: قل: واقِلَّةَ حُزناه.

٢٩٥٦ ـ وأنشدوا في ذلك:

احْـزَنْ عـلـى أنَّـك لا تَـحْـزَنُ ولا تُـسِـي إنْ كـنـتَ لا تُـحْـسِـنُ
واضْـعُـفْ عـنِ الـشَّـرِّ كـمـا تَـدَّعِـي ضَـعْـفَـاً عَـنِ الـخَـيْـرِ وقـد يُـمْـكِـنُ

٢٩٥٧ ـ وقال الحسنُ: إذا كثُرتْ ذنوبُ العبدِ، فلم يكن في عملِه ما يُكفِّرُها، سُلِّطَتْ عليه الغُموم، فتكونُ كفَّارةَ ذُنوبِه.

٢٩٥٨ ـ قال أشهبُ: سمعتُ سفيانَ بنَ عُيينةَ يُحَدِّثُ أنَّ رجلاً سُمِعَ مِنْ جوفِ الليلِ وهو يقول: يا ربِّ، إنْ كنتَ ساخطاً عليَّ فواكرباه، وإنْ كنتَ راضياً عنِّي فواقِلَّةَ شُكراه.

٢٩٥٩ ـ قال سُحنونُ: كان ابنُ آدمَ يقول: كنَّا نسلاً مِنْ نسلِ السماءِ، غيْرَ أنَّ الخطيئةَ سَبَتْنَا، فليس لنا الفَرَجُ إلا بالهمِّ والحزنِ حتى نرجِعَ إلى الدارِ التي منها سُبِينَا.

* * *

١٨٧ ـ ما جاء في الإشفاقِ مِنَ الذنوب

٢٩٦٠ ـ قال الحارثُ بنُ سُوَيْدٍ: قال ابنُ مسعودٍ: إنَّ المؤمنَ يرى ذُنوبه كأنَّه قاعدٌ تحتَ جبلٍ يَخافُ أنْ يقعَ عليه، وإنَّ الفاجرَ يرى ذُنوبَه كذُبابٍ مرَّ على أنفِه، فقال به هكذا، ومَرَّ بيدِه فوقَ أنفِه[١].

---

(١) البخاري (٦٣٠٨).

٢٩٦١ ـ ورُوِيَ عنْ عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: مَنْ سرَّه أنْ يَسبِقَ الراتبَ المجتهدَ، فليَكُفَّ نفسَه عنِ الذنوبِ؛ فإنكم لنْ تلقَوُا اللهَ عزَّ وجلَّ بشيءٍ خيْرٍ لكم مِنْ قلةِ الذنوب[1].

٢٩٦٢ ـ وقال الأوزاعيُّ: سمعتُ بلالَ بنَ سعدٍ يقول: لا تنظُرْ إلى صِغَرِ الذنبِ، ولكنِ انظرْ مَنْ عصيتَ[2].

٢٩٦٣ ـ ورُوِيَ عن عُروةَ بنِ عامرٍ: أنَّ العبد تُعرَضُ عليه ذنوبُه يومَ القيامة، فيمرُّ به الذنبُ مِنْ ذنوبه، فيقول: أمَا إنِّي قد كنتُ منك مُشفقاً، فيُغْفَرُ له.

٢٩٦٤ ـ ورُوِيَ عنِ الحسنِ أنه قال: إنَّ الرجلَ لَيُذنِب الذنبَ، فلا يزال حزيناً كئيباً حتى يدخلَ الجنةَ.

٢٩٦٥ ـ وقيل لبعضِ الأعرابِ: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ عُوداً ركوباً، مُوقَراً نِعَماً وذُنُوباً.

٢٩٦٦ ـ ورُوِيَ أنَّ كعبَ الأحبارِ قال لعمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، أنتَ ميتٌ في ثلاث، أجدُ ذلك في بعضِ الكتب. قال: تَجِدُ اسمي ونِسبتي؟ قال: لا، ولكن أجدُ صفتَك وسيرتَك، فقال عمر رضي الله عنه:

أَيُوعِدُني كَعْبٌ ثلاثاً أَعُدُّها ... ولا شكَّ أنَّ القولَ ما قالَهُ كَعْبُ
وما بي خَوْفُ الموتِ إنِّي لَمَيِّتٌ ... ولكنَّ خَوْفَ الذَّنْبِ يَتْبَعُهُ الذَّنْبُ

٢٩٦٧ ـ وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: إنَّ للذنوبِ ضَعْفَاً في القوةِ، وظُلمَةً في القلبِ، وإنَّ للحسناتِ قُوَّةً في البدنِ ونوراً في القلب.

---

(١) الزهد لابن المبارك (٦٧).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٧١)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء٥/ ٢٢٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٣٠.

٢٩٦٨ ـ وكان الأوزاعيُّ إذا رأى رجلاً مِنَ الجندِ، قال: أستغفِرُ اللهَ مِنْ ذنوبٍ سُلِّطَ بها هؤلاء علينا.

٢٩٦٩ ـ وقال موسى بنُ الهُذَيلِ: لَمَّا دخل الجندُ بيروتَ، أتى رجلٌ منهم إلى الأوزاعيِّ، فقال: يا شيخُ، تعالَ احمِلْ هذه المخلاةَ، وكان فيها شعيرٌ فحملها، فلقيَه رجلٌ يعرِفُه، فقال: يا أبا عمرو، أعطِني أحمِلْها عنك، فقال له الأوزاعيُّ: دعني أخدُمُ خطيئتي.

٢٩٧٠ ـ وقيل لسفيانَ الثوريِّ: لو دعوتَ اللهَ عزَّ وجلَّ، فقال: تركُ الذنوب هو الدعاءُ.

٢٩٧١ ـ وقال صالِحٌ المرِّيُّ: سمعتُ الحسنَ يقول: إنَّ الرجلَ لَيُذْنِبُ الذنبَ، فيُحْرَمُ به قيامَ الليلِ.

٢٩٧٢ ـ ولبعضِ بني عامرِ بنِ هُذَيْل:

ألَمْ يَأْنِ يا قَلْبُ أنْ أَتْرُكَ الصِّبَا ... وأَنْ أَزْجُرَ القَلْبَ اللَّجُوجَ عَنِ الهَوَى
وما عُذْرُ مَنْ يَعْمَى وقدْ شَابَ رَأْسُهُ ... وأَبْصَرَ أَبْوابَ الضَّلالَةِ والهُدَى
وإنْ جَنَّ لَيْلٌ كانَ باللَّيْلِ نائِمَاً ... وأَصْبَحَ بَطَّالَ العَشِيَّةِ والضُّحَى
ولَوْ قُسِّمَ الذَّنْبُ الذي قَدْ أَصَبْتُه ... على النَّاسِ خافَ النَّاسُ كُلُّهُمُ الرَّدَى

٢٩٧٣ ـ وروى يونسُ عنِ الحسنِ أنه قال: إنَّ المؤمن جمع إحساناً وشفقَةً، وإنَّ المنافق جمع إساءَةً وأمْناً، وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]. قال: وقال المنافق: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

٢٩٧٤ ـ وأنشدوا:

خُلِقْتُ مِنَ التُّرابَ فَصِرْتُ شَيْئَاً ... وعُلِّمْتُ الفَصِيحَ مِنَ الخِطابِ
وعُدْتُ إلى التُّرَابِ فَظَلْتُ فيه ... كأَنِّي ما بَرِحْتُ مِنَ التُّرابِ
خُلِقْتُ مِنَ التُّرابِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... وأَرْجِعُ بالذُّنوبِ إلى التُّرابِ

٢٩٧٥ ـ وآخِرُ شعرٍ قاله ذو الرُّمَّةِ:

يا ربِّ قد أَسْرَفَتْ نفسي وقَدْ عَلِمَتْ عِلْماً يَقِيناً لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثارِي
يا مُخْرِجَ النَّفْسَ مِنْ جِسْمي إذا احْتُضِرَتْ وفارِجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنِي عَنِ النَّارِ

٢٩٧٦ ـ ولقي حكيمٌ حكيماً، فقال له: إنِّي لأحبُّك في الله، فقال: لو علمتَ مِنِّي ما أعلمُ مِنْ نفسي لأبغضتَني في الله، فقال له الأولُ: لو أعلمُ منك ما تعلمُه مِنْ نفسِك، لكانَ لي فيما أعلمُه مِنْ نفسي شغلٌ عنْ بُغْضَتِك.

٢٩٧٧ ـ ورُوِيَ عن عيسى ابنِ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ابنَ آدمَ، إذا عملتَ الحسنةَ، فالْه عنها، فإنَّها عند مَنْ لا يُضيِّعُها، وإذا عملتَ السيئةَ، فاجعلْها نُصْبَ عينيك.

٢٩٧٨ ـ وأنشدوا:

يا خارِبَ القَلْبِ عامِرَ الأمَلِ عِشْتَ وغَرَّتْكَ صِحَّةُ البَدَنِ
لا أنتَ قَصَّرْتَ في القَبيحِ ولا مَحَوْتَ بعضَ القَبيحِ بالحَسَنِ
لو كنتَ مِمَّنْ تَكُفُّهُ عِظَةٌ كَفَّكَ ذِكْرُ الحَنُوطِ والكَفَنِ

٢٩٧٩ ـ وكان الربيعُ بنُ خُثَيْمٍ إذا قيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحنا ضُعفاءَ مُذنبين، نأكلُ أرزاقَنا، وننتظرُ آجالَنا.

٢٩٨٠ ـ وقيل للحسنِ: كيف أصبحتَ؟ قال: ما مَنْ كُسِرَ مركبُه في بحرٍ أعظمَ مصيبةً في نفسِه منِّي في نفسي. قيل: ولِمَ؟ قال: لأني مِنْ ذنوبي على يقينٍ، ومِنْ طاعتي على وَجَلٍ، لا أدري مقبولةٌ مِنِّي أو مضروبٌ بها وجهي، فقيل له: أنتَ تقول هذا! فبكى الحسن، ثم قال: ويحَكَ! فهل أمنتُ أنْ يكونَ نظرَ إليَّ في بعض فَعَلاتي نظرةَ مَقْتٍ أَغلقَ بها أبوابَ المغفرةِ عني، ثم قال: يا حسنُ، اعملْ ما شئتَ، فلن أغفِرَ لك؟.

٢٩٨١ ـ وقيل للمُغيرةِ: يا أبا محمد، كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحنا مُعترفين بالنِّعَمِ، مُقرِّين بالذنوبِ، يتحبَّبُ إلينا ربُّنا وهو عنَّا غنيٌّ، ونَتباغضُ إليه بالمعاصي ونحن إليه فقراءُ.

٢٩٨٢ ـ وقيل لأحمدَ بنِ أبي الحَوارِيِّ: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ قوياً على اجتراحِ الذنوبِ، ضعيفاً عن حملِها، عالماً بسِيَرِ الصالحين، عاجزاً عنْ إتيانِها.

٢٩٨٣ ـ وقيل لمحمدِ بنِ واسِعٍ: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ طويلاً أملي، قصيراً أجلي، سيئاً عملي.

٢٩٨٤ ـ وقيل لمحمدٍ اللَّفافِ: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ أشتهي عافيةَ يومٍ إلى الليلِ. فقيل له: ألستَ الأيامَ كلَّها في عافيةٍ؟ قال: العافيةُ أنْ لا أعصيَ اللهَ عزَّ وجلَّ.

٢٩٨٥ ـ ولابن المعتز:

خَلِّ الذُّنوبَ صَغيرَهَا ... وكَبيرَهَا فَهْوَ التُّقَى
كُنْ مِثْلَ مَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إنَّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَى

٢٩٨٦ ـ ولأبي فراسٍ:

سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ ... ولِمَا سَرَّكَ أَكْثَرْ
يا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ اللَّهِ ... عَنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرْ

* * *

١٨٨ ـ ما جاء في الخوف والرجاء

٢٩٨٧ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١].

٢٩٨٨ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ ـ ١٧].

٢٩٨٩ ـ قال مصعب بن عبد الله: اختلفتُ إلى جعفر بن محمد زماناً، فما كنت أراه إلا على ثلاثِ خِصالٍ؛ إمَّا مصلِّياً، وإمَّا صائماً، وإمَّا يقرأ القرآن. وما رأيتُه قطُّ يتحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولا يتكلَّم فيما لا يعنيه. وكان مِنَ العلماء العبَّاد الزُّهَّاد الذين يخشَوْن اللَّهَ عزَّ وجلَّ، ولقد حججتُ معه سنةً، فلمَّا أتى الشجرةَ أحرم، فكلمَّا أراد أن يهِلَّ، كاد أنْ يُغشى عليه، فقلت له: لا بدَّ لك مِنْ ذلك، قال: يا ابنَ أبي عامر، أخشى أنْ أقولَ لبَّيك اللَّهمَّ لبيك، فيقول: لا لبيكَ ولا سعديك.

٢٩٩٠ ـ قال مالك: ولقد أحرم جدُّه علي بن الحسين، فلمَّا أراد أن يقولَ: لبيكَ اللَّهمَّ لبيك، غُشِيَ عليه، وسقط مِنْ ناقتِه فهشم وجهُه.

٢٩٩١ ـ ورُوِيَ عن بعض العلماء: إنَّما يدخلُ الجنةَ من يرجوها، وإنَّما يُجَنِّبُ اللَّهُ النارَ مَنْ يخشاها، وإنَّما يرحمُ مَنْ يرحمُ.

٢٩٩٢ ـ ورُوِيَ عن الحسن أنه قال: لقد مضى بين أيديكم أقوامٌ لو أنفق أحدُهم عددَ الحصى لخَشِيَ أنْ لا ينجُوَ مِنْ عِظَمِ الأمرِ في نفسِه.

٢٩٩٣ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أنه قال: «**إنَّ الله خلقَ الرحمةَ يومَ خلَقَها مائةَ رحمةٍ، فأمسك عندَه تسعاً وتسعين رحمةً، وأرسلَ في خلْقِه كلِّهم رحمةً واحدةً، ولو يعلمُ الكافرُ بكلِّ الذي عندَ الله من الرحمة، لم ييأس من الجنة. ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله مِنَ العذابِ، لم يأمَنْ مِنَ النار**»[1].

---

(١) حديث مرفوع، رواه البخاري (٦٤٦٩)، وروى مسلم الشطر الأول من الحديث برقم (٢٧٥٢)، والشطر الثاني برقم (٢٧٥٥).

٢٩٩٤ ـ وقال لقمانُ لابنه: يا بُنَيَّ، خَفِ اللَّهَ خوفاً لا تيأسُ فيه مِنْ رحمته، وارْجُهُ رجاءً لا تأمَنُ فيه مِنْ عِقابِه. فقال: يا أبتاه، وكيف وإنَّما لي قلبٌ واحد؟ فقال: يا بُنَيَّ، إنَّ المؤمنَ لو شُقَّ قلبُه وُجِدَ فيه نورُ رجاءٍ ونورُ خوفٍ لو وُزِنا لم يَمِلْ أحدُهما بصاحبِه.

٢٩٩٥ ـ وروى رِبْعِيُّ بنُ حِراشٍ عن حذيفةَ بن اليمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلاً حضره الموتُ، فلما أَيِسَ مِنَ الحياة أوصى أهلَه: إذا أنا متُّ، فاجمعوا لي حطباً كثيراً، وأوقدوا فيه ناراً، حتى إذا أكلَتْ لحمي وخلَصَتْ إلى عظمي وامتُحِشْتُ، فخذوها واطحنوها، ثم انظروا يومَ ريحٍ، فاذروه في اليَمِّ، ففعلوا. فجمعه الله تعالى، فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: مِنْ خشيتِك يا رب، فغفر اللَّهُ له**». وقال عقبةُ بن عمرو: وأنا سمعته، وكان نبَّاشاً[1].

٢٩٩٦ ـ وروى عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة، قال: رأيتُ عمرَ بن الخطاب أخذ نبتةً مِنَ الأرض، فقال: يا ليتني هذه النبتة، يا ليتني لم أكن شيئاً، ليت أمي لم تلدْني، ليتني كنتُ نسياً منسياً!.

٢٩٩٧ ـ وقال عمران بن حصين: لوَدِدْت أني رمادٌ تسفيني الرياحُ في يوم عاصفٍ.

٢٩٩٨ ـ وقال أبو الدرداء: إنَّ أخوفَ ما أخاف أن يُقال لي إذا وقفتُ للحسابِ: قد علمتَ، فماذا عملتَ فيما علمتَ.

٢٩٩٩ ـ وقال عبد اللَّه بن دينار: قال لقمانُ لابنه: يا بُنَيَّ، كيف يأمنُ النارَ مَنْ هو واردُها؟ وكيف يطمئنُّ إلى الدنيا مَنْ هو مفارقُها؟ وكيف يغفُل مَنْ لا يُغفل عنه؟ يا بُنَيَّ، لا تشكَّ في الموت؛ فإنك كما تنام كذلك تموت، ولا تشكَّ في البعث؛ فإنك كما تستيقظ كذلك تُبعثُ. يا بُنَيَّ، إنَّ

---

(١) البخاري (٣٤٥٢).

الإنسان لثلاثة: فمنه لله، ومنه لنفسِه، ومنه للدُّود والتراب. فأما ما كان لله فروحُه، وأما ما كان لنفسه فعمله خيراً أو شراً، وأمَّا ما كان للدود والتراب فجسده.

٣٠٠٠ ـ قال وهب بن مُنَبِّه: بلغ ابنَ عباس مجلسٌ كان في المسجد الحرام ناحيةَ بني سهمٍ، يجلس فيه أناسٌ مِنْ قريش، فيختصمون فترتفع أصواتُهم، فقال ابنُ عباس: انطلق بنا إليهم، فانطلقنا حتى وقفنا عليهم، فقال لي ابن عباس: أخبرهم بالكلام الذي كلم به الفتى أيوبَ عليه السلام وهو في بلائه. قال: قل: قال الفتى أما كان في عظمةِ الله وذكرِ الموت ما يكِلُّ لسانَك، ويقطع قلبَك، ويكسر حُجَّتك. يا أيوبُ، أما علمت أن لله عباداً أسكتتهم خشيةُ الله تعالى من غير بَكَم، وإنهم هم النبلاءُ الفصحاءُ الألِبَّاء العالِمون بالله وأيامه، ولكنهم إذا ذكروا عَظَمَةَ الله عزَّ وجلَّ انقطعت قلوبُهم، وكلَّت ألسنتُهم، وطاشت عقولُهم وأحلامُهم فزعاً مِنَ اللَّهِ وهيبةً له، فإذا استفاقوا مِنْ ذلك استَبَقُوا إلىٰ الله عزَّ وجلَّ بالأعمال الزاكية، لا يستكثرون له الكثيرَ، ولا يرضَوْن له القليلَ، يعدُّون أنفسَهم مِنَ الظالمين الخاطئين، وإنَّهم لأنزاهٌ أبرار، ومع المضَيِّعين المفَرِّطين، وإنهم لأكياسٌ أقوياءُ، ناحلون دائبون.

٣٠٠١ ـ وقال الحسن: يا ابن آدم، اذكر القبْر وضِيقَه وظُلمتَه وضَنَكه؛ فإنَّ فيه ما يُحزن قلبَ المؤمن ويُبكي عينيه. خفِ اللَّهَ يا ابنَ آدم يكفك ما يُخوِّفُك به الشيطانُ؛ فلقد أدركتُ صدراً مِنْ هذه الأمة، فمكثتُ فيهم، ثم طال بي عمري حتى أدركتُكم. فوالذي لا إله غيْرُه، إن كانوا لهم أبصرَ بدينِهم بقلوبِهم منكم بدنياكم بأبصاركم. والله الذي لا إله غيْره، إنْ كانوا لهم أشدَّ شَفَقَةً مِنْ حسناتِهم ألا تُقبلَ منهم منكم مِنْ سيئاتكم أنْ تُؤخَذوا بها. والذي نفسي بيده، إن كانوا لهم أزهدَ في مالٍ أُحِلَّ لهم منكم فيما حُرِّمَ عليكم.

٣٠٠٢ - وقال وهب بن مُنَبِّه: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى بن مريم عليه السلام: أنْ يا عيسى، اذكرني في الدنيا أذكرك في الآخرة، وتيقَّظ في ساعاتِ الليل، وأسْمِعْني لذاذةَ الإنجيل في مساجدي، وليَضطرِبْ قلبُك خوفاً مني، ولتخشَعْ جوارحُك لي، وقلْ لقومِك إذا دخلوا مسجداً لا يدخلوه إلا بقلوبٍ خاشعةٍ وأبصارٍ حافظةٍ وأيدٍ طاهرةٍ مِنَ الدَّنَسِ، أخبِرْهم أني لا أستجيبُ دعاء ظَالمٍ حتى يردَّ المظلمةَ إلى صاحبها. يا عيسى، إني ذاكرٌ مَنْ ذكرني، أجزي المحسنين وألعنُ الظالم. يا عيسى، لا تُجالسِ الخَطَّائين حتى يتوبوا. فقال عيسى: يا معشرَ الحواريين، لاتُجالسوا الخطَّائين؛ فإنَّ مجالستَهم معصيةٌ تُقَسِّي القلبَ، وتوبوا إلى اللَّهِ تعالى بمفارقتهم.

٣٠٠٣ - وقال أعرابي: خَفِ الشَّرَّ مِنْ موضعِ الخيْرِ، وارْجُ الخيْرَ مِنْ موضعِ الشَّرِّ؛ فرُبَّ حياةٍ سببُها طلبُ الموتِ، وموت سببُه طلبُ الحياة، وأكثر ما يأتي إلا مِنْ ناحية الخوف.

٣٠٠٤ - وقيل لرابعةَ: هل عملتِ عملاً قطُّ تَرَيْ أنه تُقُبِّلَ منك؟ قالت: إنْ كان، فخوفي أنْ يُرَدَّ عليَّ.

٣٠٠٥ - وقال إسحاق بن خلف: ليس الخائفُ مَنْ بكى وعصر عينيه، وإنما الخائفُ مَنْ ترك ما يخافُ أنْ يُعَذَّبَ عليه.

٣٠٠٦ - وقال أبو سعيد بن زياد: لما أَخذ سفيانُ في الزهدِ، ظنَنَّا أنه مريض، فأخذنا بولَه في قارورةٍ، وذهبنا بها إلى الطبيب بالأكيراح[1] نصراني، فقال: ما صاحبُكم بمريضٍ، وما به إلا الخوفُ، وما هذا إلا بولُ راهبٍ.

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان ٢٤٢/١: أكيراح بالضم ثم الفتح وياء ساكنة وراء وألف وحاء مهملة: وهي في الأصل القباب الصغار. قال الخالدي: الأكيراح: رستاق نزه بأرض الكوفة. والأكيراح أيضاً بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم.

٣٠٠٧ ـ وقال منصور بن عمَّار: ثلاثة تفَتَّتَتْ أكبادُهم مِنَ الخوفِ: الفُضَيل بنُ عِياضٍ، وعيسى بنُ يونس، وعبد الله بنُ المبارك.

٣٠٠٨ ـ وقال أبو سليمان الدَّاراني: ينبغي للخوفِ أنْ يكونَ أغلبَ مِنَ الرجاء، فإذا غلبَ الرجاءُ فسد القلبُ.

٣٠٠٩ ـ ولأبي تمام الطائي:

أخافُ إلهي ثمَّ أرجو نوالَه ... ولكنَّ خوفي غالبٌ لرَجائيا
ولولا رجائي واتِّكالي على الذي ... تَفَرَّدَ لي بالصُّنع كهلاً وماشيا
لَمَا ساغ لي عَذْبٌ مِنَ الماءِ باردٌ ... ولا لَذَّ لي نومٌ ولا زِلْتُ باكيا
على سوءِ ما قد كان مِنِّي جهالَةً ... ليالِيَ فيها كنتُ لله عاصِيا

٣٠١٠ ـ وقال يحيى بن معاذ: رجاءُ المؤمنِ أكثرُ مِنْ خوفِه، وإلا كان قلقاً، وذلك أنَّ الخوفَ اتِّقاءُ الغضبِ، والرجاءُ طمعٌ في الرحمةِ، وقد سبق مِنْ قضائِه أنَّ رحمتَه سبقت غضبَه[1].

٣٠١١ ـ وقال الفُضَيل: الخوفُ ما كان الإنسان صحيحاً أفضلُ، فإذا نزل به الموتُ، فالرجاء أفضل.

٣٠١٢ ـ وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ: إنَّما جعل اللَّهُ تبارك وتعالى الغفلةَ في قلوب العبادِ رحمةً لهم لئلا يموتوا مِنْ خشيته.

٣٠١٣ ـ وللحسن بن هانئ عفا الله عنه:

يا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنوبِيَ كَثْرَةً ... فلقدْ عَلِمْتُ بأنَّ عفوكَ أعْظَمُ
ما لي إليكَ وسيلةٌ إلا الرَّجا ... وجَميلُ عفوِكَ ثمَّ إنِّي مُسلمُ

---

(١) وقد صح ذلك مرفوعاً من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**». رواه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

إنْ كان لا يرجوك إلا مُحْسِنٌ فمنِ الذي يدعو ويرجو المجرمُ
أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تضرُّعاً فإذا رددْتَ يدي فمَنْ ذا يرحمُ

٣٠١٤ - وقال علي بن أبي طالب ﷺ لرجال مِنْ أصحابِه: كيف أنتم؟ قالوا: نرجو ونخاف. قال عليٌّ: مَنْ رجا شيئاً طلبَه، ومَنْ خاف شيئاً هرب منه. ما أدري ما خوفُ رجلٍ عَرَضَتْ له شهوةٌ، فلم يترُكْها لِمَا يخاف، وما أدري ما رجاءُ رجلٍ نزل به بلاءٌ، فلم يصبِر عليه لما يرجو؟.

٣٠١٥ - وروى الحسن البصري: قال الله عزَّ وجلَّ: وعِزَّتي لا أجمعُ على عبدي خوفين، ولا أجمعُ له أمنين؛ فإذا أَمِنَني في الدنيا أخفتُه يومَ القيامة، وإذا خافني في الدنيا، أَمَّنْتُه يومَ القيامة[١].

٣٠١٦ - وقيل لعبد الرحمن بن أبي نُعْم: كيف أصبحتَ؟ قال: إنْ نَكُنْ أبراراً، فكرامٌ أتقياءُ، وأنْ نَكُنْ فُجَّاراً فلئامٌ أشقياءُ.

٣٠١٧ - وقيل لأعرابي: ما أحسنَ الثَّناءَ عليك؟ قال: بلاءُ الله عندي أحسنُ مِنْ وصفِ المادحين وإنْ أحسنوا، وذنوبي إلى الله أكثرُ مِنْ ذَمِّ الذَّامِّينَ وإن أكثروا. فيا أسَفَا على ما فرَّطْتُ، ويا سَوْأتا مِمَّا قدَّمْتُ.

٣٠١٨ - ورُوِيَ عنِ الحسن في قول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال: الخوف الدَّائم في القلب.

٣٠١٩ - ورُوِيَ عن حُمَيْدِ بنِ هلال، قال: خرج هَرِمُ بنُ حيَّان وعبد الله بنُ عامرٍ، فبينما هما يسيران على راحلتيهما، إذْ عرضت لهما صِلِّيَانَةٌ[٢]، فابتدرتاها الناقتان، فأكلتها إحداهما، فقال هَرِمٌ: أتُحِبُّ أنك كنتَ هذه الصِّلِّيَانةَ، فأكلتكَ هذه الناقةُ فذهبت؟ فقال ابنُ عامرٍ: لا واللّهِ، ما

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١٥٧). ورواه أيضاً مرفوعاً (١٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وصححه ابن حبان (٦٤٠).

(٢) الصليان: نوع من النبات.

أُحبُّ ذلك؛ إنِّي لأرجو أنْ يُدخِلَني اللَّهُ الجنةَ، وأرجو، فقال هَرِمٌ: أمَا والله، لو علمتُ أني أُطاع في نفسي لأحببتُ ذلك.

٣٠٢٠ ـ ورُوِيَ عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه رأى طائراً واقعاً على شجرةٍ، فقال: طوبى لك يا طائرُ! تأكلُ الثمرَ، وتقع على الشجر. لوَدِدْتُ أني ثمرةٌ ينقُرُها الطائرُ.

٣٠٢١ ـ وروى عبد اللَّه بن المبارك[1] أن المؤمن بين مخافتين: من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله عزَّ وجلَّ فيه، ومن عمر قد بقي لا يدري ما يصيب به من المهلكات.

٣٠٢٢ ـ وروى أبو عمران الجَوْني عن أبي الجَلْد: قرأتُ في بعض كتب الحكمةِ: أوحى الله تبارك اسمه إلى داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا داودُ اذكُرني حينَ تذكُرُني وأنت تنتفضُ أعضاؤك، وكنْ عند ذكري خاشعاً مطمئناً، وإذا قمتَ بين يديَّ فقم مقامَ العبدِ الذليلِ الحقيرِ، وذُمَّ الدنيا؛ فإنَّها أولى بالذَّمِّ، وناجِنِي حين تناجيني بقلبٍ وَجِلٍ ولسانٍ صادقٍ.

٣٠٢٣ ـ ورُوِيَ أنَّ عليَّ بن الحسين رضي الله عنهما كان إذا توضَّأ اصفرَّ، فيقولُ له أهلُه: ما هذا الذي يعتادُك عند الوضوء؟ فيقول: ويحَكُم! أتدرون بين يديْ مَنْ أُريدُ أنْ أقومَ؟.

٣٠٢٤ ـ ورُوِيَ أنه يؤتى يومَ القيامةِ بشيخٍ مِنْ أمَّةِ محمد ﷺ له مِنَ الذنوب كقَدْرِ رملِ عالِجٍ، فيُوقَفُ بين يدِي الله عزَّ وجلَّ، فيقول: انطلقوا به إلى النار، فيلتفتُ العبدُ، فيقول الله تعالى: رُدُّوه، ما التفاتُك؟ فيقول العبد: يا ربِّ، تسألُني عن شيءٍ أنت أعلمُ به مني، خرجتُ مِنَ الدنيا، فبُشِّرْتُ

---

(١) في كتاب الزهد برقم (٣٠٤)،قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: فذكره. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٣٦٠/٧ برقم (١٠٥٨١) عن الحسن البصري مرسلاً. وراه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٣٢/٢، و١٥٧ ـ ١٥٨ عن الحسن من قوله.

بالنار وما انقطعَ رجائي منك، وأمرتَ بي إلى النار وما انقطع رجائي منك. فيقول الله تعالى: اشهدوا أني قد غفرتُ له.

٣٠٢٥ - وقال الأصمعيُّ: كان رجلٌ يحدِّثُ بأهوالِ يوم القيامةِ وأعرابيٌّ جالسٌ يسمعُ، فقال الأعرابيُّ: يا هذا، مَنْ يَلِي هذا مِنَ العبادِ؟ قال: اللَّهُ تعالى، فقال الأعرابيُّ: الله أكبر! إنَّ الكريم إذا قدَرَ عفا.

٣٠٢٦ - وقال أبو حازم: كُنْ لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو؛ فإنَّ موسى خرج مقتبساً ناراً، فنُودي بالنُّبُوَّةِ.

٣٠٢٧ - وقيل في هذا المعنى:

أيُّها العبدُ كُنْ لِمَا لستَ ترجو ... مِنْ نَجاحٍ أرجى لِمَا أنتَ راجِ
إنَّ موسى مضى لِيَقْتَبِسَ ناراً ... في ضِياءٍ رآهُ والليلُ داجِ
فأتى أهلَه وقد كلَّمَ اللَّهَ ... وناجاه وهو خيرُ مُناجِ
وكذا الكرْبُ كلَّما اشتدَّ بالعبدِ ... دَنَتْ منه راحةُ الانفِراجِ

٣٠٢٨ - وقال مجاهد في قول الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] قال: هو الذي يهمُّ بالذنبِ، فيذكر اللَّهَ فيدَعه.

٣٠٢٩ - وقال بعضُ الحكماءِ: مَنْ لم يتمكَّنِ التعظيمُ مِنْ سرِّه، لم يكن للخوفِ موضعٌ مِنْ قلبِه.

٣٠٣٠ - ويُروى أنَّ الفُضَيلَ بنَ عِياضٍ رُؤِيَ يومَ عرفةَ والناسُ يدعون، وهو يبكي بكاءَ الثَّكلى المحترقة، حتى إذا كادتِ الشمسُ تغيب، قبض على لحيتِه، فقال: وسوأتاه وإنْ غُفِرَ لي، ثم انقلب مع الناس.

٣٠٣١ - وسُئِلَ ابنُ عباسٍ ﷺ عنْ صفاتِ الخائفين؟ فقال: قلوبُهم بالخوف فَرِحَةٌ، وأعينُهم باكيةٌ، يقولون: كيف نفرحُ والموتُ مِنْ ورائنا، والقبْر أمامَنا، والقيامةُ موعدُنا، وعلى جهنَّمَ طريقُنا، وبين يدي ربِّنا موقفُنا؟.

٣٠٣٢ ـ وقال الشَّعبِيُّ: أوحى اللَّهُ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا موسى، أتخافُ غيري؟ قال: نعم يا ربِّ، أخاف مَنْ لا يخافُك. قال: حُقَّ لك أنْ تخافَ مَنْ لا يخافُني.

٣٠٣٣ ـ وقيل لعطاء السَّليمي في مرضه: أتشتهي شيئاً؟ قال: إنَّ خوفَ جهنَّمْ لم يدَعْ في قلبي موضعاً للشهوة.

٣٠٣٤ ـ وكان يقول: إذا أصاب الناسَ ريحٌ أو بردٌ أو غلا الطعامُ: هذا مِنْ أجلي يصيبُهم، لو مات عطاءٌ استراح الناسُ.

٣٠٣٥ ـ وقال بعض الصالحين: خرجتُ يوماً إلى السوق ومعي جاريةٌ حبشيةٌ، فأجلستُها في موضعٍ بناحيةِ السوقِ، وذهبت في بعض حوائجي، وقلتُ: لا تبْرحي حتى أنصرفَ إليك. فانصرفتُ فلم أجدْها في الموضع، فانصرفتُ إلى منْزلي وأنا شديدُ الغضب عليها، فلما جاءتني عرفَتِ الغضبَ في وجهي، وقالت: يا مولاي، لا تعجَلْ عليَّ، إنَّك أجلسْتَني في موضعٍ لم أرَ فيه ذاكراً لله، فخِفتُ أنْ يُخْسَفَ بذلك الموضعِ. فعجبتُ لقولِها، وقلت لها: أنت حرةٌ.

٣٠٣٦ ـ وأنشدوا:

مولايَ مَنْ أرجو غداً ... لِوَحْدَتي وغُرْبَتي
مَنْ لي إذا أُعْطِيتُ كارهاً صحيفَتي

٣٠٣٧ ـ ولأبي العتاهية:

إلهي لا تُعَذِّبْني فإنِّي ... مُقِرٌّ بالذي قد كان مِنِّي
فما لي حِيلةٌ إلا رجائي ... لِعَفْوِكَ إنْ عَفَوْتَ وحُسْنُ ظَنِّي
يَظُنُّ الناسُ بي خَيْراً وإنِّي ... لَشَرُّ الناسِ إنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

* * *

١٨٩ ـ ما جاء في التوبة

٣٠٣٨ ـ قال أهل العلم: معنى التوبةِ: الرجوعُ عن الذنبِ، مع العزم على تركه في المستقبل.

٣٠٣٩ ـ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

٣٠٤٠ ـ وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

٣٠٤١ ـ قال محمد بن إسماعيل[١]: توبةً نصوحاً: الصادقة الناصحة.

٣٠٤٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

٣٠٤٣ ـ وروى أبو هريرةَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنِّي لأستغفرُ اللَّهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرةً»**[٢].

٣٠٤٤ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن مسعود عن النبي ﷺ: **«للهُ تعالى أفرحُ بتوبةِ العبدِ مِنْ رجلٍ نزلَ منْزِلاً بأرضٍ مَهْلَكَةٍ ومعه راحلتُه عليها طعامُه وشرابُه، فوضع رأسَه، فنام نومةً فاستيقظ وقد ذهبت راحلتُه، حتى إذا اشتدَّ عليه الحرُّ أو العطشُ أو ما شاء الله، قال: أرجِعُ إلى مكاني، فرجع فنام نومةً، ثم رفع رأسَه، فإذا راحلتُه عنده»**[٣].

٣٠٤٥ ـ وقال أبو هريرة: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: **«إنَّ عبداً أصاب**

---

(١) هو الإمام البخاري رحمه الله، والقول في «صحيحه»، كتاب الدعوات، باب التوبة. في ترجمة الباب، وهو من قول قتادة، لا من قول الإمام البخاري نفسه.

(٢) البخاري (٦٣٠٧).

(٣) البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

ذنباً، فقال: ربِّ، أذنبتُ ذنباً فاغفره لي. وقال ربُّه: عَلِمَ عبدي أنَّ له ربَّاً يغفرُ الذنبَ ويأخذُ به، غفرتُ لعبدي. ثم مكثَ ما شاء اللَّهُ، ثم أذنب، فقال: ربِّ أذنبتُ آخر فاغفرْه لي، فقال: علِمَ عبدي أنَّ له ربَّاً يغفر الذنب ويأخذُ به، غفرت لعبدي»[١].

٣٠٤٦ ـ ورُوِيَ عن زيد بن أسلم أن رجلاً قال: يا رسولَ اللَّهِ، ليس أحدٌ يعملُ مِثقالَ ذرَّةٍ خيْراً إلا رآه، ولا مثقال ذرَّةٍ شرَّاً إلا رآه؟ قال: «**نعم**»، فانطلق الرجلُ وهو يقول: واسوأتاه! فقال النبي ﷺ: «**آمَنَ الرجلُ**»[٢].

٣٠٤٧ ـ وروى يعقوبُ بن غضبان العجليُّ، قال: أتى رجلٌ ابنَ مسعودٍ قدْ ألَمَّ بذنبٍ، فأعرض عنه، فلَحَظَه عبدُ الله إذا التفتَ إليه، فإذا عيناه تذرِفانِ، فقال: هذا أوانُ هَمِّك ما حَيِيتَ له، إنَّ للجنةِ سبعةَ أبوابٍ، كلها تُفتحُ وتُغلَقُ إلى يوم القيامةِ إلا بابَ التوبةِ، فإنَّ به مَلَكاً مُوَكَّلاً لا يُغلق، فاعمل ولا تيأسْ[٣].

٣٠٤٨ ـ ورُوِيَ عن أبي قِلابةَ أن الله تعالى لما لعن إبليسَ سأله النظرةَ، فأنظرَه إلى يوم القيامةِ، فقال: وعِزَّتِك لا أخرجُ مِنْ قلبِ ابنِ آدمَ ما دام فيه الروحُ. قال الله تبارك وتعالى: وعِزَّتي لا أحجُبُ عنه التوبةَ ما دام فيه الروح.

٣٠٤٩ ـ ورُوِيَ عن أبي عثمان النهدي: احتجبَ عبد اللَّه بن عَمرو، فأرسلنا إليه امرأةً، فقالت له: ما الذنبُ الذي لا يغفره اللَّه؟ قال: ما مِنْ ذنب، أو ما مِنْ عملٍ يعملُه الناسُ بين السماء والأرض، ثم يتوبُ العبدُ إلى الله عزَّ وجلَّ منه قبل أنْ يموتَ إلا تابَ الله عليه[٤].

---

(١) البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

(٢) حديث مرسل، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨١).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (١٠٤٢). ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦٢/٧ بنحوه.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (١٠٤٦).

٣٠٥٠ ـ وروى همام عن كعب، قال: إنَّا نجد أنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: أنَا اللَّهُ لا إله إلا أنا، خالِقُ الخلق، أنا الملك العظيمُ، دَيَّانُ الدِّينِ، وربُّ الملوكِ، قلوبُهم بيدي، فلا تشاغَلُوا بذكرِهم عن ذكري ودعائي والتوبةِ إليَّ، حتى أعطِفَهم عليكم بالرحمةِ، فأجعلهم رحمةً، وإلا جعلتُهم نِقمةً. ثم قال: ارجِعوا رحمكم اللَّهُ وتوبوا مِنْ قريبٍ؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فهل ترى الله تبارك وتعالى يعاتِبُ إلا المؤمنين[١].

٣٠٥١ ـ قال ابن القاسم: تذكرانا مع عبد الرحيم بن خالد إيمانَ الكافرِ ورجوعَه إلى الإسلام وما ذكر اللَّهُ في كتابه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] وذكر ذنوب أهل الإسلام، فقال: إنِّي أرجو أنْ يكونَ أهلُ الإسلامِ أفضلَ حالاً في هذا مِنْ أهلِ الكفرِ. ولقد بلغني أنَّ توبَةَ المسلم كالإسلامِ بعد الإسلامِ.

٣٠٥٢ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن عَمرو بن العاص أنه قال: «**ويلٌ للمصِرِّين الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون**»[٢].

٣٠٥٣ ـ ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: اجلسوا إلى التوابين؛ فإنهم أرقُّ أفئدةً.

٣٠٥٤ ـ وقال إبراهيم بن أدهم: إنك إذا أدمنتَ النظرَ في مِرآة التوبةِ، بانَ لك قُبحُ شَيْنِ المعصيةِ.

---

(١) رواه حسين المروزي في زيادات الزهد لابن المبارك (١٠٥٣)، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/١٩ ـ ٢٠.

(٢) حديث مرفوع، رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، وأحمد في المسند ٢/١٥٥و٢١٩ بإسناد حسن.

٣٠٥٥ ـ ورُوِيَ أن عبد اللَّه بن عمر جلس في الحِجْرِ إذ دخل فتىً من باب بني هاشم مجتازاً في المسجد يجرُّ إزارَه، فناداه ابنُ عمر، فقال له: من أنت؟ فانتسبَ له، فإذا فتى مِنْ قريش، فقبضَ ابنُ عمرَ على شَحمةِ أُذُنَيْ نفسِه، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ بأذني هاتين أنَّه «**مَنْ جرَّ إزارَه يُريدُ به الخُيَلاءَ، لم يَنظُرِ اللَّهُ إليه يومَ القيامة**». فقال الفتى: أستغفرُ اللَّهَ وأتوبُ إليه، ثم انطلق فألقى ثيابَه تلك، ولبس ثوبين أبيضين، ولزم ابنَ عمرَ حتى ماتَ[1].

٣٠٥٦ ـ وقال أبو هاشم: أردتُ البصرةَ، فجئتُ سفينةً لأركبَ فيها، وفيها رجلٌ معه جاريةٌ، فقال الرجلُ: ليس لك موضعٌ ها هنا، فقالت الجارية: يا مولانا احمله فحملني، فلما رُفِعَ الشراعُ على السفينةِ، قال الرجلُ: عليَّ بالغَدَاء، فوُضِعَ بين يديه، فقال: كلِّمُوا ذلك المسكينَ يتغدَّى معنا، فقمت على أنِّي أنا مسكينٌ، فلما تغدينا قال: يا جاريةُ، قدِّمي شرابَك ففعلتْ، ثم أمرها أن تسقِيَني، فقلتُ: يرحمُك الله، إنَّ للضيفِ حقّاً، وإنَّ هذا يُؤذيني. قال: فتركني فلما دبَّ الشراب فيه، قال: يا جاريةُ، خذي العودَ، فأخذته فغنَّت:

وكُنَّا كَغُصْنَيْ بانَةٍ ليس واحِدٌ يَزولُ عَنِ الحالاتِ عَنْ رَأْيِ واحِدِ
تَبَدَّلَ لي خِلاً فخالَلْتُ غَيْرَهُ وباعَدْتُه لَمَّا أرادَ تَباعُدِي

فالتفتَ إليَّ، وقال: أتُحسِنُ مِثْلَ هذا؟ قلت: نعم، وأَحْسَنَ منه. قال لي: قلْ، فقرأت عليه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١]. قال: ليس هذا أريدُ، فتماديت حتى انتهيت ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠] فبكى، وقال: يا جاريةُ، اذهبي فأنتِ حرَّةٌ، وأمر بإلقاءِ الشرابِ في الماءِ، وأمرَ بكسرِ العودِ، ثم قام إليَّ، فاعتَنَقَني وقال: يا أخي، أتَرى الله يقبلُ

(١) البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥).

توبتي؟ فقلت: نعم إنْ شاء اللَّه؛ لأنه يحبُّ التَّوابين ويحبُّ المتطهرين. قال: ثم أقبلَ على العبادةِ حتى مات. قال أبو هاشم: ولقد رأيتُه في منامي، فقلت له: يا ابن أخي، ما صرتَ إليه؟ قال: إلى الجنة. قلت: بما صرتَ إليها؟ قال: بقراءتِك ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير: ١٠].

٣٠٥٧ - ورُوِيَ أنَّ أبا عِقال بن علُّون بن أبي دُرَّة كان على بَطالةٍ مُفْرطةٍ، ثم تابَ وتعبَّد، وتوُفِّيَ بمكة. وقيل عنه: إنه قال: ما تَهيَّأت لِيَ التوبةُ النصوحُ إلا بعدَ أن تبتُ مراراً، ثم رجعتُ، ثم وَفَّقَ اللَّهُ وسدَّدَ وعصمَ وأيَّدَ.

٣٠٥٨ - وقال أبو العباس الزُّبَيديُّ: كان عندَنا بالمدينةِ امرأةٌ مِنَ المجتهدات في العبادةِ، والمبَرِّزاتِ في الزَّهادةِ، وكان لها ابنٌ يسحبُ رَسَنَهُ في البَطالة، ويَجُرُّ أذياله في الجَهالةِ، وكان شاعراً ملهِياً ماجناً، يُنادِمُ الأمراءَ، ويُنافسُ في مُجالسةِ الكُبراءِ، فقالت له أمُّه: يا بُنَيَّ، احذَرْ مصارعَ الجُهَّالِ، ووقوعَ عَثْرَةِ الأغفال، ونزولَ ملكِ الموتِ بالخَطْبِ العظيم، والهوْلِ الجسيم. وكانت تُكثِرُ عليه بالموعظةِ، فيقول لها:

أسْأَلُ مِنْ أفضالِه توبَةً تنقلُ مِنْ قومٍ إلى قومِ

قال أبو العباس: فقدم علينا أبو عامر الواعظُ، فاجتمع إليه إخوانُه في مسجدِ رسولِ الله ﷺ فقرأ عليهم آياتٍ مِنْ كتابِ الله تعالى، ثم أخذ في الوعظ، فخوَّفَ وحذَّرَ، وأنذرَ وبشَّرَ. وكان الفتى ابنُ المرأةِ مِمَّنْ شهدَ ذلك المجلسَ، فانصرف وقد كسرتِ الموعظةُ قلبَه، فقال لأمه: يا أُمَّة، دونَك وما تريدين مِنْ كسرِ آلةِ الشيطانِ وأداةِ المُجَّانِ، وما كنتُ أُعِدُّهُ للمجانةِ واللهو والبطالةِ. وأخبرها بمشاهدةِ مجلسِ أبي عامرٍ، فقالت: يا بُنَيَّ، الحمد لله؛ إنِّي لأرجو أنْ يكونَ الله عزَّ وجلَّ قد رحم فيك بكائي، وأجاب لك دعائي، فكيف رأيتَ يا بُنَيَّ الواعظَ، وكيف قبولك الموعظةَ؟ فقال:

شَمَّرْتُ لِلتَّوْبَةِ أذْيالي　　وصِرْتُ ذا طَوْع لِعُذَّالي
لَمَّا دعا الواعِظُ قَلْبي إلى　　طاعَةِ ربِّي حَلَّ أقفالي
يا أُمُّ هَلْ يَقْبَلُني خالِقِي　　على الذي قد كانَ مِنْ حالي
واسَوْأَتَا إنْ رَدَّني خائِبا　　لَمْ يَرْضَ عَنِّي حينَ إقْبالي

قال أبو العباس: ثم أقبل الفتى على صيامِ النهارِ وقيامِ الليلِ حتى ظهرَ ذلك عليه، وأخذَ مِنْ جسمِه، فأتته أمُّه يوماً بقدَحٍ فيه سَوِيقٌ، وقالت: أقسمتُ عليك إلا شربتَه. فلمَّا صارَ القدحُ في يدِه ذكرَ هذه الآيةَ: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٧] فجعل يبكي ويضطربُ حتى مات.

وعاش أبو عامر بعده زماناً ومات، فرأتِ المرأةُ ابنَها في المنامِ، فقالت: يا بُنَيَّ، ما صنع اللَّهُ عز وجل بك؟ فقال: غفر لي وقبِلَ توبتي، فقالت: فإن أبا عامر الذي وهب الله لك في مجلسه ما وهب قد ماتَ، فما فعل الله به؟ فأنشد:

حَلَّ وربِّ الناسِ في قُبَّةٍ　　مِنْ لُؤلُؤٍ مِنْ غَيْرِ أساسِ
فيها جَوارٍ كالدُّمى نُهَّدٌ　　تسقيه بالكاسِ والطَّاسِ
يعلنُ بالتَّرخيمِ خدُّها　　فقد سُوِّغْتَها يا واعظَ الناسِ

٣٠٥٩ ـ ولأبي العتاهية رحمه الله:

خانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ　　أيُّها القَلْبُ الجَمُوحُ
لِدَواعي الخَيْرِ والشَّـ　　ـرِّ دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ　　تَوْبَةٌ منه نَصُوحُ
كيفَ إصْلاحُ قُلُوبٍ　　إنَّما هُنَّ قُرُوحُ

٣٠٦٠ ـ ورُوِيَ عن طَلْقِ بنِ حبيبٍ أنه قال: إنَّ حُقوقَ الله عزَّ وجلَّ أعظمُ مِنْ أنْ يقومَ بها العبادُ، وإنَّ نِعَمَ الله تبارك وتعالى اسمُه أكثرُ مِنْ أنْ تُحصى، ولكن أصبِحوا تائبين وأمسوا تائبين.

٣٠٦١ ـ وقال علي رضي الله عنه: بقيَّةُ عمرِ المؤمن لا ثَمَنَ لها؛ يُدْرِكُ بها ما فات، ويُحْيِي بها ما مات.

٣٠٦٢ ـ ونظمه أبو الفتح البُستيُّ، فقال:

بَقِيَّةُ العُمْرِ عندي ما لها ثَمَنٌ وإنْ غدا خَيْرَ مَحبوبٍ مِنَ الثَّمَنِ
يَسْتَدْرِكُ المَرْءُ فيها ما أفاتَ ويُحْـ ـيي ما أماتَ ويَمْحُو السُّوءَ بالحَسَنِ

٣٠٦٣ ـ ورُوِيَ أن أبا سفيانَ بنَ الحارثِ بنِ عبد المطَّلبِ، وكان مُؤذياً للنبيِّ ﷺ بلسانه، وكان أخاه مِنَ الرَّضاعةِ، أسلمَ عامَ الفتحِ، فلقي النبيَّ ﷺ بالعَرْجِ، فأعرضَ عنه، فأتى النبيَّ ﷺ مِنْ قِبَلِ وجهه، فقال له: لقد آثَرَكَ اللَّهُ علينا وإنْ كُنَّا لخاطِئينَ، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]

٣٠٦٤ ـ وأنشده أبو سفيان:

لَعَمْرُكَ إنِّي يومَ أحْمِلُ رايَةً لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ
لَكَالمُدْلِجِ الحَيْرانِ أظْلَمَ لَيْلُهُ فهذا أواني حينَ أهدي وأهتَدي
هداني هادٍ غيْرُ نفسي ودَلَّني على اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُه كلَّ مَطْرَدِ
أَصُدُّ وأنْأى جاهِلاً عَنْ مُحَمَّدٍ وأُدْعَى وإنْ لَمْ أنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ[1]

❋ ❋ ❋

١٩٠ ـ النهي عن التسويف والاغترار

٣٠٦٥ ـ قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

٣٠٦٦ ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن

(١) انظر سيرة ابن هشام ٤/٢٥ ـ ٢٦، والاستيعاب لابن عبد البر ٤/١٦٧٤ ـ ١٦٧٥.

يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزمر: ٥٤ ـ ٥٧].

٣٠٦٧ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

٣٠٦٨ ـ ابن أبي نجيح: عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] قال: العملُ بطاعة الله عزَّ وجلَّ هو نصيبُه مِنَ الدنيا الذي يُثاب عليه في الآخرة.

٣٠٦٩ ـ ورُوِيَ أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: أتى مِنَ الدنيا حينٌ ولستُ فيها، وسيأتي منها حينٌ ولستُ فيها، وإنَّما جُعِلَ لي منها أيامٌ قلائلُ لأسعدَ فيها، فإنْ شَقِيتُ إنِّي إذاً لشقيٌّ.

٣٠٧٠ ـ وقال لقمانُ لابنه: يا بُنَيَّ، كيف يتباعدُ عنِ الناسِ ما يُوعَدون والوعدُ يدنو وهم سِراعٌ يموتون؟ يا بُنَيَّ، إنَّك استدبرتَ الدنيا يومَ نزلتَها، واستقبلتَ الآخرةَ، فأنت إلى دارٍ تدنو منها أقربُ منك إلى دارٍ تباعَدُ عنها.

٣٠٧١ ـ ورُوِيَ عن أبي موسى أن الله عزَّ وجلَّ باسطٌ يدَه لمسيءِ الليلِ ليتوبَ بالنهارِ، ولمسيءِ النهارِ ليتوبَ بالليلِ، حتى تطلُعَ الشمسُ مِنْ مغربِها[1].

٣٠٧٢ ـ وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا

(١) حديث مرفوع، رواه مسلم (٢٧٥٩).

مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ [البقرة: ٢٦٦]

قال: ذلك مَثَلُ المُفَرِّطِ في طاعةِ الله تعالى، فيكون مثل هذا الذي له جنات له فيها مِنْ كلِّ الثمراتِ وله ذُريةٌ ضُعفاءُ، فأصابَها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت، فمَثَلُه بعد موتِه كمَثَلِ هذا حينَ احترقت جنَّتُه وهو كبيرٌ لا يُغني عنها شيئاً، وأحوجُ ما كان إليها.

٣٠٧٣ ـ وأنشدني عبيد اللَّه بن أحمد بن عثمان الصيرفي:

يا أيُّها الخالي بِلَذَّاتِه ... هلْ تذكُرُ الموتَ وغَصَّاتِهِ
ومَصْرَعاً منه على غِرَّةٍ ... وعِلَّةً مِنْ بَعْضِ عِلاتِهِ
إنْ كنتَ أصبحتَ بهِ مُوقِناً ... أو جاهلاً بعدُ بِميقاتِهِ
فكيفَ تَغْتَرُّ بها ساعةً ... لعلَّها وقتُ مُوافاتِهِ
كم مِنْ مُصْبِحٍ في نِعْمَةٍ آمِناً ... قد غَيَّرَ الإمْساءُ حالاتِهِ

٣٠٧٤ ـ ولبعضهم:

يا مَنْ يُضَيِّعُ عُمْرَهُ ... مُتَمادِياً في اللَّهْوِ أَمْسِكْ
واعلَمْ بأنَّكَ لا مَحَا ... لَةَ ذاهِبٌ كذَهابِ أَمْسِكْ

٣٠٧٥ ـ وروى رجلٌ عن الحسن أنه كان يقول: ابنَ آدمَ، إيَّاكَ والتَّسويفَ؛ فإنكَ بيومِكَ، ولستَ بِغَدِكَ، فإنْ يكُنْ غدٌ لك، فكنْ فيه كما كنت في اليوم، وإن لا يكن غدٌ لك لم تندمْ على ما فرَّطتَ في اليوم.

٣٠٧٦ ـ وروى معن عن عونِ بن عبد الله أنه كان يقول: ما أحدٌ يُنْزِلُ الموتَ منْزِلتَه إلا عَدَّ غداً ليس مِنْ أجَلِه. كم مِنْ مستقبلٍ يوماً لا يَستكمِلُه، وراجٍ غداً لا يَبْلُغُه، وإنك لو رأيتَ الأجلَ ومسيره لأبغضتَ الأملَ وغُرورَه.

٣٠٧٧ ـ ولمنصور بن إسماعيل الفقيه:

إذا كـنـتَ تَـزْعُـمُ أنَّ الـفِـراقَ　　فِـراقَ الـحـيـاةِ قَـريـبٌ قـريـبُ
فـإنَّ الـمـعـدَّ جِـهـازَ الـرَّحـيـلِ　　لِيَوْمِ الرَّحيلِ مُصيبٌ مُصيبُ
وإنَّ الـمُـقَـدِّمَ مـا لا يَـفُـوتُ　　علـى ما يَفُوتُ مَعيبٌ مَعيبُ
وأنـتَ عـلـى ذاك لا تَـرْعَـوي　　فـأمْرُك عـنـدي عَـجِيبٌ عَـجيبُ

٣٠٧٨ ـ وقال بعض الحكماء(١): «**ما ينتظرُ أحدُكم مِنَ الدُّنيا إلا غِنَىً مُطْغِيَاً، أو فقراً مُنسِياً، أو مرضاً مُفْسِداً، أو هرماً مُفَنِّداً، أو موتاً مُجْهِزاً، أو الدَّجال، فالدَّجالُ شَرُّ غائبٍ يُنتظَرُ، والساعةُ فالساعةُ أدهى وأمَرُّ**».

٣٠٧٩ ـ وقال أبو إسحاق السَّبيعيُّ: قيل لرجلٍ مِنْ عبدِ القيسِ في مرضه: أوصِنَا، قال: أُنْذِرُكُم سَوْفَ.

٣٠٨٠ ـ ولأبي تمام:

كـم يـكـونُ الـشِّـتـاءُ ثُـمَّ الـمَـصِـيـفُ　　ورَبـيـعٌ يَـمْـضـي ويـأتـي خَـريـفُ
وانْـتِـقـالٌ مِـنَ الـحَـرُورِ إلـى الـظِّـ　　ـلِّ وسَـيْـفُ الـرَّدَى عَـلَـيَّ مُـنِـيـفُ
يـا قـلـيـلَ الـبَـقـاءِ فـي هـذه الـدَّا　　رِ إلـى كـم يَـغُـرُّكَ الـتَّـسْـويـفُ
عَـجَـبَـاً لامـرِئٍ يَـذِلُّ لـذي مـالٍ　　ويَـكْـفـيـهِ كـلَّ يَـوْمٍ رَغـيـفُ

٣٠٨١ ـ وقيل لابن المبارك: الرجلُ يرى في منامِهِ الرُّؤيا الصَّالحةَ للرجلِ المسيءِ، والرُّؤيا السَّيِّئَةِ للرُّجلِ الصَّالحِ؟ فقال: ربَّما كان هذا استدراجاً للمُسيءِ، وخيْراً يُراد بالصَّالحِ.

٣٠٨٢ ـ وأنشد محمد بن بشير في مجلس أبي محمد الزاهد:

وَيْـلٌ لِـمَـنْ لَـمْ يَـرْحَـمِ الـلَّـهُ　　ومَـنْ تـكـونُ الـنـارُ مَـثْـواهُ

---

(١) هو حديث نبوي، رواه الترمذي (٢٣٠٦)، والحاكم ٣٢١/٤ من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف.

واغَفْلَتَا مِنْ كُلِّ يَوْمٍ مَضَى ... يُذْكُرُني الموتُ وأَنساهُ
مَنْ طالَ في الدُّنيا بهِ عُمْرُهُ ... وعاشَ فالموتُ قُصَارَاهُ
كأَنَّه قدْ قِيلَ في مَجْلِسٍ ... قدْ كنتُ آتيهِ وأَغْشاهُ
صارَ اليَسيرِيُّ إلى رَبِّهِ ... يَرْحَمُنَا اللَّهُ وإيَّاهُ

قال: فأبكى جميعَ مَنْ حضرَ.

٣٠٨٣ ـ وأنشد محمد بن الحسين:

لَعِبْتَ ومِثْلُكَ لا يَلْعَبُ ... وكيفَ وقدْ ذَهَبَ الأَطْيَبُ
أَغَرَّكَ أَنَّكَ في مُهْلَةٍ ... وقدْ وَدَّعَ الأَقْرَبَ الأَقْرَبُ
تَبَاعَدُ بالذَّنْبِ في كلِّ يومٍ ... مِنَ اللَّهِ والموتُ يَسْتَقْرِبُ
وتَخْشى ذُنوبَك بيْنِ العِبادِ ... وتُغْتِبُهم حينَ تُسْتَغْتَبُ
وتَأْمَنُها عندَ رَبِّ العِبادِ ... حيثُ يَضيقُ بكَ المَذْهَبُ
فيا جاهِلاً غَرَّهُ جَهْلُهُ ... لَعِبْتَ ومِثْلُكَ لا يَلْعَبُ
تَبِيتُ وأنتَ مَحَلُّ التُّرابِ ... وتَحْسِبُ أنَّكَ لا تُطْلَبُ

٣٠٨٤ ـ ولبعضهم:

جَهولٌ لَيْسَ تَنهاهُ النَّواهي ... ولا تَلْقاهُ إلا وهو ساهي
يُسَرُّ بِيَوْمِهِ لَعِباً ولَهْواً ... ولا يدري وفي غَدِهِ الدَّواهي

٣٠٨٥ ـ وقال بعض الرواة: جاء سيلٌ، فحسَرَ عن بيتٍ مِنْ ذهبٍ في أصل جبلٍ عليه مِصْراعان، وفيه امرأةٌ عليها سبعةُ عُقودٍ وسبعةُ أَسْوِرَةٍ، وإلى جانبها صخرةٌ فيها مكتوبٌ: أنا صارةُ الملكة بنتُ فلانٍ الملك، أصابَتْنا مَجاعةٌ على عهد يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فبَدَّلْتُ صاعاً مِنْ دراهمَ بصاعٍ مِنْ طعامٍ، فلم أقدِرْ عليه، ثم بدَّلْتُ صاعاً مِنْ دنانيرَ بصاعٍ مِنْ طعامٍ، فلمْ أقدِرْ عليه، فعمدتُ إلى اللؤلؤَ، فسحقتُه ثمَّ شربتُه، فزادني جُوعاً، فمتُّ جوعاً. فأيَّةُ امرأةٍ طلبتِ الدنيا بعدي، فأماتها الله موتي!.

٣٠٨٦ ـ ولأبي تمام:

أَلَمْ يَأْنِ تَركي ما عَلَيَّ ولا لِيَا ... وعَزْمي على ما فيه إصلاحُ شَانِيَا
أُصَوِّتُ بالدُّنيا وليسَ تُجِيبُنِي ... أُحاوِلُ أنْ أَبْقَى وكيفَ بَقائِيَا
وما تَبْرَحُ الأيَّامُ تَحْذِفُ مُدَّتِي ... بِعَدِّ حِسَابٍ لا كَعَدِّ حِسَابِيَا
لِتَمْحُوَ آثاري وتُخْلِقَ جِدَّتي ... وتُخْلِيَ مِنْ رَبْعِي بِكُرْهٍ مَكَانِيَا

٣٠٨٧ ـ ولأبي العتاهية رحمه الله:

بَيْنَ عَيْنَيِ كُلِّ حينٍ ... عَلَمُ المَوْتِ يَلُوحُ
كُلُّنَا في غَفْلَةٍ والـ ... مَوْتُ يَغْدُو ويَرُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وإنْ عُمِّـ ... ـرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ

٣٠٨٨ ـ وله:

يا راعِيَ النَّفْسِ لا تُغْفِلْ رِعايَتَها ... فأنتَ عَنْ كُلِّ ما اسْتُرْعِيتَ مَسْؤولُ
إنِّي لَفِي مَنْزِلٍ ما زِلْتُ أَعْمُرُهُ ... على يَقينٍ بأنِّي عنه مَنْقُولُ

٣٠٨٩ ـ ولمحمد بن حازم يرحمه الله:

أَبَعْدَ خَمْسِينَ أَصْبُو ... والشَّيْبُ لِلْجَهْلِ عَتْبُ
شَيْنٌ وجَهْلٌ وشَيْبٌ ... أمْرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ

٣٠٩٠ ـ ولبديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهَمَذانيِّ:

إنَّ لِلأَيَّامِ أسْرا ... راً بِهَا سَوْفَ تَبُوحُ
لا يَغُرَّنَّكَ جِسْمٌ ... صادِقُ الحُسْنِ ورُوحُ
إنَّمَا نَحنُ إلى الآ ... جالِ نَغْدُو ونَرُوحُ
وَيْكَ هذا الدَّهْرُ تَهْويمٌ ... وهذا الرُّوحُ رِيحُ
بَيْنَمَا أنتَ صَحيحُ الْجِسْـ ... ـمِ إذا أنتَ طَرِيحُ

إنَّـمَـا الـدَّهْـرُ غُـرورٌ ولِـمَـنْ أصْـغـى نَـصِـيـحُ
ولِـسـانُ الـدَّهْـرِ بـالْـوَعْـظِ لِـواعِـيـهِ فَـصِـيـحُ
تَـسْـتَـمِـيـحُ الـدَّهْـرِ والـأَيَّـامُ مِـنَّـا لا تَـسْـتَـمِـيـحُ
نـحـنُ لاهُـونَ وآجـالُ الْـمَـنـايـا لا تُـرِيـحُ

٣٠٩١ ـ قال يزيدُ بن عمرو بن مسلم الخزاعي: أخبرني أبي عن أبيه، قال: كنتُ عندَ رسول الله ﷺ ومنشدٌ يُنشدُ قولَ سُويدِ بنِ عامرٍ المصطلقي:

لا تَأْمَنَنَّ وإنْ أمْسَيْتَ في حَرَمٍ إنَّ المنايا تَجِيءُ كلَّ إنسانِ
واسْلُكْ طَريقَكَ تَمْشي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ حتَّى تُلاقي ما يُمْنِي لك الماني
فَكُلُّ ذي صاحِبٍ يَوْمَاً مُفارِقُهُ وكُلُّ زادٍ وإنْ أَبْقَيْتَهُ فانِ
والْخَيْرُ والشَّرُّ مَقرونانِ في قَرَنٍ بِكُلِّ ذلك يَأتيكَ الجَدِيدانِ

فقال رسول الله ﷺ: «**لو أدرك هذا الإسلام لأسلم**»[1].

٣٠٩٢ ـ ولمصادر بن مذعورٍ القيسيِّ:

هو الدَّهْرُ آسٍ مَرَّةً ثُمَّ جارِحُ سَوانِحُهُ مَبْثُوثَةٌ والبَوارِحُ
فَبَيْنَا الفَتَى في ظِلِّ نَعْماءَ غَضَّةٍ تُباكِرُهُ أفْياؤُها وتُراوِحُ
إلى أَنْ رَمَتْهُ الحادِثاتُ بِنَكْبَةٍ تَضِيقُ بِها منها الرِّحابُ الفَسائِحُ
فأصبحَ نِضْوَاً لا يَنُوءُ كأنَّما بِأَعْظُمِه مِمَّا عَدَاهُ القَوادِحُ
فيا واثِقاً بالدَّهرِ كُنْ غَيْرَ آمِنٍ لِما تَنْتَضيه الواهِضاتُ الفَوادِحُ
فَلَسْتَ على أَيَّامِهِ بِمُحَكَّمٍ إذا فَغَرَتْ فاها الخُطُوبُ الكَوالِحُ

* * *

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٤٣١/١٩ رقم (١٠٤٩) بإسناد ضعيف. وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٢٦/٨، والاستيعاب لابن عبد البر ١٣٩٦/٣ ـ ١٣٩٧.

١٩١ ـ ما جاء في التمني

٣٠٩٣ ـ قال الله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ [النجم: ٢٤ ـ ٢٥].

٣٠٩٤ ـ وقال بعض الحكماء: الأمانِيُّ تَعمي أعينَ البصائر.

٣٠٩٥ ـ وقيل: الأمانِيُّ تخدعُك، وعند الحقائقِ تدعُك.

١/٣٠٩٥ ـ وهذا إنما هو في معنى التَّسويف: أنْ يريدَ الإنسانُ العملَ الصالِحَ، فيُمَنِّي نفسَه بفعلِه في المستقبلِ، ويعمل في وقتِه خلافَه.

٣٠٩٦ ـ وتكون الأمانِيُّ المكروهةُ أن يتمنَّى ما لا يجوزُ تَمَنِّيه.

١/٣٠٩٦ ـ وقد رُوِيَ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا تَتَمَنَّوا لقاءَ العدوِّ، وسلُوا الله العافيةَ، فإذا لقِيتُموه فاصبِروا**»[1].

٣٠٩٧ ـ ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكمُ الموتَ لضُرٍّ نزل به**»[2].

* والثاني[3]: أن يتمنَّى الجنةَ وهو يعملُ بالمعاصي. فهذه الأمانِيُّ التي تُسلِمُه، ولا تُبَلِّغُه؛ ومِنْ ذلك أنْ يتمنَّى الدنيا وزُخرُفَها وبلوغَ أعراضٍ منها، ويشتغلُ بذلك عنِ الطَّاعاتِ، حتى يفجَأَهُ أجلُه قبلِ أن يبلُغَه.

٣٠٩٨ ـ وأنشدوا:

رُبَّ مَنْ باتَ يُمَنِّي نفسَه ... حالَ مِنْ دُونِ مُناهُ أَجَلُهْ

---

(١) رواه البخاري (٢٩٦٥)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ. ورواه مسلم (١٧٤١) من حديث أبي هريرة ﷺ وعلَّقه البخاري (٣٠٢٦).

(٢) وتمام الحديث: «**فإن كان لا بدَّ متمنياً للموت، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي**». رواه من حديث أنس بن مالك ﷺ البخاري (٥٦٧١ و٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٣) تتمة لقول المصنف: وتكون الأماني المكروهة ...

والفَتَى المُحتالُ فيما نابَهُ رُبَّما ضاقَتْ عليه حِيَلُهْ
قُلْ لِمَنْ مَثَّلَ في أشعارِهِ يَهْلِكُ المرْءُ ويبقى مَثَلُهْ
نافِسِ المُحْسِنَ في إحسانِهِ فسَيكفيك مُسيئاً عَمَلُهْ
أيُّها الآمِلُ ما ليسَ له رُبَّما غَرَّ سفيهاً أَمَلُهْ

٣٠٩٩ ـ وللوليد بن مسلم:

وأكثرُ ما تُلْقَى الأماني كواذِبا وأكْثَرُ أفعالِ الليالي إساءَةٌ

٣١٠٠ ـ وأمَّا تمنِّي ما يجوزُ تمنِّيه؛ فقد روى العلاءُ بنُ عبد الرحمن عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**ودِدْتُ أنِّي رأيت إخوانَنا**»(١).

٣١٠١ ـ وروى الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لَوَدِدْتُ أنِّي أُقاتِلُ في سبيل الله فأُقتَلَ، ثم أُحيا فأُقتَلَ، ثم أُحيا ثمَّ أُقتل**»(٢).

٣١٠٢ ـ ورُوِيَ عن عائشةَ: أرِقَ النبيُّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ، ثم قال: «**ليتَ رجلاً صالحاً مِن أصحابي يحرُسُني الليلةَ**»، إذ سمعنا صوتَ السلاحِ، قال: مَنْ هذا؟ قال: سعدٌ يا رسول الله، جئتُ أحرُسُك، فنام رسولُ الله ﷺ(٣).

٣١٠٣ ـ وروي أبو صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسُدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه اللَّهُ القرآنَ، فهو يتلوه آناءَ الليلِ والنهارِ، يقولُ: لو أُوتيتُ مِثلَ ما أُوتيَ هذا لفعلتُ مِثْلَ ما يفعلُ. ورجلٌ آتاه اللَّهُ مالاً يُنفقه في حقِّهِ، يقول: لو أُوتيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فلانٌ لفعلتُ مِثلَ ما يفعلُ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩).
(٢) البخاري (٣٦، و٧٢٢٧)، ومسلم (١٨٧٦).
(٣) البخاري (٢٨٨٥، و٧٢٣١)، ومسلم (٢٤١٠).
(٤) البخاري (٥٠٢٦، و٧٢٣٢).

* فهذا التَّمنِّي مندوبٌ إليه، مُحَرَّضٌ عليه، وإنما أُطلق لفظُ التَّمني على ما قدَّمناه مِنَ التَّمنِّي المعيبِ.

٣١٠٤ ـ قال رجلٌ مِنْ عبدِ القيسِ للحسنِ: يا أبا سعيدٍ، الرجلُ يرى الدَّابَّةَ؛ فيقولُ: ليت لي هذه الدَّابَّةُ؟ قال: لا يصلُحُ هذا. قال: فيقولُ: ليتَ مثلَ هذه الدَّابَّةِ لي؟ فقال الحسنُ: ولا هذه. فقال الرجلُ: ما كنَّا نرى بالثانية بأساً.

* ويُحتمَلُ أن يكونَ الحسنُ رأى هذا مِنَ الحسدِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢].

* * *

١٩٢ ـ ما جاء في الأمل والحرص

٣١٠٥ ـ قال الله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٣].

٣١٠٦ ـ وقال ابنُ عمرَ: أخذ رسولُ الله ﷺ ببعضِ جسدي، فقال: «**كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابِرُ سبيل**». وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظِرِ الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ، وخذْ مِنْ صحتِكِ لمرضك، ومِنْ حياتك لموتِك؛ فإنك لا تدري يا عبدَ الله ما اسمُك غداً[(١)].

٣١٠٧ ـ وقال عبد اللَّه بن مسعود: خطَّ النبيُّ ﷺ خطّاً مربَّعاً، وخطَّ خطاً في الوسط خارجاً منه، وخطَّ خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط مِنْ جانبِه الذي في الوسط، فقال: «**هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه محيطٌ به،**

(١) رواه البخاري (٦٤١٦) من دون قول ابن عمر: «فإنك يا عبد الله...». وهذه اللفظة رواها الترمذي (٢٣٣٣).

وهذا الذي خارجٌ أملُه، وهذه الخطوط الصِّغارُ الأعراض، فإنَ أخطأَ هذا نَهَشَهُ هذا»(١).

٣١٠٨ - وروى أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يزال قلبُ الكبيرِ شابّاً في اثنتينِ: في حبِّ الدنيا، وطولِ الأملِ»**(٢).

٣١٠٩ - ولعمرو بن قَمِيئَةَ، وقد عاش تسعين سنةً:

كأنِّي وقد جاوزْتُ تِسعينَ حجةً ... خَلَعْتُ بها عَنِّي عَنانَ لجامي
على الرَّاحَتَيْنِ مرَّةً وعلى العصا ... أَنُوءُ ثلاثاً بعدَهُنَّ قِيامِ
رَمَتْنِي بناتُ الدَّهْرُ مِنْ حيث لا أرى ... فكيفَ بِمَنْ يُرْمَى ولَيْسَ بِرَامِ
فلو أنَّها نَبلٌ إذاً لاتَّقَيْتُها ... ولكِنَّنِي أُرْمَى بغَيْرِ سِهامِ
وأَفْنَى وما أُفْنِي مِنَ الدَّهرِ لَيْلَةً ... ولَمْ يُغْنِ ما أفنيتُ سِلْكَ نِظامِ
وأَهْلَكَني تَأْميلُ يومٍ وليلةٍ ... وتأميلُ عامٍ بعدَ ذاكَ وعامِ

٣١١٠ - وقال علي بن أبي طالب ﷺ: إنَّ الدنيا قد أدبرتْ وآذنَتْ بوداع، وإنَّ الآخرةَ قد أقبلتْ وأشرفتْ باطِّلاع، وإنَّ المِضمارَ اليومَ والسِّباقَ غداً. ألا وإنكم في أيامِ أملٍ مِنْ ورائه أجلٌ، فمَنْ قصَّرَ في أيامِ أملِه قبلَ حُلولِ أجلِه، فقد خسرَ عملَه وضرَّه أملُه. ألا فاعملوا للهِ في الرَّغبةِ كما تعملون له في الرَّهبةِ، ألا وإنِّي لم أرَ كالجنةِ نام عنها طالبُها، ولا كالنارِ نام هاربُها. ألا وإنه مَنْ لم ينفَعْه الحقُّ ضرَّهُ الباطلُ، ومَنْ لم يستقمِ به الهدى يُحرِبه الضلال. ألا وإنكم قد أُمِرْتُم بالظَّعَنِ ودُلِّلْتُم على الزادِ، فخيْرُ الزاد التقوى، وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم اتِّباعُ الهوى وطولُ الأملِ؛ فأمَّا اتِّباعُ الهوى فيَصُدُّ عنِ الحقِّ، وأمَّا طولُ الأملِ فينسي الآخرةَ.

---

(١) البخاري (٦٤١٧).
(٢) البخاري (٦٤٢٠)، ومسلم (١٠٤٧).

٣١١١ ـ وقال سفيانُ الثوريُّ: الزهدُ في الدنيا تَرْكُ الأملِ، ليس بلُبْسِ العَباءِ، ولا أكلِ الغليظِ.

٣١١٢ ـ وقال ابنُ المعتزِّ: إذا حضر الأجلُ افتضح الأملُ.

٣١١٣ ـ وقال: مَنْ أرْحَلَهُ الحِرصُ أنضاهُ الطَّلَبُ.

٣١١٤ ـ وقال أبو الدرداء: لا تزالُ نفسُ أحدِكم شابَّةً في حبِّ الشيء ولو التَقَتْ تَرْقُوَتاه مِنَ الكِبَرِ، إلا الذين امتحنَ الله قلوبَهم للتقوى، وقليلٌ ما هم.

٣١١٥ ـ ولمحمد بن حازم الباهلي:

ألا إنَّما الدنيا على المرءِ فِتْنَةٌ ... على كلِّ حالٍ أقبلتْ أو تَوَلَّتِ
تَجَشَّمْتَ صَعْباً لا يرامُ حُزونُه ... إليها وطَرْفاً أَرْمَضَتْ وأَضَرَّتِ
وحادي الرَّدَى يَحْثُّني السَّيْرَ في الدُّجى ... ألا رُبَّ آمالٍ دَهَتْني وغَرَّتِ

٣١١٦ ـ وله:

يا أَسيرَ الطَّمَعِ الكا ... ذِبِ في غِلِّ الهَوانِ
لو تَطَعَّمْتَ بروحِ الـ ... يأسِ نابَذْتَ الأماني

٣١١٧ ـ ومر صالح المُرِّيُ برجلٍ يغرِسُ فَسِيلاً له، فقال:

يؤمِّل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمِّل دون الأملْ
يربِّي فسيلاً ليبقى له ... فعاش الفسيلُ ومات الرجلْ

٣١١٨ ـ وقال محمدُ بن يَزْداد: دخلتُ على المأمونِ وفي يدِه قِرْطاسٌ، فقال: يا محمد، تعلمُ ما في هذا؟ قلت: كيف أعلمُه وهو في يدِ أمير المؤمنين؟ فقال: اقرأْهُ. فأخذته فقرأْتُهُ، فإذا فيه:

إنَّكَ في دارٍ لها مُدَّةٌ ... يُقْبَلُ فيها عَمَلُ العامِلِ

أمـا تَـرَى الـمـوتَ مُـحـيـطـاً بِـهِ ... يـقـطـعُ فـيـه أمَـلَ الآمِـلِ
تُـعَـجِّـلُ الـذَّنْـبَ بـمـا تَـشـتـهـي ... وتـأمـلُ الـتَّـوبَـةَ فـي قـابِـلِ
والـمـوتُ يـأتـي بـعـدَ ذا غـفـلـةً ... مـاذا بـفِـعْـلِ الـحـازمِ الـعـاقِـلِ

٣١١٩ ـ ولمحمد بن حازم رحمه الله:

قـد صَـدَعَ الـحـقُّ أتـبـاعَ الـهـوى ... وزَيَّـنَ الـبـاطـلَ طـولُ الأمَـلْ
وكـلُّ مـا كـان إذاً يـنـقـضـي ... حُـلُـمٌ ومـا حَـلَّ كـأنْ لَـمْ يَـزَلْ
بـادِرْ فـقـد أصـبـحـتَ ذا مُـهْـلَـةٍ ... بـالـعَـمَـلِ الـصَّـالـحِ قبـلَ الأَجَـلْ
وكُـنْ عـلـى عِـلْـمٍ بـأنَّ الـفَـتَـى ... يُـقَـدَّمُ يـومـاً عـلـى مـا عَـمِـلْ

٣١٢٠ ـ مرَّ قومٌ مِنْ أهلِ اليمنِ على رَكِيَّة[1]، فأرسلوا رجلاً يستقي لهم، فوجد في الرَّكِيَّةِ صخرةً، فسألوا رجلاً مِنْ أهلِ الكتابِ، فقرأها لهم: فإذا فيها: ابنَ آدمَ، تُصبحُ ناعساً ولم تقُمْ، وتُمسي جائعاً ولم تُصُمْ، طوَيْتَ أيَّامَك بطولِ أمَلِك، تُحبُّ المحسنين ولستَ منهم، وتنتَقِصُ المسيئين وأنتَ منهم، وتُبغضُ على الظَّنِّ وأنت مقيمٌ على اليقين.

٣١٢١ ـ وقال الشَّعبِيُّ: سمعتُ الحجَّاجَ يقول: أما بعدُ، فإنَّ الله تعالى كتب على الدنيا الفناءَ، وعلى الآخرة البقاءَ، فلا فناءَ لِمَا كُتِبَ عليه البقاءُ، ولا بقاءَ لِمَا كُتِبَ عليه الفناءُ؛ فلا يغُرَّنَّكم شاهدُ الدنيا على غائبِ الآخرةِ، واقصُرُوا الأملَ بقِصَرِ الأجلِ.

٣١٢٢ ـ وقال أعرابيٌّ لأخيه، وقد رأى حِرصَه على الدنيا: يا أخي، إنك طالبٌ ومطلوبٌ؛ تطلُبُ ما قد كُفِيتَه، ويطلُبُك ما لا تفوتُه، فكأنَّ ما أنت فيه قدِ انقضى عنك، وما غابَ عنك قد كُشِفَ لك.

٣١٢٣ ـ وقال الأصمعيُّ: سمعتُ أعرابياً يقول: إنَّ الآمالَ قطعت أعناقَ

---

(١) الركِيَّة: البئر.

الرجالِ؛ كالسَّرابِ غرَّ مَنْ رآهُ، وأخلفَ مَنْ رجاهُ. ومَنْ كان الليلُ والنهارُ مَطِيَّتَه أسرعا السَّيْرَ والبُلوغَ به.

٣١٢٤ ـ وقال ابنُ المعتَزِّ: الآمالُ مصائدُ الرجالِ، ومَنْ جرى في عِنانِ أملِه عَثَرَ في أجلِه.

٣١٢٥ ـ وقال غيْرُه: الحِرْصُ ينقصُ المرءَ مِنْ قدرِه، ولا يزيدُ في رزقِه.

٣١٢٦ ـ ورُوِيَ عن عليِّ بن أبي طالبٍ ﵁ أنَّه خطبَ، فقال: ألا إنَّ الأملَ يُسهي العقلَ، ويُورثُ الحسرةَ. ألا فاعزِفوا عنِ الأملِ كأشد ما أنتم عن شيءٍ عازفون؛ فإنَّه غُرورٌ، وصاحبُه مُعَنًّى مغرور. وافزَعوا إلى قَوامِ دينِكم بالجدِّ في أُمورِكم؛ فإني لم أرَ كالجنَّةِ نام طالبُها، ولا كالنارِ نام هاربُها، فتزوَّدوا في الدنيا ما تَحُوزون به أنفسَكم في الأخرى، واعملوا خيْراً تُجْزَوا به خيْراً يوم يفوزُ بالخيْرِ مَنْ يُقدِّمُه، والسلام.

٣١٢٧ ـ وقال أصبَغُ بنُ الفرج: إنَّ للهِ مَلَكاً يُنادي: أبناءَ الأربعينَ زرعٌ آنَ حصادُه، أبناءَ الخمسين ماذا رُزِقْتُم وأخَّرتُم، أبناءَ الستين لا عُذْرَ لكم، أبناءَ السبعين هَلُمُّوا إلى الحسابِ، هَلُمُّوا إلى الحسابِ.

٣١٢٨ ـ وقال حاتمٌ الأصمُّ: المؤمن مشغولٌ بالعِبَرِ والغِيَرِ، والمنافقُ مشغولٌ بالحِرصِ والأملِ. والمؤمنُ يُحسِنُ ويبكي، والمنافقُ يُسيءُ ويلهو. والمؤمنُ يأمُرُ ويَنهى للسياسةِ فيُصلحُ، والمنافقُ يأمرُ ويَنهى للرئاسةِ فيُفسدُ.

٣١٢٩ ـ وللبيد:

المـرْءُ يـأمَـلُ أنْ يـعـيـشَ ... وطُـولُ عَـيْـشٍ قَـدْ يَـضُـرُّهْ
تَـفْـنَـى بَـشـاشَـتُـه ويَـبْـقَـى ... بَـعْـدَ حُـلْـوِ الـعَـيْـشِ مُـرُّهْ
وتَـخُـونُـه الأيَّـامُ حـتَّـى ... لا يَـرى شـيـئـاً يَـسُـرُّهْ
كـم شـامِـتٍ بـي إنْ هَـلَـكْـتُ ... وقـائِـلٍ لـلـهِ دَرُّهْ

٣١٣٠ - ولآخر:

نُؤَمِّلُ عَيْشَاً في حياةٍ ذَمِيمَةٍ بِفَوْتِ نَعِيمٍ أو بِمَوْتِ حَبِيبِ
وما خَيْرُ عَيْشٍ لا يزالُ مُفَزِّعَاً أَضَرَّتْ بأبدانٍ لنا وقُلُوبِ

٣١٣١ - ولي في هذا المعنى:

يا أَمَلِي كم تُلْهِنِي كاذِبَاً أو صادِقَاً عن الهُدَى جائِرَا
تَشْغَلُنِي عنْ عملٍ نافعٍ في موقفِ القالُ لي ضائِرَا
أَحْرِ بأَنْ تُسْلِمَنِي نادِمَاً إنْ لم أُلاقِ اللَّهَ لي عاذِرَا
وحاقَ بي ما جاءَ عن ربِّنا «ووجدُوا ما عمِلُوا حاضِرَا»

٣١٣٢ - وللبحتريِّ عفا الله عنه:

لنا في الدَّهْرِ آمالٌ طِوالٌ نُرَجِّيها وأعمارٌ قِصارُ
أصابَ الدَّهْرُ دولةَ آل وَهْبٍ ونالَ الليلُ منهم والنهارُ
أعارهمُ رِداءَ العِزِّ حتَّى تقاضاهُمْ فرَدُّوا ما استعارُوا
تنابُ النائباتُ إذا تناهَتْ ويُدْمِرُ في تَصَرُّفِهِ الدَّمارُ
وما أهلُ المنازِلِ غَيْرُ رَكْبٍ مطاياهُمْ رواحٌ وابتِكارُ

٣١٣٣ - ولغيره:

ألا رُبَّ ذي أَمَلٍ كاذبٍ بعيدِ الرَّجاءِ قريبِ الطَّمَعْ
تَمَنَّى البقاءَ فماذا بِهِ أحلَّ البَقاءَ وماذا صَنَعْ
تَخَرَّمَ أكثرُ جُثْمانِهِ وفُرِّقَ ما كان منه جَمَعْ
وقَوَّسَ مَتْنَيهِ بعدَ اعتِدالٍ وأثبتَ في الرِّجلِ منه خمعْ[1]
فمَنَ ذا يُسَرُّ بطولِ البَقاءِ إذا كان يُبْدِعُ هذي البِدَعْ

---

(١) الخمع: العَرَج في الرجل.

٣١٣٤ ـ ولابنِ عبدِ ربِّه رحمه الله:

أَتَلْهُو بيْنَ باطِيَةٍ وزِيرِ وأنتَ مِنَ الهلاكِ على شَفِيرِ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أملٌ طويلٌ يُؤَدِّيهِ إلى عُمْرٍ قَصِيرِ
أتَفْرَحُ والمنِيَّةُ كلَّ يوم تُريكَ مكانَ قَبْرِكَ في القُبورِ
هي الدُّنيا إذا سَرَّتْكَ يوماً فإنَّ الحزْنَ عاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتُسْلَبُ كلَّ ما جَمَّعْتَ فيها كعارِيَةٍ تُرَدُّ إلى المُعِيرِ
وتعتاضُ اليَقينَ مِنَ التَّظَنِّي ودارَ الحَقِّ مِنْ دارِ الغُرورِ

٣١٣٥ ـ ولأبي العتاهية عفا الله عنه:

تَعَلَّقْتَ بِآمالِ طِوَالٍ أَيَّ آمَالِ
وَأَقْبَلْتَ على الدُّنْيا مُلِحّاً أَيَّ إِقْبَالِ
أَيا هذا تَجَهَّزْ لِـ فِراقِ الأَهْلِ والمالِ
فلا بُدَّ مِنَ الموتِ على حالٍ مِنَ الحالِ

٣١٣٦ ـ قال أبو بكر دُريد: ذكر ابنُ الأعرابيِّ أنَّ عمر قال: ما في شعرِ العربِ أحكمُ مِنْ شعرِ بعضِ العبدِيِّين:

لقدْ غَرَّتِ الدُّنيا رِجالا فأصبَحوا بِمَنْزِلَةٍ ما بعدَها مُتَحَوَّلُ
فساخِطُ أمْرٍ لا يُبَدَّلُ غَيْرُهُ وراضٍ بأمْرٍ غيْرَهُ سَيُبَدَّلُ
وبالِغُ أمرٍ كان يأمُلُ دونَه ومُخْتَلَجٍ مِنْ دونِ ما كانَ يأْمُلُ

٣١٣٧ ـ ولعبد الصمد بن المُعَذَّلِ:

واعلم أنَّ بناتِ الرَّجاءِ تُحِلُّ العَزيزَ مَحَلَّ الذَّليلِ
وأن ليس مُسْتَغِنِياً بالكثيرِ مَنْ ليسَ مُسْتَغْنِيَاً بالقليلِ

٣١٣٨ ـ ولأبي بكر الخالدي رحمه الله:

إنْ خانَكَ الدَّهْرُ فكُنْ عائذاً بالبِيدِ والظَّلْماءِ والعِيسِ
ولا تَكُنْ عبدَ المُنَى فالمُنَى رُؤوسُ أموالِ المفاليسِ

٣١٣٩ ـ ولأبي تمام عفا الله عنه:

أَلِلْعُمْرِ في الدُّنيا تَجِدُّ وتَعْمُرُ وأنتَ غداً فيها تَموتُ وتُقْبَرُ
تُلَقِّحُ آمالاً وتَرجو نِتاجَها وعُمْرُكَ مِمَّا قد تُرَجِّيه أقصَرُ
وهذا صباحُ اليومِ يَنْعاكَ ضَوْؤُهُ ولَيْلَتُه تنعاكَ إنْ كنتَ تَشْعُرُ
تَحُوم على إدراكِ ما قد كُفِيتَه وتُقبِلُ بالآمال فيها وتُدْبِرُ
ورِزقُك لا يَعْدُوك إمَّا مُعَجَّلٌ على حالِه يوماً وإمَّا مُؤَخَّرُ

٣١٤٠ ـ ولأبي تمام:

أقولُ لنفسي حينَ مالتْ بِصَفْوِها إلى خَطَراتٍ قد نَتَجْنَ أمانيَا
هَبيني مِنَ الدُّنيا ظَفِرْتُ بكلِّ ما تَمَنَّيْتُ أو أُعْطِيتُ فوقَ مُنائِيَا
أليسَ اللَّيالي غاصِباتِيَ مُهْجَتي كما غَصَبَتْ قبلي القُرونَ الخَوالِيَا
ومُسْكِنَتي لَحْداً لَدَى حُفْرَةٍ بها يطولُ إلى أُخرى اللَّيالي ثُوائِيَا

٣١٤١ ـ وقيل لخالد بن يزيدَ: ما أقربُ شيءٍ؟ قال: الأجلُ. قيل: فما أبعدُ شيءٍ؟ قال: الأمل. قيل: فما آنسُ شيءٍ؟ قال: الصَّاحبُ المُواني. قيل: فما أوحشُ شيءٍ؟ قال: الميِّتُ.

٣١٤٢ ـ وقال أبو عثمانَ النَّهديُّ: لي ثلاثون ومائةُ سنة ما مِنْ شيءٍ إلا وقد أنكرتُه إلا أملي؛ فإنَّه يزيدُ.

٣١٤٣ ـ ولمحمود:

عَلامَ يَشْقَى الحريصُ في طلبِ الرِّ زْقِ بِطُولِ الرَّواحِ والدَّلَجِ
يا قارعَ البابِ رُبَّ مُجْتَهِدٍ قد أدمَنَ القَرْعَ ثم لم يَلِجِ
فاطْوِ على الهَمِّ كَشْحَ مُصْطَبِرٍ فآخِرُ الهَمِّ أوَّلُ الفَرَجِ

* * *

١٩٣ ـ ما يحذر من العاقبة

٣١٤٤ ـ قال سهل بن سعد الساعدي: نظر النبيُّ ﷺ إلى رجلٍ يقاتلُ

المشركينَ ـ وكان مِنْ أعظم المسلمين غَناءً عنهم ـ فقال: «**مَنْ أحَبَّ أنْ ينظُرَ إلى رجلٍ مِنْ أهلِ النارِ، فلينظُرْ إلى هذا**». فتَبِعَه رجلٌ، فلم يزَلْ على ذلك حتَّى جُرِحَ واستعجلَ الموتَ، فقال بذُبابِ سيفِه، فوضعه بين ثدْيَيْه، فتحامَلَ عليه حتَّى خرج مِنْ كتِفَيْه، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ العبدَ ليعملُ ـ فيما يرى الناسُ ـ عملَ أهلِ الجنةِ، وإنَّه لَمِنْ أهلِ النارِ، ويعملُ ـ فيما يرى الناسُ ـ عمَلَ أهلِ النارِ وهو مِنْ أهلِ الجنةِ، وإنَّما الأعمالُ بخواتيمِها**»[1].

٣١٤٥ ـ وقال عبد اللّه بن مسعود: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ: «**إنَّ أحدَكم يُجمَعُ في بطنِ أُمِّهِ أربعينَ يوماً نُطْفَةً، ثمَّ علقةً مِثْلَ ذلك، ثم يكونُ مُضغَةً مِثْلَ ذلك، ثمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكاً، فيُؤْمَرُ بأربعةٍ: رزقه وأجله، وشقِيٌّ أو سعيدٌ. ثمَّ يُنفَخُ فيه الروحُ، فوالله إنَّ أحدَكم ـ أو الرجلَ ـ يعملُ بعملِ أهلِ النارِ حتَّى ما يكونُ بينَه وبينَها غيرَ قِيدِ ذراعٍ أو ذراعٌ، فيسبِقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعَمَلِ أهلِ الجنةِ فيدخُلُها. وإنَّ الرجلَ ليعمَلُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتَّى ما يكونُ بينها وبينَه غيرُ قِيدِ ذراعٍ أو ذراعٌ، فيسبِقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخلهُا**»[2].

٣١٤٦ ـ وقال بعض الصالحين: مَنْ خُتِمَ له بلا إلهَ إلا اللَّهُ دخلَ الجنةَ[3]. ثمَّ كان يبكي ويقول: مَنْ لي بأنْ يُخْتَمَ لي بلا إله إلا اللَّه؟.

٣١٤٧ ـ وكان زيدُ بنُ أسلَمَ يقول: لو كان الموتُ بيدي، لأذقتُه نفسي. ولَشَفَقَتي مِنْ بقيَّةِ عمري أشدُّ مِنْ شَفَقَتي مِمَّا مضى؛ أمَّا ما مضى، فقد عرفتُ نفسي فيه، وأمَّا ما بقِيَ، فلا أدري كيف يكون.

٣١٤٨ ـ ورُوِيَ عن أبي عِمرانَ الجَوْنِيِّ أنه بكى ذاتَ ليلةٍ، فقالت له

(١) البخاري (٢٨٩٨، و٦٤٩٣)، ومسلم (١١٢).

(٢) البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣). وانظر شرح الحديث مفصلاً في كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١/١٥٣ ـ ١٧٥ بتحقيقي.

(٣) وقد روي ذلك مرفوعاً عن النبي ﷺ من طرق كثيرة.

أمُّه: ما يُبكيكَ؟ ألا تذكُرُ جهادَك؟ أما تذكُرُ أعمالَك الصالحةَ؟ فقال: دعيني؛ فإني لا أدري بما يُختَمُ لي.

٣١٤٩ ـ وقال مُطَرِّفٌ: وجدتُ ابنَ آدمَ مُلْقَى بيْنَ ربِّه والشيطانِ؛ فإنِ اجترَّهُ اللَّهُ نجا، وإنْ خلَّى بينَه وبينَ الشيطانِ ذهب به.

٣١٥٠ ـ وقال سفيانُ الثَّورِيُّ: ما أَمِنَ أحدٌ على دينِه إلا سُلِبَه.

٣١٥١ ـ وقال أبو حنيفةَ ﷺ: أكثَرُ ما يُسْلَبُ الناسُ الإيمانَ عندَ الموتِ.

٣١٥٢ ـ وقال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: مَرَّ رجلٌ مِنَ العُبَّاد على صاحبٍ له، فوجده مهموماً منكسراً، فقال: ما شأنُك أراك مهموماً؟ قال: أعجبني أمرُ فلانٍ؛ كان قد بلغَ مِنَ العبادةِ ما قد علمتَ، ثم رجعَ إلى أهلِ الدنيا. قال: لا تعجَبْ مِمَّنْ يرجِعُ، ولكنِ اعْجَبْ مِمَّنْ يستقيمُ!.

٣١٥٣ ـ قال سفيانُ الثوريُّ: لَمَّا جاءَ البشيرُ إلى يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال له: على أيِّ دينٍ تركتَ يوسفَ؟ قال: على الإسلامِ. قال: الآن تَمَّتِ النعمةُ.

* * *

١٩٤ ـ وسواس الشيطان وعداوته

٣١٥٤ ـ قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [سورة الناس].

٣١٥٥ ـ وقيل: إنَّ إبليسَ استقبلَ عيسى ابنَ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ على عقَبَةِ بيتِ المقدسِ، فقال: يا رُوحَ الله، قل لا إله إلا اللَّهُ، فقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: كلمةُ حقٍّ ولا أقولُها بقولِك.

٣١٥٦ ـ وقال سُليمانُ: ليس للشيطان سلاحٌ على العبدِ أشَدَّ مِنْ خوفِ الفقرِ؛ فإذا قَبِلَ ذلك منه، أخذَ مِنَ الباطلِ، ومنعَ مِنَ الحقِّ، وتكلَّم بالهوى، وظَنَّ بربِّه ظَنَّ السَّوءِ.

٣١٥٧ ـ وقال حاتمٌ الأصَمُّ: ما مِنْ صباحٍ إلا والشيطانُ يقول لي: ما تأكلُ اليومَ؟ وما تلبَسُ؟ وأين تسكنُ؟ فأقول: آكُلُ الموتَ، وألبَسُ الكفَنَ، وأسكُنُ القبْرَ.

٣١٥٨ ـ ورُوِيَ أنَّ إبليسَ عرشُه في البحر، فيبعثُ سراياه وجنودَه، فأعظَمُهم عندَه أعظمُهم فِتنةً[1].

٣١٥٩ ـ وكان محمدُ بنُ واسعٍ يُغَلِّسُ[2] إلى مسجد البصرةِ، فيتمَثَّلُ له إنسانٌ يحملُ السِّراجَ في ليلةٍ مَطِيرَةٍ، فأشرفتْ عليه امرأةٌ، فقالت: ما أقسى قلبَ هذا الشيخِ؛ يُكلِّفُ هذا حَمْلَ السِّراجِ في مِثْلِ هذا، فسمعَها محمدُ بنُ واسعٍ، فقال: دَعْهُ يَشقَى أشقاهُ اللَّهُ. قال: فطُفِئَ السِّراجُ، فلم يُرَ بعدُ.

٣١٦٠ ـ وكان محمدُ بنُ واسعٍ يقول كلَّ يومٍ بعدَ صلاةِ الصبحِ: اللَّهمَّ إنك سلَّطْتَ علينا عدواً بصيراً يُغوينا، مُطَّلِعاً على عَوْراتِنا، يرانا هو وقَبيلُه مِنْ حيثُ لا نراهم. اللَّهمَّ فأيْئِسه منَّا كما أيْأَستَه مِنْ رحمتِك، وقَنِّطْه منَّا كما قَنَّطْتَه مِنْ عفوِك، وباعِدْ بيننا وبينه كما باعدتَ بينَه وبينَ جنتِك، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير.

قيل: فتمثَّل له اللَّعينُ يوماً في طريقِ المسجدِ، فقال له: يا ابنَ واسعٍ: هل تعرِفُني؟ قال له: ومن أنت؟ قال: هو اللعينُ. قال له: وما تريد؟ قال: أريدُ ألا تُعَلِّمَ هذه الاستعاذةَ ولا أتَعرَّضُ لك أبداً. فقال له ابن

---

(١) صح ذلك مرفوعاً عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ رواه مسلم (٢٨١٣).

(٢) من الغَلَس، وهو ظُلمة آخر الليل، أي يسير فيها.

واسِعٍ: والله لا مَنَعتُها مِمَّن أرادَها، فاصنَعِ الآنَ ما شئتَ. وقال إبليسُ: إذاً ظَفرتُ مِن ابنِ آدمَ بثلاثٍ لم أطلُبْه بغيْرِها: إذا أُعْجِبَ بنفسِه، واستكثَرَ عملَه، ونَسِيَ ذُنوبَه.

* * *

١٩٥ ـ ما جاء في العُجْبِ

٣١٦١ ـ قال ابنُ القاسم: قال مالكٌ: بلغني أنَّ عيسى ابنَ مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له رجلٌ مِنْ أصحابِه: إنَّك تمشي على الماءِ! قال له عيسى: وأنتَ إنْ كنتَ لم تُخْطِ خَطيئةً مشيتَ على الماءِ. فقال الرجلُ: ما أخطأتُ خَطيئةً قطُّ، فقال له عيسى: فامْشِ، فمشى ذاهباً وراجعاً، حتى إذا كان في بعضِ البحرِ، إذا هو قد غرِقَ، فدعا عيسى ابنُ مريمَ، فأُخْرِجَ فقال له: مالك ذهبتَ ورجعتَ، ثمَّ غرقتَ؟ أليسَ زعمتَ أنَّك لم تُخْطِ خطيئةً قطُّ؟ قال: ما أخطأتُ شيئاً قطُّ، إلا أنه وقع في نفسي إنِّي مثلُك.

٣١٦٢ ـ وقال مُوَرِّقٌ العِجْلِيُّ: ضاحِكٌ مُعترفٌ بذنبِه خيْرٌ مِنْ باكٍ مُدِلٍّ على ربِّه.

٣١٦٣ ـ وقالوا: خيْرٌ مِنَ العُجْبِ بالطَّاعةِ تركُ الطَّاعةِ.

٣١٦٤ ـ ورُوِيَ عن مُطَرِّفِ بنِ عبد الله أنه قال: لأَنْ أبيتَ نائماً وأصبحَ نادماً، أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أبيتَ قائماً وأصبحَ مُعْجَباً.

٣١٦٥ ـ ورُوِيَ عن عاصمٍ، قال: أَمَّ أبو عُبيدةَ بنُ الجرَّاحِ قوماً مرَّةً، فلمَّا انصرفَ، قال: ما زال بي الشيطانُ آنِفاً حتى رأيتُ أنَّ لي فضلاً على مَنْ خلفي. لا أَؤمُّ أحداً أبداً.

٣١٦٦ ـ ورُوِيَ عن مسروقٍ، قال: بِحَسْبِ المرْءِ مِنَ العلمِ أنْ يَخشى اللهَ، وبِحَسْبِ المرءِ مِنَ الجهلِ أنْ يُعْجَبَ بعملِه.

٣١٦٧ ـ وقال عبد الله بنُ شقيقٍ: إنَّ الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ كان جيِّدَ الشَّعَرِ، فدخلَ الفُسْطاطَ وخرج وقد جزَّه، فقيل له: لِمَ جَزَزْتَه؟ ما كان أجملَكَ به! قال: أعجبتني جُمَّتي فألقيتُها.

٣١٦٨ ـ ورُوِيَ أن عمرَ بنَ الخطاب ﷺ حملَ قِربةً يوماً، فقال له أصحابه: ما حمَلَكَ على هذا يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: إنَّ نفسي أعجبتني، فأحببتُ أنْ أُهينَها وأكسِرَها.

٣١٦٩ ـ ورُوِيَ أنَّ عمرَ ﷺ بلغه عنْ أهلِ بيتٍ حاجةٌ، فحمل إليهم وَسَقاً مِنْ طعامٍ على ظهره، فقيل له: ألا نَحمِلُه عنك يا أمير المؤمنين؟ قال: فمَنْ يحمِلُ عنِّي ذنوبي؟.

٣١٧٠ ـ ورُوِيَ أنَّ عمرَ قال وهو يخطُبُ على المنبرِ: لقد رأيتُني وما لي طعامٌ، غيرَ أنِّي أسقي خالاتٍ لي مِنْ بني مخزومٍ مِنَ الماءِ، فإذا سَقيتُ إحداهنَّ، قبضتُ لي قبضةً مِنْ زبيبٍ. فقال له سعد بنُ عَمرو: يا أميرَ المؤمنين، ما كنتَ تصنعُ بهذه الخطبة؟ فقال: إنِّي وجدتُ في نفسي شيئاً، فأحببتُ أنْ أُصغِّرَها.

٣١٧١ ـ ومرَّ رجلٌ برجلٍ يخطُرُ، فقال:

إنَّ هـــذا يـــرَى أنَّـــهُ ابـــنُ الـــمُـــهَـــلَّـــب
أنـــتَ والـــلّـــهِ مُـــعْـــجَـــبٌ ولـــنـــا غَـــيْـــرُ مُـــعْـــجِـــب

❋ ❋ ❋

١٩٦ ـ ما جاء في الكِبْر

٣١٧٢ ـ قال الله تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

٣١٧٣ ـ وقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧٦].

٣١٧٤ ـ وروى حارثةُ بنُ وهبٍ الخُزاعيُّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**ألا أُخبِرُكم بأهلِ الجنَّةِ: كلُّ ضعيفٍ مُتضَعَّفٍ، لو يُقسِمُ على الله تعالى لأبَرَّهُ، ألا أُخبِرُكم بأهلِ النَّارِ: كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستَكبِرٍ**»[1].

٣١٧٥ ـ ورأى عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه أُبَيَّ بنَ كعبٍ ومعه أُناسٌ، فعلاه بالدِّرَّةِ، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، ما تصنعُ؟! فقال: إنَّها فِتنةٌ للمتبوعِ ومَذَلَّةٌ للتَّابِعِ[2].

٣١٧٦ ـ وجاء جريرُ بنُ عبد الله البَجَلِيُّ ومعه ناسٌ يَطؤون عَقِبَه، فقال له سَلمانُ: يا جريرُ، ما هؤلاء خلفَكَ؟ فقال: رهْطي. فقال: يا جريرُ، إيَّاكَ والكِبْرَ؛ فإنَّ اللَّهَ تعالى يقول: وعِزَّتي وجلالي وارتفاعِ مكاني، لا يدخُلُ الجنةَ عبدٌ مِنْ عبيدي وفي قلبِه مِثقالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْر. فإيَّاكَ أنْ تُحْرَمَ الجنَّةَ. أتدري ما الجنةُ؟ قال: نعم، وصفَها الله عزَّ وجلَّ لنا في كتابِه. قال: أمَا والله ليس فيها عُودٌ، وإنَّ أُصولَ ثِمارِها الزَّبرجدُ والياقوتُ واللُّؤلُؤُ، ويُخْرِجُ الله منها أيَّ الثِّمارِ شاءَ، فإيَّاك أنْ تُحْرَمَها.

٣١٧٧ ـ وخطب أبو بكرٍ الناسَ، فقال: أيُّها الناسُ، إيَّاكم والكِبْرَ. وما كِبْرُ مَنْ خُلِقَ مِنْ ترابٍ وإلى التُّرابِ يعودُ؟.

٣١٧٨ ـ وقال كعبُ الأحبارِ: إنَّ المتكبِّرينَ يُحشرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ، يغشاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كلِّ مكانٍ، يسلكون في نارِ الأنبارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينةِ الخَبالِ؛ عُصارَةِ أهلِ النارِ[3].

---

(١) البخاري (٤٩١٨، ٦٠٧١، ٦٦٥٧)، ومسلم (٢٨٥٣). والعُتُلُّ: الشديد الخُصومة، أو هو الفظ الغليظ. والجوَّاظُ: الكثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: الفاجر.

(٢) رواه الدارمي ١/١٤٣ (٥٢٣)، والبيهقي في الزهد ٢/١٤٧ (٣٠٣).

(٣) هذه الرواية أخرجها البيهقي في شعب الإيمان ٦/٢٨٨ (٨١٨٤). وروي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٩١)، ومن طريقه الترمذي (٢٤٩٤)، وحسَّنه.

٣١٧٩ - وقال رجلٌ لسلمانَ ﷺ: أخبِرْني عنِ السيئةِ التي لا ينفعُ معها حسنةٌ بعدَ الشِّركِ بالله. فقال: لقد سألتَني عنْ شيءٍ ما سألني عنه بشرٌ قطُّ: السَّيئةُ التي لا ينفعُ معها حسنةٌ بعدَ الشركِ باللهِ الكِبْرُ الكِبْرُ.

٣١٨٠ - وقال جريرُ بنُ حازمٍ: كنَّا نَمشي حولَ الحسنِ، فقال: إنَّ خَفْقَ النِّعالِ حولَ الرجلِ لا تُبقي قلُوبَ الحمقى.

٣١٨١ - وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ: كانوا يكرهون أنْ تُوطَأ أعقابُهم.

٣١٨٢ - وقال ميمونُ بنُ مِهْرانَ: كان المهاجرون إذا رأَوُا الرجلَ راكباً يمشي معه الرجالُ، قالوا: قاتلَه اللَّهُ؛ جبَّارٌ. وإنَّ أولَ مَنْ مشى معه الرجالُ وهو راكبٌ الأشعث بنُ قيسٍ.

٣١٨٣ - وقال أبو مِجْلَزٍ: خرج معاويةُ على عبد الله بنِ الزُّبَيْرِ وعبد الله بن عامرٍ، فقام عبد الله بنُ عامرٍ، وقعد ابنُ الزُّبيْرِ، وكان أرزَنَهما، فقال معاويةُ: «**مَنْ سَرَّهُ أنْ يَتَمَثَّلَ له الرجالُ قِياماً، فليَتَبَوَّأْ مقعدَه مِنَ النارِ**»[1].

٣١٨٤ - وقال كعبٌ: أجِدُ في كتابِ الله عزَّ وجلَّ: ما مِنْ آدمِيٍّ إلا وفي رأسِهِ حِكمةٌ بيدِ مَلَكٍ، فإذا ارتفعَ وضَعَه، وإذا تواضعَ رفَعَه.

٣١٨٥ - وقال ابنُ مسعودٍ: مَنْ سمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ به، ومَنْ راءى راءى اللَّهُ به، ومَنْ تطاوَلَ تعاظُماً خَفَضَه اللَّهُ، ومَنْ تواضَعَ تَخَشُّعاً رفعه اللَّهُ تعالى[2].

---

(١) وقول معاوية ﷺ رواه عن النبي ﷺ، كما أخرجه أحمد ٩١/٤، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٧)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥)، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٧٤) عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفاً. وقوله: «من سمَّع...» صح مرفوعاً من حديث جندب بن عبد الله البجلي ﷺ رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

٣١٨٦ ـ وقال أبو رَيْحَانَةَ: يا رسولَ الله، إنِّي أُحِبُّ الجمالَ وأشتهيه، حتَّى إنِّي لأُحِبُّه في عِلاقةِ سَوطي، وفي شِراكِ نعلي. فقال رسول الله ﷺ «**إنَّ الله جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ، ولكن الكِبْر مَنْ سَفِهَ الحَقَّ وغَمَصَ الناسَ**»(١).

٣١٨٧ ـ ويروى أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول: كما أنَّ الشمس لا تَضيقُ عنِ اثنينِ حين يزدحمان فيها، كذلك رحمةُ الله لا تَضيقُ عمَّن دخلَها. وكما أنَّ الطِّيَرَةَ لا تضُرُّ مَنْ لا يتطيَّرُ، كذلك لا يسلَمُ مِنَ الفِتنةِ مَنْ تَطَيَّرَ. وكما أنَّ أقربَ الناسِ مِنَ الله تعالى يومَ القيامةِ المتواضعون، كذلك أبعدُ الناسِ منه تعالى يومَ القيامةِ المتكَبِّرون.

٣١٨٨ ـ وروى سالِمُ بنُ عبدِ الله عن أبيه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يَجُرُّ إزارَه مِنَ الخُيلاءِ خُسِفَ به، فهو يتَجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ**»(٢).

٣١٨٩ ـ وقال ابنُ عُيينَةَ: إذا رأيتَ الرجلَ يأتي المعصيةَ كِبْراً فخَفْ عليه، وإذا رأيتَه يأتي المعصيةَ شهوةً فارْجُ له التوبةَ؛ فإنَّ آدمَ عصى رَبَّه شهوةً فتابَ عليه، وإنَّ إبليسَ عصى الله تبارك اسمُه كِبْراً فلَعَنَهُ.

٣١٩٠ ـ ولأبي العتاهيه:

حتَّى متى ذو التِّيهِ في تِيهِهِ ... أَصْلَحَهُ اللَّهُ وعافاهُ
يَتيهُ أهْلُ التِّيهِ مِنْ جَهْلِهِمْ ... وهم يَمُوتونَ وإنْ تاهُوا
مَنْ طَلَبَ العِزَّ لِيَبْقَى بِهِ ... فإنَّ عِزَّ المَرْءِ تَقْواهُ
لَمْ يَعْتَصِمْ بالله مِنْ خَلْقِهِ ... مَنْ ليس يَرْجُوه ويَخْشاهُ

---

(١) رواه أحمد ١٥١/٤من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. ورواه بنحوه ١٣٤/٤ من حديث أبي ريحانة. وقوله ﷺ: «**إن الله جميل**...» رواه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٣٤٨٥، ٥٧٩٠).

٣١٩١ ـ ولمحمد بن حازم رحمه الله:

فيا شامِخاً أَقْصِرْ عِنانَكَ مُقْصِراً ... فإنَّ مَطايا الدَّهْرِ تَكْبُو وتَعْثِرُ
سَتَقْرَعُ سِنّاً أو تَعَضُّ نَدامَةً ... يَدَيْكَ إذا خانَ الزَّمانُ وتُقْصِرُ
ويَلْقاكَ رُشْدٌ بعدَ غَيِّكَ واعِظٌ ... ولكنَّه يلقاكَ والأمْرُ مُدْبِرُ

٣١٩٢ ـ وللبحتري عفا الله عنه:

وإذا ما الشَّريفُ لَمْ يتواضَعْ ... للأخِلاءِ فهو عَيْنُ الوَضيع

٣١٩٣ ـ ولغيْره:

فتىً كان عَذْبَ الحِلْمِ لا مِنْ غَضاضَةٍ ... ولكِنَّ كِبْراً أنْ يُقالَ به كِبْرُ

❋ ❋ ❋

١٩٧ ـ ما يحذر من فتنة القول والعمل

٣١٩٤ ـ روى محمد بن المنكَدِرِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ هذا الدينَ مَتِينٌ، فأوْغِلُوا فيه برِفْقٍ، ولا تُبَغِّضْ إلى نفسِك عبادةَ اللَّه؛ فإنَّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قطَعَ ولا ظَهراً أبقى**»[1].

---

(١) حديث حسن بشواهده، وهذا مرسل بهذا الإسناد، رواه وكيع في الزهد (٢٣٤)، وحسين المروزي في زيادات الزهد لابن المبارك (١١٧٨). ورواه البيهقي في السنن الكبرى ١٨/٣ عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، موصولاً، ولا يصح وصله.
ورواه أيضاً البيهقي ١٩/٣ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، مرفوعاً، وفي إسناده ضعف.
ورواه أحمد ١٩٩/٣ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً، من دون لفظ «**ولا تبغِّض...**». وإسناده ضعيف.
وله شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ رواه البخاري (٣٩)، ولفظه: «**إن الدين يُسْرٌ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبَه، فسدِّدوا وقارِبوا وأبشِروا، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة وشيءٍ من الدَّلجة**».

٣١٩٥ - ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن مسعودٍ أنه قال: إنَّ لهذه القلوبِ شهوةً وإقبالاً، وإنَّ لها فتْرةً وإدباراً، فخذوها عند شهواتِها وإقبالِها، وذرُوها عند فتْرَتِها وإدبارِها.

٣١٩٦ - وقال أبو الدَّرداءِ: نفسي مَطِيَّتي، فإنْ لم أرْفُقْ بها لم تُبَلِّغْني المَحَلَّ.

٣١٩٧ - ورُوِيَ عن وهب بن مُنَبِّه أنه قال: إنَّ للعلمِ طُغياناً كطُغيانِ المالِ[١].

٣١٩٨ - وقيل لطاووس: ادْعُ بدعَواتٍ. قال: لا أجِدُ لذلك خشيةً[٢].

٣١٩٩ - وقيل لرجلٍ مِنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ: ما لك لا تُحَدِّثُ كما يُحَدِّثُ فلانٌ وفلانٌ؟ فقال: ما بي ألا أكونَ سمعتُ منه ما سمعوا، وحضرتُ مِثْلَ ما حضروا، ولكن يدْرُسُ الأمرُ والناس متماسكون، وأنا أجِدُ مَنْ يَكفيني، فأكرهُ التَّزَيُّدَ والنُّقصانَ في حديثِ رسول الله ﷺ، والله إنَّ الرجلَ ليُكَلِّمُني بالكلام لَجَوابُه أشهى إليَّ مِنْ شُربِ الماءِ البارِدِ على الظَّمأ، فأتركُ جوابَه خِيفَةَ أنْ يكونَ فضلاً[٣].

٣٢٠٠ - وروى إسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ عنِ الشَّعبيِّ، قال: يَطَّلِعُ قومٌ مِنْ أهلِ الجنةِ إلى قومٍ مِنْ أهلِ النارِ، فيقولون: ما أدخلَكُمُ النارَ؟! فإنَّما أدخلَنا اللَّهُ تعالى الجنةَ بفضلِ تأديبِكم وتعليمِكم، فقالوا: كنَّا نأمرُ بالخيْرِ ولا نفعلُه[٤].

❋ ❋ ❋

(١) الزهد لابن المبارك (٥٦).
(٢) الزهد لابن المبارك (٥٩).
(٣) الزهد لابن المبارك (٦٠).
(٤) الزهد لابن المبارك (٦٤).

١٩٨ ـ ما يحذر من فتنة الأهل والولد

٣٢٠١ ـ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن: ١٤ ـ ١٥].

٣٢٠٢ ـ قيل لبعضهم: لو تزوَّجتَ؟ قال: لو استطعتُ أنْ أُطَلِّقَ نفسي لفعلتُ.

٣٢٠٣ ـ وأنشد:

تَجَرَّدْ مِنَ الدُّنيا فإنَّكَ إنَّما سَقَطْتَ إلى الدُّنيا وأنتَ مُجَرَّدُ

* * *

١٩٩ ـ ما جاء في القرين

٣٢٠٤ ـ قال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

٣٢٠٥ ـ وروى أبو سعيد الخدريُّ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: **«ما استُخْلِفَ خليفةٌ إلا له بِطانتانِ: بِطانَةٌ تأمرُهُ بالخيرِ وتَحُضُّه عليه، وبِطانةٌ تأمُرُه بالشَّرِّ وتَحُضُّهُ عليه، والمعصومُ مَنْ عَصَمَ الله تعالى»**[١].

٣٢٠٦ ـ وروى أبو موسى الأشعريُّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السُّوءِ كمَثَلِ صاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحدَّادِ، لا يَعْدَمُكَ مِنْ صاحبِ المِسْكِ أنْ تَشتَرِيَه أو تجد ريحَه، وكِيرُ الحدادِ يحرِقُ بيتَك أو ثوبَك أوْ تجدُ منه ريحاً خَبيثةً»**[٢].

---

(١) البخاري (٧١٩٨).

(٢) البخاري (٢١٠١، ٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، وانظر ما يأتي برقم (٣٢٤٢).

٣٢٠٧ - وروى نافعُ بنُ جُبَيْرٍ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يغزو جيشٌ الكعبةَ، فإذا كانوا ببيداءَ مِنَ الأرضِ يُخْسَفُ بأولِهم وآخِرِهم**». قلت: يا رسولَ الله، كيف يُخسَفُ بأولِهم وآخرِهم، وفيهم أسواقُهم ومَنْ ليس منهم؟ قال: «**يُخْسَفُ بأوَّلِهم وآخرِهم، ثمَّ يُبْعَثون على نِيَّاتِهم**»(١).

٣٢٠٨ - ورُوِيَ عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ أنه قال: بلغني أنَّ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول: اللَّهمَّ لا تجعلْ لي أهلَ سوءٍ، فأكونَ رجُلَ سُوءٍ.

٣٢٠٩ - ورُوِيَ أن لقمانَ كان يقول لابنه: يا بُنَيَّ، اختَرِ المجالسَ، فإذا رأيتَ قوماً يذكرون اللَّهَ، فاجلسْ إليهم، فإنْ تَكُ عالماً نفعكَ علمُك، وإنْ تكُنْ جاهلاً علَّموك، ولعلَّ اللَّهَ يطَّلِعُ عليهم برحمةٍ فتُصيبك معهم. وإذا رأيتَ قوماً لا يذكرون اللَّهَ، فلا تجلِسْ معهم؛ فإنك إنْ تكُنْ عالماً لا ينفعُك علمُك، وإنْ تكنْ جاهلاً زادوك غَيّاً، ولعلَّ اللَّهَ يطَّلِعُ عليهم بعذابٍ، فيصيبك معهم.

٣٢١٠ - ورُوِيَ أنَّ ابنَ أبي مُلَيْكَةَ قال: إنَّ لقمانَ كان يقول: اللَّهمَّ لا تجعلْ أصحابي الغافلينَ، الذين إذا ذكرتُك لم يُعينوني، وإنْ نَسيتُك لم يُذَكِّروني، وإنْ أمرتُ لم يُطيعوني، وإنْ صَمَتُّ أحزَنوني.

٣٢١١ - ورُوِيَ أن لقمان قال: يا بُنَيَّ، لا ترغبْ في وُدِّ الجاهلِ، فيرى أنك ترضى عملَه، ولا تتهاونْ بمقْتِ الحكيم فيزهد فيك.

٣٢١٢ - ورُوِيَ عن أبي سعيد: «**لا تُصاحبْ إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامَك إلا تقيٌّ**»(٢).

---

(١) البخاري (٢١١٨). ورواه مسلم (٢٨٨٤) بلفظ آخر.

(٢) حديث مرفوع، رواه أحمد ٣/٣٨، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) وحسَّنه. وصححه ابن حبان (٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦٠)، والحاكم ٤/١٢٨.

٣٢١٣ ـ ورُوِيَ أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لا تَعَرَّضْ لما لا يَعْنيكَ، واعتَزِلْ عدوَّك، وتحفَّظْ مِنْ خليلِك إلا الأمينَ، فإنَّ الأمينَ مِنَ القومِ لا يعدِلُه شيءٌ، ولا أمين إلا مَنْ يَخشى الله، ولا تَصْحَبِ الفاجِرَ، فيحمِلَك على الفجورِ، ولا تُفْشِ إليه سرَّك، وشاوِرْ في أمرِك الذين يَخْشَوْن اللَّهَ تعالى[1].

٣٢١٤ ـ ولبعضهم:

عليكَ بأهْلِ العلمِ فارْغَبْ إليْهِمُ ... يُفيدوكَ عِلْمَاً كي تَكونَ عَلِيمَا
ويَحْسِبُ كلُّ الناسِ أنَّك مِنْهُمُ ... إذا كُنتَ في أهلِ الرَّشادِ مُقِيمَا
«وكلُّ قَرينٍ بالمُقارَنِ مُقْتَدٍ» ... وقدْ قالَ ذاك القائِلُونَ قديمَا

٣٢١٥ ـ وقال مالك بن أنس: مرَّ سُليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام بقصرٍ بأرضِ مِصْرَ، فوجد فيه مكتوباً:

غَدَوْنَا مِنْ قُرَى إصْطَخْرَ ... إلى القَصْرِ فَقُلْناهُ
فَمَنْ يَسْألْ عَنِ القَصْرِ ... فَمَبْنِيَّاً وَجَدْنَاهُ
يُقاسُ المَرْءُ بالمَرْءِ ... إذا ما المَرْءُ ماشاهُ
وفي الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ ... دلالاتٌ وأشْباهُ
فلا تَصْحَبْ أخا الجَهْلِ ... وإيَّاكَ وإيَّاهُ
فكَمْ مِنْ جاهلٍ أوْدَى ... حَلِيمَاً حِينَ واخَاهُ

فقال: ووجَدَ عليه نَسْراً واقعاً، فدعاه فقال له: مَنْ بنى هذا القصرَ؟ فقال: لا أدري. فقال: كم لك مُذْ وقعتَ عليه؟ قال: لي تِسعُ مائة سنةٍ وخمسون سنةً.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١٣٩٩)، وابن أبي شيبة في المصنف ٩٤/٧، والبيهقي في السنن الكبرى ١١٢/١٠، وفي شعب الإيمان ٩٤/٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥٥/١.

٣٢١٦ ـ ولمحمد بن حازم رحمه الله:

وقائِلٍ كيف تَهاجَرْتُما فقلتُ قولاً فيه إنْصافُ
لَمْ يَكُ من شكلي ففارَقْتُه والنَّاسُ أَشكالٌ وأُلاَّفُ

٣٢١٧ ـ وقال أبو وائل: انطلقتُ أنا وأخٌ لي، حتَّى أتينا الربيعَ بنَ خُثَيْم، فإذا هو جالسٌ في مسجدِه، فسلَّمنا عليه، فردَّ علينا ثم قال: ما جاء بكم؟ قلنا: جئنا لِتَذكرَ الله، فنذكرَه معك، وتَحْمَدَه فنَحمَدَه معك. فرفع يديه، وهو يقول: الحمدُ لله الذي لم يقولا: جئنا لتَشربَ فنشربَ معك، ولا جئنا لتَزنِيَ فنَزْنِيَ معك.

٣٢١٨ ـ ولبعضهم:

إذا أنتَ قارَنْتَ الرِّجالَ فكُنْ لهم كأنَّكَ مَمْلُوكٌ لِكُلِّ رَفيقِ
وكُنْ مِثْلَ طَعْمِ الماءِ عَذْباً وبارِداً على الكَبِدِ الحَرَّى لكلِّ صَديقِ

٣٢١٩ ـ ولعدي بن زيد:

كفى واعِظاً بالمَرْءِ أيَّامُ دَهْرِهِ تَروحُ له بالواعِظاتِ وتَغْتدِي
عَنِ المَرْءِ لا تَسَلْ وسَلْ عنْ قَرينِهِ فكُلُّ قَرينٍ بالمُقارَنِ مُقْتدِ
إذا كنتَ في قوم فصاحِبْ خِيارَهم ولا تَصْحَبِ الأرْدَى فتَرْدَى مَعَ الرَّدِي
إذا ما رأيتَ الشَّرَّ يَبْعَثُ أهْلَهُ وقام جُناةُ الشَّرِّ للشَّرِّ فاقْعُدِ

٣٢٢٠ ـ ولابنِ الرُّوميِّ عفا الله عنه:

عَدُوُّكَ مِنْ صَديقِكَ مُسْتَفاد فلا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصِّحابِ
فإنَّ الدَّاءَ أكثَرُ ما تَراهُ يكونُ مِنَ الطَّعامِ أوِ الشَّرابِ

٣٢٢١ ـ وهذا القول مأخوذٌ مِنْ قولِ سفيانَ الثَّوريِّ ﷺ، فإنه قال لأخ له: هل بَلَغَكَ شيْءٌ مِمَّا تكرهُ عمَّن لا تعرفُ؟ قال: لا. قال: فأَقِلْ مِمَّنْ تعرِفُ.

٣٢٢٢ ـ ولأبي بكر الخوارزمي:

لا تَصْحَبِ الكَسْلانَ في حالاتِهِ   كم صالِحٍ بِفَسادِ آخرَ يَفْسُدُ
عَدْوَى البَليدِ إلى الجَليدِ سَريعةٌ   والجَمْرُ يُوضَعُ في الرَّمادِ فيَخْمُدُ

٣٢٢٣ ـ ولِخُرَيْمٍ:

وأَعْلَمُ عِلْماً ليس بالظَّنِّ أنَّه   لكلِّ أُناسٍ مِنْ ضَرائِبِهِم شَكْلُ
وأنَّ أخِلاءَ الزَّمانِ غَناؤُهُم   قَليلٌ إذا الإنسانُ زَلَّتْ به النَّعْلُ

٣٢٢٤ ـ ويُقال: إنَّ لَبيدَ بنَ رَبيعةَ لم يقُلْ بعدَ الإسلامِ إلا بيتاً واحداً، وهو:

ما عاتَبَ المَرْءَ الكريمَ كنفسِهِ   والمَرْءُ يُصْلِحُهُ القَرينُ الصَّالِحُ

٣٢٢٥ ـ وقيلَ لخالدِ بنِ صَفوانَ: أيُّ إخوانِك أحبُّ إليك؟ قال: الذي يَسُدُّ خَلَلي، ويغفِرُ زَلَلي، ويَقْبَلُ عِلَلي.

* * *

٢٠٠ ـ ما جاء في الشُّغل بالدنيا

٣٢٢٦ ـ رُوِيَ عن عمرَ ﷺ أنَّه قال: ما كانتِ الدنيا هَمَّ رجلٍ قطُّ، إلا لَزِمَ قلبَه أربعُ خِصالٍ: فقرٌ لا يُدرِكُ غِناهُ، وهَمٌّ لا يَنقضي مداه، وشُغلٌ لا يَنْفَدُ أولاهُ، وأملٌ لا يَنقضي مُنتهاه.

٣٢٢٧ ـ وقال الحسنُ: عجباً لقوم أُمِرُوا بالزَّادِ، ونُودِيَ فيهم بالرَّحيلِ، وجلسَ أوَّلُهم على آخِرِهم وهم قعودٌ يلعبون، وبما يتركونَه مُتشاغلون.

٣٢٢٨ ـ وقال ابن عيينة: قال لي ابن شُبْرُمَةَ:

حتَّى متى أنتَ في دُنياكَ مُشْتَغِلٌ   وعامِلُ اللَّهِ عنْ دنياهُ مَشْغُولُ

٣٢٢٩ ـ وللصَّلتانِ العَبْدِيِّ:

أشَابَ الصَّغِيرَ وأفْنَى الكَبِيرَ كَرُّ اللَّيالي ومَرُّ العَشِي
إذا لَيلةٌ هَرَمَتْ أُختَها أتى بعدَ ذلِكَ يَوْمٌ فَتِي
نَرُوحُ ونَغْدُو لِحَاجاتِنَا وحاجَةُ مَنْ عاشَ لا تَنْقَضِي
تَمُوتُ معَ المَرْءِ حاجاتُهُ وتَبْقَى له حاجَةٌ ما بَقِي

٣٢٣٠ ـ وللتِّهاميِّ عفا الله عنه:

طَوَيْتُ الليالي والليالي مَرَاحِل إلى أَجَلٍ يَسْري إليَّ كما نَسْرِي
وأَفْنَيْتُ أيَّاماً فَنِيتُ بِمُرِّها وغايَةُ مَنْ يَفْنَى ويُفْنِي إلى قَدْرِ

٣٢٣١ ـ ولآخرَ:

لا تُطِلِ الحُزْنَ على فائِتٍ فَقَلَّ ما يُجْدي عليك الحُزْنْ
سِيَّانَ مَحزُونٌ لِما قد مضى ومُظْهِرٌ حزْناً لما لَمْ يَكُنْ

* * *

٢٠١ ـ ما جاء في العزلة والخلوة

٣٢٣٢ ـ روى حُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ عن سالمِ بنِ أبي الجَعْدِ أنَّ عمرَ استعملَ النّعْمانَ بنَ مُقَرِّنٍ على كَسْكَرَ، فكتب إليه يناشده اللَّهَ إلا نَزَعَهَ مِنَ كَسْكَرَ، وبعثه في جيشٍ مِنْ جيوشِ المسلمين، فإنَّما مَثَلُهُ ومَثَلُ كَسْكَرَ كمَثَلِ مُومِسَةٍ تَزَيَّنُ له كلَّ يومٍ. فنَزَعه مِنْ كَسْكَرَ وبعثه إلى نَهاوَنْدَ[١].

٣٢٣٣ ـ وخرج عُرْوَةُ بنُ الزُّبيْرِ مِنَ المدينةِ، فنَزل المضيقَ، فأتوه فقال لهم: فرَرْتُ منكم. قالوا: لِمَ؟ قال: رأيتُ مجالِسَكم لاغِيَةً، وأسواقَكم

(١) انظر ما تقدم برقم (٢٠٦٢).

لاهِيَةً، والفواحِشَ في حواشَيكم ظاهرةً، فتخَوَّفْتُ أنْ يَحُلَّ بكم بلاءٌ فيصيبني معكم، ففررتُ منكم.

٣٢٣٤ ـ وخرج سفيانُ الثَّوريُّ إلى الباديةِ، إلى أبي حبيبٍ البدويِّ مُسَلِّماً عليه، فرآه وهو يصلي، فلمَّا فطِنَ به خفَّفَ صلاتَه، ثم التفت إليه، فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا سفيانُ الثَّورِيُّ. قال: أنت الذي يقولُ أهلُ هذه القريةِ: إنَّك خيْرُهم؟ فقال سفيانُ: نعم، ونسألُ اللَّهَ بركةَ ما يقولون. ثم قال: يا سفيانُ، إن مَنْعَ اللَّهِ كلَّه عطاءٌ؛ لأنه لا يمنعُ مِنْ بخلٍ، ولكن نظراً واختباراً. ثم التفت إلى سفيان، وقال: يا سفيانُ، إنَّ حديثَكَ لَطَيِّبٌ، وإنَّ في الصلاةِ لشُغْلاً عن حديثِك، ثمَّ كبَّر للصلاةِ، ورجع الثوريُّ إلى الكوفة.

٣٢٣٥ ـ وقيل للجُنَيْدِ: بما ينالُ العبدُ سلامةَ قلبِه؟ فقال: بالعُزْلةِ والصَّمتِ وترْكِ استماعِ خوْضِ الناسِ، وألا يعقِدَ قلبَه على ذنبٍ ولا حِقْدٍ.

٣٢٣٦ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: لا يتمكَّنُ أحدٌ مِنَ الخَلْوَةِ إلا بالتَّمَسُّكِ بكتاب الله عزَّ وجلَّ، والمتمسِّكون بكتابِ تبارك اسمُه همُ الذين استراحوا مِنَ الدنيا.

٣٢٣٧ ـ وقال محمد بنُ الحسين: أتى رجلٌ بعضَ العُبَّادِ، فقال: ما حاجتُك؟ قال: جئتُ أكون معك. قال: يا أخي، إنَّ العِبادَةَ لا تكون بالشَّركةِ، إنَّه مَنْ لم يأنَسْ بالله لم يأنَسْ بشيءٍ.

٣٢٣٨ ـ وقال ابن المبارك: سمعتُ وُهَيْبَ بنَ الوَردِ يقول: جَرَّبْتُ أهلَ الدنيا منذُ خمسينَ سنةً، فما وجدتُ أحداً غفر لي ذنباً فيما بيني وبينَه، ولا ستَر عليَّ عورةً، ولا وصلني إذ قطعتُه، ولا أَمِنْتُه إنْ غضِبَ. فالاشتغالُ بهؤلاء حُمْقٌ كثيرٌ، فانقَطِعْ إلى مَنْ يغفِرُ لك سريرَتك وعلانِيَتَك، ولا يمقتك بذلك.

٣٢٣٩ ـ وقال مكحولٌ الدمشقيُّ: إن كانَ في مُجالسةِ الناسِ خيْرٌ، فالعُزلةُ أسلمُ.

٣٢٤٠ ـ وكان سفيانُ الثوريُّ يقول: هذا زمانُ السُّكوتِ وملازمةُ البيوتِ.

٣٢٤١ ـ وقال الزُّبيْرُ بنُ العوَّام: لا يَنْبُلُ الرجلُ حتَّى يلزَمَ بيتَه.

٣٢٤٢ ـ ورُوِيَ عن أبي موسى الأشعريِّ أنه قال: جليسُ الصِّدْقِ خيْرٌ مِنَ الوَحدةِ، والوَحدةُ خيْرٌ مِنْ جليسِ السُّوء، ومَثَلُ جليسِ الصِّدْقِ كالعطَّار؛ إنْ لَمْ يُحْذِكَ مِنْ طيبِه يُعْبِقُكَ مِنْ ريحِه، ومَثَلُ جليسِ السُّوء كالقَيْنِ؛ إنْ لم تَحْرِقْكَ نارُه نالَكَ شَرارُه[1].

٣٢٤٣ ـ وقال حَمَّادُ بنُ واقِدٍ الصَّفَّارُ: جئتُ إلى مالكِ بنِ دينارٍ وهو قاعدٌ وحدَه، وإذا كلبٌ قد وضع حَنَكَهُ على رُكبتِه، فذهبتُ أطرُدُه، فقال: دعْه، هذا لا يضُرُّ ولا يُؤذي، فهو خيْرٌ مِنْ جليسِ السُّوء.

٣٢٤٤ ـ وذُكِرَ أنَّ الفُضَيل بنَ عِياضٍ كان جالساً في المسجدِ الحرام، فنظر إليه أخٌ له، فقام إليه، فقال: ما حاجتُك؟ قال: المؤانسةُ يا أبا عليٍّ. قال: هي والله بالمواحَشَةِ أشبَهُ، هل تريدُ إلا أنْ تَتَزَيَّنَ لي وأتَزَيَّن لك، وتكذِبَ لي وأكذب لك؟ إمَّا أنْ تقومَ وإمَّا أنْ أقومَ عنك.

٣٢٤٥ ـ وقال سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: قال لي سفيانُ الثَّوريُّ ـ في اليَقَظَةِ والمنامِ جميعاً، في حياتِه وبعد مَماتِه ـ: أَقِلَّ معرفَةَ الناسِ؛ فإنَّ التَّخَلُّصَ منهم شديد، ولا أحسِبُ رأيتَ ما تكره إلا مِمَّنْ عرفتَ.

٣٢٤٦ ـ ولما قدِمَ ابنُ المبارك المَصِّيصَةَ سأل عن محمدِ بنِ يوسفَ، فلَمْ يُعْرَفْ، فقال: مِنْ فضلِه لا يُعْرَفُ.

---

(١) تقدم برقم (٣٢٠٦).

٣٢٤٧ ـ وقيل: إنَّ الحسنَ أرادَ الحجَّ، فقال له ثابِتٌ البُنانِيُّ: بلغني أنك تريدُ الحجَّ، وأحببتُ أنْ نصْطَحِبَ، فقال له الحسنُ: ويحَكَ! دعنا نتعاشر بسَتْرِ الله عزَّ وجلَّ؛ فإنِّي أخافُ أنْ نصطَحبَ، فيرى بعضُنا مِنْ بعضٍ ما نَتماقَتُ عليه.

٣٢٤٨ ـ وقال الفُضَيل بن عِياضٍ: فِرَّ في آخرِ الزمانِ مِنَ الناسِ كفِرارِكَ مِنَ الأسدِ، غيْرَ تارِكٍ للجماعة.

٣٢٤٩ ـ وقال: احذروا الناس فإنهم داء ليس له دواء.

٣٢٥٠ ـ وكان سعدُ بنُ أبي وقاص وسعيدُ بنُ زيدٍ لَزِما بُيوتَهُما بالعَقيقِ.

٣٢٥١ ـ وقال يوسفُ بنُ أسباط: سمعتُ الثَّورِيَّ يقول: والله الذي لا إله إلا هو، لقد حَلَّتِ العُزلةُ.

٣٢٥٢ ـ وقيل لغزوانَ الرَّقاشِيِّ: هبْكَ لا تضحَكُ، فما يمنَعُك مِنْ مُجالسةِ إخوانِك؟ فقال: إنِّي أصبتُ راحةَ قلبي في مُجالسةِ مَنْ عندَه حاجتي.

٣٢٥٣ ـ وقيل للحسنِ: يا أبا سعيدٍ، إنَّ ههُنا رجلاً لم نَرَهُ قطُّ إلا وحدَه خلفَ سارِيَةٍ، فقال الحسنُ: إذا رأيتُموه فأخبِروني. فنظروا إليه ذاتَ يومٍ، فقالوا للحسنِ: هذا الرجل الذي أخبَرناك به، فقام إليه الحسن، وقال له: يا عبدَ الله، أراك قد حُبِّبَتْ إليك العزلةُ، فما يمنَعُك مِنْ أنْ تأتِيَ هذا الرجلَ الذي يُقالُ له الحسنُ فتجلسَ إليه، قال: أمرٌ شغلني عنِ الناسِ وعنِ الحسنِ، فقال له الحسنُ: وما ذاك الشُّغُلُ يرحَمُك اللَّه؟ قال: إنِّي أُصبحُ وأُمسي بينَ نِعمةٍ وذنبٍ، فرأيتُ أنْ أُشْغِلَ نفسي عنِ الناسِ بشكرِ اللَّهِ على النِّعمةِ والاستغفارِ مِنَ الذنبِ. فقال له الحسنُ: يا عبدَ الله، أنت أفقهُ عندي مِنَ الحسنِ، فالْزَمْ ما أنت عليه.

٣٢٥٤ ـ وقال حاتِمٌ الأصَمُّ: أَنْزِلِ الناسَ عندك بمنْزِلَةِ النارِ؛ لا تدنو منها إلا عندَ الحاجةِ إليها، مُقتبِساً على حذرٍ مِنْ بعيدٍ.

٣٢٥٥ ـ وقال أبو الدرداءَ: اتَّقوا اللّهَ، واحذروا الناسَ؛ فإنَّهم ما رَكِبُوا ظهرَ بعيرٍ إلا أدبَروه، ولا ظهرَ جوادٍ إلا عقروه، ولا قلبَ مُؤمنٍ إلا خرَّبوه.

٣٢٥٦ ـ وقال الربيعُ بنُ خُثَيْمٍ: تفقَّهُوا ثمَّ اعتزِلُوا وتعبَّدوا.

٣٢٥٧ ـ وكان عمر بن ذَرٍّ لا يخرُجُ مِنْ منْزِله إلا لثلاثٍ: لصلاةٍ في جماعةٍ، أو عِيادَةِ مريضٍ، أو حُضورِ جنازةٍ. وكان قدِ انحنى مِنَ العبادة.

٣٢٥٨ ـ وقيل لإبراهيمَ بنِ أدهم: ما تقول في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكر؟ فقال: ما لكم والاختلاط بأهلِ الدنيا، فيَجِبُ عليكم ذلك؟ دعُوا الدُّنيا لإهلِها[1].

٣٢٥٩ ـ وقال وُهَيْبُ بنُ الورْدِ: قال رجل لوهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ: إنَّ الناسَ قد وقعوا فيما وقعوا فيه، وما حدَّثتُ نفسي إلا أنْ لا أُخالِطَهم. فقال وهبٌ: لا تفعلْ، فإنَّه لا بدَّ للناس منك، ولا بُدَّ لك منهم، لهم إليك حوائِجُ، ولك إليهم حوائِجُ، ولكن كُنْ فيهم أَصَمَّ سميعاً، أعمى بصيراً، سَكوتاً ناطِقاً.

٣٢٦٠ ـ وقال مالكُ بن دينارٍ: دخلتُ بعضَ المواضعِ، فإذا أنا بصوتٍ

---

(١) لا يُسَلَّم بذلك لإبراهيم بن أدهم رحمه الله، فالواجب على المسلم أن ينكر المنكر إذا رآه، وأن يأمر بالمعروف في حال وجوبه. وكما ورد في الأثر: «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». وانظر في موضوع العزلة وضوابطها كتاب الأمر بالعزلة في آخر الزمان، لمحمد بن إبراهيم الوزير، بتحقيقي.

لا أرى شخصَه، وهو يقول: يا مَنْ آنَسَنِي بذكرِه، وأوحشَني مِنْ خلقِه، وكان لي عند شِدَّتي، ارحَمِ اليومَ غُربتي، يا عَظيمَ الصَّنيعةِ إلى أوليائِه، اجعلني مِنْ أوليائِك المتَّقين. قال مالكٌ: فاتَّبعتُ الصوتَ حتى وقفتُ على فتىً، فلمَّا رآني قال: منكم فرَرْتُ. قلتُ: يرحَمُك الله، دُلَّني على الطريقِ، فأَوْمَأَ بيدِه إلى السماءِ، وقال: عليك بالدَّليل.

٣٢٦١ ـ وأنشدوا في الوحدة:

ارْضَ بـالـلـهِ صـاحِـبَـا ... ودَعِ الـنَّـاسَ جـانِـبَـا
قَـلِّـبِ الـنَّـاسَ كَـيْـفَ شِـئْـ ... ـتَ تَـجِـدْهُـمْ عَـقَـارِبَـا[1]

٣٢٦٢ ـ وأنشدوا:

طِـبْ عـلـى الأُمَّـةِ نَـفْـسَـا ... وارْضَ بـالـوَحْـدَةِ أُنْـسَـا
جـانِـبِ الـنَّـاسَ تُـعَـافَـى ... ثُـمَّ كُـنْ لـلـبَـيْـتِ حِـلْـسَـا[2]

٣٢٦٣ ـ وقيل للعَتَّابِيِّ: مَنْ تجالِسُ اليومَ؟ قال: مَنْ أبصُقُ في وجهِه ولا يغضبُ. قيل له: ومَنْ ذلك؟ قال: الحائطُ.

٣٢٦٤ ـ ولابن المعتَزِّ:

رأيتُ حياةَ المرْءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ ... وإنْ ماتَ أغْلَتْه المنايا الطَّوامِحُ
كما يُخْلِقُ الثَّوبَ الجديدَ ابتِذالُه ... كذا تُخْلِقُ المرْءَ العُيونُ اللَّوامِحُ

٣٢٦٥ ـ ولمنصورٍ الفقيه المصري رحمه الله:

الـنـاسُ بـحـرٌ عـمـيـق ... والـبُـعْـدُ مـنـهـم سـفـيـنَـهْ
وقـدْ نَـصَـحْـتُـكَ فـانْـظُـرْ ... لِـنَـفْـسِـكِ الـمـسـكـيـنَـهْ

❋ ❋ ❋

(١) تقدم البيتان برقم (٢٠٩١).
(٢) تقدم برقم (٢٠٩٢).

٢٠٢ ـ ما جاء في الفراغ والصحة

٣٢٦٦ ـ روى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ[١] عنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**نِعمتانِ مَغْبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ الناسِ: الصِّحةُ والفراغُ**».

٣٢٦٧ ـ ورُوِيَ عن عمرو بن ميمون الأوديِّ، قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ يَعِظُه: «**اغتَنِمْ خمساً قبلَ خمسٍ: شبابَك قبلَ هرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فقرِك، وفراغَك قبلَ شُغُلِكَ، وحياتَك قبلَ موتِك**»[٢].

٣٢٦٨ ـ وروى كادِحُ بنُ رحمةَ الزاهدُّ، مِنْ أهلِ قَزوينَ، سمعت مالك بن أنس يقول: الدنيا صِحّةُ البدنِ، وطِيبُ النفسِ مِنَ النَّعيمِ.

٣٢٦٩ ـ قال الأصمعيُّ: قيل لبعضِ الصَّالحينَ: كيف حالُك؟ قال: حالُ مَنْ يفنَى ببقائِه، ويسقَمُ بسلامتِه، ويُؤْتَى مِنْ مأمَنِه.

٣٢٧٠ ـ ولمحمود الورَّاق:

يُحِبُّ الفَتَى طُولَ البَقاءِ كأنَّه ... على ثِقَةٍ أنَّ البَقاءَ بَقاءُ
إذا ما طَوى يوماً طَوى الموتُ بعضَهُ ... ويَطويهِ إنْ حانَ المساءُ مَساءُ
زِيادتُه في الجسمِ نقْصُ حياتِهِ ... وأنَّى على نقصِ الحياةِ نَماءُ

٣٢٧١ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: إذا كان شيءٌ فوقَ الحياةِ فالصِّحَّةُ، وإنْ كان شيءٌ فوقَ الموتِ فالمرضُ، وإنْ كان شيءٌ يعدِلُ الحياةَ فالغِنَى، وإنْ كان شيءٌ يعدِلُ الموتَ فالفقرُ.

* * *

(١) كذا في الأصلين. وفي صحيح البخاري (٦٤١٢، و٦٤١٣)، وغيره: عبد الله بن سعيد بن أبي هند.

(٢) حديث مرسل صحيح بهذا الإسناد، رواه ابن المبارك في الزهد (٢)، وابن أبي شيبة في المصنف ٧٧/٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٤٨/٤، والقضاعي في مسند الشهاب (٧٢٩). وقد صح مرفوعاً عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ رواه الحاكم في المستدرك ٣٠٦/٤ وصححه على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان ٢٦٣/٧.

٢٠٣ ـ ما جاء في العافية

٣٢٧٢ ـ رُوِيَ: «**اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ العَفْوَ والعافيةَ والسَّلامةَ في الدنيا والآخرةِ**»[١].

٣٢٧٣ ـ وقال مُطَرِّفُ بنُ عبد اللَّه: لأَنْ أُعافى فأَشكرَ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أُبتلى فأصبِرَ.

٣٢٧٤ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: «**مَنْ رأى أحداً به بلاءٌ فليقُلْ: الحمدُ لله الذي عافاني مِمَّا ابتلاه به، وفضَّلني على كثيرٍ مِمَّن خَلَقَهُ تفضيلاً**»[٢].

٣٢٧٥ ـ ورُوِيَ عنْ بعضهم أنه قال: إنَّما الناسُ مُعافى ومُبتَلى، فارحَموا أهلَ البلاءِ، واحْمَدوا الله على العافيةِ.

٣٢٧٦ ـ وكان الفُضيلُ إذا سمع أصواتَ أهلِ السجنِ يقول: يا أهلَ العافيةِ، ارحموا أهلَ البلاءِ، ثم يبكي. فقال له رجلٌ، تبكي على أهل السجن؟! فقال: أمَا ترحَمُهم؟ لعلَّك ترى أنَّك خيْرٌ منهم؟ لئِنْ كنتَ ترى ذلك، فإنَّك فاجرٌ أحمقُ، لعلَّ جُرْمَكَ هذا أعظمُ مِنْ جُرْمِهم، فعُوفِيتَ وابتُلوا، ولعلَّ ذلك خيْرٌ لهم وشرٌّ لك. ثم يَبعثُ إليهم ما كان عنده مِنْ طعامٍ أو ثيابٍ أو دراهمَ.

* * *

(١) قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يُمسي وحين يُصبحُ: «**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استُر عوراتي، وآمن رَوْعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ، ومِنْ خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعَظَمتك أن أغتال من تحتي**». رواه أحمد ٢٥/٢، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠٠)، وأبو داود (٥٠٤٧)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وصححه ابن حبان (٩٦١)، والحاكم ٥١٧/١ ـ ٥١٨، ووافقه الذهبي.

(٢) روي ذلك مرفوعاً عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، رواه الترمذي (٣٤٣١)، وابن ماجه (٣٨٩٢). ومن حديث أبي هريرة ﷺ، رواه الترمذي (٣٤٣٢). وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٢٧٣/٤ ـ ٢٧٤: رواه البزار والطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة وحده، وإسناده حسن.

٢٠٤ ـ ما جاء في المرض والهرم

٣٢٧٧ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠].

٣٢٧٨ ـ ورُوِيَ أنَّ عبد الله بنَ مسعودٍ دخل على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُوعَكُ، قال: فقلت: يا رسولَ الله، إنَّك لتُوعَكُ وَعْكاً شديداً. قال: «**أجل؛ إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجلان منكم**». قلت: ذلك بأنَّ لكَ أجرينِ؟ قال: «**أجل، ذلك كذلك، ما مِنْ مُسلمٍ يُصيبُه أذى، شوكةٌ فما فوقها، إلا كفَّرَ الله بها سيئاتِه كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقَها**»[١].

٣٢٧٩ ـ ورُوِيَ عن عائشة أنها قالت: ما رأيت أحداً الوجَعُ عليه أشد من رسول الله ﷺ[٢].

٣٢٨٠ ـ وروى مالك[٣] أن النبي ﷺ قال: «**إذا مرض العبدُ بعثَ اللَّهُ إليه مَلَكينِ، فيقول: انظُروا ماذا يقولُ لعُوَّادِهِ. فإن هو إذا جاؤوه حَمِدَ اللَّهَ تعالى، رفعوا ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ وهو أعلمُ، فيقولُ: لعبدي عليَّ إنْ توفَّيتُه أنْ أُدخِلَه الجنةَ، وإنْ أنا شفيتُه أنْ أُبدِلَه لحماً خيراً مِنْ لحمِه، ودماً خيراً مِنْ دمِه، وأنْ أُكفِّرَ عنه سيئاته**».

٣٢٨١ ـ وروى مالكٌ أنَّ رجلاً جاءَهُ الموتُ في زمنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال رجلٌ: هنيئاً له! مات ولم يُبْتَلَ بمرضٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**ويْحَكَ! وما يُدريك لو أنَّ الله تعالى ابتلاه بمرضٍ يُكَفِّرُ به عنه مِنْ سيِّئاته**»؟[٤].

---

(١) البخاري (٥٦٤٧، و٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٢) البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

(٣) في الموطأ ٢/٩٤٠ عن عطاء بن يسار، وإسناده منقطع كما قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤/٢٥٤.

(٤) الموطأ ٢/٩٤٢ عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وهو حديث مرسل صحيح.

٣٢٨٢ - ورُوِيَ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ أنَّه دخل على النبيِّ ﷺ وهو موعوكٌ، فقال: سبحان الله ما أشدَّ حُمَّاكَ! فقال: «**إنَّا كذلك معشرَ الأنبياءِ، يُضاعَفُ لنا البلاءُ، وكذلك يُضاعَفُ لنا الأجرُ. إنَّ مَنْ كان قبلَكم مِنَ الأنبياءِ لئِنْ كان يُبتلى بالعُري حتى ما يَجِدُ إلا العباءَةَ يتدَرَّعُها، وإنَّ منهم لَمَنْ كان يُسَلَّطُ عليه القملُ حتى يقتُلَه، ثم يُسَرُّونَ بذلك كما تُسَرُّونَ بالعطاءِ والعافيةِ**»[1].

٣٢٨٣ - وروى عُروةُ عن عائشةَ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ مُصيبةٍ تُصيبُ المسلمَ، إلا كفَّرَ الله بها مِنْ خطاياه**»[2].

٣٢٨٤ - وروى سعيدُ بن يَسارٍ عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ به خيراً يُصِبْ منه**»[3].

٣٢٨٥ - وروى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباسٍ أنه قال: ألا أُريكَ امرأةً مِنْ أهلِ الجنةِ؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأةُ السوداءُ؛ أتتِ النبيَّ ﷺ فقالت: إنِّي أُصرَعُ، وإنِّي أتكشَّفُ، فادْعُ اللَّهَ لي. قال: «**إنْ شئتِ صبَرْتِ ولكِ الجنةُ، وإنْ شئتِ دعوتُ اللَّهَ لك أنْ يُعافِيَكِ**». فقالت: أصبِرُ، وقالت: إنِّي أتَكَشَّفُ، فادْعُ اللَّهَ لي ألا أتَكَشَّفَ. فدعا لها. قال عطاءٌ: إنَّه رأى أُمَّ زُفَرَ تلكَ امرأةً طويلةً سوداءَ على سِتْرِ الكعبة[4].

٣٢٨٦ - ورُوِيَ عن أنسٍ: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّهَ تعالى قال: إذا ابتليتُ عبدي بِحَبيبَتَيهِ، ثم صبَر، عوَّضْتُه منهما الجنةَ**». يريد عينيه[5].

---

(١) رواه أحمد ٣/٩٤، والبخاري في الأدب المفرد (٥١٠)، وابن ماجه (٤٠٢٤)، والحاكم ١/٤٠،و٤/٣٠٧، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٣) البخاري (٥٦٤٥).

(٤) البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٥) البخاري (٥٦٥٣).

٣٢٨٧ ـ وروى عطاء بن يسار عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ المؤمنِ كمَثَلِ الخامَةِ مِنَ الزرعِ، مِنْ حيثُ أَتَتْها الريحُ كفَتْها، فإذا اعتدلت تُكَفَّأ بالبلاءِ، والفاجرُ كالأَرَزَةِ، لا تزال معتدلةً حتى يقصِمها الله تعالى إذا شاء»**[1].

٣٢٨٨ ـ وقال محمد بن أبي الرَّبابِ: دخلنا على أبي الدَّرداءِ تعودُه وهو يشتكي، فجاء أعرابيٌّ، فقال: ما صُدِّعْتُ قطُّ ولا حُمِمْتُ ولا ولا. فقال أبوالدَّرداءِ: أخرجوه. إن خطاياك عليك كما هي. ما يسُرُّني بوَصَبِ واحدٍ يُصيبُني حُمْرُ النَّعَمِ، إنَّ الوَصَبَ كفَّارةٌ لخطايا المسلمِ[2].

٣٢٨٩ ـ وروى أنسٌ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكُم الموتَ مِن ضُرٍّ أصابَه، فإنْ كان لا بدَّ فاعلاً، فليقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي ما كانتِ الحياةُ خيراً لي، وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيراً لي»**[3].

٣٢٩٠ ـ وروى عُروةُ عن عائشةَ أنَّها قالت: لما قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وُعِكَ وأبو بكرٍ وبلالٌ. قالت: فدخلتُ عليهما، فقلتُ: يا أبتِ، كيف تَجِدُكَ؟ ويا بلالُ كيف تَجِدُكَ؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذَتْه الحُمَّى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ في أهلِهِ ... والموتُ أدنى مِنْ شِراكِ نَعْلِهِ

وكان بلالٌ إذا أقلعتْ عنه يقول:

ألا ليتَ شِعري هل أَبِيتَنَّ ليلةً ... بوادٍ وحولي إذْخِرٌ وجَليلُ
وهل أَرِدَنْ يوماً مِياهَ مَجِنَّةٍ ... وهل يَبْدُوَنْ لي شَامَةٌ وطَفِيلُ

---

(١) البخاري (٥٦٤٤، و٧٤٦٦)، ومسلم (٢٨٠٩).
(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف ١١/١٩٧، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ٧/١٧٦.
(٣) البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

وكان عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ يقول:

لقدْ وجدتُ الموتَ قبلَ ذَوْقِهِ إنَّ الجبانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ
كلُّ امْرِئٍ مُجاهِدٌ بِطَوْقِهِ كالثَّورِ يَحمي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ

قالت عائشةُ: فجئتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرتُه، فقال: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ، اللَّهُمَّ صَحِّحْهَا وبارِكْ لنا في صاعِها ومُدِّها، وانْقُلْ حُمَّاها فاجْعلْها بالجُحْفَةِ**»[1].

٣٢٩١ ـ وأنشدوا للخليلِ بن أحمدَ:

وقَبْلَكَ داوَى المريضَ الطَّبيبُ فعاشَ المريضُ وماتَ الطَّبيبُ
فكُنْ مُسْتَعِدّاً لداعي الفَناءِ فإنَّ الذي هو آتٍ قَريبُ

٣٢٩٢ ـ وللأغْلَبِ العِجلِيِّ:

إنَّ اللَّيالي أسْرَعَتْ في نَقْضي أخَذْنَ بَعضِي وتَرَكْنَ بَعْضِي
جَنَيْنَ طُولي وطَوَيْنَ عَرْضِي أقْعَدْنَني مِنْ بعدِ طُولِ نَهْضِي

٣٢٩٣ ـ ولمنصور النمريِّ:

لا تَنقَضي حسرةٌ مِنِّي ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ
بانَ الشَّبابُ وفاتَتْني بغُرَّتِهِ صُروفُ دهرٍ وأيَّامٌ لها خُدَعُ
ما كنتُ أُوفِي شبابي كُنْهَ عِزَّتِهِ حتَّى انقضَى فإذا الدنيا له تَبَعُ

---

(١) أخرجه من غير شعر عامر بن فهيرة البخاري (١٨٨٩ و٣٩٢٦ و٥٦٥٤ و٥٦٧٧). وأخرج مسلم (١٣٧٦) قول النبي ﷺ فقط. أما شعر عامر بن فهيرة، فرواه مالك في الموطأ ٨٩١/٢، وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ١٨٥/٢ ـ ١٨٦.

إذخر وجليل: من أنواع النبات. مجِنَّة: موضع على أميال من مكة، وكان به سوق. وشامة وطفيل: جبلان قرب مكة، وقيل: هما عينان. والطوق: أقصى الطاقة. وقوله: كالثور يحمي أنفه بروقه: معناه يذُبُّ عن نفسه بقرنه. والرَّوْقُ: القرن.

٣٢٩٤ ـ وللبحتري عفا الله عنه:

الشَّيَبُ كُرْهٌ وكُرْهٌ أنْ يُفارِقَني أَعْجِبْ بشيءٍ على البَغْضاءِ مودودُ
مضى الشَّبابُ فيَأتي بعدَه بَدَلاً والشَّيْبُ يذهبُ مفقوداً بمفقودِ

٣٢٩٥ ـ آخر:

مَنْ شابَ قد ماتَ وهو حَيٌّ يَمشي على الأرضِ مِثْلَ هالِكْ
ولو كان عُمرُ الفَتَى حِسَاباً كان له شَيْبُهُ فذلِكْ

٣٢٩٦ ـ ولابن الرومي عفا الله عنه، وقد قصده بعضُ الأطباءِ، فزعم أنَّ الفَصْدَ زاد في عِلَّتِه، فقال:

غَلِطَ الطَّبيبُ عَلَيَّ غَلْطَةَ مُورِدٍ عَجَزَتْ مَحَالَتُهُ عَنِ الإصْدارِ
والناسُ يَلْحونَ الطَّبيبَ وإنَّما غَلَطُ الطَّبيبِ إصابَةُ المِقدارِ

٣٢٩٧ ـ ولعدي بن زيدٍ:

أينَ أهلُ الدِّيارِ مِنْ قومِ نُوحٍ ثُمَّ عادٌ مِنْ بعدِهم وثَمودُ
بينما هم على الأَسِرَّةِ والأنماطِ أفْضَتْ إلى التُّرابِ الجلودُ
ثُمَّ لَمْ يَنْقَضِ الحديثُ ولكن بعدَ ذا الوَعْدُ كلُّه والوَعيدُ
والأَطِبَّاءُ بعدَهُم لَحِقوهم ضَلَّ عنهم سُعُوطُهُم واللَّدُودُ
وصَحيحٌ أضحى يَعودُ مريضاً هو أدنى لِلمَوْتِ مِمَّن يَعُودُ

٣٢٩٨ ـ وللنَّمِرِ بنِ تَوْلَب رحمه الله:

يَوَدُّ الفَتَى بعدَ السَّلامَةِ والغِنَى فكيفَ ترى طُولَ السَّلامَةِ تَفْعَلُ
يَوَدُّ الفَتَى بعدَ اعتِدالٍ وقُوَّةٍ يَنُوءُ إذا رامَ القِيام ويُحْمَلُ
تَدارَكَ ما قبلَ الشَّبابِ وبعدَهُ حوادِثُ أيَّامٍ تَمُورُ وأغْفُلُ

٣٢٩٩ ـ ودخل الخِيارُ بنُ أوفى النَّهدِيُّ على معاويةَ، فقال له: كيف تَجِدُكَ؟ قال: صَدَّعَ الدهرُ قناتي، وأَثْكَلَنِي لَذَّاتي، وأوْهَى عِمَادِي، وشَيَّبَ سَوادي، وأسرع في تِلادي. وأنشدَ:

أَدِبُّ إذا رُمْتُ القِيامَ كأنَّني لَدَى المَشْيِ قَرْمٌ قَيْدُهُ مُتَقاصِرُ
وقَصْرُ الفَتَى شَيْبٌ ومَوتٌ كلاهما له سابِقٌ يسعى لذاك وناظِرُ
وكيفَ يَلَذُّ العَيْشَ مَنْ ليس زائِلاً رَهِينَ أُمورٍ ليس فيها مَصادِرُ

٣٣٠٠ ـ وقال أبو عُبيدةَ: دخل أرطَأَةُ بنُ سُهَيَّةَ على عبد الملكِ بنِ مروانَ، فقال له: كيف حالُك يا أرطَأَةُ؟ قال: وقد كانَ أَسَنَّ وضَعُفَ، فقال: ضَعُفَتْ أوصالي وضاع مالي، وقَلَّ مِنِّي ما كنتُ أُحِبُّ أنْ يَكْثُرَ، وكثُرَ مِنِّي كلُّ ما كنتُ أُحبُّ أنْ يَقِلَّ. قال: كيف أنت في شعرِك؟ فقال: والله يا أميرَ المؤمنين، ما أغضَبُ، ولا أطرَبُ، ولا أرغَبُ ولا أرهَبُ. وما يكون الشعرُ إلا مِنْ نتائِجِ هذه، على أنِّي القائل:

رأيتُ المَرْءَ تأكُلُهُ اللَّيالي كأَكْلِ الأرْضِ ساقِطَةِ الحَديدِ
وما تُبْقي المَنِيَّةُ حينَ تأتي على نَفْسِ ابنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدِ
وأعلَمُ أنَّها سَتُوفي نَذْرَها عَمَّا قليلِ بأبي الوَليدِ

فارتاعَ عبدُ الملك، ثم قال: بل تُوفي نذرَها بك، مالي ولك؟ فقال: لا تُرَعْ يا أميرَ المؤمنينَ، فما عنيتُ إلا نفسي. وكان أرطأةُ يُكْنَى أبا الوليد. فبكى عبدُ الملك، وقال: أمَا واللّهِ على ذلك لَتُلِمَّنَّ بي.

٣٣٠١ ـ وقال حُمَيْدُ بنُ ثورِ الهلاليُّ:

أرى بَصَري قد رابَنِي بعدَ صِحَّةٍ وحَسْبُكَ داءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا
ولَنْ يَلْبَثَ العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلَبَا أنْ يُدرِكَا ما تَيَمَّمَا

٣٣٠٢ ـ ودخل أبو الأسودِ على عُبيدِ الله بنِ زيادٍ، وقد أَسَنَّ، فقال له عُبيدالله، يهزَأُ به: يا أبا الأسودِ، ما أجمَلَكَ، لو تعلَّقْتَ تَميمةً؟ فقال أبو الأسود:

أَفْنَى الشَّبابُ الذي أَفْنَيْتُ جِدَّتَهُ مَرُّ الجَديدَيْنِ مِنْ آتٍ ومُنْطَلِقِ
لَمْ يتْرُكا لي في طُولِ اختِلافِهِمَا شيئاً يُخافُ عليه لَذْعَةَ الحَدَقِ

٣٣٠٣ - ولبعضهم، عفا الله عنه:

كـانـت قَـنـاتـي لا تَـلـيـنُ فـألانَـهـا الإصـبـاحُ والإمْـسـاءُ
فدَعَوْتُ ربِّي في السَّلامةِ جاهِداً لِيُصِحَّني فإذا السَّلامةُ داءُ

٣٣٠٤ - ولأبي النجم الرَّاجز:

إنَّ الـفَـتَـى يُـصْـبِـحُ لـلأسْـقـامِ
كـالـغَـرَضِ الـمَـنْـصُـوبِ لـلـسِّـهَـامِ
أخْـطَـأ رامٍ وأصـابَ رامِ

٣٣٠٥ - وقال محمدُ بنُ أبي العتاهيةِ آخرَ شعرٍ قاله في مرضِه الذي مات فيه رحمه الله:

إلـهـي لا تُـعَـذِّبْـنِـي فَـإنِّـي مُـقِـرٌّ بـالـذي قـدْ كـانَ مِـنِّـي
فـمـا لـي حِـيـلَـةٌ إلا رَجَـائـي لِعَفْوِك إنْ عَفَوْتَ وحُسْنُ ظَنِّي
وكـمْ مِنْ زَلَّـةٍ لـي فـي الـخَـطـايـا وأنـتَ عَـلَـيَّ ذو فَـضْـلٍ ومَـنِّ
إذا فَـكَّـرْتُ فـي نَـدَمِـي عـلـيـهـا عَضَضْتُ أنامِلِي وقَرَعْتُ سِنِّي
أُجَـنُّ بِـزَهْـرَةِ الـدُّنـيـا جُـنـونـاً وأَقْطَعُ طُولَ عُمري بالتَّمَنِّي
ولـو أنِّـي صَـدَقْـتُ الـزُّهْـدَ عَـنـهـا قَـلَـبْـتُ لأهْـلِـها ظَـهْـرَ الـمِـجَـنِّ

٣٣٠٦ - ولابن الرومي عفا الله عنه:

لـو أنَّ عُـمْـري مـائـةٌ هَـدَّنِـي تَـذَكُّـرِي أنِّـي تَـنَـصَّـفْـتُـهـا
لَهْفِي على خمسينَ عاماً مَضَتْ كـانـتْ أمـامـي ثُـمَّ خَـلَّـفْـتُـهـا

٣٣٠٧ - ولغيره:

إذا كانتِ الخمسونَ سِنَّكَ لم يكُنْ لـدائِـكَ إلا أنْ تَـمـوتَ طَـبـيـبُ
وإنَّ امْرَءاً قد صارَ خمسينَ حِجَّةً إلـى مَـنْـهَـلٍ مِـنْ وِرْدِهِ لِـقَـريـبُ
إذا ما مَضَى القَرْنُ الذي كنتَ فيهمُ وخُـلِّـفْـتَ فـي قَـرْنٍ فـأنـتَ غَـريـبُ

٣٣٠٨ ـ ولحسين بن الضحاك رحمة الله عليه:

أمَا في ثَمانينَ وَفَّيْتُها ... عَذِيرٌ وإنْ أنا لَمْ أَعْتَذِرْ
وقدْ رَفَعَ اللَّهُ أقلامَهُ ... عنِ ابنِ ثَمانينَ دُونَ البَشَرْ
سِوَى مَنْ أصَرَّ على فِتْنَةٍ ... وأَلْحَدَ في دِينِه أو كَفَرْ
وإنِّي لَمِنْ بَعضِ أَسْرَى الإلهِ ... في الأرضِ نَصْبُ صُروفِ القَدَرْ
فإنْ يَقْضِ لي عَمَلاً صالِحاً ... أُثابُ وإنْ يَقْضِ شَرَّاً غَفَرْ
فلا تُلْحَ في كِبَرٍ هَدَّنِي ... فلا ذَنْبَ لي إنْ بَلَغْتُ الكِبَرْ
وقد بَسَطَ اللَّهُ لي عُذْرَهُ ... فمَنْ ذا يلُومُ إذا ما عَذَرْ

٣٣٠٩ ـ وللبيد بن ربيعة العامري رحمه الله:

بَلِينَا وما تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوالِعُ ... وتَبْقَى جِبالٌ بعدَنا ومَصَانِعُ
وما المرْءُ إلا كالشِّهابِ وضَوْئِهِ ... يَحورُ رَماداً بعدَما هو ساطِعُ
وما البِرُّ إلا مُضمَراتٌ مِنَ التُّقَى ... وما المالُ إلا عارِياتٌ ودائِعُ
أَلَيْسَ ورائي إنْ تَراخَتْ مَنِيَّتِي ... لُزومُ العَصَا تَحْني عليها الأصابعُ
أُخَبِّرُ أخبارَ القرونِ التي مَضَتْ ... أَدِبُّ كأنِّي كلَّما قمتُ راكِعُ
فأصبحتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ ... تَقادَمَ عهدُ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطِعُ
فلا تَبْعُدَنْ إنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ ... علينا فَدانٍ للطُّلوعِ وطالِعُ
أَتَجْزَعُ مِمَّا أحدَثَ الدَّهْرُ بيْنَنا ... وأيُّ كريمٍ لَمْ تُصِبْهُ القَوارِعُ

٣٣١٠ ـ وقال بعضُهم: العاقِلُ يترُك ما يحبُّ ليستغنِيَ عنِ العلاجِ بما يكره.

٣٣١١ ـ وقال جالينوسُ: المرضُ هرمٌ عارضٌ، والهرم موتٌ طبيعيٌّ.

٣٣١٢ ـ وقال ثابتُ بنُ قُرَّةَ: ليس شيءٌ أضَرَّ بالشيخِ مِنْ أنْ تكونَ له جاريةٌ حسناءُ وطباخٌ مَحسنٌ؛ لأنه يُكثرُ مِنَ الطعامِ فيَسْقَمُ، ومِنَ النِّكاحِ فيهرَمُ.

٣٣١٣ ـ وقال غيْرُه: ليس لثلاثةٍ حيلةٌ: فقرٌ يُخالِطُه كَسَلٌ، وخُصومةٌ يخالِطُها حسدٌ، ومرضٌ يُمازِجُه هرمٌ.

٣٣١٤ ـ وقال: ثلاثةٌ يُعذَرون على سُوءِ الخُلُقِ: المريضُ والمسافرُ والصَّائمُ.

٣٣١٥ ـ ولفَرْوَةَ[1] بنِ نُفاثَةَ السَّلُولي ورد على النبي ﷺ وأسلم، فقال:

بانَ الشَّبابُ فلَمْ أحْفَلْ به بالا ... وأَقْبَلَ الشَّيْبُ والإسلامُ إقْبالا

فالحمدُ للهِ إذْ لَمْ يأْتِني أَجَلِي ... حَتَّى اكتَسَيْتُ مِنَ الإسلامِ سِربالا

٣٣١٦ ـ وله:

أصْبَحْتُ شَيْخاً أرى الشَّخْصَيْنِ أرْبَعَةً ... والشَّخْص شَخْصَيْنِ لَمَّا مَسَّنِي الكِبَرُ

لا أَسْمَعُ الصوتَ حتَّى أستديرَ لهُ ... وحالَ بالسَّمعِ دونَ المنظَرِ العصرُ

وكنتُ أمشي على رِجلَيْن مُعتَدِلاً ... فصِرْتُ أمشي على ما تُنْبِتُ الشَّجَرُ

إذا أقومُ عَجَنْتُ الأرضَ مُتَّكِئاً ... على البَراجِمِ حتَّى يذهَبَ النَّفَرُ

٣٣١٧ ـ ودخل عَمرو بنُ حُرَيْثٍ على أبي العريانِ، فقال: كيف تجِدُك يا أبا العريانِ؟ فقال: أجدُني قدِ ابْيَضَّ مِنِّي ما كنتُ أُحِبُّ أنْ يَسْوَدَّ، واسوَدَّ مِنِّي ما كنتُ أُحِبُّ أنْ يَبْيَضَّ، ولانَ مِنِّي ما كنتُ أُحِبُّ أنْ يشتَدَّ، واشتَدَّ مِنِّي ما كنتُ أُحِبُّ أنْ يَلينَ.

واسْمَعْ أُنَبِّئْكَ بِآياتِ الكِبَرْ
تَقارُبُ الخَطْوِ وسُوءٌ في البَصَرْ
وقِلَّةُ الطُّعْمِ إذا الزَّادُ حَضَرْ
وكَثْرَةُ النِّسْيانِ مِمَّا يُدَّكَرْ
وقِلَّةُ النَّوْمِ إذا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ
نَوْمُ العِشاءِ وسُعالٌ في السَّحَرْ
والنَّاسُ يَبْلُونَ كما يَبْلَى الشَّجَرْ

---

(١) في الأصلين «عروة»، وهو تحريف. والتصويب من «الاستيعاب» لابن عبد البر ١٣٠٥/٣، و«الإصابة» لابن حجر ٢٣٥/٥.

٣٣١٨ ـ ولابن أحمر:

شَرِبْتُ الشُّكَاعَى[١] والتَددتُ أَلدَةً وأقبَلْتُ أفواهَ العُروقِ المكاوِيَا

إليك إلَهَ الناسِ أرفَعُ رَغْبَتِي عِياذاً وخَوْفاً أنْ تُطِيلَ ضَمَانِيَا

فإنْ يَكُ بُرْءٌ فاجْعَلِ البُرْءَ مِنَّةً وإنْ يَكُ قَبْضٌ فاقْضِ ما أنتَ قاضِيَا

٣٣١٩ ـ ولأعشى همْدَان وهو عبد اللَّه بن الحارث:

بانَ الشبابُ ولَذَّاتُه ومِثْلُكَ في الجَهْلِ لا يُعْذَرُ

في أربعينَ قدَ اكْمَلْتُها وعَشْرٌ مَضَتْ لي مُسْتَبْصَرُ

وموعِظَةٌ لامرِئٍ حازِمٍ إذا كان يَسمَعُ أو يُبْصِرُ

فلا تَأسَفَنَّ على فائِتٍ ولا يُحْزِنَنَّكَ ما يُدْبِرُ

فإنَّ الحوادِثَ تُبْلِي الفَتَى وإنَّ الزَّمانَ بِهِ يَعْثُرُ

٣٣٢٠ ـ ولإسحاقَ بن حسَّانَ الخُريمي:

إذا ما ماتَ بعضُكَ فابْكِ بَعْضاً فبَعْضُ الشَّيْءِ مِنْ شَيْءٍ قَرِيبُ

يُمَنِّيني الطَّبيبُ شِفاءَ عَيْنِي وما غَيْرُ الإلهِ لها طَبيبُ

❋ ❋ ❋

٢٠٥ ـ ما جاء في الفرج بعدَ الشِّدَّةِ

٣٣٢١ ـ روى ابنُ عمرَ، قال عن النبي ﷺ أنه قال: «**بينما ثلاثةُ نفرٍ يتماشون، أخذهمُ المطرُ، فمالوا إلى غارٍ في الجبل، فانحطَّت على فَمِ غارِهم صخرةٌ مِنَ الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: انظروا أعمالاً عملتُموها صالحةً، فادعوا الله بها لعلَّه يُفرِّجها.**

فقال أحدُهم: اللَّهمَّ إنه كان لي والدانِ شيخانِ كبيرانِ، ولي صِبْيَةٌ

(١) الشُّكاعى: نوع من النبات، يستخدم ماؤه دواءً.

صِغار كنتُ أرعى عليهم، فإذا رُحتُ عليهم فحلبتُ، بدأتُ بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي، وأنه نأى بي الشَّجَرُ يوماً، فما أتيتُ حتى أمسيتُ، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلُبُ، فجئت بالحِلابِ، فقمت عند رؤوسهما أكرهُ أنْ أُوقِظَهما وأكره أنْ أبدأ بالصِّبْيَةِ قبلَهما، والصِّبْيَةُ يتضاغون عند قدَمَيَّ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبُهم حتى طلعَ الفجرُ. فإن كنتَ تعلمُ أنّي فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك، فافرُج لنا فُرجةً نرى منها السماء، ففرَّجَ الله لهم.

قال الثاني: اللَّهُمَّ كانت لي ابنةُ عمٍّ أحبُها كأشد ما يُحبُّ الرجالُ النساءَ، فطلبتُ إليها نفسَها، فأبت حتى آتِيَها بمائةِ دينارٍ، فسعيتُ حتى جمعتُ مائةَ دينارٍ فلقيتها بها، فلما قعدتُ بين رجليها، قالت: يا عبدَ الله، اتَّقِ اللَّهَ ولا تَفُضَّ الخاتَم إلا بحقِّه، فقمتُ عنها. فإن كنتَ تعلمُ أنّي فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك، فافرُج لنا منها، ففرَّجَ لهم فُرجةً.

قال الآخرُ: اللَّهُمَّ إنّي كنتُ استأجرتُ أجيراً بفرَقِ أُرزٍ، فلمَّا قضى عملَه، قال: أعطِني حقّي، فعرضتُ عليه حقَّه، فتركه ورغِبَ عنه، فلم أزل أزْرَعُه حتى جمعتُ منه بقراً وراعيها، فجاءني وقال: اتَّقِ اللَّهَ ولا تظلِمْني وأعطِني حقّي، فقلتُ: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها، فقال: اتَّقِ اللَّهَ ولا تهزَأْ بي، فقلتُ: إني لا أهزَأُ بك، فخذْ ذلك البقرَ وراعِيَها، فأخذها وانطلق بها. فإنْ كنتَ تعلمُ أنّي فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهِك، فافرُج ما بَقِيَ، ففرَّجَ اللَّهُ عنهم»[1].

٣٣٢٢ ـ وروى الأعرج عن أبي هريرة، قال: قال النبيُّ ﷺ: «هاجرَ إبراهيمُ بسارةَ، فدخل بها قريةً فيها ملك مِنَ الملوك، أو جبَّارٌ مِنَ الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيمُ بامرأةٍ هي مِنْ أحسنِ النساء. فأرسل إليه: أنْ يا إبراهيمُ، مَنْ هذه المرأةُ التي معك؟ قال: أختي. ثم رجع إليها، فقال: لا

---

(١) البخاري (٢٢١٥ و٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

تُكَذِّبي حديثي، والله إنْ على الأرض مِن مؤمنٍ غيْري وغيْرُك، فأرسل بها إليه، فقام إليها، فقامت تصلي، فقالت: اللَّهُمَّ إنْ كنتُ آمنتُ بك وبرسولِك، وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي، فلا تُسَلِّطْ عليَّ الكافرَ، فغَطَّ حتى ركضَ برجليه». قال الأعرجُ: قال أبو هريرة: فقالت: اللَّهُمَّ إنْ يَمُتْ يقال: هي قتلتْه، فأُرْسِلَ في الثانية أو في الثالثة، فقال: والله ما أرسلتم لي إلا شيطاناً، ارجِعوها إلى إبراهيمَ، وأعطوها أَجيرَةً، فرجعت إلى إبراهيمَ، فقالت: أشَعَرْتَ أنَّ اللَّهَ كَبَتَ الكافر وأخدم وليدة[(١)].

٣٣٢٣ - ورُوِيَ عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ حين قال لها أهلُ الإفكِ ما قالوا، فبَرَّأها اللَّهُ منه، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرَعَ بيْن أزواجه، فأيَّتُهنَّ خرج سهمُها خرج بها، فأقرع بيننا في غَزاةٍ غزاها، فخرج سهمي، فخرجتُ معه بعدما أُنزِلَ الحجابُ، فأنا أُحْمَلُ في هودجي وأُنْزَلُ فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسولُ الله ﷺ مِنْ غزوتِه تلك، وقفَلَ ودنونا مِنَ المدينةِ، آذَنَ ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيلِ، فمشيت حتى جاوزتُ الجيش، فلمَّا قضيتُ شأني، أقبلتُ إلى الرَّحْلِ فلمستُ صدري، فإذا عِقدٌ لي مِنْ جَزْعِ أظفار[(٢)] قد انقطع، فرجعتُ فالتمستُ عِقدي، فحبسني ابتغاؤُه، فأقبلَ الذين يُرَحِّلُونَ لي، فاحتملوا هودجي فرَحَّلُوه على بعيري الذي كنتُ أركب وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يَعْبُلْنَ[(٣)] ولم يغشَهُنَّ اللحمُ، وإنَّما يأكلْنَ العُلقةَ مِنَ الطعامِ فلم يستنكرِ القومُ ثقلَ الهودجِ فاحتملوه، وكنتُ جاريةً حديثةَ السِّنِّ، فبعثوا الجملَ وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمرَّ الجيشُ، فجئت منزلَهم وليس فيه أحدٌ، فأقَمْتُ منْزلي الذي كنتُ به، فظننت أنهم سيفقدونني

---

(١) البخاري (٢٢١٧)، وانظر: صحيح مسلم (٢٣٧١).

(٢) نوع من الخَرَز.

(٣) العبْل: الضخم. وفي رواية البخاري: لم يثقلهن اللحم.

فيرجعون إليَّ. فبينا أنا جالسةٌ غلبتْني عيناي فنمت، وكان صفوانُ بنُ المُعَطِّلِ السُّلَمِيُّ ثم الذَّكوانيُّ مِنْ وراءِ الجيشِ، فأصبح عندَ منْزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم فأتاني، وكان يراني قبلَ الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعِهِ، حتَّى أناخَ راحلتَه، فوطئ يدَها، فركبتها، فانطلق يقودُ بيَ الرَّاحلةَ، حتى أتينا الجيشَ بعدما نزلوا مُعَرِّسين في نحْرِ الظَّهيرةِ، فهلك من هلك.

وكان الذي تولى الإفك عبد اللَّه بن أُبَيٍّ بنِ سَلولٍ، فقدِمْنا المدينَةَ، فاشتكيتُ بها شهراً يُفيضون مِنْ قول أصحابِ الإفْك، ويَريبُني في وجعي أنِّي لا أرى مِنَ النبيِّ ﷺ اللُّطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلِّمُ، ثم يقول: «**كيف تِيكم**»؟ لا أشعرُ بشيءٍ مِنْ ذلك، حتَّى نَقَهت، فخرجت أنا وأمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المناصِعِ[1] مُتَبَرَّزنا، لا نخرجُ إلا ليلاً إلى ليلٍ، وذلك قبل أنْ نتَّخذَ الكُنُفَ قريباً مِنْ بُيوتنا، وأمْرُنا أمرُ العربِ الأوَلِ في البَرِّيَّةِ أو في التَّنَزُّهِ، فأقبلتُ أنا وأمُّ مِسْطَح بنتُ أبي رُهْم نمشي، فعثرتْ في مِرطها، فقالت: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فقلت لها: بئسَ ما قلتِ! أتَسُبِّين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: يا هَنتاه[2] ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبَرتني بقول أهلِ الإفك، فازددتُ مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «**كيف تِيكُم**»؟ فقلتُ: ائذَنْ لي إلى أبويَّ. قالت: وأنا حينئذٍ أُريدُ أن أستيقِنَ الخبَر مِنْ قِبَلِهما، فأذنَ لي رسول الله ﷺ فأتيت أبويَّ، فقلت لأُمي: ما يتحدَّثُ الناس به؟ فقالت: يا بُنَيَّة، هوِّني على نفسكِ الشأنَ، فوالله لَقَلَّما كانتِ امرأةٌ قطُّ وضيئةٌ عند رجلٍ يُحبُّها ولها ضرائرُ إلا أكثَرْنَ عليها، فقلت: سبحان الله، ولقد تحدَّث الناس بهذا؟

قالت: فبِتُّ تلك الليلةَ حتى أصبحتُ لا يرقَأ لي دمع ولا أكتحلُ

(١) مواضع خارج المدينة المنورة، يُتَخلَّى فيها لقضاء الحاجة، واحدها مَنْصَع.
(٢) أي: يا هذه، أو يا امرأة، وقيل: يا بلهاء.

بنومٍ، ثم أصبحتُ، فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب وأُسامةَ بنَ زيد حينَ استلبثَ الوحيُ يستشيرُهما في فِراقِ أهله؛ فأمَّا أُسامةُ، فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه مِنَ الوُدِّ لهم، فقال أُسامةُ: أهلُك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيْراً. وأما عليٌّ، فقال: يا رسولَ الله، لم يُضَيِّقِ اللَّهُ عليك، والنِّساءُ سواها كثيرٌ، وسَلِ الجاريةَ تَصْدُقْك. فدعا رسولُ الله ﷺ بَريرَةَ، فقال: «**يا بَريرةُ، هل رأيتِ فيها شيئاً يَريبُك**»؟ فقالت بَرِيرةُ: لا والذي بعثك بالحقِّ، إنْ رأيتُ فيها أمراً أغمِصُه[1] عليها أكثَرَ مِنْ أنها جاريةٌ حديثة السِّنِّ تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله.

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر[2] من عبد اللَّه بن أُبَيٍّ بن سلول، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَعْذِرُني مِنْ رجل بلغني أذاه في أهلي؟ فوالله ما علمتُ على أهلي إلا خيْراً. وقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيْراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**». فقام سعدُ بنُ معاذٍ، فقال: يا رسول الله، أنا والله أَعْذِرُكَ منه؛ إنْ كان مِنَ الأوس ضربنا عُنقَه، وإن كان مِنْ إخوانِنا الخزرج أمرتَنا ففعلنا فيه أمرَك، فقام سعدُ بن عُبادةَ، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحَمِيَّةُ، فقال: كذبتَ لعمرُو الله، والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أُسيْدُ بنُ الحُضيْرِ، فقال: كذبت لعمرُو الله، لنَقْتُلَنَّه؛ فإنك منافق تُجادل عن المنافقين. فثار الحيَّانِ ـ الأوسُ والخزرجُ ـ حتى همُّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ على المنبَر، فنَزل فخَفَّضهم حتى سكتوا وسكتَ.

وبكيتُ يومي لا يرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحِلُ بنوم. فأصبح عندي أبوايَ، وقد بكيت ليلتي ويوماً حتى أظنُّ أنَّ البكاءَ فالِقٌ كبِدي.

قال: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، أستأذنتِ امرأةٌ مِنَ

---

(١) أي أعيبه.
(٢) أي طلب من ينصفه.

الأنصارِ، فأذِنْتُ لها فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذْ دخلَ رسولُ الله ﷺ فجلس، ولم يجلسْ عندي مِنْ يومَ قيلَ ما قيل قبلَها، وقد مكث شهراً لا يُوحى إليه في شأني بشيءٍ. قالت: فتشهَّدَ ثم قال: «**يا عائشةُ، فإنَّه بلغني عنك كذا وكذا، فإنْ كنتِ بريئةً فسيبرِّئك اللَّهُ، وإنْ كنتِ ألممْتِ بذنبٍ، فاستغفري اللَّهَ وتوبي إليه؛ فإنَّ العبدَ إذا اعترف بذنبِه ثم تابَ، تابَ الله عليه**». فلمَّا قضى رسول الله ﷺ مقالتَه، قلَص دمعي، حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً، وقلت لأبي: أجِبْ عنِّي رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقولُ لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسولَ الله ﷺ فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت: وأنا جاريةٌ حديثةُ السِّنَّ، لا أقرأ كثيراً مِنَ القرآن. فقلت: إنِّي والله لقد علمتُ أنَّكم سمعتم ما يتحدَّثُ الناسُ به، ووقَرَ في نفوسكم وصدَّقتم به، ولئن قلتُ لكم إنِّي بريئةٌ ـ والله يعلم أنِّي بريئة ـ لا تصدقوني بذلك، ولئنِ اعترفتُ لكم بأمرٍ ـ والله يعلم أنِّي بريئةٌ ـ لتُصَدِّقُنَّني. والله لا أجدُ لي ولكم مَثَلاً إلا أبا يوسفَ، إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. ثم تحولتُ على فراشي وأنا أرجو أنْ يُبَرِّئني الله تعالى، ولكن واللهِ ما ظننتُ أنْ يُنْزِلَ في شأني وحياً يُتلى؛ لأنِّي أحقرُ في نفسي مِنْ أنْ يتكلم القرآنُ في أمري، ولكني كنتُ أرجو أنْ يرى رسولُ الله ﷺ في النومِ رؤيا تُبَرِّئني. فواللهِ ما رامَ مجلسَه ولا خرج أحدٌ مِنْ أهلِ البيت حتى أُنْزِلَ عليه، فأخذه ما كان يأخذه مِنَ البُرَحاءِ، حتى إنَّه ليَتَحَدَّرُ منه مثلُ الجُمانِ مِنَ العرقِ في يومٍ شاتٍ. فلمَّا سُرِّيَ عنْ رسول الله ﷺ وهو يضحكُ، فكان أول كلمةٍ تكلم بها أن قال: «**يا عائشةُ، احمَدي اللَّهَ، فقد برَّأك**». فقالت لي أُمي: قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله، لا أقومُ إليه، ولا أحمَدُ إلا اللَّهَ تبارك اسمُه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] الآيات. فلمَّا أنزل الله عزَّ وجلَّ هذا في براءَتي، قال أبو بكر الصديق، وكان يُنفق على مِسْطَحِ بنِ أُثاثةَ لقرابتِه منه، والله لا أُنفق على

مِسْطَحٍ شيئاً أبداً بعدما قال لعائشةَ. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]. فقال أبو بكر: والله إنِّي لأُحِبُّ أنْ يغفِرَ الله لي. فرجع إلى مِسْطَحٍ الذي كان يجري عليه[1].

٣٣٢٤ - وروى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ عنِ ابنِ عباسٍ، قال: أوَّلُ ما اتخذَ النِّساءُ المنْطِقَ مِنْ قبلُ أمُّ إسماعيل، اتخذت منْطِقاً لتُعفِّيَ أثرها على سارةَ، ثم جاء بها إبراهيمُ وبابنِها إسماعيلَ وهي تُرضِعُه حتى وضعها عند البيتِ عند دوحةٍ فوقَ زمزمَ في أعلى المسجدِ، وليس بمكةَ يومَئذٍ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعها هناك ووضع عندها جِراباً فيه تمرٌ، وسِقاءً فيه ماءٌ، ثم قَفَّى إبراهيمُ منطلقاً، فتبعته أمُّ إسماعيلَ، فقالت: يا إبراهيمُ، أين تذهبُ وتترُكُنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيسٌ ولا شيء؟ فقالت ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آللَّهُ أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يُضيِّعُنا. ثم رجعت.

فانطلق إبراهيمُ حتى إذا كان عند الثَّنِيَّةِ حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيتَ، ثم دعا بهولاء الدَّعواتِ، ورفع يديه، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ حتى بلغ ﴿يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أمُّ إسماعيلَ تُرضِعُ إسماعيلَ وتشربُ مِنْ ذلك الماءِ، حتى إذا نَفِدَ ما في السِّقاءِ عطشت وعطش ابنُها، وجعلت تنظر إليه يتلوَّى، أو قال: يتلبَّطُ، فانطلقت كراهيةَ أنْ تنظُرَ إليه، فوجدتِ الصَّفا أقربَ جبل في الأرض يليها فقامت عليه، ثم استقبلتِ الوادي تنظرُ هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، ثم سعت سعيَ الإنسان المجهودِ حتى جاوزتِ الواديَ، ثم أتتِ المروَةَ،

---

(١) البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

فقامت عليها، تنظرُ هل ترى أحداً، ففعلت ذلك سبعَ مراتٍ. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**فلذلك سعى الناس بينهما**».

فلمَّا أشرفتْ على المروةِ سمعت صوتاً، فقالت: صَهْ، تُريدُ نفسَها، فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعتَ إنْ كان عندكَ غَواثٌ، فإذا هي بالمَلَك عندَ موضع زمزمَ، فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء، فجعلت تُحَوِّضُهُ، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرِفُ الماءَ في سقائها وهو يفور بعدما تغرِفُ.

فقال ابن عباس: قال النبيُّ ﷺ: «**يرحم اللَّهُ أمَّ إسماعيلَ، لو تركتْ زمزمَ**». أو قال. «**لو لم تغرِفْ مِنَ الماءِ، لكانت عيناً مَعِيناً**». قال: فشربتْ وأرضعتْ ولدَها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضَّيْعَةَ، فإنَّ ههنا بيتَ الله، يَبني هذا الغلامُ وأبوه، وإنَّ اللَّهَ لا يُضيِّعُ أهلَه.

وكان البيتُ مرتفعاً مِنَ الأرض كالرَّابية تأتيه السيولُ، فتأخذُ عن يمينِه وشِمالِه، فكانت كذلك حتى مرَّتْ بهم رُفقَةٌ مِنْ جُرْهُم أو أهل بيت مِنْ جُرْهُم مقبلين مِنْ طريق كَدَاء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً[١]، فقالوا: إنَّ هذا الطائرَ ليدورُ على ماءٍ، لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماءٌ، فأرسلوا جَرِيّاً[٢] أو جَرِيَّيْنِ، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبَروهم بالماءِ، فأقبلوا وأمُّ إسماعيلَ عند الماءِ، فقالوا: أتأذنين أنْ ننْزِلَ عندَكِ؟ قالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم بالماءِ، قالوا: نعم.

قال ابنُ عباس: قال النبيُّ ﷺ: «**فألفى ذلك أمَّ إسماعيل وهي تحبُّ الأُنسَ**». فنَزلوا فأرسلوا إلى أهليهم، فنَزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهلُ أبيات منهم، وشَبَّ الغلامُ وتعلَّمَ العربيةَ منهم، وأنفَسَهم وأعجَبَهم حينَ

---

(١) هو الذي يحوم على الماء ويتردد ولا يمضي عنه.

(٢) أي رسولاً.

شَبَّ، فلما أدرَكَ زوَّجُوه امرأةً منهم. وماتت أمُّ إسماعيل، فجاء إبراهيمُ بعدما تزوَّجَ إسماعيلُ يُطالعُ تَرِكَتَهُ، فلم يجد إسماعيلَ، فسأل امرأتَه عنه، فقالت: خرج يبغي لنا، ثم سألها عن عيشِهم وهيئتِهم، فقالت: نحن في ضيقٍ وشِدَّةٍ، فشكتْ إليه. قال: فإذا جاء زوجُك اقرئي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقولي له يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بابِه. فلمَّا جاء إسماعيلُ كأنَّه آنَسَ شيئاً، فقال: هل جاءكم مِنْ أحدٍ؟ قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسألَنا عنك فأخبَرْتُه، وسألني: كيف عيشُنا، فأخبَرْتُه أنَّا في جُهدٍ وشِدَّةٍ. قال: فهل أوصاكِ بشيءٍ؟ قالت: نعم، أمرني أنْ أَقْرَأَ عليك السلامَ، ويقول لك: غَيِّرْ عَتَبَةَ بابِك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أنْ أُفارِقَكِ، الحَقِي بأهلكِ، فطلقها وتزوَّجَ منهم أخرى.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعدَ ذلك، فلم يجدْه، ودخل على امرأتِه، فسألها عنه، فقالت: خرج يبغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عنْ عيشِهم وهيئتِهم، فقالت: نحن بخيرٍ وسَعَةٍ، وأثنت على الله تعالى. قال: ما طعامُكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابُكم؟ قالت: الماءُ. قال: اللَّهُمَّ بارك لهم في اللحمِ والماءِ. قال النبيُّ ﷺ: «**ولم يكنْ لهم يومئذٍ حَبٌّ، ولو كان لهم دعا فيه**». قال: فهما لا يخلو عليهما أحدٌ بغيْرِ مكةَ إلا لم يُوافقاه. قال: فإذا جاء زوجُك، فاقرَئي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومُريه يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بابِه. فلما جاء إسماعيلُ، قال: هل أتاكم مِنْ أحدٍ؟ قالت: نعم، أتانا شيخٌ جميلُ الهيئةِ، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبَرتُه، فسألني: كيف عيشُنا، فأخبَرتُه أنَّا بخيْرٍ. قال: فأوصاكِ بشيءٍ؟ قالت: نعم، هو يقرأُ عليك السلام، ويأمُرُكَ أنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بابِك. قال: ذاك أبي، وأنتِ العَتَبَةُ، وأمرني أنْ أُمْسِكَكِ.

ثم لبث عنهم ما شاء، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيلُ يبْري نَبْلاً له تحتَ دوحةٍ قريبةٍ مِنْ زمزمَ، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنعُ الوالدُ بالولدِ والولدُ بالوالدِ، ثم قال: يا إسماعيلُ، إنَّ الله أمرني بأمرٍ. قال: اصنعْ ما أمرَكَ ربُّك. قال: وتُعينُني. قال: وأُعينُك. قال: فإنَّ اللَّهَ أمرني أنْ أبنِيَ له

ههنا بيتاً، وأشار إلى أكَمَةٍ مرتفعةٍ على ما حولها. قال: فعندَ ذلك رفعا القواعدَ مِنَ البيت، فجعل إسماعيلُ يأتي بالحجارةِ، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفعَ البناءُ جاء بهذا الحجرِ، فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيلُ يُناوله الحجارةَ، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧][(١)].

٣٣٢٥ - وروى عبدُ اللَّه بن كعب بن مالك، قال: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إلا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ عن غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ. وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حتى تَوَاثَقْنَا عَلَى الإسلامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ مِنْهَا فِي النَّاسِ، كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى ولا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى اجتمَعَتَا فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ.

وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ يُرِيدُ غَزْوَةً إلا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ التي غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلا يَجْمَعُهُمْ كِتَابُ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ. قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إلا أنه ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ تعالى.

وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُم، فَأَرْجِعُ

---

(١) البخاري (٣٣٦٤).

وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ: أَتجهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ. فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأتَجهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا. فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ - وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ - فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لا أَرَى إلا رَجُلاً مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاق، أَوْ رَجلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ**»؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِه. فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْت! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إلا خَيْرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلاً، حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي. فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَطَلَّ قَادِمًا، زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَركَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ، جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، فيقبَل مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلانِيَتَهُمْ، ويُبَايِعهُمْ ويستغفرُ لَهُمْ، ووَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّه تعالى. فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْه، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ**» ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا

لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ. لا وَالله، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى ولا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ**».

فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَلا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ به الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ قال هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ؛ رجلان قَالا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ. فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ. فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلامِنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ. فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمَّا صَاحِبَايَ، فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلام عَلَيَّ أَمْ لا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ

حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ، فَسَجَرْتُهُ.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لا، بَلِ اعْتَزِلْهَا ولا تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ.

قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَه؟ قَالَ: **«لا، وَلَكِنْ لا يَقْرَبْكِ»**. قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ لأَذِنَ كَمَا أَذِنَ لامْرَأَةِ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ.

فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلامِنَا. فَلَمَّا صَلَّيْتُ صلاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا

عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وما كان مِنْ شيءٍ أَهَمُّ عليَّ من أن أموتَ فلا يُصلِّي عليَّ النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكونَ من الناس بتلك المنْزلةِ، فلا يكلمني أحدٌ، ولا يصلي عليَّ. فأنزل الله عزَّ وجلَّ توبتنا ورسول الله ﷺ عند أمِّ سلمةَ، وأمُّ سلمةَ محسنة في أمري، فَسَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْب بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ.

وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حتى صَلَّى صلاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ. فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِاللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**». قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَا رَسُولَ أَمْ مِنْ عِنْدِكَ؟ قَالَ: «**بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ. فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ ورسوله. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ إنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَلا أُحَدِّثَ إلا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجلَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ - ١١٩]. فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلام أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ألا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ، فَقَالَ عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1] [التوبة: ٩٥ - ٩٦].

٣٣٢٦ - ورُوِيَ أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما شبَّ ودَرَجَ مِنْ موضع رُبِّيَ فيه، ﴿جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦] يقال: إنه رأى الزهرة، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ [الأنعام: ٧٦ - ٧٧] قبل طلوع الفجر ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧] فلما أصبح ورأى الشمس بازغةً ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ يعني الإسلام ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨ - ٨٠]. قالوا: يا إبراهيم إنا نخاف من آلهتنا أن تصيبَك بسوء لا تقومُ له؛

---

(١) البخاري (٤٠٦٦)، ومسلم (٤٩٧٣).

أنت سَبَبْتَها وعِبْتَها، قال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨١].

وكان آزَرُ يصنع أصناماً يعبُدُها قومُه، ثم يُعطيها إبراهيمَ يبيعها، فيكسرها ويذهبُ بها إلى نهر لهم، فيصبُّها فيه على رؤوسها، ويقول لها: اشربي؛ استهزاءً بها وإظهاراً لقومِه فسادَ ما هم عليه. حتى إذا فشا ذلك مِنْ عيبِه لها، واستهزائِه بها مِنْ غيْر أن يبلُغ ذلك نَمْرُوداً، فأول ما تأذى قومه به أنْ نَظَرَ نظْرَةً في النجوم، ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩]، يعني مِنَ الغيظِ عليهم وعلى أصنامهم، فظنُّوا أنه مطعون، وكانوا يفِرُّون مِنَ الطَّاعونِ إذا سمعوا به، ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الصافات: ٩٠ ـ ٩١]، فدخل عليها وهم قد وضعوا لها طعاماً وشراباً، فقال: ما لكم لا تأكلون ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الصافات: ٩٢] فأقبل عليهم ضرباً باليمين، وكسرها وقطع أيديَها وأرجلَها، حتى جعلَها جُذاذاً، وأراق طعامَها وشرابَها، وعَمِدَ إلى الفأس، فعلَّقه بيدِ آلِهتِهم العظمى، ثم خرج عنها وتركها.

فلمَّا رجع قومُه مِنْ عيدِهم، دخلوا بيتَ أصنامِهم، فلمَّا رأوا ما صنع بها، راعَهُم ذلك وأعظموه، وقالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩]، فقال بعضهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، أي: سمعناه يسبُّها ويستهزِئ بها، فقال نمرود: ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١]. فلما أتى إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟﴾ [الأنبياء: ٦٣ ـ ٦٤]: إنَّا قد ظلمناه بما نسبنا إليه، ثم قال: وعرفوا أنها لا تضرُّ ولا تنفعُ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٥ ـ ٦٧].

فقال له نمرود: حين سمِعَ ذلك منه: صِفْ لي إلهَك الذي تعبدُ وتدعو إلى عبادتِه. قال إبراهيم: إنَّ ربِّي يُحيي ويميتُ، قال نمرود: أنا أُحيي وأُميتُ، قال إبراهيم: كيف ذلك؟ قال: آخُذُ رجلين قد استوجبا القتلَ في حُكمي، فأقتلُ أحدَهما، فأكونُ قدْ أمَتُّه، وأعفو عنِ الآخرِ فأكون قد أحييتُه. قال له إبراهيم: فإنْ كنتَ صادقاً، فأحيِ الذي قتلتَ بزعمِك، أو أخرِجْ رُوحاً مِنْ جسدٍ بغيْر أنْ تقتُلَه إن كنت صادقاً. وإنَّ الله يأتي بالشمسِ مِنَ المشرقِ، فأْتِ بها مِنَ المغربِ، فبُهِتَ عند ذلك نمرود، ولم يرُدَّ إلى إبراهيمَ شيئاً. وأمر به إلى السجنِ، فلبِثَ فيه سبعَ سنين، وجعل يدعو أهلَ السجنِ إلى الله تعالى وإلى الإسلام، حتى ظهر أمرُه وفشا، واتَّبعه قومٌ كثيرٌ على دينه.

فلما أرادوا أنْ يحرِقوا إبراهيم واجتمع رأيُهم على ذلك، بنَوْا حَيِّزَاً طول جداره ستونَ ذراعاً، ووضعوه إلى سفحِ جبلٍ مُنيفٍ، لا يُرامُ ولا يُرقى، وبَلَّطوا الجدارَ، فلا يَمَسُّه شيءٌ إلا زَلِقَ عنه، وأذَّن مؤذِّنُ نمرود: أيها الناسُ، احتَطِبُوا لنارِ إبراهيمَ، ولا يتخلَّفَنَّ عنها أُنثى ولا ذكرٌ، ولا حرٌّ ولا عبدٌ، ولا شريفٌ ولا وضيع، ومَنْ تخلَّفَ عن ذلك أُلقِيَ في النارِ. فعملوا في ذلك أربعين ليلةً، حتى إنَّ المرأةَ منهم كانت تنذُرُ ذلك على نفسها إنْ رجع غائبُها أو أفاق عليلُها، حتى إذا كمُلَ ذلك قذفوا فيه في النارِ، حتى إنه كان يُسمَعُ وهَجُ النارِ على المسافةِ البعيدةِ، فلمَّا بلغَ ذلك، وُضِعَ إبراهيمُ في كفَّةِ المَنْجنيقِ.

قال وهب بن مُنَبِّهٍ: فبلغني أنَّ السماءَ والأرضَ والجبالَ والبحارَ وما فيها ضجُّوا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ضَجَّةً واحدةً؛ قالوا: يا ربَّنا، ليس في أرضِكَ أحدٌ يعبُدُك غيْرُه، فأْذَنْ لنا في نُصرته، فأوحى الله إليها: إنِ استغاثَ بشيءٍ منكم فانصُروه وأغيثوه، وإنْ دعاني فأنا وليُّه وناصِرُه. فلمَّا وُضِعَ في كفَّةِ المنجنيقِ وقذفوه، قال: حسبِيَ اللّهُ ونِعْمَ الوكيلُ، اللَّهُمَّ إنَّك تعلمُ إيماني

بك وعدواةَ قومي فيك، فانصُرْني عليهم ونَجِّنِي مِنَ النار. فأوحى الله إلى النارِ أنْ كوني برداً وسلاماً على إبراهيمَ، فأطاعتِ النارُ ربَّها، ولو لَمْ يقُلْ «وسلاماً» لهلك فيها مِنْ شدَّةِ البردِ.

ولبِثَ إبراهيمُ في النارِ سبعةَ أيام، وظنَّ قومُه أنْ قدِ احترقَ. ثم قال نمرود: انظروا ما فعل إبراهيمُ؛ فإنِّي قد رأيتُ الليلةَ في نومي أنَّ جدارَ هذا الحَيِّزِ قد تهدَّم.

وخرج إبراهيمُ يمشي وقد ذابَ النحاسُ الذي سُدَّ به الحَيِّزُ، واحترق الجدارُ فصار رماداً، فاطَّلعوا على إبراهيمَ، فرأوْه صحيحاً سليماً. وخرج الناسُ ينظُرون إليه على تلك الحالِ، فلما رآهم خرج يمشي حتى قعد إلى أُمِّهِ وهي في الجمْعِ، وأقبلت سارةُ، وكانت أوَّلَ مَنْ آمَنَ به حتى جلست إليه، فقالت: يا إبراهيمُ، إنِّي آمنتُ بالذي جعل النارَ عليك برداً وسلاماً. قالت لها أمُّ إبراهيمَ: احذري القتلَ على نفسِك، فقالت: إليكِ عنِّي؛ فإنِّي لا أخافُ شيئاً وقد آمنتُ بإلهِ إبراهيمَ. وحولَ إبرهيمَ جَمْعٌ مِنَ الناسِ لا يُحصى عدَدُهم يأتمرون به ليُحدِثُوا له عذاباً، فأرسل الله ريحاً عاصفاً، فسَفَتْ رمادَ تلك النارِ في وجوهِهم وعيونِهم، فَفَرُّوا عنه، وقام إبراهيمُ داعياً إلى الله ومُذَكِّراً به.

٣٣٢٧ ـ وقال مجاهدٌ وقتادةُ وغيْرُهما، وحديثُ بعضِهم يدخلُ في بعضٍ: إنَّ نبيَّ اللَّهِ سُليمانَ بنَ داودَ ـ صلى الله عليهما ـ انطلق إلى الحَمَّامِ ومعه جِنِّيٌّ يقال له صخرٌ، ولم يكن سُليمانُ يدخلُ الخلاءَ بخاتَمِه، فدخل الحمَّامَ وأعطى الشيطان خاتَمَه، فألقاه في البحرِ، فالتقمته سمكة، ونُزِعَ مُلْكُ سُليمانَ منه، وأُلقِيَ على الشيطانِ شَبَهُ سُليمان، فجاء فجلس على كرسيِّه، وسُلِّطَ على جميع مُلْكِ سُليمان كلِّه غيْر نسائه، فجعل يقضي بين الناسِ، والناسُ يُنكرونَ قضاياهُ، حتى قالوا: لقد فُتِنَ نبيُّ اللَّهِ سُليمانَ.

ومكث سُليمانُ على ذلك أربعين يوماً، ثم أقبلَ في حاله تلك وهو

جائع نائعٌ[١]، حتى انتهى إلى صيادين، فاستطعمَ أحدَهم مِنْ صيدِه، وقال له: أنا سُليمانُ، فقام إليه بعضُهم فضربه بعصى، فشَجَّ وجهَه. قال: فجعل يغسِلُ دمَه على شاطئِ البحر، فلام الصيادون صاحبَهم على ضربِه إياهُ، ثم أعطَوْا سُليمانَ سمكتيْن مِمَّا قد تغيَّرَ عندهم وأنتَنَ، فلم يشغَلْه ما كان به مِنَ الضربِ مِنْ أنْ يقومَ على شاطئِ البحر يشُقُّ بطونَهما ويغسِلُهما، فوجد خاتَمَه في بطنِ أحدِهما، فأخذه ولبسه، فرَدَّ اللَّهُ عليه بهاءَه ومُلكَه، وجاءتِ الطَّيْر حتى حامت عليه، فعرف القومُ أنه سُليمانُ، فجاؤوا يعتذرون إليه[٢].

٣٣٢٨ ـ وروي وهب بن مُنَبِّهٍ أن الله تعالى وهب لإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إسحاقَ، فلمَّا كان ابنَ سبعِ سنينَ، أوحى اللَّهُ إلى إبراهيمَ أنْ يذبَحَه[٣] وأن يجعلَه قرباناً، فكتمَ إبراهيمُ ذلك إسحاقَ وأُمَّه وجميعَ الناسِ، وأسَرَّه إلى خليلٍ له يُقال له العازرُ، كان أولَ مَنْ آمَنَ به مِنْ قومِه يومَ أُحرِقَ، فقال له: إنَّ اللَّهَ رفع اسمك في البَلاءِ على جميعِ أهلِ البَلاءِ حتى كنتَ أرفعَهم بَلِيَّةً، ليَرْفَعك اللَّهُ بقدرِ ذلك في المنازلِ والفضائلِ، وقد علمت أنَّ اللَّهَ لم يبْتَلِك بذلك ليفتِنَك ولا يضلك، فلا يَسُوؤُنَّ باللهِ ظنُّك، وأعوذُ بالله أنْ يكونَ هذا حتماً مِنِّي على الله، أو سخطاً لحُكمِه الذي حكم به على عبادِه، ولكن هذا حُسْنُ الظَّنِّ به، فإنْ عَزَمَ ربُّك على ذلك، فكنْ عندَ أحسنِ عِلمِه بك، ولا حولَ ولا قُوةَ إلا بالله.

فتعزَّى إبراهيمُ بقوله، واشتدَّ رأيُه وبصيرَتُه، وانطلق بإسحاقَ، فلمَّا صعد ومعه السِّكِّينُ والحبلُ وأداةُ القُربانِ، فقال إسحاقُ: يا أبه، أرى معك

---

(١) نائع: متمايل جوعاً.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٦٩/٧ بعد أن أورد القصة: وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف؛ كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب.

(٣) الراجح عند المحققين من العلماء أن الذبيح هو إسماعيل، لا إسحاق، عليهما السلام. قال ابن كثير في تفسيره ٣٣/٧: وهو الصحيح المقطوع به.

أداةَ القُربانِ ولا أرى قُرباناً! فقال إبراهيمُ: القُربانُ يا بُنَيَّ بعينِ ربِّك ينظرُ إليه، فإنْ شاء رحِمَ أباك، فلم يفطَنْ إسحاقُ.

فلمَّا أوفى رأسَ الجبلِ قال إبراهيمُ: يا بُنَيَّ، إنَّ اللَّهَ أمرني أنْ أذبَحَك وأجعلَك قُرباناً يرفَعُك إليه ويتقبَّلُك، فانظر ماذا ترى، فتهلَّلَ إسحاقُ واستبشر، فقال له والدُه: لقد فجعتُك يا بُنَيَّ بأمرٍ ما فَجَعَ به والدٌ ولَدَه، وإنِّي لأرى مِنْ سُرورِك بذلك وشُكرِك لربِّك أمراً رجوتُ به العافيةَ والفرجَ، فقال: يا أبي، لم يكن شيءٌ مِنَ الدنيا أحبَّ إليَّ مِنَ البِرِّ بك وبأُمِّي، وقد حَرَمَنيه ربِّي، فإذا أردتَ ذبحي فاشدُدْ وَثاقي، فإنِّي أخافُ حين يُفارقني عقلي وأجِدُ ألَمَ الحديدِ أنْ يتحرَّكَ مني عُضوٌ فيؤذيك، وأنا أكره أنْ أختِمَ بذلك عملي، فإذا فرغتَ مِنْ أمري، فأقْرِئْ أُمي السلامَ، وقل لها: لا تَجزعنَّ، فقد أحرزَ اللَّهُ لك ابنَك في جَنابِه.

فلمَّا فرغ مِنْ وصيَّتِه، عمَدَ إبراهيمُ إليه، فعصبه بعِمامتِه ما بين منكِبَيه إلى الكعبين، ثم كبَّه لوجهه، وكره أن يستقبلَ وجهَه لكيلا تُدركَه له رحمةٌ إذا هو تشحَّطَ، فأدخل يدَه مِنْ تحتِ حلقِه. فلمَّا أراد أنْ يَجُرَّ انقلبَ السِّكِّينُ، فأوجَسَ إبراهيمُ في نفسه، ثم عاد الثانية، فلما أراد أنْ يجُرَّ انقلب السِّكِّينُ، ونُودي مِنْ خلفِه: ﴿يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٤ ـ ١٠٧]. هذا فِداءُ ابنِك، قد فداه اللَّهُ لك به، فنظر إبراهيمُ مِنْ خلفِه، فإذا بكبشٍ قد لُوِيَ قرنُه الأيمنُ على ساقِ شجرةٍ، فوجَّهَه إبراهيمُ إلى القِبلةِ، وقِبلتُه يومئذٍ مكةُ، فذبحه إبراهيمُ وقَصَبه إسحاقُ، فلمَّا فرغا منه وضعاه قُرباناً، فرفعه الله عزَّ وجلَّ وتقبَّله.

٣٣٢٩ ـ قال أبو هريرة ﷺ: لما سار يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مِصرَ، واستُرِقَّ بعدَ الحرِّيَّةَ، جزِعَ جَزَعاً شديداً، وجعل يبكي الليلَ والنهارَ على أبويه وإخوته ووطنه، وما ابتُلِيَ به مِنَ الرِّقِّ، فأحيا ليلةً مِنَ الليالي يدعو ربَّه

تبارك وتعالى. وكان مِنْ دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن قال: يا ربِّ، أخرجتَني مِنْ أحبِّ البلادِ إليَّ، وفرَّقتَ بيني وبين أَبَويَّ وإخوتي ووطني، فاجعَلْ لي في ذلك خَيْراً وفرجاً ومَخرَجاً مِنْ حيثُ أحتَسِبُ ومِنْ حيثُ لا أحتَسِبُ، وحبِّبْ إليَّ البلادَ التي أنا فيها، وحبِّبْها إلى كلِّ مَنْ يدخُلُها، وحَبِّبْني إلى أهلِها، وحبِّبْهم إليَّ، ولا تُمتْنِي حتى تجمعَ بيني وبين أَبَوَيَّ وإخوتي في يُسرٍ منك ونِعمةٍ وسرورٍ، تجمع لنا به خيْر الدنيا والآخرةِ، إنك سميعُ الدُّعاء.

فأُتِيَ يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في نومِه، فقيل له: إنَّ اللَّهَ قدِ استجابَ لك دعاءَك، وأعطاك مُناك، وورَّثَك هذه البلادَ وسُلطانَها، وجمع إليك أبويك وإخوتَك وأهلَ بيتِك، فطِبْ نفسَاً، واعلمْ أنَّ الله عزَّ وجلَّ لن يُخلِفَ وعدَك.

وبدعاءِ يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صارت مصرُ مَحبوبةً، يُحبُّها مَنْ دخلَها، فلا يكادُ يخرج منها.

٣٣٣٠ ـ قال قتادة: ما سكنها نبيٌ قبلَه. ولَمَّا جَمعَ اللَّهُ شملَه، وتكاملتِ النِّعَمُ عليه، اشتاقَ إلى لقاء ربِّه، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

٣٣٣١ ـ ولَمَّا وجَّه سُليمانُ بنُ عبد الملك محمدَ بنَ يزيدَ إلى العراقِ لِيُطْلِقَ أهلَ السُّجونِ، ويُقَسِّمَ الأموالَ، ضيَّقَ على يزيدَ بنِ أبي مُسلم، فلمَّا وَلِيَ يزيدُ بنُ عبدالملك الخلافةَ، ولَّى يزيدَ بنَ أبي مسلمٍ إفريقيةَ، فاستخفى محمدُ بنُ يزيد، فطلبَه يزيدُ بنُ مسلمٍ، فأُتِيَ به في شهرِ رمضانَ عند المغربِ، وفي يدِ يزيد بنِ أبي مُسلمٍ عُنقودُ عنبٍ، فقال له يزيد حين دنا منه: محمدُ بنُ يزيد؟ قال: نعم. قال: أما والله لطالَما سألتُ اللَّهَ أنْ يُمَكِّنَني منك بغيْرِ عهدٍ ولا عقدٍ. فقال محمد: وأنا والله، فطالَما سألتُ الله تعالى أنْ يُجيرَني منك ويُعيذَني. فقال يزيد: فواللهِ ما أجارك ولا أعاذك، وإنْ سابَقَني

مَلَكُ الموتِ إلى قبضِ روحِك قبضته. والله لا آكُلُ هذه الحبَّةَ حتى أقتُلَك، فأقامُ المؤذنُ الصلاةَ، فوضع يزيد بين يديه العنقودَ وتقدَّمَ ليُصليَ. وكان أهلُ أفريقيةَ اجتمعوا على قتلِه، فلما ركع ضربَه رجلٌ بعمودٍ على رأسه فقتله، وقيل لمحمد بن يزيد: اذهبْ حيثُ شئتَ.

٣٣٣٢ ـ وأخبرني أبو ذرٍّ عبدُ الله بنُ أحمد الهرَوِيُّ، أو أُخبِرْتُ عنه في حلقتِه، وأكثر ظنِّي أنه أخبرني، قال: كنتُ ببغدادَ أقرأُ على الشيخِ أبي حفصٍ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ شاهين جزءاً مِنَ الحديث في حانوتِ رجل يبيع العِطرَ، بقُربِ دار أبي حفصٍ، فكان أبو حفص ربَّما جلس في ذلك الحانوت لراحتِه، أو لاقتضاءِ حاجةٍ، فمَنْ صادفَه مِنَ الطَّلبة فجلس هناك قرأَ عليه.

فبينما أنا جالسٌ معه يوماً عند ذلك العطَّارِ، إذ جاءه رجلٌ مِنَ الطَّوَّافين، مِمَّنْ يبيعُ بعضَ ما يبيعه العطَّارون في طَبَقٍ يحمله في يده، فأعطاه عشرةَ دراهم، وقال له: أعطِني بها كذا، لأشياءَ سَمَّاها له مِنْ ذلك الجنس، ففعل ذلك. فلمَّا صارت تلك الأشياءُ كلُّها في طَبَقِه على ما تراضيا عليه، حمَل طبَقَه وولَّى مُنصرفاً، عَثَرَ فسقط الطَّبقُ مِنْ يدِه، وتفرَّق جميعُ ما كان فيه، فأظهرَ الطَّوَّافُ جَزَعاً عظيماً، وبكى بُكاءً شديداً، حتى رحِمناه، واشتَدَّ إشفاقُنا عليه، فقال الشيخُ أبو حفصٍ لصاحبِ الحانوتِ: لعلَّكَ تَجْبُر عليه بعضَ هذه الأسباب التي ضاعت. فقال صاحبُ الحانوتِ: أنا أجبُر له جميعَها، فنَزل وأخذ يجمعُ ما تجمَّع له، ويجبُر له ما نقص.

وأقبل الشيخُ على الطَّوَّافِ يصَبِّرُه، ويقول له: يا ابن أخي، لا تجزعْ؛ فإنَّ أمرَ الدنيا أيسرُ وأحقرُ، والله بفضلِه إنْ أخذ منك شيئاً، فإنَّه يرزُقُك أمثالَه. فقال الطَّوَّاف: أيها الشيخُ، لا تظنَّ أنَّ جزَعي لضياعِ ما ضاع، لقد علمَ اللَّهُ مِنِّي أنِّي كنتُ في القافلةِ الفُلانيةِ ـ لقافلةٍ ذكرها ـ ولقد ضاع لي فيها هِمْيان فيه أربعُ مائة دينارٍ، أو أربعةُ آلاف دينارٍ، أنا أشكُّ أي ذلك، قال أبو ذرٍّ: معها فُصوصٌ قيمتُها مِثْلُ ذلك، فما جزِعت لضَياعِها، ولكن طَلَعَ لي

الليلة مولودٌ، فاحتجت في البيت إلى ما يُحتاج إليه للنِّفاس، مِمَّا يُتَغَذَّى به، وطُلِبَ ذلك مِنِّي، ولم يكن عندي غيْرُ هذه العشرة دراهم، فأردتُ أنْ أشتريَ لهم بها ما يكفيهم، فأشفقتُ مِنْ أنْ أبقى بغيْرِ رأسِ مالٍ، فلا أقدِرُ على التكسُّبِ، فقلت: أشتري بها هذه السِّلَع، وأطوفُ بها صدرَ النهارِ، فعسى أنْ أستفضِلَ ما أشتري لهم به بعض ما تدعو الضرورةُ إليه، ويبقى رأسُ المال أتصَرَّفُ به. فلمَّا قدَّرَ الله عليَّ بضَياعِه، جزِعْتُ مِنْ ذلك، وقلتُ: لا أنا عندي ما أرجِعُ به إليهم اليومَ، ولا ما أتكسَّبُ به غداً، وعلمتُ أنه لم يبقَ إلا الفِرارُ عنهم وتركُهم على هذه الحال يهلكون بعدي، فلم أملِكْ نفسي. فهذا الذي أوجبَ جَزَعي.

قال الشيخ أبو ذرٍّ: ورجلٌ مِنْ شُيوخِ الجُندِ جالسٌ على باب داره يسمع ذلك كلَّه، فقال للشيخِ أبي حفصٍ: أرغَبُ إذا أكملتم إصلاحَ شأنِه أنْ تدخُلَ معه عندي، وقام فدخل دارَه، فرأيا أنَّه يُريدُ أنْ يُنيلَه شيئاً، فلمَّا كملَ ما حاوله صاحبُ الحانوتِ مِنْ جبْرِ ما قد ضاع له، قام الشيخُ أبو حفصٍ معه وقمتُ معهما، فاستأذنَّا على صاحبِ الدارِ، فأذِنَ لنا فدخلنا، فجلس الشيخ أبو حفص معه وجلسنا، فلما اطمأنَّ بنا المجلسُ، قال صاحب لدار للطَّوَّافِ: عجبتُ مِنْ جزَعِك لِمَا جرى عليك، واشتدَّ إشفاقي عليك، فأعاد عليه الطَّوَّاُف خبَره وما أوجَبَ جَزَعَهُ، وأنَّه قد ضاع له في قافلةٍ ذكرَها الهِمْيانُ الذي ذكر وما فيه فما جَزِعَ، فقال له صاحبُ الدارِ: وكنتَ في تلك القافلة؟ قال: نعم. قال: ومَنْ كان بها مِنْ أعلامِ الناسِ؟ فذكر له مَنْ عَلِمَ أنه قد حضرها، فقال له: وفي أيِّ موضعٍ ضاع لك هذا الهِميانُ الذي ذكرتَ؟ فذكر الموضعَ الذي سقط له فيه. فقال له: وما علامتُه وصِفَتُه؟ فوصفه بصِفَتِه. قال له: ولو رأيتَه هل كنت تعرفُه؟ قال: نعم. فأخرج إليه صاحبُ الدارِ هِمْياناً ووضعه بين يديه، فقال: هذا الهِميان الذي سقط لي، ومِمَّا أُبَيِّنُ ما أقولُه أنَّ فيه مِنَ الأحجارِ ما صفتُه كذا وصفتُه كذا، ففتح الهِميانَ فوجد الأحجارَ على ما وصف. فقال له صاحبُ الدارِ: خذْ مالَك،

قد جَمَعَه الله عليك، فقال الطَّوَّاف: هذه الأحجار قيمتُها بقدرِ الدَّنانير وأكثرُ، ولي فيها غنىً واسعٌ، فخذ أنتَ الدنانيرَ، فنفسي طيِّبةٌ بذلك، فقال صاحبُ الدار: والله لا آخذُ منك شيئاً، وما كنتُ لآخُذَ على أمانتي أُجرةً، فخرج الطَّوَّاف وهو مِنَ الأغنياءِ.

فبكى صاحبُ الدارِ، فقال له الشيخُ أبو حفصٍ: ما يبكيكَ؟ هذه مَسَرَّةٌ، أدَّيتَ أمانتَك، وقد بذلَ لك مالاً كثيراً حلالاً فلم تقبَلْه، وإنْ شئتَ عرضنا عليه أنْ يُعيدَه إليك. فقال: ما أبكي لذلك، ولكني أعلمُ وأتيقَّنُ أنه قد حان أجلي، فإنه ما كان بقيَ لي أملٌ ولا مُلِمَّةٌ ولا أُمنيةٌ أتمنَّاها إلا أنْ يأتيَ الله بصاحبِ هذا المال فيأخذَ ماله، فلمَّا قضى الله ذلك بفضلِه، ولم يبقَ لي أملٌ، علمتُ أنه قد حان أجلي. قال الشيخُ أبو ذرٍّ: فما انقضى شهرٌ حتى تُوفيَ وصلينا عليه، رحمه الله.

٣٣٣٣ ـ وقال يعقوبُ بنُ داودَ وزيرُ المهدي: حُبِسْتُ في جُبٍّ أحدَ عشر عاماً، وكانت تمرُّ بي حيَّةٌ، فإذا أعيتني استوحشتُ إليها. وكان يعقوبُ مِنْ أزهدِ الناسِ، وإنَّما أوقَعَه في الوزارةِ حبُّه لاصطناعِ المعروفِ. وأتاه آتٍ في منامه، فقال له:

حَنَى على يوسفٍ رَبٌّ فأخرَجَه ... مِنْ قعْرِ جُبٍّ وبيتٍ حولَهُ عَمَمُ

ثم أتاه بعد عام، فقال:

عسى فَرَجٌ يأتي به اللَّهُ إنَّه ... له كلَّ يومٍ في خَليقتِه أَمْرُ

ثم أتاه بعد عام، فقال:

عسى الكَرْبُ الذي أَمْسَيْتَ فيه ... يكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قَريبُ

والله لئِنْ دخلتَ في أعمالِهم بعدَ أنْ خلَّصك اللَّهُ، لَيَرْمِيَنَّكَ الله بصاعقةٍ. فأُخرِجَ مِنَ الجُبِّ ولحقَ بمكةَ، فتوُفِّيَ بها، رحمه الله.

٣٣٣٤ ـ وحدَّثني بالموصل أبو القاسم حُبَيْش بنُ أحمد بنِ حُبَيشٍ وأنا رائحٌ معه إلى الجمعة، حتَّى مررنا بدارٍ يُقابلها مسجدٌ، ويُلاصقُ المسجدَ حانوتٌ، فقال لي: لقد جرت في هذه الدارِ وهذا المسجد قصةٌ عجيبةٌ. فقلت: وما هي؟ فقال لي: كان يسكنُ هذه الدارَ رجلٌ مِنَ التُّجَّار مِمَّنْ يُسافر إلى الكوفة، فيقيمُ بها مدةً يستعمل ثياب الخزِّ، فإذا أكمل استعماله جعل ذلك في خُرجٍ له وحمله على حمارٍ قدِ اتَّخذه لذلك، وركب وقفل إلى الموصلِ، إلى داره هذه، فأقام مع أهله حتى يبيعَ ما جَلَبَه ويجمع ثمنه، ثم يرتَحِلُ إلى الكوفة. فأقام على ذلك مدةً مِنْ عمره. فلما كان في بعض ذلك ترحَّلَ إلى الكوفةِ، وحمل معه جميعَ مالِه، حتى ما ترك لنفسه شيئاً يعود إليه إلا وحمله مع نفسه، حرصاً على الاستكثار مِمَّا يرجو فيه الرِّبحَ، فوصل إلى الكوفة، واستعمل فيها ما سافر بسببِه مِنْ ثيابِ الخَزِّ. فلمَّا أكمل أمرَه، شدَّ ذلك في خُرْجِهِ، وحمله على حماره، وخرج في رُفقةٍ قافلةٍ إلى الموصل، وقد ثَقُلَ الخرج بكثرةِ ما جعل فيه. فلمَّا كان في بعض طريقه، أراد أن يُنْزِلَ خُرجَه عن حمارِه، فعجَزَ عنه لثِقَلِه، فإذا بإنسان بالقُرب منه قام فأعانه على إنزاله، فجلس يأكلُ، وجلس الإنسانُ الذي أعانه بالقُرب منه، فاستدعاه ليأكلَ معه، فأجابه وأكل معه، فسأله عن أمرِه، فأخبَره أنه خرج مِنَ الكوفة لأمرٍ أزعجه دونَ زادٍ. فقال له: إنْ شئتَ أنْ تكونَ معي وتُعينَني على سفري، ويكونُ طعامُك عندي فعلتَ، قال له: أنا حريصٌ على خدمتِك، ومحتاجٌ إلى طعامِك.

فصار معه في طريقه يخدُمه أفضلَ خدمةٍ، ويسقي دابَّتَه وينصحُه، وإنْ أرسلَه ليشتريَ له شيئاً مِمَّا يحتاج إليه المسافر، أتى به على ما يسرُّه مِنَ الجوْدة والرُّخْصِ، حتى وثقه واستحسنَ تصرُّفَه، وكانا على ذلك حتى وصلا تَكريتَ، فنَزلتِ الرُّفقةُ خارجَ المدينةِ، في موضعٍ معتادٍ لها، ودخل مَنِ احتاجَ إلى المدينة لشراءِ قُوتٍ أو غيْرِ ذلك، فقال التاجر للخادَم: اجلس مع أسبابي، واحفظْ عليَّ دابَّتي حتى أدخلَ المدينة أشتري غداءً وما يُتَزَوَّدُ به،

وألقى بعضَ إخواني وأقضي حوائجَ لي بها، وإنِ استعجلَ أحدُ الرُّفقةَ بالنُّهوضِ، فلا تبْرحْ حتى أخرجَ إليك. فقال له الخادم: نعم.

فدخل التاجرُ إلى المدينةِ، فلقِيَ إخوانَه، فحادثوه وآنسُوه، وجلسه بعضُهم على طعامٍ صنعه له، فأبطأ عن عادتِه، فخرج إلى موضعِ الرُّفقةِ، فلم يجد بها أحداً منهم، ولا وجد المستخدَمَ، ولا شيئاً مِنْ رحْلِه، فظنَّ أنَّه لَمَّا رحل جميعُ الرُّفقةِ رحل معهم، فسعى في أثرِ الرُّفقةِ حتى بلغها بعدَ الجُهدِ، فسأل أهلَ الرُّفقةِ عن صاحبِه، فقالوا: ما جاء معنا، ولكن ارتحلَ الأسبابَ على الحمارِ، ودخل المدينةَ على أثرِك، وما ظنَنَّا إلا أنك أمرتَه بذلك، وأنه توجَّه إليك، فتيقَّنَ أنه غدرَه، فكَرَّ راجعاً إلى تَكريتَ رجاءَ أنْ يجِدَ بها خبَره، فسألَ وبحثَ عنه بتكريتَ، فلم يجدْ له أثراً، ولا سمع له خبراً. فيَئِسَ منه، وأخذ في الأوْبَةِ إلى الموصل قد سُلِبَ جميعُ مالِهِ، ولم يبقَ له بقيَّةٌ.

فوصل إلى الموصل نهاراً، وقد بلغ منه الجوعُ وليس عنده شيءٌ يتقوَّتُ به، ولا ما يشتري به قوتاً، فأشفقَ مِنْ أن يدخل الموصل نهاراً، فيَشمَت العدوُّ ويُوجِعَ نفسَ الصديقِ، فبقيَ خارجَ الموصلِ حتى أمسى، فدخل إلى موضعِه بعد العِشاءِ الآخرةِ، فلما ضرب بابَ دارِه قيل: من هذا؟ فقال: فلانٌ، يعني نفسَه، فأظهروا سروراً عظيماً به، وحاجةً شديدةً إليه، وأسرعوا فتحَ البابِ، وقالوا له: الحمد لله الذي جاءنا به في هذا الوقت على ما نحن فيه مِنَ الضَّرورةِ والحاجةِ والفاقةِ؛ حملتَ جميعَ ما كان لك، وطال سفرُك حتى احتجنا، وقد ولدتْ أهلُك اليومَ ولداً، وواللّهِ ما وجدنا ما نشتري به ما تحتاجُ إليه النُّفَساءُ، ولقد كانت هذه الليلةَ طاوِيَةً مع حالِها، فإذ جاءَنا الله بك، فتحيَّلْ علينا في دقيقٍ ودُهنٍ نُسرِجُ به، فلا سراجَ عندنا، فزاده ذلك في غمِّه، وكره أنْ يقولَ لهم ما جرى عليه فيُحْزِنَهم.

وأخذ وعاءً للدَّقيقِ وظَرْفاً للدُّهنِ، وخرج إلى هذا الحانوتِ، وكان

فيه رجلٌ يبيعُ الدَّقيقَ والزيتَ والعسلَ، وما شاكل ذلك، فوجده قد أغلق عليه حانوتَه، وأطفأ مصباحه ونام، فناداه فأجابه وعرفه، وشكر اللَّهَ على سلامتِه، فقال التاجر لصاحبِ الحانوتِ: اقدَحْ زناداً أزِنُ لك دراهمَ في دقيقٍ وزيتٍ وعسلٍ احتجتُ إليه الساعةَ، وكره أنْ يقول له: إنَّه سيؤخِّرُ نقدَ الثَّمنَ لئلا يكونَ ذلك سبباً لامتناعِه، واعتقد أنه إذا ذكر له وزنَ الثَّمنِ سينشَطُ لأخذها، فإذا وزنَ له ما يحتاجُ إليه مِنْ دقيقٍ ودُهنٍ وغيْر ذلك، قال له: نسيتُ الثمنَ في الدارِ، سأقضيك غداً، فيصلُ إلى مُرادِه، فكان الأمرُ على ما ظنَّ؛ قام صاحبُ الحانوتِ، فقدح زِنادَه، وأوقدَ مصباحَه، فقال له التاجرُ: زِنِ لي مِنَ الدَّقيقَ كذا ففعل، وهاتِ مِنَ الزيتَ كذا، ومِنَ العسلِ كذا، ومِنَ السَّمنِ كذا، ومِنَ الملح كذا، ومِنَ الحطب كذا، ما يرمق به الحال تلك الليلة، وهو في أعظمِ كرْبٍ، غيْرَ أنه يُظهرُ حالتَه المعروفةَ منه.

فبينما هو كذلك، إذ حانتْ منه التفاتةٌ إلى قعرِ الحانوتِ، فرأى فيه خُرْجَهُ الذي هرب به خادَمُه، فلم يملِكْ نفسَه عنْ أنْ وثبَ عليه والتزَمَه، وألقى يدَه في أطواقِ صاحب الحانوتِ، وجذَبَه إلى نفسِه يقول له: يا عدوَّ الله، أين مالي؟ فقال له صاحبُ الحانوتِ: ما لك يا أبا فلانٍ؟! فوالله ما علِمْتُك متعدِّياً، وما علِمْتَني جنيتُ عليك وعلى سواك، فما هذا؟ قال: هذا خُرجي، فرَّ لي به خادَمٌ خدمني بجميع مالي وبحماري الذي كنتُ أركبُه، فقال: ما لي عِلْمٌ، غيْرَ أنَّ رجلاً ورد عليَّ بعدَ العشاءِ الآخرةِ، واشترى منِّي عَشاءَه، واستضافني فأضفتُه، فجعلتُ هذا الخُرجَ في حانوتي، وهذا الحمارَ في دارِ جارِنا فلانٍ، والرجلُ في المسجد بائتٌ. فقال له: احمِلْ معيَ الخُرجَ، وانهَضْ معي إلى الرجل، فرفع الخُرجَ معه، فألقاه على عاتقِه، ومشى معه، ففتح بابَ المسجدِ، فإذا الرجل الذي كان يخدُمه نائماً في المسجدِ، فرفَسَه فقام الرجل مذعوراً، فقال له: ما لك؟ فقال: أين مالي

يا خائنُ؟ فقال: ها هو ذا على عُنقك، والله ما تغادر منه ذرةً. قال: فأين الحمارُ وآلتُه؟ قال: هو عند هذا الجائي معك، فنهض إلى داره وفتَّش متاعَه، فوجده على هيئتِه، واستخرجَ الحمارَ مِنَ الموضعِ الذي كان فيه، وأوسع على أهلِه فيما اشترى لهم، وأخبرهم حينئذٍ خبَره، فتبرَّك بذلك المولودِ لرجوعِ مالِه إليه.

* * *

٢٠٦ ـ في جاء في الفرحِ والسُّرورِ

٣٣٣٥ ـ قال اللَّهُ تعالى في قصة قارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

٣٣٣٦ ـ وهذا الفرحُ المذمومُ إنَّما هو لمن فرحَ بزهرة الدنيا، ليعملَ فيها بغيْر طاعةِ الله، أو لمن فرحَ بالمعاصي وبظُهورِ الباطلِ. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر: ٧٥]. وأمَّا الفرحُ والسُّرورُ بطاعةِ الله، أو بما يُعين عليها مِنْ أمرِ الدنيا فمحمودٌ غيْر مذمومٍ.

٣٣٣٧ ـ ورُوِيَ عن أبي حازم، عن سهلِ بنِ سعدٍ أنه قال: كنَّا لنفرحُ بيومِ الجمعةِ؛ كانت لنا عجوزٌ تأخذُ مِنْ أُصولِ سَلْقٍ لها، كنَّا نغرِسُه في أربعائنا، فنجعله في قِدْرٍ لها، وتجعلُ حباتٍ مِنْ شعيرٍ، لا أعلَمُ إلا أنه قال: ليس فيه شحمٌ ولا وَدَكٌ، فإذا صلَّينا الجُمعةَ زرناها فقدَّمته إلينا، فكنَّا نفرحُ بيومِ الجمعةِ مِنْ أجلِ ذلك، وما كنَّا نتغدَّى ولا نقيلُ إلا بعدَ الجمعة[1].

---

(١) البخاري (٩٣٨، و٢٣٤٩). والأربعاء: جمع ربيع، وهو الجدول الصغير، أو الساقية الصغيرة، وقيل: حافات الأحواض. والوَدَكُ: دسم اللحم.

٣٣٣٨ ـ ابن المعتز: العاقلُ لا يدعُهُ ما سترَ اللَّهُ مِنْ عُيوبِهِ أنْ يفرحَ بما أظهر اللَّهُ مِنْ محاسنِه.

٣٣٣٩ ـ وأنشدوا:

إنَّا لنفرَحُ بالأيَّامِ ندفَعُها وكلُّ يومٍ مَضَى نَقْصٌ مِنَ الأَجَلِ
فاعْمَلْ لنفسِك قبلَ الموتِ مُجتَهِداً فإنَّما الرِّبْحُ والخُسْرانُ في العَمَلِ

❋ ❋ ❋

٢٠٧ ـ ما جاء في الضَّحِكِ

٣٣٤٠ ـ قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢].

٣٣٤١ ـ وقال رسول الله ﷺ: «**يا أُمَّةَ محمدٍ، والله لو تعلمون ما أعلمُ، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**»[1].

٣٣٤٢ ـ ورُوِيَ أنه قال: «**لو تعلمون ما أعلمُ، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولَمَا ساغ لكمُ الطعامُ ولا الشرابُ، ولَمَا انبسطْتُم إلى نسائكم، ولا تقارَرْتُم على فُرُشِكم، ولخرجتم إلى الصُّعُداتِ تَجْأرون إلى الله وتبكون**»[2].

٣٣٤٣ ـ ورُوِيَ أنَّ عيسى ابنَ مريمَ قال للحواريين: لا تأخُذوا مِمَّن تعلمون مِنَ الأجر إلا ما أعطيتموني، ويا مِلحَ الأرضِ، لا تَفسُدوا؛ فإنَّ كلَّ شيءٍ إذا فسد دُووِيَ بالملحِ، والملحُ إذا فسدَ، فليس له دواءٌ. واعلموا أنَّ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٨٥، ٦٦٣٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، و (٦٦٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (٤٢٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) حديث حسن. رواه من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ أحمد ١٧٣/٥، وابن ماجه (٤١٩٠)، والترمذي (٢٣١٢)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم ٥١٠/٢ ـ ٥١١.

فيكم خَصلتين مِنَ الجهلِ: الضحكُ مِنْ غيْر عجَبٍ، والصِّحةُ مِنْ غيْرِ سهرٍ.

٣٣٤٤ ـ وقال ابن عباس: مَنْ أذنب ذنباً وهو يضحكُ، دخل النارَ وهو يبكي.

٣٣٤٥ ـ وقال بعض الحكماء: كثرةُ الضحكِ تُميتُ القلبَ، ويذهبُ بماءِ الوجه(١).

٣٣٤٦ ـ وقال عمر بن الخطاب ﷺ: مَنْ كثُر ضحكُه قلَّتْ هيبتُه، ومَنْ مزح استُخِفَّ به، ومَنْ أكثرَ مِنْ شيءٍ عُرِفَ به، ومَنْ كثُرَ كلامُه كثُرَ سَقَطُهُ، ومَنْ كثُرَ سَقَطُهُ قلَّ حياؤُه.

٣٣٤٧ ـ وقال محمد بن واسعٍ: لو رأيتم في الجنةِ رجلاً يبكي، ألستم تعجَبون مِنْ بكائه؟ قالوا: نعم. قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ما يصيرُ، هو أعجب منه.

٣٣٤٨ ـ وقال غزوانُ الرَّقاشِيُّ: للّهِ عليَّ ألا أضحكَ حتى أدري أيُّ الدَّارين داري. فما ضحك حتى لقِيَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ.

٣٣٤٩ ـ وقال يوسف بنُ أسباط: أقام الحسنُ ثلاثين سنةً لم يضحك.

٣٣٥٠ ـ وقيل: إنَّ عطاءَ السَّلِيميَّ: أقامَ أربعين سنةً لم يضحك.

٣٣٥١ ـ وقال السَّرِيُّ بنُ يحيى: ما رأيتُ الحسنَ ضحك قطُّ، إلا يوماً تكلم رجلاً عنده بكلامٍ، فتبسَّم الحسنُ، وما رأيتُ أكثرَ حزناً منه ساعةً بعدَ ساعةٍ.

٣٣٥٢ ـ وقال الثوريُّ: لا تغفَلِ غفلةَ الجاهلين، وأكثِرِ البُكاءَ على نفسك، ولستَ مِنَ الضحك بسبيلٍ إنْ عقَلْتَ، فقد عيَّر الله قوماً بالضحكِ

---

(١) هو حديث مرفوع، روى الشطر الأول منه عن أبي هريرة ﷺ أحمد ٢/٣١٠، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٢، ٢٥٣)، والترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤١٩٣، و٤٢١٧). وهو حديث صحيح. والشطر الثاني رواه ابن حبان من حديث أبي ذر ﷺ ابن حبان (٣٦١)، وإسناده ضعيف.

وترْكِ البكاءِ، فقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١]. ومدح أقواماً بالبكاءِ، فقال: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

٣٣٥٣ ـ وقال الحسن: قال رجل لإخيه: هل أتاك أنك واردٌ النارَ؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك خارجٌ عنها؟ قال: لا. قال: ففيمَ الضَّحكُ؟ فما رُؤِيَ ضاحكاً بعدها.

٣٣٥٤ ـ وخرج الحسن يومَ فِطْرٍ والناسُ يضحكون ويلعبون، فقال: إنَّ اللَّهَ تعالى جعل رمضان مِضْماراً لخلقه، يستَبِقون فيه بطاعته إلى مرضاتِه، فسبق قومٌ ففازوا، وتخلَّف آخرون فخابوا. فالعجَبُ مِنَ الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخيب فيه المبطلون. أمَا والله لو كُشِفَ الغِطاء، لشُغِلَ مُحسنٌ بإحسانه، ومُسيءٌ بإساءَته عن ترجيلِ شعره وتجديد ثوبه.

٣٣٥٥ ـ وقال سفيانُ: رأى وُهَيْبٌ قوماً يضحكون يومَ الفِطرِ، فقال: إنْ كان هؤلاء قُبِلَ منهم صيامُهم، فما هذا فِعْلُ الشاكرين، وإنْ كان هؤلاء لم يُقبلْ منهم، فما هذا فِعْلُ الخائفين.

٣٣٥٦ ـ وروى عطاءُ بنُ يَسارٍ عن أبي هريرةَ: «**إنَّ الرجل ليتكلَّمُ بالكلمة ليُضحِكَ بها جلساءَه، فيهوي بها مِنْ أبعدَ مِنَ الثُّريَّا**»[١].

٣٣٥٧ ـ ومعنى هذا ـ والله أعلم ـ الضحكُ مِمَّا لا يجوز الضحكُ منه، والإكثارُ مِنَ الضحك. وأمَّا الضحكُ في النادرِ بمعنى التَّأنيسِ للجليس، أو العجبِ مِمَّا يجوزُ العجبُ منه، مع التَّقليل مِنْ ذلك، فلا بأس به.

٣٣٥٨ ـ وروى عطاءُ بنُ يسارٍ عن أبي هريرةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يحدِّثُ يوماً وعنده رجلٌ مِنْ أهلِ الباديةِ: «**أنَّ رجلاً مِنْ أهلِ الجنةِ استأذنَ ربَّه في الزرعِ، فقال له: ألستَ فيما شئتَ؟ قال: بلى، ولكنِّي أحبُّ أنْ**

(١) حديث مرفوع، رواه أحمد ٢/٤٠٢، وصححه ابن حبان (٥٧١٦).

أزرعَ. قال: فابذر. قال: **فبادر الطّرفَ نباتُه واستواؤه واستحصادُه، وكان أمثالَ الجبالِ. فقال الله عزَّ وجلَّ: دونَك يا ابنَ آدمَ؛ فإنَّك لا يُشبعُك شيءٌ»**. فقال الأعرابيُّ: والله لا تَجِدُه إلا قُرَشِيّاً أو أنصارياً؛ فإنَّهم أصحابُ زرعٍ، فأمَّا نحن فلسنا بأصحاب زرعٍ. فضحك رسول الله ﷺ[1].

٢٣٥٩ ـ وقال بلالُ بنُ سعدٍ: أدركتُهم يشتَدُّون بيْن الأغراضِ، ويضحك بعضُهم إلى بعضٍ، فإذا كان الليلُ كانوا رُهباناً[2].

٢٣٦٠ ـ وقال أبو الدرداءِ: أضحكني ثلاثٌ، وأبكاني ثلاثٌ: أضحكني مُؤَمِّلُ دنيا والموتُ يطلُبُه، وغافلٌ وليس بمغفول عنه، وضاحكٌ بمِلْءِ فيه ولا يدري أرْضَى اللَّهَ أم أسخَطَه. وأبكاني فِراقُ الأحبَّةِ محمد ﷺ وحِزبه، وهولُ المطلع عند غَمَراتِ الموت، والوقوفُ بيْن يدي الله تعالى ليوم تبدو فيها السَّريرةُ علانيةً، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار[3].

٢٣٦١ ـ وروى سُليمانُ بن يسار عن عائشةَ ﵂، قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ مُستجْمِعاً ضاحكاً حتى أرى لَهَواتِه، إنَّما كان تَبَسُّماً[4].

٢٣٦٢ ـ وقال عبد الله بنُ الحارثِ بنِ جَزْءٍ الزَّبيديُّ: ما رأيتُ أكثَرَ تبَسُّمَاً مِنَ النبيِّ ﷺ[5].

٢٣٦٣ ـ وقال وُهَيْبُ بنُ الوردِ: أمَّا الضحكُ الذي لا إسرافَ فيه، فهو ما يكشفُ السِّنَّ، ولا يُسمعُ له صوتٌ.

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري (٢٣٤٨، و٧٥١٩). وقوله: بادر الطرف نباتُه... أي نبت سريعاً في الحال.

(٢) الزهد لابن المبارك (١٤٤)، وحلية الأولياء ٢٢٤/٥. والأغراض: جمع غرض، وهي العلامات التي توضع في السباق.

(٣) الزهد لابن المبارك (٢٤٩)، وحلية الأولياء ٢٠٧/١.

(٤) البخاري (٤٨٢٨، ٤٨٢٩)، ومسلم (٨٩٩).

(٥) رواه الترمذي (٣٦٤١)، وقال: حسن غريب.

٢٠٨ ـ ما جاء في السهو والغفلة

٣٣٦٤ ـ قال الحسنُ: في بعض الكتبِ: ابنَ آدمَ، تدعو إليَّ وتفِرُّ مِنِّي، وتُذَكِّرُ بي وتنساني!.

٣٣٦٥ ـ وقال الفضلُ بن يزيد الرَّقاشيُّ: لا يُلْهِيَنَّك الناسُ عن نفسِك؛ فإنَّ الأمرَ يخلُصُ إليك دونهم، ولا تقطعِ النهارَ عنك بكذا وكذا، فإنك محفوظٌ عليك ما عملتَ. واعلم أنه لم أرَ شيئاً أشدَّ طلباً ولا أسرع إدراكاً مِنْ حسنةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديم.

٣٣٦٦ ـ وقال الأصمعيُّ: سمعتُ أعرابياً يقول: غفَلنا ولم يَغفَلِ الدهرُ عنَّا، ولم نتَّعِظْ بغيْرنا حتى اتَّعظَ غيْرُنا بنا. فقد أدركتِ السعادةُ مَنِ اتَّعظَ، وأدركتِ الشَّقاوةُ مَنْ غفَلَ.

٣٣٦٧ ـ ولسُويدِ بنِ عامرٍ المصطلقيِّ:

لا تَأْمَنَنَّ وإنْ أصبحتَ في حَرمٍ ... إنَّ المنايا بِجَنْبَيْ كلِّ إنسانِ
فاسلُكْ طريقَكَ تَمشي غيْرَ مُخْتَشِعٍ ... حتَّى تُلاقي ما يُمْني لك المانِ
فكلُّ ذي صاحبٍ يوماً يُفارِقُه ... وكلُّ زادٍ وإنْ أيقنْتَه فانِ
والخيْرُ والشَّرُّ مجموعان في قَرَنٍ ... بكلِّ ذلك يأتيك الجديدانِ

٣٣٦٨ ـ وأنشدوا:

يا طويلَ الرُّقادِ والغَفَلاتِ ... كثرَةُ النومِ تُورِدُ الحَسَراتِ
إنَّ في القبْرِ إنْ دُفِعْتَ إليه ... لَرُقاداً يطولُ بعدَ المماتِ
ومِهاداً مُمَهَّداً لك فيه ... مِنْ ذنوبٍ عَمِلْتَ أو حَسَناتِ
أَأَمِنْتَ البياتَ مِنْ مَلَكِ المَو ... تِ وكم نالَ أمناً بِبَياتِ

٣٣٦٩ ـ ورُوِيَ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالب ﷺ قال في آخر خطبةٍ خطبها: فيا لها حسرةً على ذي غفلةٍ، أنْ يكون عمرُه عليه حُجةً، وتُوديه أيامُه إلى شِقْوةٍ. جعَلَنا اللَّهُ وإياكم مِمَّن لا تُبْطِرُه نِعمةٌ، ولا تقصرُ به عنْ طاعةِ ربِّه رغبَةٌ، ولا تَحُلُّ به بعدَ الموتِ شِقوةٌ، فإنَّ بيدِه الخيْرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

٣٣٧٠ ـ وكان عمر بن عبد العزيز يتمثَّلُ بهذه الأبيات:

أَيَقْظانُ أنت اليومَ أم أنت نائمُ ... وكيف يُطيقُ النَّومَ حَرَّانُ هائِمُ

فلو كنتَ يَقْظانَ الفُؤادِ لَحَرَّقَتْ ... مَحاجِرَ عَيْنَيْكَ الدُّموعُ السَّواجِمُ

أصْبَحْتَ في النَّوْمِ الطَّويلِ وقد دَنَتْ ... إليك الغَداةَ المقطعاتُ العَظائِمُ

نَهارُكَ يا مغرورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ... ولَيْلُكَ نومٌ والرَّدَى لكَ لازِمُ

وسَعيُكَ فيما سوف تكرَهُ غِبَّهُ ... كذلك في الدُّنيا تعيشُ البهائمُ

فلا أنتَ في الأيقاظِ يقظانُ حازِمٌ ... ولا أنتَ في النُّوَّام ناجٍ فسالِمُ

تُسَرُّ بما يَفْنَى وتَفْرَحُ بالمُنَى ... كما سُرَّ باللَّذَّاتِ في النَّوْمِ حالِمُ

٣٣٧١ ـ ولآخرَ:

قد آنَ أنْ يُسْمِعَكَ الصَّوْتُ ... أنائِمٌ قلبُكَ أم مَيْتُ

يا بانِيَ البيتِ على غِرَّةٍ ... أمامَكَ المَنْزِلُ والبَيْتُ

وإنَّما الدنيا على طُولِها ... ثَنِيَّةٌ مَطْلَعُها الموتُ

٣٣٧٢ ـ ولآخر عفا الله عنه:

نُراعُ لِذِكْرِ الموتِ ساعَةَ ذِكْرِهِ ... وتَعْتَرِضُ الدُّنيا فنلهو ونَلعبُ

وقد ذَمَّتِ الدنيا إليَّ نَعِيمَهَا ... وخاطَبَني إعْجامُها وهو مُعْرَبُ

ونحن بنُو الدنيا خُلِقْنَا لغَيْرِها ... وما كنتَ منه فهو شيءٌ مُحَبَّبُ

❋ ❋ ❋

٢٠٩ ـ ما جاء في التوكُّلِ على الله تعالى

٣٣٧٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

٣٣٧٤ ـ قرأ سليمانُ الخَوَّاصُ هذه الآيةَ، فقال: ما ينبغي لعبدٍ بعدَ هذه الآيةِ أن يلجأَ إلى أحدٍ غيْرِ الله تعالى.

٣٣٧٥ ـ ورُوِيَ عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ، فجعل النَّبيُّ والنَّبِيَّانِ يمُرُّونَ ومعهم الرَّهطُ، والنبيُّ وليس معه أحد، حتى رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ. قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: هذا موسى وقومُه. قيل: انظر إلى الأفقِ، فإذا سوادٌ يَملأُ الأُفُقَ. قيل: هذه أُمَّتُك، ويدخلُ الجنةَ مع هؤلاء سبعون ألفاً بغيرِ حسابٍ، تُضيءُ وجوهُم إضاءَةَ القمر**». ثم دخل ولم يُبَيِّنْ لهم، فأفاض القومُ، وقالوا: نحنُ الذين آمنَّا بالله، واتَّبعْنا رسولَه، فنحن هم، أو أولادُنا الذين وُلِدوا في الإسلامِ، فإنَّا وُلِدنا في الجاهليةِ. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فخرج، فقال: «**هم الذين لا يَسْتَرْقونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، ولا يكتَوُونَ، وعلى ربِّهم يتوكَّلون**»[1].

٣٣٧٦ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: لا يشغَلَنَّكَ المضمونُ لك مِنَ الرِّزقِ عنِ المُفْتَرَضِ عليك مِنَ العملِ، فتضيِّع أمرَ أُجرتِك، ولا تنال مِنَ الدنيا إلا ما كَتبَ اللَّهُ لك.

٣٣٧٧ ـ وقال أبو حازمٍ: وجدتُ الأشياءَ شيئين: شيئاً لي وشيئاً ليس لي؛ فأمَّا الذي لي، فلو كان في ذَنَبِ الرِّيحِ لأدركتُه حتى آخُذَه، وأمَّا الذي ليس لي، فلو اجتمعَ الخَلْقُ على أنْ يجعلوه لي ما قدرُوا عليه. ففيمَ الهمُّ ههُنا؟.

٣٣٧٨ ـ وقال يحيى بنُ معاذٍ: وجودُ العبدِ الرِّزقَ مِنْ غيْرِ طلبٍ دِلالةٌ على أنَّ الرزقَ مأمورٌ بطلبِ العبدِ.

٣٣٧٩ ـ وروى الأعمشُ عن شقيقٍ، قال: كنت في جيشٍ، فمررنا بأَجَمَةٍ[2] مخيفةٍ، فإذا رجلٌ نائمٌ فيها، وفرسُه تدورُ حولَه، فأيقظناه وقلنا له: ألا تخافُ في هذه الأَجَمَةِ؟ فقال: إنِّي أستحيي مِنْ ذي العرشِ أنْ يعلمَ أنِّي أخافُ شيئاً دُونَه.

---

(١) البخاري (٥٧٠٥، و٥٧٥٢، و٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) الأجمة: الشجر الكثيف الملتف.

٣٣٨٠ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: «**لو توكَّلْتُمْ على اللَّهِ حقَّ توكُّلِه، لرزقكم كما يرزقُ الطَّيْرَ، تغدو خِماصاً، وتروحُ بِطانا**»[1]. مَنْ توكَّلَ على الله كفاهُ كلَّ مَؤُونَةٍ، ورَزَقَه مِنْ حيثُ لا يحتسِبُ. ومَنِ انقطعَ إلى الدنيا، وكَلَهُ اللَّهُ تعالى إليها.

٣٣٨١ ـ وقال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: سألتُ بعضَ الحُكماءِ: مِنْ أين يأكلُ؟ فقال: ليس هذا العِلمُ لي، ولكن سَلْ ربِّي: مِنْ أين يُطعِمُني.

٣٣٨٢ ـ وقال رجلٌ لأعرابيٍّ في فَلاةٍ: مِنْ أين معيشتُك؟ فقال: لو كنا لا نعيشُ إلا مِنْ حيث نعلمُ، لطالَ جوعُنا.

٣٣٨٣ ـ وكان يُقالُ: متى رَضِيتَ بالله وكيلاً، وجدتَ إلى كلِّ خيْرٍ سبيلاً.

٣٣٨٤ ـ ورُوِيَ أنَّ قوماً مِنَ الأعرابِ زرعوا زرعاً، فلما بلغَ أصابته آفَةٌ، فاشتدَّ ذلك عليهم، حتى رُؤِيَ فيهم، فخرجت أعرابيةٌ منهم، فقالت: ما لي أراكم جُلوساً مُتغيِّرَةً ألوانُكم، ميِّتَةً قلوبُكم؟ هو ربُّنا فليفعلْ بنا ما شاءَ، ولْيَرْزُقنا مِنْ حيث شاءَ، ثم قالت:

لو أنَّ في صخرَةٍ في البحرِ راسِيَةٍ ... صَمَّاً مُلَمْلِمَةٍ مُلْسٍ نواحيها
رِزْقاً لعبدٍ يراهُ اللَّهُ لانْفَلَقَتْ ... حتَّى تُؤَدِّي إليه كُلَّ ما فيها
أو كان فوقَ الطِّباقِ السَّبْعِ مَسْلَكُها ... لَسَهَّلَ الله في المَرْقى مَراقِيها
حتَّى ينالَ الذي في اللَّوحِ خُطَّ له ... فإنْ أَتَتْهُ وإلا سوفَ يَأْتِيها

٣٣٨٥ ـ وقالت قُمَيْرُ زوجةُ مسروقٍ: ما قلتُ لمسروقٍ قطُّ: ما أصبحَ اليومَ لعيالِك رِزْقٌ إلا تبسَّمَ، وقال: الله يأتيهم برزقٍ مِنْ عندِه.

---

(١) هو حديث مرفوع، رواه عن عمر بن الخطاب ﷺ أحمد ١/٣٠و٥٢، والترمذي (٢٣٤٤)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤). وصححه ابن حبان (٧٣٠)، والحاكم ٤/٣١٨.

٣٣٨٦ ـ وقال سعيد بن جُبيْرٍ: التَّوكُّلُ جِماع الإيمانِ.

٣٣٨٧ ـ ولمنصور الفقيه:

قالوا تُقيمُ وقدْ أحاطَ ... بكَ العَدُوُّ ولا تَفِرُّ
فأَجَبْتُهُمْ: والشَّيخُ ما لَمْ ... يَنْتَفِعْ بالعِلْم غِرُّ
لا نِلْتُ خَيْراً وما بَقِيتُ ... ولا عَدَاني الدَّهْرَ شَرُّ
إنْ كنتُ أعلمُ أنَّ غيْرَ الـ ... ـلهِ يَنْفَعُ أو يَضُرُّ

٣٣٨٨ ـ ولأبي الجهم:

توكَّلْنَا على ربِّ السَّماءِ ... وسَلَّمْنَا لأسبابِ القَضَاءِ
ووَطَّنَّا على غِيَرِ الليالي ... نُفوساً سامَحَتْ بعدَ الإباءِ
وأفنِيَةُ الملوكِ مُحَجَّبَاتٌ ... وبابُ اللَّهِ مَبذُولُ الفِنَاءِ

* * *

٢١٠ ـ ما جاء في حُسنِ الظَّنِّ باللهِ

٣٣٨٩ ـ روى الأعمشُ عن أبي سُفيانَ، عن جابرٍ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول قبلَ موتِه بثلاثٍ: **«ألا لا يَموتَنَّ أحدٌ إلا وهو يُحسِنُ الظَّنَّ بالله تعالى»**(١).

٣٣٩٠ ـ وروى واثلة بن الأسقع: **«يقول الله عزَّ وجلَّ: أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي، فليَظُنَّ بي ما شاء»**(٢).

٣٣٩١ ـ وروى خيثمةُ عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ أنَّه قال: والذي لا إله غيْرُه، ما أُعْطِيَ عبدٌ بعدَ الإيمانِ باللّهِ أفضل مِنْ حُسنِ ظَنِّه بالله تبارك اسمُه.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) حديث مرفوع، رواه أحمد ٤٩١/٣، وصححه ابن حبان (٦٣٣، و٦٣٤).

والذي لا إله غيْرُه، لا يَحْسُنُ ظَنُّ عبدٍ بالله تعالى، إلا أعطاه اللَّهُ عزَّ وجلَّ إياهُ، وذلك أنَّ الخيْرَ بيده.

٣٣٩٢ ـ وقال أبو عبد الرحمن العابد: كنتُ جنيناً في بطنِ أُمِّي، وكان اللَّهُ يأتيني برزقي حتى يصلَ إلى جوفي، فلمَّا كبرْتُ وعرفتُ ربِّي ساءَ ظنِّي، فأيُّ عبدٍ شرٌّ مِنِّي.

٣٣٩٣ ـ وقال ابنُ عباسٍ: إذا رأيتمُ الرجلَ بالموتِ، فبشِّرُوه حتى يلقى اللَّهَ عزَّ وجلَّ وهو حَسَنُ الظَّنِّ به، وإن كان حيّاً فخَوِّفُوه بربِّه(١).

٣٣٩٤ ـ ولأبي العتاهيةِ:

هِيَ الأيامُ والغِيَرُ ... وأمْرُ اللَّهِ يُنْتَظِرُ
أَتَيْأَسُ أنْ تَرَى فَرَجاً ... فأيْنَ اللَّهُ والقَدَرُ

٣٣٩٥ ـ ولأعرابيٍّ:

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قد عَوَّدَكْ ... كُلَّ إحسانٍ يُقَوِّي أَوَدَكْ
إنَّ رَبّاً كان يَكْفِيك الذي ... كانَ بالأمسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكْ

* * *

٢١١ ـ ما جاء في الرضا بما قضى الله عزَّ وجلَّ

٣٣٩٦ ـ رُوِيَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا داودُ، تريدُ وأُريدُ، ولا يكون إلا ما أريدُ. فإن سلَّمتَ لما أُريدُ، كفيتُك ما تريد، وإنْ لم تُسلِّمْ لما أُريد أتعبتُك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.

٣٣٩٧ ـ وقال الحسن: ليس الرِّضا أنْ تُبتَلى فتصْبِرَ، وإنَّما الرِّضا أنْ تُبتَلى فترضى.

---

(١) تكرر عند المصنف برقم (٣٥٣٦).

٣٣٩٨ ـ وقال بعض الحكماء: العالم بالله تعالى يعمل على بصيرةٍ؛ العطاءُ والمنعُ عنده سواءٌ.

٣٣٩٩ ـ وقيل لعمرَ بنِ عبد العزيز: ما تشتهي؟ قال: ما يُعطي اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

٣٤٠٠ ـ وقال ميمونُ بنُ ميمونٍ: مَنْ لم يرضَ بالقضاءِ، فليس لحُمقِه دواءٌ.

٣٤٠١ ـ وقال زيدُ بنُ أسلمَ: في رضا الله عزَّ وجلَّ عِوَضٌ مِنْ رضا غيْره، وليس في رضا غيْره عِوَضٌ مِنْ رضاه.

٣٤٠٢ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: الجزاءُ على قدْرِ البلاء، وإذا أحبَّ اللَّهُ قوماً ابتلاهم، فمَنْ رَضِيَ فله الرِّضا، ومَنْ سَخِطَ فله السَّخُطُ.

٣٤٠٣ ـ وقال أبو سُليمانَ الدَّارانِيُّ: الرِّضا عنِ الله تعالى، والرحمةُ للمخلوقين درجةُ المرسلين.

٣٤٠٤ ـ ولمنصور الفقيه:

رِضِيتُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لي ... وأسلمتُ أمري إلى خالقي
كَمَا أحسَنَ اللَّهُ فيما مَضَى ... كذلك يُحْسِنُ فيما بَقِي

٣٤٠٥ ـ وتُوفِّيَ ابنٌ لجعفرِ بنِ محمدٍ، فسَلا عنه بعد الجَزَعِ عليه في مرضِه، فقيل له في ذلك، فقال: إنَّا قومٌ نُطيعُ اللَّهَ فيما أحبَّ، ونسألُه ما نُحبُّ، فإذا فعل ما يُحِبُّ مِمَّا نكره رضينا.

٣٤٠٦ ـ وكان جعفرُ بنُ محمدٍ إذا أحزنه أمرٌ تمثَّل، وقال:

فلا تَجْزَعْ وإنْ أَعْسَرْتَ يَوْماً ... فقدْ أَيْسَرْتَ في الزَّمَنِ الطَّويلِ
ولا تَظْنُنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ ... فإنَّ اللَّهَ أوْلَى بالجَميلِ
ولا تَيْأَسْ فإنَّ اليَأْسَ كُفْرٌ ... لَعَلَّ اللَّهَ يُغْني عنْ قَليلِ
فإنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ ... وقِيلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كلِّ قِيلِ

ولــو أنَّ الـعُـقـول تـســوقُ رِزْقَـاً لـكـانَ الـمـالُ عِـنْـدَ ذَوي الـعُـقُـولِ

٣٤٠٧ ـ ولقيسِ بنِ ذَريحٍ:

فـلا تَـبْـكِـيَـنْ فـي إِثْـرِ شَـيْءٍ نَـدامَـةً إذا نَـزَعَـتْـهُ مِـنْ يَـدَيْـكَ الـنَّـوازِعُ
فـلـيـسَ لأمـرٍ حـاولَ الـلَّـهُ جَـمْـعَـهُ مُـشِـتٌّ ولا مـا فـرَّقَ الـلَّـهُ جـامِـعُ

٣٤٠٨ ـ دخل أبو الدَّرداءِ على رجلٍ وهو يموت، فجعل الرجلُ يحْمَدُ اللَّهَ، فقال أبو الدَّرداءِ: قد أصبتَ؛ إنَّ اللَّهَ إذا قضى أمراً أحبَّ أنْ يُرضى.

❋ ❋ ❋

٢١٢ ـ ما جاء في التسليم للأقدار

٣٤٠٩ ـ قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

٣٤١٠ ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

٣٤١١ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

٣٤١٢ ـ وروى يحيى بن يعمَر عن عائشةَ، أنَّها أخبَرته أنَّها سألَتْ رسولَ اللّهِ ﷺ عنِ الطَّاعونِ، فأخبَرها: «**أنه كان عذاباً يبعثُه اللّهُ على مَنْ يشاءُ، فجعله اللّهُ رحمةً للمؤمنين. فليس مِنْ عبدٍ يقعُ الطَّاعونُ في بلدِه، فيمكُثُ في بلده صابراً يعلم أنّه لن يُصيبَه إلا ما كتبَ اللّهُ له إلا كان له مِثْلُ أجرِ الشهيدِ**»[1].

(١) البخاري (٥٧٣٤).

٣٤١٣ ـ وروى عبدُ الله بنُ عباسٍ أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ خرج إلى الشام، حتى إذا كان بِسَرْغٍ، لقِيَه أُمراءُ الأجنادِ . أبو عُبيدةَ بنُ الجرَّاحِ وأصحابُه . فأخبَروه أنَّ الوباءَ قد وقع بالشَّام، فقال عمر: ادْعُ لي المهاجرين الأوَّلين، فدعاهم فاستشارهم، فأخبرهم أنَّ الوباءَ قد وقع بالشَّام، فاختلفوا فقال بعضُهم: قد خرجتَ لأمرٍ، ولا نرى أنْ ترجِعَ عنه، وقال بعضُهم: معك بقيَّةٌ مِنَ الناسِ وأصحابُ رسولِ اللّهِ ﷺ ولا نرى أنْ تُقَدِّمَهُم على هذا الوباءِ. فقال: ارتفعوا عنِّي، ثم قال: ادْعُ لي الأنصارَ، فدعوتُهم فاستشارهم، فسلكوا سبيلَ المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم. فقال: ارتفعوا عنِّي، ثم قال: ادْعُ لي مَنْ كان ههُنا مِنْ مشيخةِ قريشٍ مِنْ مُهاجِرَةِ الفتح، فدعوتُهم، فلم يختلفْ منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أنْ ترجِعَ بالنَّاسِ ولا تُقَدِّمَهُم على هذا الوباءِ. فنادى عمرُ بالناسِ: إنِّي مُصَبِّحٌ على ظهرٍ، فأصبِحوا عليه. فقال أبو عُبيدة بن الجراح: أفِراراً مِنْ قَدَرِ اللّهِ؟ فقال عمرُ: لو غيْرُكَ قالها يا أبا عُبيدةَ. نعم، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله تعالى؛ أرأيتَ لو كانت لك إبِلٌ هبطْتَ بها وادياً له عُدْوتان، إحداهما خِصْبَةٌ، والأخرى جَدْبةٌ، أليسَ إنْ رعيتَ الخِصبَةَ رعيتَها بقَدَرِ الله، وإنْ رعيتَ الجَدْبَةَ رعيتَها بقدرِ اللّهِ؟ قال: فجاء عبد الرحمن بنُ عوفٍ، وكان مُتغيِّباً في بعض حاجتِه، فقال: إنَّ عندي في هذا عِلماً: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «**إذا سمعتُم به بأرضٍ، فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها، فلا تخرُجوا فِراراً منه**». قال: فحَمِدَ اللّهَ عمرُ، ثم انصرف[1].

٣٤١٤ ـ وقال بعضهم:

ما قَدَّرَ اللّهُ لي لا بُدَّ يُدْرِكُنِي ... مَنْ ذا الذي يَدْفَعُ المقدُورَ بالحَذَرِ
اللّهُ أولى بِنا مِنَّا بأَنْفُسِنَا ... إنْ نَحْنُ إلا مَمالِيكٌ لِمُقْتَدِرِ

(١) البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩). والعدوة: جانب الوادي.

٣٤١٥ ـ ولغيْرِه عفا الله عنه:

أقامَ على المسيرِ وقدْ أُنِيخَتْ ... مَطايَاهُ وغَرَّدَ حادِياها
وقالَ أخافُ عادِيَةَ اللَّيالي ... على نَفْسِي وأنْ أَلْقَى رَدَاها
ومَنْ كُتِبَتْ مَنِيَّتُه بأرْضٍ ... فليسَ يَموتُ في أرضٍ سِواها

٣٤١٦ ـ ولأبي محمد بن حمزة:

ليسَ كُلُّ الذي يُدارُ مِنَ الأَمْرِ ... علينا يُوافِقُ المقدُورا
قَدَّرَ اللَّهُ ما لنا وعلينا ... قبلَ أنْ يُبْرِمَ العَدُوُّ الأُمورا

٣٤١٧ ـ ووقعَ وباءٌ بالكوفةِ، فخرج الناسُ، وتفرَّقُوا بالنَّجَفِ، فكتب شُرَيْحٌ إلى صديقٍ له خرجَ بخروج الناسِ: أمَّا بعدُ، فإنَّك والمكانُ الذي أنت فيه بعيْنِ مَنْ لا يُعجِزُه طلبٌ، ولا يفوتُه هَرَبٌ، وإنَّ المكانَ الذي خلَّفتَه لا يُعَجِّلُ لأحدٍ حِمامَهُ، ولا يَظْلِمُه أيَّامَه. وإنَّا وأيَّاكم لعلى بَساطٍ واحدٍ، وإنَّ النَّجَفَ مِنْ ذي قُدْرةٍ لقَريبٌ.

٣٤١٨ ـ وفر ابنُ أبي ليلى مِنَ الطَّاعونِ على حمارٍ. فبينما هو يسير، إذْ سمعَ قائلاً يقول:

لَنْ يُسْبَقَ اللّهُ على حِمَارِ ... ولا على ذِي مَنْعَةٍ طَيَّارِ
أو يأْتِيَ الحَتْفُ على مِقْدارِ ... قدْ يُصْبِحُ اللّهُ أمامَ السَّاري

فكَرَّ راجعاً، وقال: إذا كان اللَّهُ أمامَ السَّاري، فلاتَ حينَ مهرِبٍ.

٣٤١٩ ـ وروى سفيانُ عنْ عمَّارٍ الدُّهْنِيِّ، قال: كان لهارونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنانِ، فقيلَ لهما: أسْرِجَا لبيتِ المقدسِ مِنْ هذا السرداق، فلم يجدا في السرداقِ شيئاً، فأسرجا مِنْ غيْرِه، فثارتِ النارُ إليهما، فقام هارونُ ليمنَعَ النارَ عنهما، فقال موسى: دعْ ربَّك وما يريدُ، فأوحى اللَّهُ إليه: يا موسى، هذا فِعلي مع أحبابي إذا عَصَوْني، فكيف بأعدائي؟.

٣٤٢٠ ـ ولأبي العباس بنِ حَيُّون الكاتبِ، وقد دخل عليه في السجنِ مَنْ أعلَمَه أنَّ إبراهيمَ بنَ الأغلبَ يُريدُ قتلَه، فقال:

تُخَوِّفُني بمخلوقٍ ضَعيفٍ يَهابُ مِنَ المَنِيَّةِ ما أهابُ
لهُ أَجَلٌ ولي أَجَلٌ وكُلٌّ سَيَبْلُغُ حيثُ يَبْلُغُهُ الكِتَابُ

٣٤٢١ ـ ولذي الأُصْبَعِ العُدوانِيِّ:

وليسَ المَرْءُ في شَيْءٍ مِنَ الإبْرَامِ والنَّقْضِ
إذا أَبْرَمَ أمراً خالَه يُقْضي وما يَقْضي
يقولُ اليومَ أُمْضيه ولا يَمْلِكُ ما يُمْضي
جَديدُ العيشِ ملبوسٌ وما يَمْلِكُ أنْ يَقْضي
وأَمْرُ اليومِ أَصْلِحُهُ ولا تَعْرِضْ لِمَا يَمْضي

٣٤٢٢ ـ ولبشار عفا الله عنه:

طُبِعْتُ على ما فِيَّ غَيْرَ مُخَيَّرٍ هوايَ ولو خُيِّرْتُ كنتُ المُهَذَّبا
أُريدُ فلا أُعْطَى وأُعْطَى ولَمْ أُرِدْ وقَصَّرَ عِلْمي أَنْ أنالَ المُغَيَّبَا
فأُصْرَفُ عنْ قَصدي وعِلمي مُقَصِّرٌ وأُمْسِي وما أَعْقَبْتُ ألا تَعَجُّبَا

* * *

٢١٣ ـ ما جاء في الصبر على البلاء والمصائب

٣٤٢٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣٤٢٤ ـ وقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

٣٤٢٥ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٧ ـ ١٢٨].

٣٤٢٦ - وروى أبو هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما يُصيبُ المسلمَ مِنْ نَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حزنٍ ولا أذىً ولا غَمٍّ، حتَّى الشوكةَ يُشاكُها، إلا كَفَّرَ اللَّهُ بها مِنْ خطاياه**»[1].

٣٤٢٧ - وروى أبو هريرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ به خيراً يُصِبْ منه**»[2].

٣٤٢٨ - ورُوِيَ أنَّ عُروةَ بنَ الزُّبيْرِ قدم على عبد الملك، فسأله دفنَ أخيه، فأذن له، وقدِمَ معه ابنُه محمدٌ على الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ، فنَفَحتْ محمداً دابَّةٌ فمات، ووقعت في رِجْلِ عُروةَ الآكِلَةُ، فقطعها مِنَ السَّاق، ولم يُمسِكْه أحدٌ، وهو شيخٌ كبيرٌ، ولم يَدَعْ وِرْدَهُ تلك الليلةَ، إلا أنه قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، وتمثَّل بهذه الأبيات:

لَعَمْري ما أَهْوَيْتُ كَفِّي لِرِيبَةٍ ... ولا حَمَلَتْني نَحْوَ فاحِشَةٍ رِجْلي
ولا قادَني سَمْعي ولا بَصَري لها ... ولا دَلَّني رَأْيي عليها ولا عَقْلي
وأعلَمُ أنِّي لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ إلا قد أصابَتْ فَتًى قَبْلي

وقال: اللَّهُمَّ إنْ كنتَ ابتليتَ فقد عافَيْتَ، وإنْ كنتَ أخذتَ فقد أبقيْتَ؛ أخذتَ عُضْواً وتركتَ أعضاءً، وأخذتَ ابناً وتركت أبناءً.

قال: وقَدِمَ على الوليدِ في تلك الليلة رجلٌ أعمى مِنْ عبسٍ، فسأله عن عينيه، فقال: بِتُّ ليلةً في بطنِ وادٍ، ولا أعلمُ في الأرض عبسِيًّا يزيدُ مالُه على مالي، فطَرَقَنا سيلٌ، فذهب ما كان لي مِنْ أهلٍ ومالٍ وولدٍ، غيْرَ بعيرٍ وصَبِيٍّ. وكان البعيرُ صعباً، فنَدَّ فاتَّبَعْتُه، فما جاوزتُ الصَّبِيَّ إلا بيسيرٍ، فسمعت صوتَه، فرجعتُ فإذا رأسُ الذِّئبِ في بطنِه. ثم اتَّبعتُ البعير لآخُذَه، فنفحني برجلِه فأصاب وجهي فحطَمه، وأذهَبَ عَينيَّ، فأصبحتُ لا أهلَ لي

---

(١) البخاري (٥٦٤١، و٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).
(٢) البخاري (٥٦٤٥).

ولا مال ولا ولد ولا بصَر. فقال الوليدُ: انطلقوا به إلى عُروةَ، ليعلمَ أنَّ في الأرض مَنْ هو أعظمُ بلاءً منه.

٣٤٢٩ ـ ودخل عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبيْرِ على أُمِّه، فقال: يا أُمَّهْ، كيف أصبحتِ ؟ قالت: أصبحتُ واللّهِ وَجِعَةً مكروبَةً. قال: إنَّ في الموتِ لراحةً لكِ. قالت: والله ما أُحِبُّ أنْ أموتَ حتَّى آتِيَ على أحدِ طَرَفَيْكَ؛ إمَّا ظَفِرْتَ فقرَّت عيني، وإمَّا قُتِلْتَ فاحتسبْتُك. وإنَّ أحبَّ إلَيَّ أنْ تكونَ أنت الذي تُصلِّي على جِنازتي، وتَضَعني في حُفرتي. قال: فما دَمعت عينُه ولا عينُها، فلم يُدْرَ أيهما أعجبُ.

٣٤٣٠ ـ وكتب بعضُ الحُكماءِ إلى صديقٍ له: إنَّك لن تنالَ ما تُحبُّ حتى تصبِرَ على ما تكرهُ، ولن تنجُوَ مِمَّا تكرهُ حتى تصبِرَ عن كثيرٍ مِمَّا تُحِبُّ، والسلام.

٣٤٣١ ـ وكان يقال: العاقلُ لا يحزنُ بأوَّلِ نكبةٍ، ولا يفرحُ بأوَّلِ نِعمةٍ، فربَّما أقلعَ المحبوبُ عمَّا يضرُّهُ، وأجلى المكروه عمَّا يَسُرُّهُ.

٣٤٣٢ ـ وقال بعضُهم: مكارِهُ الدُّنيا تنقسمُ قسمينِ: فقسمٌ فيه حِيلةٌ، والاضطِرابُ دواؤُه. وقسمٌ لا حِيلَةَ فيه، والاصطِبارُ شِفاؤُهُ.

٣٤٣٣ ـ وقال شُرَيْحٌ: إنِّي لأُصابُ بالمصيبةِ، فأحمد الله عليها أربعَ مرَّاتٍ: أحمَدُ اللَّهَ إذْ لم تكُنْ أعظمَ مِمَّا هي، وأحمَدُ اللَّهَ عليها إذْ رزقني الصَّبْرَ عليها، وأحمَدُه تبارك وتعالى إذْ وفَّقَني للاسترجاعِ، وأحمَدُه عزَّ وجلَّ إذْ لم يجعَلْها في ديني.

٣٤٣٤ ـ وقال بعضُهم: العاقلُ يتعَزَّى فيما نزلَ به مِنَ المكروه بأمرين: أحدُهما: السُّرورُ بما بَقِيَ له، والآخَرُ: رجاءُ الفَرَجِ مِمَّا نزلَ به. والجاهلُ يَجْزَعُ في مِحنَتِه بأمرينِ: أحدُهما: استكثارُ ما نزل به، والآخَرُ: تَخَوُّفُه مِمَّا هو أشدُّ منه.

٣٤٣٥ ـ وذُكِرَ أنَّ عُثمانَ بنَ عفَّان ﷺ جعل يقولُ لَمَّا ضُرِبَ والدِّماءُ تسيلُ على لِحيتِه: لا إلهَ إلا أنتَ سُبحانَك إنِّي كنتُ مِنَ الظَّالمينَ، اللَّهُمَّ إنِّي أستعينُ بك عليهم، وأستعينُك على جميعِ أُموري، وأسألُك الصبْرَ على ما ابتَليتَني به.

٣٤٣٦ ـ قال المدائنيُّ: رأيتُ بالباديةِ امرأةً لم أرَ أنضَرَ جِلداً، ولا أحسنَ صورةً منها، فقلتُ: تالله إنْ فعلَ هذا بك إلا اغتِذاءُ السُّرورِ! فقالت: كلا والله، إنِّي لَبِدْعُ أحزانٍ[1] وحِلْفُ هُموم؛ كان لي زوج وكان لي منه ابنان، فذَبَحَ أبوهما شاةً، فقال أحدُ ابنَيَّ لأخيه: هلُمَّ أفعلُ بك ما فعل أبونا بالشاة، فلمَّا نظر إلى الدَّم جزِعَ، ففَرَّ نحوَ الجبلَ، فأكله الذئبُ، فخرج أبوه في أَثَرِه، فتاه فمات عطشاً. فقلتُ لها: كيف رأيتُكِ والصبْر، فقالت: لو دام لدُمْتُ، ولكنَّه كان جُرحاً فاندملَ.

٣٤٣٧ ـ وروى قيسٌ عن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ، قال: شكونا إلى نبيِّ اللَّهِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُردةً له في ظِلِّ الكعبةِ، فقلنا ألا تستنصِرُ لنا؟ ألا تدعو لنا؟ قال: «**كان الرجلُ فيمَنْ قبلَكم يُحْفَرُ له في الأرضِ، فيُجعَلُ فيه، فيُجاءُ بالمنشارِ، فيُوضعُ على رأسهِ، فيُشَقُّ باثنين، وما يصُدُّه عن دينِه، ويُمْشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ عظمِه مِن لحمٍ أو عَصَبٍ، ما يصُدُّهُ ذلك عن دينِه. واللهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يسيرَ الراكبُ مِن صنعاءَ إلى حضرموتَ لا يخافُ إلا اللَّهَ عزَّ وجلَّ أو الذِّئبَ على غنمِه، ولكنَّكم تستعجلون**»[2].

٣٤٣٨ ـ وروى ابنُ طاوسٍ عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قال: ليس بفقيهٍ كاملِ الفِقهِ مَنْ لم يَعُدَّ البلاءَ نِعمةً، والرَّخاءَ مُصيبةً؛ وذلك أنَّ البلاءَ يتبعُه الرَّخاءُ، والرَّخاء يتبعُه البلاءُ.

٣٤٣٩ ـ وقال بعضُ الحكماءِ: انتظارُ الفَرَجِ بالصَّبْرِ عبادةٌ.

---

(١) أي وعاء أحزان.

(٢) البخاري (٣٦١٢).

٣٤٤٠ ـ ولبعض الشعراء:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصيبَةٍ وتَجلَّدِ ... واعْلَمْ بأنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
واصْبِرْ كما صَبَرَ الكِرامُ فإنَّها ... نُوَبٌ تَنوبُ اليومَ تُكْشَفُ في غَدِ
وإذا أَتَتْكَ مُصيبَةٌ تَشْجَى بِهَا ... فاذْكُرْ مُصابَكَ بالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

٣٤٤١ ـ لبعضِهم رحمة الله عليه:

لا تكْرَهِ المكروهَ عندَ نُزولِه ... إنَّ العواقِبَ لم تَزَلْ مُتبايِنَهْ
كم نِعْمَةٍ لا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا ... للهِ في طَيِّ المكارِهِ كامِنَهْ

٣٤٤٢ ـ ولسلمى بنتِ مَجْدَعَةَ:

إنَّ الحوادِثَ والمنونَ كِليهِما ... لا يُعتبانِ ولو بكى مَنْ يَجْزَعُ
ولقد عَلِمْتُ يَقينَ عِلْم صادقٍ ... أنْ كُلُّ حَيٍّ هالِكٌ فَمُوَدِّعُ
ولقد عَلِمْتُ بأنَّ كُلَّ مُؤَخَّرٍ ... يوماً سَبيلَ الأوَّلينَ سَيَتْبَعُ
أوَلَيْسَ فيمَنْ قد مَضَى لكَ أُسْوَةٌ ... هَلَكُوا وقدْ أيْقَنْتَ أنْ لا يَرْجِعُ

٣٤٤٣ ـ ولَمَّا قُرِّبَ خُبَيْبُ بنُ عدِيٍّ لِيُصلَبَ، قال: دعوني أُصلِّي ركعتين. فتركوه فصلاهما، ثم قال: والله لولا أنْ تظُنُّوا بي جَزَعاً لزدتُ. ولَمَّا رُبِطَ على الجِذْعِ قال:

لَقَدْ جَمَّعَ الأحزابُ حَوْلي وألَّبُوا ... قَبائِلَهُم واسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ
فذا العَرْشِ صَبِّرْني على ما يُراد بي ... فقَدْ بَضَّعُوا لَحْمِي وقد بانَ مَطْمَعي
ولستُ أُبالي حينَ أُقْتَلُ مُسلماً ... على أيِّ شِقٍّ كان في اللَّهِ مَصْرَعي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

٣٤٤٤ ـ ولعبد اللَّه بن عباس رضي الله عنه:

ما زِلْتُ أَرْمُقُ حبلَ الدَّهْرِ مُنْتَظِراً ... حتَّى بَلِيتُ وحبلُ الدَّهْرِ مَمْدودُ
أُقَدِّمُ العُودَ قُدَّامي وأَتْبَعُه ... وكنتُ حِيناً وما يَمشي بِيَ العُوْدُ

٣٤٤٥ ـ ولغيره:

إذا قِيلَ أعمى قلتُ: إنَّ ورُبَّما ... أكونُ وإنِّي مِنْ فتىً لَبَصيرُ
إذا أبصَرَ القلبُ المروءَةَ والتُّقى ... فإنَّ عَمَى العَينينِ ليس يَضِيرُ
وإنَّ العَمَى أَجْرٌ وذُخْرٌ وعِصْمَةٌ ... وإنِّي إلى هذي الثَّلاثِ فَقيرُ

٣٤٤٦ ـ وللبيد بن ربيعةَ:

تَمَنَّى ابنتايَ أنْ يعيشَ أبوهُما ... وهلْ أنا إلا مِنْ رَبيعَةَ أو مُضَرْ
فإنْ حانَ يوماً أنْ يَموتَ أبوكُما ... فلا تَخْمِشَا وَجْهاً ولا تَحْلِقَا شَعَرْ
إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السَّلامِ عليكُما ... ومَنْ يَبْكِ حولاً كامِلاً فقَدِ اعْتَذَرْ

٣٤٤٧ ـ ولأبي الفضل الميكاليِّ:

يُصَابُ الفَتَى في أهلِه بِرَزِيَّةٍ ... وما بعدَها منها أَهَمُّ وأعظَمُ
فإنْ يَصْطَبِرْ فيها فأجْرٌ مُؤَخَّرٌ ... وإنْ يَكُ مِجْزاعاً فوِزْرٌ مُقَدَّمُ

* * *

٢١٤ ـ ذكر الموت والاستعداد له

٣٤٤٨ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٧ ـ ١٨].

٣٤٤٩ ـ ورُوِيَ أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ: أيُّ المؤمنين أكْيَسُ؟ قال: «**أكثرُهم للموتِ ذِكراً، وأحسنُهم له استعداداً**»[١].

---

(١) رواه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ابن ماجه (٤٢٥٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤٦٧١)، وفي معجم الشاميين (١٥٥٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/٢١٣، و٨/٣٣٣، وصححه الحاكم ٤/٥٨٣.

٣٤٥٠ - ورُوِيَ عن شدَّادِ بنِ أوسٍ، قال: «**الكَيِّسُ مَنْ دانَ نفسَه، وعمل لِمَا بعدَ الموتِ، والعاجِزُ مَنْ أتبَعَ نفسَه هواها، وتَمنَّى على الله الأمانيَّ**»(١).

٣٤٥١ - ورُوِيَ عن أبي الدَّرداءِ أنه كان يقول: كفى بالموتِ واعظاً، وكفى باليقين غنىً.

٣٤٥٢ - ورُوِيَ عن بعض الصالحين أنه قال: ما مِنْ أحدٍ يموت إلا ندم. قيل له: وما ندمُه؟ قال: إنْ كان محسناً ندم أَلاَّ يكونَ ازدادَ، وإنْ كان مُسيئاً ندم ألاَّ يكونَ نَزَعَ(٢).

٣٤٥٣ - ورُوِيَ عن بعضِ أصحابِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال: لو أنَّ عبداً خَرَّ على وجهِه مِنْ يوم خُلِقَ إلى يوم يموت هرماً في طاعة الله، لَحَقِرَه ذلك اليوم، ولَوَدَّ أنَّه رُدَّ كيْمَا يزداد مِنَ الأجرِ والثَّوابِ.

٣٤٥٤ - ورُوِيَ أنَّ بعضَ الحكماء ذُكِرَ عندَه رجلٌ فأثنى عليه، فقال: كيف ذِكْرُه للموتِ؟ قالوا: ما سمعناه يذكرُه أو يُكثِر ذِكرَه. قال: كيف ترْكُه لما يشتهي؟ قالوا: إنَّه ليُصيبُ مِنَ الدُّنيا. قال: ليس صاحبُكم هناك.

٣٤٥٥ - ورُوِيَ عن مالكِ بن مِغْوَلٍ أنَّه قال: قيلَ للربيع بن أبي راشدٍ: ألا تجلس فتحدث الناسَ؟ قال: إنَّ ذِكْرَ الموتِ إذا فارق قلبي ساعةً فسد علي قلبي.

٣٤٥٦ - وقال لقمانُ لابنه: يا بُنَيَّ، كيف لا يخاف الناسُ ما يُوعدون وهم في كلِّ يومٍ يموتون، وهم إلى الوعدِ سِراعاً يذهبون؟ يا بُنَيَّ: قد

---

(١) حديث مرفوع رواه أحمد ١٢٤/٤، والترمذي (٢٤٥٩)، وحسَّنه، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وصححه الحاكم ٥٧/١، و٢٥/٤.

(٢) وروي مرفوعاً من حديث أبي هريرة ﷺ، رواه الترمذي (٣٤٠٣) بإسناد ضعيف.

ارتحلتِ الدُّنيا مُدْبِرَةً، وارتحلتِ الآخرةُ مُقبلةً، فأنت مِنْ هذه خارجٌ وإلى هذه صائرٌ.

٣٤٥٧ ـ وقال رجاءُ بنُ حَيْوَةَ: ما أكثَرَ أحدٌ ذِكْرَ الموتِ إلا تركَ الفرحَ والحسدَ.

٣٤٥٨ ـ وقال الحسنُ: فضح الموتُ الدُّنيا، ولم يتركْ فيها لذي لُبٍّ فَرَحاً.

٣٤٥٩ ـ وقال مُطَرِّفُ بنُ عبد اللَّه: إنَّ هذا الموتَ نغَّصَ على أهلِ النَّعيمِ نعيمَهم، فاطلُبوا نعيماً لا موتَ فيه.

٣٤٦٠ ـ وقال عمرُ بنُ عبد العزيز لعَنْبَسَةَ بنِ سعيدٍ: يا أبا خالدٍ، أَكْثِرْ ذِكرَ الموتِ، فإنْ كنتَ واسِعَ العيشِ ضيَّقَه عليك، وإنْ كنتَ ضيِّقَ العيشِ وسَّعه عليك.

٣٤٦١ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: احذرِ الموتَ في هذه الدارِ قبل أنْ تَصيرَ إلى دارٍ تتمنَّى فيها الموتَ ولا تجِدُه.

٣٤٦٢ ـ وقال أبو الدَّرداءِ: تُولَدُون للموتِ، وتَعمُرون للخرابِ، وتَحرِصون على ما يَفنى، وتذرون ما يبقى! ألا حبَّذا المكروهاتُ الثَّلاثُ: الموتُ والمرضُ والفقرُ.

٣٤٦٣ ـ قال الربيعُ بنُ خُثَيْمٍ: ما غائِبٌ ينتظرُه المؤمنُ خيْرٌ له مِنَ الموتِ.

٣٤٦٤ ـ وقال زَبيدٌ اليامِيُّ: ما لقيتُ عبدَ الرحمن بنَ الأسودِ إلا قال: تيَسَّرُوا للقاءِ ربِّكُم.

٣٤٦٥ ـ وقال عبدُ الرحمن بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ لرجلٍ: يا أبا فلان، هل أنت على حالٍ أنت فيها مستعدٌّ للموت؟ قال: لا. قال: فهل أنت

مُجمِعٌ للتحوُّلِ إلى حالٍ ترضى بها؟ قال: ما سَخَتْ نفسي بذلك بعدُ. قال: فهل بعدَ الموتِ دارٌ فيها مُسْتَعْتَبٌ؟ قال: لا. قال: فهل تأمَنُ الموتَ أنْ يأتيَك؟ قال: لا. قال: ما رأيتُ مثلَ هذه الحالِ رضِيَ بها عاقلٌ قطُّ.

٣٤٦٦ - وقال أبو دُوادَ الإياديُّ:

وكُلُّ حِصْنٍ وإنْ طالتْ سلامَتُه ... يوماً سَتُدْرِكُهُ النَّكراءُ والحُوبُ
كلُّ امْرِئٍ بِلقاءِ الموتِ مُرْتَهَنٌ ... كأنَّه غَرَضٌ للموتِ منصوبُ

٣٤٦٧ - ولغيْره:

لا يُعْجِزُ الموتَ شَيءٌ دُونَ خالِقِه ... والموتُ فانٍ إذا ما نالَهُ الأجَلُ
وكُلُّ كَرْبٍ أمامَ الموتِ مُتَّضَعٌ ... للموت والموتُ فيما بعدَه جَلَلُ

٣٤٦٨ - ويُروى أنَّ عليّاً ﷺ كان يُنادي كلَّ ليلةٍ بصوتٍ يسمع أهلَ المسجد يقول: تَجهَّزوا رحمَكمُ اللَّهُ؛ فقد نُودِيَ فيكم بالرَّحيلِ، وأقِلُّوا العرجَةَ على الدُّنيا، وانقلِبوا بصالح ما يَحضُركم مِنَ الزَّادِ، فإنَّ أمامَكم عَقَبَةً كَؤوداً ومنازلَ مَخوفَةً مَهولَةً، لا بدَّ مِنَ المَمَرِّ عليها، والوقوفِ عندَها، فإمَّا برحمةٍ مِنَ اللَّهِ نجوتُم مِنْ فظاعتِها، وشدَّةِ مختَبَرِها، وكراهةِ منظرِها، وإمَّا بِهلَكَةٍ ليس بعدَها انجبارٌ.

٣٤٦٩ - وكان الحسنُ يقول: النَّجا النَّجا، الوَحَى الوَحَى، أُتِيتُم وربِّ الكعبةِ. على مَنْ تُعَرِّجونَ؟ قطعوا عنكم حبالَ الدُّنيا، وغلَّقُوا عنكم أبوابَها، كأنكم رَكْبٌ وُقوفٌ، إذا دُعِيَ أحدُكم أجاب، كأنَّ أشراطَها على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأصبحتم في غَمِّها، فوالله ما نعلمُه بقيَ إلا المعاينةَ.

٣٤٧٠ - وكان بعضُ الحكماءِ يقول: لو تعلمُ البهائمُ مِنَ الموت ما تعلمون، ما أكلتم منهنَّ سَميناً.

٣٤٧١ - ولعلي رضي الله عنه:

ألا هل إلى طُولِ الحياةِ سَبيلُ ... وأنَّى وهذا الموتُ ليس يُقيلُ
وإنِّي وإنْ أصبحتُ بالموتِ مُوقِناً ... فلي أملٌ دُونَ اليَقينِ طَويلُ
ولِلدَّهرِ ألوانٌ تَروحُ وتغتدي ... وأنْفُسُ ناسٍ بينَهُنَّ تَسيلُ
ومَنْزِلُ حَقٍّ لا مُعَرَّجَ دُونَه ... لكلِّ امرِئٍ منا إليه رحيلُ
قَطعتُ بأيَّامِ التَّعَزُّزِ ذِكْرَهُ ... وكلُّ عَزيزٍ ما هناك ذَليلُ
أرى عِلَلَ الدُّنيا عَلَيَّ كثيرةً ... وصاحبَها حتَّى المماتِ عَليلُ
إذا ما انقَضَتْ عنِّي مِنَ الدَّهرِ مُدَّةٌ ... فإنَّ غِناءَ الباكياتِ قليلُ
سَيُعرَضُ عنْ ذكري وتُنْسَى مَودَّتي ... ويُحْدَثُ بعدي للخليلِ خليلُ

٣٤٧٢ - ولغيْرِه رحمة الله عليه:

وهل نحنُ إلا مَرامي السِّهامِ ... ويَحْفِزها نائلٌ دائبُ
نُسَرُّ إذا جاءنا طائِشٌ ... ونَجْزَعُ إنْ مَسَّنا صائبُ
طرائدُ تَطْلُبُنا النَّائباتُ ... ولا بُدَّ أنْ يُدْرِكَ الطَّالِبُ
عَواريَ مِنْ سَلَبِ الهالِكينَ ... يَمُدُّ يَداً نحوهَا السَّالِبُ
نُصَبَّحُ بالكأسِ مَجْدوحةً[1] ... ولا عِلْمَ لي أيُّنا الشارِبُ
حبائِلُ للدَّهْرِ مَبْتوتَةٌ ... يُرَدُّ إلى جَذْبِها الهارِبُ
وكيفَ نُجاوِزُ غاياتِنَا ... وقد بلغَ المَوْرِدَ القارِبُ

٣٤٧٣ - ولغيره:

بيْنَا الفَتَى في لَهْوِهِ وهَنَاتِهِ ... مُتَبخْتِراً يَخْتالُ في لَذَّاتِهِ
قد غَرَّهُ الأمَلُ الكَذُوبُ فَهَمُّهُ ... في كُلِّ ما يُدْنيهِ مِنْ شَهَواتِهِ
إذْ جاءَهُ مَلَكُ النُّفُوسِ بِسَكْرَةٍ ... تَرَكَتْهُ مُلْقى الجِسْمِ بيْنَ نُعاتِهِ
فتَقَطَّعَتْ أسبابُهُ وتَخَرَّمَتْ ... وتَنَكَّرَ المعرُوفُ مِنْ حالاتِهِ

---

(١) المجدوح: دم الفصْد. كانوا يستعملونه وقت الجدب.

لا يَسْتَجيبُ لِمَنْ دعاهُ ولا يَرَى شَقَّ الجُيوبِ عليه بعدَ وفاتِهِ

٣٤٧٤ ـ وأنشدوا:

الموتُ في كُلِّ حينٍ يَنْشُرُ الكَفَنَا ونحنُ في غَفْلَةٍ عمَّا يُرادُ بِنَا
لا تَطْمَئِنَّ إلى الدُّنيا وزَهرَتِها وإنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أثْوابِها الحَسَنَا

٣٤٧٥ ـ وللحسن بن هانئٍ عفا الله عنه:

أخي ما بالُ قَلْبِكَ ليس يَنْقَى كأنَّكَ لا تَظُنُّ الموتَ حَقَّا
ألا يا ابْنَ الَّذينَ فَنَوْا وبادُوا أمَا واللهِ ما ذهبُوا لتَبْقى
وما لكَ غيْرُ تقوى الله زادٌ إذا جُعِلْت إلى اللَّهواتِ تَرْقى

٣٤٧٦ ـ ولغيْرِه:

الموتُ لا بُدَّ آتٍ فاسْتَعِدَّ له إنَّ اللَّبيب بِذِكْرِ الموتِ مَشْغُولُ
وكيف يلهو بعيْشٍ أوْ يَلَذُّ به مَنِ التُّرابِ على عَيْنَيْهِ مَجْعُولُ

٣٤٧٧ ـ وأنشدوا:

أينَ الملوكُ التي عن حَظِّهَا غَفَلَتْ حتَّى سقاها بكأسِ الموتِ ساقيها
أموالُنا لذوي الميراثِ نَجمَعُها ودُورُنا لخرابِ الدَّهرِ نَبْنيها
نلهو ونأمُلُ أيَّاماً تُعَدُّ لنا سَريعةُ الفوتِ تَطوينا ونَطويها

٣٤٧٨ ـ غيره:

إنَّما أدركَ جَنَّاتِ العُلَى وأصابَ الخُلْدَ فيها مَنْ صَبَرْ
فاقْطَعِ الدُّنيا بزُهدٍ خالِصٍ عندَ هذا الموتِ يأتيك الخَبَرْ

٣٤٧٩ ـ وأنشدوا:

لا تَأْسَيَنَّ على شَيْءٍ فكُلُّ فَتىً إلى مَنِيَّتِه يَسْتَنُّ في عَنَقِ
بأيِّ ما بَلْدَةٍ تَغْدو مَنِيَّتُهُ إلاَّ يُسارِعْ إليها طائِعاً يُسَقِ

فـمـا تَـزَوَّدَ مِـمَّـا كـان يَـجْـمَـعُـهُ إلا حَنُوطاً غَداةَ البَيْنِ مع خِرَقِ
وغـيْـرَ نَـفْـحَـةِ أعـوادٍ تُـشَـبُّ لـه وقَـلَّ ذلـك مِـنْ زادٍ لِـمُـنْـطَـلِـقِ

٣٤٨٠ ـ وللخليل بن أحمد رحمة الله عليه:

نَعَى لك ظِلَّ الشَّبابِ المَشِيبُ ونادَتْكَ باسْمِ سِواكَ الخُطُوبُ
فكُنْ مُسْتَعِدّاً لِداعي المَنُونِ فإنَّ الذي هو آتٍ قَرِيبُ
فقَبْلَكَ دواى المريضَ الطَّبيبُ فعاشَ المريضُ وماتَ الطَّبيبُ
يَخافُ على نفسِه مَنْ يَتوبُ فكيف بِحالَةِ مَنْ لا يَتوبُ

٣٤٨١ ـ ولِمُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ:

لا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ يُصيبُكَ فاعْلَمَنْ أَبِأَرْضِ قومِكَ أم بأُخْرَى تُصْرَعُ
فَلَيَأْتِيَنَّ عليكَ يومٌ مَرَّةً يَبكي عليك مُقَنَّعاً لا تَسْمَعُ

٣٤٨٢ ـ ولغيْرِه[1]:

لَعَمْرُكَ ما الدُّنيا بِدارِ إقامَةٍ إذا زالَ عنْ عيْنِ اللَّبيبِ غِطاؤُها
وكيف بَقاءُ النَّاسِ فيها وإنَّما يُنالُ بأسبابِ الفَناءِ بَقاؤُها

٣٤٨٣ ـ آخر:

أحينَ نَعَى شَيْبِي إلَيَّ شبابي أُتابِعُ أيَّامي نُهَىً بِمُصابِ
وقد كَتَبَتْ أيدي الزَّمانِ لنا طِرَى على صَفحاتِ الدَّهرِ سَطْرَ عِتابِ
كفى بِادِّكارِ الموتِ وَيْحَكَ زاجِراً وعَرْضي على الرحمنِ يومَ حِسابِ
ولا دارَ إلا شِقْوةٌ أو سعادةٌ ولا عِلْمَ لي في أيِّ ذاك مَآبِ

٣٤٨٤ ـ ولابن حَذَّاقٍ رحمة الله عليه:

هل لِلْفَتَى مِنْ بناتِ الدَّهرِ مِنْ واقِ أم له مِنْ حِمامِ الموتِ مِنْ راقِ

---

(١) هو علي بن العباس الرومي، كما صرح به المصنف برقم (٢٢٤٩).

إذْ رَجَّلُوني وما بالرَّأْسِ مِنْ شَعَثٍ وألـبَسـونـي ثِـيـاباً غـيْـرَ أخـلاقِ
ورَفَّـعـونـي وقـالـوا أَيَّـمـا رَجُـلٌ وأدرجُـونـي كـأنِّـي طَـيُّ مِـخْـراقِ
وأرسلوا فِتْيَةً مِنْ خَيْرِهم حَسَباً لِيُسْنِدُوا في ضريحِ القَبْرِ أطباقي
وقَسَّمُوا المالَ وارْفَضَّتْ عُيُونُهُمُ وقـال قـائِـلُـهـم مـاتَ ابـنُ حَـذَّاقِ
هَـوِّنْ عـلـيـك ولا تُـولَـعْ بِإشْـفـاقِ فـإنَّـمـا مـالُـنـا لـلـوارِثِ الـبـاقِ

٣٤٨٥ ـ ولآخرَ:

نَعَى نفسي إلى نفسي المَشيبُ وعـنـدَ الـشَّـيْـبِ يَـتَّـعِـظُ الَّـلـبـيـبُ
لَئِنْ كان الشَّبابُ مضى حَبيباً فـإنَّ الـشَّـيْـبَ أيـضـاً لـي حَـبـيـبُ
سَأَصْحَبُه بِتَقْوى اللَّهِ حتَّى يُـفَـرِّقُ بـيـنَـنـا الأجَـلُ الـقَـريـبُ

٣٤٨٦ ـ ولأحمد بن عبيد:

يا خاضِبَ الشَّيْبِ بالحِنَّاءِ يَسْتُرُهُ سَـلِ الإلـه لـه سَـتْـراً مِـنَ الـنَّـارِ
لم يرْحَلِ الشَّيْبُ عن دارٍ أَلَمَّ بِها حـتَّـى تَـرَحَّـلَ عـنـها صاحِبُ الدَّارِ

٣٤٨٧ ـ وقال عبد العزيز بن أبي روَّادٍ: مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بثلاثٍ لم يتَّعظْ بشيءٍ: الإسلامُ والقرآنُ والشَّيبُ.

٣٤٨٨ ـ ونظر إياسُ بنُ قَتادةَ في المرآةِ، فرأى شيبَةً، فقال: ألا أُراني خيْرَ بَني تميمٍ والموتُ يطلُبني، فنَزل السِّكَّةَ واتَّخذها مسجداً. فلم يزَلْ يعبُد اللَّهَ حتَّى مات، وقال: لأنْ ألقى اللَّهَ مؤمناً مهزولاً أحبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ ألقاه منافقاً سميناً.

٣٤٨٩ ـ وأنشدوا:

نُـراعُ لِـذِكْـرِ الـموتِ سَـاعَـةَ ذِكْـرِهِ وتَـعْـتَـرِضُ الـدُّنـيـا فـنَـلْـهُـو ونَـلْـعَـبُ
ونَحْنُ بنو الدُّنيا خُلِقْنَا لِغَيْرِها وما كنتَ منه فهو شَيْءٌ مُحَبَّبُ[1]

---

(١) تقدم برقم (٣٣٧٢).

٣٤٩٠ ـ ولأبي العتاهية رحمة الله عليه:

نَغَّصَ الموتُ كلَّ لَذَّةِ عَيْشٍ يا لَقَوْمي للموتِ ما أَوْجاهُ
عَجَباً أنَّه إذا ماتَ مَيْتٌ صَدَّ عنه حبيبُه وقَلاهُ
إنَّما الشَّيْبُ لابنِ آدَمَ ناعٍ قام في عارِضَيْه ثمَّ نعاهُ

٣٤٩١ ـ وللَبيد:

وما المالُ والأهْلُونَ إلاَّ وَديعَةٌ ولا بُدَّ يوماً أنْ تُرَدَّ الودائِعُ
وما المَرْءُ إلاَّ كالشِّهابِ وَضَوْؤُهُ يَحُورُ رَماداً بَعدَما هو ساطِعُ
أعاذِلُ ما يُدْريك إلا تَظَنُّناً إذا رَحَّلَ الفِتيان مَنْ هو راجِعُ

٣٤٩٢ ـ ولابن مُناذِر:

وأُرانا كالزَّرْعِ يَحْصُدُهُ الدَّهْرُ فمِنْ بيْنِ قائِم وحَصِيدِ
وكأنَّا لِلْمَوْتِ رَكْبٌ مُخِبُّونَ[1] سِرَاعٌ لِمَنْهَلٍ مَوْرُودِ

٣٤٩٣ ـ ولعليِّ بنِ جَبَلَةَ رحمة الله عليه:

وأرى الليالي ما طَوَتْ مِنْ شِرَّتي زادَتْه في عِظَتي وفي إفْهامي
وعَلِمْتُ أنَّ المرْءَ مِنْ سُنَنِ الرَّدَى حيثُ الرَّمِيَّةُ مِنْ سهامِ الرَّامي

٣٤٩٤ ـ ولأبي تمام الطائي رحمة الله عليه:

نُحاوِلُ شيئاً قد تولَّى فَوَدَّعَا وهَيْهاتَ منه أنْ يَؤُوبَ ويَرْجِعَا
عَسُرْتُ على التَّأْديبِ فَهْماً ومَنْطِقَا وكنت على الأيام لَيّاً وأَخْدَعَا
وأَقْبَلَتِ الأيَّامُ تَزْدادُ مَصْرَعَا لِجِسْمِكَ فارْتَدْ إذ تَيَقَّنْتَ مَضْجِعَا

٣٤٩٥ ـ ولآخر:

ولو أنَّا إذا مُتْنا تُرِكْنا لكانَ الموتُ راحَةَ كلِّ حَيٍّ

(١) مخبون: من الخَبَبِ، وهو نوع من المشي السريع.

ولـكِـنَّـا إذا مُـتـنـا بُـعِـثْـنـا فـنُـسْـأَلُ عِـنـدَهـا عـنْ كـلِّ شَـيِّ

٣٤٩٦ ـ ولأبي تمام:

فـقـدْ أيْـقَـنْـتُ بـالـمـوْتِ نَـفْـسـي لأنِّي رأيتُ المنايا يَخْتَرِمْنَ حياتِيَا
فيا ليتَ أنِّي بعدَ مَوْتِي ومَبْعَثي أكـونُ رُفـاتـاً لا عَـلَـيَّ ولا لِـيَـا

* * *

٢١٥ ـ ما جاء في شماتة الأعداء

٣٤٩٧ ـ قال الله تعالى في قصة موسى وهارون: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

٣٤٩٨ ـ وقيل لأيوبَ: أيُّ شيءٍ كان في بلائِك أشدَّ عليك؟ قال: شماتَةُ الأعداءِ.

٣٤٩٩ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: **لا تُظْهِرِ الشَّماتَةَ بأخيك، فيُعافِيَهُ اللَّهُ ويَبْتَليك**(١).

٣٥٠٠ ـ وأنشدوا:

إذا مـا الـدَّهـرُ جَرَّ عـلـى أُنَـاسٍ حَـوادِثَـهُ أنـاخَ بـآخَـرِيـنَـا
فَـقُـلْ لـلـشَّـامِـتـيـنَ بـنـا أَفِـيـقُـوا سَـيَـلْـقَـى الـشَّـامِـتُـونَ كـمـا لَـقِـيـنَـا

٣٥٠١ ـ ولأبي ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيِّ عفا الله عنه:

وتَـجَـلُّـدِي لـلـشَّـامِـتـيـنَ أُرِيـهُـمُ أنِّـي لِـرَيْـبِ الـدَّهْـرِ لا أَتَـضَـعْـضَـعُ
كم مِنْ جَميعِ الشَّمْلِ مُلْتَئِمِ القُوَى كـانـوا بِـعَـيْـشٍ قَـبْـلَـنَـا فـتَـصَـدَّعـوا

٣٥٠٢ ـ ولابن المعتَزِّ: الصبْرُ مِنْ ذي المُصيبَةِ مَصَبَّةٌ على ذي الشَّمَاتِ.

---

(١) وروي ذلك مرفوعاً عن النبي ﷺ من حديث واثلةَ بن الأسقع ﷺ، رواه الترمذي (٢٥٠٦)، وقال: حسن غريب.

٣٥٠٣ ـ ولبعضِهم في أهل الدين والعلم:

ألا في سبيلِ اللَّهِ ماذا تَضَمَّنَتْ بُطونُ الثَّرَى واسْتَوْدَعَ البَلَدُ القَفْرُ
فيا شامِتاً للمَوتِ لا تَشْمَتَنْ بِهِمْ حَياتُهُم فَخْرٌ ومَوْتُهم ذِكْرُ
أقاموا بظهرِ الأرضِ فاخْضَرَّ عُودُها وصاروا بِبَطْنِ الأرضِ فاستَوْحَشَ الظَّهْرُ

❋ ❋ ❋

٢١٦ ـ ما جاء في عيادة المرضى

٣٥٠٤ ـ روى مسروقٌ عن عائشةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا أَتَى مريضاً، أو أُتِيَ به، قال: «**أذهِبِ البأسَ ربَّ الناسِ، اشْفِ أنت الشافي لا شفاءَ إلا شِفاؤُك، شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَماً**»[١].

٣٥٠٥ ـ وقال بعضُ العُلماءِ: «**إذا عادَ الرجلُ المريضَ، خاضَ في الرحمةِ، فإذا قعدَ قرَّتْ فيه**»[٢].

٣٥٠٦ ـ ومرض أبو الدَّرداءِ فعادوه، فقالوا: أيَّ شيءٍ تشتهي؟ قال: الجنة. قالوا: ندعوا لك طبيباً؟ قال: هو أمرَضَني. فقال له رجلٌ مِنْ أصحابِه: أتريدُ يا أبا الدَّرداءِ أنْ أُسامِرَك بالليل؟ فقال له أبو الدَّرداءِ: أنت مُعافى وأنا مُبتلى، فالعافيةُ لا تدَعُك أنْ تسهرَ، والبلاءُ لا يدَعُني أنْ أنامَ، أسأَلُ اللَّهَ الذي لا إله إلا هو أنْ يهبَ لأهلِ العافيةِ الشكرَ، ولأهلِ البلاءِ الأجرَ.

٣٥٠٧ ـ وقال الطُّفاويُّ: دخلنا على مُغيرةَ نَعودُه في مرضِه، فقلنا له:

---

(١) البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

(٢) هذا حديث مرفوع عن النبي ﷺ. وقد رواه أحمد ٣/٣٠٤ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه ابن حبان (٢٩٥٦)، والحاكم ١/٣٥٠. ورواه أحمد ٣/١٧٤ من حديث أنس بن مالك ﷺ، ٣/٤٦٠ من حديث كعب بن مالك ﷺ.

ما الذي تشكو؟ قال: الحسرةُ على الغفلةِ. قلنا: فما تشتهي؟ قال: الإنابةُ إلى ما عندَ الله، والنَّقلةُ عمَّا يكرهُ اللَّهُ. فبكى القوم.

٣٥٠٨ ـ وعاد يحيى بن معاذٍ مريضاً، فقيل له: كيف تَجدُكَ؟ قال: أُخرِجتُ إلى الدُّنيا وأنا راغِمٌ، وعِشتُ فيها وأنا ظالِمٌ، وأَخرُجُ منها وأنا نادمٌ. فقال يحيى بن معاذ: وإنِّي أقولُ: أُخرجتُ إلى الدُّنيا بقضاءٍ وقدَرٍ، وعِشتُ فيها على غَرَرٍ وخَطَرٍ، وأَخرُجُ منها إلى جبَّارٍ مُقتَدرٍ.

٣٥٠٩ ـ ودخل ساوةُ الورَّاقُ على أبي الفيْضِ الحَرَمِيِّ يَعودُه، فكلَّمه فلم يُجبْه، فقال أبو الفيض:

أَفي كلِّ عامٍ مَرْضَةٌ بعدَ نَقْهَةٍ ... وتنْعَى ولا تُنْعَى وإلى متى
سَيُوشِكُ يومٌ أنْ يَجيءَ ولَيْلَةٌ ... يَسوقانِ حَتْفاً راحَ نَحْوَكَ أرْغَدا
تُمَسَّى صَرِيعاً لا تُجيبُ لِدَعْوَةٍ ... ولا تَسْمَعُ الباكي وإنْ جَدَّ في البُكا

٣٥١٠ ـ ولقي عليٌّ ﷺ صالح بنَ سُلَيْم، وكان صالح شاكياً، فقال له علي ﷺ: جعل اللَّهُ ما كان مِنْ شكواك حَطّاً لسيئاتِك، فإنَّ المرضَ لا أجْرَ فيه، ولكنه لا يدَعُ على العبدِ ذنباً إلا حطَّه، وإنَّما الأجرُ بالقولِ والعملِ، وإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُدخِلُ بصدقِ النِّيَّةِ عالماً جِمَى الجنةِ.

٣٥١١ ـ وقال إياسُ بنُ دَغْفَلٍ: عاد الحسنُ أبا نَضْرَةَ ونحن معه، فقام أبو نَضْرَةَ فقبَّلَ خدَّ الحسنِ، ثم قال: يا أبا سعيدٍ، اقرأْ سورةً، ادْعُ بدعواتٍ، فقرأ الحسنُ فاتحةَ الكتابِ والمعوذتين، ثم قال: اللَّهُمَّ مَسَّ أخانا الضُّرُّ وأنت أرحم الراحمين.

* * *

٢١٧ ـ كلام المحتَضَرين ومشاهداتُهم

٣٥١٢ ـ رُوِيَ عن أم الدَّرداءِ أنَّه أُغمِيَ على أبي الدَّرداءِ، فأفاق فإذا

بلالٌ ابنُه عنده، فقال: فقمْ فاخرُج عنِّي، ثم قال: مَنْ يعملُ لمثلِ مَضجَعي هذا؟ مَنْ يعملُ لمثلِ ساعتي هذه؟ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠] ثم يُغمى عليه، فيلبَثُ حيناً، ثم يُفيق فيقول مثلَ ذلك، فلم يزلْ يُردِّدُها حتَّى قُبِضَ.

٣٥١٣ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أنَّه بكى في مرضه، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: أمَا إنِّي لا أبكي على دنياكم هذه، ولكنِّي أبكي على بُعْدِ سفري، وقِلَّةِ زادي، وضَعْفِ نفسي. وإنِّي قد أمسيتُ في صعودٍ مَهْبِطُهُ على جَنَّةٍ أو نارٍ، لا أدري إلى أيِّتِهما يُؤخَذُ بي.

٣٥١٤ ـ وروى قتادةُ أنَّ عامرَ بنَ عبد قيسٍ لَمَّا حُضِرَ جعل يبكي، فقيل له: ما يُبكيكَ؟ فقال: ما أبكي جَزَعاً مِنَ الموتِ، ولا حِرْصاً على الدُّنيا، ولكن أَبكي على ظَمَأِ الهواجرِ، وعلى قيامِ ليلِ الشِّتاءِ.

٣٥١٥ ـ وروى المعتمرُ بنُ سُليمانَ عن أبيه، قال: دخلتُ على بعضِ أصحابِنا وهو في الموتِ، فرأيتُ مِنْ جَزَعِه ما ساءَني، فقلتُ: وما هذا الجَزَعُ وقد كنتَ بحمدِ الله كذا؟ فقال: ما ليَ لا أجزَعُ؟ ومَنْ أحَقُّ بذلك منِّي؟ واللهِ لو أتَتْنِي المغفرةُ مِنَ اللَّهِ، لأَهَمَّني الحياءُ منه فيما أفضيتُ به إليه.

٣٥١٦ ـ ورُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ لَمَّا طُعِنَ دعا بلبَنٍ فشربه، فخرج مِنْ طعنتِه، فقال: الله أكبرُ، فجعل جُلساؤُه يُثنون عليه، فقال: وَدِدْتُ أنِّي أخرُجُ منه كفافاً كما دخلتُ فيها، لو أنَّ لي ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ وغرَبتْ، لافتَدَيْتُ به مِنْ هوْلِ المطلَعِ.

٣٥١٧ ـ وقال ابنُ عمرَ ﷺ: لما حُضِرَ عُمرُ غُشِيَ عليه، فأخذتُ رأسَه، فوضعتُه في حجري، فقال: ضَعْ رأسي بالأرضِ لعلَّ الله يرحمني، فمسح خدَّيه بالتراب، ثم قال: ويلٌ لعمرَ، ويلٌ لأُمِّه إنْ لم يغفرِ اللَّهُ له.

فقلت: وهل حجري والأرضُ إلا سواءٌ يا أبتاه. قال: ضَعْ رأسي بالأرضِ ـ لا أُمَّ لك ـ كما آمُرُك، فإذا قُبِضْتُ فأسرِعوا بي إلى حُفرتي، فإنَّما هو خيْرٌ تُقدِّمُونني إليه، أو شرٌّ تضعونه عن رقابِكم.

٣٥١٨ ـ ولما حضرتْ معاويةَ بنَ أبي سُفيانَ الوفاةُ قال لأهلِه: أَقْعِدوني، فأقعدوه، فجعل يُسبِّحُ اللَّهَ ويكبِّرُه، ثم بكى، ثم قال: الآن تذكرُ ربَّك يا مُعاويةَ بعدَ الهرَمِ والانْحِطام؟ ألا كان هذا وغُصنُ الشَّبابِ نَضِرٌ ريَّانُ. وبكى حتى علا بكاؤه، وقال: يا ربِّ، ارحمِ الشَّيخَ العاصي ذا القلبِ القاسي. ثم قال: اللَّهُمَّ أَقِلِ العَثْرَةَ، واغفِرِ الزَّلَّةَ، وعُدْ بِحلمِك على مَنْ لم يرْجُ غيْرَك، ولا يثِقْ بأحدٍ سواك[1].

٣٥١٩ ـ ولَمَّا حضرتْ عَمرَو بنَ العاصِ الوفاةُ، بكى بكاءً شديداً، فقال ابنُه عبدُ اللَّه: ما يُبكيك؟ أجَزَعاً مِنَ الموتِ؟ قال: لا، ولكني أذكُرُ ثلاثَ خِصالٍ: كنتُ مشركاً، فما كان شيءٌ أبغضَ إليَّ مِنْ رسولِ الله ﷺ ثم أسلمتُ، فما كان شيءٌ أحبَّ إليَّ مِنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ثم كانت بعدَه أمورٌ اللَّهُ تعالى أعلمُ بها. ثم قال: ادْعُ لي الحرسَ، فلما دخلوا عليه، قال لهم: أتُغْنُون عنِّي مِنَ اللَّهِ شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فافترِقوا إذاً. ثم دعا بماءٍ فتوضأ وأسبغ الوُضوءَ، ثم قال: احمِلوني إلى المسجدِ، فحُمِلَ فقال: استقبلوا بيَ القِبلةَ، ففعلوا ذلك، ثم قال: اللَّهُمَّ إنَّك أمرتني فعصَيْتُ، وائْتَمَنْتَني فتعدَّيْتُ، فلا بَريءٌ فأعتَذرُ، ولا قويٌّ فأنتصرُ، ولكني مذنبٌ مستغفرٌ، غيْرُ مُصِرٍّ ولا مستكبِرٍ. ثم قال: لا إله إلا أنت سبحانك إنِّي كنتُ مِنَ الظالمين. فما زال يُردِّدُها حتى مات.

٣٥٢٠ ـ ورُوِيَ أنَّ إبراهيمَ النَّخَعِيَّ بكى عندَ موتِه، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أنتظرُ مِنَ اللَّهِ رسولاً يُبشِّرُني بالجنةِ أو النارِ.

---

(١) سيرد بنحوه برقم (٣٥٤٤).

٣٥٢١ ـ ولَمَّا حضرتْ عُمرَ بنَ عبد العزيز الوفاةُ، قال: اللَّهُمَّ أمرتَني فقصَّرتُ، ونَهيتَني فعصيتُ، وأنعمتَ عليَّ فأفضلتَ، فإنْ عفوتَ فقد مَنَنْتَ، وإنْ عاقبتَ فما ظَلمتَ، إلا أنِّي أشهدُ ألا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. ثم قضى رحمةُ الله عليه.

٣٥٢٢ ـ ولَمَّا حضرتْ هشامَ بنَ عبد الملك الوفاةُ، نظر إلى أهلِه يبكون عليه، فقال: جادَ لكم هشامٌ بالدُّنيا، وجُدتم له بالبُكاءِ، وترك لكم ما جمعَ، وتركتم عليه ما حَملَ. ما أعظمَ منقلب هشامٍ إنْ لم يَغفرِ اللَّهُ له!.

٣٥٢٣ ـ ودُخِلَ على المأمونِ في مرضِه الذي مات فيه، فإذا هو قد أمرَ أنْ يُفرَشَ له جُلُّ الدَّابَّةِ، ويُبسَطَ عليه الرمادُ، وهو راقدٌ عليه يتضرَّعُ، وهو يقول: يا مَنْ لا يزولُ مُلكُه، ارحَمْ مَنْ زالَ مُلكُه.

٣٥٢٤ ـ وقال عبدُ الله بنُ عُبيد اللَّه: عدتُ مريضاً، فقلت له: كيف تَجدُك؟ فقال:

خرجتُ مِنَ الدُّنيا وقامَتْ قِيامَتي ... غَداةَ أقَلَّ الحامِلُونَ جَنازَتي
وعَجَّلَ أهلي حَفْرَ قَبْري وصَيَّرُوا ... خُروجي وتَعْجِيلي إليه كرامَتي
كأنَّهُمُ لم يَعْرِفُوا قطُّ صُورَتي ... غَداةَ أتَى يومي عَلَيَّ وساعَتي

٣٥٢٥ ـ وقال أبو سُليمانَ الدَّارَانِيُّ: دخلنا على عابدٍ قد احتُضِرَ وهو يبكي، فقلنا له: ما يُبكيك يرحَمُك اللَّه؟ فقال:

وحُقَّ لِمِثْلِي بالبُكا عندَ مَوْتِهِ ... وما لِيَ لا أبكي ومَوْتي قدِ اقْتَرَبْ
ولي عَمَلٌ في اللَّوْحِ أحْصاهُ خالِقي ... فإنْ لم يَجُدْ بالعَفْوِ صِرْتُ إلى العَطَبْ

٣٥٢٦ ـ ودخل الحسنُ على عبدِ الله بنِ الأهتَم عائداً، فإذا هو يُصَوِّبُ بصرَه في صُندوقِ بيتِه ويُصَعِّدُه، فقال: يا أبا سعيدٍ، ما تقولُ في مائة ألفٍ في هذا الصندوق لم أُؤَدِّ منها زكاةً، ولم أصِلْ منها رَحِمَاً؟ قال: ثَكِلَتْكَ أُمُّك؟ فلِمَ كنتَ تُعِدُّها؟ قال: كنتُ أُعِدُّها لرَوْعَةِ الزَّمانِ، وجَفْوَةِ السُّلطانِ،

ومُكاثَرَةِ العشيرةِ. فلمَّا مات حضَرَهُ الحسنُ، فلمَّا دُفِنَ ضربَ بيدِه على الأخرى، ثم قال: انظُروا هذا؛ أتاهُ شيطانُه فحذَّره رَوْعَةَ زمانِه، وجفوَةَ سُلطانِه، ومُكاثَرَةَ عشيرتِه عمَّا استودَعه اللَّهُ إيَّاه وعَمَّره فيه، كيف يَخرُجُ منها سليباً حزيناً ذميماً. ثم أقبلَ على وارثِه، فقال: إيهِ أيُّها الوارثُ، لا تُخْدَعْ كما خُدِعَ صُوَيْحِبُك، آتاكَ اللَّهُ هذا المالَ حلالاً، فلا يكنْ عليك غداً وبالاً، أتاك مِمَّنْ كان له جَمُوعاً مَنُوعاً، مِنْ باطلِ جَمَعَهُ، ومِنْ حقٍّ منَعه فأوعاه، وشدَّه فأوكاهُ، يقطعُ فيه لُجَج البحارِ، ومفاوِزَ القِفارِ، لم تكدَحْ فيه بيمينٍ، ولم يعرَقْ لك فيه جبينٌ، إنَّ يومَ القيامةِ يومٌ ذو حَسَراتٍ، وإنَّ أعظَمَ الحَسَراتِ غداً أنْ ترى مالَك في ميزان غيْرِك.

٣٥٢٧ ـ ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له يجود بفسه قال: يا بني كيف تجدك؟ فقال: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] فقال عمر: والله لأن تكون في ميزاني أحبُّ إليّ من أكون في ميزانك، فقال: يا أبة، والله لأن يكون ما تحب أحب إليّ من أكون ما أحب.

٣٥٢٨ ـ وروى أُسامةُ أنَّ ابنةً لرسولِ اللّهِ ﷺأرسلتْ إليه ومع رسولِ اللّهِ ﷺ أسامةُ وسعدٌ وأُبَيٌّ: أنَّ ابني احتُضِرَ فاشهَدْنا، فأرسل يَقرأُ السلامَ، ويقول: «**إنَّ للهِ ما أخذَ وما أعطى، وكلُّ شيءٍ عندَه بأجَلٍ مُسَمَّى، فلتَصْبِرْ ولْتَحْتَسِبْ**». فأرسلتْ إليه تُقْسِمُ عليه، فقام وقُمنا معه، فلمَّا قعدَ رُفِعَ إليه، فأقعده في حجرِه، ونفسُ الصبيِّ تَقَعْقَعُ، ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال سعدٌ: ما هذا يا رسولَ اللّهِ؟ فقال: «**هذا رحمةٌ يضعُها اللّهُ في قلوبِ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِه، وإنَّما يرحمُ اللّهُ مِنْ عِبادِه الرُّحَماءَ**»[١].

٣٥٢٩ ـ ولما احتُضِرَ حُذيفةُ، قال: حبيبٌ جاء على فاقَةٍ، لا أفلَحَ مَنْ نَدِمَ، لا أفلحَ مَنْ نَدِمَ، قد كنتُ قبلَ اليومِ أخشاك، فأنا اليومَ أرجوك.

---

(١) البخاري (١٢٨٤، و٦٦٥٥)، ومسلم (٩٢٣).

٣٥٣٠ ـ وقال الأصمعيُّ: احتُضِرَ فتىً مِنَ الحيِّ، فرفع رأسَه فإذا أبواه يبكيانِ، فقال: لا تبكيا، فوَاللهِ ما يَسُرُّني أنَّ الذي بيدِ اللَّهِ بأيديكما، وأنَّ اللَّهَ الذي أَقْدُمُ عليه لأرحَمُ بي منكما.

٣٥٣١ ـ ودخل الحسَنُ على رجلٍ يَجودُ بنَفْسِه، فقال: إنَّ أمراً هذا آخرُه لَجديرٌ أنْ يُزْهَدَ فيه، وإنَّ أمراً هذا أوَّلُه لَجديرٌ أنْ يُخافَ آخِرُه.

٣٥٣٢ ـ وقيل لرجلٍ مِنْ أشرافِ العَجَمِ في عِلَّتِه التي مات منها: ما بك؟ قال: فِكْرٌ عجيبٌ، وحَسرةٌ طويلةٌ. فقيل له: بم ذلك؟ قال: ما ظنُّكم بمنْ يقطعُ سفراً بعيداً قَفْراً بلا زادٍ، ويسكنُ قبْراً مُوحِشاً بلا مُؤْنِسٍ، ويَقْدَمُ على حَكَمٍ عَدْلٍ بغيْرِ حُجَّةٍ؟

٣٥٣٣ ـ وقال محمد بن حربٍ الهلاليُّ: دخلت على موسى بنِ حمزةَ الهلاليِّ أعودُه، فقلت له: كيف تجِدُك يا أبا خالد؟ قال: أَجِدُني لا أرضى حياتي لموتي، ولا زادي لِمَعادي.

٣٥٣٤ ـ وقال غانِمٌ الورَّاقُ: دخلت على أبي نُواس قبلَ وفاتِه بيوم أو يومين، فقال لي: معك ألواحُك؟ قلت: نعم. قال: اكتب:

دَبَّ فِيَّ السُّقامُ سُفْلاً وعُلْوَا ... وأَراني أَمُوتُ عُضْواً فعُضْوَا
ذَهَبَتْ جِدَّتي بِلَذَّةِ عَيْشي ... وتَذَكَّرْتُ طاعَةَ اللَّهِ نِضْوَا[1]
لَيْسَ مِنْ ساعَةٍ مَضَتْ بي ... إلا نَغَّصَتْنِي بِمُرِّهَا جُزْوَا
لَهْفَ نَفسي على لَيالٍ وأَيَّا ... م تَمَلَّيْتُهُنَّ لَعِبَاً ولَهْوَا
ليسَ إلا اتِّكالُ عبدٍ على الرَّبِّ ... نِداءً يا رَبِّ غُفْراً وعَفْوَا

٣٥٣٥ ـ قال ابنُ السَّمَّاكِ: دخلنا على أبي بكرٍ النَّهْشَلِيِّ وهو في السِّياقِ يُومِئ بالصلاةِ، فقلت له: على هذه الحال؟ فقال: أُبادِرُ طَيَّ

(١) النِّضو: الهزيل.

الصَّحيفةِ. قال: فحدَّثتُ بهذا الحديثِ ابنَ مهديٍّ، فقال: بلغني أنَّ داودَ الطَّائيَّ لَمَّا ماتَ، أخذ الناسُ في الثَّناءِ عليه، فوقفَ أبو بكرٍ النَّهْشَلِيُّ على قبْره، وقال: اللَّهُمَّ لا تَكِلْهُ إلى عملِه.

٣٥٣٦ ـ وقال ابنُ عباسٍ: إذا رأيتُم الرجلَ بالموتِ فبشِّرُوه، حتَّى يلقى ربَّه وهو حَسَنُ الظَّنِّ باللهِ تعالى، فإذا كان حَيّاً فخَوِّفُوه بربِّه[1].

٣٥٣٧ ـ ورُوِيَ أنَّ مالكَ بنَ أنسٍ لَمَّا احتُضِرَ، قال لِمَنْ حولَه مِنْ أصحابِه: لَيُعايِنَنَّ الناسُ غداً مِنْ رحمةِ اللَّهِ وعفوِه ما لم يخطُرْ على قلبِ بشرٍ.

٣٥٣٨ ـ وروى مُحْرِزُ بنُ جعفرٍ عن أبيه: دخلتُ على عبدِ الله بنِ الفَضل بنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبد المطَّلبِ، فبكى ثم قال: إنَّما أبكي لِبُنَيَّاتٍ خلفَ هذا السِّتْرِ، ولولاهُنَّ لم آسَ على الموتِ، إنِّي لَمُؤمنٌ بالله، وإنِّي لتائبٌ إلى اللَّهِ، وإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ. قلت: يرحمُك اللَّهُ، الذي رجوتَه لِمغفرةِ ذنبِك، فارْجُه جَبْرَ بناتِك. قال: صدقتَ، سَرَّيتَ عنِّي، جزاكَ اللَّهُ عني خيْراً، ثم لم يلبثْ أنْ ماتَ.

٣٥٣٩ ـ وقال أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلتِ في مرضِه الذي مات فيه:

كُلُّ عيشٍ وإنْ تَطاوَلَ يَوْماً ... صائِرٌ مَرَّةً إلى أنْ يَزُولا
لَيْتَني كنتُ قَبْلَ ما قد بَدا لي ... في قِلالِ الجِبَالِ أَرْعَى الوُعُولا
فاجْعَلِ الموْتَ نُصْبَ عَيْنَيْكَ واحْذَرْ ... غَوْلَةَ الموْتِ إنَّ لِلْمَوْتِ غُولا

٣٥٤٠ ـ وللفضل بن رَوْح بنِ حاتمِ المهَلَّبِيِّ:

ومارَسْتُ هذا الدَّهْرَ خَمسينَ حِجَّةً ... ونِصْفاً أُرَجِّي قابِلاً بعدَ قابِلِ
فلا أنا في الدُّنيا بَلَغْتُ جَسيمَها ... ولا في الذي أهوى حَلَلْتُ بطائِلِ
وقدْ أَشْرَعَتْ فِيَّ المنايا أَكُفَّها ... وأيْقَنْتُ أنِّي رَهْنُ مَوْتٍ مُعاجِلي

(١) تقدم برقم (٣٣٩٣).

٣٥٤١ ـ وروى ثابتٌ عن أنسٍ: دخلنا معَ رسولِ اللّهِ ﷺ على أبي سَيْفِ القَيْنِ، وكان ظِئْرَاً[١] لإبراهيمَ، فأخذ رسولُ الله ﷺ إبراهيمَ فقَبَّلَه وشَمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيمُ يَجودُ بنفْسِه، فجعلتْ عينا رسولِ الله ﷺ تذرِفان، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ: وأنت يا رسولَ اللَّه!؟ فقال: **«يا ابنَ عوفٍ، إنَّها رحمةٌ»**. ثم أتبَعَها بأخرى، فقال: **«إنَّ العينَ تَدمعُ، والقلبَ يحزنُ، ولا نقولُ إلا ما يُرضي ربَّنا، وإنَّا بفراقك يا إبراهيمُ لَمحزونون»**[٢].

٣٥٤٢ ـ وروى سعيدُ بنُ الحارثِ الأنصاريُّ عن عبدِ الله بنِ عمرَ: اشتكى سعدُ بنُ عُبادةَ شكوىً له، فأتاه النبيُّ ﷺ يعودُه مع عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ وسعدِ بنِ أبي وقاص وعبد الله بنِ مسعودٍ. فلمَّا دخل عليه وجدَه في غاشِيَةِ أهلِه، فقال: **«قد قضى»**؟ قالوا: لا يا رسولَ الله. فبكى النبيُّ ﷺ فلمَّا رأى القومُ بكاءَ النبيِّ ﷺ بكَوْا، فقال: **«ألا تَسمعونَ؟ إنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ بدَمْعِ العينِ، ولا بِحُزنِ القلبِ، ولكن يُعَذِّبُ بهذا»**، وأشار إلى لسانِه[٣].

٣٥٤٣ ـ ورُوِيَ أنَّ عَمرو بنَ العاصِ لَمَّا حضَرَتْه الوفاةُ بكى، فقال له ابنُه عبدُالله: لِمَ تبكي؟ أَجَزَعَاً مِنَ الموتِ؟ فقال: لا واللهِ، ولكن لِمَا بعدَه. فقال له: قد كنتَ على خيْرٍ، فجعل يُذكِّرُه صُحبَتَه رسولَ اللَّهِ ﷺ وفُتوحَه الشَّام، فقال عَمرو: **تركتَ أفضلَ مِنْ ذلكَ**؛ شهادةَ أن لا إله إلا الله، إنِّي كنتُ على ثلاثةِ أطباقٍ، وليس منها طَبَقٌ إلا عرفتُ نفسي فيه: كنتُ أوَّلَ شيءٍ كافراً، فكنتُ أشَدَّ الناسِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فلو مِتُّ حينئذٍ وجبتْ لِيَ النارُ. فلمَّا بايعتُ رسولَ الله ﷺ فلو مِتُّ قال الناسُ: هنيئاً لعَمرو؛ أسلمَ

---

(١) الظِّئر: المرأة التي ترضع ولد غيرها بالأجرة، وزوج المرأة يسمى ظئراً. (جامع الأصول لابن الأثير١١/٨٩).

(٢) البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

(٣) البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤).

وكان على خيْرٍ، وماتَ فتُرجى له الجنةُ. ثم تلَبَّسْتُ بعد ذلك بالسلطانِ وأشياءَ لا أدري أَعَلَيَّ أم لي فإذا متُّ، فلا تبكي عليَّ باكيةٌ، ولا يَتبَعُني مادحٌ ولا نارٌ، وشُدُّوا عليَّ إزاري، فإنِّي مخاصَمٌ، وسُنُّوا عليَّ الترابَ سَنّاً، فإنَّ جنبيَ الأيمنَ ليس بأحقَّ بالترابِ مِنْ جنبِيَ الأيسرِ، ولا تجعَلنَّ في قبْري خَشَبَةً ولا حجراً، وإذا واريْتُموني فاقعُدُوا عندي قَدْرَ نَحْرِ جُزورٍ وتقطيعِه، أستأنِسُ بكم.

٣٥٤٤ ـ ولما احتُضِرَ معاويةُ، قال:

هو الموتُ لا مَنْجى مِنَ الموتِ والذي نُحاذِرُ بعدَ الموتِ أدْهَى وأَفْظَعُ

ثم قال: اللَّهُمَّ أَقِلِ العَثْرَةَ، واغفِرِ الزَّلَّةَ، وعُدْ بحِلمِك على مَنْ لا يرجو غيْرَك، ولا يثِقُ إلا بك، فإنَّك واسعُ المغفرةِ، تغفِرُ بقُدْرَةٍ، وما ورءَاك مذهبٌ لذي خَطيئةٍ يا أرحمَ الراحمينَ[١].

* * *

٢١٨ ـ ما جاء في الموت وشدَّته

٣٥٤٥ ـ قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾ [ق: ١٩].

٣٥٤٦ ـ وقال عزَّ اسمُه: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة: ٢٩ ـ ٣٠].

٣٥٤٧ ـ قال الضَّحَّاكُ: اجتمع عليه أمران: الناس يُجهِّزُون جسدَه، والملائكةُ يُجهِّزون روحَه.

٣٥٤٨ ـ وروى عُبادةُ بنُ الصَّامتِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ أحبَّ**

(١) انظر ما تقدم برقم (٣٥١٨).

لِقاءَ اللَّهِ أحبَّ اللَّهُ لقاءَه، ومَنْ كرهَ لقاءَ اللَّهِ كرهَ اللَّهُ لقاءَه». قالت عائشةُ رضي الله عنها أو بعضُ أزواجِه: إنَّا لنكرهُ الموتَ. قال: «**ليس ذلك، ولكنَّ المؤمنَ إذا حضَرَهُ الموتُ بُشِّرَ برضوانِ اللَّهِ وكرامتِه، فليس شيءٌ أحبَّ إليه مِمَّا أمامَه فأحبَّ لقاءَ اللَّهِ، وأحبَّ اللَّهُ لقاءَه، وإنَّ الكافرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعذابِ اللَّهِ وعُقوبتِه، فليس شيءٌ أكرَهَ إليه مِمَّا أمامَه، فكره لقاءَ الله وكره اللَّهُ لقاءَه**»[1].

٣٥٤٩ ـ وأُخْبِرْتُ عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ كان بيْن يديه رَكْوَةٌ أو عُلبةٌ فيها ماءٌ، فجعل يُدخِلُ يدَه في الماء، فيمسح بها وجهَه، ويقول: «**لا إله إلا الله، إنَّ للموتِ سكراتٍ**». ثم نصب يدَه، فجعل يقول: «**في الرَّفيقِ الأعلى**»، حتَّى قُبِضَ ومالت يدُه ﷺ[2].

٣٥٥٠ ـ ورُوِيَ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ أنه قال: كان الله عزَّ وجلَّ يبعثُ مَلَكَ الموتِ إلى الأنبياء عَياناً، فبعثَه إلى إبراهيمَ في صورةِ شابٍّ جميلٍ، وكان إبراهيمُ غيوراً، فلمَّا دخل حَمَلتْه الغَيْرَةُ على أنْ قال: يا عبدَ الله، ما أدخَلَكَ داري؟ قال: أدخَلَنيها ربُّها. فعلِمَ عند ذلك أنَّ هذا أمرٌ حَدَثَ. فقال: يا إبراهيمُ، إني أُمِرْتُ بقبضِ رُوحِك. قال: فأمهِلْني يا مَلَكَ الموتِ حتَّى يدخُلَ إسحاقَ فأمهَلَه. فلمَّا دخل، قام إليه فاعتنقَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، فرَقَّ له مَلَكُ الموتِ، فرجع إلى ربِّه، فقال: يا ربِّ، رأيتُ خليلَك جزِعَ مِنَ الموتِ، فقال: يا مَلَكَ الموت، فأْتِ خليلي في المنامِ فاقْبِضْه، فأتاه في المنام فقبضه.

٣٥٥١ ـ وروى عبدُ الله بنُ المباركِ عن صالح بنِ أبي الأخضر، قال: بلغني أنَّه مَنْ كرِهَ مِنَ الأنبياءِ الموتَ إنَّما كرهَه؛ لأنه قال: أُفارِقُ الصلاةَ، وأُفارِقُ الصومَ، وأُفارِقُ كذا مِنَ العبادةِ.

---

(١) البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣).

(٢) البخاري (٦٥١٠)، ومسلم (٢٤٤٣).

٣٥٥٢ ـ وقال عبدُ الله بنُ المباركِ: سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠] عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ مِمَّا أمامَكم ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلَّفتم مِنْ ضَيعتِكم، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، بُشِّرَ بثلاثِ بِشاراتٍ عند الموتِ، فإذا خرج مِنَ القبْر ففزِعَ، قالوا: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وكانوا معهم.

٣٥٥٣ ـ ورُوِيَ أنَّ رجلاً مِنَ الأنصارِ جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: ما لي لا أُحبُّ الموتَ؟ قال: «**هل لك مِنْ مالٍ**»؟ قال: نعم. قال: «**فقدِّمْ مالَك بينَ يديك**». قال: لا أُطيقُ ذلك يا رسول الله. قال: «**المرءُ مع مالِه؛ إنْ قدَّمَه أحبَّ أنْ يلحَقَه، وإنْ خلَّفَه أحبَّ أنْ يتخلَّفَ عليه**»[1].

٣٥٥٤ ـ ولبعضِهم:

إنَّ للموتِ ساعةً أنا منها أُروَّعُ
ساعةً يعرَقُ الجبيـ ـنُ والعينُ تدمعُ

٣٥٥٥ ـ وقال آخر:

لا تأمَنِ الدَّهرَ الخؤو نَ وخَفْ بَوادِرَ آفَتِهْ
فالموتُ سَهْمٌ مُرْسَلٌ والعُمرُ قَدْرُ مَسافَتِهْ

٣٥٥٦ ـ وقال الحسن: ما رأيتُ يقيناً لا شكَّ فيه أشبهَ بشكٍّ لا يقينَ فيه مِنَ الموتِ.

٣٥٥٧ ـ وقال آخر: الموتُ بابُ الآخرة، وخيْرٌ مِنَ الحياةِ ما لا تطيبُ الحياةُ إلا به، وشرٌّ مِنَ الموتِ ما يُتَمَنَّى الموتُ له.

٣٥٥٨ ـ وقال بعضُهم: نِعْمَ الدَّواءُ الأملُ، وبِئس الداءُ الأجلُ.

---

(١) حديث مرسل ضعيف، رواه ابن المبارك في الزهد (٦٣٤).

٣٥٥٩ ـ وللمتلَمِّسِ:

أرى العمرَ كَنْزَاً ناقِصاً كلَّ ليلةٍ ولا تَنْقُصُ الأيامُ والدَّهْرُ ينفد
لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأَ الفَتَى كالطِّوَلِ[1] المُرْخى وثِنْياه باليدِ

٣٥٦٠ ـ ولأُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ:

ما أرْغَبَ النَّفْسِ في الحياةِ وإن تَحْيَا طويلاً فالموتُ لاحِقُها
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ يَوْمَاً على غِرَّةٍ يُوافِقُها
مَنْ لَمْ يَمُتْ غِبْطَةً يَمُتْ هَرَمَاً الموتُ كأْسٌ والمرْءُ ذائِقُها

❋ ❋ ❋

٢١٩ ـ ما جاء في الجنائز

٣٥٦١ ـ روى أبو قَتادةَ الأنصاريُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازةٍ، فقال: «**مُستريحٌ ومُستراحٌ منه**». قالوا: يا رسولَ اللَّهِ: ما المستريحُ وما المستراح منه؟ قال: «**العبدُ المؤمنُ يستريحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنيا وأذاها إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى، والعبدُ الفاجِرُ يَستريحُ منه العِبادُ والبلادُ والشجرُ والدَّوابُّ**»[2].

٣٥٦٢ ـ وروى أنس عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**يَتبَعُ الميتَ ثلاثةٌ، فيَرْجِعُ اثنانِ ويبقى معه واحدٌ: يتبعُه أهلُه ومالُه وعملُه، فيَرْجِعُ أهلُه ومالُه، ويبقى عملُه**»[3].

٣٥٦٣ ـ وروى أبو هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ تَبعَ جِنازَةَ مسلمٍ**

---

(١) الطِّول: حبل يشد به قائم الدابة، أو تُشَدُّ وتُمسِك طرفه وترسلها ترعى. (القاموس المحيط).

(٢) البخاري (٦٥١٢)، ومسلم (٩٥٠).

(٣) البخاري (٦٥١٤).

إيماناً واحتساباً، وكان معها حتَّى يُصَلَّى عليها ويُفرَغَ مِنْ دفنِها، فإنَّه يَرجِعُ مِنَ الأجرِ بقيراطينِ كلُّ قِيراطٍ مثلُ أُحُدٍ، ومَنْ صلَّى عليها ثم رجعَ قبلَ أنْ تُدفَنَ فإنَّه يَرجِعُ بقيراطٍ»[1].

٣٥٦٤ ـ ورأى ابنُ مسعودٍ رجلاً يضحكُ في جِنازةٍ، فقال: تضحكُ وأنت في جِنازةٍ؟ والله لا أُكلِّمُك أبداً.

٣٥٦٥ ـ وقال إبراهيم: إنْ كانوا ليشهدون الجِنازةِ، فيُعْرَفُ ذلك فيهم أيّاماً.

٣٥٦٦ ـ وقال مُطَرِّفُ بنُ عبد الله عن أبيه: أنَّه كان يلقَى الرجلَ في الجِنازةِ مِنْ خاصَّةِ إخوانِه قد بَعُدَ عهدُه به، فما يزيدُه على التَّسليم، ثم يُعْرِضُ عنه، حتَّى يظنَّ الرجلُ أنَّ في صدرِه عليه مَوْجِدَةٌ، كلُّ ذلك اشتغالٌ بما هو فيه، حتى إذا خرج مِنَ الجِنازةِ لقِيَه فساءَله ولاطَفَه، وكان منه أحسنَ ما عهِدَ.

٣٥٦٧ ـ وقال ثابتٌ البُنانِيُّ: كنَّا نشهدُ الجنائزَ، فلا نرى إلا مُقَنَّعاً باكياً.

٣٥٦٨ ـ ومرَّتْ بالحسنِ جِنازةٌ، فقال: يا لها موعظةٌ ما أبلَغَها وأسرعَ نسيانَها، يا لها موعظةٌ لو وافقتْ مِنَ القُلوب حياةً. ثم قال: ميتُ غدٍ يَدفِنُ ميتَ اليومِ.

٣٥٦٩ ـ وكان مكحولٌ الدِّمشقيُّ إذا رأى جِنازةً قال: الجِدُّ فإنَّا رائحون، موعظةٌ بليغةٌ وغَفْلَةٌ سريعةٌ، يذهب الأولُ، والآخِرُ لا عَقْلَ له.

٣٥٧٠ ـ قال المباركُ بن فَضالَةَ: كنتُ في جِنازة بكرِ بنِ عبدِ الله المُزَنِيِّ ومعنا الحسنُ، فازدحموا على السَّريرِ، فقال الحسنُ: على عملِه فازدَحِمُوا.

---

(١) البخاري (٤٧)، ومسلم (٩٤٥).

٣٥٧١ - وروى أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ، قال: «**إذا وُضِعَتِ الجِنازَةُ واحتَمَلَها الرِّجالُ على أعناقِهم، فإنْ كانت صالِحَةً قالت: قَدِّمُوني قَدِّمُوني، وإنْ كانت غيرَ صالحةٍ قالت: يا ويلَها! أين تذهبون بها؟ يَسمعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلا الإنسانَ، ولو سمعه لَصَعِقَ**»[١].

٣٥٧٢ - وأنشدوا:

يا أيُّها الرَّجُلُ المُزَخْرِفُ قَبْرَهُ	ولَعَلَّهُ مِنْ تحتِه مَغْلُولُ
يا أيُّها الرَّجُلُ المقيمُ بِمَنْزِلٍ	فيه الحوادِثُ ما أقامَ نُزُولُ
لا يَغْرُرَنَّكَ مُلْكُهُ ونَعيمُهُ	فالمُلْكُ يَنْفَدُ والنَّعيمُ يَزُولُ
وإذا حَمَلْتَ إلى القُبورِ جِنازَةً	فاعْلَمْ بأنَّك بعدَها مَحْمُولُ

٣٥٧٣ - ولآخر:

وتَعُدُّ كَثْرَةَ مَنْ يَموتُ تَعَجُّباً	عَمَّا قَليلٍ سوفَ تَدْخُلُ في العَدَدْ
وأراكَ تَحمِلُهُمْ ولَسْتَ تَرُدُّهُمْ	وكأنَّني بكَ قدْ حُمِلْتَ ولَمْ تُرَدْ[٢]

٣٥٧٤ - ورُوِيَ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: كان أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ مِنْ أفاضلِ الناسِ، وكان يقولُ: لو أنِّي أكونُ أبداً كما أنا على أحوالٍ ثلاثٍ لكنتُ خيْرَ الناسِ: حينَ أقرأُ القرآنَ وأسمَعُه يُقرَأُ، وحين أسمعُ خُطبةَ رسولِ الله ﷺ وحين أشهدُ الجنائزَ. ما شهدتُ جنازةً قطُّ فحدَّثتُ نفسي إلا بما هو مفعولٌ بها، وما هي صائِرةٌ إليه[٣].

٣٥٧٥ - ورُوِيَ أنَّ فاطمةَ بنتَ الحُسينِ نظرت إلى جِنازة زوجِها الحسنِ بنِ الحسنِ، فغطَّتْ وجهَها، وقالت:

---

(١) حديث مرفوع، رواه البخاري (١٣١٤).

(٢) تقدم برقم (٢٧٨٧).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٤٣)، ومن طريقه أحمد ٣٥٢/٤. وأورده الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٠/٩، وقال عن إسناده: رجاله وثِّقوا.

وكـانـوا رجـاءً لـي فـأَمْـسَـوْا رَزِيَّـةً ... لقدْ عَـظُـمَـتْ تـلـك الـرَّزايا وجَـلَّـتِ

٣٥٧٦ ـ وقيل: إنَّها ضربتْ على قبْرِه فُسطاطاً، واعتكفت سنةً، فلمَّا مضتِ السنةُ، قلعُوا الفُسطاطَ، ودخلتِ المدينةَ، فسمِعُوا صوتاً مِنْ جانبِ البقيع يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فسمعوا مِنَ الجانبِ الآخرِ قائلاً يقول: بل يئِسُوا فانقلبوا.

٣٥٧٧ ـ وقال أبو عَمرو بنِ العلاءِ: جلستُ إلى جريرٍ وهو يُملي على كاتِبِه شعراً، فطَلَعت جِنازةٌ، فأمسك وقال: شيَّبَتْني والله هذه الجنائزُ، وأنشأ يقول:

تُـرَوِّعُـنـا الـجـنـائِـزُ مُـقْـبِـلاتٍ ... ونَـلْـهُـو حـيـن تـذهَـبُ مُـدْبِـراتِ

كَـرَوْعَـةِ ثُـلَّـةٍ لِـمَـغَـارِ ذِئْـبٍ ... فـلَـمَّـا غـابَ عـادَتْ راتِـعـاتِ

٣٥٧٨ ـ وقال أبو موسى التَّميميُّ: تُوفِّيتِ النَّوارُ امرأةُ الفَرزدقِ، فخرج في جِنازتِها وُجوهُ البصرةِ، وخرج فيهمُ الحسنُ، فقال له الحسنُ: يا أبا فراسٍ، ما أعدَدتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادةُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له منذُ ستينَ سنةً. فلمَّا دُفِنَتْ قام الفرزدقُ على قبْرِها، وقال:

أخافُ وراءَ الـقَـبْـرِ إنْ لا يُـعَـافِـنِـي ... أَشَـدَّ مِـنَ الـقَـبْـرِ الـتِـهـاباً وأَضْـيَـقَـا

إذا جـاءَنـي يَـوْمَ الـقِـيـامَـةِ قـائِـدٌ ... عَـنِـيـفٌ وسَـوَّاقٌ يَـسُـوقُ الـفَـرَزْدَقَـا

لـقـدْ خـابَ مِـنْ اولادِ آدَمَ مَـنْ مَـشـى ... إلـى الـنَّـارِ مَـغْـلُـولَ الـقِـلادَةِ أَزْرَقَـا

* * *

٢٢٠ ـ فقد الأحبة

٣٥٧٩ ـ وروى يونس عن الحسن، قال: تراآى مَلَكُ الموتِ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له موسى: يا مَلَكَ الموتِ، ما يحمِلُك على أنْ تأتِيَ أهلَ البيتِ ليس لهم إلا واحدٌ فتختلسُه مِنْ بينهم؟ فقال: ما أنا أعلمَ بذلك

منك؛ إنِّي لقائمٌ تحتَ العرش، تلقى إليَّ الصِّكاكُ: اقبِضْ فلاناً، اقبض فلاناً.

٣٥٨٠ ـ ورُوِيَ أنَّ أبا بكر الصديق دخل على النبي ﷺ وهو مُسَجَّى، فكشف عنه الثوبَ، وقال: بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله، طِبْتَ حيّاً وميْتاً، وانقطع لموتِك ما لم ينقطعْ لموتِ أحدٍ مِنَ الأنبياءِ مِنَ النُّبوَّةِ، فعَظُمْتَ عنِ الصِّفةِ، وجَلَلْتَ عنِ البُكاءِ، وخَصصت حتى صرتَ مسلاةً، وعَمَّمت حتى صرنا فيك سواءً، ولولا أنَّ موتَك كان اختياراً، لَجُدْنا لموتِك بالنفوس، ولولا أنَّك نَهيتَ عنِ البكاءِ، لأنفدْنا عليك ماءَ الشؤون، فأمَّا ما لا نستطيعُ دفعَه عنا، فكَمَدٌ وحزن يتحالفان ولا يَبْرحان. اللَّهُمَّ فأبلِغْه عنَّا السلامَ، اذكرنا يا محمد عند ربِّك، ولنكنْ مِنْ بالك[١].

٣٥٨١ ـ وقال عمر بن الخطابِ: ما هبَّتِ الصَّبا إلا بكيتُ على أخي زيدٍ. وكان إذا لقي مُتَمِّمَ بنَ نُوَيْرَةَ يستنشدُه، فينشِدُه في أخيه:

وكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقبةً ... لِطُولِ اجْتِماعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا
فلَمَّا تَفَرَّقْنا كأنِّي ومالِكاً ... مِنَ الدَّهْرِ حتى قيلَ لنْ يَتَصَدَّعا

وكان مالكٌ قتَلَه خالدُ بنُ الوليد باليمامةِ في الرِّدَّةِ، وبها قُتِلَ زيدُ بنُ الخطَّابِ.

٣٥٨٢ ـ وقال عمر بن الخطاب لِمُتَمِّم: لوَدِدْتُ أنَّك رثيتَ أخي بمثلِ ما رثيتَ أخاك به، فقال: يا أبا حفصٍ، لو أعلمُ أنَّ أخي صارَ حيثُ صار أخوك ما رثيتُه، فقال عمر: ما عزَّاني أحدٌ بمثلِ تعزيتِك.

---

(١) لم أجد هذا الأثر فيما بين يدي من المصادر، وما أظنه يصح. وفي آخره عبارة منكرة غاية النكارة، وهي: «اذكرنا يا محمد عند ربك»، وفيها ما فيها من دعاء الأموات والاستغاثة بهم، والصدِّيق رضي الله عنه منزّه عن مثل هذه الشركيات، والله المستعان.

٣٥٨٣ ـ وروى مالك، قال: بلغَني أنَّ امرأتينِ أتتا عيسى ابنَ مريمَ، فقالتا له: ادْعُ اللَّهَ لنا أنْ يُخرجَ أبانا؛ فإنَّ أبانا هلك ونحن غائبتان عنه، فقال: تعرفان قبْرَه؟ فقالتا: نعم، فذهب معهما، فأتيا قبْراً، قالتا: هذا هو، فدعا فأُخرجَ لهما، فإذا هو ليس به، فدعا فرُدَّ، ثم دلَّتا على قبْرٍ آخرَ، فدعا اللَّهَ أنْ يُحيِيَه فأُخرج، فإذا هو هو، فالتَزَمَتاه وسلَّمتا عليه، وقالتا: يا نَبِيَّ اللَّهِ، يا مُعلِّمَ الخيْرِ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يُبقِيَه معنا، فقال: وكيف أدعو اللَّهَ له ولم يبقَ له مِنْ رزقٍ يعيشُ به؟.

٣٥٨٤ ـ وقال رِفاعةُ بن إياسٍ الضَّبِّيُّ: حدَّثني إسحاقُ عن أبيه أنَّه أتى الحارثَ يُواسيه على أُمِّه، فرآه يبكي، فقال: يا سبحان اللَّه! أتبكي وأنت فقيهُ الناسِ وعالمهم يا أبا عمرو؟ فقال: وكيف لا أبكي على بابٍ مِنْ أبوابِ الجنَّةِ، كنتُ أغدو عليه وأروحُ، فأُغْلِقَ عنِّي؟.

٣٥٨٥ ـ وقيل للخنساءِ: لِمَ عَمَشَتْ عيناك؟ قالت: مِنْ طُولِ البُكاء على ساداتِ مُضَرَ، قيل لها: فإنَّهم في النارِ، فقالت: فذلك واللهِ أطولُ لعويلي عليهم.

٣٥٨٦ ـ وبكى الحسنُ على أخيه سعيدٍ سنةً، فقيل له: يا أبا سعيدٍ، أكثَرتَ، فقال: الحمد لله الذي لم يجعلْ بكاءَ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ على ابنه حتَّى ابيضَّتْ عيناه مِنَ الحزن عاراً، فرحِمَ الله سعيداً وتجاوز عنه في أصحاب الجنةِ وعْدَ الصِّدقِ الذي كانوا يوعدون.

٣٥٨٧ ـ ورُوِيَ أنَّ لقمانَ قدمَ مِنْ سفرٍ، فلقي غلامَه، فسأله عن أبيه، فقال: مات، فقال: الحمد للّهِ، ملكتُ نفسي. ثم سأله عن أمِّه، فقال: ماتت، فقال: الحمدُ للّهِ، ذهب هَمِّي. ثم سأله عن أُختِه، فقال: ماتت، فقال: الحمد لله الذي ستر عورتي. ثم سأله عنِ امرأته، فقال: ماتت: فقال: الحمد لله، جُدِّدَ فِراشي. ثم سأله عن أخيه، فقال: مات، فقال: انقطع ظهري.

٣٥٨٨ ـ وللبيدِ بنِ ربيعةَ:

تَمَنَّى ابنتايَ أنْ يعيشَ أبوهُما ... وهل أنا إلا مِنْ رَبيعَةَ أو مُضَرْ
فإنْ حانَ يوماً أنْ يَموتَ أبوكُما ... فلا تَخْمِشَا وجْهاً ولا تَحْلِقَا شَعَرْ
وقُولا هو المرءُ الذي لا خَليلَهُ ... أضاعَ ولا خانَ الصَّديقَ ولا غَدَرْ
إلى الحَوْلِ ثم اسْمُ السَّلامِ عليكُما ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقَدِ اعتَذَرْ

٣٥٨٩ ـ ولآخرَ:

أفي كلِّ يَوْمٍ لي صَديقٌ مُوَدِّعٌ ... لقدْ خِفْتُ أنْ أبقَى بغَيْرِ صَديقِ
ولا بُدَّ يَوماً أنْ تَجيءَ مَنِيَّتي ... ويُفْرَدُ مِنِّي صاحبي ورفيقي

٣٥٩٠ ـ ورُوِيَ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ لَمَّا رأى فاطمةَ ﷺ مُسَجَّاةً بثوبِها، بكى حتَّى رُثِيَ له، ثم قال:

لكلِّ اجتِماعٍ مِنْ خَليلَيْن فُرْقَةٌ ... وإنَّ الذي دُونَ المماتِ قَليلُ
وإنَّ افتِقادي واحداً بعدَ واحدٍ ... دليلٌ على ألا يَدُومَ خَليلُ

٣٥٩١ ـ ولآخرَ:

ألا أيُّها الموتُ الذي ليسَ تاركي ... أَرِحْنِي فقدْ أَفْنَيْتَ كلَّ خَليلِ
أراكَ بَصِيراً بالَّذينَ أُحِبُّهُمْ ... كأنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَليلِ

٣٥٩٢ ـ ورُوِيَ أنَّ عائشةَ ﷺ وقفت على قبْرِ أخيها عبدِ الرحمن بن أبي بكر، وكان شقيقَها، فتمثَّلت ببيْتَي مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ:

وكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقبةً ... مِنَ الدَّهْرِ حتى قيلَ لنْ يَتَصَدَّعا
فلَمَّا تَفَرَّقْنا كأنِّي ومالِكاً ... لِطُولِ اجْتِماعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

ثم قالت: أمَا واللهِ لو حضرتُك لدفنتُك حيث مِتَّ، ولو شهدتُك ما زُرتُك[١].

---

(١) انظر سنن الترمذي (١٠٥٥).

٣٥٩٣ ـ ورُوِيَ عن سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ أنَّه قال عند موت ابنِه أيوبَ لعمرَ بنِ عبد العزيز ورجاءِ بنِ حَيْوَةَ: إنِّي لأجِدُ في كبدي جمرةً لا تُطفيها إلا عَبْرةٌ، فقال عمرُ: اذكُرِ الله يا أمير المؤمنينَ، وعليك بالصبْرِ. فنظر إلى رجاءِ بنِ حَيْوَةَ كالمستريحِ إلى مَشُورتِه، فقال رجاءٌ: أَفِضْهَا يا أمير المؤمنين، فما بذلك مِنْ بأسٍ، فقد دمَعَتْ عينا رسولِ الله ﷺ على ابنِه إبراهيمَ، وقال: **«العينُ تدمعُ، والقلبُ يحزنُ، ولا نقولُ ما يُسْخِطُ الرَّبَّ، وإنَّا بك يا إبراهيمُ لمحزونون»**(١). فأرسل سليمانُ عينيه، فبكى حتى قضى أرباً، ثم أقبل عليهما، فقال: لو لم أنزِفْ هذه العَبْرةَ لانصدعَتْ كبِدي، ثم لم يبكِ بعدَها، لكنَّه تمثَّلَ عندَ قبْرِه لَمَّا دفَنَه وحثا على قبْرِه الترابَ، وقال: يا غلامُ، دابَّتي. ثم التفتَ إلى قبْرِه، فقال:

وقفتُ على قبْرٍ مُقيمٍ بِقَفْرَةٍ ... مَتاعٌ قليلٌ مِنْ حَبيبٍ مُفارِقِ

٣٥٩٤ ـ وعوتبت عائشة ﵂ على كثرةِ بكائِها على أخيها عبدالرحمن، فقالت: ما ترَوْنَ أكبادَنا إلا مِثْلَ أكبادِ الإبلِ.

٣٥٩٥ ـ وللمُقَنَّعِ الكِنْديِّ:

ألا قد أرى أنَّ الثَّواءَ قليلُ ... وأنْ ليسَ يبقى للخليلِ خليلُ
وإنِّي وإنْ مُلِّيتُ في العيشِ حِقْبَةً ... لَدَى سَفَرٍ قد حانَ فيه رَحِيلُ

٣٥٩٦ ـ ولما مات ذَرُّ بنُ عمر، قال أبوه عُمرُ بنُ ذَرٍّ بعدَما وُضِعَ في قبْرِه: يا ذَرُّ، لقد شَغَلَنا الحُزنُ بك على الحُزنِ عليك، فليتَ شعري ماذا قلتَ؟ وماذا قيل لك؟ ثم قال: إنَّ هذا ذَرٌّ، مَتَّعتَني به ما مَتَّعْتَني، ووَفَّيْتَه مِنْ أجَلِه ورِزْقِه ولم تَظْلِمه. اللَّهُمَّ وقد كنتَ ألزمتَه طاعتَك وطاعتي، وإنِّي قد وهبتُ له ما فرَّطَ فيه مِنْ حقِّي، فهبْ له ما قصَّرَ فيه مِنْ طاعتِك

---

(١) انظر ما تقدم برقم (٣٥٤١).

وطاعتي، اللَّهُمَّ وما وعدتَني عليه مِنَ الأجرِ في مُصيبتي، فقد وهبتُ له ذلك، فهبْ لي عذابَه ولا تُعذِّبْه. فأبكى الناسَ. ثم قال عند انصرافِه: ما علينا بعدَك مِنْ خَصاصَةٍ يا ذَرُّ، وما بنا إلى إنسانٍ معَ اللَّهِ حاجةٌ، فلقد مَضينا فتركناك، ولو أقمنا فما نفعناك.

٣٥٩٧ ـ ولأبي العتاهية:

نحنُ في دارٍ يُخَبِّرُنَا ... بِبَلاها ناطِقٌ لَسِنُ
دارُ لَهْوٍ لَمْ يَدُمْ فَرَحٌ ... لامْرِئٍ فيها ولا حَزَنُ
سَكَنٌ يَبْقَى له سَكَنٌ ... ما بِهذا يُؤْذِنُ الزَّمَنُ
في سبيلِ اللَّهِ أنْفُسُنَا ... كُلُّنا بالموتِ مُرْتَهَنُ

٣٥٩٨ ـ وقال بعضُ بني ضَبَّةَ، وتمثَّل بها عليٌّ ﷺ عند دفنِ فاطمةَ ﵂.

أقولُ وقد فاضَتْ دُموعِيَ حَسْرَةً ... أرى الأرضَ تَبقى والأخِلاءُ تذهبُ
أخِلاءُ لو غَيْرُ الحِمامِ أَصَابَكُمْ ... جَزِعْتُ ولكنْ ما على الموت مُعْتِبُ

٣٥٩٩ ـ ولبعضِهم:

لا يُبْعِدُ اللَّهُ فِتياناً رُزِئْتُهُمُ ... رُزْءَ الغُصونِ وفيها الماءُ والوَرَقُ
إنْ يَبْعُدوا اليومَ عن داري فإنَّهُمُ ... جِيرانُ قَلْبِي أقاموا بعدَما انطَلَقُوا
بانُوا فكُلُّ نَعيمٍ بعدَهُم كَمَدٌ ... باقٍ وكُلُّ سِياغٍ بعدَهُمْ شَرَقُ
هذا الغرامُ دُموعي في مَسالِكِهَا ... عليهم وأضَلَّتْ صَبْرِيَ الطُّرُقُ
أراكَ تَجْزَعُ لِلْقَوْمِ الذينَ مَضَوْا ... فهلْ أَمِنْتَ على القَوْمِ الذينَ بَقُوا

٣٦٠٠ ـ ولآخر:

ألا إنَّمَا الدنيا غَضارَةُ أَيْكَةٍ ... إذا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جَفَّ جانِبُ
فما هذه الأيامُ إلا فَجائِعٌ ... وما هذه الآمالُ إلا مَصائِبُ

فلا تَكْتَحِلْ عيناكَ فيها بِعَبْرَةٍ على ذاهبٍ منها فإنَّك ذاهِبُ
إذا أنتَ فارقْتَ الحَبيبَ لِمِيتَةٍ وأوْدَى فما تُغْني الدُّموعُ السَّواكِبُ

٣٦٠١ ـ ولمحمد بن المولى:

فلا تَجْزَعَنْ لِلْبَيْنِ كلُّ جَماعةٍ وجِدُّكَ مكتوبٌ عليها التَّفَرُّقُ
وخُذْ بالتَّعَزِّي كُلَّ ما أنتَ لابِسٌ جَديداً على الأيَّامِ يَبْلَى ويَخْلَقُ
فصَبْرُ الفَتَى عمَّا تَوَلَّى وفاتَهَ مِنَ الأمْرِ أولى بالسَّدادِ وأوْفَقُ
فإنَّكَ بالإشْفاقِ لا تَدْفَعُ الرَّدَى ولا الخَيْرَ مَخْلُوفٌ فما لك تُشْفِقُ

٣٦٠٢ ـ وقيلَ لِمُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ: ما بلغَ مِنْ وَجْدِكَ على أخيك؟ فقال: أُصِبتُ بإحدى عينَيَّ، فما قَطرتْ منها قطرةٌ عشرينَ سنةً، فلمَّا قُتِلَ أخي استهلَّتْ فما تَرْقي.

٣٦٠٣ ـ قال الأصمعيُّ: حجَّتِ امرأةٌ ومعها ابنٌ لها، فأُصيبتْ به، فلمَّا دُفِنَ قامت على قبْرِه وهي مُوجَعةٌ، فقالت: والله لقد غَذَوتُك رضيعاً، وفقدتُك سريعاً، وكأنَّه لم يكن بين الحالتين مُدَّةٌ ألتَذُّ بعيشِك فيها. أيْ بُنَيَّ، أسفَرَ لي عن وجه الدنيا صباحٌ داجٍ ظلامُه. ثم قالت: أيْ ربِّ، منك العدلُ، ومِنْ خلقِكَ الجُورُ، وهبتَ لي قُرَّةَ عيْنٍ، فلم تُمَتِّعْني به كثيراً، بل سلبْتَنيه وشيكاً، ثم أمرْتَني بالصبْر، ووعدْتَني عليه الأجرَ، فصدَّقتُ وعدَك، ورضِيتُ قضاءَك، فرحمَ اللَّهُ مَنْ ترَحَّمَ على مَنِ استودعتُه الرَّدْمَ، ووسَّدْتُه الثَّرى. اللَّهُمَّ ارحمْ غُربتَه، واستُرْ عورتَه، يومَ تُكْشَفُ الهَناتُ والسَّوْآتُ. فلمَّا أرادتِ الخروجَ إلى أهلها، وقفت على قبْرِه، وقالت له: أيْ بُنَيَّ، إنِّي قد تزودتُ للسفرِ، فليتَ شِعري، فما زادُك لبُعْدِ طريقِك ويوم مَعادِك؟ اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك الرِّضى له برِضاي عنه، ثم قالت: استودَعتُك مَنِ استَوْدَعنيك في أحشائي جَنيناً. يا ثُكْلَ الوالداتِ ما أقَلَّ أُنْسُهُنَّ، وأشَدَّ وَحْشَتهن. ثم صلَّت على قبْرِه ركعاتٍ، ثم انصرفت.

٣٦٠٤ - ولبعض الشعراء:

أَثَّـرَ الـدَّهْـرُ فـي رِجـالٍ قَـفَـلُـوا بعدَ جَمْعٍ فَراحَ عَظْمِي مَهِيضَا
مـا تَـذَكَّـرْتُـهُـم فـتَـمْـلِـكُ عَـيْـنـي فـيض غَرْبٍ وحُقَّ لي أَنْ تَفِيضَا

٣٦٠٥ - ويُروى أنَّ يزيدَ بنَ عبدِ الملك قال يوماً: إنَّ الدُّنيا لم تَصْفُ لأحدٍ يوماً قطُّ، فإذا خلوتُ يومي هذا، فاطْوُوا عنِّي الأخبارَ، ودعوني وما خلوتُ له. ثم خلا بِحَبَّابَةَ، فكان معها في أطيبِ عيشٍ، فتناولت حَبَّابَةُ حبَّةَ رمَّانٍ، فشَرِقَتْ بها فماتتْ، فجَزِعَ يزيدُ جَزعاً شديداً أذهلَه، ومنع مِنْ دفنِها، فقال له مشايخُ بني أُمَيَّةَ: إنَّ هذا عيبٌ لا يُستقالُ، وإنَّما هذه جِيفةٌ، فأَذِنَ في دفنِها، وتبعَ جِنازتَها، فلمَّا واراها قال: أمسيتُ والله كما قال كُثَيِّرٌ:

فإِنْ تَسْلُ عنكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعِ الهَوَى فبِالْيَأْسِ تَسْلُو النَّفْسُ لا بالتَّجَلُّدِ
وكُـلُّ خَـلِـيـلٌ زارَنـي فـهـو قـائِـلٌ لَـعَـمْـرُكَ هـذا هـامَـةُ الـيـومِ أو غـدِ

فعُدَّ بينهما خمسةَ عشر يوماً.

٣٦٠٦ - ولأبي ذُؤَيبٍ الهُذَلِيِّ:

أَمِـنَ الـمـنـونِ ورَيْـبِـهِ تَـتَـوَجَّـعُ والدَّهْرُ ليس بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قـالـت أُمَيْمَةُ ما لِجِسْمِكَ شاحِباً مـنـذُ ابْـتُـلِـيـتَ ومِثْلُ ذلك يَنْفَعُ
أَوَمَا لِجِسْمِكَ ما يُلائِمُ مَضْجَعاً إلا أَقَضَّ عـلـيـك ذاك الـمَـضْـجَـعُ
فـأَجَـبْـتُـهـا أَمَّـا فَـجِـسْـمِـي إِنَّـهُ أَوْدَى بَـنِـيَّ مِـنَ الـبِـلادِ فَـوَدَّعُـوا
أَوْدَى بَـنِـيَّ فـأَعْـقَـبـونـي حَـسْـرَةً بَـعْـدَ الـرُّقـادِ وعَـبْـرَةً مـا تُـقْـلِـعُ
ولَـقَـدْ أَرَى أَنَّ الـبُـكـاءَ سَـفَـاهَـةٌ ولَسَوْفَ يُولَعُ بالبُكا مَنْ يُفْجَعُ
سَبَقُوا هَوايَ وأَعْنَقُوا لِسَبِيلِهِمْ فـتَـخَـرَّمُوا ولِـكُـلِّ جَـنْـبٍ مَـصْـرَعُ
فَـغَـبَـرْتُ بَـعْـدَهُـمْ بِـعَـيْـشٍ نـاصِـبٍ وإِخـالُ أَنِّـي لاحِـقٌ مُـسْـتَـتْـبَـعُ
ولَـقَـدْ حَـرَصْـتُ بـأَنْ أُدافِـعَ عَـنْـهُـمُ فـإذا الـمَـنِـيَّـةُ أَقْـبَـلَـتْ لا تُـدْفَـعُ

وإذا المَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أَظْفارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ
ولَئِنْ بِهِمُ فَجَعَ الزَّمانُ ورَيْبُهُ ... إنِّي بأَهْلِ مَوَدَّتي لَمُفَجَّعُ

٣٦٠٧ ـ وللعَتَّابِيِّ:

قلتُ لِلْفَرْقَدَيْنِ والَّليْلُ مُلْقِ ... سُودَ أكْنافِهِ على الآفاقِ
ابْقَيا ما بَقِيتُما سَوْفَ يُرْمَى ... بيْنَ شَخْصَيْكُما بِسَهْمِ الفِراقِ
غُرَّ مَنْ ظَنَّ أنْ يَفُوتَ المنايا ... وعُراها قلائِدُ الأعناقِ
كم صَفِيَّيْنِ مُتِّعا باتِّفاقِ ... ثم صارا لِغُرْبَةٍ وافْتِراقِ
لا يدومُ البَقاءُ لِلْخَلْقِ لكنْ ... دَوامُ البَقاءِ لِلْخَلاقِ

٣٦٠٨ ـ وأنشد جَحْظَةُ:

لا يُبْعِدُ اللَّهُ إخواناً لنا سَلَفُوا ... أفْناهُمْ حدَثانُ الدَّهْرِ والأَبَدُ
نُمِدُّهُمْ كُلَّ يَوم مِنْ بَقِيَّتِنا ... ولا يَؤُوبُ إلينا مِنْهُمُ أَحَدُ

٣٦٠٩ ـ وللبيدِ بنِ ربيعةَ العامريِّ رحمه الله عليه:

أَعاذِلُ ما يُدْرِيكَ إلا تَظَنِّيا ... إذا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هو راجِعُ
أَتَجْزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ لِلْفَتَى ... وأيُّ كريم لم تُصِبْهُ القَوارِعُ
لَعَمْرُكَ ما تدري الضَّوارِبُ بالْحَصَى ... ولا زاجِراتُ الطَّيْرِ ما اللَّهُ صانِعُ
وما المرْءُ إلا كالشِّهابِ وضَوْؤُهُ ... يَحورُ رَمَاداً بعدَ إذْ هو ساطِعُ
وما البِرُّ إلا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التُّقَى ... وما المالُ إلا مُعْمَراتٌ ودائِعُ

٣٦١٠ ـ قال سُحنونُ: سمعتُ ابنَ وهبٍ يقول: لَمَّا ماتَ ابنُ القاسم أخي وصاحبي في هذا المسجد منذُ أربعين سنةً، ما رُحْتُ رواحاً، ولا غدوتُ غُدُوّاً قطُّ إلى هذا المسجد مسجدِ الفُسطاطِ، أُريدُ أنْ أُسِرَّ به نفسي، إلا وجدتُه قد سبقني إليه.

* * *

٢٢١ ـ ما جاء في المراثي

٣٦١١ ـ رُوِيَ أنَّه لما تُوفي رسولُ الله ﷺ ودُفِنَ، ورجع المهاجرون والأنصار إلى رِحالِهم، ورجعت فاطمةُ رضي الله عنها إلى بيتها، اجتمع إليها نساؤها، فقالت:

اغْبَرَّ آفاقُ السَّماءِ وكُوِّرَتْ ... شَمْسُ النَّهارِ وأظْلَمَ العَصرانِ
فالأرضُ مِنْ بعدِ النَّبِيِّ كَئيبةٌ ... أَسَفاً عليه كَثيرةُ الرَّجَفانِ
فَلْيَبْكِهِ شَرْقُ البِلادِ وغَرْبُهَا ... وَلْيَبْكِهِ مُضَرٌ وكُلُّ يَمَانِ
وَلْيَبْكَهِ الطَّوْدُ المُعَظَّمُ جَوُّهُ ... والبَيْتُ ذو الأَسْتارِ والأرْكانِ
يا خاتَمَ الرُّسْلِ المبارَكُ قَبْرُهُ ... صلَّى عليك مُنَزِّلُ الفُرْقانِ

٣٦١٢ ـ ولصفيةَ بنتِ عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ:

ألا يا رسولَ اللَّهِ كنتَ رجاءَنا ... وكنتَ بنا بَرّاً ولم تَكُ جافِيَا
وكنتَ رحيماً هادياً ومُعلِّماً ... لِيَبْكِ عليك اليومَ مَنْ كان باكِيَا
لَعَمْرُكَ ما أبكي النبيَّ لفقدِهِ ... ولكنْ لِما أخشى مِنَ الهَرْجِ آتِيَا
كأنَّ على قلبي لذكرِ محمدٍ ... وما خِفْتُ مِنْ بَعْدِ النبيِّ المكاوِيَا
أفاطِمُ صلَّى اللَّهُ ربُّ محمدٍ ... على جَدَثٍ أمسى بيثرِبَ ثاوِيَا
فِدىً لرسولِ اللَّهِ أُمي وخالتي ... وعمِّي وإيَّايَ ونفسي ومالِيَا
صدقتَ وبلَّغْتَ الرسالةَ صادِقاً ... ومُتَّ صَلِيبَ العُودِ أبْلَجَ صافِيَا
فلو أنَّ ربَّ الناسِ أبقى نبيَّنا ... سَعِدْنَا ولكنْ أمرُه كان ماضِيَا
عليكَ مِنَ اللَّهِ السَّلامُ تَحِيَّةً ... وأُدْخِلْتَ جَنَّاتٍ مِنَ العَدْنِ راضِيَا
أرى حَسَناً أيتَمْتَه وتركتَهُ ... يُبَكِّي ويدعو جدَّهُ اليومَ نائِيَا

٣٦١٣ ـ ولأبي سفيان بن الحارث يرثي رسولَ الله ﷺ:

وأسْعَدَني البُكاءُ وذاك فيما ... أصيبَ المسلمونَ به قليلُ
لقد عَظُمَتْ مُصيبتُنا وجلَّتْ ... عَشِيَّةَ قيلَ قد قُبِضَ الرسولُ

وأصبح أرضُنا مِمَّا عراها تكادُ بنا جوانِبُها تزولُ
فقدْنا الوحيَ والتَّنْزيلَ فينا يروحُ به ويغدو جبْرَئيلُ
وذاك أَحَقُّ ما سالتْ عليه نفوسُ الناس أو كَرَبَتْ تسيلُ
نبيٌّ كان يَجْلو الشَّكَّ عنَّا بما يُوحَى إليه وبما يقولُ
ويهدينا فلا نَخشى ضلالاً علينا والرسولُ لنا دليلُ
أَفاطِمُ إنْ جَزِعْتِ فذاكَ عُذْرٌ وإنْ لم تَجْزَعي ذاك السَّبيلُ[1]

٣٦١٤ ـ ورُوِيَ أنَّه لَمَّا مات عاصمُ بنُ عمر وعبدُ اللَّه بن عمرَ غائبٌ، فلمَّا قدِمَ وقف على قبْرِه، وقال:

فإنْ تَكُ أحزانٌ وفائِضُ عَبْرَةٍ جَرَيْنَ دَمَاً مِنْ داخِلِ الجَوْفِ مُنْقَعَا
تَجَرَّعْتُها في عاصمٍ واحْتَسَيْتُهَا فأعظَمُ منها احتَسَى وتَجرَّعَا
فليتَ المنايا كُنَّ خَلَّفْنَ عاصِمَاً فعِشْنَا جَميعاً أو ذَهَبْنَ بنا مَعَا
دَفَعْتُ بك الأيامَ حتَّى إذا أَتَتْ تُريدُكَ لم نسطِعْ لها عنكَ مَدْفَعَا

٣٦١٥ ـ ولَمَّا رجع عليٌّ ﷺ مِنْ صِفِّينَ، فدخل أوائلَ الكوفةِ، فإذا قبْرٌ، فقال: مَنْ هذا؟ قيل: خَبَّابُ بنُ الأرَتِّ، فوقف عليه، وقال: رحمَ الله خَبَّاباً؛ أسلم راغِبَاً، وهاجرَ طائعاً، وعاش مجاهداً، ولن يُضيعَ اللَّهُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً[2].

٣٦١٦ ـ ولَمَّا تُوفِّيَ الحسنُ بنُ عليٍّ، أدخله قبْرَه الحسيْن ومحمدُ بن الحنَفِيَّةِ وعبد اللَّه بن عباس، ثم وقف محمدٌ على قبْرِه وقد اغرُورقتْ عيناه، فقال: رحمة الله عليك أبا محمد، فلَئِنْ عَزّت حياتُك، لقد هدَّتْ وفاتُك. ولَنِعْمَ الرُّوحُ رُوحٌ تضمَّنَه بدنُك، ولَنِعْمَ الجسد جسدٌ تضمَّنَه كفنُك، ولَنعمَ الكفنُ كفنٌ تضمَّنه لَحْدُك. وكيف لا يكون ذلك وأنت خلفُ التُّقَى،

---

(١) تقدمت برقم (٤٤٢).
(٢) سيورده المصنف برقم (٣٦٩٣) وفيه زيادة.

وجَدُّك المصطفى، وأبوك عليٌّ المرتضى، وأمُّك فاطمةُ الزهراء، وعمُّك جعفرٌ الطيارُ في جنةِ المأوى. غَذَتْك أكُفُّ الحقِّ، ورُبِّيتَ في حجرِ الإسلام، ورضعتَ ثديَ الإيمانِ، فطِبْتَ حيَّاً وطِبْتَ ميتاً. فلَئِنْ كانتِ الأنفس غيْرَ طيِّبَةٍ بفراقِك، فإنَّها غيْرُ شاكَّةٍ أنَّه قد خِيْرَ لك، وإنك وأخاك سيدا شبابِ أهلِ الجنةِ، فعليك السلام منا.

٣٦١٧ - ولكعب بن مالكٍ يرثي حمزةَ، وقيل: هي لعبد اللَّه بن رَواحةَ:

بكتْ عيني وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغني البُكاءُ ولا العَويلُ
على أسدِ الإلهِ غَداةَ قالوا ... لحمزةَ ذاكمُ الرجلُ القتيلُ
أُصيبَ المسلمونَ به جميعاً ... هناك وقد أُصيبَ به الرسولُ
عليك سلامُ ربِّك في جِنانٍ ... يُخالِطُها نَعيمٌ لا يزولُ
أبا يعلى لك الأركانُ هُدَّتْ ... وأنتَ الماجِدُ البَرُّ الوَصُولُ

٣٦١٨ - ولَمَّا تُوفِّيَ ذرُّ بنُ عمر، دخل عليه أبوه وهم يبكون، فقال: ما لكم؟ والله ما ظُلِمنا ولا قُهرنا، ولا ذُهِبَ لنا بحقٍّ. فلمَّا وُضِعَ في لحدِه، قال: والله لولا هَوْلُ المطلعِ، لتَمنَّيْنا ما صرتَ إليه، ولشِئنا اللَّحاقَ بك، اللَّهُمَّ لا تُعَرِّفْه قَبيحاً، وتَجاوزْ عنه بالحسنى، فإنَّك أرحمُ الراحمين، وأرحم بي وبه، اللَّهُمَّ قد وهب أبو ذرٍّ لذَرٍّ إحسانَه، فهب لي إساءَته، إنَّك أولى وأوسعُ فضلاً وأكرم.

٣٦١٩ - ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضوان الله عليه، بينما هو في بعض نواحي المدينة، إذْ لقيَ أعرابياً، فقال له: مِنْ أين أقبلتَ؟ قال: من عند وديعةٍ لي في هذا الجبل، قال: وما وديعتُك؟ قال: بُنَيٌّ لي دفنتُه منذ سنةٍ، فأنا في كل يومٍ أزورُه وأندُبُه، فقال له عمر: أسمِعني بعضَ ذلك، فقال:

يا غائباً ما يَؤُوبُ مِنْ سَفَرِهْ ... عاجَلَهُ موتُه على صِغَرِهْ
يا قُرَّةَ العَيْنِ كنتَ لي سَكَناً ... في طُولِ لَيلي وفي قِصَرِهْ

مـا تـقـعُ الـعَـيْـنُ أيـنَـمـا وقـعـتْ فـي الـحَـيِّ مِـنِّـي إلا عـلـى أثَـرِهْ
شَـرِبْـتَ كـأسـاً أبـوك شـارِبُـهـا لا بُـدَّ لـه يـومـاً عـلـى كِـبَـرِهْ
يـشـرَبُـهـا والأنـامُ كـلُّـهـمُ مَـنْ كـان فـي بَـدْوِهِ وفـي حَـضَـرِهْ
فـالـحـمـدُ لـلّـهِ لا شـريـكَ لـه فـي عِـلْـمِـه كـان ذا وفـي قَـدَرِهْ
قـد قَـسَـمَ الـموتُ فـي الـعـبادِ فـمـا يَـقْـدِرُ خَـلْـقٌ يَـزيـدُ فـي عُـمُـرِهْ

٣٦٢٠ ـ وللتِّهامِيِّ:

أيـا نـعـمـةً حَـلَّـتْ لـديَّ ولـم أكُـنْ نَهضتُ بما للهِ فيها مِنَ الشكرِ
إلـى الله أشـكـو مـا أَجِـنُّ فـإنَّـنـي فقدتُك فقْدَ الماءِ في البلدِ القَفْرِ
على حين حُزْتُ الأربعينَ مُصَوَّباً ولاحتْ نُجومُ الشَّيْبِ في ظُلَمِ الشَّعرِ
ولَمَّا أتى بعدَ المشيبِ عَذَلْتُه بِعَصْرِ الشبابِ الغَضِّ بُورك مِنْ عصرِ
وقلتُ شبابُ ابني شبابي وإنَّما تَنَقَّلَ معنى الشطرُ مِنِّي إلى شَطري
فولَّى كما ولَّى الشَّبابُ كلاهُما حَميداً فَقيداً طَيِّبَ العهدِ والنَّشرِ
وكان كمِثلِ العَنْبَرِ الجُونِ لُبْثُهُ فبانَ وأبْقَى في يدي عَبَقَ العِطْرِ
إذا ما تولَّى ابْني وَوَلَّتْ شَبيبَتي وولَّى عزائي فالسَّلامُ على الدَّهرِ

٣٦٢١ ـ وللشَّمَرْدَلِ يرثي أخاه وائلاً:

لَعَمْري لَئِنْ غالتْ أخي دارُ فُرْقَةٍ وآبَ إلـيـنـا سـيـفُـه ورواحِـلُـهْ
إلى الله أشكو لا إلى الناسِ فقْدَهُ ولَوْعَةَ حُزنٍ أوجَعَ القَلْبَ واجِلُهْ
سَقَى جَدَثاً أعْراقُ غَمْرةَ دُونَه بِهَضْبَةِ كُثْبانِ المُديم ووابِلُهْ
بِمَثْوى قَريبٍ ليس منَّا مَزارُهُ قَريباً ولا ذو الوُدِّ منَّا مُواصِلُهْ
إذا ما أتى يومٌ مِنَ الدَّهْرِ بينَنا فحيَّاكَ منها شَرْقُهُ وأصايِلُهْ
أبَى الصَّبْرُ أنَّ العَيْنَ بعدَك لم تزَلْ يُخالِطُ جَفْنَيْها قَذَىً لا تُزايِلُهْ
وكنتُ أُعيرُ الدَّمْعَ قبلَك مَنْ بكى فأنتَ على مَنْ ماتَ بعدَك شاغِلُهْ
فما البُعْدُ إلا أنَّنا بعدَ صُحْبَةٍ كأنْ لم نُبايِتْ وائِلاً ونُقايِلُهْ

٣٦٢٢ ـ وأنشد المفضَّلُ الضَّبِّيُّ لامرأةٍ من العرب توفي ابنها:

يا عَمْرُو ما لي عليكَ مِنْ صَبْرِ ... يا عَمْرُو واأَسَفى على عَمْرِو
لِلَّهِ عَمْرٌو كانَ أيَّ فَتىً ... كُفِّنْتَ يومَ وُضِعْتَ في القَبْرِ
أحْثُو التُّرابَ على مَفارِقِهِ ... وعلى غَرارَةِ وَجهِهِ النَّضْرِ
رَبَّيْتُهُ دهراً أُفَتِّقُهُ ... في اليُسْرِ أَغْذُوهُ وفي العُسْرِ
حتَّى دَفعتُ به لِمَصْرَعِهِ ... سَوْقَ العَتِيرِ يُساقُ للقَبْرِ
والموتُ يَقْبِضُهُ ويَبْسُطُهُ ... كالثوبِ عندَ الطَّيِّ والنَّشْرِ
ودعا لأَنْصُرَهُ وكنتُ لَهُ ... مِنْ قبلِ ذلك حاضِرَ النَّصْرِ
لو قِيلَ تَفديه به بَذَلْتُ لهُ ... مالي وما جَمعتُ مِنْ وَفْرِ
لا يُبْعِدَنَّكَ اللَّهُ يا عَمْرُو ... أمَّا مَضَيْتَ فنحن في الإثْرِ
هذي سَبيلُ الناسِ كُلِّهِمِ ... لا بدَّ سالكُها على صُغْرِ

٣٦٢٣ ـ وقال أبو خِراشٍ يرثي أخاه عُروةَ:

تقولُ أراهُ بعدَ عُروةَ لاهِياً ... وذلك رُزْءٌ ما عَلِمْتِ جَليلُ
فلا تَحْسَبِي أنِّي تَناسَيْتُ عَهْدَهُ ... ولكنَّ صَبْري يا أُمامُ جَميلُ
أَلَمْ تَعْلَمي أنْ قد تَفَرَّقَ قَبْلَنا ... خَليلا صَفاءٍ مالِكٌ وعَقِيلُ
أَبَى الصَّبْرُ أنِّي لا يَزالُ يُهِيجُني ... مَبِيتٌ لنا في ما مَضَى ومَقِيلُ

ومالكٌ وعقيلٌ اللذان ذكرهُما: نَدْمانا جَذيمَةَ الأَبْرشِ.

٣٦٢٤ ـ ولأبي نواس في الأمين:

طوى الموتُ ما بَيني وبَيْنَ مُحمدٍ ... وليس لِمَا تَطْوي المَنِيَّةُ ناشِرُ
لَئِنْ عُمِّرَتْ دُورٌ بِمَا لا أُحِبُّهُ ... لَقَدْ عُمِّرَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ المقابِرُ
وكنتُ عليه أَحْذَرُ الموتَ وحدَهُ ... فلمْ يَبْقَ لي شَيْءٌ عليه أُحاذِرُ

٣٦٢٥ ـ وللتِّهامِيِّ:

ولا حُزنَ إلا يومَ فارقتُ شخصَهُ ... ورُحْتُ ببعضِ النَّفْسِ والبَعْضُ في القَهْرِ

وأعـلَـمُ أنَّ الـحـادِثـاتِ بِـمَـرْصَـدِ لتَأْخُذَ كُلِّي كما أخَذَتْ شَطْري
فإنْ أبْكِ فالرَّحْمُ القَريبَةُ تَقْتَضِي بُكائي وإنْ أَصْبِرْ فبَقْيَاً على الأَجْرِ
فبي منه ما يُوهِي القُوَى غَيْرَ أنَّني بُنِيتُ كما يُبْنَى الرِّجالُ على الصَّبْرِ

٣٦٢٦ - وللعَتَّابِيِّ في ابنٍ له صغير:

إنْ يَـكُـنْ مـاتَ ابـنـي صَـغِـيـراً فـالأَسَـى غَـيْـرُ صَـغِـيـرِ
كـانَ رَيْـحـانِـي فـأَمْـسَـى وهـو رَيْـحـانُ الـقُـبـورِ
غَـرَسَـتْـهُ فـي بَـسـاتـيـنِ الـبِـلَـى أَيْـدِي الـدُّهُـورِ

٣٦٢٧ - ولليلى الأَخْيَلِيَّة:

وكـلُّ جَـديـدٍ أو شَـبـابٍ إلـى بِـلَـىً وكـلُّ امـرِئٍ يَـومـاً إلـى اللَّـهِ صـائِـرُ
وكـلُّ قَـريـنَـيْ أُلْـفَـةٍ لِـتَـفَـرُّقٍ شَـتـاتٍ وإنْ ضَـنَّـا وطَـالَ الـتَّـعـاشُـرُ

٣٦٢٨ - ومات ابنٌ لأعرابيٍّ فجَزِعَ عليه، فلمَّا أُدخلَ في قبْرِه، أنشأ يقول:

لَـمَّـا مَـلَـى أَعْـيُـنـاً كـانـتْ تُـؤَمِّـلُـهُ وشَـدَّ رُكْـنـي فاشْـتَـدَّتْ به عَـضُـدِي
وقلتُ عَوْنِي على ما كانَ مِنْ زمَني أَلْـبَـسْـتُـهُ مُـكْـرَهـاً أكـفـانَـهُ بِـيـدي
وقـلـتُ أُدْخِـلُـهُ فـي قَـعْـرِ مُـظْـلِـمَـةٍ يـا حُـزْنَ مُـنْـفَـرِدٍ يـبـكـي لِـمُـنْـفَـرِدِ

٣٦٢٩ - ولما مات أبو عيسى ابن الرشيد، وجِدَ عليه المأمونُ، فتمثَّلَ المأمونُ، وقد بكى عليه بكاءً شديداً:

سَأَبْكيكَ ما فاضتْ دُموعي فإنْ تَغِضْ فَـحَـسْـبُـكَ مِـنِّـي ما تُـكِـنُّ الـجَـوانِـحُ
كأَنْ لـم يَـمُـتْ حَـيٌّ سِواكَ ولَـمْ يَـقُـمْ عـلـى أحَـدٍ إلا عـلـيـكَ الـنَّـوائِـحُ

فتمثَّلَ بعضُ الحاضرين بقولِ عَبَدَةَ بنِ الطَّبيبِ:

عـلـيكَ سلامُ اللَّهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ورَحْـمَـتُـهُ مـا شـاءَ أنْ يَـتَـرَحَّـمَـا

تَحِيَّةَ مَنْ أَوْلَيْتَهُ منكَ نِعْمَةً ... إذا زار عَنْ بُعْدٍ بِلادَكَ سَلَّمَا
فما كانَ قيسٌ هُلْكُه هَلْكَ واحِدٍ ... ولكِنَّهُ بُنيانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

٣٦٣٠ - ولمسعود أخي ذي الرمة:

نَعَى الرَّكْبُ أوْفَى حينَ آبَتْ رِكابُهُمْ ... لَعَمْري لقد جاؤوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا
تَسَلَّيْتُ عن أوْفَى بِغَيْلانَ بَعْدَهُ ... عَزاءً وجَفْنُ العَيْنِ بالدَّمْعِ مُتْرَعُ
ولم تُنْسِنِي أوْفَى المُصيباتُ بَعْدَهُ ... ولكنْ بُكاءُ القَرْحِ بالقَرْحِ أوْجَعُ

٣٦٣١ - ولإسماعيلَ بنِ بشَّارٍ يرثي محمدَ بنَ عُروةَ بنِ الزُّبيْرِ:

عِيلَ العَزاءُ وخانَنِي صَبْري ... لَمَّا نَعَى النَّاعي أبا بَكرِ
ورأيتُ رَيْبَ الدَّهرِ أفْرَدَني ... منه وأسلَمَ لِلْعِدَى ظَهري
وغَبَرْتُ ما لي مِنْ تَذَكُّرِهِ ... إلا الأسَى وحَرَارَةُ الصَّدْرِ
وجَوَىً يُعاوِدُني وقَلَّ لَهُ ... مِنِّي الجَوَى ومَحاسِنُ الذِّكْرِ

٣٦٣٢ - ولآخر يرثي أخاه:

أقولُ له لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ ... عليكَ سلامُ اللَّهِ يا صاحِبَ القَبْرِ
أيا قَبْرَ إبراهيمَ حُيِّيْتَ حُفْرَةً ... ولا زِلْتَ تُسْقَى الغَيْثَ مِنْ سبلِ القَطْرِ
لقد عَزَّني وَجدي عليك فلمْ يَدَعْ ... لِقَلْبي نَصيباً مِنْ عزاءٍ ولا صَبْرِ
وقد كنتُ أبكي مِنْ فِراقِكَ لَيلَةً ... فكيفَ وقد صار الفِراقُ إلى الحَشْرِ

٣٦٣٣ - وللخنساء:

ألا يا صَخْرُ إنْ أَبْكَيْتَ عَيْني ... فقدْ أَضْحَكْتَني زَمَناً طَويلا
بَكَيْتُكَ في نِساءٍ مُعْوِلاتٍ ... فكنتُ أحَقَّ مَنْ أبْدَى العَويلا
دَفَعْتُ بك الجَليلَ وأنتَ حَيٌّ ... فمَنْ ذا يدْفَعُ الخَطْبَ الجَليلا
إذا قَبُحَ البُكاءُ على قَتِيلٍ ... رأيتُ بُكاءَكَ الحَسَنَ الجَميلا

٣٦٣٤ ـ وللتِّهامِيِّ:

ووالله لو أسْطيعُ قاسَمْتُه الرَّدَى لَمِتْنا جَميعاً أو لَقَاسَمَني عُمْرِي
ولكِنَّمَا أرواحُنا مِلْكُ غَيْرِنا فما لِيَ في نَفْسِي ولا فيه مِنْ أَمْرِي
وما اقتَضَتِ الأيَّامُ إلا هِباتِها فهَلا اقْتَضَتْها قبلَ أنْ مَلأَتْ صَدري
ومِنْ قبلِ أنْ يَجري هواهُ وذِكرُهُ بِقَلبي جَرْيَ الماءِ في الغُصنِ النَّضْرِ

٣٦٣٥ ـ وللرَّاضي يرثي أباه المقتدر بالله:

فلو أنَّ عُمري كان طَوْعَ مَشيئَتي وأَسْعَدَني المِقدارُ قاسَمْتُه العُمْرَا
ولو أنَّ حَيَّاً كان قَبْرَاً لِمَيِّتٍ لَصَيَّرْتُ أَحشائي لأَعْظُمِهِ قَبْرَا

٣٦٣٦ ـ ولأبي خِراشٍ الهُذَلِيِّ يرثي أخاه عُروةَ:

حَمَدْتُ إلهي بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجا خِراشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
على أنَّها تَعْفُو الكُلُومُ وإنَّما نُوَكَّلُ بالأدْنى وإنْ جَلَّ ما يَمْضي
فوالله ما أَنْسَى قتيلاً رُزِئْتُهُ بِجانِبِ طُوسَى ما مَشَيْتُ على الأَرْضِ
ولَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عليه رِداءَهَ سِوى أنَّه قدْ سُلَّ مِنْ ماجِدٍ مَحْضِ

٣٦٣٧ ـ ولحسين بن الضَّحَّاك:

فلا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتَى سَيَأْتِي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادِي
وكُلُّ ذَخيرَةٍ لا بُدَّ يوماً وإنْ بَقِيَتْ تَصِيرُ إلى نَفَادِ
ولو يُفْدى مِنَ الحِدْثانِ شَيْءٌ فَدَيْتُكَ بالطَّريفِ وبالتِّلادِ

٣٦٣٨ ـ ولمحمد بنِ مُناذِرٍ يرثي سُفيانَ بنَ عُيينَةَ رحمة الله عليه:

راحوا بسفيانَ على نَعْشِهِ والعِلْمُ مَكْسُوَّيْنِ أكفانا
إنَّ الذي غُودِرَ بالمُنْحَنَى هَدَّ مِنَ الإسلام أركانا
لا يُبْعِدَنَّكَ اللَّهُ مِنْ مَيِّتٍ وَرَّثْتَنا عِلْماً وأَحْزَانا
يا واحِدَ الأُمَّةِ في عِلْمِهِ لُقِّيتَ مِنْ ذي العَرْشِ غُفْرانا

٣٦٣٩ ـ ولي في هذا المعنى:

أَمُحَمَّدٌ إنْ كنتُ بعدَكَ صابِراً صبْرَ السَّليمِ لِما به لا يَسْلَمُ
ورُزِئْتُ قَبْلَكَ بالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَلَرُزْؤُهُ أَدْهَى لَدَيَّ وأَعْظَمُ
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بأَنَّني بكَ لاحِقٌ مِنْ بعدِ ظَنِّي أَنَّني مُتَقَدِّمُ
للهِ ذِكْرٌ لا يزالُ بِخاطري مُتَصَرِّفٌ في صَبْرِهِ مُتَحَكِّمُ
فإذا نظرتُ فَشَخْصُهُ مُتَخَيَّلٌ وإذا أَصَخْتُ فصوتُه مُتَوَهَّمُ
وإذا دعوتُ سِواكَ حادَ عَنِ اسمِهِ ودعاهُ باسمِكَ مِقْوَلٌ بك مُغْرَمُ
وبِكُلِّ أرضٍ لي مِنَ اجْلِكَ لَوْعَةٌ وبكلِّ قَبْرٍ عَبْرَةٌ وتَلَوُّمُ
حُكْمُ الرَّدَى ومناهِجٌ قد سَنَّها لأُولي الأَسى والحُزْنُ قبلُ مُتَمِّمُ
فَلَئِنْ جَزِعْتُ فإنَّ رُزْئِيَ عاذِرٌ ولَئِنْ صَبَرْتُ فإنَّ صَبْرِي أَكْرَمُ

٣٦٤٠ ـ ولعبد اللَّه بن ثعلبةَ الحنفي:

أَأَخْضِبُ رأسي أَمْ أُطَيِّبُ مَفْرِقِي ورأسُك مَرْمُوسٌ وأنتَ سَليبُ
نَسيبُكَ مَنْ أَمْسى يُناجيكَ طَرْفُهُ وليس لِمَنْ تحتَ التُّرابِ نَسيبُ
غَريبٌ وأطرافُ البُيوتِ تَحُفُّهُ ألا كلُّ مَنْ تحتَ التُّرابِ غَريبُ

٣٦٤١ ـ ولعبد المحسن الصُّوريِّ:

عجباً لي وقد مررتُ بآثارِك أني اهتديتُ نَهْجَ الطَّريقِ
أَتُراني نسيتُ عهدَك فيها صدقوا ما لِمَيِّتٍ مِنْ صديقِ

٣٦٤٢ ـ ولبعض العرب يرثي أخاه:

إذا ما دعوتُ الصَّبْرَ بعدَك والبُكا أجابَ البُكا طوعاً ولم يُجِبِ الصَّبْرُ
فإنْ يَنْقَطِعْ منك الرَّجاءُ فإنَّه سيبقى عليك الحزنُ ما بقِيَ الدَّهْرُ

٣٦٤٣ ـ ولشُرحبيل بن شريك:

بنفسي خليلاي الذين تَبَرَّضَا[1] دموعي حتى أسرع الحزنُ في عقلي
ولولا الأسى ما عشتُ بعدَك ساعةً ولكن إذا ما شِئتُ جاوبَني مِثْلِي

٣٦٤٤ ـ ولفاطمة الخزاعية:

قد كنتَ لي جَبَلاً ألوذُ بِظِلِّهِ فتَركْتَني أُضحي بأَجْرَدَ ضِاحِ
قد كنتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عشتَ لي أمشي البرازَ وأنتَ كنتَ جناحِي
فاليومَ أخضعُ للذَّليلِ وأتَّقِي منه وأدفعُ ظالمي بالرَّاحِ
وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَناً لها يوماً على فَنَنٍ دَعوتُ صَبَاحِ
وأغُضُّ مِنْ بصري وأعلمُ أنه قد مات خيْرُ فوارسي وسِلاحي

٣٦٤٥ ـ وقال رجل من بني أسد يرثي أخاً له، مرض بأرضِ غُربةٍ، فسأله الخروجَ به إلى وطنه، فمات في الطريق، فقال يرثيه:

لو كان يُنجي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أصابك الحَذَرُ
يَرْحَمُك اللَّهُ مِنْ أخي ثِقَةٍ لم يكن في صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرُ
وهكذا يذهبُ الزَّمانُ ويَفْنَى الـ ـعلمُ فيه ويَدْرُسُ الأثَرُ

٣٦٤٦ ـ وللخُرَيْمِيِّ:

فقدْتُك فَقْدَ الطِّفْلِ أُمَّاً حَفِيَّةً على ضَرَعٍ منه وحِدْثانِ مَوْلِدِ
دعاها فلمَّا استجْمَعَتْ عن دُعابَةٍ أحالَ على ثَدْيٍ لأُخرى مُجَدَّدِ
فأنكَرَهُ فارتاعَ يَلْمَسُ أُمَّهُ وباتَ له ليلُ السَّليمِ المُسَهَّدِ

٣٦٤٧ ـ ولِمُتَمِّم بنِ نُوَيْرَةَ يرثي أخاه مالكاً:

أبى الصَّبْرُ آياتٍ أراها وإنَّني أرى كلَّ حَبْلٍ بعدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وإنِّي متى أَدْعُ باسْمِكَ لا تُجِبْ وكنتَ جديراً أنْ تُجيبَ وتَسْمَعَا

---

(١) البَرَض: القليل. وتبرَّض الشيءَ: أخذه قليلاً قليلاً.

وكـنَّـا كـنَـدْمـانَـيْ جَـذيـمَـةَ حِـقْـبَـةً ... مِنَ الدَّهْرِ حتَّى قيلَ لنْ يَتَصَدَّعَا
فـلـمَّـا تَـفَـرَّقْـنَـا كـأنِّـي ومـالِـكـاً ... لِطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ لَيلةً مَعَا
فـلـو أنَّ ما ألـقَـى يُصيبُ مُتالِعَاً ... أو الرُّكْنَ مِنْ سَلْمَى إذاً لَتَضَعْضَعَا[(١)]
ومـا وَجْـدُ أَظـآرٍ ثَـلاثٍ رَوَائِـمٍ ... رَأَيْنَ مَجَرّاً مِنْ حُوارٍ ومَصْرَعَا[(٢)]
يُـذَكِّـرْنَ ذا الـبَـثِّ الـحَـزيـنَ بِـبَـثِّـهِ ... إذا حنَّتِ الأُولى سَجَعْنَ لها مَعَا
بِـأَوْجَـعَ مِـنِّـي يومَ فـارَقْـتُ مـالِـكـاً ... وقامَ به النَّاعي الرَّفيعُ فأسْمَعَا

٣٦٤٨ ـ وللتِّهامِيِّ يرثي ابنَه:

أبا الفضلِ طالَ الليلُ أمْ خانَنِي صبري ... فخيَّلَ لي أنَّ الكواكبَ لا تسري
أرى الرَّمْلَةَ البيضاءَ بعدَكَ أظلَمَتْ ... فدهْريَ لَيْلٌ ليس يُفْضِي إلى فَجْرِ
ومـا ذاكَ إلا أنَّ فـيـهـا وَدِيـعَـةً ... أبى ربُّها أنْ تُسْتَرَدَّ إلى الحَشْرِ
أتـاكَ قـضـاءُ الـلَّـهِ فـي دارِ غُـرْبَـةٍ ... بنفسي غَريبُ الأَصْلِ والقَبْرِ والقَدْرِ

٣٦٤٩ ـ ولأعرابيٍّ:

ومِنْ عَجَبٍ أنْ بِتَّ مُسْتَوْدَعَ الثَّرَى ... وبِـتُّ بِـمَـا زَوَّدْتَـنِـي مُـتَـمَـتِّـعَـا
ولـو أنَّـنِـي أنْـصَـفْـتُـكَ الـوُدَّ لَـمْ أَبِـتْ ... خِلافَكَ حتَّى نَنْطَوي في الثَّرَى مَعَا
سَأَحْمي الكَرى عَيني وأفترِشُ الثَّرَى ... يَميني إذ صارَ الثَّرَى لك مَضْجَعَا
وبـعـدَكَ لا آسَـى لِـعُـظْـمِ رَزِيَّـةٍ ... قُضِيَتْ فَهَوَّنَتِ المصَائِبَ أجْمَعَا

٣٦٥٠ ـ ولصريعٍ:

وإنِّـي وإسـمـاعـيـلَ يـومَ وداعِـهِ ... لَكَالْغِمْدِ يومَ الرَّوْعِ فارَقَهُ النَّصْلُ
وإنِّـيَ فـي أهـلـي ومـالـي كـأنَّـنـي ... لِـفَـقْـدِكَ لا مـالٌ لَـدَيَّ ولا أهْـلُ
يُـذَكِّـرُنـيـك الـخَـيْـرُ والـشَّـرُّ والـحِـجَـا ... وقَيْلُ الخَنَا والحِلْمُ والعِلْمُ والجَهْلُ

---

(١) مُتالِع وسلمى: جبلان في الجزيرة العربية.

(٢) الأظآر: جمع ظِئر، وهي المرضعة غير ولدها. والروائم: التي تعطف على الرضيع وتدر له.

فألقاكَ عن مذمُومِهَا مُتَنَزِّهَاً وألقاك في مَحمودِها ولك الفَضْلُ
فإنْ أَغْشَ قوماً بعدَهُ أو أزُورُهم فَكَالْوَحْشِ يُدْنيه مِنَ القَنْصِ المَحْلُ

٣٦٥١ - وللحجَّاجِ بنِ عِلاطٍ السُّلَمِيِّ يرثي أخاه مُعرَّضَ بن عِلاطٍ:

لقد فَزِعَتْ نفسي لِذِكْرِيَ مُعْرِضاً وعَيْنَايَ جادَتْ بالدُّموع شُؤونُها
فأَصْبَحْتُ قد فَضَّ القَوارِعُ مَرْوَتِي وفارَقَ نفسي حِبُّهَا وأَمِينُهَا
وكنتُ كأنِّي منه في فَرْعِ طَلْحَةٍ تَلَفَّعَ دوني شَوْكُهَا وغُصُونُهَا

٣٦٥٢ - ولآخر يرثي ابنه:

بأمي وأُمِّي مَنْ عَبأْتُ حَنُوطَهُ بِيَدي وَوَدَّعَني بماءِ شَبابِهِ
كيف السُّلُوُّ وكيف صَبْري بعدَهُ وإذا دُعِيتُ فإنَّما أُكْنَى بهِ

٣٦٥٣ - وللتهامي:

وما أنا بالوافي وقد عِشْتُ بعدَه ورُبَّ اعترافٍ كان أبلغَ مِنْ عُذْرِ
كفى حَزَناً أنِّي دَعَوْتُ فلمْ يُجِبْ ولَمْ يَكُ صَمْتَاً عن وَقَارٍ ولا وَقْرِ
ولم يَكُ عن بُعْدِ المسافَةِ صَمْتُهُ فما بيْنَنَا إلا ذِراعانِ في القَدْرِ

٣٦٥٤ - وله:

أشكو بِعَادَكَ لي وأنتَ بِمَوْضِعٍ لولا الرَّدَى لَسَمِعْتُ فيه سِراري
والشرقُ نَحوُ الغربِ أقربُ شُقَّةً مِنْ بُعْدِ تلك الخَمْسَةِ الأشْبارِ
هَيْهَاتَ قد عَلِقَتْكَ أشراكُ الرَّدَى واعْتاقَ عُمرَك قاطِعُ الأعمارِ
فإذا نَطَقْتُ فأنتَ أوَّلُ مَنْطِقي وإذا سَكَتُّ فأنتَ في إضْماري

٣٦٥٥ - قال القاضي أبو الوليد رحمه الله: ولي في هذا المعنى:

للهِ قَبْرٌ لا أبوحُ بِسِرِّهِ يُطْوَى ويُكْتَمُ في جَوانِحِ صَدْرِهِ
ما لي بَخِلْتُ على العُيونِ بِشَخْصِهِ وعلى المَسامِعِ أنْ يُلِمَّ بِذِكْرِهِ
وَوَضَعْتُهُ بعدَ الجَوانِحِ والحَشَا مُتَفَرِّداً في مُوحِشٍ مِنْ قَبْرِهِ

فَلَئِنْ جَزِعْتُ عليه مِنْ صَرْفِ الرَّدَى ... فلقدْ أَمِنْتُ به غَوائِلَ دَهْرِهِ

٣٦٥٦ ـ ولأبي تمام يرثي ابناً له:

كان الذي خِفْتُ أنْ يكونا ... إنَّا إلى الله راجِعُونا
أمسى المُرَجَّى أبا عَلِيٍّ ... مُوَسَّداً في الثَّرَى يَمِينَا
أُصِبْتُ فيه وكان عندي ... على المُصيباتِ لي مُعينَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فأَمْسَى ... في جَدَثٍ للثَّرَى دَفِينَا
بَعيدُ دارٍ قَريبُ دارٍ ... قد فارَقَ الإلْفَ والقَرِينَا
هَوَّنَ رُزْئي بِكَ الرَّزايا ... بَعْدُ على النَّاسِ أجمعِينَا

٣٦٥٧ ـ ولعبد السلام بن رَغبانَ:

أخٌ كنتُ أبكيهِ دَماً وهو حاضِرٌ ... حِذاراً وتَعْمَى مُقْلَتِي وهو غائِبُ
فماتَ فلا شَوْقي إلى الأَجْرِ واقِفٌ ... ولا أنا في عُمري إلى الله راغبُ
بكاكَ أخٌ لَمْ تَحْوِهِ بِقَرابَةٍ ... بلى إنَّ إخْوانَ الصَّفاءِ أقارِبُ
وأَظْلَمَتِ الدُّنيا التي كنتَ نُورَها ... كأنَّكَ للدُّنيا أخٌ ومُناسِبُ
وجَدَّدَ نِيرانَ المَصائِبِ أنَّني ... أرى زَمَناً لم تَبْقَ فيه مَصائِبُ

٣٦٥٨ ـ وللتِّهامِيِّ:

ومحاكَ الرَّدَى عنْ رَأْيِ عَيْني وما مَحا ... خَيالَكَ مِنْ قَلْبِي وذِكْرَكَ مِنْ فِكْري
بَلِيتَ وأَبْلَيْتَ الذين تَرَكْتَهُمْ ... وراءَكَ بالأحْزانِ والهَمِّ والفِكْرِ
فلَوْ لَفَظَتْكَ الأَرْضُ قلتُ تَشَابَهَتْ ... مَناظِرُ مَنْ في البَطْنِ منها وفي الظَّهْرِ
فلا فرقَ فيما بينَنَا غيْرَ أنَّنا ... بِمَسِّ الأذَى نَدري وأنَّكَ لا تَدري

* * *

٢٢٢ ـ ما جاء في التعازي

٣٦٥٩ ـ قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ

قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

٣٦٦٠ ـ ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قُبِضَ سمعوا قائلاً يقول: إنَّ في اللَّهِ عِوَضاً في كلِّ هالِكٍ، وخَلَفاً مِنْ كلِّ فائِتٍ، وعِوَضاً مِنْ كلِّ مُصيبةٍ، والمحرومُ مَنْ حُرِمَ الثَّوابَ، والخائِبُ مَنْ أمِنَ العِقابَ[(١)].

٣٦٦١ ـ وروى عبدُ الله بنُ المبارك عن مالكٍ، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**لِيُعَزِّ المسلمين في مَصائِبِهم المُصيبةُ بِيَ**»[(٢)].

٣٦٦٢ ـ وعزَّى رجل أخاه بابنِه، واسمُه محمدٌ، فقال:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وتَجَلَّدِ ... واعْلَمْ بأنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وإذا ذكَرْتَ مُحَمَّداً ومُصابَهُ ... فاذْكُرْ مُصابَكَ بالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

٣٦٦٣ ـ وكان أبو بكر الصديق إذا عزى مُصاباً يقول: ليس مَعَ العزاءِ مُصيبةٌ، ولا مَعَ الجَزَعِ فائدةٌ، والموتُ أشدُّ ما قبلَه، وأهونُ ما بعدَه، واذكروا فَقْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ تَهُنْ عليكمُ المصائبُ.

٣٦٦٤ ـ وروى أبو هريرة عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما لِعَبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صَفِيَّهُ مِنَ الدُّنيا ثمَّ احتَسَبَه إلا الجنةُ**»[(٣)].

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٧/٢٦٩ بإسناد ضعيف.

(٢) وروى ابن ماجه (١٥٩٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس، أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة، فليَتَعزَّ بمُصيبتِه بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإنَّ أحداً من أمتي لن يصاب بمُصيبة بعدي أشدَّ عليه من مصيبتي**».

(٣) البخاري (٦٤٢٤).

٣٦٦٥ ـ وكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عَوْنِ بنِ عبد الله يُعزِّيه في مُصيبةٍ أصابته: أمَّا بعدُ، فإنَّا أهلُ الآخرةِ سُكانُ الدنيا، إنَّا أمواتٌ أبناءُ أمواتٍ، فكيف يُعزِّي ميتٌ ميتاً بِمَيِّتٍ، والسلام.

٣٦٦٦ ـ وروى مالك عن القاسم بن محمد أنه قال: هلكت امرأةٌ لي، فأتاني محمد بن كعب القُرَظِيُّ يُعزِّيني بها، فقال: إنه كان في بني إسرائيلَ رجلٌ فقيهٌ عالِمٌ عابدٌ مجتهدٌ، وكانت له امرأةٌ، وكان بها مُعجَباً، ولها مُحِبّاً، فماتت فوَجَدَ عليها وجْداً شديداً، ولقِيَ عليها أسفاً، حتى خلا في بيتٍ وغلَّقَ على نفسه، واحتجب عنِ الناسِ، فلم يكن يدخُلُ عليه أحدٌ. وإنَّ امرأةً سمعت به فجاءَته، فقالت: إنَّ لي إليه حاجةً أستفتيه فيها، ليس يَجزيني فيها إلا مشافهتُه، فذهب الناسُ ولزِمَتْ بابَه، وقالت: ما لي منه بُدٌّ، فقال له قائل: إنَّ ههُنا امرأةً أرادت أنْ تستفتِيَك، وقالت: إنْ أردتُ إلا مُشافَهتَهُ، وقد ذهب الناسُ، وهي لا تُفارقُ البابَ. فقال: ائذَنوا لها، فدخلت عليه، فقالت: إنِّي جِئتُك أستفتيكَ في أمرٍ. قال: وما هو؟ قالت: إنِّي استعرتُ مِنْ جارةٍ لي حُلِيّاً، فكنت ألبَسُه وأُعيرُه زماناً، ثم إنَّهم أرسلوا إليَّ فيه، أفؤأديه إليهم؟ قال: نعم واللهِ. قالت: إنَّه قد مكث عندي زماناً. فقال: ذلك أحقُّ لِرَدِّكِ إيَّاه إليهم حين أعَارُوكِهِ زماناً. فقالت: فأنت ـ يرحَمُك الله ـ كيف تأسفُ على ما أعارَك اللَّهُ، ثم أخذه منك وهو أحقُّ به منك؟! فأبصَرَ ما كان فيه، ونفعَه اللَّهُ بقولِها.

٣٦٦٧ ـ ولأبي شُبَيْلِ بنِ مَعبدٍ البَجَلِيِّ:

وهَوَّنَ عندي بعضَ وجدِيَ أنَّني	رأيتُ المنايا تغتدي وتؤوبُ
وأنِّي رأيتُ النَّاسَ أفنَى كِرامَهُمْ	حَوادِثُ كلَّ العالمينَ تصيبُ
وما نحنُ إلا مِنهمُ غيْرَ أنَّنا	إلى أجَلٍ نُدْعَى له فَنُجيبُ

٣٦٦٨ ـ وعزَّى رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز بابنه، فقال:

تَعَزَّ أميرَ المؤمنين فإنَّه	لِمَا قدْ ترى يُغْذَى الصَّغيرُ ويُولَدُ

هـلِ ابْـنُـك إلا مِـنْ سُـلالَـةِ آدَمٍ   لِـكُـلٍّ عـلـى حَـوْضِ الـمَـنِيَّـةِ مَـوْرِدُ

٣٦٦٩ ـ وعزَّى أبو حازمٍ محمدَ بنَ شهابٍ بأُمِّه، فقال له: اعلمْ أنَّ مُصيبتَك، وإنْ عَظُمَتْ، فليست بأعظَمَ مِنْ ذَهابِ عزائِكَ وفوتِ صبْرِك، الذي تَستوجِبُ به ما وعَدَ اللَّهُ الصابرينَ وأهلَ الاحتسابِ مِنَ الثوابِ.

٣٦٧٠ ـ وكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى ميمونَ بنِ مِهرانَ: كتبتَ تُعزِّيني بعبدِ الملك ابني، وهذا أمرٌ لم أزَلْ أنتَظِرُه، فلمَّا وقع لم أُنكِرْه.

٣٦٧١ ـ وكتبَ ابنُ السَّمَّاكِ إلى الرشيد يُعزِّيه بطفلٍ: أمَّا بعدُ، فإنِ استطعتَ أنْ يكونَ شُكرُك للهِ حينَ قبَضَه أكثَرَ مِنْ شُكرِك حين وَهَبه فافعَلْ؛ فإنَّه حيثُ قَبَضَه أجرٌ لك وُهِبْتَهُ، ولو بَقِيَ لم تسلَمْ مِنْ فِتنتِه. أرأيتَ جزَعَك عليه وعلى ذَهابه؟ أَرَضِيتَ الدَّارَ لنفسِك فترضاها لابنك؟ أمَّا هو فقد خلص مِنَ الكَدَرِ، وبقِيتَ مُتعلِّقاً بالخطر.

٣٦٧٢ ـ وقال عبدُ الله بنُ داودَ لرجلٍ يُعزِّيه: اعلمْ أنَّ حِرمانَ الأجرِ على المصيبةِ أعظمُ مِنْ حُلولِ المصيبة، وقد فاتَك ما رُزِئْتَ، فلا يَفوتَنَّك ما عُوِّضْتَ.

٣٦٧٣ ـ وعزى رجلٌ المهديَّ بابنةٍ له، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما عندَ اللَّهِ خيْرٌ لها مِمَّا عندَك، وثوابُ اللَّهِ خيْرٌ لك منها، وإنَّ أولى ما يُصبَرُ عليه ما لا يُستطاعُ رَدُّهُ.

٣٦٧٤ ـ وعزَّى رجلٌ يحيى بنَ خالد ببعض حُرَمِه، فقال:

تَـعَـزَّ إذا رُزِئْـتَ فَـخَـيْـرُ دِرْعٍ   تَـسَـرْبَـلُ لِـلْـمَـصـائِـبِ دِرْعُ صَـبْـرِ
ومـا مِـنْ نِـعْـمَـةٍ شَـمَـلَـتْ كـريـمـاً   كَـعَـورَةِ مُـسـلـمٍ سُـتِـرَتْ بِـقَـبْـرِ

٣٦٧٥ ـ وفي هذا المعنى لعُبيد اللَّه بن عبد لله بن طاهر:

لِـكُـلِّ أَبـي أُنـثـى إذا مـا تَـرَعْـرَعَـتْ   ثـلاثَـةُ أَصْـهـارٍ إذا ذُكِـرَ الـصِّـهْـرُ

فـأُمٌّ تُـراعِـيـهـا وبَـعْـلٌ يَـصُـونُـهـا وقَـبْـرٌ يُـواريـهـا وخَـيْـرُهُـمـا الـقَـبْـرُ

٣٦٧٦ ـ ولِعُقَيْلِ بنِ عُلَّفَةَ:

إنِّـي وإنْ سِـيـقَ إلَـيَّ الـمَـهْـرُ أَلْـفٌ وعَـبْـدانِ وذَوْدٌ عَـشْـرُ[1]
أَحَـبُّ أَصـهـاري إلَـيَّ الـقَـبْـرُ

٣٦٧٧ ـ ولبعضهم:

لا جـارةٌ تَـبْـقـى ولا جـارُ كُـلٌّ سَـتَـخْـلُـو مـنـهـمُ الـدَّارُ
كـلٌّ يُـوافـي الـلَّـهَ فـي بُـقْـعَـةٍ والـمـوعِـدُ الـجـنـةُ والـنـارُ

٣٦٧٨ ـ وقال ابنُ السَّمَّاكِ: المصيبةُ واحدةٌ، فإنْ جَزِعَ صاحبُها، فهي اثنتانِ.

٣٦٧٩ ـ وقال سفيانُ بنُ عُيَينةَ لرجلٍ يُعزِّيه: جعل اللَّهُ المصيبةَ لكَ لا بِكَ، والخُلْفَ عليك لا منكَ.

٣٦٨٠ ـ وعزَّى إسحاقُ الموصلِيُّ صديقاً له، فقال له: لم آتِكَ شاكَّاً في حَزْمِكَ، ولا زائداً في عملِك، ولكنَّه حقُّ الصديقِ على الصديقِ، فإنِ استطعتَ أنْ تَسبِقَ السُّلُوَّ بالصبْرِ فافعلْ.

٣٦٨١ ـ وقال ابنُ المعتَزِّ: مَنْ لم يصبِرِ احتساباً صَبَرَ اضطراراً.

٣٦٨٢ ـ ورُوِيَ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالب ﷺ قال للأشعثِ بنِ قيسٍ يُعزِّيه، ما قد نَظَمَهُ حبيبُ بن أوسٍ يُعزِّي مالكَ بنَ طَوْقٍ بأخيه القاسمِ بنِ طَوْقٍ، فقال:

وقـال عـلـيٌّ فـي الـتَّـعـازي لأَشْـعَـثٍ وخـافَ عـلـيـه بـعـضَ تـلـك الـمـآثِـمِ
أَتَـصْـبِـرُ لِـلْـبَـلْـوى عَـزَاءً وحُـسْـبَـةً فـتُـؤْجَـرَ أمْ تَـسْـلُـو سُـلُـوَّ الـبَـهـائِـمِ
خُـلِـقْـنَـا رجـالاً لـلـتَّـجَـلُّـدِ والـعَـزَا وتـلـك الـغَـوانـي لـلـبُـكـا والـمـآتِـمِ

---

(١) أي عشر من الإبل.

٣٦٨٣ ـ وقال الأصمعيُّ: عزَّى أعرابيٌّ قوماً في مُصيبةٍ، فقال: أعظمَ اللّهُ أجرَكم، وألهمَكمُ الصبْرَ؛ فإنَّ الصبْرَ محمودُ العاقبةِ، وليس في الجَزَعِ عِصمةٌ مِنَ النَّائبةِ، فاستعينوا بالصبْرِ على مُصيبتِكم، ولا تَبخسوا نَصيبكم مِنْ ثوابِ اللَّهِ بالجَزَعِ الذي لا يُجدي عليكم، ولا يُغني عنكم؛ فإنَّ في ثوابِ الله عِوَضاً مِمَّا أُصِبْتُم به، وفيما استقَرَّ عندكم مِنْ فناءِ الدنيا عزاءٌ عمَّا به فُجِعْتُمْ.

٣٦٨٤ ـ وأخبرني الشيخ أبو ذرٍّ رحمه الله: أنه حضر بالبادية رجلٌ مِنَ العرب أُصيبَ بابنٍ له، فجَزِعَ عليه جَزَعَاً شديداً، فأتته أختُه تُعزِّيه، فقالت: يا أخي، إنْ لم يكُنْ صبْرٌ، فيأسٌ. قال: فما كان عندي فيما يُعزَّى به أفضلَ مِنْ قولِها ولا أنفعَ له.

٣٦٨٥ ـ وقال المدائِنِيُّ: لَمَّا هلَكَ حنظلةُ بنُ نَهْدٍ، نُصِبَ القِرى للناسِ شهراً، وضَربتْ إليه وفودُ العرب، فكان أوَّلَ مَنْ تكلَّمَ في وفاتِه عامِرُ بنُ الظَّرِبِ العُدوانِيُّ، فقال: أيها الناس، هذا حَنظلةُ فكَّاكُ الأسرِ، وطَرَّادُ العَسِرِ، فهل فيكم مَنْ يُجازيه بفعلِه، أو يحملُ عنه مِنْ ثِقَلِهِ. إنَّ مع كلِّ جَرْعَةٍ لكم شَرَقاً، وكلِّ أَكْلَةٍ غَصَصاً، لا تنالون نعمةً إلا بفِراقِ أخرى، ولا يَستقبِلُ معمَّرٌ يوماً مِنْ عُمره إلا بفِراقِ آخرَ مِنْ أجلِه. فلو كان أحدٌ أصابَ إلى البقاءِ سُلَّماً أو وجد عنِ الفناءِ مَرْحَلاً، لكان سُليمانُ بنُ داودَ المقرونُ له النُّبُوَّةُ بِملكِ الجنِّ والإنسِ. ثم أنشأَ يقول:

أَلَمْ تَرَ صاحِبَ المَلَكَيْنِ أَضْحَى ... تَخَرَّقُ في مصانِعِهِ المَنونُ
وكان عليه للأيَّامِ دَيْنٌ ... فقد قُضِيَتْ عنِ المرْءِ الدُّيُونُ

٣٦٨٦ ـ ولِبَرْدَعةَ:

ولَمَّا رأيتُ الدهرَ يُؤْذِنُ صَرْفُهُ ... بِتَفْريقِ ما بَيْني وبيْنَ الحَبائِبِ
رجعتُ إلى نفسي فَوَطَّنْتُها على ... رُكوبِ جَميلِ الصَّبْرِ عندَ النَّوائِبِ

ومَنْ صَحِبَ الدُّنيا على حُكْمِ جُورِهَا فأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بالمصائِبِ
فدعْ عنكَ ذِكْرَ الفَأْلِ والزَّجْرِ واطَّرِحْ تَطَيُّرَ دارٍ أو تَفاؤُلَ صاحِبِ

٣٦٨٧ - ولبَطِينٍ البَجَلِيِّ:

طوى الموتُ ما بيْنِي وبيْنَ أحبَّتِي بهم كنتُ أُعطي مَنْ أشاءُ وأَمْنَعُ
فلا يَحْسَبُ الواشُونَ أنَّ قناتَنَا تَلينُ ولا أنَّا مِنَ الموتِ نَجْزَعُ
ولكِنَّ لِلأُلاَّفِ لا بُدَّ لَوْعَةً إذا جَعَلَتْ أقرانُها تَتَطَلَّعُ

٣٦٨٨ - وأُصيبَ أعرابِيٌّ بابنٍ له، وقيل له: اصبِرْ، فقال: أعلى اللَّهِ أَتَجَلَّدُ، أمْ في مُصيبتي أتبَلَّدُ؟ واللهِ لَلْجَزَعُ مِنْ أمرِهِ أحبُّ إلَيَّ مِنَ الصَّبْرِ؛ لأنَّ الجَزَعَ استكانةٌ، والصَّبْرَ قساوةٌ، فلَئِنْ لم أجزَعْ مِنَ التَّنَقُّصِ، لا أفرحُ بالمزيدِ.

٣٦٨٩ - ولما أكثرتِ الخنساءُ البُكاءَ على أخويها صخرٍ ومعاويةَ، وأتى الإسلامُ، أقبل بنُو عمِّها إلى عُمرَ بن الخطابِ ﷺ فقالوا: يا أميرَ المؤمنينَ، هذه الخنساءُ قد قَرَحَتْ مآقيها مِنَ البُكاءِ في الجاهلية والإسلامِ، فلو نَهيتَها رجونا أنْ تَنتهيَ. فقال لها عمرُ: اتَّقي اللَّهَ وأيقني بالموتِ. فقالت: ما أبكي على أبي وخَيْرَيْ مُضَرَ صخرٍ ومعاويةَ، وإنِّي لَمُوقِنَةٌ بالموتِ. قال: أتبكِينَ عليهم وقد صاروا جَمرةً في النارِ؟ قالت: ذاك أشدُّ لبُكائي عليهم، فكأنَّ عمرَ رَقَّ لها، وقال: عجوزُكُم لا أبا لكم، فكلُّ امرِئٍ يبكي شَجْوَهُ، ونام الخَلِيُّ عنْ بُكاءِ الشَّجِيِّ.

٣٦٩٠ - وعزَّى رجلٌ بعضَ ملوكِ اليمنِ، فقال: إنَّ الخلْقَ للخالِقِ، والشُّكرَ للمُنعمِ، والتَّسليمَ للأقدارِ، ولا بُدَّ مِمَّا هو كائنٌ، وقد حَلَّ ما لا يُدْفَعُ، ولا سبيلَ إلى رُجوعِ ما قد فات، وقد أقام معك ما سيذهبُ عنك وتتركُه. فما الجَزَعُ فيما لا بُدَّ منه، وما الطَّمَعُ فيما لا يُرجى؟.

❋ ❋ ❋

٢٢٣ ـ ما جاء في القبور

٣٦٩١ ـ رُوِيَ عن قتادة، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**العبد إذا وُضِعَ في قبْرِه، وتولَّى، وذهب عنه أصحابُه، حتَّى إنَّه ليسمعُ قرْعَ نعالِهم، أتاه ملكان فأقعداهُ، فيقولان له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ فيقول: أشهدُ أنه عبدُ اللَّهِ رسولُه، فيقال: انظرْ إلى مقعدِك مِنَ النارِ، أبدَلَكَ اللَّهُ به مقعداً مِنَ الجنة**». قال النبي ﷺ: «**فيَراهُما جميعاً. وأمَّا الكافر أو المنافقُ، فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقول الناسُ، فيقال: لا دَرِيتَ ولا تَلِيتَ. ثم يُضْرَبُ بِمِطْرَقةٍ مِنْ حديدٍ ضربةً بين أُذنيه، فيصيحُ صيحةً يسمعُها مَنْ يليه إلا الثَّقلين**»[1].

٣٦٩٢ ـ ورُوِيَ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]: عذاب القبر.

٣٦٩٣ ـ وبلغني أن علياً ﷺ لَمَّا رجع مِنْ صِفِّينَ، فدخل أوائلِ الكوفةِ، فإذا هو بقبْرٍ. قال: قبْرُ مَنْ هذا ؟ قالوا: قبْرُ خبَّابِ بنِ الأرَتِّ. فوقف عليه، وقال: رحم الله خبَّاباً؛ أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلِيَ في جسمِه آخِراً، ألا ولن يُضَيِّعَ اللَّهُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً. ثم مضى، فإذا أقبُرٌ، فجاء حتى وقف عليها، فقال: السلام عليكم أهلِ الديارِ المُوحِشَةِ، والمحالِّ المقفِرَة، أنتم لنا سَلَفٌ، ونحن لكم تَبَعٌ، وبكم عمَّا قليلٍ لاحقون. اللَّهُمَّ اغفرْ لنا ولهم، وتجاوزْ عنَّا وعنهم، طوبى لمن ذَكرَ المَعادَ، وعملَ للحساب، وقنَعَ بالكفاف، ورضيَ عنِ الله تعالى. ثم قال: يا أهلَ القبور، أمَّا الأزواجُ فقد نُكِحَتْ، وأمَّا الدارُ فقد سُكِنَتْ، وأمَّا الأموالُ فقد تقسمتْ، فهذا خبَرُ ما عندَنا، فما خبَرُ ما عندَكم؟ ثم التفت إلى أصحابِه، فقال: أمَا واللَّهِ لو تكلَّموا، لقالوا: وجدنا خيْرَ الزَّادِ التقوى.

---

(١) البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

٣٦٩٤ ـ ورُوِيَ أنَّ عبدَ اللَّه بن عمرو بنِ العاص نظر إلى المقبرةِ، فنَزل فصلَّى ركعتين، فقيل له: هذا شيءٌ لم تكن تصنعُه، فقال: ذكرتُ أهلَ القبورِ وما حِيلَ بينهم وبينَه، فأحببتُ أنْ أتقرَّبَ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ بهما.

٣٦٩٥ ـ وكان عمرُ بن عُتبةَ بنِ فرقدٍ يخرج على فرسه ليلاً، فيقفُ على القبور، فيقول: يا أهلَ القبورِ، لقد طُوِيَتِ الصُّحُفُ، لقد رُفِعَتِ الأعمالُ، ثم يبكي، ثم يصُفُّ قدميه حتى يُصبحَ، فيخرج فيشهدُ صلاةَ الصبحِ.

٣٦٩٦ ـ وكان عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ إذا وقف على قبْرٍ بكى حتَّى يبُلَّ لِحيتَه، فسُئِلَ عن ذلك، وقِيلَ له: تذكرُ الجنةَ والنارَ، فلا تبكي، وتبكي إذا وقفتَ على قبْرٍ؟ فقال: ما رأيتُ منظراً إلا والقبْرُ أفظعُ منه، وإنَّ القبْرَ أولُ منازلِ الآخرة، فإنْ نجا صاحبُه، فما بعدَه أيسرُ منه، وإنْ لم ينْجُ فما بعدَه أشدُّ منه(١).

٣٦٩٧ ـ ورُوِيَ عن بعض الحكماء قال: يقول القبْر للميتِ حين يُوضَعُ فيه: ويْحَكَ يا ابنَ آدمَ! ما غرَّك بي؟ ألَمْ تعلمْ أنِّي بيتُ الفِتنةِ، وبيتُ الظُّلْمَةِ، وبيتُ الوَحدةِ، وبيتُ الدُّودِ؟ ما غرَّك بي إذْ كنتَ تَمُرُّ بي فَدَّاداً(٢)؟ قال: فإنْ كان مُصلحاً أجاب عنه مُجيبُ القبْرِ، فيقول: أرأيتَ إنْ كان يأمرُ بالمعروفِ وينهى عنِ المنكرِ. قال: فيقول القبْرُ: إنِّي إذاً أعودُ عليه خضِراً، ويعود جسدُه عليه نوراً، ويصعدُ بروحه إلى رب العالمين.

٣٦٩٨ ـ ورُوِيَ عن مجاهدٍ أنه قال: أولُ ما تكلِّمُ ابنَ آدمَ حفرتُه، فتقول: أنا بيتُ الدُّودِ، أنا بيتُ الوَحشةِ، أنا بيتُ الغُربةِ، أنا بيتُ الظُّلْمَةِ، هذا ما أعددتُ لك، فماذا أعددتَ لي؟

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨) وحسَّنه، وابن ماجه (٤٢٧٦)، وصححه الحاكم ٤/٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٢) الفدَّاد: الصَّيِّت، الجافي الكلام.

٣٦٩٩ ـ وقال بعضُ العُلماء: إنَّما القُبورُ روضةٌ مِنْ رِياضِ الجنَّةِ، أو حُفرةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ[١].

٣٧٠٠ ـ ورُوِيَ عنِ ابنِ أبي كثيرٍ: إنَّ اللَّهَ يكره لكم العبثَ في الصلاةِ، والرَّفَثَ في الصَّومِ، والضَّحك عند المقابرِ.

٣٧٠١ ـ وروى هلالُ بنُ عليٍّ عن أنسِ بنِ مالكٍ: شهِدْنا بِنتاً لرسولِ اللَّهِ ﷺ قال: ورسولُ الله ﷺ جالسٌ على القبْرِ. قال: فرأيتُ عينيه تذرِفان. قال: فقال: «هلْ منكم رجلٌ لم يُقارِفِ الليلةَ؟» قال: أبو طلحةَ: أنا. قال: «فانزِلْ»، فنَزل في قبْرها[٢].

٣٧٠٢ ـ وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ: عهِدتُ أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ عبد العزيز حين استعمله الوليدُ بنُ عبد الملك على المدينة، وهو شابٌّ غليظُ البَضْعَةِ مُمتلِئُ الجسم، فلمَّا قدمتُ عليه وقد قاسى ما قاسى، إذا هو قد تغيَّرت حالُه. قال: فجعلتُ أنظر إليه لا أكادُ أصرِفُ بصري منه. قال: إنَّك لتنظُرُ إلَيَّ نظراً ما كنتَ تنظُرُه إلَيَّ مِنْ قبلُ. قال: فقلت: لِتَعَجُّبِي منك. فقال: وما عجَبُك منِّي؟ قلت: لِمَا حالَ مِنْ لونِك، ونَحَلَ مِنْ جسمِك، ونقى منْ شعرِك. فقال: كيف لو رأيتَني بعدَ ثالثةٍ في قبْري حين تقعُ حدَقتاي على وجهي، ويسيلُ مِنْخرايَ وفمي صديداً ودُوداً، كنتَ لي أشدَّ نُكْرَةً.

٣٧٠٣ ـ قال يحيى بن معاذ: ابن آدمَ، دعاك الله إلى دار السلامِ، فانظرْ مِنْ أين تُجيبُه؛ إنْ أجبتَه مِنْ دنياك دخلتَها، وإنْ أجبتَه مِنَ القبْر مُنِعْتَهَا.

٣٧٠٤ ـ وكان الحسنُ بنُ صالحٍ إذا أشرف على القبور يقول: ما أحسنَ ظواهرَك، إنَّما الدَّواهي في دواخِلِك!.

---

(١) ورواه الترمذي (٢٤٦٢) مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وإسناده ضعيف.

(٢) البخاري (١٣٤٢).

٣٧٠٥ ـ قال سُفيانُ: مَنْ أكثَرَ ذِكرَه وجدَه روضةً مِنْ رِياضِ الجنَّةِ، ومَنْ أغفلَ ذِكْرَهُ وجده حُفرةً مِنْ حُفَرِ النارِ.

٣٧٠٦ ـ وكان الربيعُ بنُ خُثَيْم قد حفر في داره قبْراً، فكان إذا وجد في قلبِه قساوةً، دخل فيه، فاضطجع فيه ومكث ما شاء الله، ثم يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠] يُرَدِّدُها، ثم يردُّ على نفسِهِ: يا ربيعُ، قد رجعتُك، قد رجعتُك، فيقوم فيُرَى ذلك فيه.

٣٧٠٧ ـ وقال ميمونُ بنُ مِهرانَ: خرجتُ مع عمرَ بنِ عبد العزيز إلى المقبَرة، فلمَّا نظر إلى القبور بكى، ثم أقبل عليَّ، فقال: يا ميمونُ، هذه قبورُ آبائي بني أُميَّةَ، كأنَّهم لم يُشاركوا أهلَ الدنيا لَذَّاتِهم وعيشَهم، أمَا تراهم صرعى قد حَلَّتْ بِهِمُ المَثُلاتُ، واستحكم فيهم البِلى، وأصابتِ الهوامُّ في أبدانِهم مَقيلاً؟ ثم بكى، وقال: واللّهِ ما أعلمُ أحداً أنعمَ مِمَّنْ صارَ إلى هذه القبور وقد أَمِنَ مِنْ عذابِ الله تعالى.

٣٧٠٨ ـ وقال الهيثم بن مالك: كنَّا عندَ أيْفَعَ بنِ عبدٍ وعندَه أبو عطيةَ المذبوحُ، فتذكروا النَّعيمَ؛ قالوا: مَنْ أنعَمُ الناسِ عيشاً؟ قالوا: فلانٌ وفلانٌ. فقال أيْفَعُ: ما تقول يا أبا عطيةَ؟ قال: أنا أُخبِرُكم بمن هو أنعمُ منه: جسَدٌ في لَحْدٍ قد أمِنَ العقابَ.

٣٧٠٩ ـ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي ذَرٍّ: يا أبا ذَرٍّ، مَنْ أنعَمُ الناسِ؟ قال: بَدَنٌ في التُّرابِ قد أمِنَ العذابَ، وينتظرُ الثوابَ. قال: صدقت.

٣٧١٠ ـ ورُوِيَ أنَّ قبْرَ أمِّ حرامَ بنتِ مِلْحانَ الأنصاريَّةِ بقُبْرسَ، وأنَّ أهلَ قُبْرسَ يستسقون به، ويسمُّونَه قبْرَ المرأةِ الصالحةِ[1].

---

(١) التوسل بالقبور والمقبورين ـ وإن كانوا صالحين ـ من الأمور المنهي عنها، والتي قد تفضي بالمسلم إلى الشرك والعياذ بالله. فتنبه لذلك.

٣٧١١ ـ قال مالك: بلغني أنَّ رجلاً سكن القُبورَ، وأنه كُلِّمَ في ذلك، فقال: إنَّهم جيرَانُ صدقٍ، لا يُؤذونني، ولي فيهم عِبْرةٌ.

٣٧١٢ ـ قال الأصمعيُّ: مررتُ ببلادِ بني سعدٍ، فإذا أنا بأعرابيةٍ على أكَمَةٍ وهي تبكي، فأقبلَتْ على قبْرين إلى جانِبِها، وهي تقول:

أزورُ وأعتادُ القُبورَ ولا أرى ... سِوَى رِمْسِ أحجارٍ عليه لُبُودُ
كواتِمُ أسرارٍ ضَوامِنُ أعْظُمٍ ... بَلِينَ وما في طَيِّهِنَّ جَديدُ
لِكُلِّ أُناسٍ مَقْبَرٌ بِفِنائِهِمْ ... فَهم يَنْقُصُونَ والقُبورُ تَزيدُ
فهُمْ جِيرَةُ الأحياءِ أمَّا جِوارُهُم ... فَدَانٍ وأمَّا المُلْتَقَى فبَعِيدُ
مُقِيمانِ بالبَيْدَاءِ ما يَبْرَحانِهَا ... ولا يَسْألانِ الرَّكْبَ أينَ يُريدُ
فلِلَّهِ جاراي الَّذَيْنِ أراهُمَا ... قَريبَيْنِ مِنَّا والمزارُ بعيدُ
هُما تركا عَيْناي لا ماءَ فيهما ... وشكا فُؤادُ القَلْبِ فهو عَميدُ

٣٧١٣ ـ وقال الأصمعيُّ: أُصِيبَ حَفِيرٌ حولَ الحِيرَةِ، فإذا فيه رجلٌ عليه خُلقانٌ، وعندَ رأسِه لوحٌ فيه: أنا عبدُ المسيحِ بنُ حيَّانَ بنِ نُفَيْلَةَ:

حَلَبْتُ الدَّهرَ أَشْطُرَهُ حَياتي ... ونِلْتُ مِنَ المُنَى فَوْقَ المَزيدِ
وكافَحْتُ الأُمورَ وكافَحَتْني ... فلَمْ أَخْضَعْ لِمُعْضِلَةٍ كَؤُودِ
وكِدْتُ أنالُ بالشَّرَفِ الثُّرَيَّا ... ولكِنْ لا سَبيلَ إلى الخُلُودِ

٣٧١٤ ـ ومَرَّ مُساوِرٌ الورَّاقُ بقبْرِ حُمَيْدٍ الطُّوسِيِّ، وكان له صديقاً، فوقف عليه مُستعبِراً، وقال:

أبا غانِمٍ أمَّا ذُراكَ فواسِعٌ ... وقَبْرُكَ مَعْمُورُ الجَوانِبِ مُحْكَمُ
وما يَنْفَعُ المقْبورَ عُمْرانُ قَبْرِهِ ... إذا كان فيه جِسْمُهُ يَتَهَدَّمُ

٣٧١٥ ـ ومَرَّ مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَةَ بقبْرٍ، فوقف عنده وبكى، فقيل له: إنَّ هذا ليس بقبْرِ مالك فتبكي عندَه، فقال:

وقالوا أتَبْكِي كلَّ قَبْرٍ لَقِيتَهُ ... لِقَبْرٍ ثَوَى بيْنَ اللِّوَى فالدَّكادِكِ[1]
فقلتُ لهم إنَّ الأَسَى يبعَثُ الأسَى ... دَعُوني فهذا كلُّه قَبْرُ مالِكِ

٣٧١٦ - ولعمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله عنه:

إنْ كنتَ تعلمُ أنَّ اللَّهَ يا عُمرُ ... يرى ويسمعُ ما تأتي وما تَذَرُ
وأنتَ في غَفْلَةٍ مِنْ ذاك وتَرْكَبُ ما ... نَهاكَ عنه فأينَ الخوفُ والحَذَرُ
تُجاهِرُ اللَّهَ إقداماً عليه ومِنْ ... حُثَالَةِ الناسِ تَسْتَخْفي وتَسْتَتِرُ
فانظُرْ لنفسِك يا مِسكينُ في مَهَلٍ ... ما دامَ يَنْفَعُكَ التَّفْكيرُ والنَّظَرُ
قِفْ بالمقابرِ وانظُرْ إنْ وقفْتَ بِها ... للهِ دَرُّكَ ماذا تَسْتُرُ الحُفَرُ
ففِيهِمُ لك يا مَغرورُ موعِظَةٌ ... وفيهِمُ لك يا مُغْتَرُّ مُعْتَبَرُ

٣٧١٧ - ولابن المعتزِّ:

وجِيرانُ صِدْقٍ لا تَجاوُرَ بينهم ... سِوى قُرْبِ بَعْضٍ في المَحَلَّةِ مِنْ بَعْضِ
كأنَّ خَواتيماً مِنَ الطِّينِ فوقَهُم ... فليسَ لها حتَّى القِيامَةِ مِنْ فَضِّ

٣٧١٨ - ومما قلتُه في هذا الباب:

رعى اللهُ قبْرَيْنِ اسْتَكانا بِبَلْدَةٍ ... هُما أَسْكَناها في السَّوادِ مِنَ القَلْبِ
لَئِنْ بَعُدا عنْ ناظِري وتَبَوَّءا ... فُؤادي لقدْ زادَ التَّباعُدَ في القُرْبِ
يَقَرُّ بِعَيْني أنْ أزورَ رُباهُما ... وأُلْزِقُ مَكنونَ التَّرائبِ بالتُّرْبِ
وأبْكي وأبْكي ساكِنَيْها لَعَلَّني ... سَأُنجِدُ مِنْ صَحْبٍ وأُسْعَدُ مِنْ سُحْبِ
فما ساعدَتْ وُرْقُ الحَمامِ أخا أَسًى ... ولا رَوَّحَتْ ريحُ الصَّبا عن أخي كَرْبِ
ولا اسْتَعْذَبَتْ عَيناي بَعْدَهُما كَرَى ... ولا ظَمِئَتْ نَفْسي إلى البارِدِ العَذْبِ
أَحِنُّ ويُثْنِي اليَأْسُ نَفْسي على الأَسَى ... كما اضطرَ مَحْمُولٌ على المَرْكَبِ الصَّعْبِ

---

(١) اللِّوى: ما التوى من الرمل. والدَّكادِك: جمع دكْداك، وهو ما تكَبَّس من الرمل واستوى.

٣٧١٩ ـ وقال الموصليُّ: حدَّثني الأصمعيُّ: أنَّه لَمَّا حضرتْ ذا الرُّمَّةِ الوفاةُ، أمَرَ أنْ يُكتبَ على قبْرِه:

يا قابِضَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسي إذا اقْتَرَبَتْ ... وفارِجَ الكَرْبِ زَحْزِحْنِي مِنَ النَّارِ

٣٧٢٠ ـ ووجد على قبره مكتوب:

تُناجيكَ أجْداثٌ وهُنَّ سُكُوتُ ... وسُكَّانُها تحتَ التُّرابِ خُفُوتُ
أيا جامِعَ الدُّنيا لِغَيْرِ بَلاغَةٍ ... لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنيا وأنتَ تَموتُ

٣٧٢١ ـ ووُجدَ على قبْرٍ مكتوب:

وقفتُ على الأحِبَّةِ حينَ صُفَّتْ ... قُبُورُهُمُ كأفْراسِ الرِّهانِ
فلَمَّا أنْ بَكَيْتُ وفاضَ دَمْعِي ... رأتْ عَيْناي بينَهُمُ مَكاني

٣٧٢٢ ـ ووجد على قبر مكتوب:

يا أيُّها النَّاسُ كان لي أَمَلٌ ... قَصَّر بي عن بُلوغِهِ الأَجَلُ
فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ربَّهُ رَجُلٌ ... أَمْكَنَه في حَياتِهِ العَمَلُ

٣٧٢٣ ـ وقال القاسمُ بنُ سعدٍ: رأيتُ قبْراً في بُستانٍ كثيرِ النَّخلِ والرُّمانِ وأصنافِ الشجرِ، وعليه مكتوبٌ:

كمْ ساكِنٍ في قَبْرِهِ ... يَفْنَى جديدُ جُمَالِهِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ بَعْدَهُ ... يَتَلَذَّذونَ بِمَالِهِ

٣٧٢٤ ـ وقال مالكُ بنُ دينارٍ: مررتُ بالمقبْرةِ، فقلت:

أَتَيْتُ القُبورَ فنادَيْتُها ... أينَ المُعَظَّمُ والمُحْتَقَرْ
وأينَ المُدِلُّ بِسُلْطانِهِ ... وأينَ المُزَكَّى إذا ما افْتَخَرْ

فأجابني قائلٌ:

تَفَانَوْا جَميعاً فلا مُخْبِرٌ ... وماتُوا جميعاً وماتَ الخَبَرْ

تَروحُ وتَغْدُو بناتُ النَّوَى فَتَمْحو مَحَاسِنَ تلكَ الصُّوَرْ
فيا سائِلاً عنْ أُناسٍ مَضَوْا أمَا لك فيما تَرَى مُعْتَبَرْ

٣٧٢٥ - وأمر أبو العتاهيةِ أنْ يُكتبَ على قبْرِه هذه الأبياتُ:

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعِي اسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أنا رَهْنٌ بِمَضْرَعِي فاحْذَرُوا مِثْلَ مَضْرَعِي
عِشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً أَسْلَمَتْنِي لِمَضْجَعِي
ليس زادٌ سِوَى التُّقَى فَخُذي منه أو دَعِي

٣٧٢٦ - ولعَبْدَةَ بنِ الطَّبيبِ:

ولقدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَصْرِيَ حُفْرَةٌ غَبْرَاءُ يَحْمِلُني إليها شَرْجَعُ[1]
فبكى بناتي شَجْوَهُنَّ وزَوْجَتِي والأَقْرَبُونَ إلَيَّ ثُمَّ تَصَدَّعوا
وتُرِكْتُ في غَبْراءَ يُكْرَهُ وِرْدُهَا تَسْفِي عَلَيَّ الرِّيحُ حينَ أُوَدَّعُ
إنَّ الحَوادِثَ يَخْتَرِمْنَ وإنَّما عُمْرُ الفَتَى في أهلِهِ مُسْتَوْدَعُ
يَسْعَى ويَجْمَعُ جاهِداً مُسْتَهْتَراً جِدّاً وليسَ بِآكِلِ ما يَجْمَعُ
حتَّى إذا وافَى الحِمَامُ لِوَقْتِهِ ولِكُلِّ جَنْبٍ لا أبا لك مَضْجَعُ

٣٧٢٧ - وللتهامي في ابنِه:

أُحَمِّلُهُ ثِقْلَ التُّرابِ وإنَّني لأَخْشَى عليه الثِّقْلَ مِنْ مَوْطِئِ الذَّرِّ
وأُودِعُهُ غَبْرَاءَ غَيْرَ أَمِينَةٍ ولكِنْ قادَ شَرٌّ إلى شَرِّ

٣٧٢٨ - ولعليِّ بنِ بسَّامٍ يرثي عليَّ بنَ المُنَجِّمِ:

قدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يا عَلِيُّ مُسَلِّماً ولكَ الزِّيارَةُ مِنْ أَقَلِّ الواجِبِ
فَلَوِ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عنك تُرابَهُ فَلَطَالَما عَنِّي حَمَلْتَ نَوائِبِي

---

(١) الشَّرجع: النعش.

٣٧٢٩ ـ وللعُتْبِيِّ:

أَسُكَّانَ بَطْنِ الأَرْضِ لو قُبِلَ الفِدَى ... فَدَيْنَا وأَعْطَيْناكُمْ ساكِنَ الظَّهْرِ
فيا ليتَ مَنْ فيها عليها ولَيتَ مَنْ ... عليها ثَوى فيها مُقِيماً إلى الحَشْرِ
وقاسَمَنِي دَهْري بَنِيَّ مُشاطِراً ... فلَمَّا تَوَلَّى شَطْرُهُ مال في شَطْرِ
فصارُوا كأنْ لَمْ يَعْرِفِ المَوتُ غَيرَهم ... فثُكْلٌ إلى ثكْلٍ وقَبْرٌ إلى قَبْرِ

٣٧٣٠ ـ قال عُتبةُ بنُ هارونَ: كنتُ مع فضلٍ الرَّقاشِيِّ، فمرَّ بمقبَرةٍ، فقال: يا أهلَ الدِّيارِ المُوحِشَةِ، والمَحَالِّ المُقْفِرَةِ، التي نطقَ بالخرابِ فِناؤُها، وشُيِّدَ بالتُّرابِ بِناؤُها، فساكِنُها مُغْتَرِبٌ، ومَحَلُّها مُقتربٌ، وأهلُ المنازلِ مُتشاغلون لا يتواصلون تواصُلَ الإخوانِ، ولا يتزاورونَ تَزاوُرَ الجِيرانِ، قد طحنَهم بكَلْكَلِهِ البِلَى، وأكلهمُ الجَنْدَلُ والثَّرى[1].

٣٧٣١ ـ وللتِّهامِيِّ:

أَزُورُكَ إِكْراما وبِرّاً وفي البُكا ... لِمِثْلِكَ شُغْلٌ عن جَفَائي وعَنْ بِرِّي
رَجَوْتُكَ للدُّنْيا وللدِّينِ قَبْلَها ... ورُحْتُ بِكَفٍّ مِنْ رَجائِهِما صِفْرِ
فما أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ وإنْ جَلَّ ذِكْرُهُ ... فإنَّكَ مِنِّي ما حَيِيتُ على ذِكْرِ
وإنِّيَ مِنْ دَهْرٍ أصابَكَ صَرْفُهُ ... وأَخْطَأني مِنْ أَنْ يُصِيبَ على حِذْرِ

٣٧٣٢ ـ وجدت في كتابٍ، ونحوه في «العُتْبِيَّةِ» عن مالكٍ، عنِ النبيِّ ﷺ مرسلاً: رأى النبيُّ ﷺ في قبْرِ إبراهيمَ فُرْجَةً، فأمر فسُدَّتْ، وقال: «**ما تضرُّ ولا تنفعُ، ولكنَّه تُقَرُّ بعينِ الحيِّ. وإنَّ العبدَ إذا عمل عملاً أحبَّ اللَّهُ أنْ يُتقِنَه**»[2].

---

(١) الكلكل: الصدر، والجندل: الحجارة.

(٢) حديث مرسل. وقد روي موصولاً بإسناد ضعيف جداً، فأخرج الشطر الأول منه أحمد ٥/٢٥٤، والحاكم ٣٧٩/٢ عن أبي أمامة الباهلي ﷺ. ورواه عبد الرزاق في المصنف (٦٥٠٣) عن مكحول مرسلاً. ورواه ابن سعد في الطبقات ٢١٥/٨ ـ ٢١٦، والطبراني في المعجم الكبير ٣٠٦/٢٤ عن سيرين القبطية، وفيه محمد بن عمر الواقدي، وهو متهم بالكذب.

=

٣٧٣٣ ـ ولبعضهم:

أَوْدَعْتُ مَنْ كان في الأَحْشَاءِ مَسْكَنُهُ ... بالرُّغْمِ مِنِّيَ بيْنَ التُّرْبِ والحَجَرِ
إنْ تَمْحُ يا قَبْرُ شَيْئاً مِنْ مَحاسِنِهِ ... لَمْ تَمْحُ عنه جَميلَ الذِّكْرِ والخَبَرِ

٣٧٣٤ ـ ووُجِدَ بالمدينة على قبْرٍ مكتوبٌ:

يا مُفْرَداً سَكَنَ الثَّرَى وبَقِيتُ ... لو كنتُ أصدُقُ إذْ بَلِيتَ بَلِيتُ
الحَيُّ يكذِبُ لا صديقَ لِمَيِّتٍ ... لو صحَّ ذاك ومِتَّ كنتُ أَموتُ

* * *

٢٢٤ ـ ما جاء في أشراط الساعة

٣٧٣٥ ـ قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧].

٣٧٣٦ ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

٣٧٣٧ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتين**»[١].

٣٧٣٨ ـ وروى الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعة حتَّى تطلُعَ الشمسُ مِنْ مغرِبِها، فإذا طلَعت فرآها الناسُ آمَنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفعُ نفساً إيمانُها**»[٢].

= والشطر الثاني رواه الطبراني ٣٠٦/٢٤ رقم (٧٧٦) عن سيرين، وإسناده ضعيف أيضاً. ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ٢٧٥/١ رقم (٨٩٧)، وأبو يعلى (٤٣٨٦) عن عائشة رضي الله عنها، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٨/٤، وقال: رواه أبو يعلى، وفيه مصعب بن ثابت، وثّقه ابن حبان وضعَّفه جماعة.

(١) البخاري (٤٩٣٦)، ومسلم (٢٩٥٠).

(٢) البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

٣٧٣٩ ـ وروى عطاءُ بنُ يَسارٍ، عن أبي هُريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتَظِرِ السَّاعةَ**». قال: كيف إضاعتُها يا رسول اللَّه؟ قال: «**إذا أُسندَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظِرِ الساعةَ**»(١).

٣٧٤٠ ـ ورُوِيَ عن حُذيفةَ بنِ أَسِيْدٍ أنه قال: «**لن تقومَ الساعةُ حتَّى ترَوْا عشْرَ آياتٍ: الدُخانُ، والدجالُ، ويأجوجُ ومأجوجُ، وطُلوعُ الشمسِ مِنْ مغربِها، والدَّابَّةُ، ونزولُ عيسى بنِ مريمَ، وثلاث خُسوفٍ: خسفٌ بالمشرقِ، وخسفٌ بالمغربِ، وخسفٌ بجزيرةِ العربِ، ونارٌ تحشُرُ الناسَ**»(٢).

٣٧٤١ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة أنه قال: «**قبل الساعة سُنونَ خَدَّاعاتٌ، يُصَدَّقُ فيهنَّ الكاذبُ، ويُكذَّبُ فيهنَّ الصادقُ، ويُخَوَّنُ فيهنَّ الأمينُ، ويُؤْتَمَنُ الخائنُ، وتنطِقُ فيهنَّ الرُّوَيبِضَةُ**»(٣).

٣٧٤٢ ـ وقال بعضُ الحُكماءِ: مِنْ أشراطِ الساعةِ أنْ يُلْتَمَسَ العِلمُ عندَ الأصاغرِ. قال ابنُ المبارك: هم أهل البِدَعِ.

٣٧٤٣ ـ وروى أبو هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقومُ الساعةُ حتى تقتَتِلَ فِئتانِ عظيمتانِ، يكون بينهما مَقْتَلةٌ عظيمةٌ، دعواهما واحدة، وحتى يُبْعَثَ دجَّالونَ كذابون، قريبٌ مِنْ ثلاثين، كلُّهم يزعُم أنه رسولُ الله، وحتى يُقْبَضَ العلمُ، وتَكثُرَ الزَّلازلُ، ويتقاربَ الزمانُ، وتظهرَ الفتَنُ، ويكثُرَ الهرْجُ، وهو القتلُ، حتَّى يكثُرَ فيكمُ المالُ، فيفيضَ، حتى يُهِمَّ ربُّ المالِ مَنْ يقبلُ صدقتَه، وحتَّى يعرِضَه، فيقول الذي يعرِضُه عليه: لا أَرَبَ لي فيه،**

---

(١) البخاري (٥٩، و٦٤٩٦).

(٢) مسلم (٢٩٠١). وهو حديث مرفوع.

(٣) حديث مرفوع، رواه أحمد ٢٩١/٢ و٣٣٨، وابن ماجه (٤٠٣٦)، وصححه الحاكم ٤١٢/٤ و٤٦٥/٤ ـ ٤٦٦. و«الرويبضة» كما فسر في الروايات الأخرى: «**الرجل السفيه يتكلم في أمر العامة**».

وحتَّى يتطاوَلَ الناسُ في البُنيان، وحتَّى يَمُرَّ الرجلُ بقبْرِ أخيه، فيقول: يا ليتني مكانَه»(١).

٣٧٤٤ ـ وقال أبو سعيد: حدَّثنا النبيُّ ﷺ عنِ الدَّجَّالِ، فقال: «إنَّه مُحَرَّمٌ عليه أنْ يدخلَ نِقابَ المدينةِ، فينزل بعضَ السِّباخِ التي تَلي المدينةَ، فتَرْجُفُ ثلاثَ رَجَفاتٍ، فيخرجُ إليه كلُّ كافرٍ ومنافقٍ، ويخرج إليه يومئذٍ رجلٌ، وهو خيرُ الناسِ، أو مِنْ خيرِ الناسِ، فيقول: أشهدُ أنكَ الدَّجَّالُ الذي حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حديثَه، فيقول الدَّجَّالُ: أرأيتم إن قتلتُ هذا الرجلَ ثم أحيَيْتُه، هل تشكُّونَ في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتُلُه ثم يُحييه، فيقول: والله ما كنتُ فيك أشدَّ بصيرةً مِنِّي اليومَ، فيُريدُ الدَّجَّالُ أنْ يقتلَه، فلا يُسَلَّطُ عليه»(٢).

وأضفت إلى حديث أبي سعيد بعض حديث أنس والله أعلم(٣).

٣٧٤٥ ـ قال مالك: يُذْكرُ أنه بينما الناسُ في بلدٍ، إذ يسمعونَ الإقامةَ يريد الصلاةَ، فتغشاهم غمامةٌ، فإذا عيسى بن مريم قد نزل.

❋ ❋ ❋

٢٢٥ ـ ما جاء في القيامة

٣٧٤٦ ـ قال الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾ [الواقعة: ١ ـ ٥].

٣٧٤٧ ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ١ ـ ٥].

---

(١) البخاري (٧١٢١).

(٢) البخاري (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

(٣) وهو قوله: «فتَرْجُفُ ثلاثَ رَجَفات، فيخرجُ إليه كلُّ كافرٍ ومنافقٍ». رواه البخاري (٧١٢٤).

٣٧٤٨ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

٣٧٤٩ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١ ـ ٢].

٣٧٥٠ ـ ورُوِيَ عنِ الشَّعبِيِّ أنه قال: لقِيَ جبريلُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: يا جبْريلُ، متى الساعةُ؟ قال: فانتفضَ جبْريلُ في أجنحتِه، فقال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ مِنَ السائلِ، ثَقُلَتْ في السماواتِ والأرضِ، لا تأتيكم إلا بغتةً. وقال: لا يُجَلِّيها لوقتِها إلا هو.

٣٧٥١ ـ وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**لَتَقُومَنَّ الساعةُ وقد نشرَ الرجلانِ ثوبَهما، فلا يتبايعانِه، ولا يطويانِه، ولَتَقُومَنَّ الساعةُ وقدِ انصرفَ الرجلُ بلَبَنِ لَقْحَتِهِ فلا يَطْعَمُهُ. ولَتَقُومَنَّ الساعةُ وقد رفع أُكْلَتَهُ إلى فيه فلا يَطْعَمُها**»(١).

٣٧٥٢ ـ وروى عطيةُ عن أبي سعيدِ الخُدريِّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أَنعَمُ وصاحبُ القرنِ قدِ التقَمَ القرنَ، واستَمَعَ الإذْنَ متَى يُؤْمَرَ فينفُخ**»؟ فاشتدَّ ذلك على أصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ فقال لهم: «**قولوا: حسبُنا اللّهُ ونِعْمَ الوكيلُ**»(٢).

٣٧٥٣ ـ وروى سعيدُ بنُ المسيبِ عن أبي هريرةَ، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) البخاري (٦٥٠٦، و٧١٢١)، ومسلم (٢٩٥٤). واللقحة: الناقة ذات الدَّرِّ.

(٢) حديث صحيح. صححه ابن حبان (٨٢٣)، والحاكم ٥٥٩/٤. إلا أن الرواية التي أوردها المصنف ضعيفة الإسناد لضعف عطية، وهو العوفي، وقد رواها أحمد ٧/٣ و٧٣، والترمذي (٢٤٣١)، وقال: حديث حسن.

«لَتُتْرَكَنَّ المدينةُ على خيرِ ما كانت، لا تغشاها إلا العوافي، يُريدُ عوافي السِّباعِ والطَّيرِ. وآخِرُ مَنْ يُحشرُ راعيان مِنْ مُزَيْنَةَ يريدان، يعني، المدينةَ، فيَنْعَقانِ بِغنمِهما، فيَجِدانِها وحْشاً، حتَّى إذا بلغا ثَنِيَّةَ الوَداعِ خَرَّا على وجوهِهما»[١].

٣٧٥٤ - ورُوِيَ عن الحسن: إنَّ بيْنَ النَّفختين أربعينَ، واللهُ أعلمُ: أربعينَ عاماً، أم أربعين شهراً، أم أربعين يوماً. فأمَّا النَّفخةُ الأولى، فأماتتْ كلَّ حَيٍّ، وأمَّا النفخةُ الآخرةُ، فأحيت كلَّ ميتٍ، فإذا هم قيام ينظُرون.

٣٧٥٥ - ورُوِيَ عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنه كان إذا ذكر الساعةَ صاح كما تصيحُ الثَّكلى.

٣٧٥٦ - ورُوِيَ عن أبي العالية عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ، قال: ستُّ آياتٍ قبلَ يومِ القيامةِ؛ قال: بينما الناس في أسواقهم إذ ذهبَ ضَوْءُ الشمسِ، فبينما هم كذلك، إذ تناثرتِ النُّجومُ، فبينما هم كذلك إذ وقعتِ الجبالُ على وجهِ الأرضِ، فدُكَّتِ الأرضُ واضطربت، ففزِعَتِ الجِنُّ إلى الإنسِ، والإنسُ إلى الجِنِّ، واختلطتِ الدوابُّ والطيْر والوحوش، وماج الناسُ بعضُهم في بعضٍ. ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: ٥]؛ قال: اختلطت، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير: ٤] قال: أهملها أهلها، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦]، قال الجن: نحن نأتيكم بالخبَر، فانطلقوا فإذا هي نارٌ تأَجَجُّ، فبينما هم كذلك جاءتْهم ريحٌ فأهلكتهم[٢].

٣٧٥٧ - ولأبي العتاهية:

سُبحانَ ذي المَلكوتِ أيَّةُ ليلةٍ ... مَخَضَتْ صَبِيحَتُها بيوَمِ الموقفِ
لو أنَّ عَيْناً وهَّمَتْها نفسُها ... يومَ الحِساب تَمَثُّلاً لَم تَطْرِفِ

---

(١) البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣/٤١، وتفسير ابن كثير ٨/٣٣٠.

٣٧٥٨ ـ وروى شهرُ بنُ حَوْشَبٍ عنِ ابنِ عباسٍ، قال: إذا كان يومُ القيامةِ، مُدَّتِ الأرضُ مَدَّ الأديم، ثم تُقايضُ سماءُ الدنيا على الأرضِ، فأهلُ السماءِ الدنيا وحدَهم أكثَرُ مِنْ جميعِ أهلِ الأرضِ جِنِّهم وإنسِهم بالضِّعفِ، فيفزَعون إليهم، فيقولون: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: سبحانَه، ليس فينا، وهو آتٍ، ثم تُقايضُ السماءُ الثانيةُ، فينتشرون على وجه الأرضِ، فأهلُ السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل الأرض جنِّهم وإنسِهم بالضِّعفِ، فيفزعون إليهم، فيقولون: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: ليس فينا، وهو آتٍ، ثم تُقايضُ السمواتُ سماءً سماءً، كلَّما قُيِّضت سماءٌ انتشرَ أهلُها على وجه الأرضِ، فيكونون أكثرَ مِنْ أهلِ السمواتِ التي تحتَهم، وأهلِ الأرضِ جنِّهم وإنسِهم بالضِّعْفِ، ويفزعُ إليهم أهلُ الأرض، فيقولون: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: سبحانه، ليس فينا وهو آتٍ، ثم تُقايضُ السماء السابعةُ، فينتشرُ أهلُها على وجهِ الأرضِ، فلهم وحدَهم أكثرُ مِنْ أهلِ السمواتِ، ومِنْ جميعِ أهلِ الأرضِ جنِّهم وإنسِهم بالضِّعْفِ، وينْزلُ اللَّهُ تبارك وتعالى في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والملائكةِ، ثم ينادي منادٍ: سيعلمُ الجمع لِمَنِ الكرمُ اليومَ، لِيَقُمِ الحمَّادون لله عزَّ وجلَّ على كلِّ حالٍ، فيقومون فيسرحون إلى الجنةِ، ثم ينادي الثانيةَ: سيعلم الجمعُ لِمَنِ الكرمُ اليومَ، لِيَقُم الذين كانت تتجافى جنوبُهم عن المضاجِعِ يدعون ربَّهم خوفاً وطمعاً ومِمَّا رزقناهم ينفقون، فيسرحون إلى الجنةِ. ثم ينادي الثالثة: سيعلم أهلُ الجمعِ لِمَنِ الكرمُ اليومَ، لِيَقُمِ الذين كانوا لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ اللَّهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ، يخافون يوماً تتقلَّب فيه القلوب والأبصارُ. قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة. قال ثم يخرج عُنُقٌ مِنَ النار له لسان فصيحٌ، وعينان بصيرتانِ، فتشرفُ على الخلائق، فتقول: إنِّي وُكِّلْتُ بثلاثةٍ: بكل جبَّارٍ عنيدٍ، فتلقطُهم مِنَ الصُفوف لَقْطَ الطَّير حبَّ السِّمسمِ، فتخنسُ بهم في جهنَّمَ، ثم تقول: إنِّي وُكِّلْتُ بمن آذى الله ورسولَه، فتلتقطُهم مِنَ الصفوف التقاطَ الطَّيْر حبَّ السمسم، فتخنس بهم في جهنَّمَ، ثم تخرج فتقول: إنِّي

وُكِّلْتُ ـ أظنُّه قال: بأصحابِ التَّصاوير ـ فتلتقطهم مِنَ الصفوف التقاطَ الطيْر حبَّ السمسم، فتخنسُ بهم في جهنمَ. فإذا أخذ من هؤلاء الثلاثِ نُشِرَتِ الصحفُ، ووُضِعَتِ الموازينُ، ودُعِيَ الخلائقُ للحسابِ[1].

* * *

٢٢٦ ـ ما جاء في النشور

٣٧٥٩ ـ قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥١ ـ ٥٢].

٣٧٦٠ ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

٣٧٦١ ـ وروى أبو هريرةَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يُصعَقُ الناسُ يومَ القيامةِ، فأكونُ أولَ مَنْ يفيقُ، فإذا موسى باطِشٌ بجانبِ العرشِ، فلا أدري أكانَ موسى مِمَّنْ صُعِقَ فأفاقَ قبلي، أو كان مِمَّنْ استثنى اللّهُ تعالى**»[2].

٣٧٦٢ ـ وقال كعب في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١]. قال: مَلَكٌ ينادى على صخرةِ بيتِ المقدسِ: أيتها العظامُ الباليةُ، والأوصالُ المتقطِّعةُ، إنَّ اللّهَ يأمرُكم أنْ تجتمعوا لفصلِ القضاءِ.

٣٧٦٣ ـ وقال مجاهد: للكفار هجعةٌ قبلَ يومِ القيامةِ، يجدون فيها

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٣٠/١٨٥ ـ ١٨٦. وشهر بن حوشب ضعيف. إلا أن الأثر روي من طرق أخرى؛ فرواه البيهقي في شعب الإيمان ١/٤٥٤ عن الحسن البصري، و٣/١٦٩ ـ ١٧٠ عن ربيعة الحرشي.

(٢) البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

طعمَ النومِ، فإذا صِيحَ بأهلِ القُبورِ، قالوا: يا ويلنا! مَنْ بعثَنا مِنْ مرقدِنا؟ فيقول المؤمنون: هذا ما وعدَ الرحمنُ وصدَقَ المرسلون.

* * *

٢٢٧ ـ ما جاء في الحشر

٣٧٦٤ ـ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٥ ـ ٨٦].

٣٧٦٥ ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝٤٨﴾ [الكهف: ٤٧ ـ ٤٨].

٣٧٦٦ ـ وروى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «**يُحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ على ثلاثِ طرائقَ، راغبين راهبين، اثنان على بعير، وثلاثةٌ على بعير، وأربعةٌ على بعير، وعشرةٌ على بعير، ويُحشر بقيَّتُهم إلى النارِ، تَقيلُ معهم حيث قالوا، وتَبيتُ معهم حيث باتوا، وتُصبِحُ معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمسَوْا**»(١).

٣٧٦٧ ـ وروى أنس أن رجلاً قال: يا نبي اللّهِ، كيف يُحشرُ الكافرُ على وجهِه؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على رِجلين في الدنيا قادرٌ أنْ يُمشِيَه على وجهِه يومَ القيامة**»؟(٢).

٣٧٦٨ ـ وقال ابن عباس: قام فينا النبيُّ ﷺ يخطُبُ، فقال: «**إنكم تُحشرون حُفاةً عُراةً غُزلاً** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآيَة، وإنَّ أول الخلائقِ يُكسى يومَ القيامةِ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنَّه سيُجاءُ

(١) البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٢) البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

برجالٍ مِنْ أُمتي، فيُؤخذُ بهم ذاتَ الشمال، فأقولُ: يا ربِّ، أصحابي، فيقول: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبدُ الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾»[1][المائدة: ١١٧].

٣٧٦٩ ـ وقالت عائشةُ: قال رسول الله ﷺ: **«الناسُ يُحشرون عُراةً حُفاةً غُرْلاً»**. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجالُ والنساءُ ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ!؟ قال: **«الأمرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يُهِمَّهُم ذلك»**[2].

٣٧٧٠ ـ ورُوِيَ عن أنس أنه قال: لم يلْقَ ابنُ آدمَ شيئاً قطُّ منذُ خلقه الله أشدَّ عليه مِنَ الموتَ، ثم إنَّ الموتَ أهونُ عليه مِمَّا بعدَه، إنَّهم ليَلْقون مِنْ هوْلِ ذلك اليومِ وشِدَّتِه حتى يُلجِمَهُم العرقُ حتَّى لو أُرْسِلَتْ فيه السُّفنُ لجرت[3].

٣٧٧١ ـ وقال الفرزدق:

أخافُ وراءَ القَبْرِ إنْ لَمْ يُعافِنِي ... أَشَدَّ مِنَ القَبْرِ التِهاباً وأضْيَقَا
إذا قادَنِي يومَ القِيامَةِ قائِدٌ ... عَنيفٌ وسَوَّاقٌ يَسُوقُ الفَرَزْدَقَا
لَقدْ خابَ مِنْ أولادِ آدَمَ مَنْ مَشَى ... إلى النارِ مَغْلولَ القِلادَةِ أَزْرَقَا

* * *

٢٢٨ ـ ما جاء في الحوض

٣٧٧٢ ـ روى عبدُ اللَّهِ بنُ عَمرو، قال: قال النبي ﷺ: **«حوضي**

---

(١) البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

(٢) البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

(٣) حديث مرفوع. رواه أحمد ١٥٤/٣، والطبراني في المعجم الأوسط (١٩٧٦). وجوَّد إسنادَه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٣٩٠/٤، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٤/١٠.

مَسيرةُ شهرٍ، ماؤُهُ أبيضُ مِنَ اللبَنِ، ورِيحُه أطيبُ مِنَ المِسْكِ، وكِيزانُه كنُجومِ السماءِ، مَنْ شرب منها فلا يظمأُ أبداً»[1].

٣٧٧٣ ـ وروى أبو هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومِنْبري روضةٌ مِنْ رِياضِ الجنة، ومِنبَري على حَوضي**»[2].

٣٧٧٤ ـ وروى نافعٌ عن ابنِ عمرَ عن النبيﷺ قال: «**أمامَكم حوضي كما بين جَرْباء وأُذْرُح**»[3].

٣٧٧٥ ـ وروى ابنُ شهابٍ عن أنسٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ قدْرَ حوضي ما بين أَيلَةَ وصنعاءَ مِنَ اليمن، وإنَّ فيه مِنَ الأباريقِ كعددِ نُجومِ السماءِ**»[4].

٣٧٧٦ ـ وروى أبو الخيْر عن عُقبةَ بنِ عامرٍ أنَّ النبي ﷺ خرج يوماً، فصلَّى على أهلِ أُحدٍ صلاتَه على الميت، ثم انصرفَ إلى المنبَر، فقال: «**إنِّي فَرَطٌ لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإنِّي واللّه لأنظُرُ إلى حوضي الآن، وإنِّي أُعطِيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ أو خزائنَ الأرض، وإنِّي واللّهِ ما أخافُ عليكم أنْ تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أنْ تنافَسُوا فيها**»[5].

٣٧٧٧ ـ وروى الحسنُ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ألا إنَّ لكلِّ نبي حوضاً يدعو إليه مَنْ عرف مِنْ أُمَّتِه، ألا وإنَّهم ليَتباهَوْنَ أيُّهم أكثَرُ واردةً. ما بين جنْبَتَيْ حوضي كما بينَ صنعاءَ وأيلَةَ، فيه عددُ نُجومِ السماء آنيةَ ذهبِ**

---

(١) البخاري (٦٥٧٩).

(٢) البخاري (١٨٨٨، و٦٥٨٨)، ومسلم (١٣٩١).

(٣) البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩). والجرباء وأذرح: قريتان قرب مدينة الكرك في الأردن.

(٤) البخاري (٦٥٨٠) ومسلم (٢٣٠٣).

(٥) البخاري (١٣٤٤، و٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

وفضةٍ، شرابُه أبيضُ مِنَ اللبن، وأحلى مِنَ العسل، وأبردُ مِنَ الثلج، مَنْ شرب منه لم يظمأْ بعدَها أبداً»[١].

٣٧٧٨ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خرج إلى المقبَرة، فقال: «**السلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنَّا إنْ شاءَ الله بكم لاحقون**»[٢].

❋ ❋ ❋

٢٢٩ ـ ما جاء في المسألة والحساب

٣٧٧٩ ـ قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣].

٣٧٨٠ ـ وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

٣٧٨١ ـ وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: ٦٩ ـ ٧٠].

٣٧٨٢ ـ ورُوِيَ عن عائشةَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ليس أحدٌ يُحاسَبُ يومَ القيامةِ إلا هلك**». فقلت: يا رسولَ الله، أليسَ يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩] فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّما ذلك العَرْضُ، وليس أحدٌ يُناقَشُ الحسابَ يومَ القيامةِ إلا عُذِّبَ**»[٣].

---

(١) حديث مرسل. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٦٨٨١)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٣٤) عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب ﷺ مرفوعاً. وإسناده حسن.
(٢) مسلم (٢٤٩).
(٣) البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

٣٧٨٣ ـ وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: معنى قول النبي ﷺ: **«مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ عُذِّبَ»**: النَّقشُ: هو الاستقصاءُ، حتى لا يُترَكَ منه شيءٌ. ثم قال سُفيانُ: أبشروا؛ فأنه ما استقصى كريمٌ قطُّ.

٣٧٨٤ ـ وقال جابر بن عبد الله ﷺ: مَنْ زادتْ حسناتُه على سيِّئاتِه، فذلك الذي يدخلُ الجنةَ بغيْرِ حسابٍ. ومَنِ استوتْ حسناتُه وسيِّئاتُه، فذاك الذي يُحاسَبُ حساباً يَسيراً، ثم يدخلُ الجنةَ، وإنَّما شفاعةُ النبي لمن أوْبَقَ نفسَه، وأثقلَ ظهرَه[١].

٣٧٨٥ ـ وروى صفوان بن مُحرزٍ المازنيُّ، قال: بينما أنا أمشي مع ابنِ عمرَ، آخِذٌ بيده، إذ عرض رجلٌ، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ الله يُدني المؤمن فيضعُ عليه كنَفَه ويستُرُه، فيقول: أتعرف ذنبَ كذا، أتعرف ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم أيْ ربِّ، حتى قرَّره بذنوبِه، ورأى في نفسِه أنه هلَكَ، قال: سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم، فيُعطَى كتابَ حسناتِه. وأما الكافر أو المنافق، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[٢] [هود: ١٨].

٣٧٨٦ ـ وروى ابن أنعُم عن حِبَّانَ بنِ أبي جَبَلَةَ، قال: أولُ مَنْ يُدعى يومَ القيامةِ إسرافيلُ، فيقول الله جلَّ ثناؤه: هل بلَّغتَ عهدي؟ فيقول: نعم يا ربِّ، قد بلَّغتُه جبريلَ، فيُدعى جبريلُ، فيقال له: هل بلَّغك إسرافيلُ عهدي؟ فيقول: نعم، فيُخَلَّى عن إسرافيلَ، ويُقال لجبريلَ: ما صنعت بعهدي؟ فيقول: بلَّغتُه الرسلَ، فيقول لهم: هل بلَّغكم جبريلُ عهدي؟ فيقولون: نعم، فيُخَلَّى عن جبريلَ، ويقال للرسلِ: هل بلَّغتم عهدي؟

---

(١) أشار الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤٢١/١١ إلى أن الحاكم، والبيهقي في البعث أخرجاه مرفوعاً.

(٢) البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

فيقولون: نعم، قد بلَّغناه الأُمَمَ، فتُدعى الأممُ، فيُقال لهم: هل بلَّغتكمُ الرسلُ عهدي؟ فمكذِّبٌ ومصدِّقٌ. فيقول الرسلُ: لنا عليهم شُهداءُ، فيقول تعالى: مَنْ؟ فيقولون: أمةُ محمدٍ، فيُقال لهم: أتشهدون أنَّ الرُّسُلَ بلَّغت الأممَ؟ فيقولون: نعم، فتقول الأُممُ: يا ربِّ، كيف يشهدُ علينا مَنْ لم يُدركْنا؟ فيقول الله عزَّ وجلَّ: كيف تشهدون عليهم ولم تُدركوهم؟ فيقولون: يا ربنا أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت إلينا كتاباً، فقصَصتَ علينا أنْ قد بَلَّغوا، فذلك قوله تعالى جدُّه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية.

قال: الوسط العدل[(١)].

٣٧٨٧ ـ وقال بعضُ العلماء: «**لا تزولُ قدما العبدِ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن خمسةٍ: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن مالِه مِنْ أين اكتسبَه وفي ماذا أنفقَه، وماذا عمِلَ فيما علِمَ**»[(٢)].

٣٧٨٨ ـ وقال المحاسَبيُّ: حَذِّرْ نفسَك مِنْ يومٍ آلى اللَّهُ تعالى فيه ألا يترُكَ عبداً قد أمره ونهاه حتى يسألَه عن عملِه دقيقِهِ وجليلِهِ، سِرِّهِ وعلانيتِه. فانظر بأيِّ بدنٍ تقف وبأيِّ لسانٍ تُجيبُ، وأعِدَّ لذلك السؤالِ جواباً، وليكنِ الجوابُ صواباً.

٣٧٨٩ ـ وقال الحسن: ابنَ آدمَ، وُكِّلَ بك مَلَكان كريمان، وبُسطتْ لك صحيفةٌ. تأمَّلْ ما شئتَ، حتى إذا فارقتَ الدنيا أُلْزِمْتَ صحيفتَك في رقبتِك، ثم تأول هذه الآية ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤]. قال الحسن: والله لقد عدلَ عليك مَنْ جعلك حسيبَ نفسِك.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١٥٩٨)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في التفسير ٢/١٠ عن حبان بن أبي جبلة يسنده. وإسناده مرسل ضعيف.

(٢) حديث مرفوع، رواه الترمذي (٢٤١٦) عن عبد الله بن مسعود ﷺ. وإسناده ضعيف. لكن يشهد له ما رواه الترمذي أيضاً (٢٤١٧) من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ.

٣٧٩٠ ـ وكان عُقبةُ بن مسلمٍ عند سعيدِ بنِ المسيِّبِ، فإذا بجماعةٍ مِنَ الناسِ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجلٌ طِيفَ به في فَلَسٍ، فقال: ما هذا مُفلسٌ، إنَّما المفلسُ الذي يَقدَمُ على ربِّه تعالى بسيِّئاتٍ وليست له حسناتٌ.

٣٧٩١ ـ وكان أيوبُ القُرشيُّ كثيراً ما يقول: لا إله إلا الله، إنَّما الغِنَى والفقر بعدَ العَرْضِ على اللَّهِ تعالى.

٣٧٩٢ ـ وروى الأعمشُ عن إبراهيمَ في قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤] قال: كانوا يرون أنَّه يُفْرَغُ مِنْ حسابِ الناسِ يومَ القيامةِ في مِقدارِ نصفِ يومٍ، ثم يُقال: هؤلاء في الجنةِ وهؤلاء في النارِ.

٣٧٩٣ ـ ولبعضِ الشعراءِ:

تَسَرْبَلْ بثوبِ الحِلْمِ وأَعرِضْ عنِ الجَهْلِ ... وبادِرْ بتقوى اللَّهِ ما دُمْتَ في مَهْلِ
تَذَكَّرْ غداً يومَ الحسابِ وهَوْلِهِ ... إذا جَمَعَ اللَّهُ الخلائِقَ للفَصْلِ
هنالك لا جَوْرٌ يُخافُ وإنَّما ... يَخافُ هناك الخائفون مِنَ العَدْلِ

٣٧٩٤ ـ وقال كعبٌ: لو أنَّ رجلاً كان له عملُ سبعين نبياً، لَخَشِيَ ألا ينجو مِنْ شَرِّ ذلك اليومِ.

٣٧٩٥ ـ وقال الحسن بن محمد: يُحاسبُ اللَّهُ المسلمين يومَ القيامةِ بالمِنَّةِ والفضلِ، والكُفارَ بالحُجَّةِ والعدلِ.

* * *

٢٣٠ ـ ما جاء في إيتاء الصحف

٣٧٩٦ ـ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١٢].

٣٧٩٧ ـ ورُوِيَ عن بعض من مضى: أن أول خطٍ في الكتب يوم القيامة ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤]. وقيل سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئاً.

٣٧٩٨ ـ وقال بعض العلماء: ثلاثةُ مواطن لا يسألُ فيها أحدٌ أحداً: إذا تطايرَتِ الكُتبُ، حتى يعلم أيأخُذُ كتابَه بيمينِه أم بشماله، وإذا وُضِعَتِ الموازينُ حتَّى يعلمَ أَيَثْقُلُ مِيزانُه أم يَخِفُّ، وعندَ الصراطِ حتَّى يعلمَ أَيجوزُه أم لا.

* * *

٢٣١ ـ ما جاء في الوقوف بين يدي الله تبارك اسمه

٣٧٩٩ ـ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

٣٨٠٠ ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠].

٣٨٠١ ـ وروى ابنُ عمرَ عنِ النبيِّ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] قال: «**يقوم أحدُهم في رَشْحِهِ إلى أنصافِ أُذنيه**»[(١)].

٣٨٠٢ ـ وقال أبو هريرة: إن النبي ﷺ قال: «**يعرقُ الناسُ يومَ القيامةِ حتَّى يذهبَ عرقُهم في الأرضِ سبعينَ ذِراعاً، ويُلجِمُهم حتَّى يبلُغَ آذانَهم**»[(٢)].

٣٨٠٣ ـ وروى الحسنُ عن عمرانَ بن حُصيْنٍ أنَّ النبيَّ ﷺ رفع صوته في بعضِ أسفارِه بهاتين الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ

---

(١) البخاري (٤٩٣٨، و٦٥٣١)، ومسلم (٢٨٦٢).

(٢) البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١ ـ ٢] وقد تفاوت بين أصحابِه السيْرُ، فلمَّا سمعوا ذلك، حثُّوا المَطِيَّ، وعلموا أنَّ ذلك عند قولٍ يقولُه، فتأشَّبُوا حولَه، قال: «**أتدرون أيَّ يوم يُنادَى فيه آدمُ؟ يُناديه ربُّه، فيقول: يا آدمُ، قم فابعث بَعْثَ النارِ، فيقول آدمُ: ما بَعْثُ النارِ؟ فيقول: مِنْ كلِّ ألفٍ تسعَ مائةٍ وتسعة وتسعين إلى النارِ وواحدٌ إلى الجنة**». فأبلس أصحابُ النبي ﷺ حتى ما أوضحوا بضاحكةٍ، فلمَّا رأى ذلك النبيُّ ﷺ قال: «**أبشِرُوا واعملُوا، فوالذي نفسي بيدِه إنَّكم مع خليقتَين ما كانتا مع شيءٍ قطُّ إلا كثَّرَتاه: يأجوجَ ومأجوجَ، ومَنْ هَلَكَ مِنْ بني آدمَ وبني إبليسَ، فأبشِرُوا واعملوا، فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناسِ إلا كالشَّامةِ في جنبِ البعير وكالرَّقْمَةِ في ذراع الدابَّةِ**»[1].

٣٨٠٤ ـ وقال أبو عمران الجَوْني: إذا رأتِ البهائمُ يومَ القيامةِ بني آدمَ تصدَّعوا مِنْ بيْن يديِ اللَّهِ تعالى صِنفيْنِ، قالت: الحمدُ لله يا بني آدمَ الذي لم يجعلْنا منكم، فلا جنةً نرجو ولا ناراً نخافُ.

٣٨٠٥ ـ وقال الفُضيلُ بنُ عِياضٍ في قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨] قال: هي الوالدةُ تَلقَى ولدَها يومَ القيامةِ، فتقول: يا بُنيَّ، ألم يكن بطني لك وعاءً، وثديي لك سقاءً؟ فيقول: نعم يا أُمَّهْ، فتقول: يا بُني، قد أثقَلَتْني ذُنوبي، فاحمِلْ عني منها ذنباً واحداً، فيقول: إليك عني يا أُمَّهْ؛ فإني اليوم مشغولٌ.

٣٨٠٦ ـ وقيل في قوله تعالى: ﴿يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾

---

(١) رواه أحمد ٤/٤٣٢و٤٣٥، والترمذي (٣١٦٨)، وقال: حسن صحيح. وقوله: تأشبوا: أي تدانوا وتضامُّوا.

[النور: ٣٧]: يعني، واللَّهُ أعلمُ، قلوب الكافرين وأبصارهم؛ فأمَّا تقلُّبُ القلوبِ فانتزاعُها مِنْ أماكِنِها، فتَغَصُّ بها الحناجرُ، فلا هي تخرُجُ ولا هي ترجِعُ. وأمَّا تقَلُّبُ الأبصارِ، فتقلُّبُها مِنَ الكَحَلِ إلى الزرقِ، ومِنَ البصرِ إلى العَمى.

٣٨٠٧ ـ وقال يحيى بن راشد: كنَّا عند غُفيرةَ العابدةِ، فقدِمَ ابنٌ لها طالت غَيبتُه، فتباشر بقدومِه أهلُه، وتباشرت به غفيرةُ فبكت، فقال لها بعضُ أصحابِنا: يرحمُك الله، هذا يومُ سرورٍ وفرحٍ لهذه النَّعماءِ! فازدادت بكاءً، ثم قالت: والله ما أجدُ للفرحِ في قلبي مسكناً مع ذكرِ مواردِ الآخرةِ، وإنه أذكَرَني قُدومُ هذا الفتى القُدومَ على الله، فمِنْ بيْنِ مسرورٍ ومثبُورٍ. ثم غُشِيَ عليها فسقطت.

٣٨٠٨ ـ ولابن عبد ربِّه:

يا وَيْلَتا مِنْ مَوْقِفٍ ما بِهِ ... أَخْوَفُ مِنْ أنْ يَعْدِلَ الحاكِمُ
أُبارِزُ اللَّهَ بِعِصْيانِهِ ... وليس لي مِنْ دُونِهِ راحِمُ
يا رَبِّ غُفرانَكَ عن مُذْنِبٍ ... أَسْرَفَ إلا أنَّه نادِمُ

٣٨٠٩ ـ غيره:

كيفَ يبكي لمحشَرٍ في طُلُولِ ... مَنْ سَيَقْضِي لِحَبْسِ يَوْمٍ طَويلِ
إنَّ في وَقْفَةِ الحِسابِ لَشُغْلا ... عَنْ وُقوفٍ بِرَسْمِ دارِ مَحيلِ

* * *

٢٣٢ ـ ما جاء في الميزان

٣٨١٠ ـ قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٣٨١١ ـ وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣].

٣٨١٢ ـ ورُوِيَ عن أبي عثمان عن سلمانَ، قال: «**يُوضعُ الميزانُ يومَ القيامةِ، فلو وُزِنت فيه السمواتُ والأرضُ لوسعت، فتقول الملائكةُ: يا ربِّ، لمن تزن هذا؟ فيقول: لمن شئتُ مِنْ خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتِك**»[(١)].

٣٨١٣ ـ ورُوِيَ عن الحسن أن رسول الله ﷺ التفتَ إلى بعضِ أهلهِ وهو يبكي، قال: «**ما يبكيك يا فلان**»؟ قال: ذكرتُ النار يا رسول الله، ثم قال: هل تذكُرُنا يومَ القيامة؟ فقال نبي الله ﷺ: «**ذهب الذِّكرُ في ثلاثة مواطن: حين يُوضعُ الميزانُ، فلا يهمُّ عبداً إلا نفسُه عند ميزانه أيَثقُلُ أم يَخِفُّ، وعند الكتابِ حتَّى يُوضَعَ، فيقول: هاؤمُ اقرؤوا كتابيه، وعندَ صراطِ جهنَّمَ**»[(٢)].

٣٨١٤ ـ ورُوِيَ عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ أنه قال: يَجيءُ ربُّنا تبارك وتعالى يومَ القيامة في ملائكةِ السماءِ السابعةِ، لا يعلمُ عددَهم إلا الله عزَّ وجلَّ، فيُؤتَى بالجنةِ مفتَّحة أبوابُها، يراها كلُّ برٍّ وفاجرٍ، عليها ملائكةُ الرحمةِ، حتى تُوضَعَ عن يمين العرشِ، فيُوجَدُ ريحُها مِنْ مسيرةِ خمسِ مائةِ عامٍ.

قال: ويُؤتى بالنارِ تُقادُ بسبعين ألفَ زِمام، مُصَفَّدة أبوابُها، عليها ملائكةٌ سودٌ، معهم السَّلاسلُ الطِّوالُ، والأنكالُ الثِّقالُ، وسرابيلُ القَطِرانِ، ومُقَطَّعاتُ النِّيرانِ، لأعينِهم لَمْعٌ كالبرق، ولوجوهِهم لهبٌ كالنارِ، شاخصةٌ

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١٣٥٧) عن سلمان الفارسي ﷺ موقوفاً، وصححه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ١٨/٢ بتحقيقي. وأخرجه الحاكم ٥٨٦/٤ عن سلمان مرفوعاً وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. قال ابن رجب: ولكن الموقوف هو المشهور.

(٢) حديث مرسل، أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٣٦١).

أبصارُهم، لا ينظرون إلى ذي العرشِ تعظيماً له. فإذا دنتِ النارُ، فكان بينها وبين الخلائقِ مسيرةُ خمس مائةِ عامٍ، زَفَرَتْ زفرةً فلا يبقى أحدٌ إلا جثا على ركبتيه. وتُوضعُ النارُ عن يسارِ العرشِ، ثم يُؤتى بالميزانِ، فيُوضَعُ بين يدي الجبَّارِ، ثم يُدعى الخلائقُ للحساب.

٣٨١٥ ـ وقال عبد اللّه بن مسعود: ودِدْتُ أنَّ حسناتي فضلت سيئاتي مثقالَ ذرة، ولو أنِّي وقفت بين الجنة والنار لا أدري إلى أيِّهما أصيرُ، ثم قيل لي: تَمَنَّهْ، تمنيتُ أنْ أكونَ تراباً(١).

٣٨١٦ ـ ولحُصيْنِ بنِ الحُمامِ المُرِّيِّ، جاهلي:

أعوذُ بربي مِنَ المُخْزِياتِ ... يومَ ترى النَّفْسُ أعمالَها
وخفَّ الموازينُ بالكافرينَ ... وزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَها
ونادى مُنادٍ لأهلِ القُبورِ ... تَهَيُّوا لِتُبْرِزَ أثْقالَها

❊ ❊ ❊

٢٣٣ ـ ما جاء في الصراط

٣٨١٧ ـ روى الزهري عن عطاء بن يزيدَ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله الناسَ يومَ القيامةِ، فيقول: مَنْ كان يعبدُ شيئاً فليَتَّبِعْه، فيتَّبعُ مَنْ كان يعبدُ الشمسَ الشمسَ، ويتَّبعُ مَنْ كان يعبدُ القمرَ القمرَ، ويتَّبعُ مَنْ كان يعبدُ الطَّواغيتَ الطَّواغيتَ، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها، فيأتيهم اللّهُ سبحانه في غيرِ الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: نعوذُ بالله منك، هذا مكانُنا حتى يأتِيَنا ربُّنا، فإذا أتانا ربُّنا عرفناه، فيأتيهمُ اللّهُ عزَّ وجلَّ في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا فيتَّبعونه، ويُضرَبُ جسرُ جهنَّمَ**». قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الزهد لابن المبارك (١٠٠٥).

«فأكونُ أولَ مَن يُجيزُ، ودعاءُ الرُّسلِ يومئذٍ: اللَّهُمَ سَلِّمْ سَلِّمْ، وبه كلاليبُ مثلُ شَوْكِ السَّعدانِ، أما رأيتم شوكَ السَّعدانِ» ؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «فإنها مثل شوك السَّعدان، غيرَ أنه لا يعلمُ قدْرَ عِظَمِها إلا الله عزَّ وجلَّ، فتُخطفُ الناسُ بأعمالِهم، منهم الموبَقُ بعملِه، ومنهم المُخَرْدَلُ[١]، ثم ينجو، حتى إذا فرغ اللَّهُ تعالى مِنَ القضاءِ بين عبادِه، وأراد أن يُخرِجَ مِنَ النارِ مَنْ أرادَ أنْ يُخرجَه مِمَّنْ كان يشهدُ أن لا إله إلا الله أمرَ الملائكةَ أنْ يُخرجوهم، فيعرفونَهم بعلامةِ السجودِ فيُخرجونَهم قد امتُحِشوا[٢]، فيُصَبُّ عليهم ماءٌ يقال له ماءُ الحياةِ، فينبُتون نباتَ الحِبَّةِ[٣] في حَميلِ السَّيلِ، ويبقى رجلٌ مُقبلٌ بوجهِه على النارِ، فيقول: يا ربِّ، قد قَشَبَنِي[٤] ريحهُا وأحرقني ذَكاؤُها[٥]، فاصرف وجهي عنِ النارِ. ثم يقولُ بعدَ ذلك: يا ربِّ، قرِّبْنِي إلى بابِ الجنةِ، فيقول: أليسَ قد زعمتَ أنَّك لا تسألُني غيرَه؟ فيقول: وعزَّتِك لا أسألُك غيرَه، فيصرفُ وجهَه عنِ النارِ. ثم يقول بعدَ ذلك: يا ربِّ، قرِّبْنِي إلى باب الجنةِ، فيقول: أليسَ قد زعمتَ ألا تسألني غيره، ويلَكَ يا ابنَ آدمَ، ما أغدَرَكَ! فلا يزال يدعو، فيقولُ: لعلَّ إنْ أعطيتُك ذلك تسألُني غيرَه؟ فيقول: لا وعزَّتِك يا ربِّ، لا أسألُك غيرَه، فيُقرِّبُه إلى بابِ الجنةِ، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أنْ يسكتَ، ثم يقولُ: ربِّ أدخلني الجنةَ، فيقول: أوَلَستَ قد زعمتَ ألا تسألَني غيرَه؟ ويلك يا ابن آدمَ ما أغدرَكَ! فيقول: يا ربِّ لا تجعلْني أشقى خلقِك، فلا يزال يدعو حتى يضحكَ، فإذا ضحك منه أذِنَ له بالدُّخول فيها، فإذا دخل

---

(١) المخردل: المصروع. وقيل: المقطع الذي تقطعه الكلاليب التي على الصراط حتى تهوي به في جهنم.

(٢) امتحشوا: احترقوا. والمحش: احتراق الجلد وظهور العظم.

(٣) الحِبة: بكسر الحاء: بزور الصحراء، والجمع حِبب.

(٤) قشبني: سمَّني وأهلكني وآذاني.

(٥) ذكاؤها: لهبها.

فيها، قال له: تَمَنَّهْ مِنْ كذا، فيتمنى. ثم يُقالُ له: تَمَنَّ مِنْ كذا، فيتمنَّى، حتَّى تنقطِعَ به الأمانِيُّ، فيقول: هذا لك ومثلُه معه». قال أبو هريرةَ: وذلك الرجل آخِرُ أهلِ الجنةِ دخولاً[1].

* * *

٢٣٤ ـ ما جاء في القِصاص

٣٨١٨ ـ روى عبد اللَّه بن مسعود عن النبي ﷺ: **«أولُ ما يُقضى بين الناسِ في الدِّماءِ»**[2].

٣٨١٩ ـ وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ كانت له عند أخيه مَظْلِمَةٌ، فليتحَلَّلْه منها، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، مِنْ قبلِ أنْ يُؤخَذَ لأخيه مِنْ حسناتِه، فإنْ لم تكن له حسناتٌ أُخِذَ مِنْ سيئات أخيهِ فطُرِحت عليه»**[3].

٣٨٢٠ ـ وروى أبو سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَخلُصُ المؤمنون مِنَ النارِ، فيجلسون على قنطرةٍ بينَ الجنةِ والنارِ، فيُقتصُّ لبعضِهم مِنْ بعضٍ، مظالِمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا، أُذِنَ لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لأحدُهم أهدى لمنزِله في الجنة منه بمنزِله في الدنيا»**[4].

٣٨٢١ ـ ويُروى أنَّ أولَ مَنْ يُدعى إلى الحسابِ يومَ القيامةِ البهائمُ، فتُجعلُ القَرْناءُ جَمَّاءَ والجماءُ قَرناءَ، فيُقتَصُّ لبعضِها مِنْ بعضٍ، ثم يُقالُ لها: كوني تراباً[5].

---

(١) البخاري (٨٠٦، و٦٥٧٣، و٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٢) البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

(٣) البخاري (٢٤٤٩، و٦٥٣٤).

(٤) البخاري (٢٤٤٠، و٦٥٣٥).

(٥) وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يومَ القيامةِ، حتى يُقادَ للشاةِ الجَلحاءِ مِنَ الشاةِ القرناءِ».**

٣٨٢٢ ـ وروى الحسنُ، قال: بلغني أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«لَيُحْبَسَنَّ أهلُ الجنةِ بعد أنْ يُجاوزوا الصراطَ قبلَ أنْ يدخلوا الجنةَ، حتى يُؤخَذ لبعضِهم مِنْ بعضٍ مظالِمهم التي تظالَموها في الدنيا، فيدخلون الجنةَ حين يدخلون، وليس في قلبِ بعضِهم غلٌّ على بعضٍ»**(١).

* * *

٢٣٥ ـ ما جاء في جهنم أعاذنا الله منها

٣٨٢٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧١ ـ ٧٢].

٣٨٢٤ ـ وقال عز من قائل: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

٣٨٢٥ ـ وقال تبارك اسمه: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢].

٣٨٢٦ ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

٣٨٢٧ ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

(١) حديث مرسل، رواه ابن المبارك في الزهد (١٤١٩).

٣٨٢٨ ـ ورُوِيَ عنِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إنَّ أهونَ أهلِ النارِ عذاباً رجلٌ تُوضَعُ في أخمصِ قدميه جمرتان يغلي منهما دماغُه كما يغلي المِرجلُ بالقُمْقُمِ»**(١).

٣٨٢٩ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] قال: نهرٌ في جهنمَ، يسيلُ مِنْ صديدِ أهلِ النارِ.

٣٨٣٠ ـ ورُوِيَ عن سعيدِ بنِ جُبيْرٍ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]،قال: الزَّقُّومُ، إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزَّقُّوم، فأكلوا منها، فانسلخت وجوهُهم، حتى لو أنَّ ماراً مرَّ عليهم يعرفُهم لعرف جلودَ وجوهِهم، فإذا أكلوا منها أُلقِيَ عليهمُ العطشُ، فاستغاثوا فأُغيثوا بماءٍ كالمُهلِ، والمهلُ الذي قد انتهى حرُّهُ، فإذا أدنوْه مِنْ أفواههم أنضجَ حرَّ الوجوه ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ [الحج، ٢٠] يريد أمعاءَهم، ويُضربون بمقامِعَ مِنْ حديدٍ، فيسقطُ كلُّ عضوٍ على حيالِه يدعون بالثُّبورِ(٢).

٣٨٣١ ـ وروى أبو سلمةَ عن أبي هريرةَ، قال رسول الله ﷺ: **«اشتكتِ النارُ إلى ربِّها، فقالت: يا ربِّ، أكل بعضي بعضاً، فأذِنَ لها بنَفَسَيْن في كلِّ عام، نَفَسٍ في الشتاء، ونَفَسٍ في الصيف، فأشدُّ ما تجدون مِنَ الحرِّ وأشدُّ ما تجدون مِنَ الزَّمْهرير»**(٣).

٣٨٣٢ ـ وروى الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«نارُكم جزءٌ مِنَ سبعينَ جزءاً مِنْ نارِ جهنمَ»**. قيل: يا رسول الله، إنْ كانت لكافيةً،

---

(١) البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣).
(٢) حلية الأولياء ٤/٢٨٥.
(٣) البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

قال: «**فُضِّلَتْ عليها بتسعةٍ وستينَ جزءاً، كلُّهن مثل حرِّها**»(١).

٣٨٣٣ ـ ورُوِيَ عن أبي هريرة: كنا عند رسول الله ﷺ يوماً إذ سمعنا وَجَبَةً، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما هذه**»؟ قلنا: الله ورسولُه أعلم، فقال: «**هذا حجرٌ أُرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً، فالآن حين انتهى إلى قعرها**»(٢).

٣٨٣٤ ـ ورُوِيَ أنَّ عمر بن الخطاب قال لكعب: يا كعبُ، خوِّفْنا، فقال: والله لو أنَّ لرجلٍ يومئذٍ كعملِ سبعينَ نبياً لاستقَلَّ عملَه مِنْ شدَّةِ ما يرى يومئذٍ، والله لتزفِرُنَّ جهنمُ زفرةً لا يبقى ملَكٌ مقرَّبٌ ولا غيْرُه إلا خرَّ جاثياً على رُكبتيه يقول: يا ربِّ نفسي نفسي، وحتى ينسى إبراهيمُ إسحاقَ، فيقول: يا ربِّ أنا خليلُك إبراهيم. قال: فأبكى القومَ حتى نشَجُوا.

٣٨٣٥ ـ وروى أبو أيوب المراغي عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: إن أهل النار ينادون مالكاً أربعين عاماً فلا يُجيبُهم، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فينادون ربَّهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]. قال: فيدَعُهم مِثْلَي الدنيا، ثم يقول: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فما نبَسَ القومُ، يقول: ما نطق القومُ، بعدَها بكلمةٍ، إنَّما كان الزَّفيرُ والشَّهيقُ في نارِ جهنمَ.

٣٨٣٦ ـ وقال عبد اللَّه بن عَمرو: إنَّ أهلَ النارِ ليُسَلَّطُ عليهمُ البكاءُ، حتَّى إنَّ السفنَ لو أُرسلت في دُموعهم لَجَرتْ.

٣٨٣٧ ـ وروى يونسُ عنِ الحسنِ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٤]، قال: لم تخشعْ للهِ في الدنيا فأخشَعَها في النارِ، فذلك عملُها، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾

(١) البخاري (٣٢٦٥)، مسلم (٢٨٤٣).
(٢) مسلم (٢٨٤٤).

[الغاشية: ٥]، تدرون ما آنية؟ معناه: أنَّ حرَّها قد اجتمعَ، أُوقِدَ عليها بجهنمَ منذُ خُلِقَتْ، فدفعوا لها وِرْداً عِطاشاً.

٣٨٣٨ - وقال السُّدِّيُّ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] قال: يسوقُهم بعدَ الحسابِ إلى النارِ على وجوههم عمياً في النارِ حين دخلوها؛ لأنَّها سوادٌ لا يُضيء لهبُها، وبُكماً انقطعَ كلامُهم حين قال لهم عزَّ وجلَّ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وصُمّاً ذهبَ الزَّفيرُ والشَّهيقُ بأسماعِهم كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

٣٨٣٩ - وقيل في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣]: إنَّها لَتضيقُ على الكفارِ كضيقِ الزُّجِّ على الرُّمحِ.

٣٨٤٠ - وقال أبو مَعشر المُزَنِيُّ: كنَّا في جِنازةٍ معنا أبو جعفرٍ القارئُ فبكى، فقلت له: ما يُبكيك؟ قال: حدَّثني زيدُ بنُ أسلمَ أنَّ أهلَ النارِ لا يتنفَّسون.

٣٨٤١ - وروى حُميدٌ عن ثابتٍ، عن أنسٍ، قال: «**يُؤتَى بأنعم أهلِ الدنيا مِنَ الكفارِ، فيُقالُ: اغمِسُوه غَمْسَةً في النارِ، ثم يقال له: هل رأيتَ نعيماً قطُّ؟ فيقول: لا. ويُؤتى بأشدِّ المؤمنين ضُرّاً، فيقال: اغمِسُوه في الجنةِ غمسةً، ثم يقال له: هل رأيتَ ضُرّاً قطُّ؟ أو مَسَّكَ بلاءٌ قطُّ؟ فيقول: لا**»[1].

٣٨٤٢ - وسُئِلَ الحسنُ عنِ الطَّامَّةِ: ما هي؟ فبكى، ثم قال: هي والله الساعةُ التي يُدفع فيها الناسُ إلى خزنةِ جهنمَ.

٣٨٤٣ - وروى ابنُ المباركِ[2] عن سُفيانَ أنه قال في قوله تعالى: ﴿لَا

---

(١) حديث مرفوع، روه مسلم (٢٨٠٧).
(٢) في الزهد (١٦٧).

﴿يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] قال: حين تُطبِقُ عليهم جهنمُ.

٣٨٤٤ - وروى أبو هريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**ما بين مَنكِبَي الكافرِ مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ للرَّاكبِ المُجِدِّ**»(١).

٣٨٤٥ - وروى عبد اللَّه بن عُمر، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صارَ أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ، وأهلُ النارِ إلى النارِ، جِيءَ بالموتِ حتى يُجعلَ بينَ الجنةِ والنارِ، ثم ينادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ، لا موتَ، يا أهلَ النارِ، لا موتَ. فيزدادُ أهلُ الجنةِ فرحاً إلى فرحِهم، ويزدادُ أهلُ النارِ حُزناً إلى حُزنِهم**»(٢).

٣٨٤٦ - وقال رجلٌ لابنِ عباسٍ: رأيت قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝﴾ [مريم: ٧١] فقال: أمَّا أنت وأنا فسنرِدُها، فانظرْ هل نصدُرُ منها أم لا؟.

٣٨٤٧ - ورُوِيَ أنَّ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول: إلهي، لا صبْرَ لي على حَرِّ شمسِك، فكيف صبْري على حرِّ نارك؟ ولا صبْرَ لي على صوتِ رحمتِك، فكيف صبْري على صوتِ بلائِكَ؟.

٣٨٤٨ - وقال أحمدُ بنُ حربٍ: إنَّ أحدَنا لَيُؤثِرُ الظِّلَّ على الشمسِ، ولا يُؤثِرَ الجنةَ على النارِ.

٣٨٤٩ - ورُوِيَ أنَّ هشامَ بنَ عبدِ الملكِ قال لبعض العربِ: مَنْ أشعرُ الناس؟ فهتفتْ بهم جاريةٌ صغيرةٌ مِنْ وراء الخيمةِ: أشعرُ الناسِ مَنْ يقول:

إنَّ الشَّقِيَّ الذي في النَّارِ مَنْزِلُهُ والفَوْزُ فَوْزُ الذي يَنْجُو مِنَ النارِ

فقال: صدَقتْ، هذا مَلاكُ الأمرِ.

❋ ❋ ❋

(١) مسلم (٢٥٨٢).

(٢) البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

٢٣٦ ـ ما جاء في الشفاعة

٣٨٥٠ ـ قال لله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٣٨٥١ ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٣٨٥٢ ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

٣٨٥٣ ـ وروى معبدُ بنُ هلالٍ: اجتمع ناسٌ مِنْ أهلِ البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهب معنا ثابتٌ البُنانِيُّ، نسأله عن حديثِ الشفاعةِ، فإذا هو في قصرهِ، فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذَنَّا فأذن لنا، وهو قاعدٌ على فراشه، فقلنا لثابتٍ: لا تسألْه عنْ شيءٍ أولى مِنْ حديثِ الشفاعةِ، [فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاؤوا يسألونك عن حديث الشفاعة]، فقال: حدثنا رسولُ الله ﷺ قال: «**إذا كان يومُ القيامةِ ماجَ الناسُ بعضُهم في بعضٍ، فيأتون آدمَ، فيقولون: اشفعْ لنا عند ربِّك، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بإبراهيمَ، فإنَّه خليلُ الرحمن، فيأتون إبراهيمَ، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليمُ الله، فيأتون موسى، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه رُوحُ الله وكلمتُه، فيأتون عيسى، فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بمحمد، فيأتونني فأقولُ: أنا لها، فأستأذنُ على ربي، فيؤذنُ لي، فيلهمُني بمَحامِدَ أحمَدُه بها لا تحضُرني الآن، فأحمَدُه بتلك المحامدِ، وأَخِرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمدُ، ارفعْ رأسَك، وقل تُسمع، وسلْ تُعطَ، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأقول: يا ربِّ، أمتي أمتي، فيقال: انطلق، فأخرجْ منها مَنْ كان في قلبِه مِثقالُ شعيرةٍ مِنْ إيمانٍ، فأنطلِقُ فأفعلُ، ثم أعودُ فأحمَدُه بتلك المحامدِ، ثم أخِرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمدُ، ارفعْ رأسك، وقلْ يُسمَعْ لك، واسألْ تُعطَ، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأقول: يا ربِّ، أمتي أمتي، فيقول: انطلِقْ فأخرِجْ مَنْ كان في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ أو خردَلَةٍ مِنْ إيمانٍ، فأنطلِقُ فأفعلُ ثم أعودُ، فأحمَدُه بتلك المحامدِ، ثم**

أخِرُ له ساجداً فيقال: يا محمدُ، ارفعْ رأسَك، وقل يُسمع لك، وسَلْ تُعطَ، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي، فيقول: انطلقْ فأخرجْ منها مَنْ كان في قلبه أدنى أدنى مِثقالِ حبَّةٍ مِنْ خردلٍ مِنْ إيمان، فأخرِجْه مِنَ النارِ، فأنطلِقُ فأفعلُ».

فلمَّا خرجنا مِنْ عند أنسٍ قلتُ لبعضِ أصحابنا: لو مررنا بالحسنِ، وهو يومئذٍ مُتوارٍ في منْزلِ أبي خليفة، فأخبَرناه بما حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ، فأتيناه فسلَّمنا عليه، فأذِنَ لنا، فقلنا له: يا أبا سعيدٍ، جئناك مِنْ عند أخيك أنسِ بنِ مالكٍ، فلم نَرَ مِثلَ ما حدَّثنا في الشفاعةِ، فقال: هِيه، فحدَّثناه بالحديثِ، فانتهى إلى هذا الموضعِ، فقال: هِيه، فقلنا: لم يَزِدْ لنا على هذا، فقال: لقد حدَّثني وهو جَميعٌ منذُ عشرينَ سنةٍ، فلا أدري أَنَسِيَ أو كرِهَ أنْ تتَّكِلوا، فقلنا: يا أبا سعيدٍ، فحدِّثنا، فضحك وقال: خُلِقَ الإنسانُ عجولاً، ما ذكرتُه إلا وأنا أُريدُ أنْ أُحدِّثكم كما حدَّثكم. ثم قال: **«أعودُ الرابعةَ، فأحمَدُه بتلك المحامدِ كلِّها، ثم أَخِرُّ له ساجداً، فيُقال: يا محمدُ، ارفعْ رأسَك، وقلْ تُسمعْ، وسَلْ تُعطَهْ، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأقولُ: يا ربِّ، ائذَنْ لي فيمنْ قالَ لا إله إلا الله، فيقولُ: وعِزَّتي وجلالي وكِبْريائي وعظَمَتي، لأُخرِجَنَّ منها مَنْ قال لا إله إلا الله»**[1].

٣٨٥٤ ـ وروى قتادةُ عن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«جمع اللّٰهُ الناسَ يومَ القيامةِ، فيقولون: لو استشفعنا على ربِّنا حتَّى يُريحَنا مِنْ مكانِنا، فيأتونَ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقولون: أنتَ الذي خلقكَ اللّٰهُ بيدِه، ونَفَخَ فيك مِنْ رُوحه، وأمرَ الملائكةَ فسجدوا لك، فاشفعْ لنا عند ربِّنا، فيقول: لستُ هناكُم، ويذكرُ خطيئتَه، ائتُوا إبراهيمَ الذي اتَّخذه اللّٰهُ خليلاً، فيأتونه فيقول: لستُ هناكُم، ويذكرُ خطيئتَه، ائتُوا موسى الذي كلَّمَ الله، فيأتونه فيذكرُ خطيئتَه، فيقولُ: ائتُوا عيسى، فيأتونه فيقول: لستُ هناكم، ائتُوا محمداً،**

(١) البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

فقد غفر الله له ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِه وما تأخَّرَ، فيأتونَني فأستأذِنُ على ربي، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجداً، فيدَعُني ما شاء الله، ثم يُقال لي: ارفعْ رأسَك، سلْ تُعطَه، وقلْ تُسمَعْ، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأرفعُ رأسي، فأحمَدُ ربي بتحميدٍ يعلِّمُني، ثم أشفعُ فيَحُدُّ لي حدّاً، ثم أُخرجُهم مِنَ النارِ وأُدخلُهم الجنةَ، ثم أعودُ فأقعُ ساجداً مِثلَه في الثالثةِ أو الرابعةِ حتى ما يبقى في النارِ إلا مَنْ حبسه القرآنُ». فكانَ قتادةُ يقول عندَ هذا: أي مَنْ وجب عليه الخلود[١].

٣٨٥٥ ـ وروى الأعمشُ عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مُستجابةٌ، تعجَّلَ كلُّ نبيٍّ دعوتَه، واختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتِّي، فهي نائلةٌ إنْ شاء الله مَنْ مات لا يُشرك بالله شيئاً**»[٢].

٣٨٥٦ ـ ورُوِيَ عن عبد اللَّه بن شقيقٍ، قال: جلست إلى رهطٍ أنا رابعُهم، فإذا رجلٌ يحدِّثُ عنِ النبيِّ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ليَدخُلَنَّ الجنةَ بشفاعةِ رجلٍ مِنْ أُمتي أكثرُ مِنْ بني تميم**». قال: قلنا: سواك يا رسول اللَّه؟ قال: «**سواي**». قال: فقلت له: آنتَ سمعتَ هذا مِنْ رسولِ الله ﷺ؟ فقال: نعم، فسألتُ عنه بعدَما قام، فقالوا: ابنُ أبي الجذْعاء[٣].

٣٨٥٧ ـ وروى يزيدُ بنُ صُهيبٍ الفقيرُ، قال: كنَّا بمكةَ مِنْ قُطَّانِها، وكان معي أخٌ لي يُقالُ له طَلْقُ بنُ حبيبٍ، وكان يرى رأيَ الحَروريَّةِ، فبلَغَنا أنَّ جابرَ بنَ عبدِالله يقولُ في الشَّفاعةِ، فلمَّا قدِمَ، وكانَ يقدَمُ في كلِّ

---

(١) البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).

(٢) مسلم (١٩٨). ورواه البخاري (٦٣٠٤، و٧٤٧٤) من طريقين آخرين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح. رواه أحمد ٤٦٩/٣و٤٧٠، والترمذي (٢٤٣٨)، وقال: حديث حسن صحيح غريب. وصححه ابن حبان (٧٣٧٦)، والحاكم ٧٠/١ ـ ٧١ ووافقه الذهبي. وأورده الذهبي أيضاً في كتاب إثبات الشفاعة ص ٥٦ بتحقيقي، وقال: إسناده قوي.

موسم، أتيناه فقلنا له: بلَغَنا عنك في قولِ الشفاعةِ، وقولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ يُخالفَك فيها، فنظر في وجوهنا، وقال: مِنْ أهلِ العراق أنتم؟ قلنا: نعم. قال: فتبسَّمَ أو ضحك، وقال: أين تَجدون ذلك في كتاب اللَّه؟ فقلنا: حيثُ يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، وأشباه هذا في القرآن كثيرٌ. فقال: أنتم أعلمُ بكتابِ الله عزَّ وجلَّ أو أنا؟ فقلنا: لا، بل أنت أعلمُ به منَّا. قال: يقول: لقد شهدتُ ينْزلُ هذا على رسول الله ﷺ، ولقد سمعت تأويله من رسول الله ﷺ وإن الشفاعة لَبيِّنَةٌ في كتاب الله تعالى. قلنا: ومِنْ أين مِنْ كتابِ الله تعالى؟ قال: في السورة التي يُذكر فيها المدثر، فقرأ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٨] ألا ترونَها حلَّت لمن لا يُشرك بالله شيئاً[١].

* * *

٢٣٧ ـ ما جاء في رحمة الله تعالى

٣٨٥٨ ـ قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

٣٨٥٩ ـ وروى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «**جعلَ اللّهُ الرحمةَ مائةَ جزءٍ، فأمسك عندَه تسعةً وتِسعينَ جزءاً، وأنزل في الأرضِ جزءاً واحداً، فمِنْ ذلك الجزءِ يتراحمُ الخَلْقُ، حتى ترفعَ الفرسُ حافِرَها عنْ ولدِها خشيةَ أنْ تُصيبَه**»[٢].

---

(١) مسلم (١٩١).

(٢) البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

٣٨٦٠ ـ وروى عطاءٌ عن أبي هريرةَ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**للّهِ عزَّ وجلَّ مائةُ رحمةٍ، واحدةٌ بيْن الجنِّ والإنسِ والبهائمِ والهوامِّ، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطِفُ الوحشُ على أولادِها، وأخَّرَ تسعاً وتسعين رحمةً، يرحمُ بها عبادَه يومَ القيامةِ**»[(١)].

٣٨٦١ ـ وروى أبو رافعٍ عن أبي هريرةَ: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «**إنَّ اللّهَ كتب كتاباً قبلَ أنْ يخلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رحمتي سبقتْ غَضبي، فهو مكتوبٌ عندَه فوقَ العرشِ**»[(٢)].

٣٨٦٢ ـ وروى إبراهيمُ التَّيميُّ عنِ الحارثِ بنِ سُوَيْدٍ، قال: لا تزالُ الرحمةُ بالناسِ يومَ القيامةِ، حتَّى إنَّ إبليسَ لَيتطاوَلُ لها رجاءَ أنْ تُصيبَه[(٣)].

٣٨٦٣ ـ وروى أبو سلمةَ عن أبي هريرةَ، قال: قام رسولُ الله ﷺ في صلاةٍ، وقمنا معه، فقال أعرابيٌّ وهو في الصلاةِ: اللَّهُمَ ارحمني ومحمداً ولا ترحمْ معنا أحداً، فلمَّا سلَّمَ النبيُّ ﷺ قال للأعرابي: «**لقد حجَّرْتَ واسعاً**». يريد رحمة الله عزَّ وجلَّ[(٤)].

٣٨٦٤ ـ وقال عطاءٌ الخُراسانيُّ: أرحمُ ما يكونُ اللّهُ بعبدِه إذا أُدخِلَ قبْرَه، وتفرَّقَ الناسُ عنه وأهله.

٣٨٦٥ ـ وقال بلالُ بنُ سعدٍ: يُؤمَرُ يومَ القيامةِ بإخراجِ رجلين مِنَ النارِ، فيقول الله تعالى: بما قدَّمتْ أيديكما وما أنا بظلامٍ للعبيدِ، ويأمرُ بصرفِهما إلى النار، فيغدو أحدُهما في سلاسلِه حتَّى يقتحِمَها ويتلكَّأُ الآخر،

---

(١) مسلم (٢٧٥٢).

(٢) البخاري (٧٥٥٤). ورواه مسلم (٢٧٥١) من طريق أخرى عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥١٣) عن الحارث بن سويد عن عبدالله بن مسعود. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٨٠/١٠: فيه كثير بن يحيى البصري وهو ضعيف.

(٤) البخاري (٦٠١٠).

فيُؤْمَرُ بردِّهما، ويسألُهما عن فعلِهما، فيقول الذي غدا إلى النارِ: قد حَذِرْتُ مِنْ وبالِ المعصية ما لم أكنْ أتعرَّضُ لسَخَطِك ثانيةً، ويقول الذي تلكَّأَ: حُسنُ ظنِّي بك ألا ترُدّني إلى النار بعدَما أخرجتَني منها، فيأمُرُ بهما إلى الجنةِ.

٣٨٦٦ ـ وقال ابنُ مسعودٍ: لو علمتم بسَعَةِ رحمةِ اللّهِ عزَّ وجلَّ، لاتَّكلتُم عليها.

٣٨٦٧ ـ وأنشدوا:

ذُنوبي كثيرٌ ما أُطيقُ احتمالَها ... وعَفْوُكَ مِنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وأَكْبَرُ
وقدْ وَسِعَتْنِي رَحْمَةٌ منكَ ها هنا ... وإنِّي إليها في القِيامَةِ أفقَرُ

٣٨٦٨ ـ ويروى أنَّ أعرابياً سمعَ ابنَ عباسٍ يقرأ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فقال: والله ما أنقذَهم منها وهو يريدُ أنْ يُوقِعَهم فيها. فقال ابنُ عباسٍ: خذوها مِنْ غيْرِ فقيهٍ.

❋ ❋ ❋

٢٣٨ ـ ما جاء في الجنة

٣٨٦٩ ـ قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

٣٨٧٠ ـ وقال عزَّ وجل: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٣ ـ ٧٤].

٣٨٧١ ـ وروى مالكٌ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، عنِ النبيِّ ﷺ: **«إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهلِ الجنةِ: يا أهلَ الجنةِ، يقولونَ: لبَّيكَ ربَّنا**

وسعدَيك، فيقولُ: هل رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحداً مِنْ خلقِك؟ فيقول: أنا أُعطيكم أفضلَ مِنْ ذلك، قالوا: يا ربُّ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ مِنْ ذلك؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضواني، فلا أسخَطُ عليكم بعدَه أبداً»[1].

٣٨٧٢ ـ ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ في الجنةِ لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها**»[2].

٣٨٧٣ ـ ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ أهلَ الجنةِ لَيتَراؤَوْنَ الغُرَفَ في الجنةِ كما تَراءَوْنَ الكوكبَ الغائرَ في الأُفُقِ الغربيِّ أو الشرقيِّ**»[3].

٣٨٧٤ ـ وروى أنس: أنَّ أُمَّ حارثةَ أتتِ النبيَّ ﷺ وقد هلَكَ يومَ بدرٍ، أصابه سهمٌ غرْبٌ[4]، فقالت: يا رسولَ اللّهِ، قد علمتَ موضعَ حارثَةَ منِّي، فإنْ كان في الجنةِ لم أبكِ عليه، وإلا سوف ترى ما أصنعُ. فقال لها: «**هَبِلْتِ! أجنَّةٌ واحدةٌ؟ هي جِنانٌ كثيرةٌ، وإنَّه في الفردوس الأعلى**»[5].

٣٨٧٥ ـ وقال ﷺ: «**غَدْوةٌ في سبيل الله أو رَوْحَةٌ خيرٌ مِنَ الدنيا وما فيها، ولقابُ قوسِ أحدِكم أو موضعُ قدمِه مِنَ الجنة خيرٌ مِنَ الدنيا وما فيها، ولو أنَّ امرأةً مِن أهلِ الجنة اطَّلعت إلى أهلِ الأرضِ لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولَنَصيفها ـ يعني الخمار ـ خيرٌ مِنَ الدنيا وما فيها**»[6].

---

(١) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).
(٢) رواه البخاري (٣٢٥١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.
(٣) رواه البخاري (٣٢٥٦، و٦٥٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. ورواه البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠) من حديث سهل بن سعد ﷺ.
(٤) أي لا يُعرف راميه.
(٥) البخاري (٢٨٠٩، و٦٥٦٧).
(٦) البخاري (٦٥٦٨).

٣٨٧٦ ـ وقال عبد الله بن مسعود: قال النبي ﷺ: «**إني لأعلمُ آخرَ أهلِ النارِ خروجاً منها، وآخرَ أهلِ الجنةِ دخولاً: رجلٌ يخرج مِنَ النار حَبْوَاً، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اذهب فادخلِ الجنةَ، فيأتيها فيُخَيَّلُ إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربِّ، وجدتُها ملأى، فيقول: اذهبْ فادخلِ الجنةَ، فإنَّ لك مِثلَ الدنيا وعشرةِ أمثالِها، أو إنَّ لك مِثلَ عشرةِ أمثالِ الدنيا، فيقول: تسخرُ بي، أو تضحكُ مِنِّي وأنت الملكُ؟!**». فلقد رأيتُ النبيَّ ﷺ ضحك حتى بدت نواجِذُه. وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنةِ منْزلةً[1].

٣٨٧٧ ـ وروى أنس عن النبي ﷺ: «**بينما أنا أسير في الجنةِ، إذ أنا بنهرٍ حافتاه قِبابُ الدُّرِّ المجَوَّفِ. قلت: ما هذا يا جبْريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك، فإذا طِينُه مِسْكٌ أَذْفَرُ**»[2].

٣٨٧٨ ـ وروى أبو هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ آمَنَ بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان، فإن حقاً على الله عزَّ وجلَّ أنْ يُدخلَه الجنةَ، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضِه التي وُلدَ فيها**». قالوا: يا رسول الله، أفلا تُنَبِّىءُ الناسَ بذلك؟ قال: «**إنَّ في الجنةِ مائةَ درجة أعدَّها اللَّهُ للمجاهدين في سبيلِه، كلُّ درجتين ما بينهما كما بين السماءِ والأرضِ، فإذا سألتمُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ، فاسألوه الفردوسَ، فإنه أوسطُ الجنة، أو أعلى الجنةِ، وفوقه عرشُ الرحمن، ومنه تُفَجَّرُ أنهارُ الجنةِ**»[3].

٣٨٧٩ ـ وروى أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «**جنَّتانِ مِنْ فضةٍ آنيتُها وما فيهما، وجنَّتانِ مِنْ ذهبٍ آنيتُهما وما فيهما، وما بين القومِ وبين أنْ ينظروا إلى ربِّهم إلا رِداءُ الكِبْرِ على وجهه في جنةِ عدْنٍ**»[4].

---

(١) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).
(٢) البخاري (٦٥٨١). والمسك الأذفر: الجيد.
(٣) البخاري (٢٧٩٠، و٧٤٢٣).
(٤) البخاري (٤٨٧٨، و٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

٣٨٨٠ - وروى أبو هريرة أنه قال: «**مَنْ يدخل الجنةَ ينعم، لا يبؤُسُ، لا تبلى ثيابه، ولا يفنَى شبابُه**»(١).

٣٨٨١ - وروى أبو هريرة عن النبِّي ﷺ قال: قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطَرَ على قلبِ بشرٍ**»(٢).

٣٨٨٢ - وروى همَّامُ بنُ مُنَبِّهٍ عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أولُ زُمرةٍ تَلْجُ الجنةَ صورتُهم على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، لا يبصُقونَ، ولا يتَمَخَّطونَ، ولا يتَغوَّطونَ، آنيتُهم فيها الذهبُ، أمشاطُهم من الذهبِ والفضةِ، ومَجامِرُهم الألُوَّةُ، ورشحُهمُ المسكُ، ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتان، يُرى مُخُّ سُوقِهما مِنْ وراءِ اللحم مِنَ الحُسْنِ، لا اختلاف بينهم ولا تَباغُضَ، قلوبُهم قلبٌ واحدٌ، يسبِّحون اللَّهَ بُكرةً وعَشِيّاً**»(٣).

٣٨٨٣ - وروى سعدٌ الطائيُّ عن رجلٍ، عن أبي هريرةَ: «**إنَّ بِناءَ الجنةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذهبٍ، ولَبِنَةٌ مِنْ فضةٍ، ومِلاطُهما المِسْكُ الأذْفَرُ، وترابُها الزَّعفرانُ، وحصباؤُها اللؤلؤُ والياقوتُ، ومَنْ دخلها ينعمُ فلا يبؤُسُ، ويخلُدُ فلا يموتُ، لا تبلى ثيابُه، ولا يفنَى شبابُه**»(٤).

٣٨٨٤ - ورُوِيَ عن أبي إسحاقَ السَّبِيعِيِّ في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ

---

(١) حديث مرفوع صحيح، رواه أحمد ٣٧٠/٢ و٤٠٧ و٤١٦، والترمذي (٢٥٣٩). ورواه ضمن حديث مطول أحمد ٣٠٤/٢ ـ ٣٠٥، وابن حبان (٧٣٨٧).

(٢) البخاري (٣٢٤٤، و٧٤٩٨)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٣) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤). والألُوَّة: العود الذي يُتَبَخَّرُ به.

(٤) أخرج هذه الرواية ابن المبارك في الزهد (١٠٧٥). وإسنادها ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه. رواه الإمام أحمد في المسند ٤٤٥/٢، وابن حبان (٧٣٨٧) من طريقين عن سعد الطائي، عن أبي مُدلة عن أبي هريرة. وهذا إسناد أيضاً ضعيف لجهالة أبي مدلة الراوي عن أبي هريرة. لكن صح الحديث من طرق أخرى، فأخرجه أحمد ٣٠٤/٢ ـ ٣٠٥، وابن حبان (٧٣٨٧). وللحديث طرق وشواهد أخرى يصح بها.

﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣] قال: يُساقون حتى إذا انتهوْا إلى بابِ الجنةِ، وجدوا عند بابِها شجرةً يخرجُ مِنْ ساقِها عينانِ، فعَمَدُوا إلى إحداهما كأنما أُمِروا بها، فاطَّهَّروا منها، فجرت عليهم نَضرةُ النعيم، فلم تَغيَّرْ أبشارُهم بعدها أبداً، ولن تَشعَّثَ أشعارُهم بعدها أبدا، كأنَّما دُهنوا بالدِّهان، ثم عَمدوا إلى الأخرى، كأنَّما أُمِروا بها، فشربوا منها، فذهب ما كان في بُطونِهم مِنْ أذىً وقذَرٍ، وتلقَّاهمُ الملائكةُ على باب الجنةِ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. وقال الفضلُ بنُ موسى: ثم يأتون خَزَنَةَ الجنةِ، فيستقبلونَهم أن ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، ثم تلقَّاهم الوِلدانُ، فيعرفونهم ويفرحون بهم كما يفرح الوِلدانُ بالحميم إذا جاءَهم مِنَ الغَيْبة، ثم يذهب بعضُ الوِلدانِ إلى أزواجِه مِنَ الحورِ العِين بشيراً، فيقول: هذا فلانٌ، باسمِه في الدنيا، فتقول: أنتَ رأيتَه؟! فيقول: نعم، فيستخِفُّها الفرحُ، حتَّى تخرجَ إلى أسكُفَّةِ الباب، ويجيء فيدخلُ، فإذا نَمارقُ مصفوفةٌ، وزَرابِيُّ مبثوثةٌ، وأكوابٌ موضوعةٌ، ثم ينظر إلى تأسيسِ بنائِه، فإذا هو قد أُسِّسَ على جندلِ اللؤلؤِ: أخضر وأبيض وأحمر ومِنْ كلِّ لونٍ، ثم يرفعُ طرْفَه إلى سقفِه، فلولا أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قدَّره لألَمَّ أنْ يذهبَ بصرُه. قال بعضُ الرواةِ: إنَّه لمثل البرقِ. ثم ينظر إلى أزواجِه مِنَ الحورِ العِينِ، ثم يتَّكِئُ على أريكةٍ مِنْ أرائِكه، ويقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[1] [الأعراف: ٤٣].

٣٨٨٥ ـ وروى قَتادةُ عن كعبِ الأحبارِ: أنَّ اللَّهَ خلق آدمَ بيدِه، أي بقُدرتِه[2]، وكتبَ التوراةَ بيدِه، وغرسَ الجنةَ بيدِه، ثم قال لها: تكلمي،

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٤/٣٥، من رواية أبي إسحاق السبيعي، عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) هذا تجوُّزٌ من المصنف رحمه الله في تأويل صفة من صفات الله عز وجل، وهي اليد. وعقيدة أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة في الصفات إمرارها على ظاهرها كما جاءت، من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل.

فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١]. قال قتادةُ: حُقَّ لها أنْ تتكلمَ، وقد علمت ما أعدَّ اللَّهُ لأوليائِه فيها.

٣٨٨٦ ـ وروى حُمَيْدٌ عن أنسٍ، قال: «**إنَّ في الجنةِ لسوقاً على كُثبانٍ مِنْ مِسكٍ، يَخرُجون إليها ويلعبون عندها، فيبعثُ الله عزَّ وجلَّ ريحاً، فيُدخِلُها بيوتَهم، فيقول لهم أهلوهم: لقد ازددتُم بعدَنا حُسْناً**»(١).

٣٨٨٧ ـ ورُوِيَ عن الضَّحَّاك أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] قال: على مقادير الليل والنهار.

٣٨٨٨ ـ وروى منصور عن إبراهيمَ التَّيميِّ في قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] قال: عَرَقٌ يَفيضُ مِنْ أعراضهم كريحِ المِسكِ.

٣٨٨٩ ـ وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣ مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧﴾ [الرحمن: ٤٦ ـ ٦٧].

٣٨٩٠ ـ قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤]: خضراوان بالريِّ.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٣) عن أنس ﷺ مرفوعاً. ورواه ابن المبارك في الزهد (٢٤١)، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٨٨١) عن أنس موقوفاً.

٣٨٩١ ـ وقال سعيدُ بن جُبيْرٍ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]، قال: نضَّاختان بألوان الفواكه.

٣٨٩٢ ـ وقال مجاهد: أدنى أهل الجنةِ منْزِلةً كمَنْ يسير في مُلكهِ أعواماً يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعُهم الذي ينظر إلى ربِّه بالغَداة والعَشِيِّ.

٣٨٩٣ ـ وقال مسروقٌ: التَّسنيم: عيْنٌ في الجنةِ يشرب بها المُقرَّبون صِرفاً، ويُمْزَجُ لأصحاب اليمينِ.

٣٨٩٤ ـ وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قيل: افتضاضُ العَذارى.

٣٨٩٥ ـ وقيل: الآدمياتُ في الجنةِ على سِنٍّ واحدٍ، وأمَّا الحُورُ، فأصنافٌ مُصنَّفَةٌ صِغارٌ وكبارٌ، على ما اشتهت أنفسُ أهلِ الجنةِ.

٣٨٩٦ ـ وقيل في معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] أي: يُحَيِّي بعضُهم بعضاً فيها: سلام، أي: سَلِمْتَ وأمنتَ مِمَّا ابتُلِيَ به أهلُ النارِ. وقيل: إنَّ اللّهَ يُحيِّهم بالسَّلامِ إكراماً منه لهم.

٣٨٩٧ ـ قال سفيانُ: إذا أرادوا الشيءَ، قالوا: سُبحانك اللَّهُمَّ، فيأتيهم ما دَعَوْا به.

* * *

٢٣٩ ـ ما جاء في النظر إلى الله تعالى

٣٨٩٨ ـ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

٣٨٩٩ ـ وروى الزُّهريُّ عن عطاءِ بنِ يزيدَ الليثيِّ عن أبي هريرةَ، قال: قال ناسٌ: يا رسولَ الله، هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ قال: «هل **تُضارُّونَ في**

الشمسِ ليس دُونَها سحابٌ» ؟ قالوا: لا يا رسولَ الله. قال: «**هل تُضارُّونَ في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دُونَه سحابٌ»** ؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: «**فإنَّكم ترَوْنَ ربَّكم يومَ القيامةِ كذلك، يجمعُ اللَّهُ الناسَ، فيُقالُ: مَنْ كان يعبدُ شيئاً فليَتبعه، فيتبعُ مَنْ كانَ يعبدُ الشمسَ، ويتبعُ مَنْ كانَ يعبدُ القمرَ، ويتبعُ مَنْ كانَ يعبدُ الطَّواغيتَ وتبقى هذه الأمةُ فيها مُنافقوها، فيأتيهم اللَّهُ في غيرِ الصُّورةِ التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: نعوذ بالله منكَ، هذا مكانُنا حتى يأتيَنا ربُّنا، فإذا أتانا عرفناه، فيأتيهمُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في الصورةِ التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنتَ ربُّنا، فيتَّبعونه...**» الحديث(١).

٣٩٠٠ ـ وروى ثابتٌ عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلى، عن صُهيبٍ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، نُودُوا: يا أهلَ الجنةِ، إنَّ لكم عندَ الله موعداً لم ترَوْه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُبَيِّضْ وجوهَنا، ويدخِلْنا الجنةَ، ويُزَحْزِحْنَا عنِ النارِ. فيُكشَفُ الحجابُ، فينظرون إليه جلَّ ثناؤُه، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحبَّ إليهم منه، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾**»(٢) [يونس: ٢٦].

٣٩٠١ ـ وقال عامرُ بنُ سعدٍ: الحُسنى: الجنةُ، والزِّيادةُ: النظرُ إلى وجهِ اللَّهِ تعالى.

تم المجلد الكامل من سنن الصالحين وسنن العابدين، وبكماله تم جميع الديوان، والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه، وذلك في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة، غفر الله لكاتبه وقارئه والناظر فيه، وأثابنا وإياهم الجنة، ونفعنا وإياهم بما فيه بمنه وكرمه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

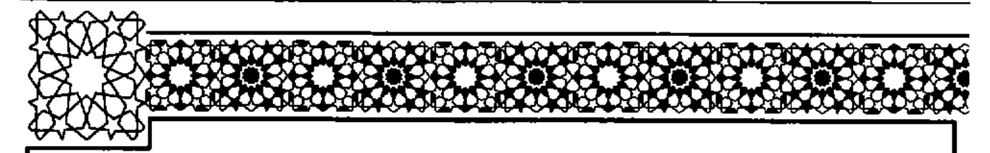
(١) البخاري (٦٥٧٣، و٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).
(٢) مسلم (١٨١).

النصيحة الولدية

وصية أبي الوليد الباجي لولديه

تأليف
أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي
المتوفى سنة ٤٧٤ هـ

تحقيق
إبراهيم باجس عبد المجيد



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمدٍ وآله

قال الشيخ الفقيه الإمام الحافظ أبو الوليد الباجي رضيَ الله عنه ورحمه:

المقدمة

يا بَنِيَّ، هداكما الله وأرشدكما ووفَّقكما وعصمكما، وتفضَّل عليكما بخيْر الدنيا والآخرة، ووقاكما محذورَهما برحمته. إنكما لَمَّا بلغتُما الحدَّ الذي قرُبَ فيه تعيُّنُ الفروضِ عليكما، وتوجَّه التكليفُ إليكما، وتحققتُ أنكما قد بلغتُما حدَّ مَنْ يفهمُ الوعظَ، ويتبيَّنُ الرُّشدَ، ويصلُحُ للتعليم والعلمِ، لزِمَني أنْ أقدِّمَ إليكما وصيتي، وأُظهِرَ إليكما نصيحتي، مخافةَ أنْ تختَرِمَني منيةٌ ولم أبلغْ مباشرةَ تعليمِكما وتدريبِكما، وإرشادكما وتفهيمكما.

فإنْ أنْسَأَ[١] الله تعالى في الأجل، فسيتكرَّرُ النصح والتعليم والإرشاد والتفهيم، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وعليه فليتوكلِ المتوكلون، بيدِه قلوبُكما ونواصيكما.

وإنْ حال بيني وبين ذلك ما أتوقعُه وأظنُّه مِنَ اقترابِ الأجلِ، وانقطاعِ الأملِ، ففيما أرسمُه مِنْ وصيتي وأبيِّنُه مِنْ نصيحتي ما إنْ عملتُما به، ثبتُّما على منهاج السلف الصالح، وفزتُما بالمتجر الرابح، ونلتما خيْر الدنيا

---

(١) أنسأ: مدَّ.

والآخرة، وأستودع اللَّهَ دينكما ودنياكما، وأستحفظه معاشَكما ومعادكما، وأفوِّضُ إليه جميعَ أحوالكما، وهو حسبي فيكما ونِعم الوكيل.

لا أحد أنصح للولد من والده:

واعلما ألا أحدَ أنصحَ مني لكما، ولا أشفقَ مني عليكما، وأنه ليس في الأرض مَنْ تطيبُ نفسي أنْ يفضُلَ عليَّ غيْرُكما، ولا أرفعُ حالاً في أمر الدين والدنيا سواكما.

وجوب طاعة نصح الأب:

وأقلُّ ما يوجب ذلك عليكما أنْ تُصيخا إلى قولي، وتتَّعظا بوعظي، وتتفهما إرشادي ونصحي، وتتيقنا أنِّي لم أنهكما عن خيْر، ولا أمرتكما بشرٍّ، وتسلكا السبيلَ التي نهجتها، وتتمثَّلا الحال التي مثلتها.

صلاح أهل بيت المؤلف:

واعلما أننا أهلُ بيت لم يَخْلُ بفضل الله ما انتهى إلينا منه مِنْ صلاحٍ وتديُّنٍ وعفافٍ وتصاونٍ، فكان بنو أيوبَ بنِ وارثٍ، عفا الله عنا وعنهم أجمعين: جدنا سعد، ثم كان بنو سعدٍ: سليمان وخلف وعبد الرحمن وأحمد.

وكان أوفرُ الصلاح والتديُّنِ والتورُّعِ والتعبُّدِ في جدِّكم خلف؛ كان مع جاهِه وجاله واتِّساع دِنياه، منقبضاً عنها، متقلِّلاً منها، ثم أقبل على العبادة والاعتكاف إلى أن توفي رحمه الله.

أخوة المؤلف:

ثم كان بنو خلف: عمَّاكُما عليٌّ وعمرُ، وأبوكما سليمانُ، وعمَّاكما محمد وإبراهيم، فلم يكن في أعمامكما إلا مشهورٌ بالحج والجهاد والصلاح والعفاف، حتى توفي منهم على ذلك، عفا الله عنا وعنهم.

وكأنني لاحقٌ بهم ووارِدٌ عليهم، ويصير الأمر إليكما، فلا تأخذا غيْرَ سبيلهم، ولا ترضيا غيْرَ أحوالِهم، فإنِ استطعتما الزيادةَ، فلأنفسكما تَمهدان، ولها تبنيان، وإلا فلا تُقصِّرا عن حالهم.

أول الوصايا: الإيمان بالله:

وأول ما أُوصيكما به ما أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢]. وأنهاكما عمَّا نهى عنه لقمانُ ابنَه وهو يعظه: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] وأؤكد عليكما في ذلك وصيتي، وأكررها حرصاً على تعلُّقكما وتمسُّككما بهذا الدين الذي تفضَّل الله تعالى علينا به، فلا يستَزِلُّكما عنه شيء من أمور الدنيا، وابذُلا دونَه أرواحَكما، فكيف بدنياكما؟ فإنه لا ينفع خيْرٌ بعدَه الخلودُ في النار، ولا يضرُّ ضيْرٌ بعدَه الخلود في الجنة. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

رجاء الجنة لمن آمن بهذا الدين:

فإن متُّما على هذا الدين الذي اصطفاه الله واختاره وحرَّم ما سواه، فأرجو أن نلتقيَ حيث لا نخاف فُرقةً، ولا نتوقع إزالةً. ويعلم الله تعالى شوقي إلى ذلك وحرصي عليه، كما يعلم إشفاقي مِنْ أنْ تزِلَّ بأحدِكما قدمٌ، أو تعدل به فتنةٌ، فيحلَّ عليه مِنْ سخط الله تعالى ما يُحِلُّه دارَ البَوارِ، ويُوجب له الخلود في النارِ، فلا يلتقي مع المؤمنين مِنْ سَلَفِهِ، ولا ينفعه الصالحون مِنْ آبائه يومَ لا يُغني ﴿عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

أقسام الوصية

وتنقسم وصيتي لكما قسمين:

فقسم فيما يلزم من أمر الشريعة، أُبيِّن لكما منه ما يجب معرفته، ويكون فيه تنبيهٌ على ما بعده.

وقسمٌ فيما يجب أن تكونا عليه في أمر دنياكما، وتجريان عليه بينكما.

فأما القسم الأول

التصديق بأركان الإيمان:

فالإيمانُ باللهِ عزَّ وجلَّ وملائكته وكتبه ورسله، والتصديق بشرائعه؛ فإنه لا ينفع مع الإخلال بشيء من ذلك عمل، والتمسكُ بكتاب الله تعالى جدُّه.

حفظ القرآن والعمل به:

والمثابرةُ على حفظه وتلاوته، والمواظبة على التفكر في معانيه وآياته، والامتثال لأوامره، والانتهاء عن نواهيه وزواجره.

التمسك بالكتاب والسنة:

رُوِيَ عن النبي ﷺ أن قال: «**تركتُ فيكم ما إنْ تَمسَّكتُم به لن تضِلُّوا**

بعدي: **كتابَ الله تعالى وسنتي، عَضُّوا عليها بالنواجذ»**(١).

طاعة الرسول ومحبته:

وقد نصح لنا النبي ﷺ وكان بالمؤمنين رحيماً، وعليهم مشفقاً، ولهم ناصحاً، فاعملا بوصيته، واقبلا مِنْ نصحه، وأَثبِتَا في أنفسكما المحبةَ له، والرضا بما جاء به، والاقتداءَ بسنته، والانقيادَ له، والطاعةَ لحكمه، والحرصَ على معرفة سنتِه، وسلوكَ سبيلِه، فإنَّ محبَّتَه تقود إلى الخيْر، وتُنجي مِنَ الهَلَكَةِ والشرِّ.

محبة الصحابة:

وأشْرِبا قلوبَكما محبةَ أصحابه أجمعين، وتفضيلَ الأئمةِ منهم الطاهرين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ونفعنا بمحبتهم، وألزِما أنفسَكما حُسْنَ التأويلِ لما شَجَرَ بينهم، واعتقادَ الجميلِ فيما نُقِلَ عنهم؛ فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسُبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مِثْلَ أُحُدِ ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه**»(٢). فمن لا يُبلَغُ نَصِيفُ مُدِّهِ مثلُ أُحُدٍ ذهباً، فكيف يُوازَنُ فضلُه، أو يُدْرِكُ شأوُه؟! وليس منهم رضي الله عنهم إلا من أنفق الكثير.

توقير العلماء والاقتداء بهم:

ثم تفضيلُ التابعين ومَنْ بعدَهم مِنَ الأئمة والعلماء ـ رحمهم الله ـ والتعظيمُ لحقِّهم، والاقتداءُ بهم، والأخذُ بهديهم، والاقتفاءُ لآثارهم، والتحفُّظُ لأقوالِهم، واعتقادُ إصابتهم.

---

(١) رواه مالك في الموطأ ٨٩٩/٢، والحاكم في المستدرك ٩٣/١.

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠، و٢٥٤١).

إقام الصلاة:

وإقامُ الصلاة؛ فإنَّها عمودُ الدين، وعِمادُ الشريعة، وآكَدُ فرائضِ الملَّةِ في مراعاة طهارتِها، ومراقبةِ أوقاتِها، وإتمامِ قراءتِها، وإكمالِ ركوعها وسجودها، واستدامةِ الخشوع فيها، والإقبالِ عليها، وغيْرِ ذلك من أحكامها وآدابِها في الجماعات والمساجد؛ فإن ذلك شعار المؤمنين، وسَنن الصالحين، وسبيل المتقين.

أداء الزكاة:

ثم أداءُ زكاة المال، لا تؤخَّر عن وقتها، ولا يُبخل بكثيرها، ولا يُغفل عن يسيرها، ولتُخْرَجْ مِنْ أطيب جنس، وبأوفى وزن؛ فإنَّ الله تعالى أكرمُ الكرماء، وأحقُّ من اختير له، ولتعْطَ بطيب نفسٍ، وتيقُّنٍ أنها بركة في المال وتطهيرٌ له، وتدفع إلى مستحقِّها دونَ مُحاباةٍ ولا متابعة هوى ولا هوادة.

صوم رمضان:

ثم صيام رمضان؛ فإنه عبادةُ السِّرِّ وطاعةُ الرب، ويجب أنْ يُزادَ فيه مِنْ حفظ اللسان، والاجتهادِ في صالح العمل، والتحفُّظِ مِنَ الخطأ والزَّلل، ويُراعى في ذلك لياليه وأيامُه، ويتبع صيامُه وقيامُه، وقد سُنَّ فيه الاعتكافُ.

حج البيت والعمرة:

ثم الحجُّ إلى بيت الله الحرامِ مَنِ استطاع إليه سبيلاً، فهو فرضٌ واجبٌ، وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ عند الله إلا الجنةُ**»[1].

الجهاد في سبيل الله:

ثم الجهادُ في سبيل الله إنْ كانت بكما قدرةٌ عليه، أو عونُ مَنْ يستطيعُ إنْ ضعُفتُما عنه.

---

(١) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

فهذه عُمَدُ فرائضِ الإسلام، وأركان الإيمان، حافظا عليها، وسابقا إليها، تحوزا الخيْرَ العظيمَ، وتفوزا بالأجرِ الجسيم، ولا تُضَيِّعا حقوقَ الله فيها وأوامرَه بها، فتهلَكا مع الخاسرين، وتندما مع المفرِّطين.

طلب العلم:

واعلما أنكما إنَّما تصلان إلى أداءِ هذه الفرائض والإتيان بما يلزمكما منها ـ مع توفيق الله لكما ـ بالعلم الذي هو أصل الخيْر، وبه يُتوصَّلُ إلى البِرِّ، فعليكما بطلبه؛ فإنَّه غِنى لطالبِه، وعِزٌّ لحامله، وهو ـ مع هذا ـ السببُ الأعظم إلى الآخرة؛ به تُجتنبُ الشبهاتُ، وتصِحُّ القُرُباتُ، فكم مِنْ عاملٍ يُبعدُه عملُه مِنْ ربِّه، ويُكتب ما يتقرَّبُ به مِنْ أكبَرِ ذنبِه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فضائل العلم:

والعلم سبيلٌ لا يُفضي بصاحبه إلا إلى السعادة، ولا يُقصِّرُ به عن درجة الرِّفعةِ والكرامة. قليلُه ينفع، وكثيره يُعلي ويرفع، كَنْزٌ يزكو على كل حال، ويكثُر مع الإنفاق، ولا يَغصِبُه غاصبٌ، ولا يُخاف عليه سارق ولا محارب.

فاجتهدا في طلبه، واستعذبا التعبَ في حفظه، والسهرَ في درسِه، والنَّصَبَ الطويلَ في جمعِه، وواظِبا على تقييدِه وروايتِه، ثم انتقلا إلى فهمِه ودرايتِه.

رفعة أهل العلم:

وانظرا أيَّ حالةٍ مِنْ أحوال طبقاتِ الناس تختاران، ومنْزلةَ أيِّ صنفٍ منهم تُؤثران؛ هل تريان أحداً أرفعَ حالاً مِنَ العلماء، وأفضلَ منْزلةً مِنَ

الفُقهاء؟ يحتاج إليهم الرئيسُ والمرؤوس، ويَقتدي بهم الوضيعُ والنَّفيسُ، يُرجعُ إلى أقوالِهم في أمور الدنيا وأحكامها، وصحةِ عقودها وبِياعاتِها، وغيْرِ ذلك مِنْ تصرُّفاتِها، وإليهم يُلجأ في أمور الدين وما يلزم مِنْ صلاة وزكاة وصيام وحلال وحرام. ثم مع ذلك السلامةُ منَ التَّبعات، والحظوةُ عند جميع الطبقات.

والعلم ولايةٌ لا يُعزَلُ عنها صاحبُها، ولا يَعرى من جمالها لابسُها، وكلُّ ذي ولاية وإنْ جلَّتْ، وحُرمةٍ وإنْ عَظُمَتْ، إذا خرج عن وِلايتِه، أو زال عن بلدتِه، أصبح مِنْ جاهِه عارياً، ومِنْ حالِه عاطلاً، غيْرَ صاحبِ العلمِ؛ فإنَّ جاهَه يصحبُه حيثُ سار، ويتقدَّمُه إلى جميعِ الآفاق والأقطار، ويبقى بعده في سائر الأعصار.

أفضل العلوم علم الشريعة:

وأفضلُ العلوم علمُ الشريعة، وأفضلُ ذلك لمن وُفِّقَ أنْ يُجَوِّدَ قراءة القرآن، ويحفظَ حديثَ النبي ﷺ ويعرف صحيحَه مِنْ سقيمِه، ثم يقرأ أصولَ الفقه، فيتفقَّه في الكتاب والسنة، ثم يقرأُ كلام الفقهاءِ، وما نُقِلَ مِنَ المسائل عنِ العلماء، ويَدْرَب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحُجج، فهذه الغاية القصوى، والدرجة العليا.

التفقه في الدين:

ومن قصَّرَ عن ذلك، فليقرأْ بعدَ تحفُّظِ القرآن وروايةِ الحديثِ المسائلَ على مذهب مالكٍ رحمه الله؛ فهي، إذا انفردتْ، أنفعُ مِنْ سائرِ ما يُقرأ مفرداً في باب التفقُّه، وإنَّما خصصنا مذهبَ مالكٍ رحمه الله؛ لأنه إمامٌ في الحديث، وإمامٌ في الرأي، وليس لأحدٍ من العلماء مِمَّن انبسط مذهبُه وكثُرت في المسائل أجوبتُه درجةُ الإمامةِ في المعنيين، وإنَّما يشاركه في كثرة المسائل وفروعها والكلام على معانيها وأصولها أبو حنيفة والشافعي،

وليس لأحدهما إمامةٌ في الحديث، ولا درجة متوسطة[١].

النهي عن قراءة كتب المنطق والفلسفة:

وإياكما وقراءةَ شيءٍ مِنَ المنطق وكلامِ الفلاسفة؛ فإنَّ ذلك مبنِيٌّ على الكفر والإلحاد، والبعدِ عنِ الشريعةِ والإبعاد.

قراءة كتب المنطق تكون بعد التمكن في الدين:

وأحذِّرُكما من قراءتِها ما لم تقرءا مِنْ كلامِ العلماء ما تَقويان به على فهم فسادِهِ وضعفِ شُبَهِهِ، وقلَّةِ تحقيقه؛ مخافةَ أنْ يسبِقَ إلى قلبِ أحدِكما ما لا يكون عنده من العلم ما يَقوى به على رده. ولذلك أنكرَ جماعةُ العلماء المتقدمين والمتأخرين قراءةَ كلامِهم لمن لم يكن مِنْ أهل المنْزلة والمعرفة به؛ خوفاً عليهم مِمَّا خوَّفتُكما منه.

ولو كنتُ أعلم أنكما تبلُغان منْزلةَ الميْزِ والمعرفة، والقوة على النظر والمقدرة، لحضضتُكما على قراءته، وأمرتُكما بمطالعتِه، لتُحَقِّقا ضعفَه وضعفَ المعتقِدِ له، وركاكةَ المغترِّ به، وأنه مِنْ أقبح المخاريق والتمويهات، ووجوهِ الحيل والخُزَعبلات التي يغتَرُّ بها مَنْ لا يعرفها، ويستعظمُها مَنْ لا يُميِّزُها.

ولذلك إذا حقق مَنْ يعلم عند أحدٍ منهم وجده عارياً مِنَ العلم، بعيداً عنه، يدَّعي أنه يكتمُ علمَه، وإنما يكتم جهلَه، وهو ينِمُّ عليه، ويروم أن يستعين به، وهو يُعين عليه.

---

(١) يقول ذلك رحمه الله نصراً لمذهبه المالكي. ونحن، مع إجلالنا لإمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله ورضي عنه، وإقرارنا بتبحُّره في الفقه والحديث، لا ننكر ما لغيره من الأئمة الأعلام من العلماء من مكانة في الفقه والحديث؛ فهذا سفيان الثوري، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، والشافعي، وأبو حنيفة، وغيرهم كثير، كلُّهم أئمة مجتهدون، نأخذ بما جاؤوا به، إلا أن تكون النصوص الشرعية بخلافه. وانظر في هذا الأمر رسالة «جزيل المواهب في اختلاف المذاهب» للسيوطي، بتحقيقي.

وقد رأيتُ ببغدادَ وغيرِها مَنْ يدَّعي منهم هذا الشأنَ مستحقَراً مُستهجَناً مُستضعَفاً، لا يناظره إلا المبتدئ، وكفاك بعلمٍ صاحبُه في الدنيا مرموقٌ مهجورٌ، وفي الآخرة مدحورٌ مثبورٌ. وأمَّا مَنْ يتعاطى ذلك مِنْ أهل بلدنا، فليس عندَه منه إلا اسمُه، ولا وصل إليه إلا ذكرُه.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وعليكما بالأمر بالمعروف وكونا من أهلِه، وانْهيا عن المنكر واجتنبا فعلَه.

طاعة ولي الأمر في غير معصية لله:

وأطيعا مَنْ ولاه الله أمرَكما، ما لم تُدعيا إلى معصيةٍ، فيجبُ أن تَمتنعا منها، وتبذُلا الطاعةَ فيما سواها.

التزام الصدق واجتناب الكذب:

وعليكما بالصدقِ؛ فإنه زيْنٌ، وإياكما والكذبَ فإنه شيْنٌ، ومَنْ شُهِرَ بالصدق، فهو ناطقٌ محمود، ومَنْ عُرِفَ بالكذب فهو ساكت مهجورٌ مذموم، وأقلُّ عقوبات الكذاب ألا يُقبَلَ صِدقُه، ولا يَتحقَّقُ حقُّه، وما وصفَ الله تعالى أحداً بالكذب إلا ذامّاً له، ولا وصف الله تعالى أحداً بالصدق إلا مادحاً له ومرفِّعاً به.

أداء الأمانة:

وعليكما بأداء الأمانة، وإياكما والإلمامَ بالخيانة. أدِّيا الأمانةَ إلى مَنِ ائتمَنكما، ولا تَخونا مَنْ خانكما، وأوفيا بالعهدِ إنَّ العهدَ كان مسؤولاً.

تتميم الكيل والميزان:

أوفيا الكيلَ والوزنَ؛ فإنَّ النقصَ فيه مقتٌ، لا يُنقِصُ المالَ، بل يُنقِصُ الدينَ والحالَ.

النهي عن سفك الدماء المحرمة:

وإياكما والعونَ على سفكِ دمٍ بكلمةٍ، أو المشاركةَ فيه بلفظةٍ، فلا يزال الإنسان في فُسحةٍ مِنْ دينه ما لم يغمِسْ يدَه أو لسانَه في دم امرئٍ مسلم. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

لا تقربوا الزنى:

واجتنابُ الزنى مِنْ أخلاقِ الفُضلاء، ومواقعتُه عارٌ في الدنيا وعذابٌ في الأخرى. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

اجتناب الخمر:

وإياكما وشربَ الخمر؛ فإنَّها أمُّ الكبائر، والمجرِّئة على المآثم، وقد حرَّمها الله تعالى في كتابه العزيز، فقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١]. وحسبُكما بشيءٍ يُذهبُ العقلَ، ويُفسد اللُّبَّ. وقد تركها قومٌ في الجاهلية تكرُّماً، فإياكما ومقاربتَها، والتدنُّسَ برجسِها، وقد وصفها الله تعالى بذلك، وقرَنَها بالأنصابِ والأزلام، فقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. فبيَّنَ تعالى أنها مِنْ عمل الشيطان، ووصفها بالرِّجس، وقرَنَ الفلاحَ باجتنابِها، فهل يستجيزُ عاقلٌ يصدِّقُ البارئَ في خبَرِه تبارك اسمُه، ويعلم أنه أراد الخيْرَ لنا فيما حذرنا عنه منها أنْ يقربَها أو يتدنَّسَ بها.

التحذير من الربا:

وإياكما والربا؛ فإنَّ الله تعالى قد نهى عنه، وتوعَّدَ بمحاربة مَنْ لم يتُبْ منه، فقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ

﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

التحذير من أكل مال اليتيم:

ولا تأكلا مالَ أحدٍ بغيْر حقٍّ. وإياكما ومالَ اليتيم، فقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠].

الحث على طلب الحلال:

وعليكما بطلب الحلال واجتنابِ الحرامِ، فإنْ عَدِمتُما الحلالَ فالجئا إلى المتشابه.

تحريم الظلم:

وإياكما والظلمَ؛ فإن الظلمَ ظُلماتٌ يومَ القيامةِ، والظالِمُ مذمومُ الخلائقِ، مُبَغَّضٌ إلى الخلائقِ[1].

التحذير من النميمة:

وإياكما والنميمةَ، فإنَّ أولَ مَنْ يَمقت عليها مَنْ تُنقلُ إليه، وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنةَ قَتَّاتٌ**»[2].

النهي عن الحسد:

وإياكما والحسدَ، فإنه داءٌ يهلكُ صاحبه، ويعطب تابعه.

---

(١) أي: مذموم الأخلاق، مبَغَّض إلى المخلوقين.

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥). والقتات: هو النَّمام.

اجتناب الفواحش:

وإياكما والفواحشَ؛ فإنَّ الله تعالى حرَّم ما ظهر منها وما بطَنَ، والإثمَ والبغيَ بغيْرِ الحقِّ.

تحريم الغيبة:

وإياكما والغيبةَ، فإنَّها تُحبطُ الحسناتِ، وتُكثِّر السيئاتِ، وتُبعدُ مِنَ الخالقِ، وتُبَغِّضُ إلى المخلوقِ.

تحريم الكبر:

وإياكما والكِبْرَ، فإنَّ صاحبَه في مقتِ الله متقلِّبٌ، وإلى سَخَطِهِ مُنْقَلِبٌ.

النهي عن البخل:

وإياكما والبخلَ، فإنه لا داء أدوأ منه، لا تسلَمُ عليه دِيانةٌ، ولا تَتِمُّ معه سيادةٌ.

مراقبة الله في السِّرِّ والعَلَنِ:

وإياكما ومواقفَ الِخزي، وكلُّ ما كرِهتُما أنْ يظهرَ عليكما فاجتنباه، وما علمتما أنَّ الناسَ يَعيبونه في الملا، فلا تأتيانه في الخلا.

العدل في الحكم:

فإنْ بلغ أحدُكما أنْ يسترعِيَه اللَّهُ أُمَّةً بحكم أو فتوى، فليتمثَّلِ العدلَ جَهدَه، ويجتنبَ الجورَ وغدرَه؛ فإنَّ الجائرَ مُضادٌّ للَّهِ في حكمه، كاذبٌ عليه في خبَره، مغيِّرٌ بشريعته، مخالفٌ له في خليقتِه. قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقد رُوِيَ أنَّ الخلقَ كلَّهم عِيالُ الله، وأنَّ أحبَّ الخلقِ إلى الله

أحوطُهم لعيالِه[1]. ورُوِيَ: **«ما امرُؤٌ استُرعِيَ رعيةً فلم يُحِطْها بنصيحةٍ، إلا حرَّمَ الله تعالى عليه الجنةَ»**[2].

التحذير من شهادة الزور:

وإياكما وشهادةَ الزُّورِ؛ فإنَّها تقطع ظهرَ صاحبِها، وتُفسدُ دينَ متقلِّدِها، وتُخلد قبحَ ذكرِه، وأولُ مَنْ يَمقتُه ويَنِمُّ عليه المشهودُ له.

تحريم الرشوة:

وإياكما والرِّشوةَ، فإنها تعمي عين البصير، وتحط قدر الرفيع.

الغناء ينبت الفتنة في القلب:

وإياكما والأغاني، فإن الغناء ينبت الفتنة في القلب، ويولد خواطر السوء في النفس.

الشطرنج والنرد ملهاة للوقت:

وإياكما والشطرنجَ والنردَ، فإنه شغل البطالين، ومحاولة المترفين، يفسد العمر، ويشغل عن الفرض، ويجب أن يكون عمرُكما أعزَّ عليكما وأفضلَ عندكما من أن تقطعاه بمثل هذه السخافات التي لا تجدي، وتفسداه بهذه الحماقات التي تضر وتردي.

النهي عن الكهانة والتنجيم:

وإياكما والقضاءَ بالنجومِ والتَّكَهُّنَ؛ فإنَّ ذلك لمن صدَّقه مُخرجٌ عنِ الدِّينِ، ومُدخل له في جملة المارقين.

---

(١) حديث ضعيف. رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٤/٢٣٧، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٦/٣٣٤.

(٢) رواه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) باختلاف في اللفظ.

وأمَّا تعديلُ الكواكب، وتبيينُ أشخاصِها، ومعرفةُ أوقاتِ طلوعها وغروبِها، وتعيينُ منازلِها وبروجِها، وأوقاتِ نزول الشمسِ والقمرِ بِها، وترتيبُ درجاتِها؛ للاهتداءِ به، وتعرُّف الساعاتِ وأوقاتِ الصلواتِ بالظِّلال وبها، فإنَّه حسنٌ، مُدْرَكٌ ذلك كلُّه بطريق الحساب مفهوم. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]. وقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [يونس:٥].

* * *

القسم الثاني من الوصية

وأما القسم الثاني مما يجبُ أن تكونا عليه، وتتمسكا به:

إكرام الأخ لأخيه:

فأنْ يلتزمَ كلُّ واحدٍ منكما لأخيه الإخلاصَ والإكرامَ والمراعاةَ في السِّرِّ والعلانيةِ، والمراقبةَ في المغيبِ والمشاهدةِ.

عطف الكبير على الصغير:

وليلزمْ أكبَرُكما لأخيه الإشفاقَ عليه والمسارعةَ إلى كلِّ ما يُحبُّه، والمعاضدةَ فيما يُؤْثِرُه، والمسامحةَ لكلِّ ما يرغبُه.

توقير الصغير للكبير:

ويلتزمُ أصغرُكما لأخيه تقديمَه عليه، وتعظيمَه في كلِّ أمرٍ بالرجوع إلى مذهبِه، والاتباعَ له في سرِّه وجهرِه، وتصويبَ قولِه وفعلِه.

المناصحة بالحسنى:

وإنْ أنكر منه في الملأ أمراً يريده، أو ظهر إليه خطأ فيما يقصِدُه، فلا يُظهر

إنكارَه عليه، ولا يجهرُ في الملأ بتخطئتِه، وليبيِّنْ له ذلك على انفرادٍ منهما، ورفقٍ مِنْ قولِهما؛ فإنْ رجع إلى الحقِّ، وإلا فليَتْبَعْه على رأيِه، فإنَّ الذي يدخل عليكما مِنَ الفساد باختلافِكما أعظمُ مِمَّا يُحذرُ مِنَ الخطأ مع اتفاقِكما، ما لم يكن الخطأُ في أمرِ الدين، فإنْ كان في أمر الدين، فليتبَعِ الحقَّ حيث كان، وليُثابِرْ على نُصح أخيه وتسديدِه ما استطاعَ، ولا يُخْلِ يدَه عن تعظيمِه وتوقيرِه.

إيثار الأخوة على الدنيا:

ولا يُؤثِرْ أحدُكما على أخيه شيئاً مِنْ عَرَضِ الدنيا، فيبخلُ بأخيه مِنْ أجلِه، ويُعرض عنه بسببِه، أو ينافسُه فيه. ومَنْ وُسِّعَ عليه منكما في دنياه، فليشارِكْ بها أخاه، ولا ينفردْ بها دونَه، وليحرِصْ على تثميرِ مال أخيه كما يحرِصُ على تثميرِ مالِه.

التعاطف والتواصل:

وأظهِرا التَّعاضُدَ والتواصلَ والتعاطفَ والتناصرَ، حتى تُعرفا به؛ فإنَّ ذلك مِمَّا تُرضيان به ربَّكما، وتُغيظان به عدوَّكما.

لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا:

وإياكما والتنافسَ والتقاطعَ والتدابرَ والتحاسدَ وطاعةَ النساءِ في ذلك؛ فإنه مما يفسدُ دينَكما ودنياكما، ويضعُ مِنْ قدرِكما، ويَحُطُّ مِنْ مكانِكما، ويَحقِرُ أمرَكما عند عدوِّكما، ويُصغِّرُ شأنَكما عند صديقِكما.

لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى:

ومَنْ أسدى منكما إلى أخيه معروفاً أو مُكارمةً أو مُواصلةً، فلا ينتظرْ مُقارضةً عليها، ولا يذكرْ ما أتى منها؛ فإنَّ ذلك مِمَّا يُوجب الضغائنَ، ويُسبب التباغضَ، ويُقبح المعروفَ، ويَحقرُ الكبيرَ، ويدُلُّ على المقتِ والضَّعَةِ ودناءةِ الهِمَّةِ.

لا تقابل الإساءة بالإساءة:

وإنْ أحدُكما زلَّ وترك الأخذ بوصيتي في بِرِّ أخيه ومراعاتِه، فليتلافَ الآخرُ ذلك بتمسُّكِه بوصيتي، والصبْرِ لأخيه، والرِّفقِ به، وتركِ المقارضةِ له على جفوَتِه، والمتابعةِ له على سوءِ معاملته؛ فإنه يَحمدُ عاقبةَ صبْرِه، ويفوزُ بالفضلِ في أمرِه، ولا يكون ما يأتيه أخوه كبيرُ تأثيرٍ في حالِه.

بركة الاتفاق:

واعلما أني قد رأيتُ جماعةً لم تكن لهم أحوالٌ ولا أقدارٌ، أقام أحوالَهم، ورفع أقدارَهم اتفاقُهم وتعاضُدهم. وقد رأيتُ جماعةً كانت أقدارُهم ساميةً، وأحوالُهم ناميةً، مَحَقَ أحوالَهم، ووضع أقدارَهم اختلافُهم. فاحذرا أنْ تكونا منهم.

صلة الرحم:

ثم عليكما بمواصلةِ بني أعمامِكما وأهلِ بيتِكما، والإكرامِ لهم، والمواصلةِ لكبيرِهم وصغيرِهم، والمشاركةِ لهم بالمالِ والحالِ، والمثابرةِ على مهاداتِهم، والمتابعةِ لزيارتِهم، والتعاهدِ لأمورهم، والبِرِّ لكبيرِهم، والإشفاقِ على صغيرِهم، والحرصِ على نَماءِ مالِ غنيِّهم، والحفظِ لغَيْبِهم، والقيامِ بحوائجِهم، دون اقتضاءٍ لمجازاةٍ، ولا انتظارِ مُقارضَةٍ؛ فإنَّ ذلك مما تسودان به في عشيرتِكما، وتَعْظُمان به عندَ أهلِ بيتكما.

وصِلا رحِمَكما وإنْ ضَعُفَ سببُها، وقرِّبا ما بعُدَ منها، واجتهدا في القيام بحقِّها. وإياكما والتضييعَ لها؛ فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَنْ أحبَّ النَّسأَ في الأجلِ، والسَّعَةَ في الرزقِ، فليَصِلْ رَحِمَهُ»**[١].

وهذا مِمَّا يَشْرُفُ به ملتزمُه، ويعظُمُ عند الناس مُعظمه. وما علمتُ أهلَ بيتٍ تقاطعوا وتدابروا إلا هلَكوا وانقرضوا، ولا علمتُ أهلَ بيتٍ

---

(١) رواه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

تواصلوا وتعاطفوا، إلا نَمَوْا وكثُروا، وبُورِكَ لهم فيما حاولوا.

الوصية بالجار:

ثم الجار؛ عليكما بحفظه، والكفِّ عن أذاه، والسَّتْرِ لعورتِه، والإهداءِ إليه، والصبْرِ على ما كان منه؛ فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن مَنْ لا يأمَنُ جارُه بوائِقَه**»[1]. ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «**ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سَيُوَرِّثُه**»[2].

الجوار قرابة ونسب:

واعلما أنَّ الجِوارَ قَرابةٌ ونسبٌ، فتحبَّبا إلى جيرانِكما كما تتحبَّبان إلى أقاربِكما. ارعَيا حقوقَهم في مشهدِهم ومَغيبِهم، وأحسِنا إلى فقيرِهم، وبالغا في حفظِ غيبهم، وعلِّما جاهلَهم.

صلة أصدقاء الأب:

ثم مَنْ علمتما مِنْ إخواني وأهلِ مَوَدَّتي، فإنه يتعيَّنُ عليكما مراعاتُهم وتعظيمُهم، وبِرُّهم وإكرامُهم ومواصلتُهم؛ فقد رُوِيَ عن عبدِ الله بنِ عمر أنه حدَّث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ أبرَّ البِرِّ أنْ يصلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه**»[3].

إكرام الإخوان:

ثم إخوانكما، عاملاهم بالإخلاص والإكرام وقضاء الحقوق، والتَّجافي عن الذنوب، والكتمانِ للأسرار.

وإياكما أن تُحدِّثا أنفسَكما أن تنتظرا مقارضة ممن أحسنتما إليه،

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٤، و٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٢)، والترمذي (١٩٠٤).

وأنعمتما عليه؛ فإن انتظار المقارضة يَمسح الصنيعة، ويعيد الأفعال الرفيعةَ وضيعةً، ويقلب الشكر ذمّاً، والحمد مقتاً.

الصبْر على أذى الناس:

ولا يجب أنْ تعتقدا معاداةَ أحد، واعتمدا التحرُّزَ مِنْ كلِّ أحدٍ، فمنْ قصدَكما بِمطالبةٍ، أو تكرَّرَ عليكما بأذيَّةٍ، فلا تُقارضاه جَهدَكما، والتزِما الصبْرَ له ما استطعتما، فما التَزم أحدٌ الصبْرَ والحِلمَ إلا عزَّ ونُصِرَ، ومن ﴿بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]. وقد استعملتُ هذا بفضلِ الله مراراً، فحَمِدتُ العاقبةَ، واغتبطتُّ بالكفِّ عَنِ المقارضةِ.

التوكل على الله:

ولا تستعظِما مِنْ حوادثِ الأيامِ شيئاً، فكلُّ أمرٍ ينقرضُ حقيرٌ، وكلُّ كبيرٍ لا يدومُ صغيرٌ، وكلُّ أمرٍ ينقضي قصير، وانتظرا الفرجَ؛ فإنَّ انتظارَ الفرجِ عبادة، وعلِّقا رجاءَكما بربِّكما، وتوكلا عليه، فإنَّ التوكلَ عليه سعادةٌ.

الاستعانة بالدعاء:

واستعينا بالدعاء، والجئا إليه في البأساءِ والضَّرَّاء؛ فإنَّ الدعاء سفينةٌ لا تعطَبُ، وحزبٌ لا يُغلَبُ، وجُنْدٌ لا يهربُ.

وإياكما أنْ تستحيلا عن هذا المذهبِ، أو تعتقدا غيْرَه، أو تتعلَّقا بسواه، فتهلَكا وتَخسرا الدينَ والدنيا. وربَّما دعوتُما في شيءٍ، فنالكما مع الدعاء معرَّةٌ، أو وصلت إليكما مضرَّةٌ، فازدادا حرصاً على الدعاءِ، ورغبةً في الإخلاصِ، والتضرُّعِ والبكاءِ، فإنَّ [ما] نالكما مِنَ المضرَّة بما سلف مِنْ ذنوبكما، واكتسبتماه مِنْ سيِّئ أعمالكما. ومع ذلك، فالذي ألهمَكما إلى الدعاء ووفَّقكما، لا بد أنْ يُحْسِنَ العاقبةَ لكما، وقد نَجّاكما بدعائكما عن الكثيرِ، وصرف به عنكما مِنَ البلاءِ الكبيرِ.

شكر النعمة:

وإذا أنعم عليكما ربُّكما بنعمةٍ، فتلقَّياها بالإكرام لها، والشكرِ عليها، والمسامَحةِ فيها، واجعلاها عوناً على طاعتِه، وسبباً إلى عبادتِه.

التحذير من إهانة النعم:

والحذرَ الحذرَ مِنْ أن تُهينا نعمةَ ربِّكما، فتَتْرُكَكما مذمومَيْنِ، وتزول عنكما مَمقوتَيْن. رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا عائشةُ، أَحْسِني جِوارَ نِعَمِ الله تعالى؛ فإنَّها قلَّما زالتْ عن قوم، فعادت إليهم**»(١).

وإياكما أنْ تُطغِيَكما النعمةُ، فتُقَصِّرا عن شكرِها، أو تنسيا حقَّها، أو تظُنَّا أنكما نِلتماها بسعيِكما، أو وصلتُما إليها باجتهادِكما، فتعود نِقمةً مُؤذيةً، وبَليةً عظيمةً.

طاعة ولي الأمر في المعروف:

وعليكما بطاعةِ مَنْ ولاه اللَّهُ أمرَكما فيما لا معصيةَ فيه لله تعالى، فإنَّ طاعتَه مِنْ أفضلِ ما تتمسكان به وتعتصمان به مِمَّن عاداكما.

عدم الخروج على السلطان العادل:

وإياكما والتعريضَ للخلاف لهم، والقيامَ عليهم، فإنَّ هذا فيه العَطَبُ العاجل، والخِزيُ الآجلُ، ولو ظفَرْتُما في خلافِكما، ونفذتُما فيما حاولتما، لكانَ ذلك سببَ هلاكِكما لِمَا تكسبانِه مِنَ المآثِم، وتُحدِثان على الناس مِنَ الحوادث والعظائم.

ثم مَنْ سعيتُما له، ووثِقتُما به لا يُقدِّمُ شيئاً على إهلاكِكما والراحةِ منكما، فإنَّه لا يأمَنُ أنْ تُحدِثا عليه ما أحدثتُما له، وتنهضان بغيْرِه كما نهضتُما به.

---

(١) حديث ضعيف. رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢)، والخرائطي في «الشكر» (٦٨)، وبنحوه رواه ابن ماجه (٣٣٥٣).

لزوم الجماعة:

فالتزما الطاعةَ وملازمةَ الجماعةِ، فإنَّ السلطانَ الجائرَ الظالِمَ أرفقُ بالناس مِنَ الفتنة وانطلاقِ الأيدي والألسنةِ.

الصبر على السلطان الجائر:

فإنْ رابَكما أمرٌ مِمَّن وُلِّي عليكما، أو وصلت منه أذِيَّةٌ إليكما، فاصبِرا وانقبِضا وتَحَيَّلا لصرفِ ذلك عنكما بالاستنْزالِ والاحتمالِ والإجمال، وإلا فاخرُجا عن بلدِه إلى أنْ تصلُحَ لكما جهتُه، وتعودَ إلى الإحسان إليكما نِيَّتُه.

وإياكما وكثرةَ التظلُّم منه، والتعرُّض لذكره بقبيحٍ يُؤثَرُ عنه، فإنَّ ذلك لا يزيدُه إلا حَنَقَاً وبُغضةً فيكما، ورضاً بإضرارِه بكما.

ترك منافسة السلطان:

وابدأا بعدَ سَدِّ هذه الأبواب عنكما بتركِ منافسة مَنْ نافسكما، ومطالبةِ مَنْ طالبكما، فإنه قد يبدأ بهذه المعاني مَنْ يعتقد أنه لا يتوصل منها إلى محظورٍ، ولا يتشبَّث منها بمكروه، ثم يُفضي الأمرُ إلى ما لا يُريده، ولا يعتمدُه مِنْ مُخالفةِ الرئيس الذي يقهرُ مَنْ ناواه، ويغلب مَنْ غالبه وعاداه.

الاعتزال في الفتنة:

وإنْ رأيتما أحداً قد خالف مَنْ وُلِّيَ عليه، أو قام على مَنْ أُسنِدَ أمرُه إليه، فلا ترضَيا فِعلَه، وانقبضا منه، وأغلِقَا على أنفسِكما الأبوابَ، واقطعا بينكما وبينَه الأسبابَ، حتى تنجلِيَ الفتنةُ، وتنقضِيَ المحنَةُ.

الزهد في الدنيا:

وإياكما والاستكثارَ مِنَ الدنيا وحُطامِها، وعليكما بالتوسطِ فيها، والكفافِ الصالح الوافرِ منها، فإنَّ الجمعَ لها والاستكثارَ منها، مع ما فيه مِنَ الشغل بها، والشغبِ بالنظرِ فيها، يصرِفُ وجوهَ الحَسدِ إلى صاحبها، والطمعِ إلى جامعِها، والحنقِ على المنفردِ بها.

كل ذي نعمة محسود:

فالسلطانُ يتمنَّى أنْ يَزِلَّ زلَّةً يتسببُ بها إلى أخذِ ما عَظُمَ في نفسِه مِنْ مالِه، والفاسقُ مُرصَدٌ لخيانتِه واغتيالِه، والصالِحُ ذامٌّ له على استكثارِه منه واحتفالِه.

يخافُ عليه صديقَه وحميمَه، ويُبغضُه مِنْ أجلِه أخوه شقيقُه، إنْ منعَه لم يعدمْ لائماً، وإنْ بذلَه لم يجدْ راضياً.

آفات الدنيا:

ومنْ رُزِقَ منكما مالاً، فلا يجعلْ في الأصولِ إلا أقلَّه؛ فإنَّ شغَبَها طويل، وصاحبَها ذليلٌ، وهي ليست بمالٍ على الحقيقة، إنْ تغلَّبَ على الجهة عدوٌّ حالَ بينَه وبينها، وإنِ احتاج إلى الانتقال عنها تركها أو ترك أكثرَها.

لا يصلك إلا ما قُدِّر لك:

ومن احتاج منكما، فليجمل في الطلب، فإنه لا يفوته ما قُدِّر له، ولا يدرك ما لم يقدر له، وقد ذكر الله تعالى ما وعظَ به العبدُ الصالح ابنَه في مثل هذا، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

من أتى السلطان افتتن:

واجتنبا صُحبةَ السلطانِ ما استطعتُما، وتحرَّيا البُعدَ منه ما أمكنَكُما، فإنَّ البُعدَ منه أفضلُ مِنَ العزِّ بالقُربِ منه؛ فإنَّ صاحبَ السلطانِ خائفٌ لا يأمَنُ، وخائِنٌ لا يُؤمَنُ، ومُسيءٌ إنْ أحسن، يَخاف منه ويُخاف بسببه، ويتَّهمه الناسُ مِنْ أجلِه. إنْ قرَّبَ فتَنَ، وإنْ أبعدَ أحزنَ، يحسُدُك الصديقُ على رضاه إذا رضي، ويتبَرَّأ منك ولدُك ووالداك إذا سَخِطَ، ويكثُرُ لائموك إذا منع، ويقِلُّ شاكروك إذا شبع. فهذه حالُ السلامةِ معه، ولا سبيلَ إلى السلامةِ مِمَّن يأتي بعدَه.

مصاحبة السلطان في المعروف:

فإنِ امتُحِنَ أحدُكما بصحبتِه، أو دعتْه إلى ذلك ضَرورةٌ، فليتقَلَّلْ مِنَ المالِ والحالِ، ولا يغتَبْ عندَه أحداً، ولا يُطالب عنده بَشراً، ولا يعصِ له في المعروف أمراً، ولا يستنْزِلْه إلى معصيةِ الله تعالى، فإنَّه يطلبُه بمثلِها، ويصيرُ عندَه مِنْ أهلِها. وإنْ حَظِيَ عنده بمثلِها في الظاهرِ، فإنَّ نفسَه تَمقتُه في الباطن.

البعد عن طلب الجاه:

ولا يرغب أحدُكما في أنْ يكونَ أرفعَ الناس درجةً، وأتَمَّهم جاهاً، وأعلاهم منْزلةً؛ فإنَّ تلك حالٌ لا يسلَمُ صاحبُها، ودرجةٌ لا يثْبُتُ مَنِ احتلَّها.

خير الأمور الوسط:

وأسلمُ الطبقاتِ الطبقةُ المتوسطة: لا تُهتَضَمُ مِنْ دَعَةٍ، ولا تُرمَقُ مِنْ رِفعةٍ. ومِنْ عيبِ الدرجةِ العُليا أنَّ صاحبَها لا يرجو المزيدَ، ولكنه يَخافُ النقصَ، والدرجةُ الوُسطى يرجو الازديادَ، وبينها وبين المخاوفِ حجاب.

فاجعلا بين أيديكما درجةً يشتغلُ بها الحسودُ عنكما، ويرجوها الصديقُ لكما.

لا تطلب الإمارة:

ولا يطلب أحدُكما ولايةً؛ فإنَّ طلبَها شَيْنٌ، وتركَها لمن دُعِيَ إليها زيْنٌ، فمنِ امتُحِنَ بها منكما، فلتكُنْ حالُه في نفسِه أرفعَ مِنْ أنْ تُحدثَ فيه بأواً[1]، أو يُبدي بها زَهواً، وليعلمْ أنَّ الولايةَ لا تزيدُه رِفعةً، ولكنَّها فتنةٌ ومِحنةٌ، وأنَّه معرَّضٌ لأحدِ أمرين: إمَّا أنْ يُعْزَلَ فيعود إلى حالتِه، أو يُسيء استدامةَ ولايتِه، فيقبُحُ ذِكرُه، ويثقُلُ وِزرُه. وإنِ استوتْ عندَه ولايتُه وعزلُه،

---

(١) البأو: الفخر.

كان جديراً أنْ يستديم العملَ فيبلغَ الأملَ، أو يُعزلَ لإحسانِه، فلا يَحُطُّ ذلك مِنْ مكانِه.

الإقلال من المزاح:

وأقِلا مُمازحةَ الإخوانِ وملابَستَهم، والمتابعةَ في الاسترسالِ معهم؛ فإنَّ الأعداءَ أكثَرُ مِمَّنْ هذه صفتُه، وقَلَّ مَنْ يُعاديك مِمَّنْ لا يَعرفُك ولا تعرِفُه.

فهذا الذي يَجبُ أنْ تَمتثلاه وتلتزِماه، ولا تترُكاه لعرَضٍ ولا لوجهِ طمَعٍ، فربَّما عرض وجهُ أمرٍ يروق، فيستَزِلُّ عنِ الحقائقِ بغيرِ تحقيقٍ، وآخرُهُ يظهر مِنْ سوءِ العاقبة ما يُوجب الندمَ حيثُ لا ينفعُ، ويتمنَّى له التلافي فلا يمكن.

وصية لقمان لابنه:

فإنْ فقدتُما وصيتي هذه، ونسيتُما معناها، فعليكما بما ذكر الله تعالى في وصيَّةِ لقمانَ لابنِه، فإنَّ فيها جِماعَ الخيْر، وهي: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٧ ـ ١٩].

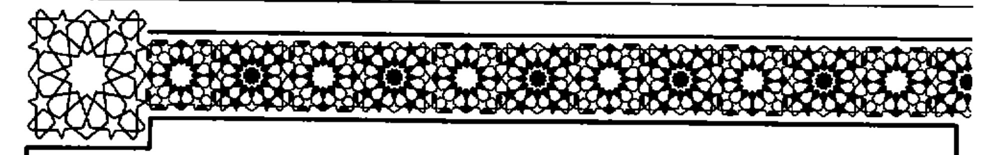
وإنِّي لأُوصيكما، وأعلمُ أنِّي لن أُغنِيَ عنكما مِنَ الله شيئاً. إنِ الحكمُ إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلونَ، وهو حسبنا ونعم الوكيل(١).



---

(١) جاء في آخر النسخة ما نصه: كمُلتِ الوصيةُ المباركةُ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وآله الطيبين، وصحابته المنتَجَبين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.
وذلك في يوم الخميس السابع لشهر ذي الحجة مختَتَمِ عام تسعةٍ وأربعين وسبعمائة.

الفهـارس



فهرس الآيات

رقم الآية	الآيـــة	رقم النص
١٥٩	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾...	٨٩٧، ٩٩١
١٧٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾	٢٦٠٢
١٧٧	﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ﴾...	٣٤٣٣
١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾...	١٢١
١٩٧	﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾	٢٧٩٠
٢٠١	﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	٣، ١٩٦
٢٠٣	﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ﴾	٨١٧
٢٢٢	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٧٦٨
٢٤٥	﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾	٢٧٦٨
٢٥٠	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا..﴾	٢٠٥
٢٥٠	﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا﴾...	٤
٢٥٥	﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ﴾	٣٧٠
٢٥٥	﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾	٣٨٥٠
٢٦٦	﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾...	٣٠٧٢
٢٨٦	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾...	٥

آل عمران

رقم الآية	الآيـــة	رقم النص
٨	﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا﴾...	٦
١٤	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾...	٢٢٧٦، ٢٦٣٥

رقم الآية	الآيـــة	رقم النص
١٦	﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ...	٧
١٧	﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾	١٦٦
٣٨	﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾	٨
٥٣	﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	٩
٦٨	﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	٨٤٦
٩٢	﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	٧٢٨
١٠٢	﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	٢٧٩٢
١٠٣	﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	١١٤٢
١١٠	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	٤٦٢
١١٣	﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾	٦٦٤
١٣٣	﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٣٨٦٩
١٣٤	﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾	١٦١٨
١٣٥	﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ...	٢٦٣، ٢٧٣
١٤٧	﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾	١٠
١٥٩	﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾	١٣٩٥
١٨٧	﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾	١١٦٠
١٩٠، ١٩١	﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ...	٢٧٧٧
١٩١	﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٢٧٨٠
١٩١	﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	١١
١٩٢	﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾	٣٨٥٧
١٩٣	﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾	١٢
١٩٤	﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ...	١٣

الأعراف

رقم الآية	الآيـــة	رقم النص
١٥٦	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٢٩٤
١٦٣	﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾	٢٦٢١
١٨٧	﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ ...	٣٧٤٨
١٩٩	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	١٢٥١، ١٦٢٣
٢٠٠	﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٩٠٤

الأنفال

رقم الآية	الآيـــة	رقم النص
٣٨	﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ .	٣٠٥١
٥٨	﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾	١٨٠٥
٦٣	﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ ...	١٣٨١

التوبة

رقم الآية	الآيـــة	رقم النص
٤٠	﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾	٤٧٨
٤٣	﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾	٤٤٠
٥١	﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾	٣٤٠٩
٧٩	﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾	٧٢٤
٨٢	﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	٢٩٠٥، ٣٣٤٠
٩٥	﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ ..	١٧٨٦
٩٥، ٩٦	﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ ...	٣٣٢٥
٩٦	﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	١٧٨٦
١١١	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ﴾	٧٥٩
١١٧	﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾	١٧٨٦

يونس

هود

النحل

مريم

طه

الأنبياء

رقم الآية	الآيــة	رقم النص
٣٠	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾	٢٣٢
٤٧	﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ ..	٣٨١٠
٥٩	﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٣٣٢٦
٦٠	﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾	٣٣٢٦
٦١	﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾	٣٣٢٦
٦٣، ٦٤	﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾	٣٣٢٦
٦٥ ـ ٦٧	﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا﴾	٣٣٢٦
٧٦	﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾	١٢٧
٨٣	﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١٢٨
٨٤	﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾	١٢٨
٨٧	﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾....	١٢٩، ٢١٤
٨٨	﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٢٩، ٢١٤
٨٩	﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾	٢٦
٩٠	﴿ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ .	٣٠١٨
٩٦، ٩٧	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾	٣٧٣٥
١٠٠	﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾	٣٨٣٨
١٠٣	﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾	٣٨٤٣

الحج

رقم الآية	الآيــة	رقم النص
١، ٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾	٣٧٤٩، ٣٨٠٣

المؤمنون

النور

الفرقان

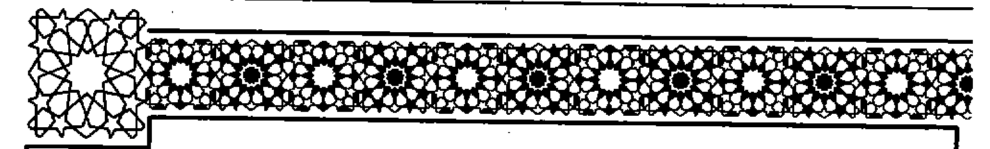
الحاقة

المعارج

نوح

الجن

المزمل



فهرس الأحاديث والآثار

النص	القائل/ الراوي	الرقم
إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله (ح)	أبو هريرة	١٥٧٦
إذا غضب حامل القرآن قال القرآن: أما تستحيي	الشعبي	١٦٢٨
إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي (ح)	أبو هريرة	٦٩١
إذا قرأت القرآن فاقرأه قراءة تسمع أذنيك ويفقه قلبك	الشعبي	٣٨٩
إذا قضى القاضي بالحق فليقعد في مجلسه كيف شاء	إسماعيل بن إسحاق القاضي	١٢٥٧
إذا كان الله أمام الساري فلات حين مهرب	ابن أبي ليلى	٣٤١٨
إذا كان البدن سقيماً لم ينفعه الطعام	شُبْرُمَة	١١٧٩
إذا كان الداء من السماء بطل الدواء	بعض الأطباء	١٩٢٥
إذا كان الرأي عند من لا يسمع منه	بعض الأعراب	٢٧٦٠
إذا كان شيء فوق الحياة فالصحة	بعض الحكماء	٣٢٧١
إذا كان الطمع هلاكاً كان اليأس إدراكاً	-	١٨٤٣
إذا كان العبد على معصية الله فأعطاه الله ما يحب على ذلك	عقبة بن مسلم	١٠٣٤
إذا كان عليك إمام تخاف ظلمه وعترسته	عبد اللَّه بن مسعود	٢٠٩
إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل	عمر بن عبد العزيز	١٢٥٨
إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض (ح)	أنس بن مالك	٣٨٥٣
إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم	عبد اللَّه بن عباس	٣٧٥٨
إذا كان يوم القيامة ينزل الله تبارك وتعالى إلى العباد ليقضي بينهم	أبو هريرة	١٠٧٩
إذا كثرت ذنوب العبد فلم يكن في عمله ما يكفرها سلطت عليه الغموم	الحسن البصري	٢٩٥٧
إذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يده	سفيان الثوري	١٤٤٧
إذا لذت لك القراءة، فلا تركع ولا تسجد	أبو سليمان الداراني	٢٨٢٣
إذا لقيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب (ح)	-	١٧٩١
إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل فاعلم أنك محروم	الفضيل بن عياض	٦١٩
إذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه	مذعور	١٧٩٣
إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين (ح)	مالك بن أنس	٣٢٨٠
إذا منع العبد حق الله تعالى في ماله سلطه الله على الطين	أبو قلابة	٢٤٢٨
إذا نعس أحدكم في صلاته فليرقد حتى يذهب عنه النوم (ح)	عائشة	٦٥٢
إذا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيني	يزيد الرقاشي	٦٤٢

النص	القائل/ الراوي	الرقم
أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً (ح)	-	١١٧
أرب ماله (ح)	أبو أيوب الأنصاري	١٥٥٠
ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة	علي بن أبي طالب	١١٥٣
أرحم ما يكون الله بعبده إذا أُدخل قبره	عطاء الخراساني	٣٨٦٤
ارجع فلن أستعين بمشرك (ح)	عائشة	٨٠٧
أردت البصرة، فجئت سفينة لأركب فيها	أبو هاشم	٣٠٥٦
أرسلك أبو طلحة (ح)	أنس بن مالك	٤١٩، ١٤٢٥
ارقبوا محمداً في أهل بيته	أبو بكر الصديق	٥٤١
ارقيها بكتاب الله تعالى	أبو بكر الصديق	١٩٠٩
أرهب إن كلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي	عبد اللّه بن عمر	١٠٩٨
إزارة المسلم إلى أنصاف ساقيه	أبو سعيد الخدري	٢٣٦٧
أسأل الذي رحمني بك أن يرحمك بي	-	١٥٣٣
أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر	أبو الدرداء	٣٥٠٦
استجيدوا النعال، فإنها خلاخيل الرجال	الأحنف بن قيس	٢٣٩٦
استحيوا من الله حق الحياء	عبد اللّه بن مسعود	٢٨٤٤
استرشدوا العقل ترشدوا	مالك بن أنس	١٠٥٥
استرقوا لها، فإن بها النظرة (ح)	أم سلمة	١٩٠٧
استرقوا لهما، فإنه لو سبق شيء القدر لسبقته العين (ح)	مالك بن أنس	١٩٠٨
استشهد باليرموك الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل	الزبير بن بكار	١٤٤٦
استعمل زيد بن أسلم على معدن بني سليم	مالك بن أنس	١٩١٤
استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الأقرع على المدائن	عطاء بن السائب	١٢٢٤
استعينوا على حوائجكم بالكتمان	بعض الحكماء	٢٤٧٢
استغفارٌ بلا إقلاع توبة الكذابين	الفضيل بن عياض	٢٨١
استغفارنا يحتاج إلى استغفارٍ كثير	رابعة العدوية	٢٨٢
أستغفر الله من ذنوب سلط بها هؤلاء علينا	الأوزاعي	٢٩٦٨
استقرضني إياه من لم أقدر على رده لكثرة إحسانه إليَّ	أبو مسلم الخولاني	١٤٤٠
استقيموا ولن تحصوا، وخير أعمالكم الصلاة (ح)	-	٦٧٨
استكثر دعاء الخير لك من الناس	حكيم	١١٣٠

النص	القائل/ الراوي	الرقم
اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك	-	٤٨
اللهم إنا نسألك النجاة يوم الحساب	-	٥٩
اللهم إنا نسألك النصرة والعصمة	-	٦٦
اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء	-	٥٥
اللهم إنا نعوذ بك من نزول سخطك	أعرابي	١٠٢
اللهم أنت أعلم بي من نفسي	أبو بكر الصديق	١٧٩٢
اللهم أنت تعلمنا ولا يعلمنا	مذعور	١٧٩٣
اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها (ح)	عبد اللّه بن عمر	١٦٢
اللهم أنت ربنا، فارزقنا الاستقامة	الحسن البصري	٢٨٥٦
اللهم أنت السلام ومنك السلام (ح)	عائشة	١٤٨
اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل (ح)	أبو هريرة	٢٣٨
اللهم أنت المأمول الحسن الخلف	امرأة بالبادية	٢٠٠
اللهم أنقص من الوجع، ولا تنقص من الأجر	أبو نخيلة	٢٠٣
اللهم إنك أمرتني فعصيت، وائتمنتني فتعديت	عمرو بن العاص	٣٥١٩
اللهم إنك بما أنت له أهل من النعمة، أولى مما أنا له من العقوبة	جعفر بن محمد الصادق	٩٤
اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي، فاقبل معذرتي	آدم عليه السلام	٧٧
اللهم إنك خلقتني ورزقتني، وأمرتني ونهيتني	عمر بن عبد العزيز	٩٢
اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً يغوينا	محمد بن واسع	٣١٦٠
اللهم إنه لا بد لنا من لقائك، فاجعل عند ذلك عذرنا مقبولاً	-	٦٠
اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب	-	٢٢٧
اللهم إني أحبهما فأحبهما (ح)	أسامة بن زيد	٥٦٠
اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك	علي بن أبي طالب	٢٠٢
اللهم إني أسألك رؤيا صالحة صادقة غير كاذبة	عائشة	١٦١
اللهم إني أسألك سلواً عن الدنيا وبغضاً لها	علي بن الحسن	٨٦
اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً (ح)	أم سلمة	١٤٩
اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك (ح)	حصين بن يزيد الثعلبي	١٥٢

النص	القائل/ الراوي	الرقم
أوتيت مفاتيح خزائن الأرض (ح)	سالم بن أبي الجعد	٢٢٩٧
أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن اتخذ نعلين من حديد	مالك بن دينار	٩٥٥
أوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى أتخاف غيري	الشعبي	٣٠٣٢
أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم	وهب بن منبه	٣٠٠٢
أوصى بكتاب الله تعالى (ح)	طلحة بن مصرف	٣٧١
أوصيك أن تعمل صالحاً وتأكل طيباً	مالك بن أنس	١١٢٤
أوصيك بتقوى الله (ح)	أبو سعيد الخدري	٢٤٤، ١٧٢١
أوصيك بالقرآن خيراً	مالك بن أنس	١١٣١
أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة	علي بن أبي طالب	١١١٨
أوصيكم بتقوى اللَّه	عمر بن الخطاب	٢١٧٧
أوصيكم بجمل لو ضربتم لها آباط الإبل كن لها أهلاً	علي بن أبي طالب	١١٢٧
أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك	خالد بن صفوان	١١٧٥
أوكلما اشتهيت شيئاً اشتريته	عمر بن الخطاب	٢٢٩٨
أول بغي كان في قيس	معمر بن المثنى	٢٤٩٥
أول زمرة تلج الجنة (ح)	أبو هريرة	٣٨٨٢
أول العلم البينة	عبد اللَّه بن المبارك	٩٤٥
أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل	عبد اللَّه بن عباس	٣٣٢٤
أول ما تكلم ابنَ آدم حفرتُه	مجاهد	٣٦٩٨
أول ما يدعى إلى الجنة الذين يحمدون الله عز وجل	سعيد بن جبير	٢٩٦
أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة	يحيى بن سعيد	٧٠١
أول من اضطرب الأخبية	مالك بن أنس	٢٨٤٢
أول من يدعى يوم القيامة إسرافيل	حبان بن أبي جبلة	٣٧٨٦
أول من يدعى يوم القيامة للحساب القضاة	محمد بن واسع	١٢٥٦
أولكن لحوقاً بي أطولكن يداً (ح)	-	٧١٧
أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به	علي بن أبي طالب	٨٤٦
أولئك أصحاب النبي ﷺ	يزيد بن أبي حبيب	٢٣٣٨
أي رب منك العدل ومن خلقك الجور	الأصمعي	٣٦٠٣
أي رجل أفسدوا	سفيان الثوري	١٢٥٥
أي عدو الله قتلته	محيصة بن مسعود	٤٧٦

النص	القائل/ الراوي	الرقم
صلاة الأوابين الخلوة بين المغرب والعشاء حتى يثوب الناس إلى الصلاة	عبد اللَّه بن عمرو بن العاص	٦٣٣
الصلاة الصلاة، ثم يتلو هذه الآية	عمر بن الخطاب	٦٨٥
الصلوات كفارات للخطايا	أبو هريرة	٦٨٩
صم ولا تبغ في صومك	الحسن	٢٣٣١
ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه	مورق العجلي	٣١٦٢
ضع خدي بالأرض	عمر بن الخطاب	٥٢٢
ضع رأسي على الأرض لعل الله يرحمني	عمر بن الخطاب	٣٥١٧
ضع الشطر من دينك	كعب بن مالك	١٥٨٠
ضعفت أوصالي، وضاع مالي	أرطأة بن سهية	٣٣٠٠
طلاقة الوجه	الأوزاعي	١٣٥٠
طلب الحلال فريضة، والصلاة في الجماعة سنة	شعيب بن حرب	٢٧٢٦
طلب رزق في شبهة أحسن من الحاجة إلى الناس	مالك بن أنس	٢٦٢٩
طلب العلم في الصغر كالنقش في الحجر	الحسن البصري	٩٣٨
طلب العلم والفقه	مالك بن أنس	٨٤١
طلبت الرزق في وجهه فأعياني أن أصيبه إلا رزق يوم بيوم	صلة بن أشيم	٢٦٨٤
طلبت العبادة في كل شيء	الضحاك بن قيس	٣٥٥
طلبنا العلم لغير الله، فأبى إلا أن يكون لله	سفيان بن عيينة	٨٤٣
طوبى لك يا طائر تأكل الثمر، وتقع على الشجر	أبو بكر الصديق	٣٠٢٠
طوبى لمن أخلص لله علمه وعمله	علي بن أبي طالب	١١١٩
طوبى لمن أصبحت العبادة حرفته، والفقر أمنيته	منصور بن عمار	٢١٧١
طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعدٍ غائبٍ لمن يره	عيسى عليه السلام	٢٣١١
طوبى لمن تواضع في غير منقصة	بعض الحكماء	١٤٩١
طوبى لمن خزن لسانه، ووسعه بيته	عيسى عليه السلام	٢٩١٥
طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب	علي بن أبي طالب	٣٦٩٣
طوبى لمن شغل بالنظر في عيب نفسه عن النظر في عيوب غيره	وهب بن منبه	٢٠٩٩
طوبى لمن طال عمره وحسن عمله (ح)	أبو هريرة	١٠٢٠
طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً	عائشة	٢٧٨
طول الزمان، وكثرة الأحزان	يعقوب عليه السلام	٢٩٥٣
طيب المكسب، وقصر الأمل	مالك بن أنس	٢٦٢٢

النص	القائل/ الراوي	الرقم
العلم ذكرٌ لا يحبه إلا ذكور الرجال	ابن شهاب	٩١١
العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان	بعض الحكماء	٩٠٧
علم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم	-	٨٨٨
العلم كله شريف	الشعبي	٩٠٦
العلم لواحدٍ من ثلاثة	أبو بكر بن عبد الرحمن	١٢٤٨
علم الملوك النسب والخبر	بعض الحكماء	٨١٣
العلم نتف	أبو عمرو بن العلاء	٩٢٠
العلماء إذا علموا عملوا	-	٩٧٦
العلماء سرج الأزمنة	-	٨٤٩
العلماء كالملح، إذا فسد شيء صلح بالملح	قتادة	٢٠٤٥
علمنا أشياء وجهلنا أشياء فلا نبطل علمنا بما جهلنا	-	٨٧٦
عليك بالاستغفار	علي بن أبي طالب	٢٨٧
عليك بإصلاح دينك فإليه معادك	المعتمر بن سليمان	٢٧٣٢
عليك ببر أخويك وتوقيرهما	علي بن أبي طالب	١١١٨
عليك بحسن خلقك	حكيم	١٤٠٨
عليك بتقوى الله في السر والعلن	مالك بن أنس	١١٢٩
عليك بتقوى الله تعالى ما استطعت (ح)	عطاء بن يسار	١١١٣
عليك بالصبر في مواضع الصبر	القاسم بن محمد	١٦٦٩
عليك بقلة الطعام، تملك سهر الليل	سفيان الثوري	٦٢٠
عليكم بالإخوان فإنهم عدةٌ للدنيا والآخرة	علي بن أبي طالب	١٣٨٦
عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة	الفضيل بن عياض	٢٩٣٤
عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس (ح)	يسيرة	٣٢٠
العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما (ح)	أبو هريرة	٧٥٢
العمل بطاعة الله عز وجل هو نصيبه من الدنيا	مجاهد	٣٠٦٨
العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله عز وجل	منصور بن مزاحم	٩٩٦
عند الصباح يحمد القوم السرى	-	٦٤٩
عند الصباح يحمد القوم السرى، وعند الممات يحمد القوم التقى	سفيان الثوري	٢٨٨٨
عهدت أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز	محمد بن كعب القرظي	٣٧٠٢

النص	القائل/ الراوي	الرقم
عوتبت عائشة رضي الله عنها على كثرة بكائها على أخيها	-	٣٥٩٤
العيال سوس المال	-	٢٧٤٥
العين تدمع، والقلب يحزن (ح)	-	٣٥٩٣
غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر	أنس بن مالك	٧٦٩
الغادر يرفع له لواء يوم القيامة (ح)	عبد اللَّه بن عمر	١٨١٠
غافر الذنب لمن قال: لا إله إلا اللَّه	عطاء بن رباح	٣٢٣
غائلة العلم النسيان وترك المذاكرة	الحسن البصري	٩٤٣
غدوة في سبيل الله أو روحةٌ خير من الدنيا وما فيها (ح)	-	٣٨٧٥
غدوت يوماً وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها	القاسم بن محمد	٢٩١٨
غرتنا الدنيا غيرك يا أبا عبيدة	عمر بن الخطاب	١٢٢٧
غرك من في الأرض، ومقتك من في السماء	الحسن البصري	٢٤٤٠
غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه (ح)	أبو هريرة	٢٦١٢
الغزو غزوان	معاذ بن جبل	٧٨٦
الغضب يفسد الإيمان كما يفسد العسل الصبر	بعض الحكماء	١٦٢٧
غفلنا ولم يغفل الدهر عنا	الأصمعي	٣٣٦٦
غل يداً مطلقها، واسترق رقبة معتقها	عمر بن الخطاب	١٨١٧
غلا الطعام على عهد عمر بن الخطاب	أنس بن مالك	١٢٢٣
الغناء باطل، والباطل في النار	القاسم بن محمد	١٩٦٧
الغناء سبب السهو، ومعدن اللَّهو	أبو الوليد الباجي	١٩٧٦
الغناء محرم لأنه مله	أبو الوليد الباجي	١٩٧٤
الغناء مهلكة للمال، مسخطة للرب، مقساة للقلب	الضحاك	١٩٦٦
الغناء ينبت النفاق في القلب	عبد الله	١٧٠٦
الغيُّ نهر في جهنم في النار	عبد اللَّه بن مسعود	٢٢٩١
الغيبة فاكهة القراء	بعض الحكماء	٢٥٦٧
فاتتني الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده	حاتم الأصم	٧٠٤
فاستفتح القراءة فوجد لها لذة فلا يركع	أبو سليمان الداراني	٦٥٧
فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس	عبد اللَّه بن عباس	٣٣٢٤
فإني أختار أن أكون نبياً عبداً (ح)	الحسن البصري	١٤٧٣
فر ابن أبي ليلى من الطاعون على حمار	-	٣٤١٨
فر في آخر الزمان من الناس كفرارك من الأسد غير تارك للجماعة	الفضيل بن عياض	،٢٠٧٨ ٣٢٤٨

النص	القائل/ الراوي	الرقم
كان سليمان عليه السلام يأكل الشعير	-	٢٦٤٦
كان سليمان بن يسار أفقه رجل ببلدنا بعد ابن المسيب	مالك بن أنس	٥٨٦
كان ضجاع رسول الله ﷺ من أدم حشوها ليف	عائشة بنت أبي بكر	٢٤٠٦
كان الضحاك يبكي كل عشية	الضحاك	٢٩٤٦
كان طاوس يشتري الجزرة لسفرته فيدفعها للمساكين	مالك	١٣٦٨
كان عالماً برعيته، عادلاً في قضيته	صعصعة بن صوحان	١٢١٥
كان عبد اللّه بن عمر إزاره إلى نصف ساقيه	-	٢٣٧٠
كان عبد اللّه بن مسعود إذا هدأت العيون قام	عبيد اللّه بن عبد الله ابن مسعود	٢٨٦٢
كان عبد الوهاب بن بخت له فضل وصلاح	مالك بن أنس	٥٨٤
كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته	-	٣٦٩٦
كان العلماء فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه . .	أبو حازم	٢٠٦٠
كان عمر بن حسين من أهل الفضل والعلم	مالك بن أنس	٥٨٣
كان عمر بن الخطاب إذا استعمل العامل اشترط عليه ألا يركب برذوناً	عاصم بن بهدلة	١٢٣٢
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا شاور أصحابه قال: ارجعوا إلى منازلكم فبيتوا ليلكم	مالك بن أنس	١٥٩١
كان عمر بن الخطاب يأتي العيال يسلم على أبوابهن	سعيد بن المسيب	١٢٣٣
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحضر السوق	-	٢٧٥٦
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشير الصغار	-	٢٠٥١
كان عمر بن ذر لا يخرج من منزله إلا لثلاث	-	٢٠٨٧، ٣٢٥٧
كان عمر كالطير الحذر	عبدالله بن عباس	٥٢٦
كان عندنا بالمدينة امرأة من المجتهدات في العبادة والمبرزات	أبو العباس الزبيدي	٣٠٥٨
كان عيسى ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر، ويأكل الشجر	هلال بن يساف	٢٣٤٦
كان فراش النبي ﷺ ليف (ح)	عائشة	٢١٢٦
كان في بني إسرائيل شاب قد قرأ الكتب	خالد الربعي	٢٠١٤
كان لأبي وائل خص من قصب يكون فيه هو ودابته	عاصم بن بهدلة	٢٤٣٧
كان لبعض أهل العلم أخ يأتي القاضي والوالي بالليل يسلم عليهما	محمد بن سحنون	٢٠٤٦
كان لعمر بن عبد العزيز سفينة يحمل فيها الطعام من مصر إلى المدينة	عمر بن عبد العزيز	١٢٣٦
كان لقمان خياطاً	سعيد بن المسيب	٢٥٩١
كان لقمان عبداً نوبياً مجدّعاً	مجاهد	٢٨٠٢

النص	القائل/ الراوي	الرقم
كان لهارون عليه السلام ابنان	عمار الدهني	٣٤١٩
كان مالك بن أنس قد أدام النظر في المصحف قبل موته بسنتين	أبو بكر بن أبي أويس	٢٩٢٤
كان محمد بن إبراهيم بن دينار يختلف إلى ابن هرمز	ابن القاسم	٨٩٦
كان محمد بن علي لا يسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء	-	١٩٥
كان محمد بن واسع يغلس إلى مسجد البصرة	-	٣١٥٩
كان مسلمة بن عبد الملك نهماً في الطعام	-	٢٥٩٦
كان من مداومة الربيع بن خثيم على غض البصر أن النساء كن يقلن: ما أجمله من رجلٍ إلا أنه أعمى	-	١٦٩٢
كان المهاجرون إذا رأوا الرجل راكباً يمشي معه الرجل	ميمون بن مهران	٣١٨٢
كان المهدي قد أراد سفيان الثوري بكل وجهٍ من الوجوه أن يأتيه ويأخذ صلته	محمد بن أبي مالك الغنوي	٢١١١
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني (ح)	حذيفة بن اليمان	٢٠٣١
كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير (ح)	عبد اللَّه بن عباس	٤٣٥
كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو ينزع (ح)	أنس بن مالك	١٣٩٨
كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها	أبو سعيد الخدري	٤٠٧، ٢٨٣٥
كان النبي ﷺ في بيته في مهنة أهله (ح)	-	٢٦٤٢
كان النبي ﷺ مربوعاً (ح)	-	٤٠٨
كان النبي ﷺ يفطر من الشهر حتى نقول: ألا يصوم منه (ح)	أنس بن مالك	٦٣٢
كان يزيد بن شجرة مما يذكرنا فيبكي	مجاهد	٧٩٣
كان يطعمنا ثريداً، فإن لم نشبع زادنا ثريداً	عبد اللَّه بن دينار	٢٣٦٠
كان يعني أحب الصلاة إلى أصحابنا بالهاجرة	أنس بن مالك	٦٥٩
كان ينام أوله ويقوم آخره (ح)	عائشة	٦٣١
كانت الأنبياء يكون لهم مساجد خارجاً من قراهم	يزيد بن عبد اللَّه بن قسيط	٢٩٠٤
كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة (ح)	عبد اللَّه بن عباس	٦٥٠
كانت عينا داود عليه السلام كالقربتين تنطفان الماء	الأوزاعي	٢٩١٠
كانت لمنصور جارة لها ابنة تصعد بها كل ليلة بعد العتمة إلى سطح لها	-	٢٨٨٦
كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم (ح)	أنس بن مالك	٦٦٧

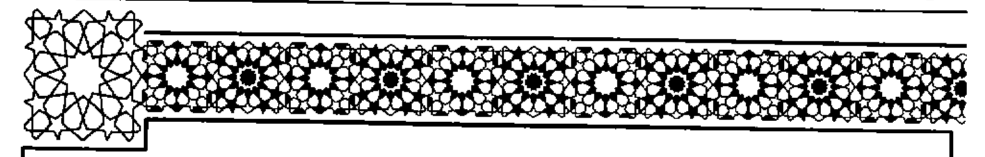
النص	القائل/ الراوي	الرقم
لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً (ح)	عبد اللّٰه بن عمرو	١٣٩٧
لم يلق ابن آدم شيئاً قط منذ خلقه الله أشد عليه من الموت (ح)	أنس بن مالك	٣٧٧٠
لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً أوحى إليه: أن وار عورتك عن الأرض	أبو سليمان الداراني	٢٣٧١
لما أخذ سفيان في الزهد، ظننا أنه مريض	أبو سعيد بن زياد	٣٠٠٦
لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه الشعراء	عمر بن عبد العزيز	٦١٠
لما أنزلت آية الصدقة كنا نحامل (ح)	أبو مسعود	٧٢٤
لما بعث الله موسى عليه السلام إلى فرعون قال: إن أفضل ما تزين به العباد	الحسن البصري	٢١٦٤
لما بلغت خمس عشرة سنة، قال لي أبي	عمرو بن عتبة	١١٢٨
لما توفي الحسن بن علي	-	٣٦١٦
لما توفي ذر بن عمر، دخل عليه أبوه وهم يبكون	-	٣٦١٨
لما توفي رسول الله ﷺ ودفن	-	٣٦١١
لما حُضِر عمر غشي عليه	عبد اللّٰه بن عمر	٣٥١٧
لما حضرت ذا الرمة الوفاة أمر أن يكتب على قبره	الأصمعي	٣٧١٩
لما حضرت عمر الوفاة	-	٥٢٢
لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة، بكى بكاءً شديداً	-	٣٥١٩
لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة	-	٣٥١٨
لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة، نظر إلى أهله يبكون عليه	-	٣٥٢٢
لما دخل الجند بيروت، أتى رجل منهم إلى الأوزاعي	موسى بن الهذيل	٢٩٦٩
لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح مكة وسارت الجنود	مالك بن أنس	١٤٧٥
لما سار يوسف عليه السلام إلى مصر	أبو هريرة	٣٣٢٩
لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنه قيل للربيع: قتل الحسين	الربيع	١٧٢٤
لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك وأبو بكر وبلال (ح)	عائشة بنت أبي بكر	٣٢٩٠
لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام أتي ببرذون فركبه فهزه	طارق بن شهاب	١٤٨٠
لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء (ح)	أنس بن مالك	٤٣٩
لما كسرت على رأس النبي ﷺ البيضة، وأُدمي وجهه (ح)	سهل بن سعد	١٩١٨

النص	القائل/ الراوي	الرقم
من تكبر على الناس ذل	علي بن أبي طالب	١١١٩
من تكلم واتقى الله خير ممن صمت واتقى الله	طاوس	١٧٢٢
من توضأ وضوءه ثم رفع طرفه إلى السماء (ح)	عمر بن الخطاب	٦٨٠
من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين	عثمان بن عفان	٦٧٧، ٦٨٨
من جالس العلماء وقر	علي بن أبي طالب	١١١٩
من جر إزاره يريد به الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة	عبد اللّه بن عمر	٣٠٥٥
من جمع السخاء والحياء، فقد استجاد الإزار والرداء	بعض الحكماء	١٤٤٨
من جهز جيش العسرة فله الجنة (ح)	-	٢٧٦٧
من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا (ح)	زيد بن خالد	٧٨٤
من حاسب نفسه ربح	الحسن البصري	١١٤١
من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (ح)	أبو هريرة	٧٥٠
من حفر لأخيه بئراً وقع فيها	علي بن أبي طالب	١١١٩
من حفظ القرآن عظمت حرمته	الشافعي	٩٤٧
من حق العالم إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة	علي بن أبي طالب	٨٧١
من حمى مؤمناً من منافق يعيبه (ح)	أنس الجهني	٢٥٥٤
من خاف الله لم يشف غيظه	عمر بن الخطاب	١٦٣٣، ٢٧٩٦
من خالط الأنذال احتقر	علي بن أبي طالب	١١١٩
من خساسة الكذاب أن الكذاب يكذبه صديقه	الأحنف بن قيس	١٧٧٣
من دخل مداخل السوء اتهم	علي بن أبي طالب	١١١٩
من رأى أحداً به بلاء فليقل: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به (ح)	-	٣٢٧٤
من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه	علي بن أبي طالب	٣٠١٤
من رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته	علي بن أبي طالب	١١١٩
من رغب عن سنتي فليس مني (ح)	أنس بن مالك	١٢٠٦
من ركب سفينة فقال: بسم الله الرحمن الرحيم	عبد اللّه بن عباس	٢٤٦
من زادت حسناته على سيئاته	جابر بن عبد الله	٣٧٨٤
من الزهد ترك الفضول عند القدرة عليها	سحنون	٢١٨٤
من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين	أبو هريرة	٣٠٨
من سرَّه أن يُبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه	أبو هريرة	١٥٥٢
من سرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار (ح)	معاوية بن أبي سفيان	٣١٨٣

النص	القائل/ الراوي	الرقم
من لزم القصد استغنى عن الفصد	-	١٩٤٤
من لم يتعاهد علمه في الخلاء فضحه في الملأ	بعض الحكماء	٩٦٧
من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء	عبد العزيز بن أبي رواد	٣٤٨٧
من لم يتمكن التعظيم من سره، لم يكن للخوف موضع من قلبه	بعض الحكماء	٣٠٢٩
من لم يتواضع عند نفسه، لم يرتفع عند غيره	ابن المغيرة	١٥٠٤
من لم يحمل ذل العلم ساعة، بقي في ذل الجهل أبداً	-	٩٠٠
من لم يرض بالقضاء، فليس لحمقه دواء	ميمون بن ميمون	٣٤٠٠
من لم ينصفك في قربه، فأنصف نفسك ببعده	-	١٦١٢
من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة	-	٢٥٦٠
من مات وعند جارية مغنية، فلا تصلوا عليه	عائشة	١٩٦٥
من مثلك يا ابن آدم؟ إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن دخلت	بكر بن عبد اللَّه	٧٠٢
من مزح استخف به	علي بن أبي طالب	١١١٩
من مقت نفسه في ذات الله أمنه الله مقته	-	١٤٩٩
من الناس من يأتيه الله الملك فيتقي الله فيه	مالك	٢٧٢٩
من نافسك في دينك فنافسه	الحسن البصري	٢٤٦٠
من نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره	علي بن أبي طالب	١١١٩
من نوى الصبر على طاعة الله صبره الله عليها	عبد الواحد بن زيد	١٦٦٨
من نوقش الحساب عذب (ح)	سفيان بن عيينة	٣٧٨٣
من هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه	علي بن أبي طالب	١١١٩
من هذا كله بد، ولا بد لنا من الموت	أبو حازم	٢٢١٣
من هوان الدنيا على الله، أنه لا يعصى إلا فيها	أبو الدرداء	٢٢٦١
من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين (ح)	أبو هريرة	١٢٥٩
من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟ (ح)	الزبير بن العوام	٥٤٦
من يأتيني بخبر سعد بن الربيع الأنصاري؟ (ح)	مالك بن أنس	٧٧٥
من يحلب هذه؟ (ح)	يحيي بن سعيد	١٨٨٥
من يختار الغناء ويستحسنه	قتادة	١٩٦٣
من يرد الله به خيراً يصب منه	سعيد بن يسار	٣٢٨٤
من يرد اللَّه بن خيراً يصب منه	أبو هريرة	٣٤٢٧

النص	القائل/ الراوي	الرقم
هل للقاضي أدب غير أدب الإسلام؟	إسماعيل بن إسحاق القاضي	١٢٥٧
هل هو إلا أني صرفت طعام النهار إلى الليل	عامر بن عبد اللَّه	٢٨٦٧
هل يستطيع إذا خرج المجاهد أن يدخل المسجد (ح)	أبو هريرة	٧٦٦
هل ينتفع من المسك إلا برائحته؟	عمر	٥٠٤
هلا انتفعتم بجلدها (ح)	عبد اللَّه بن عباس	٢٧١٠
هلاك بالرجل أن يدخل عليه رجل من إخوانه فيحتقر ما في بيته	جابر بن عبد اللَّه	١٤٢٧
هلال خير ورشد (ح)	-	١٩٢
هلكت امرأة لي، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها	القاسم بن محمد	٣٦٦٦
هم الذين لا يأكلون طعاماً للذة، ولا يلبسون ثوباً لجمال	يزيد بن أبي حبيب	٢٣٧٧
هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون (ح)	عبد اللَّه بن عباس	٣٣٧٥
هم العالمون المتبعون له	مالك بن أنس	٩٦٢
هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا	حذيفة بن اليمان	٢٠٣١
هل منكم رجل لم يقارف الليلة (ح)	أنس بن مالك	٣٧٠١
هما ريحاني من الدنيا (ح)	عبد اللَّه بن عمر	٥٦٤
ههنا أحدٌ يؤنس به	القاسم بن عبد الرحمن	٣٨٣
هو الذل تصبر عليه	الأحنف بن قيس	١٦٣٦
هو الذي يهم بالذنب، فيذكر الله فيدعه	مجاهد	٣٠٢٨
هو الرجل يشتري الجارية المغنية تغنيه ليلاً ونهاراً	عبد اللَّه بن مسعود	١٩٦٢
هو الغناء، والذي لا إله إلا هو	عبد اللَّه بن عمر	١٩٥٩
هو كلام ربي هو كلام ربي	عكرمة بن أبي جهل	٣٨٥
هو والله ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين	عمر بن الخطاب	١٢٢٣
هؤلاء قد أكثروا عليك، وما أراك تحصي كل ما أوصوك به	معاذ بن جبل	٢١٥١
الهون في كلام العرب: اللين والسكينة والوقار	الحسن البصري	١١٨٨
هي مذلة للتابع، مفسدة للمتبوع	عمر بن الخطاب	٢٤٥٦
هي الوالدة تلقي ولدها يوم القيامة	الفضيل بن عياض	٣٨٠٥
هي والله بالمواحشة أشبه	الفضيل بن عياض	٢٠٧٤، ٣٢٤٤
هي والله الساعة التي يدفع فيها الناس إلى خزنة جهنم	الحسن البصري	٣٨٤٢
هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل	عيينة بن حصين	١٢٥١
هيهات! الأمر أعجل من ذلك	الحسن البصري	٣٤٣٩
واسوأتاه وإن غفر لي	الفضيل بن عياض	٣٠٣٠

النص	القائل/ الراوي	الرقم
يا عبد الرحمن لا تماظ جارك	أبو بكر الصديق	١٣٤٠
يا عبيد الدنيا، خفتم ربكم على الناس في ذنوبهم	عيسى عليه السلام	٢٠٩٧
يا عتبي، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له	العتبي	٤٤١
يا عجباً لمن يعصي المحسن بعد معرفته بإحسانه	عبد اللّٰه بن أبي نوح	١٠٣٦
يا عجباً لمن يعلم أن الجنة تزين فوقه	أحمد بن حرب	٢٨٦٦
يا عدي ما لي وللشعراء	عمر بن عبد العزيز	٦١٠
يا عروة، هل تعرف سيف الزبير؟	عبد الملك بن مروان	٥٤٨
يا عمر، ما أتاك من هذا المال عطاء من غير أن تعرض له (ح)	عمر بن الخطاب	١٢٢٠
يا عمرو، اعمر نعمتك بالعدل فإن الجور يهدمها	المأمون	١٢٤٠
يا عمير، أجبيت أم البلاد بلاد سوء	عمر بن الخطاب	١٢٢٢
يا عمير ما فعل النغير (ح)	أنس بن مالك	١٨٩٠
يا عيسى، إني ذاكرٌ من ذكرني	وهب بن منبه	٣٠٠٢
يا غلام، سم الله وكل بيمينك (ح)	-	١٨٦
يا فاطم، لنحن وليالي دابق أنعم منا اليوم	عمر بن عبد العزيز	٦٠٧
يا فلان، ما منعك أن تصلي معنا (ح)	عمران بن حصين	٤١٧
يا قنبر، اكسه حلتي	علي بن أبي طالب	١٤٥١
يا قنبر، دع شاتمك واله عنه ترض الرحمن	علي بن أبي طالب	١٦٣٨
يا قوم تغير بنا الدهر، إذ قل منا الشكر	-	١٥٤٠
يا كعب خوفنا	عمر بن الخطاب	٣٨٣٤
يا لك فضلاً، ويا لك كرامة ما أظهرك	ابن قرط	١٥٢٠
يا لها موعظة ما أبلغها وأسرع نسيانها	الحسن البصري	٣٥٦٨
يا ليتني هذه التبنة، يا ليتني لم أكن شيئاً	عمر بن الخطاب	٢٩٩٦
يا مجاهد، ناده: يا خربة، أين أهلك	عبد اللّٰه بن عمر	٢٧٨٥
يا مسلمة، أترى رجلاً لو أكل هذا	عمر عبد العزيز	١١٨٠
يا معشر الحواريين، إياكم وكثرة الأكل والشرب	عيسى عليه السلام	٢١٤٣
يا معشر الحواريين، تحببوا إلى الله ببغضكم أهل المعاصي	عيسى عليه السلام	٢١١٠
يا معشر الحواريين لا تجالسوا الخطائين	عيسى عليه السلام	٣٠٠٢
يا معشر الظلماء لا تجالسوا أهل الذكر	مالك بن دينار	٢٥١٢
يا معشر القراء، استبقوا الخيرات	عمر بن الخطاب	٢٧٤٧
يا ملك الموت، ما يحملك على أن تأتي أهل البيت	موسى عليه السلام	٣٥٧٩



فهرس الشعر

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
	قافية الهمزة			
عدمنا خيلنا	كداءُ	حسان بن ثابت	١٦	٤٣٢
نعاير الناسَ	وآراءُ	بكر بن حماد	٢	٢٤٥٣
كانت قناتي	والإمساءُ	-	٢	٣٣٠٣
إذا لم تخشَ	تشاءُ	حبيب بن أوس الطائي	٣	٢٨٥١
يحب الفتى	بقاءُ	محمود الوراق	٣	٣٢٧٠
بكيت على الذنوب	البكاءُ	رجل من بلعنبر	٢	٢٩٤٥
أستغفر اللّه	لخطّاءُ	أبو العتاهية	٢	٢٨٩
لعمرُك ما الدنيا	عطاؤُها	علي بن العباس الرومي	٢	٢٢٤٩، ٣٤٨٢
إذا قلّ ماءُ	ماؤه	-	١	٢٨٤٦
إذا قلَّ مالُ	وسماؤه	-	٢	٢٧٥٣
الناس من جهة	حوّاءُ	علي بن أبي طالب	٦	٩٣٥
نعلّل بالدواءِ	الدواءُ	ابن نباتة	٣	١٩٣٠
إذا جار الأمير	القضاءِ	-	٢	١٢٦٠
توكلنا على رب	القضاءِ	أبو الجهم	٣	٣٣٨٨
إن أبا بكر	بماءِ	خفاف بن ندبة	٤	٤٩٤
إذا ما كنت متخذاً	إخاءِ	-	٣	١٠٦٢
	قافية الباء			
سيفتح بابٌ	الصعابُ	-	٤	٢٦٨٣

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
تخوِّفني بمخلوق	أهابُ	أبو العباس بن حيون الكاتب	٢	٣٤٢٠
وهل نحن إلا مرامي	دائبُ	-	٧	٣٤٧٢
نِعَمٌ إذا رعيت	مصائبُ	أبو تمام	١	١٥٣٨
أخ كنت أبكيه	غائبُ	عبد السلام بن رغبان	٥	٣٦٥٧
إذا كنت	تعاتبُه	بشار بن برد	٣	١٦٦١
أبعد خمسين	عتبُ	محمد بن حازم	٢	٣٠٨٩
عجبت لمبتاع الضلالة	أعجبُ	-	٢	٩٧١
قد ينفع الأدب	الأدبُ	-	٢	٩٣٧
الصدق زينٌ	الكذبُ	محمد بن حازم الباهلي	٢	١٧٨٤
وأفضل قسم اللَّه	يقاربُه	-	٢	١٠٥٩
ما قدَّر اللَّه	الحاسبُ	ابن عبد ربه	٤	١٨٦٦
من يشتم الناس	نصبُوا	محمد بن حازم الباهلي	٣	٢٥٣٦
وما أنا ممن	ثعلبُ	الكميت	٢	١٨٨١
أيوعدني كعبٌ	كعبُ	عمر بن الخطاب	٢	٢٩٦٦
نُراع لذكر الموت	ونلعبُ	-	٣	٣٤٨٩، ٣٧٧٢
ألا إنما الدنيا	جانبُ	-	٤	٢٢٥٨
ألا إنما الدنيا	جانبُ	-	٤	٣٦٠٠
أقول وقد فاضت	تذهبُ	رجل من بني ضبة	٢	٣٥٩٨
وكلُّ حصنٍ	والحوبُ	أبو دواد الإيادي	٢	٣٤٦٦
نعى لك	الخطوبُ	الخليل بن أحمد	٤	٣٤٨٠
وهوَّن عندي	ونؤوبُ	أبو شبل بن معبد البجلي	٣	٣٦٦٧
أشيبان ما يدريك	حبيبُ	المخبَّل	٥	١٢٨٦
وقبلك داوى	الطبيبُ	الخليل بن أحمد	٢	٣٢٩١
إذا كانت الخمسون	طبيبُ	-	٣	٣٣٠٧
نعى نفسي	اللبيبُ	-	٣	٣٤٨٥
وإني لسهل الوجه	لرحيبُ	أبو يعقوب الخريمي	٣	١٣٥١
من يسأل الناس	يخيبُ	عَبيد بن الأبرص	٢	١٨٣٥
وما عاجلات الطير	يخيبُ	ضابئ بن الحارث البرجمي	٣	١٨٨٠
إذا كنت تزعم	قريبُ	منصور بن إسماعيل الفقيه	٤	٣٠٧٧
إذا ما مات	قريبُ	إسحاق بن حسان الخُريمي	٢	٣٣٢٠
عسى الكربُ	قريبُ	-	١	٣٣٣٣

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
لعبتَ ومثلك	الأطيبُ	محمد بن الحسين	٧	٣٠٨٣
أأخضب رأسي	سليبُ	عبد اللّه بن ثعلبة الحنفي	٣	٣٦٤٠
لمن شيخان	الكتابا	أمية بن أسكر	٥	١٢٨٥
إذا كنت ربي	غائبا	أبو الوليد الباجي	٢	٢٣٩
وأكثر أفعالٍ	كواذبا	الوليد بن مسلم	١	٣٠٩٩
طُبعتُ على ما فيَّ	المهذبا	بشار بن برد	٣	٣٤٢٢
ارضَ بالله	جانبا	-	٢	٣٢٦١،٢٠٩١
بأمي وأمي	شبابِه	-	٢	٣٦٥٢
عجبت للجنِّ	بأقتابِها	-	٣	١٨٦٢
أحين نعى شيبي	بمصابِ	-	٤	٣٤٨٣
خلقتُ من التراب	الخطابِ	-	٣	٢٩٧٤
وما شيءٌ أحب	الجوابِ	-	٢	١٦٣٩
ولما رأيت	الحبائبِ	بردعة	٤	٣٦٨٦
ولا عيب فيهم	الكتائبِ	-	١	٥٤٨
كم للحوادث	بنوائبِ	-	٤	٢٢٤٧
قد زرتُ	الواجبِ	علي بن بسام	٢	٣٧٢٨
لا يكذب المرء	الأدبِ	-	١	١٧٦٨
الحمد لله	أدبِ	محمد بن حازم	٣	٢٦٩٨
أتاني نجيي	بكاذبِ	سواد بن قارب الدوسي	٦	١٨٦٢
فكن بالصدقِ	الكذبِ	محمد بن حازم الباهلي	٢	١٧٨٣
إليك المشتكى	حسبي	-	٢	٢١٩
يلوم ابن أمي	قاضبِ	محيِّصة بن مسعود	٣	٤٧٦
لا تغضبنَّ	فاغضبِ	النمر بن تولب	٢	٢٦٧٧
رعى الله قبرين	القلبِ	أبو الوليد الباجي	٧	٣٧١٨
إن هذا يرى	المهلَّبِ	-	٢	٣١٧١
نؤمل عيشاً	وقلوبِ	-	٢	٣١٣٠
سُبقنا إلى الدنيا	وذَهوبِ	أبو الطيب المتنبي	٢	٢٢٧٢
يا من روى علماً	بأديبِ	محمد بن كناسة	٣	٩٩٠
يُعد رفيع القوم	بحسيبِ	-	٢	١٠٥٨،٩٢٥
يمنعني من عيب	العيبِ	-	٥	٢١٠٧
وفجعني فيروز	منيبِ	عاتكة بنت زيد	٣	٥٢٨

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
وحُقَّ لمثلي	اقتربْ	-	٢	٣٥٢٥

قافية التاء

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
أأُقاتل الحجَّاجَ	مولاتُه	عمران بن حطان	٦	١٨١٧
لو أن عمري	تنصَّفتُها	ابن الرومي	٢	٣٣٠٦
إذا ما تحدثت	علمتُ	يزيد بن الوليد بن عبد الملك	٢	٨٨٠
تناجيك أجداث	خُفوتُ	-	٢	٣٧٢٠
قد أفلح السالم	قوتُ	-	٣	١٧٥٣
ما كلُّ	السكوتُ	محمد بن أبي العتاهية	٢	٢٥٢٨
يا مفرداً	بليتُ	-	٢	٣٧٣٤
قد آن أن يسمعك	ميْتُ	-	٣	٣٣٧١
بينا الفتى	لذَّاتِه	-	٥	٣٤٧٣
تروِّعنا الجنائز	مدبراتِ	جرير	٢	٣٥٧٧
يا طويل الرقاد	الحسراتِ	-	٤	٣٣٦٨
مدارس آيات	العرصاتِ	دعبل الخزاعي	٦	٥٤٠
يا أيها الخالي بلذاته	وغصَّاتِه	عبيد اللّه بن أحمد الصيرفي	٥	٣٠٧٣
مولاي أرجو	غربتي	-	٢	٣٠٣٦
العلم آنس صاحب	وحدتِي	بعض البصريين		٨٥٤
خرجت من الدنيا	جنازتي	-	٣	٣٥٢٤
لا تأمن الدهر	آفتِهْ	-	٢	٣٥٥٥
أشكر عمراً	جلَّتِ	محمد بن سعد السعدي	٣	١٥٤٢
وكانوا رجاءً	وجلَّتِ	فاطمة بنت الحسين	١	٣٥٧٥
جزى الله عنا	وزلَّتِ	طفيل الغنوي	٣	٤٦٩
أسيئي بها	تقلَّتِ	-	١	٢١٩٣
ألا إنما الدنيا	تولَّتِ	محمد بن حازم الباهلي	١	٢٢٨٨، ٣١١٥
أفضل من ركعتي	السكوتِ	منصور الفقيه	٣	٢٧٥١
يا نفس	صليتِ	عبد اللّه بن رواحة	٢	٨٠٢
انظر إلى الأطلال	تنكَّرتْ	محرز بن خلف	١١	٢٧٨٦

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
ومن سرَّه	فقدَا	عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر	٢	٢٢٢٤
لاهُمَّ إني ناشد	الأتلدَا	عمرو بن سالم الخزاعي	٩	٤٥١
ونائحة حرَّى	والمقلَّدَا	كعب بن مالك	٦	٤٤٤
إذا أنت لم ترحل	تزوَّدَا	الأعمش	٢	٢٨٠٨
أيها السائل	العبادِ	إسماعيل بن محمد الحميري	٢	٢٠١، ١٨٤٠
ملأت يدي	اقتصادي	-	٢	١٤٣١
ركضاً إلى اللَّه	المعادِ	عمير بن الحمام	٣	٧٧٦
تبلَّغ من الدنيا	لمعادِ	أبو الوليد الباجي	٥	٢١٨٨
جرت الرياح	ميعادِ	الأسود بن يعفر	٢	٢٣٦٤، ١٨١٨
فلا تبعد	يغادي	حسين بن الضحاك	٣	٣٦٣٧
ألا حبَّذا	ورقادي	ثعلب	٣	٢٠٩٦
أيها القارئ	الزُّهَّادِ	عبد اللَّه بن المبارك	٣	٢٤٠١
ولقد علمتُ	الأعوادِ	الأسود بن يعفر	٧	٢٢٧٤
لا يُبعد اللَّهُ	والأبدِ	جحظة	٢	٣٦٠٨
ولقد سألت الكتب	تُبدِ	-	٢	٢٢٦٨
سبحان من ستر	بعبدِه	محمد بن حازم	٣	٣١١
جزى اللَّه	معبدِ	-	٥	٤٦١
كفى واعظاً	وتغتدي	عدي بن زيد	٤	٣٢١٩
لقد خاب قوم	ويغتدي	حسان بن ثابت	٥	٤٦١
وكنَّا كغصني بانة	واحدِ	-	٢	٣٠٥٦
الحمد لله	أحدِ	محمد بن حازم	٤	٢٦٩٧
أقول للنفس	تُردِ	قيس بن عاصم المنقري	٢	١٦٤٦
فيا ابنة	الوردِ	رجل من بني الحارث	٤	١٣٥٦
يا حريصاً	بالمراصد	العطوي	٤	٢٦٦٥
لَمَّا ملى	عضدي	أعرابي	٣	٣٦٢٨
أرى العمر	ينفدِ	المتلمس	٢	٣٥٥٩
فإن تسَلْ	بالتجلُّدِ	كثيِّر عزة	٢	٣٦٠٥
اصبر لكل مصيبة	مخلَّدِ	-	٣	٣٤٤٠، ٣٦٦٢
فقدتُك فقدَ الطفل	مولدِ	الخريمي	٣	٣٦٤٦
لعمرُك إني	محمدِ	أبو سفيان بن الحارث	٤	٣٠٦٤
إني لأكرم	الصمدِ	محمد بن حازم	٢	١٨٣٧

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
قل للمقلِّين	جندِ	محمد بن حازم	٤	٢١٨٧
أين أهل الديار	وثمودِ	عدي بن زيد	٥	٣٢٩٧
رايت المرءَ	الحديدِ	أرطاة بن سُهَيَّة	٣	٣٣٠٠
حلبت الدهر	المزيدِ	عبد المسيح بن حيان بن نفيلة	٣	٣٧١٣
وأُرانا كالزرع	وحصيدِ	ابن مناذر	٢	٣٤٩٢
إن العجوز	السدَدْ	ابن الخنساء	٤	٨٠٦
وتعدُّ كثرة	العدَدْ	-	٢	٣٥٧٣، ٢٧٨٧

قافية الراء

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
لا جارة تبقى	الدارُ	-	٢	٣٦٧٧
لنا في الدهر	قصارُ	البحتري	٥	٣١٣٢
أشبع الزنجي	حمارُ	سفيان الثوري	١	٢٨٧٣
وكل جديدٍ	صائرُ	ليلى الأخيلية	٢	٣٦٢٧
إذا ما دعوتُ	الصبرُ	-	٢	٣٦٤٢
أللعمر في الدنيا	وتُقبرُ	أبو تمام	٦	٣١٣٩
ذنوبي كثيرٌ	وأكبرُ	-	٢	٣٨٦٧
فتى كان عذب	كِبْرُ	-	١	٣١٩٣
أصبحت شيخاً	الكِبْرِ	فروة بن نفاثة السلولي	٤	٣٣١٧
امنن علينا رسول اللّه	وننتظرُ	-	٦	٤٥٥
فيا شامخاً	وتعثِرُ	محمد بن حازم	٣	٣١٩١
ماذا تقول لأفراخ	شجرُ	الحطيئة	٤	٥٢٠
ما بال	يفخرُ	-	٢	٢٤٥٧
إن كنتَ تعلمُ	تذرُ	عمر بن عبد العزيز	٦	٣٧١٦
لو كان ينجي	الحذرُ	رجل من بني أسد	٣	٣٦٤٥
لعمرك ما يدري	يحذرُ	-	٢	٢٠٦١
بان الشبابُ	يُعذرُ	أعشى همدان	٥	٣٣١٩
طوى الموت	ناشرُ	أبو نواس	٨	٣٦٢٤
إني وإن سيق	عشرُ	عُقيل بن عُلَّفة	٢	٣٦٧٦
ثلاثة برزوا بسبقهم	نشروا	حسان بن ثابت	٣	٥٢٣
أدِبٌّ إذا رمتُ	متاقصرُ	الخيار بن أوفى النهدي	٣	٣٢٩٩

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
وفي أربعين	مستبصرُ	سليمان بن أبي شيخ	٤	١١٩٦
الليل يا غلام	صرُّ	-	٢	١٣٥٨
إذا ما انتهى علمي	فأقصرُ	-	٢	٨٨١
المرءُ يأملُ	يضرُّه	لبيد	٤	٣١٢٩
فلو كان للشكر	الناظرُ	-	٢	١٥٤٤
هي الأيام	ينتظرُ	أبو العتاهية	٢	٣٣٩٤
قالوا تقيم	تفِرُّ	منصور الفقيه	٤	٣٣٨٧
ألا في سبيل اللّٰه	القفرُ	-	٣	٣٥٠٣
هي القرارُ	كفرُ	أمية بن أبي الصلت	٢	٢٧٠٢
غنى النفس	الفقرُ	عثمان بن عفان	٢	١٦٨١
إذا كان شكري	الشكرُ	محمود بن حسن الوراق	٤	١٥٢٥،٢٩٨
أيا رب	الشكرُ	محمود الوراق	٢	١٥٤١
عسى فرج	أمرُ	-	٢	٢٦٧٨،٢٠٢٢ ٣٣٣٣
لكلِّ أبي أنثى	الصِّهرُ	عبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن طاهر	٢	٣٦٧٥
يا رسول المليك	بورُ	عبد اللّٰه بن الزبعرى	٢	٤٥٩
أما القبور فلا تزال	قبورُ	-	٣	٤٤٧
أيها الشامت	الموفورُ	عدي بن زيد	١٣	١١٧٥
يد المعروف	شكورُ	عبد اللّٰه بن المبارك	٢	١٨٢٠
تروح لك الدنيا	أمورُ	-	٤	٢٢٥٧
اصبر لدهر	الدهورُ	-	٢	١٦٧٩
تكثَّر من الإخوان	وظهورُ	الخليل بن أحمد	٢	١٤١٤
تخبَّرَ طيْره	خبيرُ	زبان بن سيار الفزاري	٥	١٨٨٤
إذا قيل أعمى	لبصيرُ	-	٣	٣٤٤٥
الحلم زينٌ	مهذارا	-	٢	١٧٤٨
يا أملي	جائرا	أبو الوليد الباجي	٤	٣١٣١
لا تبك للدنيا	القابرَه	-	٣	٢٩٢٠
إذا المرءُ	فأكثرا	ابن عطاء	٤	٢٧٥٨
وعوراء جاءت	عُذرا	حاتم طيئ	٤	١٦٥٧
دنيت للمجد	الأُزْرا	-	٣	٩٣٣
تجنب بجهدك	مِئزرَه	أبو الوليد الباجي	٢	١٩٥٧

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
رُبَّ ذي طمرين	شرَّه	أبو عبد اللَّه بن حميد	٣	٢٨٥٩
أحب الفتى	وقرا	سُلمى بن وابصة	٢	١٧٠٩
فلو أن عمري	العمرَا	الراضي بالله	٢	٣٦٣٥
ليس كلٌّ	المقدورَا	أبو محمد بن حمزة	٢	٣٤١٦
قد أفلح القانت	النيِّرا	أبو الوليد الباجي	٥	٦٢٨
أتينا رسول اللَّه	نيرا	النابغة الجعدي	٤	٤٣٤، ٧٩٦
يا ربِّ	آثاري	ذو الرمة	٢	٢٩٧٥
وما أهل الحياة	بدارِ	-	٢	٢٢٦٥
غلط الطبيبُ	الإصدارِ	ابن الرومي	٢	٣٢٩٦
أشكو بِعادك	سِراري	التهامي	٤	٣٦٥٤
حكم المنية	قرارِ	التهامي	٩	٢٢٦٩
من سره كرم الحياة	الأنصارِ	كعب بن زهير	٤	٥٧٩
ثوب الرياءِ	عارِ	-	١	١٠٨٧
يا خاضبَ الشيبِ	النارِ	أحمد بن عبيد	٢	٣٤٨٦
يا قابض	النارِ	ذو الرمة	١	٣٧١٩
إن الشقيَّ	النارِ	-	١	٣٨٤٩
دع الدهر	أطوارِهِ	-	٣	١٦٨٦
لن تعجزوا	طيارِ	-	٢	١٨٧٥
لن يُسبق اللَّهُ	طيارِ	-	٢	٣٤١٨
إذا أبقت الدنيا	بضائرِ	-	٢	٢٢٧٥
أزورك إكراماً	بِرِّي	التهامي	٤	٣٧٣١
تعودت مسَّ الضرِّ	الصبرِ	-	٣	١٦٧٢، ١٨٣٣
ليس لما	الصبرِ	أبو العتاهية	٢	١٦٧٤
تعزَّ إذا رُزئتَ	صبْرِ	-	٢	٣٦٧٤
أقول له لما	القبرِ	-	٤	٣٦٣٢
من كان يخشى	المشتري	منصور الفقيه	٢	١٨٦٣
أودعت من كان	والحجرِ	-	٢	٣٧٣٣
إذا قال لم يترك	هُجْرِ	معاوية	٢	٥٧٢
لله قبرٌ	صدرِه	أبو الوليد الباجي	٤	٣٦٥٥
ما قدَّر اللَّه	بالحذرِ	-	٢	٣٤١٤

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
تمنَّى ابنتاي	مُضَرْ	لبيد بن ربيعة	٤	٣٥٨٨،٣٤٤٦
أراني أنسى	الصغرْ	نفطويه	٤	٩٤١
أتيت القبور	المحتقرْ	مالك بن دينار	٥	٣٧٢٤
أبني لا تظلم	الكبيرْ	سُبيعة بنت الأحب	٧	٢٤٥٩

قافية الزاي

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
لئن عجزت	عاجزُ	أبو الفتح البستي	٢	١٥٤٧

قافية السين

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
للناس مالٌ	حرَّاسُ	-	٢	١٨٣٤
تهتُ على أهل	راسا	بهلول المجنون	٤	١٨٢٩
طب عن الأمة	أنسا	-	٢	٢٠٩٢، ٣٢٦٢
سأل الخليفة	العباسِ	حسان بن ثابت	٣	٢٢٧
حلَّ ورب البيت	أساسِ	-	٣	٣٠٥٨
لا تطمحنَّ	وإفلاسِ	-	٢	١٨٣٠
اضرع إلى اللَّه	الياسِ	محمد بن حازم	٣	١٨٣٦
قد قلت لما	رمسِه	-	٣	١٩٢٦
إن خانك الدهر	والعيسِ	أبو بكر الخالدي	٢	٣١٣٨

قافية الصاد

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
يلومونني	ينغِّصُ	أبو الأسود الدئلي	٢	١٣٤٤
شكوت إلى وكيع	المعاصي	-	٢	١٠٤٢

قافية الضاد

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
أثَّر الدهر	مهيضا	-	٢	٣٦٠٤

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
عذيرَ الحيِّ	الأرضِ	ذو الأصبع العدواني	٣	٢٤٩٦
ولست بذي وجهين	أرضي	ابن عبدل	٢	١٨٠١
وأُعسر أحياناً	عرضي	الأسدي	٢	٢٦٨٠
أكفُّ الأذى	بالقرضِ	ابن عبدل	٢	١٦١٧
حمدت إلهي	بعضِ	أبو خراش الهذلي	٤	٣٦٣٦
وجيران صدقٍ	بعضِ	ابن المعتز	٢	٣٧١٧
إن اليالي	بعضي	الأغلب العجلي	٢	٣٢٩٢
وليس المرءُ	والنقضِ	ذو الأصبع العدواني	٥	٣٤٢١
شكرتك إن الشكر	يقضي	-	٢	١٥٤٣
كل يوم يمرُّ	ويمضي	-	٢	١٠٤٣

قافية الظاء

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
مهما شككت	الجاحظِ	منصور الفقيه	٢	٢٠٢٣

قافية العين

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
وما المال والأهلون	الودائعْ	لبيد بن ربيعة	٣	١٨٧٢، ٣٤٩١
إن الذوائب	تتبعُ	حسان بن ثابت	٦	٤٥٢
أعاذل ما يدريك	راجعُ	لبيد بن ربيعة	٥	٣٦٠٩
لا تنقضي	يُرتجعُ	منصور النمري	٣	٣٢٩٣
ولق علمتُ	شرجعُ	عبدة بن الطبيب	٦	٣٧٢٦
نعى الركب	فأوجعوا	مسعود أخو ذي الرمة	٣	٣٦٣٠
لا أدفع ابن العم	الجنادعُ	-	٣	١٥٦٤
لا بد من موت	تُصرعُ	متمم بن نويرة	٢	٣٤٨١
المرء إن كان	ورعُه	-	٢	٢١٠٣
فلا تبكينْ	النوازعُ	قيس بن ذريح	٢	٣٤٠٧
صبرت وكان الصبر	فأجزعُ	-	٢	١٦٨٠
إن الحوادث	يجزعُ	سلمى بنت مجدعة	٤	٣٤٤٢
أمنَ المنون	يجزعُ	أبو ذؤيب الهذلي	١١	٣٦٠٦
وتجلدي للشامتين	أتضعضعُ	أبو ذؤيب الهذلي	٢	٣٥٠١
يا من ينادى	موضعُ	عبد العزيز الخطيب	٥	١٠٧

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
وفينا رسول اللّه	ساطعُ	عبد اللّه بن رواحة	٣	٦٢٧
هو الموت	أفظعُ	معاوية بن أبي سفيان	١	٣٥٤٤
احذروا الحق	دافعُ	-	٣	١٦١٦
وكن معقلاً للحق	وسامع	هدبة	٣	٢١١٩
أما لو أعي	أجمعُ	محمد بن يسير	٧	٩٢٩
إن للموت ساعة	تدمعُ	-	١	٣٥٥٤
بَلينا وما تبلى	ومصانعُ	لبيد بن ربيعة	٨	٣٣٠٩
فجئنا إلى موج	ومقنَّعُ	كعب بن مالك	٤	٧٩٧
طوى الموت	وأمنعُ	بَطين البجلي	٣	٣٦٨٧
ومن البلاء	نُزوعُ	-	٢	٢٣٢٢
إذا ما الليل	ركوعُ	-	٢	٢٨٨٤
نبايع بين الأخشبين	تُبايعُ	عباس بن مرداس	٢	٤٥٨
تعصي الإله	بديعُ	محمود الوراق	٣	١٠٣٨
ومعصية الشفيق	استماعا	القطامي	٢	١٥٩٣
ومن عجب	متمتعَا	أعرابي	٤	٣٦٤٩
يا أيها الركب	ومنتجعا	لقيط الإيادي	٢٧	٧٩٥
نحاول شيئاً	ويرجعا	أبو تمام	٣	٣٤٩٤
ما أكثر العلم	يجمعَهْ	-	٢	٩٢٢
وكنّا كندماني جذيمةَ	يتصدَّعَا	متمم بن نويرة	٢	٣٥٨١، ٣٥٩٢
أبى الصبر	أقطعَا	متمم بن نويرة	٨	٣٦٤٧
فإن تك أحزانٌ	منقعَا	عبد اللّه بن عمر	٤	٣٦١٤
وإذا أنت أعطيت	أجمعَا	-	١	٢١٤٤
لعمري لئن جاءت	وتدمعا	حفص بن سالم الخزاعي	٥	٤٤٥
لعمري لقدماً	جائعَا	عتبة بنت عفيف	١	١٢٠٩
لعمري لقدماً	جائعا	أم حاتم طيئ	٣	١٤٦٨
ومن أمن الدنيا	الأصابعِ	المأمون	١	٢٢٤٣
لقد جمَّع الأحزاب	مجمعِ	خبيب بن عدي	٧	٧٩٨، ٣٤٤٣
أشدُّ من عيلةٍ	خضوعِ	محمد بن حازم	٤	٢٦٩٦
أُذنُ حيٍّ	وعي	أبو العتاهية	٤	٣٧٢٥

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الأبيات	رقم النص
حسبي بعلمي	الطمعْ	عبد الله بن المبارك	٣	١٨٢٧
ألا رُبَّ	الطمعْ	-	٥	٣١٣٣

قافية الغين

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الأبيات	رقم النص
صاحب البغي	باغِ	أبو العتاهية	١	٢٤٩٧

قافية الفاء

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الأبيات	رقم النص
وقائل كيف تهاجرتُما	إنصافُ	محمد بن حازم	٢	٣٢١٦
لا الفقر عار	سرفُ	محمد بن حازم	٢	١٤٢٩
لا تبخلنَّ بدنيا	والسرفُ	-	٢	١٤٧٢
كم يكون الشتاءُ	خريفُ	أبو تمام	٤	٣٠٨٠
والله لا نعصي العجوز	وعطفَا	ابن الخنساء	٤	٨٠٦
ليس الظريف	عفيفَا	نفطويه	٢	٢٥٨٠
فيا رب لا تجعل	المطارفِ	الطرماح بن حكيم الطائي	٦	٧٦٥
إن في نيْل المنى	الشرفِ	ابن طباطبا العلوي	٢	٢٢٢٥
سبحان ذي الملكوت	الموقفِ	أبو العتاهية	٢	٣٧٢٧

قافية القاف

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الأبيات	رقم النص
إلى الزهَّاد	تشتاقُ	ابن الرومي	١٣	٢٩٤٧
ما أرغبَ	لاحقُها	أمية بن أبي الصلت	٣	٣٥٦٠
صرتُ كأني ذُبالة	تحترقُ	-	١	١٠٠١
ولي صاحب	تحترقُ	العتبي	٣	١٥٩٧
فلا تجزعَنْ	التفرُّقُ	محمد بن المولى	٤	٣٦٠١
من قبلها طبت	الورقُ	العباس بن عبد المطلب	٧	٤٥٤
لا يُبعد اللَّهُ	والورقُ	-	٥	٣٥٩٩
أرفهْ بعيش	يرزقُه	العطوي	٤	٣٦٦٣
إذا المال	توافقُه	كثير عزَّة	٢	٢٧١٥
وإذا حملت	تنفقْ	سابق البربري	١	٨٩٣
ذريني فإن البخل	سروقُ	عمرو بن الأهتم	٢	١٤٦٠
ألم ترَ	طريقُه	حسان بن ثابت	٢	٢٦٥٩
وما نحن إلا هالك	عريقُ	الحسن بن هانئ	٢	٢٢٤٢

قافية الكاف

قافية اللام

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
تبيَّتُ مالك	المالُ	محمود الوراق	٣	٢٢٤٥
ما علتي	وعنابلُ	عاصم بن ثابت	٣	٧٩٨
اصبر على كيد	قاتلُه	ابن المعتز	٣	١٦٥٩، ٢٤٨٢
لا يُعجز الموت	الأجلُ	-	٢	٣٤٦٧
يا أيها الركب	الأجل	-	٢	٣٧٢٢
لعمري لئن غالت	ورواحلُه	الشمردل	٧	٣٦٢١
أقام على عهد	يعدلُ	حسان بن ثابت	٦	٥٤٩
واني وإسماعيل	النصلُ	صريع	٥	٣٦٥٠
إذا أنا لم اصفح	التفاضلُ	-	٣	١٦٤٩
إذا نصبوا للقول	الفعلُ	أبو همام السلولي	٢	١٠٠٨
يود الفتى	تفعلُ	النمر بن تولب	٣	٣٢٩٨
يقول أبو قيس	فافعلُوا	صرمة بن أنس	٦	١١٣٢
إذا أنت لم تنصف	يعقلُ	معن بن أوس	٤	١٦١٣
رُبَّ من بات	أجلُه	-	٥	٣٠٩٨
تأمل بعينيك	عقلُه	-	٤	١٠٦٠
تعلَّم فليس المرء	جاهلُ	-	٢	٩٣٤، ١١٦٦
أدعوك ربِّ	أبتهلُ	-	٣	١٠٨
غذوتك مولوداً	وتنهلُ	-	١٠	١٢٧٥
لقد غرت الدنيا	متحوَّلُ	بعض البغداديين	٣	٢١٩١
لقد غرت الدنيا	متحوَّلُ	بعض العبديين	٣	٣١٣٦
إن الرسول	مسلولُ	كعب بن زهير	٨	٤٧٠
يا أيها الرجل	مغلولُ	-	٢	٣٥٧٢
سأسكت صبراً	فلولُ	تميم بن المعز	٣	١٦٨٥
نبئت أن رسول الله	مأمولُ	كعب بن زهير	١٥	٤٣١
يا راعي	مسؤولُ	أبو العتاهية	٢	٣٠٨٨
ذكرت بها عياً	بزولُ	بشار بن برد	٤	٢٢٧٠
أرقت فبات ليلي	طولُ	أبو سفيان بن الحارث	١٤	٤٤٣

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
أيها السائل	وحالي	محمد بن حازم	٣	١٨٣٨
شمرت للتوبة	لعذّلي	-	٤	٣٠٥٨
إذا اقتصد الفتى	المعالي	محمد بن حازم	٥	٢٧٥٠
يا بَنيَّ	عقالِ	صرمة بن أنس	٢	٢٥٢٦
هب الدنيا	انتقالِ	-	٢	٢٢٠١
واتقوا اللَّه	الحلالِ	صرمة بن أنس	٣	١٢٦٩
سبِّحوا اللَّه	هلالِ	صرمة بن أنس	٢	٣١٢
تعلقت بآمال	آمالِ	أبو العتاهية	٤	٣١٣٥
أبلغ سليمان	مالِ	الخليل بن أحمد	٣	١٨٤٤
أصون عرضي	المالِ	حسان بن ثابت	٤	١٤٦٩
كم ساكن	جمالِه	-	٢	٣٧٢٣
وكلَّفني	زوالِ	أبو الفضل الميكالي	٢	٢٦٦٦
يا بَنيَّ الأرحام	زيالِ	صرمة بن أنس	٣	١٥٦٠
لا ينقص الكامل	عيالِه	محمد بن كناسة	١	١٥٠٤
ومارست هذا الدهر	قابلِ	الفضل بن روح الهروي	٣	٣٥٤٠
إنا لنفرح بالأيام	الأجلِ	-	٢	٩٨٣، ٣٣٣٩
ألا تزع القلب	أجلِه	عبد اللَّه بن معاوية	٦	١٠٢١
ليت شعري	رجلي	أبو بكر الصوفي	٣	٢١٤٦
لعمري ما أهويتُ	رجلي	عروة بن الزبير	٣	٣٤٢٨
أيا جامع المال	ظلِّه	بديع الزمان الهروي	٢	٢٦٦٤
كلُّ امرئٍ مصبَّح	نعلِهِ	أبو بكر الصديق	١	٣٢٩٠
حصان رزان	الغوافلِ	حسان بن ثابت	٦	٥٥٥
أتيناك والعذراء	الطفلِ	أعرابي	٤	٢٢٥
بنفسي خليلاي	عقلي	شرحبيل بن شريك	٢	٣٦٤٣
إن الذي بُعث النبي	العادلِ	جرير	٤	٦١٠
يا خدُّ	الجندلِ	رجل من بني هاشم	٢	٢٨٩٤
افعل الخير	بكلِّه	-	٢	١٤١٩
وأبيض يستسقى الغمام	للأراملِ	أبو طالب	٤	٢٢٥، ٢٢٨
إنك في دار	العاملِ	-	٤	٣١١٨
تسربل بثوب	مهلِ	-	٣	٣٧٩٣

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
وإني امرؤٌ	سبيلِ	-	٢	١٤٣٠
أل أيها الموت	خليلِ	-	٢	٣٥٩١
يا ربَّ جود	الذليلِ	ابن المعتز	٢	٢٧١٦
واعلم أن بنات	الذليلِ	عبد الصمد بن المعذَّل	٢	٣١٣٧
كيف يبكي	طويلِ	-	٢	٣٨٠٩
فلا تجزع	الطويلِ	-	٥	٢٦٧٦، ٣٤٠٦
رُبَّ ركبٍ	الزلالْ	عدي بن زيْد	٥	١١٧٣
إن تقوى اللَّه	وعجلْ	لبيد بن ربيعة	٣	٣٠٣
قد صدع الحق	الأملْ	محمد بن حازم	٤	٣١١٩

قافية الميم

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
سألزم نفسي	الجرائمُ	محمود الوراق	٥	١٦٤٨
أيقظان أنت	هائمُ	-	٧	٣٣٧٠
يا قومنا	واعتصموا	-	٣	٢٥٠٠
يا رب إن عظمت	أعظمُ	الحسن بن هانئ	٤	٣٠١٣
يصاب الفتى	وأعظمُ	أبو الفضل الميكالي	٢	٣٤٤٧
يا ويلتا	الحاكمُ	ابن عبد ربه	٣	٣٨٠٨
يا خير من دفنت بالقاع	والأكمُ	أعرابي	٢	٤٤١
أبا غانم	محكمُ	مساور الوراق	٢	٣٧١٤
وذي رحم	حِلْمُ	معن بن أوس	٦	١٥٦٢
هجم الشتاء	المسلمُ	-	٤	٢٦٨٢
أمحمد إن كنتُ	يسلمُ	أبو الوليد الباجي	٩	٣٦٣٩
وإن عناءً	أعلمُ	عبد القدوس	٣	٨٩٢
لا أشتكي	أعلمُ	-	٣	٢٦٧٩
حنى على يوسف	عممُ	-	١	٣٣٣٣
يا خير من حملت	غشومُ	عبد اللَّه بن الزبعرى	٨	٤٦٠
أما والله	الظلومُ	أبو العتاهية	٣	٢٥٢٥
ومن يحمد الدنيا	يلومُها	-	٢	٢٢٥٦
تدل على التقوى	سقيمُ	أبو العتاهية	٢	١٠٠٧
ابدأ بنفسك	حكيمُ	-	٢	٢١٠٦

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
يقولون لي	أحجما	علي بن عبد العزيز	٤	٨٦
عليك سلام اللَّه	يترحمَا	عبدة بن الطبيب	٣	٣٦٢٩
ونفسك أكرمها	مكرمَا	حاتم طيئ	٢	١٦٥٨
إن المعلم والطبيب	يكرمَا	-	٢	٨٧٣
خليلي أبا حفص	أسلمَا	الأحوص	١	٦٠٩
أرى بصري	وتسلمَا	حميد بن ثور الهلالي	٢	٣٣٠١
رأيتك يا خير البرية	معلمَا	العباس بن مرداس	٣	٦١٠
أرى طالب الدنيا	وأنعُمَا	-	٢	٢٢٦٣
قسمنا على الأعداء	مغتمَا	سلمان بن ربيعة	٥	٨٠٨
رأيتك لا يغنيك	أدهمَا	محمد بن كناسة	٣	٢٢٢٣
قارض الربَّ الكريما	العظيمَا	-	٢	١٠٢٩
عليك بأهل العلم	عليمَا	-	٣	٣٢١٤
وقال عليٌّ	المآتم	حبيب بن أوس	٣	٣٦٨٢
لسان الفتى	والدمِ	زهير بن أبي سلمى	٢	١٧١٨
لست لخنساء	الأقدمِ	ابن الخنساء	٣	٨٠٦
والكفر مخبثة	المنعمِ	عنترة	١	١٨٢٣
ألا ليت أني	الفمِ	عمر بن أبي ربيعة	١	٦١٠
الحمد لله	والحكمِ	أبو الوليد الباجي	٣	٣٠٠
ولو كانت الدنيا	لظالمِ	-	٢	٢٢٥١
يا طالب الدنيا	العالمِ	-	٢	٢٢٤٦
كم من سفيه	بالحلمِ	أبو العتاهية	٢	١٦٥٤
تحمله الناقة	الظلمِ	كعب بن زهير	٢	٤٢٩
إني وهبت	علمِ	مساور الوراق	٢	١٦٥٥
إني غفرت	علمِ	-	٢	٢٥١٧
لا أقول	متهمِ	-	٤	٢٧٠١
أسأل الله من أفضاله	قومِ	-	١	٣٠٥٨
ألا إنما الدنيا	بدائمِ	-	٢	٢٢٥٩
كأني وقد جاوزت	لجامي	عمرو بن قمينة	٦	٣١٠٩
وتيقّن بأنك اليوم	الكرامِ	أبو الوليد الباجي	٥	١٧٤٩
خطبٌ أجلُّ	الآطامِ	أبو ذؤيب الهذلي	٢	١٨٧٤
أبني تميم	الأعمامِ	-	٣	١٥٦١

مطلع البيت	القافية	الشاعر	عدد الابيات	رقم النص
لقد قرعتْ	شؤونُها	الحجاج بن علاط	٣	٣٦٥١
خير إخوانك	أينَا	بشار بن برد	٢	١٤١٠
لا تكره المكروه	متباينَه	-	٢	٣٤٤١
إذا ما الدهر	بآخرينا	-	٢	٣٥٠٠
وكنا قبل مهلكه	فينا	أم العريان	٢	٥٣٩
الناس بحر	سفينَهْ	منصور الفقيه	٢	٢٠٩٥، ٣٢٦٥
اغبَرَّ آفاق السماء	العصرانِ	فاطمة بنت الرسول ﷺ	٦	٣٦١١
حفظ اللسان	للإحسانِ	ابن عباد	٢	١٧٥٤
لا تأمنن	إنسانِ	سويد بن عامر المصطلقي	٤	٣٠٩١، ٣٣٦٧
أنت نعم المتاع	للإنسانِ	جارية سليمان بن عبد الملك	٢	١١٦٩
فلو كان يستغنى	مكانِ	-	٢	١٤٥٢
ولو كان يستغنى	مكانِ	-	٢	١٥٤٦
قد كنتُ	أغناني	-	٧	٢٦٦١
وقفت على الأحبة	الرهانِ	-	٢	٣٧٢١
قنعت بالدون	الهوانِ	-	٤	١٨٣١
يا أسير الطمع	الهوانِ	محمد بن حازم الباهلي	٢	٣١١٦
يا خارب القلب	البدنِ	-	٣	٢٩٧٨
يا ذا الذي	منِّي	جعفر بن عثمان	٢	١٥٩٦
إلهي لا تعذبني	منِّي	أبو العتاهية	٣	٣٠٣٧
إلهي لا تعذبني	منِّي	محمد بن أبي العتاهية	٦	٣٣٠٥
بقية العمر	الثمنِ	أبو الفتح البستي	٢	٣٠٦٢
يا أيها الركب	زمني	جرير	٣	٦١٠
بالله قولي له	اليمنِ	عمر بن أبي ربيعة	٢	٧٥٦
إن تعفُ عن عبدك	والمننِ	-	٢	٢٨٧
أرى أناساً	بالدونِ	أبو العتاهية	٢	٢١٩٥
إن الذي كان نوراً	مدفونِ	الرباب أم سكينة	٥	٥٥٤
وقد علمتُ	يأتيني	عروة بن أذينة	٤	١٨٣٩، ٣٦٩٤
لَلُبسُ ثوبين	وليلتينِ	محمد بن حازم	٤	٢٦٩٥

قافية الهاء

قافية الواو

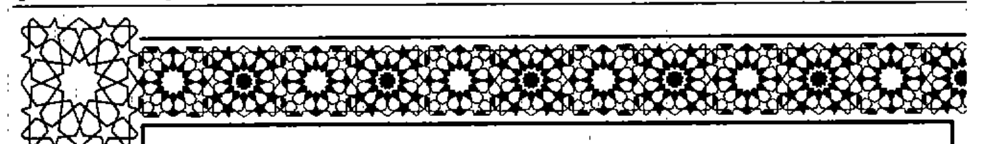
قافية الياء

قافية الألف المقصورة

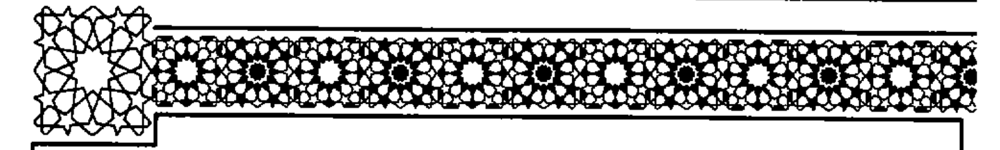


فهرس الأعلام

فهرس الأقوام والقبائل والجماعات والفرق



فهرس الأماكن



فهرس الأبواب

